

سَنَلِيكَ الْعَبْدُ الْمَوْضُوعِيَّ

١

النبي الأعظم

مِنْ مَلَكِ الْعَالَمِينَ

الْأَمِيرِ الْمُشْرِقِ سَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ النَّبِيِّ
(١٣٢٠-١٣٣٩ هـ)

الْإِسْلَامِ وَالْحَقِيقِ

مُحَمَّدٍ حَسَنٍ الشَّيْخِ الشَّاهِدِ وَدِي

مَوْصِيَّ السَّيِّدِ الْأَمِينِ

تَهْلِيلُ النَّبِيِّ الْغَدِيرِ الْمَوْضُوعِيَّةُ

١

النَّبِيُّ الْأَعْظَمُ

مِنْ كِتَابِ الْغَدِيرِ

لِلْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَمِينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
(١٣٢٠-١٣٩٠ هـ)

الْإِخْلَاقُ وَالتَّحْقِيقُ

مُحَمَّدُ حُسَيْنُ الشَّافِعِيِّ الشَّاهِرِ وَدِيِّ

مُؤَسَّسَةُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ



قال رسول الله ﷺ: «إني تارك - أو مخلّف - فيكم الثقلين - أو الخليفين - ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله وعترتي أهل بيته ، وإتھما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» .

الصواعق المحرقة: ١٣٥ [ص ٢٢٨]

بشرى: سوف تصدر قريباً الترجمات الفارسيّة والأوردويّة، والإنجليزيّة تبعاً لهذا الكتاب. كما سوف يصدر عن مؤسسة ميراث النبوة كتيبات أخرى من هذه المجموعة باللغات المختلفة إن شاء الله تعالى.

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة ميراث النبوة

الكتاب: النبي الأعظم ﷺ

المؤلف: العلامة الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني النجفي

التنظيم والتحقيق: محمد حسن الشفيعي الشاهرودي

الطبعة: الأولى، رمضان ١٤٢٧ هـ ق

صفّ الحروف والإخراج الفني: مؤسسة ميراث النبوة - روح الله ماندگاری

الناسخ: سنابل / قم

المطبعة: الإسرائ / قم المقدسة

الكميّة: ١٥٠٠ نسخة

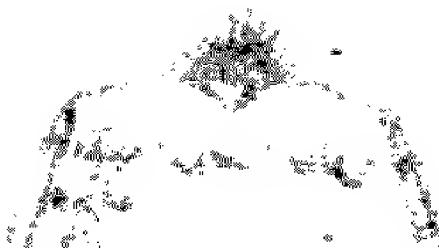
السعر: ٧٠٠٠ تومان

شابك: ٦ - ٥٨ - ٨٨٢٩ - ٩٦٤

مركز التوزيع:

١ - قم، شارع ١٥ خرداد، الفرع ١٣، رقم الدار ١٣، مؤسسة ميراث النبوة. هاتف: ٧٧٧١٠٩٣

٢ - قم، شارع الشهداء (صفائية)، ممتاز، انتشارات سنابل. هاتف: ٧٨٣٠٩٣٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

تشتمل على مباحث:

أولاً - حول عام النبي الأعظم ﷺ

أعلنت هذه السنة الهجرية الشمسية^(١) من قبل قائد الجمهورية الإسلامية الإيرانية آية الله السيّد علي الحسيني الخامني - دام ظلّه - باسم (عام النبي الأعظم ﷺ)؛ وذلك لأنّ في العام المنصرم نشرت إحدى الصحف الغربية (كاريكاتوراً) يعرّض بالنبي الأكرم ﷺ ويمسّ ساحة قدسه الشريف، وقد راحت بعض الدول الغربية الأخر بحجّة حرّية البيان والصحافة والرأي إلى تأييد هذا الأمر المشين تلميحاً أو تصريحاً، فأعادت نشر تلك الرسوم الموهنة ...

فعمّت الدنيا - وخاصة العالم الإسلامي - موجة عارمة من الغضب والسخط استنكاراً لهذا الأمر، ودفاعاً عن ساحة قدس حضرة خاتم الرسل، تماماً على العكس ممّا أرادته أعداء الإسلام وأعداء نبيه الأعظم ﷺ؛ فلقد احتلّ النبي الأكرم ﷺ مكانته عند العوامّ والخواصّ، وراحت تنطلق يومياً في أنحاء العالم التظاهرات الحاشدة وتتسع دائرتها احتجاجاً على هذا الذي أقدمت عليه بعض الدول الأوربيّة، ودفاعاً عن حريم نبيّ الإسلام المقدّس. كما شارك الخطباء والكتّاب في كتبهم ومقالاتهم في بلورة هذا الموضوع وتشريح أبعاده وتداعياته.

ومن هنا جاءت دعوة قائد الثورة الإسلامية الإيرانية لأجل تنويع هذه المسيرة،

١ - هو العام ١٤٢٧ من الهجرة الشريفة على هاجرها آلاف التحية والإكرام، والمصادف للعام ٢٠٠٦ الميلادي،

والموافق لسنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية الإيرانية.

وإعطائها زخماً قوياً، وقاعدة صلبة تستند إليها، ورفد هذا الموج العارم بأسباب ثباته وديمومته، وذلك بتسمية السنة الهجرية الشمسية الإيرانية الجديدة (١٣٨٥) باسم النبي الأعظم ﷺ، حتى يوجّه أنظار المسلمين إلى هذا الرمز الإلهي المقدّس بشكل خاص، ويستحثهم على مراجعة سيرته العلمية والعملية، ويتطلّعوا جيّداً إلى تلك الصفحة الصافية التي تعكس بكلّ جلاء الإنسان الكامل... كي يصلوا إلى برّ الأمان وشاطئ النجاة، وينجون من هذه الأوضاع المؤسفة التي يعيشها العالم حالياً، ويعودون إلى أحضان الإسلام الحقيقي. إنّ دفاع المسلمين عن ساحة النبي الأكرم ﷺ المقدّسة في مقابل المشركين والهجمة الشرسة على الإسلام، هي حركة مستحسنة وتجلب الرضا، وهي في محلّها... لكن هناك حركة أخرى يجب أن يلتفت إليها، وهي عودة المسلمين إلى أنفسهم، والنظر في أحوالهم، وأنّهم بعد رحلة النبي ﷺ وإلى اليوم، كم عملوا بوصاياهم؟ وهل عكسوا في أعمالهم وتصرفاتهم الصورة الجميلة، وكانوا مثلاً للنبي الأكرم ﷺ؟ أم أنّهم أعطوا صورة معكوسة لإسلامهم ونبيّهم!!

للأسف أنّ كثيراً من المسلمين، بسبب التحريف الكثير الواسع والأكاذيب العديدة المختلفة التي تُنسب للنبي ﷺ من جانب، وباعتبار نتائج أعمالهم غير المناسبة من جانب آخر، لم يعكسوا للعالم صورة حسنة وحقيقية عن الإسلام؛ فعلى المسلمين في هذا العام وفي كلّ عام أن يبدؤوا في مقام العلم على تدقيق و تنقيح مصادر التفسير والحديث والتاريخ والكلام وغيرها، وتهذيبها وإخراجها مزيّنة بالتحقيق، واستخراج السيرة الصحيحة والحقيقية من بين طيّاتها. ثمّ في مقام العمل فإنّ عليهم أن يتصرّفوا على أساس ما هو صحيح وحقيقي، وأن لا يوقعوا أنفسهم في هوة ومطبات ما ينسجه ويلفقه هذا وذاك.

إنّ كلّ إنسان مُنصف عند ما يطالع بدقّة أحاديث النبي ﷺ وخطاباته منذ بداية تبليغ الرسالة الإسلامية، وإنذار عشيرته الأقربين: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١)، وحتى حجة الوداع وهي آخر حجة للنبي الأكرم ﷺ، بل وحتى آخر لحظات حياته الشريفة عند

احتضاره عند ما طلب قلماً ودواة ليكتب للناس شيئاً لا يضلّون بعده أبداً، علم أنّ السُنّة الحقيقية هي التي تؤخذ عن طريق أهل البيت عليهم السلام... والسُنّة الحقيقية هي التي تكون تابعة وملازمة لهم عليهم السلام. وفي غير هذه الصورة فإنّ التاريخ سيقع في أحابيل أمثال معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، والجُنّة الآخرين.

واليوم، وللأسف الشديد، وعلى أكثر منابر المسلمين بدل أن يُشاد بذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين - عليهم جميعاً سلام الله - فإنّه يُصار إلى الإشادة ببني أميّة، والتعريف بما يروى من حكايات عن معاوية. وهو ما حصل معي شخصياً، حيث سمعت في خطبة صلاة الجمعة في المسجد النبوي وفي المسجد الحرام - في سفر تشرفي زيارة المدينة المنورة ومكة المكرمة - خطيب الجمعة وهو يتحدث عن معاوية وينقل عنه بعض المرويّات، ووصاياها التي يذكر بها الأُمّة الإسلاميّة!!

وأخال أنّ هناك إصراراً وتعمّداً في أن يكون في كلّ خطبة ذكرٌ لاسم معاوية مع إتباع اسمه بالترضي عنه. حتّى إنّهم نسوا وأنسوا نهج البلاغة والصحيفة السجاديّة... وبدل أن يقال: قال الباقر، وقال الصادق، فإنّهم عمدوا إلى فتاوى أبي حنيفة وأمثاله وراحوا يستشهدون بها ويتناقلونها من على منابرهم وفي مجالسهم وصفوفهم الدراسيّة، ويعطون لأعمالهم مبرراً على أساس من تلك الفتاوى. وهذه هي الطامة الكبرى، والمشكلة الأصليّة والأساسيّة للمسلمين. وأنّ حال مسلم تابع وموَالٍ لمعاوية ويزيد، ستكون معلومة سلفاً، ولا يمكن أن تكون أحسن من حال متبوعه.

وهذا العام، ولحسن الحظّ، فإنّ حزب الله لبنان بقيادة قائد عربيّ شجاع هو السيّد حسن نصرالله، قد قاوم وصمد أقام الحملة الشرسة الأمريكيّة - الإسرائيليّة ضدّ المسلمين، وبوقفته تلك فقد أعطى درساً في العزّة والحرّيّة، كما أوضح للجميع الفارق بين أتباع الإمام الحسين عليه السلام وأتباع معاوية ويزيد... فأين العزّة الحسينيّة من الذلّة لبعض من لهم أشكال المسلمين؟! وأين قرآن مفسّره أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من قرآن معاوية وعمرو بن العاص المرفوع على رأس رمح؟! رأس رمح؟! رأس رمح؟! رأس رمح؟!

وأين إسلام وصل عن طريق أهل البيت ﷺ من إسلام وصل عن طريق بني أمية و بني العباس؟!

وأين دولة قائدها وليّ فقيه عادل شجاع من دولة قائدها فاسق وفاجر وطالب دنيا وعابد فرج وبطن؟!

وأين التوحيدية من الوهابية؟!

فالكل في الظاهر مسلم... ولكن أحدهم أسلم وجهه لله تعالى ، والآخر أسلم نفسه لهواه والشيطان. الكل يعتبر مؤمناً... ولكن أحدهم مؤمن بالله العظيم وكافر بالجبت والطاغوت ، والآخر مؤمن بالجبت والطاغوت وكافر بالله العظيم. أم يعتبر نفسه سنيّاً... ولكنه هل يتبع سنة النبي ، أم سنة معاوية ويزيد وبدع المجتهدين واجتهادهم الهزيل في مقابل النص؟!

ثانياً - حول أركان الإسلام

مما ذكرناه يتّضح أنّ ركن الإسلام الأصلي والأساسي هو (الولاية).

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية -»^(١).

وعن زرارة عنه عليه السلام قال: «بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية». قال زرارة: قلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟

فقال: «الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهنّ والوليّ هو الدليل عليهنّ... ذروة الأمر وسنانه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته؛ إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾»^(٢). أمّا لو أنّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عزّ وجلّ حقّ في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان»^(٣).

وعن أبي حمزة الثمالي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : «بُني الإسلام على خمس : إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم شهر رمضان ، والولاية لنا أهل البيت ؛ فجعل في أربع منها رخصة ، ولم يجعل في الولاية رخصة ؛ من لم يكن له مال لم يكن عليه زكاة ، ومن لم يكن عنده مال ليس عليه حج ، ومن كان مريضاً صلى قاعداً وأفطر شهر رمضان ، والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مالٍ أو لا مال له فهي لازمة»^(١).

لماذا تعتبر الولاية أساساً أصلياً للإسلام؟

إنَّ ولاية أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام ، وتدارس وصاياهم وأقوالهم الصادرة بدقة تكسب الإنسان بصيرة في أصول دينه بشكل عامٍّ من التوحيد ، والنبوة ، والإمامة ، والمعاد . وكذلك تضعه على الطريق الصحيح في فروع الدين ، ويجد فيها الصراط المستقيم . ولو انحرف الإنسان عن طريق أهل البيت عليهم السلام ، وسقط في شرك من يعتبرون أنفسهم مجتهدين ، ولا يتورعون في الاجتهاد مقابل النصِّ كمعاوية ، فإنه سيجد نفسه في أصول دينه وفروعه ضاللاً في متاهات لا نهاية لها أو في بحر لجي لا ساحل له ، وبعبارة أخرى فهو يسير نحو المجهول .

فالإنسان المنحرف عن الولاية ، والبعيد عن رحاب العصمة ، ليس له خيار غير العمل برأيه على أساس القياس ، والاستحسان ، و... ، ونتيجة لهذا الاجتهاد فقد شهدنا حصول البدع الكثيرة في حقل العلوم الدينية علاوة على أصول الدين وفروعه .

ولعلَّ مطالعةً عابرة وسريعة في مذهب أهل البيت عليهم السلام ، ومذهب مخالفينهم يتضح من خلالها بجلاء - وبالرغم من وجود المشتركات في الظاهر بين هذين المسارين - أنَّ هناك في الحقيقة اختلافاً جوهرياً وأساسياً فيما بينهما ، وأنَّ مفتاح الحلِّ ورفع هذا الاختلاف إنما يكمن في قبول ولاية أهل البيت عليهم السلام أو عدم قبولها .

صحيحٌ أنَّ جميع المسلمين يعبدون إلهاً واحداً ، ويقرؤون قرآناً واحداً ، ويرجعون في

طاعتهم لنبي واحد، ويعتقدون بالجنة والنار، ويؤدون عبادات مشتركة واحدة كالصلاة والزكاة والصيام والحج... وغيرها، ولكن أين أن تؤخذ أصول الدين عن أمير المؤمنين عليّ أو الإمام الحسن أو الإمام الحسين وسائر أهل البيت المنصوص عليهم، من أن تؤخذ من المجتهد الفلاني أو من الذين يفتون بالرأي؟!

وأين أن تؤخذ فروع الدين عن الإمام الباقر والصادق ﷺ من أن تؤخذ من أمثال أبي حنيفة؟!

من هنا، أصبحت الولاية القاعدة الأساسية للإسلام، وأصبحت المنشأ لجميع الاختلافات الموجودة في دائرة الدين وحوزته.

نعم، الاختلاف في الولاية... فلو أن امرءاً مسلماً تعلق بأهداف أهل البيت ﷺ لوجد الطريق الصحيح إلى أصول وفروع الدين، وإذا وقع في حباله المخالفين فإنه سيضلّ طريقه إلى أصول الدين وفروعه؛ ولأجل إيضاح الآثار المترتبة على الابتعاد عن خطأ ولاية أهل البيت ﷺ، لابدّ من النظر إلى بعض البدع التي حدثت في مجال الدين، كي يتضح جيداً معنى كون الولاية ركن أساسي.

وإليك بعض البدع في نطاق أصول الدين:

١- قول بعض الأشاعرة بكون الباري تعالى جسماً، وإمكان رؤيته يوم القيامة.

٢- إنكار الحسن والقبح العقليين من قبل الأشاعرة.

٣- قول الأشاعرة بالجبر، وقول المعتزلة بالتفويض.

٤- القول بقدم القرآن الكريم.

٥- إنكار كون أفعال الباري تعالى معللة بالأغراض.

٦- اختصاص الأحكام بالعالمين.

٧- قول الأشاعرة بإمكان التكليف بالمحال وبغير المقدور.

٨- إنكار تعيين وتنصيب أوصياء النبي ﷺ وخلفائه، والقول بكونهم منتخبين.

٩- القول بحجية الإجماع بنفسه.

١٠- القول بحجية قول وفعل الصحابة.

١١ - القول بعدم لزوم عصمة خلفاء النبي ﷺ .

١٢ - القول بجواز تقديم المفضل على الفاضل . قال التفتازاني في شرح المقاصد:

ولا يشترط أن يكون الإمام هاشمياً ولا معصوماً ولا أفضل من يولّى عليهم^(١) .

١٣ - القول بأن الخليفة لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ، ولا يخلع ، ولا يجوز

الخروج عليه بذلك^(٢) ! قال الباقلاني في التمهيد^(٣) باب الكلام في صفة الإمام الذي يلزم العقد له:

قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بنفسه وظلمه بنصب الأموال ، وضرب الأبدان ، وتناول النفوس المحرّمة ، وتضييع الحقوق ، وتعطيل الحدود ، ولا يجب الخروج عليه ، بل يجب وعظه وتخويله . وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه ، من معاصي الله!

واحتجوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ، وأنه قال ﷺ: إسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع ، ولو لعبد حبشي ، وصلّوا وراء كلّ برّ وفاجر . وروي أنّه قال: أطعهم وإن أكلوا مالك ، وضربوا ظهرك ، وأطيعوهم ما أقاموا الصلاة .

أمّا بعض البدع الموجودة في فروع الدين ، فهي:

١ - التغييرات الكثيرة في الوضوء والصلاة وغيرهما .

٢ - التغيير في الأذان والإقامة .

٣ - تقديم الخطبة على الصلاة في العيدين .

٤ - إتمام الصلاة في السفر .

٥ - ترك التكبير المسنون في الصلوات .

١ - شرح المقاصد ٢: ٢٧١ [٢٣٣/٥] .

٢ - أنظر شرح صحيح مسلم للنووي ، هامش إرشاد الساري ٨: ٣٦ [شرح صحيح مسلم ١٢/٢٢٩] .

٣ - التمهيد للباقلاني: ١٨٦ .

٦ - تحريم حج التمتع .

٧ - ترك التلبية خلافاً لعليّ .

٨ - تحريم الزواج المنقطع (الموقت) .

٩ - الحكم بوقوع الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد .

١٠ - القول بالعلو والتعصيب في الإرث و....

وهناك عشرات البدع الأخر التي أشرنا إليها في هذا الكتاب ، وبعضها جاء تحت عنوان (الاجتهاد في مقابل رسول الله ﷺ) .

في عام (١٤٢٥هـ) - وهي المرة الأولى التي أتشرف فيها بزيارة المدينة المنورة ومكة المكرمة - وفي صلوات الجمعة والجماعة في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف ، شاهدتُ موارد كثيرة و متعددة من بدع الأمويين والمخالفين لأهل البيت ﷺ ، وقلتُ في نفسي : حقاً إن النبي ﷺ لمظلومٌ ، وإن سنته متروكةٌ . وهنا أودّ الإشارة إلى بعض تلك المشاهدات :

الأول: النوم قبل الصلاة أو في أثناء الخطبة ؛ فالبعض ينام قبل الصلاة وفي أثناء الخطبة ، ثم يقومون إلى الصلاة بدون تجديد الوضوء . لقد تعجبتُ كثيراً من هذا التصرف ، ووقفتُ متحيراً مندهشاً! لكن دهشتي وتحيري زالتا بعد أن راجعتُ بعض فتاوى أهل السنة ، فوجدتُ أن أبا حنيفة يرى أنه إذا نام على هيئة من هيئات المصلين كالراكع والساجد والقائم والقاعد لا ينتقض وضوؤه ، والشافعي يرى أن كل نوم غير مبطل للصلاة كما لو كان إست النائم ملاصقاً للأرض أو لعمود وأمثال ذلك ممّا يمنع احتمال خروج الريح!

ففي سنن الترمذي: (١)

عن أنس بن مالك قال : « كان أصحاب رسول الله ﷺ ينامون ثم يقومون فيصلّون ولا يتوضّؤون » . قال أبو عيسى : هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ . قال : وسمعتُ صالح بن عبد الله يقول : سألت عبد الله بن المبارك عمّن نام قاعداً معتمداً ؟ فقال : لا وضوء عليه .

اختلف العلماء في الوضوء من النوم : فرأى أكثرهم أن لا يجب عليه الوضوء إذا نام قاعداً أو قائماً حتى ينام مضطجعا ؛ وبه يقول الثوري وابن المبارك وأحمد .
وقال بعضهم : إذا نام حتى غلب على عقله وجب عليه الوضوء ؛ وبه يقول إسحاق .
وقال الشافعي : من نام قاعداً فرأى رؤيا أو زالت مقعدته لوسن^(١) النوم ، فعليه الوضوء .
وفي شرح مسلم للنووي^(٢) :

قد اختلف العلماء فيها على مذاهب :

أحدها : أن النوم لا ينتقض الوضوء على أي حال كان ؛ وهذا محكي عن أبي موسى الأشعري

والمذهب الثاني : أن النوم ينتقض الوضوء بكل حال ؛ وهو مذهب الحسن البصري ...
المذهب الثالث : أن كثير النوم ينتقض بكل حال وقليله لا ينتقض بحال ؛ وهذا مذهب الزهري

والمذهب الرابع : أنه إذا نام على هيئة من هيئات المصلين كالراكم والساجد والقائم والقاعد لا ينتقض وضوؤه سواء كان في الصلاة أو لم يكن . وإن نام مضطجعا أو مستلقياً على قفاه ينتقض ؛ وهذا مذهب أبي حنيفة وداود .

والمذهب الخامس : أنه لا ينتقض إلا نوم الراكع والساجد ؛ روي هذا عن أحمد بن حنبل .
والمذهب السادس : أنه لا ينتقض إلا نوم الساجد ؛ وروي أيضاً عن أحمد .

والمذهب السابع : أنه لا ينتقض النوم في الصلاة بكل حال ، وينتقض خارج الصلاة ؛ وهو قول ضعيف للشافعي .

والمذهب الثامن : أنه إذا نام جالساً ممكناً مقعدته من الأرض لم ينتقض ، وإلا انتقض ، سواء قل أو كثر ، سواء كان في الصلاة أو خارجها ؛ وهذا مذهب الشافعي . وعنده أن النوم ليس حدثاً في نفسه وإنما هو دليل على خروج الريح ؛ فإذا نام غير ممكن المقعدة غلب على

١ - «الوسن» : أول النوم . وقد وسن يوسن فهو وسن ووسنان . والهاء في اليسته عوض من الواو المحذوفة ؛

٢ - شرح مسلم للنووي ٧٣: ٤ - ٧٤ .

قاله الجوزي في النهاية .

الظن خروج الريح فجعل الشرع هذا الغالب كالمحقق ، وأما إذا كان ممكناً فلا يغلب على الظن الخروج والأصل بقاء الطهارة.

الثاني: عدم ذكر حيٍّ على خير العمل في الأذان والإقامة ، والتثويب في أذان الفجر؛ وهو أن تقول بعد حيٍّ على الفلاح : الصلاة خيرٌ من النوم ، الصلاة خيرٌ من النوم . وإنما سمي تثويباً من قولك : ثاب فلانٌ إلى كذا أي عاد إليه ، وثاب إلى فلانٍ جسمه بعد العلة أي رجع ؛ لأن المؤذن قال : حيٍّ على الفلاح ، فدعا الناس إلى الصلاة ، ثم قال : الصلاة خيرٌ من النوم ، الصلاة خيرٌ من النوم فتوب ؛ أي عاد إلى دعائهم بهذا القول^(١). وفي كتاب الاستغاثة^(٢) لأبي القاسم الكوفي:

ومن ذلك [أي من بدع عمر]: ما أفسده من حدود الصلاة فأسقط من الأذان والإقامة وزاد ما أفسدهما على متبعيه . أما الأذان فإنه كان على عهد رسول الله ﷺ بما جاء به الرواية على طريق الشيعة الإمامية يقال فيه : حيٍّ على خير العمل ؛ فقال : أسقطوا هذا من الأذان لئلا يتكل الناس على الصلاة ويتركوا الجهاد فأسقط ذلك من الأذان والإقامة جميعاً لهذه العلة ؛ فقبلوا ذلك منه وأتبعوه عليه ... ثم إنه لما أسقط ذلك من الأذان والإقامة أثبت في الأذان : « الصلاة خيرٌ من النوم » مرتين ولم يكن هذا على عهد رسول الله ﷺ

الثالث: الإخفات في ذكر البسملة حتى في الصلوات الجهرية ، في حين أن السنة النبوية والعلوية كانت الجهر بالبسملة في تمام الصلوات ، حتى في الصلاة الإخفائية . قال الفخر الرازي في تفسيره :

وأما أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالبسملة فقد ثبت بالنواتر ، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد امتدى ؛ والدليل عليه قوله عليه السلام : « اللهم أدر الحق مع عليّ حيث داره »^(٣).

وأخرج الشافعي في كتاب الأمّ من طريق عبيد بن رفاعه :

١ - أنظر غريب الحديث لابن قتيبة ١ : ١٨ . ٢ - الاستغاثة ١ : ٢٥ - ٢٦ .

٣ - التفسير الكبير ١ : ١١١ [٢٠٥/١] ، طبعة أخرى .

أن معاوية قدم المدينة فصلّى بهم فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ولم يكبر إذا خفض و إذا رفع ، فناداه المهاجرون حين سلّم والأنصار: أن يا معاوية سرقت صلاتك! أين بسم الله الرحمن الرحيم؟! وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت؟! فصلّى بهم صلاة أخرى ، فقال ذلك فيها الذي عابوا عليه .

الرابع: عدم قراءة سورة كاملة بعد الحمد ، والاكتفاء بقسم من سورة ، هذا في حين أنه بناءً على مذهب أهل البيت عليهم السلام يجب قراءة سورة كاملة . أمّا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فإنه كان يحبّ سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ؛ ولذا كان يكثر من قراءتها في الصلاة .

عن عمران بن الحصين ، أن النبي صلى الله عليه وآله بعث سرية واستعمل عليها عليّاً عليه السلام فلما رجعوا سألهم فقالوا: كل خير غير أنه قرأ بنا في كل الصلوات بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ . فقال : يا عليّ ! لم فعلت هذا . فقال : لحبيّ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما أحببتها حتى أحببك الله ^(١) .

الخامس: قراءة آيات السجدة في الصلاة ، والسجود في أثناء الصلاة .

في حين - وطبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام - أن مثل هذا العمل مبطل للصلاة . وهؤلاء - المخالفين - في كل مدّة يأتون في صلواتهم بآيات السجود الواجب ، متعمّدين في ذلك من أجل مخالفة الشيعة الإمامية في هذا الأمر ؛ فمن بين الصلوات الخمس التي تقام يومياً في المسجد الحرام ، والمسجد النبوي الشريف ، على الأقلّ في صلاة واحدة يقوم الإمام بقراءة شيء من سور العزائم ، وتحديد آية السجود الواجب .

السادس: التكفير (التكتّف) في الصلاة ؛ هذا العمل من بدع عمر بن الخطّاب ، وهو مبطل للصلاة ، وخلاف السنّة الثابتة الصحيحة . والطريف هنا هو أنه وبالرغم من أن هذا العمل - بمقتضى مسلك أهل السنّة - فيه نوع من الاحترام في مقابل الباري تعالى ، وهو مستحب ، إلّا أننا نجد إصراراً على فعله ، وقلّما نجد سنّيّاً لا يتكتّف في صلاته . وتصور أن إصراراً على أداء هذا الفعل ، ما العائد منه غير إظهار الخلاف لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ؟ ففي مصباح الفقيه ^(٢) :

١ - وسائل الشيعة ، طبع آل البيت ٦ : ٤٩ ، باب ٧ من أبواب القراءة في الصلاة ، ح ٤ .

٢ - مصباح الفقيه للهمداني ، طبع قديم ٢ : ٤٠٢ .

حكى عن عمر أنه لما جاء إليه بأسارى العجم كفّروا أمامه فسئل عن ذلك فأجابوه بأننا نستعمله خضوعاً وتواضعاً لملوكنا فاستحسن هو فعله مع الله تعالى في الصلاة.

السابع: قول آمين بعد انتهاء الإمام من سورة الحمد، والذي هو حسب مذهب أهل البيت ﷺ مبطل للصلاة. في حين أن أهل السنة يرون استحباب قول آمين، وهم يصرون على فعلها جهراً. والطريف في الأمر هنا: أنهم في صلاة الجماعة يجهرون وبصوت واحد يقولون: آمين. بعكس ما أشرنا إلى أن السنة في البسملة الجهر بها حتّى في الصلوات الإخفائية، لكنهم هنا يخفون الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم! فهم من أجل مخالفة أهل البيت ﷺ يجهرون بقول (آمين)، ويخفون بالبسملة حتّى في الصلوات الجهرية.

الثامن: ترك التكبير في الخفض والرفع؛ فإنّ أول من ترك هذه السنة الثابتة كان عثمان بن عفّان، وتبعه على ذلك معاوية وبنو أمية، واستمرت هذه البدعة حتّى إنّ السنة الثابتة ضاعت، وأصبحت في زاوية النسيان^(١). وفي الوقت الحاضر فإنّ حاملي الروح الأموية، وعلى خلاف سنة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ... هذه السنة الثابتة هم أيضاً قد تركوها وراء ظهورهم.

التاسع: الإخفات في ذكر الركوع والسجود والتشهد.

العاشر: ترك السجود على ما يصحّ السجود عليه.

الحادي عشر: ترك تسيّحات السيّدة الزهراء ﷺ، وباقي التعقيبات الواردة عن أهل البيت ﷺ.

وحقّاً يقال: «كلّ سنن رسول الله ﷺ قد غيرت حتّى الصلاة»؛ فقد أخرج الشافعي في كتاب الأم^(٢) من طريق وهب بن كيسان قال: رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة. ثمّ قال: كلّ سنن رسول الله ﷺ قد غيرت حتّى الصلاة.

١- أنظر ص ٣٣٢-٣٣٥، وص ٣٤٩-٣٥٢ من كتابنا هذا.

٢- كتاب الأم ١: ٢٠٨ [٢٣٥/١]، طبعة أخرى.

الإصرار على مخالفة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم :

نجد اليوم الكثير - وللأسف جهلاً وتجاهلاً - عن السنّة الصحيحة الثابتة لنا كبون، ولمجرّد خلاف شيعة أمير المؤمنين عليه السلام كلّ صغيرة وكبيرة هم فاعلون، وإحياءً لماسنّته يد الهوى تجاه الدين الحنيف يتراكمون، كما كان يفعل معاوية إحياءً لما أحدثه خليفة بيته الأموي تارةً كالإتمام في السفر^(١)، وخلافاً للإمام علي عليه السلام تارةً أخرى كما في ترك التلبية^(٢) وغيرها.

قال الشيخ محمّد بن عبد الرحمن الدمشقي في كتاب رحمة الأئمة في اختلاف الأئمة المطبوع بهامش الميزان للشعراني^(٣) :

السنّة في القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي. وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد : التسليم أولى؛ لأنّ التسطيح صار شعاراً للشيعة.

وقال الغزالي والماوردي :

إنّ تسطيح القبور هو المشروع، لكن لما جعلته الرافضة شعاراً لهم، عدلنا عنه إلى التسليم. وقال مصنّف الهداية من الحنفية :

إنّ المشروع التختّم في اليمين، ولكن لما اتّخذته الرافضة جعلناه في اليسار.

وأول من اتّخذ التختّم باليسار خلاف السنّة هو معاوية؛ كما في ربيع الأبرار للزمخشري^(٤).

وقال الحافظ العراقي في بيان كيفية إسدال طرف العمامة^(٥) :

فهل المشروع إدخاله من الجانب الأيسر كما هو المعتاد أو الأيمن لشرفه؟! لم أر ما يدلّ على تعيين الأيمن إلّا في حديث ضعيف عند الطبراني. وبتقدير ثبوته فلعله كان يرخيها من الجانب الأيمن ثمّ يردّها إلى الجانب الأيسر كما يفعله بعضهم، إلّا أنّه صار شعاراً للإمامية،

٢- أنظر ص ٣٥٢-٣٥٧ من كتابنا هذا.

١- أنظر ص ١٩٨-٢٠٦ من كتابنا هذا.

٣- رحمة الأئمة في اختلاف الأئمة، المطبوع بهامش الميزان للشعراني ١: ٨٨.

٥- شرح المواهب للزرقاني ٥: ١٣.

٤- ربيع الأبرار [١/٢٤].

فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم.

وقال ابن تيمية في منهاجه^(١) عند بيان التشبه بالروافض:

ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم؛ فإنه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم، فلا يتميز السني من الرافضي، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم، أعظم من مصلحة هذا المستحب.

ثم جعل هذا كالتشبه بالكفار في وجوب التجنب عن شعارهم!

وقال الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسيره روح البيان^(٢):

قال في عقد الدرر والآلئ^(٣): المستحب في ذلك اليوم - يعني يوم عاشوراء - فعل الخيرات من الصدقة والصوم والذكر وغيرهما. ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبه بيزيد الملعون في بعض الأفعال، وبالشيعية والروافض والخوارج أيضاً؛ يعني لا يجعل ذلك اليوم يوم عيد أو يوم ماتم؛ فمن اكتحل يوم عاشوراء فقد تشبه بيزيد الملعون وقومه، وإن كان للاكتحال في ذلك اليوم أصل صحيح؛ فإن ترك السنة سنة إذا كان شعاراً لأهل البدعة كالتختم باليمين؛ فإنه في الأصل سنة لكنه لما كان شعار أهل البدعة والظلمة، صارت السنة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا؛ كما في شرح القهستاني.

ومن قرأ يوم عاشوراء وأوائل المحرم مقتل الحسين عليه السلام، فقد تشبه بالروافض، خصوصاً إذا كان بالفاظ مخلة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين.

وفي كراهية القهستاني: لو أراد ذكر مقتل الحسين، ينبغي أن يذكر أولاً مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض.

وقال حجة الإسلام الغزالي: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم؛ فإنه يهيج بغض الصحابة والظعن فيهم، وهم

١- منهاج السنة ٢: ١٤٣ [١٤٧/٢].

٢- روح البيان ٤: ١٤٢.

٣- في فضل الشهور والأيام والليالي، للشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الحموي الشهير بالرسام.

أعلام الدين ، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة ، ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد ، لا لطلب الرئاسة والدنيا كما لا يخفى .

إن إصرار أهل السنة على مخالفة أمير المؤمنين وأهل بيته عليه السلام وشيعته ، في الوقت الذي كان النبي الأكرم ﷺ يصرّ ويؤكد بشدة على اتباع أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام منذ بداية البعثة وأثنائها ، وحتى اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة ، ويحثّ الناس على محبتهم وولايتهم والاقتراء بهم ، وأن الله تبارك وتعالى جعل في كتابه الكريم أجر الرسالة في مودة قربي النبي ، فهل أن مودة أهل البيت تجتمع مع مخالفتهم في مقام العمل؟! أليس من المضحك أن أدعي محبة أهل البيت ، ولا أكتفي بأخذ أصول ديني وفروعه من المخالفين لهم ، بل أصرّ على مخالفة سيرتهم العملية فضلاً عن نبذ أحاديثهم ورواياتهم؟!

إن أحد المصاديق العلنية في مخالفة أهل السنة مع شيعة أهل البيت عليهم السلام ، هو أن أهل السنة وعلى خلاف الشيعة الذين يحيون ويطعمون مراسم العزاء أيام مصيبة وحزن أهل البيت كأيام المحرم و صفر وأيام شهادة الأئمة عليهم السلام ، ومراسم الاحتفال بأفراح مسرات أهل البيت كأيام ولاداتهم وعيد الغدير وأمثالها ، يخالفون بشدة إقامة مثل هذه المراسم ، بل لا يذكرون لهم اسماً . وهذه من أكبر الجنايات على المسلمين ، حيث يحذف ذكر اسم أهل البيت من على منابرهم ، ويذكر بدلاً عنها اسم أبناء أمية ، وأعداء أهل البيت ... فهل هذا هو جواب دعوة النبي ﷺ بمودة ومحبة واتباع أهل بيته عليهم السلام؟!

ثالثاً - النبي الأعظم ﷺ في كلمات المخالفين

رفعوا الصحابة فحطوا من قدر الرسول ﷺ!

إن الابتعاد عن أهل البيت عليهم السلام يؤدي إلى تغيير نظرة الإنسان إلى النبي ﷺ ، فأين من توصيف النبي على لسان أمير المؤمنين والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام ، من توصيفه بلسان صحيح مسلم أو صحيح البخاري أو ...؟! فانظر إلى كلمات التنقيص والإهانة التالية: ١ - إن رواية السوء نسجوا عن إسلام أبي بكر وأبويه الروايات ، وتحدّثوا عن آيات نازلة

في شأنهم من جانب ، ومن جانب آخر صوّروا النبيّ ابناً لأبوين كافرين ؛ قال في الأحكام^(١) :

قد غاب عنهم - يعني الشيعة - أن سيّد الأنبياء هو ولد كافر وكافراً!!

وقال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبي والمرتضى - صلى الله

عليهما وآلهما :

أما تشبيه الأبوين في الحكم والتسمية ، فإن النبيّ في كثرة ما أنعم الله تعالى عليه ووفور

إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه . وعلى هذا جمهور المسلمين^(٢) إلا شُرذمة قليلون

لا يلتفت إليهم . فكذلك المرتضى فيما أكرمه الله به من الأخلاق والخصال وفنون النعم

والأفعال لم يرزقه إسلام أبويه .

٢ - إن رواية السوء راحوا إلى جرثومة الموبقات والمخازي معاوية فعرفوه على أنه أمين

الوحي إلى جانب النبيّ الأكرم ، وجبرئيل ، و... وهذا من أكبر الطعن في النبيّ الأقدس ﷺ ،

والحطّ من قدره ؛ وذلك لأنّ أفعال وأقوال هذا الشخص تتناقض مع سيرة رسول الله ، ولما

نعلمه من البون الشاسع بين مرتبة النبوة التي يعتقد بها المسلمون ومتبوعاً هذا المقعي على

أنقاض مستوي الخلافة ؛ فتسائل القوم عن الذي أوجب له هذا المقام الشامخ : أهو أصله

الزاكي ، تلك الشجرة الملعونة في القرآن ولسان نبيّه؟!

أم فرعه الغاشم الظلوم؟!

أم دؤوبه على الكفر إلى ما قبل وفاة النبيّ ﷺ بأشهر قلائل؟!

أم محاربته خليفة وقته المفترضة طاعته عليه ، وقد بايعه أهل الحلّ والعقد ورضى به

المسلمون ، فشهّر السيف أمامه ، وأراق الدماء المحرّمة؟!

أم بوائقه أيام استحواذه على الملك ، من قتل الأبرياء الأخيار كحجر بن عدي

وأصحابه ، وقتل عمرو بن الحمق الخزاعي ، ومحمّد بن أبي بكر ، ومالك بن الحارث الأشتر ،

١ - الأحكام في أصول الأحكام ٥ : ١٧٥ [٥/١٦٠ ، طبعة أخرى] .

٢ - أفك الرجل على جمهور المسلمين ؛ فإنّ الإماميّة والزيدية على بكرة أبيهم ومن حذا حذوهم من محقّقي أهل

السنة ذهبوا إلى إسلام والدي النبيّ الأقدس ، ومن شدّ عنهم فلا يؤبه به ولا يلتفت إليه .

إلى كثيرين من أمثالهم، ومن قنوته بلعن أمير المؤمنين والحسن والحسين ولمة من صفوة المؤمنين، وحمله سماسرة الأهواء على الوقعة في أهل بيت النبوة، وافتعال رواة الجرح فيهم، وخلق أحاديث الثناء في الأمويين، واستلحاقه زياداً مراغماً للحديث الثابت عند الأمة جمعاء: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وأخذ البيعة ليزيد، ذلك الماكن الخائن السكير، وتسليطه على الأعراض والدماء، وإدمانه على هذه المخاريق وأمثالها، التي سوّدت صحيفة التاريخ؟!

٣ - تغيّر وجهه ﷺ ممّا قدّره المولى سبحانه^(١)!

٤ - الشيطان يخاف من عمر، وما يخاف رسول الله ﷺ! فعلى أساس رواية موضوعة، فإن النبي ﷺ يروقه النظر إلى الراقصات، والاستماع لأهازيجهن، وشهود المعازف. ولا يقنعه ذلك كلّ حتّى يطلع حليلته عائشة، والناس ينظرون إليهما من كذب، وهو يقول لها: شبعت؟ شبعت؟ وهي تقول: لا، لعرفان منزلتها عنده! ولا تزعه أبهة النبوة عن أن يقف مع الصبيان للتطّلع على مشاهد اللهو، شأن الذنابي والأوباش وأهل الخلاعة والنجس، وقد جاءت شريعته المقدّسة بتحريم كلّ ذلك بالكتاب والسنة الشريفة.

٥ - حطّ من مقام الرسالة لأجل أموي ساقط؛ قال ابن حجر في الصواعق: «لعنته ﷺ للحكم وابنه لا تضرّهما؛ لأنه ﷺ تدارك ذلك بقوله ممّا بيّنه في الحديث الآخر: إنه بشر يغضب كما يغضب البشر...»!

٦ - رواية البخاري ومسلم تعرّيه بين الناس! إنّ مختلق هذه الأفئكة أعشاء الحبّ المعمي والمصمّ، حيث أراد إثبات فضيلة رابية للخليفة ذاهلاً أو متذاهلاً عن أن لازم ذلك سلب تلك الفضيلة عن نبيّ الإسلام ﷺ - والعياذ بالله - حيث نسب إليه ﷺ الكشف عن أفخاذه بمنتدئ من صحابته، غير مكترث لحضورهم، حتّى إذا جاء الذي تستحي منه الملائكة، فاستحي منه وسترها.

٧ - قال الحجاج: إن خليفة المرء خير من رسوله!

- ٨ - قال القسطلاني: «كان له ﷺ أن يقتل بعد الأمان، وأن يلعن من شاء بغير سبب، وجعل الله شتمه ولعنه قرينة للمشتوم والملعون لدعائه ﷺ»!
- ٩ - أبو حنيفة أعلم من رسول الله!
- ١٠ - أبو بكر شيخ يعرف والنبي ﷺ شاب لا يعرف!
- ١١ - رسول الله يؤخر البيان عن وقت الحاجة!
- ١٢ - الأمة شريكة لنبيها في كل ما كان له^(١)!

رابعاً - مظلومية النبي الأعظم ﷺ

إنّ مظلومية النبي الأقدس ﷺ في حال حياته هي وحدها كافية؛ فكثير من المنافقين كانوا يحيطون به، والذين كانت تدور في أفكارهم مخططات عديدة لمستقبل الأمة الإسلامية، ومع علم النبي بهذا الأمر، لكنّه ولأجل حفظ أصل الإسلام فقد لاذ إزاءهم بالصمت، كما أنّ بعض مصاهراته كانت لهذا الغرض أيضاً. لقد عاشت معه في بيته أمثال عائشة، مع علمه بسرعة انقلابها على أمير المؤمنين عليّ ﷺ، ودخولها الحرب معه، واشعالها نار فتنة الجمل الأدب. وكان العنترات من المنافقين كأبي سفيان، وطلحة، والزبير، و... وتحلقون به، وقد سكت ﷺ عن الإفصاح عن مستقبل هؤلاء، وما يضمرونه من روح خبيثة، كلّ ذلك من أجل حفظ الكيان الإسلامي...

لقد كان النبي في صحبة أشخاص سرعان ما راحوا إلى ابنته وعزیزته الزهراء سلام الله عليها فتسبّبوا في شهادتها في أسوأ حال، فأحرقوا عليها باب دارها، وأسقطوا جنينها محسن بن علي.. أشخاص جعلوا أمير المؤمنين عليّ ﷺ مدّة خمسة وعشرين عاماً جليس داره.. وحديث الغدير ومئات الوصايا والأحاديث الآخر في محبة وولاية وإمامة عليّ ﷺ جعلوها تحت أقدامهم... أشخاص في الظاهر هم مسلمون، لكنّهم مع خليفة النبي ووصيّيه قد اشعلوا حروب الجمل، وصفين، والنهر وان... مسلمون لكنّهم بنصّ النبي الأقدس ناكثون،

١ - أنظر في جميع ذلك ما يأتي في ص ٤٣ - ١٠٩ من كتابنا هذا.

وقاسطون، ومارقون... أشخاص عمدوا إلى فلذة كبد النبي وريحانة الرسول وسبطه الأكبر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام فسقوه السمّ النقيع فاستشهد مظلوماً، ثم يدعون أنهم مسلمون!! أشخاص سمّوا أنفسهم مسلمين وصحابة النبي، ثم راحوا إلى فلذة كبد الرسول الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه وأصحابه في صحراء عطاشى وأكبادهم حرى، فأعملوا فيهم القتل الذريع بأبشع صورة، ففصلوا الرؤوس عن الأبدان، وحملوا الرؤوس على الرماح من بلد إلى بلد، وهم فخورون بما صنعوا، وساقوا أهل بيت النبي أسارى... إلى عشرات الجنايات الأخر.

هذه هي مظلومية النبي في حال حياته. وبعد رحلته عليه السلام أيضاً فإنّ مصداق مظلوميته هم الأشخاص الذين تسلّطوا على البلدان الإسلامية، وراحوا يحكمونها ويتحكّمون بها، وقد انسربت إلى أبدانهم ووجودهم الروح الأموية؛ فهم في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف ومن على المنابر وفي خطب الصلاة يروون ويذكرون أحاديث وحكايات عن أمثال معاوية بدلاً عن أمير المؤمنين وأهل بيت النبي عليه السلام. عادوا يذكرون بني أمية تلك الشجرة الملعونة الخبيثة التي طالما حذر النبي الأكرم عليه السلام الناس منها.

خامساً - حول مجموعة كتب «سلسلة الغدير الموضوعية»

١ - بعد أن قمنا بتلخيص كتاب الغدير، اقترح علينا أحد مراجع التقليد، بعد اطلاعه على التلخيص، أن نعد إلى مطالب هذا الكتاب القيم ونصنفها إلى مواضيع، ثم نجمع في كلّ موضوع شتات ما تفرّق من أبحاث، ونؤلف منها كتيبات صغيرة الحجم، سهلة الحمل، ميسورة المطالعة..

وبعد الرجوع إلى التلخيص ومطالعتة والتأمل فيه استطعت أن أقف على (٢٧) سبعة وعشرين موضوعاً، تمّ تفكيك محتوياتها وإدراجها كلّ تحت موضوعه، وصار الموضوع اسماً للكتاب، فيما نظمت حلقات السلسلة وجعلت لها عنوان (سلسلة الغدير الموضوعية)؛ وإليك فيما يلي تلك الحلقات حسب نظمها:

- ١ - محمد النبي الأعظم ﷺ
- ٢ - القرآن
- ٣ - أهل البيت ﷺ
- ٤ - عليّ في القرآن
- ٥ - عليّ في السنّة
- ٦ - عليّ على لسان المخالفين
- ٧ - عليّ سيّد المظلومين
- ٨ - الصديقة الطاهرة ﷺ
- ٩ - الإمام الحسن ﷺ
- ١٠ - الإمام الحسين ﷺ
- ١١ - أبو طالب ﷺ
- ١٢ - أصحاب أمير المؤمنين
- ١٣ - أعداء أمير المؤمنين
- ١٤ - بنو أميّة
- ١٥ - معاوية بن أبي سفيان
- ١٦ - عمرو بن العاص
- ١٧ - أصحاب الجمل
- ١٨ - يزيد بن معاوية
- ١٩ - الأئمّة الأربعة
- ٢٠ - الغدير في الإسلام
- ٢١ - الكتب المزوّرة
- ٢٢ - شيعة عليّ ﷺ
- ٢٣ - الغلوّ
- ٢٤ - الخلافة والإمامة
- ٢٥ - الاجتهاد
- ٢٦ - الشعر والشعراء
- ٢٧ - السرقات الحديثيّة

إنّ أكثر هذه الموضوعات ليس لها هذه العناوين والمسمّيات في كتاب الغدير، لكنني من خلال بحثي ومطالعتي للتلخيص واستقرائي للأبحاث استطعتُ اصطياد هذه اللّمة من الموضوعات، وسلكت فيها ما تناثر في غصون التلخيص وتفرّق، ثمّ جرى تنظيم وتنسيق تلك المطالب والأبحاث، فجاءت هذه السلسلة باللغة العربيّة بناءً على أصل الكتاب، وهي جاهزة للنشر تبعاً إن شاء الله. ثمّ سوف يصار إلى ترجمتها إلى اللغتين الفارسيّة والأوردويّة وسائر اللغات بحول الله وقوّته.

٢ - اعتمدتُ في هذه المجموعة على الطبعة المحقّقة في مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة بإشراف آية الله السيّد محمود الهاشمي الشاهروديّ دام عزّه.

٣ - نقلتُ كلّ ما ورد في متن الكتاب من المصادر إلى الحاشية وجعلتُ جميع

التحقيقات التي كانت لغير المؤلف بين المعقوفين .

٤ - أرجعت بعض النصوص إلى مصادرها، والتي لم تكن قد استُخرجت في الطبعة المحققة .

٥ - أرجعت جميع الموارد التي ذكرها المصنّف بعبارة (مرّ) أو (سيأتي) وأشارت إلى مواضعها .

٦ - عناوين الأبحاث ورؤوس المطالب كتبت بحرف كبير ومتميّز؛ ليسهل على القاري حينئذٍ الوصول إليها بسهولة ويُسّر .

٧ - عمدتُ إلى وضع عناوين المباحث في أعلى الصفحة من الكتاب بشكل منظم ودقيق .

٨ - عملتُ فهرساً في حدود الثمانين صفحة، رُتبتُ فيه عناوين الكتاب وكثير من المباحث الدقيقة التي في تضاعيف السطور؛ لتسهيل أمر الوصول إلى المبحث المطلوب بسرعة ويسر . وهذا النوع من فهرس المطالب والأبحاث بهذا الحجم ليس له نظير في أمثال هذه الكتب .

ختاماً، إنَّ هدفي الأساسي من تنظيم هذه الدورة في هذه المجموعة من الكتيّبات هو أن ينتشر كتاب الغدير القيم فيما بين الناس، وبخاصّة بين الشباب، وأن تكون مطالبه وأبحاثه المهمّة جدّاً في متناول اليد بسهولة ويسر، وأن يحقق أكبر فائدة على صعيد الثقافة الإسلاميّة .

وأملّي معقود على المؤسسات والهيئات والنظمات، وخاصّة التربية والتعليم، ومسؤولي الجامعات والمدارس العلميّة أن يجعلوا هذه السلسلة المجموعة من الكتب في مناسباتهم المختلفة في متناول يد الطليعة الشابة للاستفادة من مطالعتها . كما يمكن الاستفادة من أبحاث وموضوعات هذه الحلقات في البرامج المختلفة والمهرجانات والاحتفالات الدينيّة في إجراء المسابقات بين الشباب، حتّى يمكن من خلالها تشويق الشبيبة وتوفير الفرص لهم لمطالعتها والتعرّف والوقوف على مناقب أهل البيت (عليهم السلام) ،

ومطاعن مخالفهم وجنایاتهم التي ارتكبوها بحق الإسلام والمسلمين، والتعرّف على الإسلام الحقيقي، وتشخيص الطريق الصحيح من غير الصحيح.

وآمل أن يتم إصدار هذه المجموعة كاملة وباللغات المختلفة التي أشرت إليها، بحلول عيد الغدير لهذا العام إن شاء الله. وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من الناشرين لمعارف أهل البيت عليهم السلام، والمحيين للإسلام الحقيقي الأصيل... إسلام نهج البلاغة، والصحيفة السجادية... إسلام علي وفاطمة والحسن والحسين والإمامين الباقر والصادق عليهم السلام، لا إسلام بني أمية وأمثال أبي حنيفة.

وفي الختام: نسأل الله الإخلاص، فإنه الأصل والأساس،
والله الموفق للسداد والصواب، وإليه المرجع والمآب.
الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية علي بن أبي طالب.

عُش آل محمد قم المقلّسة - مؤسسة ميراث النبوة

محمد حسن الشفيعي الشاهرودي

١ رمضان ١٤٢٧ هـ، الموافق ١٣٨٥/٧/٣

محمّد النبيّ الأعظم ﷺ

شفيعُ إسماعيلَ في الآخِرَه محمّدُ والعترَةُ الطاهره^(١)

الف : فضله ﷺ

١ - «لولا محمّد ما خلقتُ الجنّة والنار».

قال القاضي نظام الدين، المتوفى (٦٧٨):

من لا يواليكم في الله لم ير من	قيح اللظى وعذابِ القبر تسكيناً
لأجل جدّكم الأفلاكُ قد خُلقت	لولاه ما اقتضت الأقدار تكويناً
من ذا كمثل عليٍّ في ولايته	ما مبغضيه أرى إلاّ مجانيناً
مهما تمسّك بالأخبار طائفة	فقلوه وإلّا من والاه يكفيناً
يوم الغدير جرى الوادي فطمّ على	قويّ قومٍ هم كانوا المعاديناً
شبله ريحاننا روض الجنان فقل	في طيب أرضٍ نمت تلك الرياحيناً

ما يتبع الشعر:

تناهز القصيدة (٤٢) بيتاً، ذكره القاضي المرعشي في مجالس المؤمنين^(٢).

١ - كان للصاحب خاتمان؛ نقش أحدهما هذه الكلمات:

وبالله خمس توشّك

على الله توكّلت

ونقش الآخر:

محمّدُ والعترَةُ الطاهره

شفيعُ إسماعيلَ في الآخِرَه

ذكره الشيخ في المجالس؛ مجالس المؤمنين [٤٤٩/٢]. وأشار إليه شيخنا الصدوق في أوّل عيون الأخبار؛ عيون

٢ - مجالس المؤمنين: ٢٢٦ [٥٤٣/١].

الأخبار الرضا [١٦/١].

وبقوله :

لأجل جدّكم الأفلاك قد خلقت لولاه ما اقتضت الأقدارُ تكويننا
أشار إلى ما أخرجه الحاكم وصحّحه في المستدرک^(١) عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال :
«أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى ! آمِن بِمُحَمَّدٍ وَأْمُرْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْ أُمَّتِكَ أَنْ يُؤْمِنُوا
به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش
على الماء فاضطرب فكتب عليه : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فسكن» .

وأخرج الحاكم^(٢) بعده حديثاً وصحّحه ، وفيه نحو دلالة على ما نرتثيه ولفظه :
قال رسول الله ﷺ : «لما اقترَف آدم الخطيئة قال : يارب ! أسألك بحق محمد لما
غفرت لي . فقال الله : يا آدم ، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يارب ! لأنك لما
خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً :
لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فعلمتُ أنّك لم تضيف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك . فقال
الله : صدقت يا آدم ! إنّه لأحبّ الخلق إليّ ، ادعني بحقه فقد غفرتُ لك ، ولولا محمد ما
خلقتك» .

وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة^(٣) وهو الكتاب الذي قال فيه الذهبي : «عليك به
فكله هديّ ونور» .

كتبنا هذا المختصر لا يقف القارئ على بطلان ما لابن تيمية ومن غزل غزله أمثال
القصيمي من جلبية ولغط ، حتّى يكون على بصيرة من فضل النبي الأقدس ﷺ .

٢ - قال العبد الكوفي :

محمدٌ وصنوه وابنته وابناه خيرٌ من تحفٍ واحتذى

١ - المستدرک على الصحيحين ٢ : ٦١٥ [٦٧٢/٢] ح [٤٢٢٧] .

٢ - المستدرک على الصحيحين [٦٧٢/٢] ح [٤٢٢٨] .

٣ - دلائل النبوة [٤٨٩/٥] .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم مينة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سُجّداً وركعاً. قال آدم: هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم! قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟

قال: هؤلاء خمسة من وُلدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شَقَّقت لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقت الجنة والنار، ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزّي أن لا يأتيني أحدٌ بمثقال ذرة من خردل من بُغض أحدهم إلّا أدخله ناري ولا أبالي. يا آدم! هؤلاء صفوتي بهم أنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كان لك إلّي حاجة فبهؤلاء توّسل.

فقال النبي ﷺ: نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا، ومن حادّ عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة، فليسأل بنا أهل البيت.

أخرجه شيخ الإسلام الحمّوي في الباب الأوّل من فرائد السمطين^(١).

٣- قال العبد الكوفي:

ولا يتمُّ لامرئٍ صلاته إلّا بذكرهم ولا يزكو الدعا
أشار إلى كون الصلاة عليهم مأموراً بها في الصلاة. وفي المقام أخبار كثيرة وكلمات
ضافية توجد في طيّات كتب الفقه والتفسير والحديث.
ذكر ابن حجر في الصواعق^(٢) قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا

٢- الصواعق المحرقة: ٨٧ [ص ١٤٦].

١- فرائد السمطين [١/٣٦، ح ١].

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا»^(١)، وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها، وأنَّ النبي ﷺ قرن الصلاة على آلِه بالصلاة عليه لما سُئِلَ عن كيفية الصلاة والسلام عليه. ثمَّ قال:

وهذا دليل ظاهر على أنَّ الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آلِه مراد من هذه الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآلِه عقب نزولها ولم يُجابوا بما ذكر.

ويُروى: «لا تُصَلُّوا عليَّ الصلاة البتراء». فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: «تقولون اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَنُوسِكُون»، بل قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ».

وقال النيسابوري في تفسيره^(٢) عند قوله تعالى: «قُلْ لَا أَشْكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»: في القُرْبَى:

كفى شرفاً لآلِ رسول الله ﷺ وفخراً ختمَ التشهد بذكرهم والصلاة عليهم في كلِّ صلاة.

وروى محبُّ الدين الطبري في الذخائر^(٣) عن جابر رضي الله عنه أنه كان يقول: «لو صَلَّيتُ صلاةً لم أُصلِّ فيها على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ ما رأيتُ أنها تُقبل».

٤- جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «مكتوب على باب الجنة: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ، عليٌّ أخو رسولِ اللهِ، قبل أن تخلق السماوات والأرض بألني عام».

مناقب أحمد؛ تاريخ الخطيب؛ الرياض النضرة؛ تذكرة السبط؛ مناقب الخوارزمي؛

٢- غرائب القرآن: [ج ١١، ج ٣٥/٢٥].

١- الأحزاب: ٥٦.

٣- الذخائر: ١٩.

كنز العمال عن ابن عساكر^(١).

٥ - قال رسول الله ﷺ في حديث: «اشتقَّ الله تعالى لنا من أسمائه أسماء: فالله عزَّ وجلَّ محمودٌ وأنا محمد، والله الأعلى وأخي عليٌّ».

أخرجه شيخ الإسلام الحموي في فرائده في الباب الثاني^(٢) من طريق أبي نعيم والنطنزي.

٦ - روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعليٍّ: «يا أبا الحسن كلَّم الشمس فإنها تكلمك». قال عليٌّ عليه السلام: «السلام عليك أيها العبد المطيع لله ورسوله».

فقالت الشمس: وعليك السلام يا أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجلين، يا عليُّ أنت وشيعتك في الجنة، يا عليُّ أول من تنشقُّ عنه الأرض محمدٌ ثم أنت، وأول من يُحيا محمدٌ ثم أنت، وأول من يُكسى محمدٌ ثم أنت.

فسجد عليٌّ عليه السلام لله تعالى وعيناه تذرفان بالدموع، فانكبَّ عليه النبيُّ فقال: «يا أخي وحببي إرفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات».

أخرجه شيخ الإسلام الحموي في فرائد السمطين^(٣)؛ والخوارزمي في المناقب^(٤)؛ والقندوزي في الينابيع^(٥).

٧ - المعراج:

١ - عن النبيِّ ﷺ قال: «قال لي ربِّي عزَّ وجلَّ ليلة أُسري بي: من خلَّفَ على أُمِّتك يا محمد؟ قال: قلتُ: يا ربَّ أنت أعلم».

١ - مناقب عليٍّ لأحمد بن حنبل [ص ١٨٢، ح ٢٥٤]؛ الرياض النضرة ٢: ١٦٨ [١١٢/٣]؛ تذكرة الخواص: ١٤

[ص ٢٢]؛ المناقب: ٨٧ [١٤٤، ح ١٦٨]؛ كنز العمال ٦: ٣٩٩ [١١/٦٢٤، ح ٤٤٠٤٣]؛ تاريخ مدينة دمشق

٢ - فرائد السمطين [٤١/١، ح ٥]. [١٣٩/١٢]

٣ - فرائد السمطين [١٨٥/١، ح ١٤٧]. ٤ - المناقب: ٦٨ [١١٣، ح ١٢٣].

٥ - ينابيع المودة: ١٤٠ [١/١٤٠، باب ٤٩].

قال: يا محمد انتجبتك^(١) برسالتني، واصطفيتك لنفسي، وأنت نبِّي وخيرتي من خلقي، ثمَّ الصديقُّ الأكبر الطاهر المطهر الذي خلقته من طينتك وجعلته وزيرك وأبا سبطيك السيِّدين الشهيدين الطاهرين المطهرين سيِّدي شباب أهل الجنة وزوجته خير نساء العالمين. أنت شجرةٌ وعليُّ أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها، خلقتُها من طينة عليٍّ وخلقْتُ شيعتكم منكم، إنَّهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف ما ازدادوا لكم إلَّا حبًّا. قلت: يا ربِّ ومن الصديقُّ الأكبر؟

قال أخوك عليُّ بن أبي طالب». أخرجه القرشي في شمس الأخبار^(٢).

٢- للعبد الكوفي في مدح أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - :

صوَّرَ اللهُ لأَمَلِكِ العُلى مِثْلَهُ أعْظَمَهُ في الشرف
وهي ما بين مُطِيفٍ زائرٍ ومُقيمٍ حَوْلَهُ مُعْتَكِفٍ
هكذا شاهدُهُ المبعوثُ في ليلةِ المعراجِ فوق الرِّقْرِفِ^(٣)

في هذه الآيات إشارةٌ إلى حديث الحافظ المتقن الكبير الثقة يزيد بن هارون، عن حميد الطويل الثقة، عن أنس بن مالك، قال :

قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أُسْرِي بي إلى السماء، فإذا أنا بملكٍ جالسٍ على منبرٍ من نورٍ والملائكة تُحْدِقُ به. فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟ قال: أدنُ منه وسلِّم عليه. فدنوتُ منه وسلِّمتُ عليه، فإذا أنا بأخي وابن عمِّي عليٍّ بن أبي طالب. فقلت: يا جبرئيل سبقني عليٌّ إلى السماء الرابعة؟ فقال لي: يا محمد لا، ولكنَّ الملائكة شَكَّتْ حُبَّها لعلِّي، فخلق الله تعالى هذا الملك من نورٍ عليٍّ صورة عليٍّ، فالملائكة تزوره في كلِّ ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرَّة، يسبِّحون الله ويقدِّسونه ويُهدون ثوابه لمُحِبِّ عليٍّ».

٢- مستند شمس الأخبار: ٣٣ [١/٨٩].

١- [في المصدر: إنني اجتيتك].

٢- أعيان الشيعة [٧/٢٧١].

أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية^(١) وقال:

هذا حديث حسن عال لم نكتبه إلا من هذا الوجه.

٨ - شفاعته ﷺ:

إن رسول الله ﷺ أناط شفاعته لأبي طالب عند وفاته بالشهادة بكلمة الإخلاص بقوله ﷺ: «يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة»^(٢)، كما أنه ﷺ أناطها بها في مطلق الشفاعة، وجاء ذلك في أخبار كثيرة جمع جملة منها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب^(٣).

منها: عن أبي ذرّ الغفاري مرفوعاً في حديث: «أعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمّتي من لا يشرك بالله شيئاً».

ومنها: عن أنس في حديث: «أوحى الله إلى جبريل ﷺ أن اذهب إلى محمد فقل له: ارفع رأسك سل تعط واشفع تُشفع أدخل من أمّتك من خلق الله من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك».

فقال المنذري^(٤): «رواه أحمد^(٥) ورواته محتجّ بهم في الصحيح».

فالمنفي في صورة انتفاء الشهادة جنس الشفاعة بمعنى عدمها كلية لعدم أهلية الكافر لها حتى في بعض مراتب العذاب؛ فالشفاعة للتخفيف في العذاب من مراتبها المنفية، كما أنّها نفيت كذلك في كتاب الله العزيز بقوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى

١ - كفاية الطالب: ٥١ [١٣٢، باب ٢٦].

٢ - مستدرک الحاكم ٢: ٣٣٦ [٣٦٦/٢، ح ٣٢٩١، وكذا في تلخيصه] صحّحه هو والذهبي في التلخيص، كنز

المآل ٧: ١٢٨ [٢٧/١٤، ح ٣٧٨٧٤].

٣ - الترغيب والترهيب ٤: ١٥٠ - ١٥٨ [٤٣٢/٤ - ٤٣٧، ح ٩١ و ٩٢ و ٩٤ و ٩٦ و ٩٨].

٥ - مسند أحمد [٥٦١/٢، ح ١١٧٤٣].

٤ - الترغيب والترهيب [٤٣٦/٤، ح ٩٦].

عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ^(١).

وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾^(٢).

وأنظر أيضاً: غافر، ١٨ و ٤٩ - ٥٠؛ البقرة، ٨٦؛ الأنعام، ٧٠؛ المدثر، ٣٨ - ٤٨؛ مريم،

٨٦-٨٧.

٩- شانيء رسول الله ﷺ هو الأبتَر:

عمرو بن العاص: أبوء هو الأبتَر بنصّ الذكر الحميد: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٣).

وعليه أكثر أقوال المفسّرين والعلماء^(٤).

وفي بعض التفاسير، وإن جاء ترديد بينه وبين أبي جهل وأبي لهب وعقبة بن أبي

معيط وغيرهم، إلّا أنّ القول الفصل ما ذكره الفخر الرازي من: أن كلّاً من أولئك كانوا

يَشْتَوُونَ رسول الله ﷺ، إلّا أنّ ألهمهم به، وأشدّهم شنةً العاص بن وائل؛ فالآية

تشملهم أجمع، وتخصّ اللعين بخزي آكد؛ ولذلك اشتهر بين المفسّرين أنّه هو المراد.

وروى التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي في كتابه:

أنّ الآية نزلت في المترجم نفسه، كان أحد شاني رسول الله ﷺ لما مات ولده

إبراهيم؛ فقال إنّ محمداً قد صار أبتراً لا عقب له^(٥).

٢- النحل: ٨٥.

١- فاطر: ٣٦.

٣- الكوثر: ٣.

٤- راجع الطبقات لابن سعد ١: ١١٥ [١٣٣/١]؛ والمعارف لابن قتيبة: ١٢٤ [ص ٢٨٥]؛ وتاريخ ابن عساكر

٧/ ٢٣٠ [١٣/ ٤٩٣]؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٢٣٢.

٥- كتاب سليم بن قيس [٢/ ٧٣٧، ح ٢٢].

ب : زواجه ﷺ

عن شِبابَة عن فرات بن السائب قال : قلت لميمون بن مهران : أبو بكر الصديق أول إيماناً بالنبي ﷺ أم علي بن أبي طالب ؟ قال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا الراهب ، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه ، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب .

وقال الإمام النووي : « كان أبو بكر أسبق الناس إسلاماً ، أسلم وهو ابن عشرين سنة . وقيل : خمس عشر سنة »^(١) .

قال الأميني : هلمّ معي تنظر إلى هذه المراسيل هل توجد فيها مسحة من الصدق ؟
أما رواية ابن مهران سنداً :

- ١ - فتشابة بن سوار^(٢) أبو عمرو المدائني : يظهر ممّا رواه أبو علي المدائني : أنّه كان يبغض أهل بيت النبي صلوات الله عليهم ، وضربه الله بالفالج لدعاء من دعا عليه بقوله :
اللّهم إن كان شِبابَة يبغض أهل نبيّك فاضربه الساعة بالفالج ، ففلج في يومه ومات^(٣) .
- ٢ - فرات بن السائب الجزري : قال البخاري : « منكر الحديث » . وقال النسائي :
« متروك الحديث »^(٤) .

١ - راجع البداية والنهاية ٩ : ٣١٩ [٣٤٨/٩] ، حوادث سنة ١٣ هـ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي [ص ٣٢] .

٢ - في ميزان الاعتدال : « سواد » [٢٦٠/٢] ، رقم ٣٦٥٣ ، وفي الطبعة التي بين أيدينا : « سوار » .

٣ - ميزان الاعتدال ١ : ٤٤٠ ، تهذيب التهذيب ٤ : ٣٠٢ [٢٦٤/٤] .

٤ - ميزان الاعتدال ٢ : ٣٢٥ [٣٤١/٣] ، رقم ٦٦٨٩ ، لسان الميزان ٤ : ٤٣٠ [٥٠٣/٤] ، رقم ٦٥٢٢ .

٣- ميمون بن مهران: قال العجلي: إنه كان يحمل على عليٍّ؛ كما في تهذيب ابن حجر^(١)؛ فاقيمته وقيمة حديثه بعد تحامله على عليٍّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه. ثم قد أتى ميمون في حديثه بأمرين: إسلام أبي بكر زمن بحيرا، واختلافه في زواج رسول الله ﷺ خديجة.

أما اختلافه بينه ﷺ وبين خديجة فلم ينبئ عنه قطّ خير. وليس من الجائز أن يكون الوسيط في قران رجل عظيم كمحمد وامرأة من بيت مجد وسودد ورئاسة كخديجة، شابّ حدث ابن اثنتين وعشرين سنة، وللزوج أعلام أشرف أعظم كالعبّاس وحمزة وأبي طالب وهو بينهم وفي بيتهم، وكان عمّه أبو طالب كما يأتي يحبه حباً شديداً لا يحبّ أولاده مثله، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرجه معه حين يخرج^(٢)، وكان هو الذي كلّم خديجة حتّى وكلّت رسول الله ﷺ بتجارتها^(٣).

والذي جاء في السير والتاريخ في أمر هذا القران أن خديجة بعثت إلى رسول الله ﷺ ورغبت في زواجه لقربته وأمانته وحسن خلقه وصدق حديثه، وعرضت نفسها عليه ﷺ. فذكر ذلك رسول الله ﷺ، لأعمامه فخرج معه عمّه حمزة - وفي لفظ ابن الأثير: خرج معه حمزة وأبو طالب وغيرهما من عمومته - حتّى دخل على خويلد بن أسد، أو على عمرو بن أسد عمّ خديجة فخطبها إليه فتزوّجها عليه وآله الصلاة والسلام وخطب أبو طالب ﷺ خطبة النكاح^(٤).

فأين مزعمة ابن مهران من هذا التاريخ الصحيح المتواتر؟!

١- تهذيب التهذيب ١٠: ٣٩١ [١٠/٣٤٩].

٢- [أنظر تفصيل الكلام عن أبي طالب ﷺ في تلخيص الغدير ٧٣٢-٧٥٦].

٣- كما في الإمتاع للمقريزي: ٨.

٤- راجع: الطبقات الكبرى ١: ١١٣ [١٣١/١]؛ تاريخ الأمم والملوك ٢: ١٢٧ [٢٨١/٢]؛ الكامل في التاريخ لابن

الأثير ٢: ١٥ [٤٧١/١].

وأما إسلام أبي بكر قبل ولادة عليٍّ أمير المؤمنين زمن بحيرا الراهب فإنه مأخوذ مما أخرجه ابن مندة^(١) من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن ابن عباس .
وهذه الرواية ضعفها غير واحد من الحفاظ؛ قال الذهبي في ميزان الاعتدال^(٢) :
«عبد الغني ضعفه ابن يونس» . وأقرَّ ضعفه ابن حجر في لسانه^(٣) . وقال في الإصابة^(٤) :
«أحد الضعفاء المتروكين» .

ولو كان أبو بكر أوَّل من أسلم فأين كان هو إلى منتهى سبع سنين من البعثة التي يقول رسول الله ﷺ فيها : «لقد صلَّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين ؛ لأنَّا كنَّا نصليَّ وليس معنا أحد يصليَّ غيرنا»^{(٥)؟}

وفي أوَّلية أمير المؤمنين في الإسلام أحاديث صحيحة عنه ﷺ وعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وورد ما يربو على ستين حديثاً من الصحابة والتابعين في أنَّ عليّاً أوَّل الناس إسلاماً وأوَّل من صلى وآمن من ذكر^(٦) .

وفي صحيحة الطبري^(٧) : أنَّ أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً . ولو كان أبو بكر أوَّل من أسلم وقد آمن به ﷺ قبل ولادة عليٍّ عليه السلام فأين كان هو يوم قال العباس لعبد الله بن مسعود : ما على وجه الأرض أحد يعبد الله بهذا الدين إلَّا هؤلاء الثلاثة : محمد وعليٍّ وخديجة؟!^(٨) .

١ - أبو عبد الله محمد بن إسحاق الأصبهاني الحافظ الرخال ، المتوفى ٢٥٥ .

٢ - ميزان الاعتدال ٢ : ٢٤٣ [٦٤٢/٢] ، رقم ٥٠٥١ .

٣ - لسان الميزان ٤ : ٤٥ [٥٣/٤] ، رقم ٥٢٣٦ .

٤ - الإصابة ١ : ١٧٧ .

٥ - راجع ص ٧٢٢ من كتابنا هذا .

٦ - [أنظر تلخيص الغدير / ٣٠٣ - ٣١٠] .

٧ - تاريخ الأمم والملوك [٣١٦/٢] .

٨ - تاريخ مدينة دمشق ١ : ٣١٨ [٢٦٦/٣] مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٦٨ .

ج: استحباب التسمية باسم النبي الأعظم ﷺ

إجتهاد عمر في الأسماء والكنى:

١ - عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب ابناً له تكنى أبا عيسى. وأن المغيرة بن شعبه تكنى بأبي عيسى فقال له عمر: أما يكفيك أن تكنى بأبي عبد الله؟ فقال: رسول الله ﷺ كئاني أبا عيسى. فقال: إن رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإننا في جلستنا^(١) فلم يزل يكتن بأبي عبد الله حتى هلك^(٢).

٢ - جاءت سرية لعبيد الله بن عمر إلى عمر تشكوه فقالت: يا أمير المؤمنين! ألا تعذرني من أبي عيسى؟ قال: ومن أبو عيسى؟ قالت: ابنك عبيد الله. قال: ويحك! وقد تكنى بأبي عيسى؟ ودعاه وقال: إيهما اكتنيت بأبي عيسى؟ فحذر وفزع فأخذ يده فعضها حتى صاح. ثم ضربه وقال: ويلك هل لعيسى أب؟ أما تدري ما كنى العرب؟ أبو سلمة، أبو حنظلة، أبو عرفة، أبو مرة^(٣).

٣ - كان عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة: لا تسمّوا أحداً باسم نبي، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم المسّمين بمحمد، حتى ذكر له جماعة من الصحابة أنه ﷺ أذن لهم في ذلك فتركهم^(٤).

٤ - سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً ينادي رجلاً: يا ذا القرنين. قال: أفرغتم من

١ - وفي لفظ أبي داود: «جَلَجَتْنَا». ٢ - سنن أبي داود ٢: ٣٠٩ [٤/٢٩١، ح ٤٩٦٣].

٣ - شرح نهج البلاغة ٣: ١٠٤ [١٢/٤٤، خطبة ٢٢٣].

٤ - عمدة القاري ٧: ١٤٣ [١٥/٣٩].

أسماء الأنبياء فارتفعت إلى أسماء الملائكة^{(١)؟!}

قال الأميني: تكشف هذه الروايات عن موارد من الجهل:

١ - نهى الخليفة عن التسمية باسم النبي الأعظم ﷺ، وأمره المسمّين به بتغيير أسمائهم؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «من ولد له ثلاثة أولاد فلم يسمّ أحدهم محمّداً فقد جهل»^(٢).

وقال ﷺ: «إذا سمّيت محمّداً فلا تضربوه ولا تحرموه»^(٣).

وقال ﷺ: «إن الله ليوقف العبد بين يديه يوم القيامة إسمه أحمد أو محمّد فيقول الله تعالى له: عدي أما استحييتني وأنت تعصيني واسمك إسم حبيبي محمّد؟ فينكّس العبد رأسه حياءً ويقول: أللّهم إني قد فعلت. فيقول الله عزّ وجلّ: يا جبريل خذ بيد عدي وأدخله الجنة فإنّي أستحي أن أعذب بالنار من اسمه اسم حبيبي»^(٤).

وقد سمّى رسول الله ﷺ غير واحد من ولدان عصره محمّداً.

على أنّ تحسين الأسماء ممّا رغبت فيه الشريعة المطهّرة و«محمّد» أحسنها. وخير الأسماء ما عبّد به ومُحَمَّد؛ فجاء عنه ﷺ قوله: «إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»^(٥).

وقال ﷺ: «من حقّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأن يحسّن أدبه»^(٦).

١ - حياة الحيوان ٢: ٢١ [٥٥٦/١]؛ فتح الباري ٦: ٢٩٥ [٣٨٣/٦].

٢ - أخرجه الطبري [في المعجم الكبير ١١/٥٩، ح ١١٠٧٧]؛ وابن عدي [في الكامل في ضعفاء الرجال ٦/٨٩، رقم ١٦١٧]؛ والسيوطي في الجامع الصغير، في حرف الميم [٢/٦٥٣، ح ٩٠٨٤].

٣ - مجمع الزوائد ٨: ٤٨؛ السيرة الحليّة ١: ٨٩ [٨٣/١].

٤ - المدخل لابن الحاج ١: ١٢٩.

٥ - سنن أبي داود ٢: ٣٠٧ [٤/٢٨٧، ح ٤٩٤٨]؛ سنن البيهقي ٩: ٣٠٦.

٦ - مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ٨: ٤٧.

٢ - نهيه عن التسمي بأسماء الأنبياء وهي أحسن الأسماء بعد تلکم الأسماء المشتقة من أسماء الله الحسنى من محمد وعليّ والحسن والحسين. وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «ما من أهل بيت فيه اسم نبيّ إلا بعث الله تبارك وتعالى إليهم ملكاً يقدرهم بالغداوة والعشي»^(١).

وقال ﷺ: «سمّوا بأسماء الأنبياء، وأحبّ الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة»^(٢).

٣ - تدمره من التكني بأبي عيسى مستدلاً بقوله: فهل لعيسى من أب؟ أكان الخليفة يحسب أن من يكنى به يرى نفسه أباً لعيسى بن مريم ويكنى به حتى يقال عليه: فهل لعيسى من أب؟

أو أنّه لم ير لعيسى الذي كنّاه به أبوه من أب، وكان يحسب أن الآباء يكتّون بأسماء أولادهم؟ ومن هنا قال لصهيب: مالك تكني أبا يحيى وليس لك ولد؟

٤ - وأعجب من هذه كلّها أن الخليفة بعد سماعه من المغيرة أن النبي ﷺ كنّاه بأبي عيسى لم يتزحزح عن رأيه، وقد صدّقه في مقاله، لكنّه عدّ ذلك ذنباً مغفوراً لرسول الله ﷺ، وأراد أن لا يذنب هو ولفيفه إذ لا يدري ما يفعل بهم.

وليت شعري هل أثبت كون ذلك إثماً مستتبعا للعذاب أو المغفرة ببرهان قاطع؟ ثم علم أن رسول الله ﷺ ارتكبه فحكم بالمغفرة له بدلالة الآية الكريمة من سورة الفتح؟ لا، لم يثبت ذلك إلا بتلك السفسطة من قوله: «هل لعيسى من أب»؟

إن كان الأوّل - ولا أقوله - فرحباً بنبيّ غير معصوم! والعياذ بالله. وإن كان الثاني فزه بقاتل لا يعلم!

١ - المدخل لابن الحاج ١: ١٢٨.

٢ - سنن أبي داود ٢: ٣٠٧ [٤/٢٨٧، ح ٤٩٥٠]، سنن البيهقي ٩: ٣٠٦.

٥ - إنه بعد ما حسب كون هاتيك التكنية سيئة جعل التعزيز بها عَضَّ اليد قبل الضرب، ولم تسمع أذن الدهر بمثل ذلك التعزيز القاسي قط.

٦ - إنَّ مما اختاره الخليفة من كنى العرب: «أبو مرّة». وقد مرَّ نهي رسول الله ﷺ عن التسمية بمرّة. على أنَّ أبا مرّة كنية إبليس كما في المعاجم^(١). وقيل تكنَّى بابنة له تسمَّى مرّة.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن التسمية بـ«حيات» وقال: «فإنَّ الحيات الشيطان». وأخرج أبو داود في سننه^(٢)، عن مسروق، قال: لقيتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من أنت؟ قلت: مسروق بن الأجدع. فقال عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: الأجدع الشيطان. فكأنَّه كان ناسياً ذلك حين أمر بالتكنَّى بأبي مرّة، أو لم يكن يعلم أنَّها كنية إبليس، أو كان له رأي تجاه الرأي النبوي. والله أعلم.

وكذلك التكنَّى بـ«أبي حنظلة»، فقد عدَّ ابن القيم حنظلة من أقبح الأسماء كما في زاد المعاد^(٣).

٧ - حسبانه أنَّ ذا القرنين من أسماء الملائكة وقد عزب عنه أنَّه كان غلاماً رومياً أعطى الملك؛ كما فيما أخرجه الطبري^(٤).

وفي صحيحة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنَّه كان رجلاً أحبَّ الله فأحبَّه، وناصح الله فناصحه، لم يكن نبياً ولا ملكاً»^(٥).

وفي القرآن الكريم آيات كريمة في ذكر ذي القرنين كأنَّها عزبت عن الخليفة برمتها،

١ - قاموس اللغة ٢: ١٣٣ [ص ٦١٠]؛ تاج العروس ٢: ٥٣٩؛ لسان العرب ٧: ١٨ [٧٦/١٣].

٢ - سنن أبي داود ٢: ٣٠٨ [٢٨٩/٤، ح ٤٩٥٧]. ٣ - زاد المعاد ١: ٢٦٠ [٦/٢].

٤ - تاريخ الأمم والملوك [٥٧٥/١].

٥ - فتح الباري ٦: ٢٩٥ [٣٨٣/٦]؛ كنز العمال ١: ٢٥٤ [٤٥٧/٢، ح ٤٤٩٣].

وخفيت عليه تسمية رسول الله ﷺ علياً أمير المؤمنين بذي القرنين؛ فقال على رؤوس الأشهاد: «يا أيها الناس أوصيكم بحبّ ذي قرنيها أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب؛ فإنه لا يحبّه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني»^(١).

وقال ﷺ لعليّ عليه السلام: «إنّ لك في الجنة بيتاً - ويروى: كنزاً - وأنت لذو قرنيها». وقال شراح الحديث: أي ذو طرفي الجنة وملكها الأعظم تسلك ملك جميع الجنة كما سلك ذو القرنين جميع الأرض. أو ذو قرني الأمة فأضمرت وإن لم يتقدّم ذكرها؛ كقوله تعالى: «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ»^(٢)؛ أراد الشمس ولا ذكر لها. قال أبو عبيد: وأنا أختار هذا التفسير الأخير على الأوّل.

قالوا: ويروى عن عليّ عليه السلام؛ وذلك أنّه ذكر ذا القرنين فقال: «دعا قومه إلى عبادة الله تعالى فضربوه على قرنيه ضربتين وفيكم مثله». ففري أنّه أراد نفسه، يعني: أدعو إلى الحقّ حتّى يُضرب رأسي ضربتين يكون فيهما قتلي. أو ذو جليليها الحسن والحسين - سبطي الرسول - رضي الله عنهما؛ روي ذلك عن ثعلب.

أو ذو شجنتين في قرني رأسه إحداها من عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق، والثانية من ابن ملجم لعنه الله. قال أبو عبيد: وهذا أصحّ ما قيل^(٣).

١- الرياض النضرة ٢: ٢١٤ [١٦٦/٣]؛ تذكرة السبط: ١٧ [ص ٢٨]؛ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥١ [١٧٢/٩]، خطبة ١٥٤.

٢- سورة ص: ٣٢.

٣- نوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٣٠٧ [١٨٧/٢]، الأصل ٢٤١؛ مستدرک الحاكم ٣: ١٢٣ [١٣٢/٣] ح ٤٦٢٣؛ الرياض النضرة ٢: ٢١٠ [١٦١/٣]؛ النهاية لابن الأثير ٣: ٢٧٨ [٥١/٤]؛ لسان العرب ١٧: ٢١٠ [١٣٦/١١]؛ كنز العمال ١: ٢٥٤ [٤٥٦/٢] - ٤٥٧، ح ٤٤٩١ - ٤٤٩٣.

وبعد خفاء ما في الكتاب والسنة على الخليفة لا يسعنا أن نؤاخذه بالجهل بشعر رجالات الجاهلية، وقد ذكر ذو القرنين في شعر امرئ القيس، وأوس ابن حجر، وطرفة بن العبد.

ثم ما المانع عن التسمي بأسماء الملائكة؟! وما أكثر من سُمي بأسماء أفضل الملائكة كجبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل؟! فإنها بالعبرانية وترجمتها بالعربية عبدالله وعبيدالله وعبدالرحمن كما فيما أخرجه ابن حجر^(١).

وفي صحيح البخاري عن عكرمة: «أن جبر، وميك، وسراف: عبد، وإيل: الله^(٢)».

وقد ورد في الصحيح: «إن أحب الأسماء إلى الله تعالى عبدالله وعبدالرحمن»^(٣). ولا وازع إذا وقعت التسمية بتلك الألفاظ العبرانية أيضاً.

١- الإصابة [٣٩٩/٢، رقم ٥١٢٦].

٢- صحيح البخاري، باب من كان عدواً لجبريل، في كتاب التفسير [١٦٢٨/٤، ح ٤٢١٠].

٣- أخرجه أحمد [في المسند ٤٥٦/٥، ح ١٨٥٥٣]؛ وابن حبان في صحيحه [١٤٢/١٣، ح ٥٨٢٨].

د: كلمات وروايات تستلزم خطأ من مقام النبوة

- ١ -

نعرات الجاهلية الأولى

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ

الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾^(١)

ربما يجد الباحث في بعض تأليف المستشرقين في التاريخ الإسلامي رمزاً من النزاهة في الكتابة والأمانة في النقل، وخلقوا كل محكي عن أي مصدر - هبة غير وثيق - من التحريف والتصرف فيه، وتجردوه عن سوء صنيع الكتبة.

غير أن في القوم من ألف وسخف؛ «فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ مِن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ»^(٢). فكان الجهل لم يمت بعد وقد مات أبو جهل، ولهب الضلال لم يخمد بعد وقد اتقد أبو لهب في درك الجحيم، وكان الدنيا ترجع إلى ورائها القهقري، وعاد الإسلام كشمس كادت تكون صلاء^(٣).

جاء من القوم بعد لأي من الدهر من يدعو الناس إلى الجاهلية الأولى، وإلى حميتها البائدة، ولا بقيا للحمية بعد الحرائم^(٤). نهض يبشر عن مسيح مركب من طبيعتين: إلهية وبشرية. ويحسب نفسه قد أبهر في تأليفه وأتى بأمر جديد.

ألا وهو الأستاذ إميل درمنغم، مؤلف كتاب «حياة محمد».

٢ - الأحقاف: ٢٦.

١ - محمد: ٢٥.

٣ - مثل يضرب في قلة الانتفاع بالشيء [مجمع الأمثال ٥٠/٣، رقم ٣١٢٤].

٤ - «الحرية»: ما فات من كل مطموع فيه [مجمع الأمثال ١٩٤/٣، رقم ٣٦٢٠].

إنَّ الرجل لما شاهد أنَّ الإسلام علاهتافه اليوم، ودوَّخ أرجاء العالم صيته، وأطلَّت سماؤه على الأرض كلها شرقاً وغرباً، عزَّ عليه كما عزَّ على سلفه الغوغاء أن يشاهد هذا السلطان العالميَّ العظيم.

عزَّ عليه أن يرى في بيئته الغربية بزوغ الإسلام الشرقي، وتنوّر أفكار المتقّفين من قومه بلمعات القرآن العربيّ المجيد، وانتشار معارف الإسلام الخالدة في عواصم أوروبّا.

عزَّ عليه أن يسمع بأذنيه من قلب العالم الأوربيّ بالسنة فلاسفتها نداء: أنَّ محمّداً قاوم الوثنيّة بعزم واحد طول الحياة ولم يتردّد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد^(١).

أو أن يسمع عن آخر منهم وهو ينادي: إنَّ القرآن هو القانون العامّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو صالح لكلّ مكان وزمان^(٢).

أو أن يسمع عن ثالث من قومه، وقد ملأ الدنيا صوته، وهو يقول: استقرّت قواعد الإسلام على أساس مكين من الآيات اليّسات التي أنزلت تباعاً وكان ختامها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

أو أن يسمع بأذنيه القرآن العزيز وهو يُتلى في الإذاعات كلّ يوم بكرةً وعشيّاً، وتقرع آية مسامع خلق الدنيا دون كتاب قومه وكتاب أيّ ملّة.

ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً عقيرته في الخافقين ومنشداً
أُعْبَادَ عَيْسَى إِنَّ عَيْسَى وَحِزْبَهُ وَمُوسَى جَمِيعاً يَخْدُمُونَ مُحَمَّدًا^(٤)

فهناك تعصّب الرجل وتشزّر، وشزر إلى الإسلام وكتابه ونبّه، ونظر إليها بصدر

١ - كلمات الكونت هنري دي كاستري . ٢ - كلمة مسيو سنايس .

٣ - كلمة الدكتور نجيب الأرمنازي .

٤ - من أبيات للشاعر المفلّق أبي الوفاء راجح الحلّي، المتوفّى ٦٢٧ .

عينه^(١) وتشذّر^(٢) للدفاع عن نحلته، والذبّ عن مبدئه الباطل؛ فعلا نحيمة^(٣) بصدرٍ واغرٍ على الحقّ، وهو يشوب ولا يروب^(٤)، وشرع يدعو إلى النصرانيّة باسم الإسلام وحياة محمّد^(٥)، ويرى النبيّ محمّداً جاء بكتاب عربيّ كما لو كان نصرانيّاً، ذاكرّاً أنّه واحد من الأنبياء.

ويرى للنصرانيّة أثراً في محمّد، ويزعم أنّ النصارى قد أيقظت شعور النبيّ الدينيّ قبل بعثه، ويجد في القرآن أصول النصرانيّة.

ويرى تأييد روح القدس لعيسى ذاتيّاً دون موسى ومحمّد.

ويعتقد لعيسى من العصمة ما لم تكن لمحمّد، ويراه قد جاء في القرآن^(٦).

ويرى النصرانيّة تشمل الإسلام وتضيف إليه بعض الشيء.

ويرى المسيح ابن الله الوحيد بمعنى عرفانيّ يلائم الذوق الخرافيّ.

ويرى القرآن يدعو إلى النصرانيّة الصحيحة، وهو القول بألوهيته وبشريّته، وكون

الطبيعتين في شخص واحد.

ويعزو آراءه السخيفة جلّها إلى القرآن المقدّس، ويرى القرآن لم يُخطّ بكلّ ما هو

حقّ في الأمر.

ويرى آخر مصحف اعتمد عليه صنع الحجاج بن يوسف الثقفي، وإمكان تلاوة

المصحف الشريف على غير ما هو عليه.

١ - مثلاً مشهور يُضرب. ٢ - «تشذّر»: تشمّر وتهيأ للحملة].

٣ - «النحيمة»: الزحير والتنحيع؛ وهو صوت يخرج من الجوف].

٤ - «الشوب»: الخلط، و«الروب»: الإصلاح. مثلاً يُضرب [لمن يخلط الصدق بالكذب؛ مجمع الأمثال ٤٩٥/٣،

رقم ٤٥٨٦].

٥ - حياة محمّد لإميل درمنغم: ١٠٠-١١٨ [ص ١٢٤-١٤٣].

٦ - ليتة دلّنا على الآية الدالة عليه.

ويرى علماء التوحيد قائلين بألوهية المسيح .
ويرى الهوة بين المسلمين والنصارى نتيجة سوء التفاهم .
ويرى التباعد بين الملتين من فكرة مفسري القرآن وعلماء الإسلام .
ويرى العقل والتاريخ يستغربان عدم صلب المسيح .
ويرى اعتقاد المسلمين بعدم صلب المسيح باطلاً، والآية الدالة عليه غامضة .
ويؤول قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾^(١) بما يلائم تعاليم النصرانية .

ويعدّ من ضلال جزيرة العرب إنكار ألوهية المسيح والقول ببشريته فحسب ،
ويرى النبيّ قد وضع نفسه فوق جميع المعتقدات ما دام على غير علم بالنصرانية الصحيحة .

ويعبر عن النبيّ الأعظم بالبدوي الحمّس^(٢) !.

فهذه جملة من خرافاته الراجعة إلى التبشير والدعوة إلى النصرانية : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي
الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٣) .

ولو أردت الوقوف على الحقيقة في كلّ ما لفقه الرجل من إفك شائن ، فعليك
بكتاب الهدى إلى دين المصطفى ، وكتاب الرحلة المدرسية وغيرهما ، من تأليف شيخنا
العلم المجاهد الحجة الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي ، وما ألفه غيره من أعلام الأمة .

تسافل الشرق أو انحطاط العرب

لا أحسب أنّ بسطاء الأمة الإسلامية ، فضلاً عن أعلامها ، تخفى عليهم الغايات
المتوخاة في أمثال هذه الكتب المزورة؛ فما حاجة الأمة العربية الآخذة بناصية الشرق

٢ - «الحمّس» : الشديد المتعصب] .

١ - النساء : ١٥٧ .

٣ - النحل : ١٠٥ .

إلى ترجمة هذه التأليف الفارغة عن أدب الدين، وأدب العلم، وأدب النزاهة، وأدب العفة، وأدب الصدق والأمانة، وأدب الحق والحقيقة؟!.

كيف تفتقر الأمة الإسلامية إلى تلك الكتب ولها كتابها العربي المقدس، كتابها الذي «لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ»^(١)؟! كيف تفتقر وهي حاملة السنة النبوية؟! وكيف تفتقر وبين يديها كتاب نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين، تأليف الشريف الرضي، الذي تراه فلاسفة الدين دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق؟!.

يا أُمَّة اثْكُلِيه:

هلمّ معي أيها الشرقي الإسلامي نسائل أستاذ فلسطين محمد عادل زعتر وهو يدبّ مع القراء^(٢)، وقد أساء القول وأساء العمل عن ترجمة هذا الكتاب - حياة محمد - الطافح بالضلال.

نسائله عن جنايته الكبيرة على الأمة العربية بقوله في مقدّمة ترجمته:

قد تجنّى المستشرقون على الحقائق في سيرة الرسول الأعظم لا رب ، وقد كان تجنيهم هذا عاملاً في زهد كتّاب العرب عن نقل ما ألقوه إلى العربية على ما يحتمل ، ولكنّ عطل اللغة العربية من ذلك يُعدّ نقصاً في حركتنا العلمية على كلّ حال .

كيف أنّ عطل اللغة العربية ممّا جنّته يد الجاهلية - وقد تجنّت على الحقائق - يُعدّ نقصاً في حركتنا العلمية التي تدور مع الكتاب والسنة؟! وهما مدار علم العالم، ومقصد كلّ فيلسوف شرقيّ أو غربيّ. وهذا نفس المؤلّف يقول في مقدّمة الكتاب:

وأهمّ المصادر لبيان حياة محمد هو القرآن وكتب الحديث والسيرة ، والقرآن

١ - البقرة: ٢.

٢ - مثلاً يضرب للرجل الشرير [بجمع الأمثال ٤٨٦/٣، رقم ٤٥٥٧].

أصح هذه المصادر وإن كان أوجزها .

ليته كان يتبع كتاب العرب في زهدهم عن نقل ما ألفته يد الضلال إلى العربيّة ، ويتوقّى قلمه عن نشر كلّ الفساد في المجتمع الإسلاميّ من دون أيّ تعليق عليها ، وأيّ تنبيه للقارئ بفسادها وهو يقول :

لا يظنّ القارئ أنني أشاطر المؤلف جميع ما ذهب إليه من الأمور التي أرى الحقيقة غابت عنه في كثير منها .

اثكليه يا أمّه؛ بأيّ ثمن بخس أو خطير باع شرف أمّته ، وعزّ نخلته ، وعظمة قومه ، وقداسة كتابه وسنته؟! . وهو يقول في المقدمة :

المؤلف مع ما ساده من حسن النية لم تخلُ سوانحه وآراؤه من زلات .

ليتني أدري وقومي : ما حاجتنا إلى حسن نية مؤلّه المسيح - عيسى بن مريم - وجاعله ابن الله الوحيد؟! وما الذي يعرب عن حسن نيّته وكلّ صحيفة من كتابه أهلك من ترّهات البسابس^(١)؟! وقلّت صحيفة ليست فيها هنات تنمّ عن سوء طويّته ، وفساد نيّته ، وخبث رأيه .

نعم والذي أراه - والمؤمن ينظر بنور الله - أنّ المترجم راقه ما في الكتاب من الأكاذيب والمخاريق المعربة عن النزعات والأهواء الأمويّة ، فبذلك غدا الذئب للضبع ، وجاء^(٢) وقد أدبر غريره وأقبل هريره^(٣) ، ووافق شئ طَبَقَة .

١ - «الترّهات» : الطرق الصغار . «السابس» جمع بسيس : الصحراء الواسعة [مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ أَخَذَ فِي غَيْرِ قِصْدٍ

وسلك في الطريق الذي لا ينتفع به ؛ المستقصى في أمثال العرب ١/٤٤٣ ، رقم ١٨٧٥] .

٢ - مثل يضرب لقريبيّ السوء .

٣ - «الغرير» : الخلق الحسن . «الهرير» : ما يكره من سوء الخلق [مَثَلٌ سَائِرٌ يُضْرَبُ لِلشَّيْخِ إِذَا سَاءَ خُلُقُهُ ؛ مجمع

الأمثال ١/٤٧٥ ، رقم ١٤٢٢] .

نعم راقه سلقه أهل بيت النبي الطاهر بسقطات القول، وكذب الحديث، وسرد تاريخ مفتعل يمس كرامة النبي الأقدس، وناموس عترته، ممّا يلائم الروح الأموية الخبيثة، ويمثّل آل الله للملأ بصورة مصغرة، ويشوّه سمعتهم بما لا يتحمّله ناموس الطبيعة وشرف الإنسانيّة من شراسة الخلق، وسيئ العشرة، وقبح المداراة. قال:

كانت فاطمة عابسةً ، دون رُقيّة جمالاً ، ودون زينب ذكاءً . ولم تدر فاطمة حينما أخبرها أبوها من وراء الستر أنّ عليّ بن أبي طالب ذكر اسمها . وكانت فاطمة تعدّ عليّاً دميماً محدوداً ، مع عظيم شجاعته ، وما كان عليّ أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه مع ذلك^(١) .

وكان عليّ غير بهيّ الوجه لعينه الكبيرتين الفاترتين ، وانخفاض قصبة أنفه ، وكبر بطنه وصلعه ، وذلك كلّه إلى أنّ عليّاً كان شجاعاً ، ثقيّاً ، صادقاً ، وفيّاً ، مخلصاً ، صالحاً مع توائ وتردد ...

وكان عليّ ينهت^(٢) فيستقي الماء لنخيل أحد اليهود في مقابل حفنة تمر؛ فكان إذا ما عاد بها قال لزوجته عابساً: كُلي وأطعمي الأولاد.... .

وكان عليّ يحرد بعد كلّ منافرة ويذهب لينام في المسجد ، وكان حموه يُربّته على كتفه ويعظه ، ويوفّق بينه وبين فاطمة إلى حين ، وممّا حدث أنّ رأى النبيّ ابنته في بيته ذات مرّة وهي تبكي من لكم عليّ لها .

إنّ محمّداً مع امتداحه قدم عليّ في الإسلام إرضاءً لابنته كان قليل الالتفات إليه ، وكان صهرا النبيّ الأمويّان - عثمان الكرم وأبو العاصي - أكثر مداراة للنبيّ من عليّ .

١ - حياة محمّد: ١٩٧ .

٢ - [«النهيت» و«النهات»: هو الصوت من الصدر عند المشقة] .

وكان عليٌّ يألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته ، ومن عدّ النبي له غير قوام
بجليل الأعمال ؛ فالنبي وإن كان يفوّض إليه ضرب الرقاب كان يتجنّب تسليم
قيادة إليه^(١) .

وأسوأ من ذلك ما كان يقع عند مصافحة عليٍّ وفاطمة لإعدّواتهما أزواج النبي ،
وتنازع الفريقين ، فكانت فاطمة تعنب على أبيها متحسرة لأنّه كان لا ينحاز
إلى بناته .

إلى غير ذلك من جنائيات تاريخيّة سوّد بها الرجل صحيفة كتابه .

ما أساء من أعقب:

أنا لا ألوم المؤلّف - جدع الله مسامعه - وإن جاء بأذني عناق^(٢)؛ إذ هو من قوم
حنّاق على الإسلام، وهو مع ذلك جرفُ منهل وسحابٌ منجال^(٣) ينمُّ كتابه عن عُجره
وُجره . وإنّما العتب كلّ العتب على المترجم الجاني على الإسلام والشرق والعرب وهو
يحسب نفسه منها، نعم جَدْبُ السوء يُلجئُ إلى نُجعة سوء^(٤)، والجنس إلى الجنس يميل .
كلّ ما في الكتاب من تلكم الأقوال المختلفة، والنسب المفتعلة إن هي إلّا كلم
الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، وتضادّ ما أصفقت عليه الأُمة الإسلاميّة، وما أخبر
به نبيّها الأقدس .

هل تناسب تقولاته في فاطمة مع قول أبيها ﷺ: «فاطمة حوراء إنسيّة، كلّما
اشتقتُ إلى الجنة قبلْتُها»^(٥)؟

١ - حياة محمّد : ١٩٩ .

٢ - أي جاء بالكذب والباطل، مثّل سائر [مجمع الأمثال ١/ ٢٩٠، رقم ٨٥١] .

٣ - مثّل يُضرب ؛ يراد أنّه لا يطمع في خيره [مجمع الأمثال ١/ ٣١٦، رقم ٩٤٦] .

٤ - مثّل دائر؛ يعني أنّ الأمور كلّها تتشاكل في الجودة والرداءة [مجمع الأمثال ١/ ٣١٦، رقم ٩٤٧] .

٥ - تاريخ الخطيب البغدادي ٥ : ٨٧ [رقم ٢٤٨١] .

أو قوله ﷺ: «ابنتي فاطمة حوراء آدمية»^(١)؟

أو قوله ﷺ: «فاطمة هي الزهرة»^(٢)؟

أو قول أم أنس بن مالك:

كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماماً - إذا خرج من السحاب -

بيضاء مشربة حمرة ، لها شعر أسود ، من أشد الناس برسول الله ﷺ شبهاً . والله

كما قال الشاعر :

بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جئل أسحم^(٣)

فكأنها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم^(٤)

ولقبها الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جليلة الحال .

وهل يساعد تلك التحكمات في ذكاء فاطمة وخلقها قول أم المؤمنين خديجة :

كانت فاطمة تحدث في بطن أمها ، ولما ولدت وقعت حين وقعت على

الأرض ساجدة ، رافعة إصبعها^(٥)؟

أو يلائمها قول عائشة :

ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ، ودلاً ، وهدياً ، وحديثاً ، برسول الله في قيامه

ورعوده من فاطمة . وكانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبلها ورحب

بها ، وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه^(٦)؟

١ - الصواعق : ٩٦ [ص ١٦٠] ؛ إسعاف الراغبين : ١٧٢ ، نقلاً عن النسائي .

٢ - نزهة المجالس : ٢ : ٢٢٢ .

٣ - «جئل الشعر» : كثُر والتفّ واسودّ ، فهو جئل . «سحم» فهو أسحم : أسود .

٤ - مستدرک الحاكم : ٣ : ١٦١ [١٧٦/٣] ، ح ٤٧٥٩ .

٥ - سيرة الملائكة [ج ٥ / ق ٢١١/٢] ؛ ذخائر العقبى : ٤٥ ؛ نزهة المجالس : ٢ : ٢٢٧ .

٦ - أخرجه الحافظ ابن حبان [في صحيحه ٤٠٣/١٥ ، ح ٦٩٥٣] كما في ذخائر العقبى : ٤٠ ؛ والحافظ الترمذي

وحسنه [سنن الترمذي ٦٥٧/٥ ، ح ٣٨٧٢] .

وهل توافق مخاريقه في الإمام عليٍّ - صلوات الله عليه - وعدم بهاء وجهه، وعدُّ فاطمة له دميماً وكونه عابساً، مع ما جاء في جماله البهيّ: أنّه كان حسن الوجه كأنّه قر ليلة البدر، وكأنّ عنقه إبريق فضّة^(١)، ضحوك السنّ^(٢)، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم^(٣)؟!

وأين هي من قول أبي الأسود الدؤلي من أبيات له:
إذا استقبلت وجه أبي ترابٍ رأيتَ البدر حار الناظرينا^(٤)
نعم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضلهُ فالناسُ أعداءُ له وخصومُ
كضرائرِ الحسناءِ قلنَ لوجهها حسداً وبغضاً إنّه لدميمُ
أو يخبرك ضميرك الحرّ في عليٍّ ﷺ ما سلقه الرجل به من التواني والتردّد؟ وعليٌّ
ذلك المتقحّم في الأهوال، والضارب في الأوساط والأعراض في المغازي والحروب،
وهو الذي كشف الكرب عن وجه رسول الله في كلّ نازلة وكارثة منذ صدع بالدين
الحنيف إلى أن بات على فراشه وفداه بنفسه إلى أن سكن مقرّه الأخير.
أليس عليٌّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ
وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٥). وقوله تعالى:
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٦)(٧)؟

١ - كتاب صفين: ٢٦٢ [ص ٢٣٣]؛ الاستيعاب ٢: ٤٦٩ [القسم الثالث/ ١١٢٣، رقم ١٨٥٥]؛ الرياض النضرة
٢: ١٥٥ [٩٧/٣]؛ نزهة المجالس ٢: ٢٠٤.

٢ - تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي [١/ ٣٤٩، رقم ٤٢٩].

٣ - حلية الأولياء ١: ٨٤ [رقم ٤]؛ تاريخ ابن عساكر ٧: ٣٥ [٨/ ٤٧٣]؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/ ١٥٨؛

الحاسن والمساوي ١: ٣٢ [ص ٤٧]. ٤ - تذكرة السبط: ١٠٤ [ص ١٨١].

٥ - التوبة: ١٩. ٦ - البقرة: ٢٠٧.

٧ - [أنظر تلخيص الغدير/ ١٢٠ و ١٢٤].

فتى خلى عليٌّ عن مقارعة الرجال والذبّ عن قدس صاحب الرسالة حتى يصحّ أن يُعزى إليه تواني أو تردّد في أمر من الأمور؟! غير أن القول الباطل لاحدّ له ولا أمد. وهل يُتصوّر في أمير المؤمنين تلك العشرة السيئة مع حليته الطاهرة؟! والنبيّ يقول له: «أشبهت خلقي وخلُقي وأنت من شجرتي التي أنا منها»^(١).

وكيف يراه النبيُّ ﷺ أفضل أمته، أعظمهم حلماً، وأحسنهم خلقاً، ويقول: «عليٌّ خير أمّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً»^(٢)؟

ويقول لفاطمة: «إني زوجتك أقدم أمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»^(٣).

ويقول لها: «زوجتك أقدمهم سلماً، وأحسنهم خلقاً»^(٤)؟

يقول هذه كلّها وعشرته تلك كانت بمرأى منه ومسمع! أفك الدجالون، كان عليٌّ ﷺ كما أخبر به النبيُّ الصادق الأمين.

وهل يقبل شعورك ما قذف به الرجل - فضّ الله فاه - عليّاً من لكم فاطمة بضعة المصطفى؟ وعليٌّ هو ذاك المقتضّ أثر الرسول، وملء مسامعه قوله ﷺ لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»^(٥).

وقوله ﷺ وهو آخذ بيدها: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعة

١ - تاريخ بغداد للخطيب ١١: ١٧١ [رقم ٥٨٧٠].

٢ - الطبري، الخطيب، الدولابي [الذرية الطاهرة/ ٩٣، رقم ٨٣]: كما في كنز العمال ٦: ١٥٣ و ٣٩٢ و ٣٩٨ [١١/ ٦٠٥].

ح ٣٢٩٢٦؛ ١٣/ ١١٤، ح ٣٦٣٧٠، ص ١٣٥، ح ٣٦٤٢٣.

٣ - مسند أحمد ٥: ٢٦ [٥/ ٦٦٢، ح ١٩٧٩٦]، الرياض النضرة ٢: ١٩٤ [٣/ ١٤١]؛ ذخائر العقبى: ٧٨، مجمع

الزوائد ٩: ١٠١ و ١١٤، وصححه ووثق رجاله.

٤ - أخرجه أبو الخير الحاكمي كما في الرياض النضرة ٢: ١٨٢ [٣/ ١٢٨].

٥ - مستدرک الحاكم ٣: ١٥٤ [٣/ ١٦٧، ح ٤٧٣٠]، وصححه؛ ذخائر العقبى: ٣٩؛ تذكرة السبط: ١٧٥ [ص ٣١٠]؛

مقتل الخوارج ١: ٥٢؛ كفاية الطالب: ٢١٩ [ص ٣٦٤، باب ٩٩]؛ الصواعق: ١٠٥ [ص ١٧٥].

مني، هي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني»^(١).

وقوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني، يربيني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»^(٢).

وقوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني»^(٣).

وقوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها»^(٤).

وهل يقصر امتداح النبي علياً بقدوم إسلامه، حتى يتفلسف في سرّه ويكون ذلك إرضاء لابنته؟ على أن امتداحه بذلك لو كان لتلك المزعمة لكان يقتصر ﷺ على قوله لفاطمة في ذلك، وكان يتأتى الغرض به، فلماذا كان يأخذ ﷺ بيد علي في الملأ الصحابي تارة ويقول: «إنّ هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يضافحني يوم القيامة»؟! ولماذا كان يخاطب أصحابه أخرى بقوله: «أولكم وارداً عليّ الحوض، أولكم إسلاماً: عليّ بن أبي طالب»؟! وكيف خفي هذا السرّ المختلق على الصحابة الحضور والتابعين لهم بإحسان، فطفقوا يدحونه ﷺ بهذه الآثار: كما يروى عن سلمان الفارسي، أنس بن مالك، زيد بن أرقم، عبدالله بن عباس، عبدالله بن حجل، هاشم بن عتبة، مالك الأشتر، عبدالله بن هاشم، محمد بن أبي بكر، عمرو بن الحمق، أبي عمرة عدي بن حاتم، أبي رافع، بريدة، جندب ابن زهير، أم الخير بنت الحريش^(٥)؟!

- ١- الفصول المهمة: ١٥٠ [ص ١٤٤]: نزعة المجالس ٢: ٢٢٨؛ نور الأبصار: ٤٥ [ص ٩٦].
- ٢- صحاح: البخاري [٢٠٠٤/٥، ح ٤٩٣٢]؛ ومسلم [٥٣/٥، ح ٩٣ كتاب فضائل الصحابة]؛ والترمذي [٦٥٥/٥، ح ٣٨٦٧]؛ ومسنّد أحمد ٤: ٣٢٨ [٤٣٠/٥، ح ١٨٤٤٧].
- ٣- صحيح البخاري [١٣٦١/٣، ح ٣٥١٠]؛ خصائص النسائي: ٣٥ [خصائص أمير المؤمنين/١٤٧، ح ١٣٥؛ وفي السنن الكبرى ٥/٩٧، ح ٨٣٧١، كتاب المناقب].
- ٤- مسنّد أحمد ٤: ٣٢٣ و ٣٢٢ [٤٢٣/٥، ح ١٨٤٢٨؛ ص ٤٣٥، ح ١٨٤٥١]؛ الصواعق: ١١٢ [ص ١٨٨].
- ٥- [ذكر العلامة في الغدير ٣/٣١٠ - ٣٣٥، مائة حديث من النصوص النبوية والكلم المأثورة عن أمير المؤمنين والصحابة والتابعين، في: «أنّ علياً أول من أسلم وصلى»].

وهل الفول بقلة النفات النبيّ إلى عليّ يساعده القرآن الناطق بأنّه نفس النبيّ الطاهر؟! أو جعل مودّته أجر رسالته؟!

أو قوله ﷺ في حديث الطير المشويّ، الصحيح المرويّ في الصحاح والمسانيد: «اللهمّ اتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي»؟!

أو قوله ﷺ لعائشة: «إنّ عليّاً أحبّ الرجال إليّ، وأكرمهم عليّ، فاعرفي له حقّه وأكرمي مثواه»^{(١)؟}

أو قوله ﷺ: «أحبّ الناس إليّ من الرجال عليّ»^{(٢)؟}

أو قوله ﷺ: «عليّ خير من أتركه بعدي»^{(٣)؟}

أو قوله ﷺ: «خير رجالكم عليّ بن أبي طالب، وخير نساكنكم فاطمة بنت محمّد»^{(٤)؟}

أو قوله ﷺ: «عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر»^{(٥)؟}

أو قوله ﷺ: «من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر»^{(٦)؟}

أو قوله ﷺ: في حديث الراية المتفق عليه: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله

ورسوله، ويحبّ الله ورسوله»؟

أو قوله ﷺ: «عليّ منّي بمنزلة الرأس (رأسي) من بدني (أوجسدي)»^{(٧)؟}

١- أخرجه الحافظ الخجندي كما في الرياض ٢: ١٦١ [١٠٤/٣]، وذخائر العقبى: ٦٢.

٢- وفي لفظ: «أحبّ أهلي»؛ من حديث أسامة.

٣- مواقف الإيجي ٣: ٢٧٦ [ص ٤٠٩]، مجمع الزوائد ٩: ١١٣.

٤- تاريخ بغداد للخطيب ٤: ٣٩٢ [رقم ٢٢٨٠].

٥- تاريخ الخطيب عن جابر [٤٢١/٧]، رقم ٣٩٨٤؛ كنوز الحقائق هامش الجامع الصغير ٢: ١٦؛ كنز العمال ٦: ١٥٩.

[١١/٦٢٥، ح ٣٣٠٤٥].

٦- تاريخ الخطيب البغدادي ٣: ١٩٢ [رقم ١٢٣٤]، كنز العمال ٦: ١٥٩ [١١/٦٢٥، ح ٣٣٠٤٦].

٧- تاريخ الخطيب ٧: ١٢ [رقم ٣٤٧٥]، الرياض النظرة ٢: ١٦٢ [١٠٥/٣]، الصواعق: ٧٥ [ص ١٢٥].

- أو قوله ﷺ: «عليُّ منِّي بمنزلة من ربِّي»^(١)؟
- أو قوله ﷺ: «عليُّ أحبُّهم إليَّ، وأحبُّهم إلى الله»^(٢)؟
- أو قوله ﷺ: «أنا منك وأنت منِّي. أو: أنت منِّي وأنا منك»^(٣)؟
- أو قوله ﷺ: «عليُّ منِّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي»^(٤)؟
- أو قوله ﷺ في حديث البعث بسورة البراءة المجمع على صحَّته: «لا يذهب بها إلَّا رجل منِّي وأنا منه»^(٥)؟
- أو قوله ﷺ: «لحمك لحمي، ودمك دمي، والحقّ معك»^(٦)؟
- أو قوله ﷺ: «ما من نبيٍّ إلَّا وله نظير في أمّته، و عليُّ نظيري»^(٧)؟
- أو ما صحَّحه الحاكم وأخرجه الطبراني عن أمّ سلمة، قالت: كان رسول الله إذا أغضب، لم يجترئ أحدٌ أن يكلمه غير عليٍّ^(٨)؟
- أو قول عائشة: والله ما رأيت أحداً أحبَّ إلى رسول الله من عليٍّ، ولا في الأرض امرأة كانت أحبَّ إليه من امرأته^(٩)؟

-
- ١- الرياض النضرة ٢: ١٦٣ [١٠٦/٣]؛ السيرة الحلبية ٣: ٣٩١ [٣٦٢/٣].
 - ٢- تاريخ الخطيب ١: ١٦٠ [رقم ١٠].
 - ٣- مسند أحمد ٥: ٢٠٤ [٢٦٥/٦، ح ٢١٢٧٠]؛ خصائص النسائي ٣٦ و ٥١ [خصائص أمير المؤمنين: ٨٧، ح ٧٠؛ ص ١٤٩، ح ١٣٨؛ وفي السنن الكبرى ٥/١٢٧، ح ٨٤٥٥].
 - ٤- مسند أحمد ٥: ٣٥٦ [٤٨٩/٦، ح ٢٢٥٠٣].
 - ٥- خصائص النسائي: ٨ [خصائص أمير المؤمنين / ٤٩، ح ٢٤؛ وفي السنن الكبرى ٥/١١٣، ح ٨٤٠٩].
 - ٦- المحاسن والمساوي ١: ٣١ [ص ٤٤]؛ كفاية الطالب: ١٣٥ [ص ٢٦٥، باب ٦٢].
 - ٧- الرياض النضرة ٢: ١٦٤ [١٠٨/٣].
 - ٨- مستدرك الحاكم ٣: ١٣٠ [١٤١/٣، ح ٤٦٧٤]؛ الصواعق: ٧٣ [ص ١٢٣]؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١١٦ [ص ١٦١].
 - ٩- مستدرك الحاكم ٣: ١٥٤ [١٦٧/٣، ح ٤٧٣١]؛ وصحَّحه؛ العقد الفريد ٢: ٢٧٥ [١٢٣/٤].

أقول بريدة وأبي: أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من النساء فاطمة، ومن الرجال علي^(١)؟

أو حديث جُميع بن عمير، قال: دخلتُ مع عمّتي على عائشة، فسألتُ: أيّ الناس أحبّ إلى رسول الله؟ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوّاماً قوّاماً^(٢)؟

وكيف كان رسول الله ﷺ يقدّم الغير على عليّ في الالتفات إليه، وهو أول رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لما أطلع عليهم؟! كما أخبر به ﷺ لفاطمة بقوله: «إنّ الله أطلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً، ثمّ أطلع الثانية فاختار بعلك، فأوحى إليّ، فأنكحته واتّخذته وصياً»^(٣).

وبقوله ﷺ: «إنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين: أحدهما أبوك والآخر زوجك»^(٤).

وإنّي لا يسعني المجال لتحليل كلمة الرجل: «وكان صهرا النبيّ الأمويّان...». وحسبك في مداراة عثمان الكريم حديث أنس عن رسول الله ﷺ لما شهد دفن رقيّة ابنته العزيزة وقعد على قبرها، ودمعت عيناه فقال: «أيّكم لم يقارف الليلة أهله؟» فقال أبو طلحة: أنا؛ فأمره أن ينزل في قبرها.

١ - خصائص النسائي: ٢٩ [خصائص أمير المؤمنين/١٢٨، ح ١١٣؛ وفي السنن الكبرى ١٤٠/٥، ح ٨٤٩٨]؛ مستدرک الحاكم ٣: ١٥٥ [١٦٨/٣، ح ٤٧٣٥؛ وكذا في تلخيصه] صحّحه هو والذهبي؛ جامع الترمذي ٢: ٢٢٧ [٦٥٥/٥، ح ٣٨٦٨].

٢ - جامع الترمذي ٢: ٢٢٧ [٦٥٨/٥، ح ٣٨٧٤] طبع الهند؛ مستدرک الحاكم ٣: ١٥٧ [١٦٧/٣، ح ٤٧٣١].

٣ - أخرجه الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري [المعجم الكبير ٤/١٧١، ح ٤٠٤٦] كما في إكمال كنز العمال ٦: ١٥٣ [١١/٦٠٤، ح ٣٢٩٢٣]؛ أخرجه الهيثمي في مجمع الروائد ٩: ١٦٥ عن عليّ الهلالي.

٤ - المواقف للإيجي: ٨ [ص ٤١٠].

قال ابن بطال: أراد النبي ﷺ أن يحرم عثمان النزول في قبرها، وقد كان أحق الناس بذلك لأنه كان بعلمها، وفقد منها علماً لا عوض منه؛ لأنه حين قال ﷺ: «أَيُّكُمْ لم يُقَارِف الليلة أهله؟» سكت عثمان ولم يقل: أنا؛ لأنه قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه؛ ولم يشغله الهم بالمصيبة وانقطاع صهره من النبي ﷺ عن المقارفة؛ فحُرِمَ بذلك ما كان حقاً له، وكان أولى به من أبي طلحة وغيره. وهذا بيّن في معنى الحديث. ولعل النبي ﷺ قد كان علم ذلك بالوحي، فلم يقل له شيئاً لأنه فعل فعلاً حلالاً، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغله حتى حُرِمَ ما حُرِمَ من ذلك بتعريض غير صريح^(١).

وما عساني أن أقول في أبي العاص الذي كان على شركه إلى عام الحديبية، وأسر مع المشركين مرتين، وفرّق الإسلام بينه وبين زوجته زينب بنت النبي ﷺ ست سنين، وهاجرت مسلمة وتركت لشركه، ولم ترد قط بعد إسلامه كلمة تُعرب عن صلته مع النبي ومدايراته له، فضلاً عن مقايسته بعليّ أبي ذرّيته وسيّد عترته.

وقد اتهم الرجل نبيّ الإسلام بعدم العمل على سعادة ابنته الطاهرة المطهرة بنصّ الكتاب العزيز، ويقذف عليّاً بالتألم من ذلك، وكان ﷺ إذا أصبح أتى باب عليّ وفاطمة وهو يقول: «يرحمكم الله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً».

وكان لم يزل يقول: «فاطمة أحبّ الناس إليّ».

ويقول: «أحبّ الناس إليّ من النساء فاطمة».

ويقول: «أحبّ أهلي إليّ فاطمة».

وكان عمر يقول لفاطمة: والله ما رأيت أحداً أحبّ إليّ رسول الله منك^(٢).

وما أقبح الرجل في تقوّله على النبي ﷺ بعده لعليّ غير قوّام بجليل الأعمال، وقد

١- أنظر الروض الأثف ٢: ١٠٧ [٣٦٢/٥]. ٢- مستدرک الحاكم ٣: ١٥٠ [١٦٨/٢] ح ٤٧٣٦.

وازره وناصره وعاضده بتمام معنى الكلمة، بكلّ حول وطول من بدء دعوته إلى آخر نفس لفظه؛ فصار بذلك له نفساً، وأخاً، ووزيراً، ووصياً، وخليفةً، ووارثاً، وولياً بعده، وكان قائده الوحيد في حروبه ومغازيه، وهو الملقب بقائد الغر المحجلين، وخياً من الله العزيز في ليلة أسرى نبيّه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى^(١).

وأسوأ من ذلك كلّ عدو الرجل أزواج النبيّ عدوّات عليّ وفاطمة، وقد ذكر تنازع عائشة معها وأمّ سلمة، وبسط القول في ذلك بنقل حادثة موضوعة، وشكّل هناك حزبين منهنّ، دمقراطي ورستود مقراطي، وتقول بما يمسّ ناموس النبيّ وكرامة أزواجه أمّهات المؤمنين ويمثّل آل الله بكلّ جلافة وسلافة.

ليت شعري كيف يروق المترجم عدوّ عائشة عدوّ لفاطمة وهي تقول: ما رأيت أحداً قطّ أفضل من فاطمة غير أبيها^(٢)؟!

وهي كانت تقبل رأس فاطمة وتقول: يا ليتني شعرة في رأسك^(٣).

وكيف يرتضي قومه نشر هذه القارصة، والقرآن أوجب على الأمة مودة العترة النبويّة^(٤)، ومن المتسالم عليه بين المسلمين إنّ آية الإيمان والنفاق في شرعة النبيّ المحبوب: حبّ عليّ وبغضه كما يأتي حديثه^(٥)؟!

وقد اتّفقت الأمة على ما مرّ في حديث الغدير من قول رسول الله ﷺ في عليّ: «اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه».

وصحّ عن النبيّ ﷺ قوله: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أبغض عليّاً فقد

١ - مستدرك الحاكم ٣: ١٣٨ [١٤٨/٣، ح ٤٦٦٨] وصحّحه: الرياض النضرة ٢: ١٧٧ [١٢٢/٣]؛ شمس الأخبار:

٣٩ [١٠٥/١، باب ٧]؛ أسد الغابة ١: ٦٩ [٨٤/١، رقم ٩٢]؛ مجمع الزوائد ٩: ١٢١.

٢ - المعجم الأوسط ٣: ٣٤٩، ح ٢٧٤٢؛ شرح المواهب ٣: ٢٠٢؛ الشرف المؤبد: ٥٨ [ص ١٢٤].

٣ - نزّهة المجالس ٢: ٢٢٧. ٤ - [أنظر تلخيص الغدير/ ١٨٢ و ١٨٣].

٥ - أنظر ص ٧٤٣ من كتابنا هذا؛ [وتلخيص الغدير/ ٢٨٩-٢٩٢].

أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»^(١).

وأخبر ﷺ عن جبرئيل أنه أخبره بأن: «السعيد كل السعيد من أحب علياً في حياتي وبعد مماتي، ألا وإن الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياتي وبعد مماتي»^(٢).

وكيف خفي على هذا الرجل أن عزو عدا سَيِّد العترة وسَيِّدتها إلى زوجات النبي قذفٌ مقذعٌ، وسبٌّ شائنٌ، إن عُرض على محكمة العدل الإسلامي وأخذ بقوله ﷺ في عترته: «لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة»^(٣)؟

أو بما ورد من طريق الثقات من: «أن علياً لا يبغضه أحد قط إلا وقد شارك إبليس أباه في رحم أمه»^(٤)؟

أو بما أخرجه الحافظ الجزري عن عبادة الصامت قال: كنّا نبور^(٥) أولادنا بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فإذا رأينا أحدهم لا يحبّ عليّ بن أبي طالب علمنا أنه ليس منّا وإنه لغير رشدة^(٦)؟

ثم قال الحافظ: وهذا مشهورٌ من قديم وإلى اليوم أنه ما يبغض علياً عليه السلام إلا ولد زنا^(٧).

هذه نُبذ من مخاريق كتاب حياة محمد وكم لها من نظير حول القرآن وتحريفه، وهناك قذف الشيعة بما هي بريئة منه.

والعجب أن عادل زعير يحسب نفسه معذوراً في بثّ هذه الأباطيل المضلّة في المجتمع بقوله في مقدّمة الكتاب:

١- الاستيعاب ٢: ٤٦١ [القسم الثالث: ص ١١٠١، رقم ١٨٥٥]؛ ذخائر العقبى: ٦٥؛ الإصابة ٣: ١٠٣؛ [١٠٣/٢] ٥٤٢.

رقم ٥٨٦٦]؛ نزهة المجالس ٢: ٢٠٧.

٢- الرياض النضرة ٣: ٢١٥ [١٦٧/٣]؛ الفصول المهمة: ١٢٤ [ص ١٢٣]؛ مجمع الزوائد ٩: ١٣٢؛ كنز العمال ٦: ٤٠٠ [١٣/١٤٥، ح ٣٦٤٥٨]؛ نزهة المجالس ٢: ٢٠٧.

٣- الرياض ٢: ١٨٩ [١٣٦/٣].

٥- [«نبور»: نخبر ونمتحن].

٦- [يقال: هذا ولد رشدة، إذا كان لنكاح صحيح].

٧- أنظر أسنى المطالب ٨: [٥٧ و ٥٨].

وقد كنت أودُّ أن أعلّق عليها بعض حواشٍ لو لم أرَ أن ذلك يخرجني عن دائرة الترجمة.
أمن العدل سقاية روح الملائكة بهذه السموم القتّالة والاعتذار بمثل هذا التافه؟!
أهكذا خلق الإنسان ظلوماً جهولاً؟!

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١)

- ٢ -

اتّهام نبي الإسلام بعدم العمل على سعادة ابنته

قد اتّهم الرجل [مؤلف كتاب حياة محمد^(٢)] نبي الإسلام بعدم العمل على سعادة ابنته الطاهرة المطهّرة بنصّ الكتاب العزيز، ويقذف عليّاً بالتألم من ذلك، وكان ﷺ إذا أصبح أتى باب عليٍّ وفاطمة وهو يقول: «يرحمكم الله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً».

- ٣ -

عدم سلامة نبي العظمة من لدغ لسان ابن حزم

سيد الأنبياء هو ولد كافر وكافرة!!

نحن لا يسعنا إيقاف القارئ على كلّ ما في الفصل من الطامّات ولا على شطرٍ مهمٍّ منه؛ إذ جميع أجزائه - ولا سيّما الجزء الرابع - مشحونٌ بالتحكّم والتقول والتحريف والتدجيل والإفك والزور.

وأما ما فيه من القذف والسباب المقذع فلا نهاية له. ولا يسلم أحدٌ من لدغ لسانه لا في فصله ولا في بقية تأليفه حتّى نبيّ العظمة؛ قال في الإحكام^(٣):

قد غاب عنهم - يعني الشيعة - أنّ سيّد الأنبياء هو ولد كافر وكافرة .

٢- أنظر ص ٤٩ و ٥٠ من كتابنا هذا.

١- النور: ١٩.

٣- الإحكام في أصول الأحكام ٥: ١٧١ [١٦٠/٥].

أيساعده في هذه القارصة أدب الدين ، أدب التأليف ، أدب العلم ، أدب العفة؟
وقال العاصمي في زين الفتى عند بيان وجه الشبه بين النبي والمرضى صلى الله
عليهما وآلهما:

أما تشبيه الأيوين في الحكم والتسمية ، فإن النبي في كثرة ما أنعم الله تعالى
عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه ، وعلى هذا جمهور المسلمين^(١)
إلا شذمة قليلون لا يلتفت إليهم . فكذاك المرضى فيما أكرمهم الله به من
الأخلاق والخصال وفنون النعم والأفعال لم يرزقه إسلام أبويه .
«الَّذِينَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِرُّ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ»^(٢)

- ٤ -

الحط من مقام النبوة والترفع لمقام معاوية

عن أبي هريرة مرفوعاً: «الأمناء عند الله ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية» .
قال الخطيب والنسائي وابن حبان^(٣):

هذا الحديث باطل موضوع .

وعن واثلة مرفوعاً: «إن الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا ومعاوية ، وكاد أن
يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربي ، يغفر الله لمعاوية ذنوبه ، ووقاه
حسابه ، وعلمه كتابه ، وجعله هادياً مهدياً وهدى به» . أخرجه ابن عساكر^(٤) عن رجل .
قال الحاكم: سئل أحمد بن عمر الدمشقي - وكان عالماً بحديث الشام - عن هذا الحديث فأنكره جداً .
قال الأميمي: أحسب أن رواة السوء أرادوا خطأ من مقام النبوة لا ترفيعاً لمقام معاوية ،

١ - أفك الرجل على جمهور المسلمين ؛ فإن الإمامية والزيدية على بكرة أبيهم ومن هذا حذوهم من محقق أهل السنة
ذهبوا إلى إسلام والدي النبي الأقدس ، ومن شد عنهم فلا يؤبه به ولا يلتفت إليه .

٢ - القمر : ٢٥ ، ٢٦ .
٣ - كتاب المروحين [١٤٦ / ١] .

٤ - [مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٥ ؛ وأورده السيوطي مستنداً في لآليه ٤١٩ / ١] .

لما نعلمه من البون الشاسع بين مرتبة النبوة التي تعتقد بها المسلمون وبين متبوءاً هذا المقعي على أنقاض مستوى الخلافة؛ فنسائل القوم عن الذي أوجب له هذا المقام الشاخص: أهو أصله الزاكي تلك الشجرة الملعونة في القرآن ولسان نبيّه؟! أم فرعه الغاشم الظلوم؟! أم دُؤوبه على الكفر إلى ما قبل وفاة النبي ﷺ بأشهر قلائل؟! أم محاربته خليفة وقته المفترضة طاعته عليه، وقد بايعه أهل الحل والعقد ورضي به المسلمون، فشهر السيف أمامه، وأراق الدماء المحرّمة؟! أم بوائقه أيام استحواذه على الملك، من قتل الأبرياء الأخيار كحجر بن عدّي وأصحابه، وقتل عمرو بن حمق الخزاعي، إلى كثيرين من أمثالهم، ومن قنوته بلعن أمير المؤمنين والحسن والحسين ولمة من صفوة المؤمنين، وحمله سمسرة الأهواء على الوقعة في أهل بيت النبوة، وافتعال رواة الجرح فيهم، وخلق أحاديث الثناء في الأمويين، واستلحاقه زياداً مراغماً للحديث الثابت عند الأمة جمعاء: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وأخذ البيعة ليزيد، ذلك الماكن الخائن السكّير، وتسليطه على الأعراض والدماء، وإدمانه على هذه المخاريق وأمثالها، التي سوّدت صحيفة التاريخ حتى أفعمت كأس بغيه واخترمته منيته؟!

ومتى كان معاوية للعلم والقرآن وهو لا يحسن آية واحدة؟! كقوله سبحانه:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُزِلِّي الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾^(١).

أو لم يكن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من أولي الأمر على أي من التفسيرين؟!

وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾^(٢).

وكقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا

وَإِنَّمَا سُبْنَاءُ﴾^(٣).

إلى آيات كثيرة تشنّع على ما كان عليه من الطامّات. وهل يؤتمن على القرآن وهو لا يعمل بآية منه ولا يقيم حدوده؟! ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(١). ﴿وَمَنْ يَغْصِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢).

وهل علّمه المتكثّر الذي كاد به أن يُبعث نبياً كان يدعوّه إلى عداء العترة الطاهرة؟! وإلى تلکم البوائق المخزية؟! والفواحش المبيّنة التي حفظها التاريخ عنه وعن أرباب تلك الجباه السود؟! وقد حفظ لنا التاريخ قتله الذريع لشيعه أمير المؤمنين بالكوفة خاصّة وفي أرجاء المملكة عامّة، وأمّا أذاه المعكّر لصفو حياة شيعة آل الله فحدّث عنه ولا حرج^(٣).

ثمّ نسائل الرواة عن الأمانة التي استحقّ بها معاوية أن يكون ثالثاً للنبيّ وجبرئيل وأمناء الله؛ أهى أمانته على الكتاب؟! وقد خالفه. أم على السنّة؟! ولم يعمل بها. أم على الدماء؟! وقد أراقها. أم على العترة الطاهرة؟! وقد اضطهدّها. أم على أمن الأئمّة؟! وقد أقلقه. أم على الصدق؟! وقد باينه. أم على المين؟! وقد حثّ عليه. أم على المؤمنين؟! وقد قطع أوصالهم. أم على الإسلام؟! وقد ضيّعه. أم على الأحكام؟! وقد بدّلها. أم على الأعواد؟! وقد شوّھها بلعن أولياء الله المقرّبين عليها. أم؟ أم؟ أم؟

أبهذه المخازي مع لداتها كاد أن يُبعث معاوية نبياً كما اختلقته رواية السوء؟! زه بهذه النبوة التي يكاد أن يكون مثل هذا الرجل حاملاً لأعبائها!

قد خم ريش سفيد اشک دما دم يحيی

توبه اين حالت اگر عشق نبازی چه شود

وليت رواية السوء كانوا قد أجمعوا آراءهم على حديث الأرز ولم يعدوه، ولم يهبوا

٢- النساء: ١٤.

١- الطلاق: ١.

٣- [عرفان معاوية بعجره ويجره على ما يستحقّ أنظر تلخيص الغدير / ١٠٥٢].

النبوة لمثل معاوية، وكان فيه غنى وكفاية في عرفان النبوة وفضلها؛ وهو:
«لو كان الأرز حيواناً لكان آدمياً، ولو كان آدمياً لكان رجلاً صالحاً، ولو كان
صالحاً لكان نبياً، ولو كان نبياً لكان مرسلًا، ولو كان مرسلًا لكان أنا^(١)».

- ٥ -

تغير وجهه ﷺ مقاديره المولى سبحانه!

أخرج الحكيم الترمذي كما في مرقاة الوصول^(٢) قال: حدثنا رزق الله بن موسى
الباجي البصري، قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل - العدوي البصري - قال: حدثنا حماد
بن سلمة، قال: حدثنا سعيد بن جهمان البصري عن سفينة مولى أم سلمة، قال: كان
رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح أقبل على أصحابه فقال: أيكم رأى الليلة رؤيا؟ قال:
فصلّى ذات يوم الصبح ثم أقبل على أصحابه فقال: أيكم رأى الليلة رؤيا؟ فقال رجل:
أنا يا رسول الله! رأيت كأن ميزاناً أدلي من السماء فوضعت في كفة الميزان ووضع
أبو بكر في كفة أخرى فرجحت بأبي بكر فرفعت. وترك أبو بكر فجيء بعمر فوضع في
الكفة الأخرى فوزن بأبي بكر فرجح أبو بكر بعمر، ورفع أبو بكر وترك عمر مكانه،
فجيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى فرجح عمر بعثمان. ورفع عمر وترك عثمان مكانه
فجيء بعلي فوضع في الكفة الأخرى فرجح عثمان بعلي ورفع الميزان. فتغير وجه رسول
الله ﷺ ثم قال: خلافة نبوة ثلاثين عاماً ثم تكون ملكاً.

رجال إسناده:

١ - رزق الله البصري، المتوفى (٢٥٦، ٢٦٠)؛ قال الأندلسي: «روى أحاديث
منكرة وهو صالح لا بأس به»^(٣).

١ - قال الصغاني: «موضوع»؛ كشف الخفاء ٢: ١٦٠ [رقم ٢١٠٩].

٢ - تهذيب التهذيب ٣: ٢٧٣ [٢/٢٣٥].

٢ - مرقاة الوصول: ١١٢.

٢ - مؤمل العدوي البصري، المتوفى (٢٠٦)؛ قال أبو حاتم^(١): «صدوق شديد في السنة كثير الخطأ». وقال البخاري: «منكر الحديث»^(٢).

٣ - سعيد بن جهمان البصري، المتوفى (١٣٦)؛ قال أبو حاتم^(٣): «يكتب حديثه ولا يحتج به». وقال الساجي: «لا يُتابع على حديثه»^(٤).

قال الأميني: «وَنَزِلُ لِلْمُطَفِّينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَرْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٥).

هذه الميزان التي جاء بها البصريون وأدليت من سماء البصرة في منجمها عين، وفي إحدى كفتيها شول، وفي لسانها عوج؛ «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»^(٦). «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ»^(٧).

كيف يوزن في ميزان العدل والنصفة رسول الله ﷺ وهو مع ابن أبي قحافة الذي ليس إلا أبو بكر؟! أي خلائق كريمة؟! أي نفسيات طاهرة؟! أي ملكات فاضلة؟! أي حكم علمية أو عملية؟! أي عوارف ومعارف راقية؟! أي بصيرة نافذة؟! أي علم؟! أي شجاعة؟! أي عصمة؟! أي قداسة؟! أي عظمة؟! أي عزم؟! أي حزم؟! أي أي جعلت في كفة جعل فيها أبو بكر؟!

هل هذه الموازنة يقبلها الواجدان والمنطق حتى يقال بالرجحان في إحدى كفتي

١ - الجرح والتعديل [٣٧٤/٨، رقم ١٧٩].

٢ - ميزان الاعتدال ٢: ٢٢١ [٢٢٨/٤، رقم ٨٩٤٩]؛ تهذيب التهذيب ١٠: ٣٨١ [٣٣٩/١٠].

٣ - الجرح والتعديل [١٠/٤، رقم ٣٠].

٤ - ميزان الاعتدال ١: ٣٧٧ [١٣١/٢، رقم ٣١٤٩]؛ تهذيب التهذيب ٤: ١٤ [١٣/٤].

٥ - المطففين: ١ - ٦.

٦ - الزمر: ٩.

٧ - الرعد: ١٦.

الميزان؟! ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَتَّقُهُونَ حَدِيثًا﴾^(١).

ثم كيف رجح أبو بكر بعمر وإنهما كانا عكسي بعير في الفضائل كلها أيام حياتهما، غير أن فتوحات عمر وأيديه في بسط الإسلام في أرجاء العالم لا تُنسى، ولم تزل تُذكر في صفحات التاريخ؛ فله فضيلة الرجحان على أبي بكر إن وزنا بميزان غير معيبة.

وكيف فصل بين النبي الأعظم وبين أمير المؤمنين في الميزان؟! وهو نفسه بنص القرآن الكريم، وله العصمة بحكم الكتاب العزيز، وهو وارث علمه، وباب حكمته، وهو عدل التران وخليفة نبي الإسلام بقوله ﷺ: «إني خلف فيكم اثنين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

وأبي فضيلة رابية لعثمان جعلت في كفة الميزان ورجح بها على علي رديف رسول الله ﷺ في فضائله؟! أنا لا أدري.

ثم إن كان التعبير الذي عزوه إلى رسول الله ﷺ حقاً فهو لا محالة بتقدير من الله تعالى ومشية منه رعاية للنظام الأصلح؛ فلماذا تغير وجهه ﷺ مما قدره المولى سبحانه وشاء وأحبه؟! ولم تكن له غاية إلا الحصول على مرضاته والدعوة إليها وإيقاف الأمة عليها. أوليس هذا مما ينافي عصمته ويضاد مقامه الأسنى؟!

لكن الغلو في الفضائل قد يصحح أمثال ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

- ٦ -

الشيطان يخاف من عمر وما يخاف رسول الله ﷺ !!

النبي يروقه النظر إلى الراقصات والاستماع لأهازيجهن وشهود المعازف !!

١ - عن بريدة: «خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت

جارية سوداء فقالت: يا رسول الله! إني كنت نذرت إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين

يديك بالدفّ وأتغنى. فقال رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا. فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدفّ تحت استها ثم قعدت عليها؛ فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر! إنني كنت جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدفّ!.

وفي لفظ أحمد: «إن الشيطان ليفرق منك يا عمر!»^(١).

٢- عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ جالساً فسمعنا لغطاً وصوت صبيان. فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشية تزفن - أي ترقص - والصبيان حولها؛ فقال: يا عائشة تعالي فانظري. فجئت فوضعتُ لحيي على منكب رسول الله ﷺ فجعلتُ أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: أما شبعت؟ أما شبعت؟ فجعلتُ أقول: لا لأنظر منزلي عنده، إذ طلع العمر فأرفض الناس عنها. فقال رسول الله ﷺ: إنني لأنظر شياطين الجن والإنس قد فرّوا من عمر. قالت: فرجعتُ»^(٢).

٣- روى أبو نصر الطوسي في اللمع^(٣): «أن النبي ﷺ دخل بيت عائشة رضي الله عنها، فوجد فيه جاريتين تغنيان وتضربان بالدفّ فلم ينهما عن ذلك. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين غضب: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله؟ فقال ﷺ: دعهما يا عمر؛ فإن لكل قوم عيداً».

قال الأميني: لا حاجة لنا إلى البحث عن إسناد هذه الروايات فإن في متونها من

١- مسند أحمد ٥: ٣٥٣ [٤٨٥/٦، ح ٢٢٤٨٠]؛ سنن الترمذي ٢: ٢٩٣ [٥٨٠/٥، ح ٣٦٩٠] وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

٢- سنن الترمذي ٢: ٢٩٤ [٥٨٠/٥، ح ٣٦٩١] وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»؛ الرياض النضرة ٣:

٢٠٨ [٢٥٥/٢]. ٣- اللمع: ٢٧٤ [٣٤٥، رقم ١٥٣].

الحزاية ما فيه غنى عن ذلك. فدع الترمذي يستحسن إسناد ما رواه ويصحّحه، ودع الحفاظ يملؤون عياب علمهم بعيوب مثلها.

لقد عزب عن المساكين أنّ ما تحرّوه من إثبات فضيلة للخليفة الثاني يجلب الفضائح إلى ساحة النبوة تقدّست عنها.

فأيّ نبيّ هذا يروقه النظر إلى الراقصات والاستماع لأهازيجهنّ وشهود المعازف؟! ولا يقنعه ذلك كلّ حتّى يُطلع عليها حليته عائشة، والناس ينظرون إليهما من كُتب، وهو يقول لها: شبعت؟ شبعت؟ وهي تقول: لا، لعرفان منزلتها عنده! ولا تزعه أبهة النبوة عن أن يقف مع الصبيان للتطلّع على مشاهد اللهو شأن الذنابي والأوباش وأهل الخلاعة والمجون وقد جاءت شريعته المقدّسة بتحريم كلّ ذلك بالكتاب والسنة الشريفة!؟

١ - هذا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١).

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن مردويه من طريق عائشة مرفوعاً: «إنّ الله تعالى حرّم القينة وبيعها وثنها وتعليمها والاستماع إليها». ثمّ قرأ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾^(٢).

وعن ابن مسعود أنّه سُئل عن قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: «هو والله الغناء»^(٣).

٢ - يُنذر الله تعالى أمة محمد ﷺ في الكتاب العزيز بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾^(٤)؛ قال

١ - لقمان: ٦.

٢ - الدر المنثور ٥: ١٥٩ [٥٠٤/٦]، تفسير الآلوسي ٢١: ٦٨.

٣ - راجع جامع البيان ٢١: ٣٩ و ٤٠ [ج ١١/ج ٢١/٦١]؛ المستدرک علی الصحیحین ٢: ٤٤١ [٤٥٥/٢]، ح ٣٥٤٢.

٤ - النجم: ٦١.

عكرمة عن ابن عباس، إنه قال: «هو الغناء بلغة حمير؛ يُقال: سمد لنا أي غن لنا. ويقال للقينة: اسمدينا أي: ألهينا بالغناء»^(١).

٣- وفي خطاب الله العزيز قوله تعالى لإبليس: «وَأَسْتَفْزِزْ مَنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ»^(٢).

قال ابن عباس ومجاهد: «إنه الغناء والمزامير واللهو»^(٣).

الغناء والمعارف في السنة:

١- عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: «ثمن القينة سحت، وغناؤها حرام، والنظر إليها حرام، وثمنها من ثمن الكلب، وثن الكلب سحت»^(٤).

٢- مرفوعاً: «ليكوننَّ في أمّتي قوم يستحلّون الخمر والخمر والمعارف»^{(٥)(٦)}.

٣- عن أنس وأبي أمامة مرفوعاً: «بعثني الله رحمة وهدى للعالمين، وبعثني بمحقق المعارف والمزامير وأمر الجاهليّة»^(٧).

٤- عن أنس بن مالك مرفوعاً: «من جلس إلى قينة يسمع منها صُبَّ في أذنه الآنك»^(٨) يوم القيامة»^(٩).

١- جامع البيان ٢٨: ٤٨ [مج ١٣/ ج ٨٢/ ٢٧]؛ الجامع لأحكام القرآن ١٧: ١٢٢ [١٧/ ٨٠].

٢- الإسراء: ٦٤.

٣- جامع البيان ١٥: ٨١ [مج ٩/ ج ١١٨/ ١٠، ١٨٧]؛ الجامع لأحكام القرآن ١٠: ٢٨٨.

٤- المعجم الكبير [١/ ٧٣، ح ٨٧]؛ إرشاد الساري للقسطلاني ٩: ١٦٣ [١٣/ ٣٥١].

٥- في حواشي الديماطي: «المعارف»: الدفوف وغيرها مما يضرب به. ويطلق على الغناء عزف وعلى كلّ لعب؛ نيل

الأوطار ٨: ٢٦١ [٨/ ١٠٩]. ٦- صحيح البخاري [٥/ ٢١٢٣، ح ٥٢٦٨].

٧- جامع بيان العلم لابن عبد البر ١: ١٥٣ [ص ١٨٣، ح ٩٣٧]؛ الدر المنثور ٢: ٣٢٣ [٣/ ١٧٨].

٨- «الآنك»: الرصاص.

٩- الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٥٣ [١٤/ ٣٧]؛ نيل الأوطار ٨: ٢٦٤ [٨/ ١١٣].

٥ - قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إِنَّمَا بُعِثْتُ بِكسر الدفِّ والمزمار»؛ فخرج الصحابة رضوان الله عليهم يأخذونها من أيدي الولدان ويكسرونها^(١).

الغناء في المذاهب الأربعة:

١ - حرّمه إمام الحنفيّة وعدّه وسماحه من الذنوب؛ وهذا مذهب مشايخ أهل الكوفة: سفيان، وحمّاد، وإبراهيم، والشعبي، وعكرمة.

٢ - عن مالك إمام المالكيّة أنّه نهى عن الغناء وعن استماعه؛ وهو مذهب سائر أهل المدينة إلّا إبراهيم بن سعد وحده.

٣ - ونقل التحريم عن جمع من الحنابلة على ما حكاه شارح المقنع. وعن عبد الله ابن الإمام أحمد أنّه قال: سألتُ أبي عن الغناء؛ فقال: ينبت النفاق في القلب لا يعجبني. ثمّ ذكر قول مالك: «إِنَّمَا يَفْعَلُهُ عِنْدَنَا الْفَسَّاقُ».

٤ - وصرّح أصحاب الشافعي العارفون بمذهبه بتحريمه، وأنكروا على من نسب إليه حلّه كالقاضي أبي الطيّب، وله في ذمّ الغناء والمنع عنه كتاب مصنّف، والطبري والشيخ أبي إسحاق في التنبيه^(٢).

وفي مفتاح السعادة^(٣).

وقد قيل: التلذّذ بالغناء وضرب الملاهي كفرٌ.

قال الأميني: لعلّ القائل أخذ بما أخرجه أبو يعقوب النيسابوري من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «استماع الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق، والتلذّذ بها كفر»^(٤).

١ - بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري لأبي محمّد ابن أبي جرة الأزدي ٢: ٧٤.

٢ - تلبيس إبليس لابن الجوزي (نقد العلم والعلماء): ٢٤٢ - ٢٤٦ [٢٢٨ - ٢٣١]؛ الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٥١ و ٥٢ و ٥٥ و ٥٦ [٣٦/١٤ - ٣٩]؛ الدرّ المشور ٥: ٥٩ [٥٠٤/٦ - ٥٠٧].

٣ - مفتاح السعادة ١: ٣٢٤ [٣٧٦/١].

٤ - نيل الأوطار ٨: ٢٦٤ [١١٣/٨].

نظرة في الأحاديث المعنونة:

هذا شأن الغناء والملاهي، وتلك ما يؤثر عن نبي الإسلام ﷺ؛ أفن المعقول إذاً أن تعزى إليه تلك المساحة المزرية بعصمته، المسقطة لمحله، المسفة به إلى هوّة الجهل؟! ثمّ يُحسب أن الذي تدمّر منها وتجهّم أمام الباطل ودحضه هو عمر فحسب دون رسول الله ﷺ؟! وما هذا الشيطان الذي كان يفرّق^(١) من عمر وما كان يخاف رسول الله ﷺ؟! أيّ نبيّ هذا وهو يسمع الملاهي، وترقص بين يديه الرقاصة الأجنبية، وتضرب بالدفّ وتغني، أو يوقف هو حليلته على تلك المواقف المحزنة، ثمّ يقول: «لست من ددٍ ولا الدد^(٢) مني»، أو يقول: «لست من ددٍ ولا دد مني»، أو يقول: «لست من الباطل ولا الباطل مني»^(٣)؟

أيّ عظيم هذا يرى في بيته غناء الجوّاري وضربهنّ بالدفّ ولا ينبس ببنت شفة غير أن عمر يغضبه ذلك ويقول: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله؟! أليس هذا النبيّ هو الذي كان سمع مزماراً يضع إصبعيه على أذنيه ونأى على الطريق؟! قال نافع: سمع عبدالله بن عمر مزماراً فوضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق وقال لي: يا نافع! هل تسمع شيئاً؟ فقلت: لا؛ فرفع إصبعيه من أذنيه وقال: كنت مع رسول الله ﷺ فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا^(٤).

ألا تعجب من رسول الله ﷺ والحبشة تلعب في مسجده الشريف أشرف بقاع الدنيا وتزفن وتغني وهو ﷺ وحليلته ينظران إليها، وعمر ينهاهنّ، ويقول النبيّ ﷺ: دعهنّ

١ - «يفرق»: يخاف. ٢ - «الدّد»: اللهو واللعب.

٣ - أخرجه البخاري في الأدب [الأدب المفرد/٢١٦، ح ٨٠٦]، والبيهقي [في سنة ٢١٧/١٠]؛ والخطيب، وابن

عساكر؛ راجع كنز العمال ٧: ٣٣٣ [٢١٩/١٥، ح ٤٠٦٦٤]؛ فيض القدير ٥: ٢٦٥ [ح ٧٢٤١].

٤ - سنن أبي داود ٢: ٣٠٤ [٢٨١/٤، ح ٤٩٢٤]؛ سنن البيهقي ١٠: ٢٢٢؛ تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٠٦ و ٢٨٤

[١٦٩/٢٦، رقم ٣٠٦٨، ٣٥/٢٧، رقم ٣١٥٣].

يا عمر؟!

أصحیح ما جاء عن النبي الأقدس ﷺ من قوله بعدة طرق: «جنبوا مساجدكم صبيانكم، ومجانينكم، وشراءكم، وبيعكم، وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم»؟

وقوله ﷺ: «من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك؛ فإن المساجد لم تبن لهذا»؟! أخرجه ^(١) مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي؟ وما أخرجه ^(٢) مسلم والنسائي وابن ماجه عن بريدة: أن رجلاً نشد في المسجد الجمل، فقال رسول الله ﷺ: «لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما بنيت له»؟ وقوله ﷺ: «سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة»؟ أخرجه ابن حبان في صحيحه ^(٣).

وقوله ﷺ: «لا تتخذوا المساجد طرقاً إلا لذكر أو صلاة» ^(٤)؟

وما ظنك بنبي العصمة يحول المولى سبحانه بينه وبين ما يهتبه من سماع المعارف والمزامير قبل بعثته ^(٥) تشريفاً له وتعظيماً لمكانته من القداسة، ويخليه واسع السرب

١ - صحيح مسلم [٣٩/٢، ح ٧٩، كتاب المساجد]؛ سنن أبي دود [١٢٨/١، ٤٧٣]؛ سنن ابن ماجه [٢٥٢/١، ح ٧٦٧]؛ سنن الترمذي [١٣٩/٢، ح ٣٢٢].

٢ - صحيح مسلم [٣٩/٢، ح ٨٠، ص ٤٠، ح ٨١ كتاب المساجد]؛ السنن الكبرى [٢٦٣/١، ح ٧٩٦]؛ سنن ابن ماجه [٢٥٢/١، ح ٧٦٥].

٣ - الإحسان في صحيح ابن حبان [١٦٢/١٥، ح ٦٧٦١].

٤ - جمع هذه الأحاديث وأمثالها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ١: ٨٩ - ٩٢ [١٩٦/١ - ٢٢٥].

٥ - دلائل النبوة لأبي نعيم ١: ٥٨ [٢٣٦/١، ح ١٢٨]؛ أعلام النبوة للماوردي: ١٤٠ [ص ٢١١، باب ١٩]؛ تاريخ الطبري ٢: ١٩١ [٢٧٩/٢]؛ الكامل لابن الأثير ٢: ١٤ [٤٧١/١]؛ عيون الأثر لابن سيد الناس ١: ٤٤ [٦٥/١]؛ تاريخ ابن كثير ٢: ٢٨٧ [٣٥٠/٢]؛ الخصائص الكبرى ١: ٨٨ [١٤٩/١]؛ السيرة الحلبية ١: ١٣٢ [١٢٢/١].

رخي البال، بعد مبعثه الشريف يسمع غناء الأجنبية وهي تزفن^(١)؟! وهل معي إلى طامة أخرى من الزركشي في الإجابة^(٢)، الذي عدّ فيها من خصائص عائشة:

أن رسول الله ﷺ كان يتبع رضاها كلعبها باللعب، ووقوفه في وجهها لتنظر إلى

الحبشة يلعبون. واستنبت العلماء من ذلك أحكاماً كثيرة فما أعظم بركتها!

أو هل يريد هذا الرجل إثبات مآثرة لعائشة؟ أو ذكر مزلّة لبعليها؟

وهل كان ﷺ يتبع رضاها في المشروع؟ أو كان أتباعه أعمّ من ذلك؟ معاذ الله.

وهل من الممكن أن يتبع رضاها حتى في نقض ما جاء به هو من الشريعة الإلهية؟!

وأيّ حكم يستنبط من مثل هذا المدرك الساقط؟! فرحاً بالكاتب، وزهٍ بالعلماء

المستنبتين، وكثر الله أمثال هذه البركات، لاكثرها.

ثم هل النذر يبيح المحظور؟! وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: «لا نذر في معصية

ولا نذر فيما لا يملك ابن آدم»^(٣).

وقال ﷺ: «لا نذر إلا فيما يُبتغى به وجه الله تعالى»^(٤).

أو ليس من شرط انعقاد النذر على هذا، الرجحان في متعلّقه وكونه ممّا يُبتغى به

وجه الله ليكون مقرباً إليه سبحانه زلفى، فيصحّ للناذر أن يقول: لله عليّ كذا؟!

فأيّ رجحان في ضرب المرأة الأجنبية الدفّ بين يدي الرجل الأجنبي وفي غنائها

ورقصها أمامه؟!

١ - «الزفن»: الرقص]. ٢ - الإجابة: ٦٧ [٦٣، باب ١].

٣ - صحيح مسلم ٢: ١٧ [٤٦٢/٣، ح ٨، كتاب النذر]؛ سنن أبي داود ٢: ٨١ [٢٢٨/٣، ح ٣٢٧٤]؛ سنن ابن

ماجة ١: ٦٥٢ [٦٨٦/١، ح ٢١٢٤]؛ سنن النسائي ٧: ١٩ و ٢٩ [١٣٦/٣، ح ٤٧٥٤].

٤ - أخرجه أبو داود [في سننه ٢/٢٥٨، ح ٢١٩٢] كما في تيسير الوصول ٤: ٢٨١ [٣٣٧/٤]؛ وأخرجه البيهقي في

السنن الكبرى ١٠: ٧٥.

إلا أن يقول القائل: إن تلك الجارية أو مسجد النبي الأعظم أباحاً لتلك المحضورات، أو الغلو في الفضائل - فضائل الخليفة - أباح أن تستساغ!

رأي عمر في الغناء:

إن تعجب فعجب أن هذه المهازئ تشعر بكرهية عمر للغناء وقد عدّه العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري^(١) نقلاً عن كتاب التهيد لأبي عمر صاحب الاستيعاب ممّن ذهب إلى إباحته في عداد عثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، ومعاوية، وعمر بن العاصي، والنعمان بن بشير، وحسان ابن ثابت.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار^(٢): «قد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين؛ فمن الصحابة: عمر». كما رواه ابن عبد البر^(٣) وغيره. وروى المبرّد والبيهقي في المعرفة كما في نيل الأوطار^(٤) عن عمر: «أنّه إذا كان داخلاً في بيته ترثّم بالبيت والبيتين».

واستدلال الشوكاني بهذا على إباحة الغناء في بعض المواقف يومي إلى أن المراد من الترثّم: التغني.

وقال ابن منظور في لسان العرب^(٥): «قد رخص عمر ﷺ في غناء الأعراب». ويُعرب عن جليّة الحال حديث خوات بن جبير الصحابي؛ قال: «خرجنا حجّاجاً مع عمر، فسرنا في ركبٍ فيهم أبو عبيدة بن الجراح وعبدالرحمن بن عوف، فقال القوم: غنّنا من شعر ضرار. فقال عمر: دعوا أبا عبدالله فليغنّ من بنيات

٢ - نيل الأوطار ٨: ٢٢٦ [١١٥/٨].

١ - عمدة القاري ٥: ١٦٠ [٢٧٢/٦].

٤ - نيل الأوطار ٨: ٢٧٢ [١٢٠/٨].

٣ - الاستيعاب [ص ٤٥٧، رقم ٦٨٦].

٥ - لسان العرب ١٩: ٣٧٤ [١٣٥/١٠].

فؤاده^(١)؛ فما زلت أغنيهم حتى كان السحر؛ فقال عمر: إرفع لسانك يا خوات فقد أسحرنا^(٢).

وعن السائب بن يزيد قال: «بينما نحن مع عبدالرحمن بن عوف في طريق مكة إذ قال عبدالرحمن لرباح: غننا. فقال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب^(٣)».

وفي لفظ ابن عساكر في تاريخه^(٤): فقال عمر: «ما هذا؟ فقال عبدالرحمن: ما بأس بهذا اللهو ونقصر عنا سفرنا. فقال عمر: إن كنت... إلى آخره».

هذا عمر وهذا رأيه وهذه سيرته في الغناء؛ فهل من المعقول أن يهابه المغنون فيجفلون عما كانوا يقترفونه، ويسمعه النبي ﷺ ولا يتحرج؟! ويرى أن الشيطان يفرق من عمر، ولا يفرق منه؟! المستعاذ بك يا الله.

وقد تروى هذه المنقبة الموهومة لعثمان فيما أخرجه أحمد في مسنده^(٥) من طريق ابن أبي أوفى قال: «استأذن أبو بكر ﷺ على النبي ﷺ وجارية تضرب بالدُّف فدخل، ثم استأذن عمر ﷺ فدخل، ثم استأذن عثمان ﷺ فأمسكت. قال: فقال رسول الله ﷺ إن عثمان رجل حيي».

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يُفْجِئُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ»^(٦).

١ - [يعني: من شعره].

٢ - سنن البيهقي ١٠: ٢٢٤؛ الاستيعاب ١: ١٧٠ [القسم الثاني: ٤٥٧، رقم ٦٨٦]؛ الإصابة ١: ٤٥٧ [رقم ٢٢٩٨]؛

كفر العمال ٧: ٣٣٥ [٢٢٨/١٥، ح ٤٠٦٩٧]. ٣ - الإصابة ٢: ٢٠٩.

٤ - تاريخ مدينة دمشق ٧: ٣٥ [٢٤/٤٠٠، رقم ٢٩٣٢].

٥ - مسند أحمد ٤: ٣٥٣ [٥/٤٧٠، ح ١٨٦٣٤؛ ص ٤٧١، ح ١٨٦٣٨].

٦ - البقرة: ٢٠٤.

- ٧ -

حظٌ من مقام الرسالة لأجل أمويٍ ساقط !

إنه بشرٌ يغضب كما يغضب البشر !!

قال ابن حجر في الصواعق^(١) :

قال ابن ظفر : وكان الحكم هذا يُرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل : كذا ذكره الدميري في حياة الحيوان^(٢) .

ولعنته ﷺ للحكم وابنه لا تضرهما ؛ لأنه ﷺ تدارك ذلك بقوله مما بينه في الحديث الآخر : «إنه بشرٌ يغضب كما يغضب البشر ، وإنه سأل ربه أن من سبه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون [ذلك]^(٣) رحمةً وزكاةً وكفارةً وطهارةً . وما نقله الدميري عن ابن ظفر في أبي جهل لا تأويل عليه فيه بخلافه في الحكم فإنه صحابي ، وقبيح أي قبيح أن يُرمى صحابيٌ بذلك ؛ فليحمل على أنه إن صح ذلك كان يُرمى به قبل الإسلام .

أنا لا أدري أيعلم ابن حجر ماذا يلوك بين أشداقه؟! أهو مجدّ فيما يقول أم هازئ؟! أمّا ما اعتذر به من : «أن لعنته ﷺ لا تضر الحكم وابنه...» . فقد أخذه ممّا أخرجه الشيخان في الصحيحين^(٤) من طريق أبي هريرة ، غير أنه حرّف منه كلاً وزاد فيه أخرى ؛ وإليك لفظه :

قال : «اللهم إنما محمدٌ بشرٌ يغضب كما يغضب البشر ، وإنّي قد اتّخذت عندك عهداً

٢ - حياة الحيوان [٤٢٢/٢] .

١ - الصواعق المحرقة : ١٠٨ [ص ١٨١] .

٢ - [من المصدر] .

٤ - صحيح البخاري ٤ : ٧١ [٢٣٣٩/٥] ، ح ٦٠٠٠ ، كتاب الدعوات ؛ صحيح مسلم ٢ : ٣٩١ [١٧٠/٥] ، ح ٩١ ،

كتاب البرّ والصلة ، وزيادة : «يوم القيامة» في ذيل الحديث .

لم تخلفنيه فأثماً مؤمن آذيتُهُ أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له كفارةً وقربةً تقربه بها إليك».

هذا حطّ من مقام الرسالة لأجل أمويٍّ ساقط، وحسبان أنّ صاحبها كإنسان عاديّ يثيره ما يثير غيره فيغضب لما لا ينبغي أن يغضب له، ومخالفٌ للكتاب العزيز من قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَتَّبِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

نعم، هو ﷺ بشر غير أنّه كما قال في الذكر الحكيم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٢)؛ فإن كان في الوحي أن يلعن الطريد وما ولد فماذا ينجيه من اللعن؟! إلا أن يحسب ابن حجر أنّ الوحي أيضاً يتبع الشهوات! كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وكيف يكون اللعن رحمةً وزكاةً وطهارةً وكفارةً وقد أصاب موضعه بأمر من الله سبحانه؟!.

وما يصنع ابن حجر بالصحيح المتضافر من أنّ سباب المسلم فسوق^(٣)؟! وكيف يسوّغ له إيمانه أن يكون رسول الله سبّاباً أو لعاناً أو مؤذياً لأحد أو جالداً لمسلم على غير حق؟! وكلّ ذلك من منافيات العصمة والله سبحانه يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ اِخْتَلَوْا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾^(٤). وجاء في الصحيح: «أنّه ﷺ لم يكن سبّاباً ولا فحاشاً ولا لعاناً». وقد أبى رسول الله ﷺ عن الدعاء على المشركين، وقال ﷺ: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»^(٥).

١- النجم: ٣-٤. ٢- الكهف: ١١٠.

٣- أخرجه أحمد [في المسند ٢/٢٤، ح ٤٢٥٠]، والبخاري [في الصحيح ٥/٢٢٤٧، ح ٥٦٩٧].

٤- الأحزاب: ٥٨.

٥- أخرجه البخاري ٩: ٢٢ [٥/٢٢٤٣، ح ٥٦٨٤]، ومسلم في صحيحه ٢: ٢٩٣ [٥/١٦٨، ح ٨٧].

فهو ﷺ كان يأمل في أولئك المشركين الهداية فلم يلعنهم ولا دعا عليهم، ولما كان لم يَزُجْ في الحَكَم وولده أيّ خير لعنهم لعناً يُبقي عليهم خزي الأبد.

نعم، رواية الصحيحين المنافي لعصمة الرسول ﷺ اختلقتها يد الهوى على عهد معاوية تزلفاً إليه، وطمعاً في رضىخته، وتحبباً إلى آل أبي العاص المقربين عنده. ومن أراد الوقوف على أبسط ممّا ذكرناه في المقام فليراجع كتاب «أبو هريرة» لسيدنا الآية السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي^(١).

هنا - العياذ بالله - ماشينا ابن حجر في أساطيره في نبيّ العصمة والقداسة، فما حيلة المغفل فيما نزل من الذكر الحكيم في الحَكَم وبنيه؟! هل فيه ضير؟! أم يراه أيضاً رحمةً وزكاةً وكفارةً وطهارةً؟!

وشتان بين رأي ابن حجر في الحَكَم وبين قول أبي بكر لعثمان فيه: «عمّك إلى النار»، وقول عُمر لعثمان: «ويحك يا عثمان! تتكلّم في لعين رسول الله وطريده وعدّو الله وعدّو رسوله؟!».

- ٨ -

رواية البخاري ومسلم تعزيه ﷺ بين الناس!!

١ - أخرج مسلم وأحمد من طريق عُقيل الأمويّ، عن الليث العثماني^(٢)، عن يحيى بن سعيد الأمويّ، عن سعيد بن العاص ابن عمّ عثمان، عن عائشة وعثمان قالا: إنّ أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه، لابس مِرْطاً^(٣) عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فقصى إليه حاجته ثمّ انصرف. ثمّ استأذن عمر، فأذن له

١ - أبو هريرة: ١١٨ - ١٢٩ [ص ٣٥ - ٤٥].

٢ - [ورد سند الحديث في صحيح مسلم، ومُسند أحمد هكذا: عن الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن يحيى بن

سعيد بن العاص ...]. ٣ - [«المِرْط»: كساء من صوف أو كتان].

وهو على تلك الحال ففضى إليه حاجته ثم انصرف. قال عثمان: ثم استأذنتُ عليه فجلس وقال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك، ففرضتُ إليه^(١) حاجتي ثم انصرفتُ. فقالت عائشة: يا رسول الله؟ ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: إنَّ عثمان رجل حيي^(٢) وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته^(٣).

٢- أخرج مسلم وغيره من طريق عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث. ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث. ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه. فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك. فقال: ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة^(٤)؟!

قال الأميني: الحياء هو انقباض النفس عما لا يلائم خطّة الشرف من الناحية الدينية أو الإنسانية. وأصله فطري للإنسان، وكماله اكتسابي يتأتى بالإيمان؛ فهو يتدرّج في الرقيّ بتدرّج الإيمان والمعرفة، فتنتهي إلى ملكة راسخة تأبى لصاحبها التورّط في المخازي كلّها؛ فيكون بها الإنسان محدوداً في أفعاله وتروكه وشهواته وميوله، وتنسبط تلكم الحدود على الأعضاء والجوارح وعلى النفس والعقل فلا يسع أياً منها الخروج عن حدّه.

١- [وفي أحد ألفاظ أحمد: «ففضى إليَّ حاجتي»].

٢- «حيي» كغني: ذو حياء. وفي شرح مسلم: أي كثير الحياء.

٣- صحيح مسلم ٧: ١١٧ [١٨/٥، ح ٢٧، كتاب فضائل الصحابة]؛ مسند أحمد ١: ٧١، و ٦: ١٥٥ و ١٦٧

[١١٤/١، ح ٥١٦؛ و ٢٢٢/٧، ح ٢٤٦٩٠؛ وص ٢٣٩، ح ٢٤٨١١].

٤- مسند أحمد ٦: ٦٢ [٩٢/٧، ح ٢٣٨٠٩]؛ صحيح مسلم ٧: ١١٦ [١٨/٥، ح ٢٦، كتاب فضائل الصحابة].

قال رسول الله ﷺ: «الاستحياء من الله حقّ الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى»^(١).

فكلّ عمل خارج عن حدود الدين والإنسانية منافع للحياء، وهو الرادع الوحيد عن الفحشاء والمنكر، وعن كلّ ما يلوّث ذيل الإنسانية والعفة والإيمان من صغيرة أو كبيرة، ومن لم يستحِ فله أن يفعل ما يشاء، وجاء في النبويّ على المحدث به وآله السلام: «إذا لم تستحِ فاصنع - فافعل - ما شئت»^(٢).

وعلى هذا فكلّ من الفحش والبذاء والكذب والخيانة والغدر والمكر ونقض العهد والتخلّع والمجون وما يجري مجراها أضداد للحياء.

وقد وقع التقابل بينها وبينه في لسان المشرّع الأعظم: منها قوله ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»^(٣). وقوله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلّا شأنه، وما كان الحياء في شيء إلّا زانه»^(٤).

إذن هلمّ معي لنسبر حياة الخليفة - عثمان - علّنا نجد فيها ما يصحّ للبرهنة على ثبوت هذه الملكة له إن لم يُكفّفنا الإيأس منها بخفيّ حنين، فارجع البصر كرّتين فيما سردناه من أفعال الخليفة وتروكه ومحاوراته وأقواله، ثمّ انظر هل تجد في شيء منها ما يدعم هذه الدعوى له فضلاً عن أن يكون أحياء الناس، أو أشدّ الأمة حياءً، أو تستحيي منه الملائكة؟!

١ - أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح [٤ / ٥٥٠، ح ٢٤٥٨] والمنذري في الترغيب والترهيب ٣: ١٦٦ [٢ / ٤٠٠، ح ١٣].

٢ - أخرجه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه [٥ / ٢٢٦٨، ح ٥٧٦٩].

٣ - أخرجه أحمد [في مسنده ٣ / ٢٩٤، ح ١٠١٣٤].

٤ - سنن ابن ماجه ٢: ٥٤٦ [٢ / ١٤٠٠، ح ٤١٨٥]؛ سنن الترمذي [٤ / ٣٠٧، ح ١٩٧٤].

أصلح شاهداً لذلك قوله لمولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «والله ما أنت عندي أفضل من مروان»؟!

هلاً كان يعلم أنّ الله عدّ عليّاً في كتابه نفس النبيّ الأقدس وقد طهره بنصّ الذكر الحكيم، ومروان طريد ابن طريد، وزغ ابن وزغ، لعين ابن لعين؟!

أو قوله له عليه السلام لما كلمه في أمر عمار ونفيه إيّاه: «أنت أحقّ بالنفي منه»؟!

أو قوله لأصحابه مروان ومن كان على شاكلته يستشيرهم في أمر أبي ذر: «أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله»؟!

وملء مسامع الصحابة قوله عليه السلام: «ما أظلت الخضراء، وما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

أو قوله لعمار لما سمع منه - رحم الله أبا ذر من كلّ أنفسنا -: «يا عاضّ أير أبيه أتراني ندمتُ على تسيره»؟! وأمر فدفع في قفاه.

وعمار جلدة ما بين عيني رسول الله وأنفه، وهو الطيّب المطيّب، ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، اختلط الإيمان بلحمه ودمه، يدور مع الحقّ حيث دار، وقد جاء الثناء عليه في الذكر الحكيم^(١).

إذا كان حقّاً ما يدّعيه عثمان لنفسه^(٢) من أنّه لم يمّس فرجه بيمينه منذ بايع رسول الله ﷺ تشريفاً ليد النبيّ الكريم، فليت شعري لماذا طفق يلوك بلسانه اسم أير ياسر أبي عمار؟! وطالما لهج بأحاديث النبوة به، ورتّل كتاب الله ترتيباً. أما كان عليه أن يكفّ لسانه عن البذاءة كرامةً للكتاب والسنة، كما ادّعى كلاءة نفسه عن ممّس فرجه كرامة

١- أنظر ص ٣١٦-٣١٨ من كتابنا هذا.

٢- [أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٠٩/٧، وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٢٩٩/٤].

ليد النبوة؟! إن لم يُداحمنا^(١) هنالك من يُنكر دعواه في اليد قياساً على ما شوهد منه في اللسان مرّة بعد أخرى.

أو مقارفته ليلة وفاة أمّ كلثوم كريمة النبيّ الاقدس؟! وكان ذلك ممقوتاً جداً لرسول الله ﷺ حتى أنّه ألح إليه بقوله: «هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة»؟ فنعه بذلك عن دفن حبيبته، وألصق به هوان الأبد.

أو تربّعه على صهوة منبر رسول الله ﷺ لما استخلف؟! وكان أبو بكر يجلس دون مقامه ﷺ بمِرْقاة ثمّ عمر دونه بمِرْقاة، وكان من حقّ عثمان الذي كان أشدّ حياءً من صاحبيه أن لا يطاء ذلك المرتقى، وأن يتّبع ولا أقلّ سيرة الشيخين في الحياء والأدب، لكنّه....

أو مخالفته الكتاب والسنة؟! كما كتب المهاجرون الأوّلون وبقية الشورى إلى من بمصر من الصحابة والتابعين: «أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يُسلّبها أهلها فإنّ كتاب الله قد بُدّل، وسنة رسوله قد غيّرت»^(٢). ورفعت عائشة نعل رسول الله ﷺ وهي تقول: «تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل». وتقول: «اقتلوا نعلنا، قتل الله نعلنا إنّه قد كفر». إلى كلمات أخرى لها ولغيرها في مخالفة الرجل الكتاب والسنة.

أو إعرابه عن تلکم الآراء الشاذّة عن الكتاب والسنة في الصلاة والصّلات والصدقات والأخماس والزكوات والحجّ والنكاح والحدود والديات بلهجة شديدة بمثل قوله: «هذا رأي رأيته»؟! وقوله: «لنأخذن حاجتنا من هذا الفیء وإن رغمت أنوف أقوام، هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم». فقال له

١ - [الدحم]: الدفع الشديد. و«داحمه»: دافعه بشدّة].

٢ - الإمامة والسياسة ١: ٣٢ [٣٧/١].

عليّ: «إذن تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه». وقال عمار: «أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك». أو قال: «أنا والله أول من رغم أنفه من ذلك»^(١).

أو حثّه الناس على الأخذ بتلك الآراء المنتهية عن ناموس الإسلام المقدّس حتّى قال له أمير المؤمنين - لما قال له عثمان: لا تراني أنهي الناس عن شيء وتفعله أنت -: «ولم أكن لأدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس» أو قال له: «لم أكن لأدع قول رسول الله ﷺ لقولك»؟! وكاد أمير المؤمنين يقتل من جرّاء تلك الأحداث.

وقد فتح بذلك باب الجرأة على الله والتقول عليه بمصراعيه، فجاء بعده معاوية ومروان وأبناء أبيه الآخرون يلعبون بدين الله لعبة الصبيان بالدوامة^(٢).

أو إيواؤه عبيد الله بن عمر لما قتل نفوساً أبرياء ولم يقتصّ منه ونقم عليه بذلك جلّ الصحابة - لو لم نقل كلّهم - ممّن يأبه به وبرأيه؟!

أو تعطيله الحدّ على الوليد بن عقبة لرحمه وقرابته منه وقد شرب الخمر وقاء في محراب المسجد الأعظم بالكوفة، حتّى وقع التهاور والتحارش بين المسلمين، واحتدم الحوار والمكالمة وتضاربوا بالنعال؟!

أو تسليطه بني أميّة رجال العيث والفساد أبناء الشجرة الملعونة في القرآن على رقاب الناس ونواميس الإسلام المقدّسة وتوطيده لهم الملك العضوض، وتأسيسه بهم حكومة أمويّة غاشمة في الحواضر الإسلاميّة؟!

أو ردّه إلى المدينة وإيواؤه عمّه وأبناءه وكان قد طردهم رسول الله ﷺ تنزيهاً لتلك الأرض المقدّسة من أولئك الأدناس الأرجاس؟!

١ - أظفر ص ٣١٢ من كتابنا هذا.

٢ - لعبة من خشب يلفّ الصبي عليها خيطاً ثمّ ينفذه بسرعة فتدوم أي تدور على الأرض. وفي اللغة الدارجة:

مرصع، وشاخة.

أو تفويضه الصالح العام إلى مروان المهتوك، وتطوره في سياسة العباد بتقلباته؟! كأن بيده مقاليد أمور الأمة حتى قال له مولانا أمير المؤمنين: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك مثل جمل الطعينة يُقاد حيث يُساربه؟». وقال: «ما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بإفساد دينك وخديعتك عن عقلك، وإني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك».

أو كتابه إلى ولاته في قتل صلحاء الأمة وحبسهم وتنكيلهم وتعذيبهم؟! أو تسييره عباد الله الصالحين من الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان من معتقل إلى معتقل، ونفيهم عن عقر دورهم من المدينة والبصرة والكوفة، وإبداؤهم بكل ما يمكنه من ضرب ووقية وتنكيل؟! مشردين نفوا عن عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر حتى هلك في تسييره سيد غفار أبو ذر الصديق المصدق بعد ما تسليخ لحوم أفخاذه من الجهد في تسييره.

هذه نبذ يسيرة قرأناها في صحيفة حياء الخليفة ليعطي الباحث المعن فيها للنصفة حقها، فيصدق السائل في جوابه: فهل يجد في شيء منها دلالة على تلغع الرجل بشيء من أبراد الحياء؟! أو يجدها أدلة واضحة على فقد هاتيك الملكة الفاضلة، ويجده متردياً بضد هذه الغريزة في كل تلکم الأحوال؟! وعلى هذه فقس ما سواها.

على أن أبا بكر كان أولى بالاستحياء منه إن صح ما ورد من رواية استحياء الله منه، وتكذيبه نبيه استحياء من أبي بكر^(١)؛ فكيف لم يهتس ﷺ له ولم يُبال به ويهتس لعثمان؟! لعثمان؟! لعثمان؟! لعثمان؟!

لنا كرة ثانية لرواية الحياء من ناحية أخرى؛ فإن مختلف هذه الأفكة أعشاء الحب

المعني والمصمّ حيث أراد إثبات فضيلة رابية للخليفة ذاهلاً أو متذاهلاً عن أن لازم ذلك سلب تلك الفضيلة عن نبيّ الاسلام ﷺ - والعياذ بالله - حيث نسب إليه ﷺ الكشف عن أفخاده بمنتهى من صحابته غير مكترث لحضورهم حتى إذا جاء الذي تستحي منه الملائكة فاستحي منه وسترها.

ونحن نقول أولاً: إنّ هذا الفعل ممّا لا يرتكبه عظماء الناس ورجالات الأمم وإنّما تجيء بمثله الطبقات الواطئة من أذنان الأعراب، فنبيّ العظمة الذي يهزأ بالطود في وقاره، ويؤزري بالبحر في معارفه، وكان كما وصفه أبو سعيد الخدري أشدّ حياءً من العذراء في خدرها^(١) وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه، وقد أدّبه الله تعالى فلم يدع فيه من شائنة، وهذبته حتى استعظم خلقه الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، لا يستسيغ ذو لبّ مؤمن به وبفضله أن يعزو إليه مثل هذا التخلّع الشائن.

على أن الشريعة التي صدع بها جعلت الأفخاذ عورة وأمرت بسترها:

١ - أخرج أحمد إمام الحنابلة في مسنده^(٣)، بالإسناد عن محمد بن جحش ختن النبي ﷺ أن النبي ﷺ مرّ على معمر^(٤) بفناء المسجد محتبياً كاشفاً عن طرف فخذه، فقال له النبي ﷺ: «خمر فخذك يا معمر؛ فإنّ الفخذ عورة».

٢ - أخرج الدارقطني في سننه^(٥) من طريق عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا صبيانكم بالصلاة في سبع سنين، واضربوهم عليها في عشر، وفرّقوا

١ - أخرجه الشيخان: البخاري في صحيحه، باب صفة النبيّ ٥: ٢٠٣ [١٣٠٦/٢، ح ٣٣٦٩]، ومسلم في صحيحه

٧٨: ٧ [٤/٤٨٨، ح ٦٧، كتاب الفضائل]. ٢ - القلم: ٤.

٣ - مسند أحمد ٥: ٢٩٠ [٣٩٢/٦، ح ٢١٩٨٨ و ٢١٩٨٩]؛ صحيح البخاري ١: ١٣٨، باب ما يذكر في الفخذ

٤ - [هو معمر بن عبد الله بن فضالة القرشي العدوي]. ١/١٤٥، باب ١١].

٥ - سنن الدارقطني [١/٢٣٠١، ح ٢]؛ مسند أحمد ٢: ١٨٧ [٣٨٧/٢، ح ٦٧١٧]؛ سنن أبي داود [١/١٣٣،

ح ٤٩٥].

بينهم في المضاجع، وإذا زوّج أحدكم أمته عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرّة وفوق الركبة، فإنّ ما تحت السرّة إلى الركبة من العورة».

هذه الأحاديث أخذها الأعلام أئمة الفقه والفتيا وذهبوا إلى أنّ الفخذ عورة، وهو رأي أكثر العلماء كما قال النووي^(١)، والجمهور كما قاله القسطلاني والشوكاني^(٢).

وفي الفقه على المذاهب الأربعة^(٣): «أمّا عورة الرجل خارج الصلاة فهي ما بين سرّته وركبته، فيحلّ النظر إلى ما عدا ذلك من بدنه مطلقاً عند أمن الفتنة».

هب أنّ النهي عن كشف الأفخاذ تنزيهيّ إلّا أنّه لا شكّ في أنّ سترها أدب من آداب الشريعة، ومن لوازم الوقار، ومقارنات الأئمة، ورسول الله ﷺ أولى برعاية هذا الأدب الذي صدع به هو.

ولا يهولئك وجود الرواية في الصحيحين؛ فإنّهما - كما قلنا عنهما - عليتا السفاسف وعيبتا السقطات، وفيهما من المخازي والمخاريق ما شوّه سمعة التأليف، وفثّ في عضد علم الحديث.

وليتّهما اقتصرنا من الخزية على رواية كشف الفخذ فحسب ولم يُخرجنا تعرّيه ﷺ بين الناس؛ أخرج البخاري في صحيحه باب بنيان الكعبة^(٤)، ومسلم في صحيحه^(٥) من طريق جابر بن عبد الله، قال: «لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعبّاس ينقلان حجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: إجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة؛ ففعل، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثمّ قام فقال: إزاري إزارى، فشدّ عليه إزاره».

١ - فتح الباري ١: ٣٨٢ [٤٨١/١]؛ نيل الأوطار ٢: ٤٩ [٧٠/٢]. وانظر شرح صحيح مسلم للنووي ٢١٩/٩.

٢ - إرشاد الساري ١: ٣٨٩ [٣٣/٢]؛ نيل الأوطار ٢: ٥٠ [٧١/٢].

٣ - الفقه على المذاهب الأربعة ١: ١٤٢ [١٩٢/١].

٤ - صحيح البخاري ٦: ١٣ [٥٧٣/٢]، ح ١٥٠٥.

٥ - صحيح مسلم ١: ١٨٤ [٣٤٠/١]، ح ٧٦، كتاب الحيض.

وفي لفظ لمسلم^(١): «إن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمّه: يابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة. قال: فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه. قال: فما روي بعد ذلك اليوم عريانا».

وفي قصّة لابن هشام في السيرة^(٢) قال: «كان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يحدث عمّا كان [الله] يحفظه به في صغره وأمر جاهليّته أنّه قال: لقد رأيْتُني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كلّنا قد تعرّى وأخذ إزاره فجعله على رقبتة يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر، إذ لکني لاکم ما أراه، لکمة وجيعة ثمّ قال: شدّ عليك إزارك. قال: فأخذته وشدّدته عليّ، ثمّ جعلتُ أحمل الحجارة على رقبتی، وإزاري عليّ من بين أصحابي».

هلمّوا معي أيّها المسلمون جميعاً نسأل هذين الرجلين - صاحبي الصحيحين - أهذا جزاء نبيّ العظمة على جهوده، وحقّ شكره على إصلاحه؟! أهذا من إكباره وتعظيمه؟! أصحيح أنّ محمّداً ﷺ كان يمشي بين ملأ العال عارياً قد نضا عنه ثيابه، وألقى عنه إزاره، غير ساتر عن المحضور عورته؟! وكان عمره ﷺ يومئذٍ خمساً وثلاثين سنة كما قال ابن إسحاق^(٣).

هَبْ أنّ رواة السوء أخرجوه لغاية مستهدفة، لكن ما المبرّر للرجلين أن يستصحّاه ويثبتاه في صحيحهما كأثر ثابت؟! أيحسبان أنّ هذا العمل الفاضح من مصاديق ما أثبتاه له ﷺ - وهو الصحيح الثابت - من أنّه ﷺ كان أشدّ حياء من العذراء^(٤)؟! وهل تجد في

١ - المصدر السابق [ح ٧٧، كتاب الحيض].

٢ - سيرة ابن هشام ١: ١٩٧ [١/١٩٤]، وما بين المعقوفين منه.

٣ - راجع سيرة ابن هشام ١: ٢٠٩ [١/٢٠٤]؛ الروض الأنف ١: ١٢٧ [٢/٢٢٨].

٤ - راجع ما مرّ ص ٨٦ من كتابنا هذا.

العدراء من يستبيح هذه الخلاعة؟! لاها الله، لاها الله.

هلمّ معي نعطف النظرة بين ما أثبتته الصحيحان على رسول الله ﷺ وبين ما جاء به أحمد في مسنده^(١) عن الحسن البصري؛ أنّه ذكر عثمان وشدة حياته فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه^(٢).

أنظر إلى حياء نبيّ العصمة والقداسة، وحياء وليد الشجرة المنعوتة في القرآن، وشتان بينهما!!

أوليس هذا النبيّ الأعظم هو الذي سأله معاوية بن حيدة فقال له: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟! قال ﷺ: «إحفظ عورتك إلّا من زوجتك أو ما ملكت يمينك». قال: فإذا كان القوم بعضهم في بعض؟! قال: «إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها». قال: فإذا كان أحدنا خالياً؟! قال: «فالله تبارك وتعالى أحقّ أن يُستحيا منه»^(٣).

لقد أغرق ﷺ نزعاً في ستر العورة حتّى أنّه لم يرض بكشفها والمرء خالٍ حياءً من الله تعالى، واستدلّ به من قال: إنّ التعرّي في الخلاء غير جائز مطلقاً^(٤). لكن من عذيري من صاحبي الصحيحين حيث يحسبان أنّه ﷺ كشفها بلاء من الأشهاد؟! والله من فوقهم رقيب.

وأعجب من الكلّ أنّه ﷺ كان يرى لعورة الصغير حرمة كما جاء في صحيح

١ - مسند أحمد ١: ٧٤ [١/١١٨، ح ٥٤٤].

٢ - وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ١٧٧ [١/٣٠٤، رقم ٤] والمحَبّ الطبري في الرياض ٢: ٨٨ [٣/١٢].

٣ - قال ابن تيمية في المنتقى: «رواه الخمسة إلّا النسائي» [صحيح البخاري ١/١٠٧، باب ٢٠؛ سنن ابن ماجه

١/٦١٨، ح ١٩٢٠؛ سنن الترمذي ٥/٩٠، ح ٢٧٦٩؛ سنن أبي داود ٤/٤١، ح ٤٠١٧].

٤ - راجع نيل الأوطار ٢: ٤٧ [٢/٦٩].

أخرجه الحاكم في المستدرک^(١) من طريق محمد بن عياض، قال: رفعت إلى رسول الله ﷺ في صغري وعليّ خرقة وقد كشفت عورتني، فقال: «غَطُّوا حُرْمَةَ عَوْرَتِهِ فَإِنَّ حُرْمَةَ عَوْرَةِ الصَّغِيرِ كَحُرْمَةِ عَوْرَةِ الْكَبِيرِ، وَلَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى كَاشِفِ عَوْرَةٍ».

وَأُنِّي يَصَحَّ حَدِيثُ الشَّيْخِينَ إِنْ صَحَّ مَا مَرَّ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ مِنْ قِصَّةِ لَعْبِهِ ﷺ مَعَ الْغُلَّامَانِ فِي صَغَرِهِ وَقَدْ حُلَّ إِزَارُهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِذْ لَكُمَهِ لَكُمْ فَأَوْجَعَهُ، وَهَتَفَ بِقَوْلِهِ: شَدَّ عَلَيْكَ إِزَارُكَ؟! أَبْعَدَ تَلَكُمُ اللَّكْمَةُ وَذَلِكَ الْهَتَافُ عَادَ ﷺ إِلَى مَا نَهَى عَنْهُ لَمَّا كَبُرَ وَبَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ؟!

وَكَيْفَ يَتَّفَقُ حَدِيثُ الشَّيْخِينَ مَعَ مَا أَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ ﷺ يَغْتَسِلُ وَرَاءَ الْحَجَرَاتِ وَمَا رَأَى أَحَدَ عَوْرَتِهِ قَطُّ»؟! وَقَالَ: «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ»^(٢). وَأَبْلَغَ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْقَاضِي عِيَّاضُ فِي الشِّفَا^(٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ فَرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطُّ».

كُونِي أَنْتِ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَكَمَاءً عَدْلًا بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَوَاةِ السِّفَاسِفِ، وَاحْكُمِي قِسْطاً فِيمَنْ يَعْزُو إِلَى بَعْلِكَ الْمُقَدَّسِ مِمَّا يُرْبِي بِنَفْسِهِ عَنْهُ كُلَّ سَافِلٍ سَاقِطٍ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَرِ عَوْرَتَهُ قَطُّ أَحَدٌ حَتَّى حَلِيلَتُهُ، وَأَنْتِ مَنْ أَطْلَعَ النَّاسَ عَلَى خُلُواتِهِ وَسَرِّيَّاتِهِ، كَانَ يَحْمِلُ الْحَجَرَ بَيْنَ الْعَمَّالِ عَارِيًّا وَقَدْ حُلَّ إِزَارُهُ وَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكَبِيهِ!

أَيُّهَا صَاحِبُ عَنْكَ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا أَسْنَدُوهُ إِلَيْكَ؟! أَحَدِيْثُكَ هَذَا؟! أَمْ مَا حَدَّثْتَ بِهِ - إِنْ كُنْتَ حَدَّثْتَ بِهِ - مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ مَشْفُوعاً بِمَا ثَبَتَ عَنْ بَعْلِكَ ﷺ مِنْ أَنَّ الْفَخْدَ عَوْرَةٌ؟!

لَفَتَ نَظْرُ: يُعْطِينَا سِرَّ التَّارِيخِ وَالْحَدِيثِ خُبْرًا بِأَنَّ السَّيْرَةَ الْمُطْرَدَةَ لِرِجَالِ الْوَضْعِ

١ - المستدرک علی الصحیحین ٣: ٢٥٧ [٢/٢٨٨، ح ٥١١٩].

٢ - راجع فتح الباری ٦: ٤٥٠ [٦/٥٧٧]؛ شرح المواهب للزرقانی ٤: ٢٨٤.

٣ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ٩١ [١/١٥٩].

والاختلاق في شنشنة التقول والافتعال في الفضائل هي العناية الخاصة بالملكات التي كان يفقدها الممدوح رأساً، والمبالغة والإكثار في كل غريزة ثبت خلافها مما علم من تاريخ حياة الرجل ومن سيرته الثابتة المشهورة؛ فنجدهم يبالغون في شجاعة أبي بكر بما لا مزيد عليه حتى حسبوه أشجع الصحابة، وقد شهد مشاهد النبي ﷺ كلها وما سلّ فيها سيفاً، ولا نزل في معترك قتال، ولا تقدّم لبراز أي مجالد، وما رُئي قطّ مناضلاً، وما شوهده يوماً في ميادين الحراب منازلًا، فأكثروا القول فيها وجأؤوا بأحاديث خرافة في شجاعته رجاء أن يثبت له منها شيء، تجاه تلك الدراية الثابتة بالمحسوس المشاهد^(١).

ويبالغون في زهده وتقواه وجعلوا كبده مشويّاً من خوف الله والدخان يتصاعد من فمه إلى السماء مهما تنفّس، ولم يثبت له ميز في العبادة ولم يُرو عنه الإكثار من الصوم والصلاة ومن كل ما يقربه إلى الله زلفي^(٢).

ويبالغون في علم عمر وجعلوه أعلم الصحابة في يومه على الإطلاق وأفقههم في دين الله، وحابوه تسعة أعشار العلم، راجحاً علمه علم أهل الأرض، علم أحياء العرب في كفة الميزان، وجأؤوا فيه بكثير لذة هذه الخرافات^(٣)، والرجل قد ألهاه الصفق بالأسواق عن علم الكتاب والسنّة، وكلّ الناس أفقه منه حتى ربّات المجال أخذاً بقوله وهو الصادق المصدّق فيه^(٤).

ويبالغون في إنكاره الباطل وبغضه الغناء ونكيره الشديد عليه، وقد ثبت من شكيمته أنّه كان يتعاطاه ويجوّزه^(٥).

ولما وجدوا أنّ التاريخ الصحيح وما ثبت من سيرة عثمان ينفي عنه ملكة الحياء

١ - راجع ص ٧٧ - ٨٣ من كتابنا هذا. ٢ - [راجع تلخيص الغدير/ ٦٩٧ - ٦٩٩].

٣ - [راجع تلخيص الغدير/ ٥٣٢ - ٦٠٨، وص ٧٦٩ - ٧٧٠].

٤ - [راجع تلخيص الغدير/ ٥٣٢ - ٦٠٨، نوادر الأثر في علم عمر].

٥ - راجع ما مرّ في ص ٧٥ - ٧٦ من كتابنا هذا.

وَيُمَثِّلُهُ للمجتمع بما يضادّها، نسجوا له النسج المبرم، وأتوا بالخازي ووضعت يد الافتعال فيها ما سمعت من الأفائك، حتّى جعلوه أشدّ أمة محمّد حيّاءً، وأحياها وأكرمها، حيّياً تستحي منه الملائكة.

فحياء عثمان كشجاعة أبي بكر وعلم عمر سالبة بانتفاء موضوعاتها، وهي فيهم تُضاهي أمانة معاوية وعلمه الواردين فيما يُعزى إليه ﷺ من قوله: كاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه واثمّانه على كلام ربّي. وقوله: الأمناء سبعة: اللوح والقلم وإسرافيل وميكائيل وجبريل ومحمّد ومعاوية^(١).

ويُعرّب عن أمانة معاوية ومبلغه من هذه الملكة الفاضلة ما رواه أبو بكر الهذلي قال: إنّ أبا الأسود الدؤلي كان يُحدّث معاوية يوماً فتحرّك فضرط. فقال لمعاوية: استرها عليّ. فقال: نعم. فلمّا خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم. فلمّا غدا عليه أبو الأسود قال عمرو: ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس؟! قال: ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها، وكلّ أجوف ضرط. ثمّ أقبل على معاوية فقال: إنّ امرأً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرورة لحقيق بأن لا يؤمن على أمور المسلمين^(٢).

- ٩ -

ما أعطي أحدٌ بعد رسول الله من الجماعة ما أُعطيْتُ أنا!!!

من نماذج أخبار ابن عمر: قوله: «ما أعطي أحدٌ بعد رسول الله ﷺ من الجماعة ما أُعطيْتُ أنا»^(٣).

١- راجع ما مرّ في ص ٦٢ - ٦٥ من كتابنا هذا.

٢- الأغاني ١١: ١١٣ [٣٦٠/١٢]؛ حياة الحيوان للدميري ١: ٣٥١ [٥٠٠/١]؛ محاضرات الأدباء للراغب ٢: ١٢٥ [٢٧٥/٣].

٣- نوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٢١٢ [٤/٢، الأصل ١٦٥].

وهو يُعطينا أنه رجل شهوي لا صلة له بغيرها. ومن ضعف رأيه أنه حسب رسول الله ﷺ مثله بل أربى منه في الجماع، جهلاً منه بأن ملكات صاحب الرسالة وقواه كلها كانت متعادلة ثابتة على نقطة المركز قد تساوت إليها خطوط الدائرة، فإذا آن له ﷺ أن يفخر فخر بجميعها على حدّ واحد، لا كابن عمر شهوة قويّة مهلكة، وعقليّة ضعيفة يباهي بالجماع وقد ترك غيره.

وهي التي كانت تحذّر أباء من أن يأذن له بالجهاد حين استأذنه له فقال: أي بُنيّ إنّي أخاف عليك الزنا^(١)؛ فما قيمة رجل في مستوى الدين، وهو يُمنع عن مواقف الجهاد حذراً من معرّة شهوته الغالبة، وسقطات شغبه وشبهه؟!

نعم، كان لابن عمر أن يُشبهه نفسه بأبيه - ومن يشابه أبه فما ظلم - إذ له كلمة قيّمة في النكاح تُعرب عن قوّة شهوته. قال محمد بن سيرين: «قال عمر بن الخطاب: ما بقي فيّ شيء من أمر الجاهليّة إلّا أنّي لست أبالي أيّ الناس نكحت وأيّهم أنكحت»^(٢).

ومن جرّاء تلك النزعة الجاهليّة التي كانت قد بقيت فيه قحم في مآثم سجّلها له التاريخ، جاء عنه أنه أتى جارية له فقالت: إنّي حائض فوقع بها فوجدها حائضاً؛ فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك؛ فقال: يغفر الله لك يا أبا حفص، تصدّق بنصف دينار^(٣).

وسوّلت له نفسه ليلة الصيام قبل حلّيّة الرفث فيها وواقع أهله؛ فغدا على النبي ﷺ فقال: اعتذر إلى الله وإليك، فإنّ نفسي زيّنت لي فواقعتُ أهلي، فهل تجد لي من

١ - سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ١١٥؛ وفي طبعه ص ١٣٨ [ص ١٤٤].

٢ - أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ٢٠٨ [٢٨٩/٢]؛ وعبد الرزاق في المصنّف [١٥٢/٦، ح ١٠٣٢١]؛

كما في كنز العمال ٨: ٢٩٧ [٥٣٤/١٦، ح ٤٥٧٨٧].

٣ - المحلى لابن حزم ٢: ١٨٨ [مسألة ٢٦٣]؛ سنن البيهقي ١: ٣١٦؛ كنز العمال ٨: ٣٠٥ [٥٦٦/١٦، ح ٤٥٨٨٩]

نقلًا عن ابن ماجه [في سننه ١/٢١٣، ح ٦٥٠] واللفظ له.

رخصة؟! فقال: «لم تكن حقيقاً بذلك يا عمر!»؛ فنزلت: «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ...» (١)(٢).

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى عن علي بن زيد: «أن عاتكة بنت زيد كانت تحت عبد الله بن أبي بكر، فمات عنها واشترط عليها ألا تزوج بعده، فتبتلت فجعلت لا تتزوج وجعل الرجال يخطبونها وجعلت تأبى. فقال عمر: لوليها: اذكرني لها، فذكره لها فأبت على عمر أيضاً. فقال عمر: زوّجنيها، فزوّجه إياها، فأتاها عمر فدخل عليها فعاركها حتى غلبها على نفسها فنكحها، فلما فرغ قال: أف أف أف أفف بها. ثم خرج من عندها وترك لا يأتيها، فأرسلت إليه مولاة لها أن تعال فإني سأتهياً لك (٣)». أَيْصَحُّ عن رجل هذا شأنه ما عزاه إليه الزمخشري في ربيع الأبرار (٤) من قوله: «إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله نسمة تسبّحه وتذكره»؟!

- ١٠ -

خليفة المرء خير من رسوله!!

قال الجاحظ: «خطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: تَبَّأَ لَهُمْ إِنَّمَا يَطُوفُونَ بِأَعْوَادٍ وَرَمَّةٍ بِالْيَةِ هَلَّا طَافُوا بِقَصْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ؟! أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ خَلِيفَةَ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ رَسُولِهِ» (٥)؟

١ - البقرة: ١٨٧.

٢ - تفسير الطبري ٢: ٩٦ [١٦٥/٢]؛ تفسير ابن كثير ١: ٢٢٠؛ تفسير القرطبي ٢: ٢٩٤، [٢١٠/٢]؛ وتفسير أخرى.

٣ - طبقات ابن سعد [٢٦٥/٨]؛ كنز العمال ٧: ١٠٠ [٦٣٣/١٢]؛ ح [٣٧٦٠٤]؛ منتخب الكنز، هامش مسند أحمد

٥: ٢٧٩ [٢٧٠/٥]. ٤ - ربيع الأبرار [٥٤٠/٣]، باب ٦٨.

٥ - النصائح لابن عقيل: ٨١، الطبعة الثانية [ص ١٠٦].

- ١١ -

كان له ﷺ أن يلعن من شاء بغير سبب !!

أخرج أحمد^(١) ومسلم والحاكم وغيرهم من طريق ابن عباس، قال: كنتُ أَلْعُبُ مع الغلمان فإذا رسول الله ﷺ قد جاء فقلتُ: ما جاء إلا إليَّ، فاخْتَبَأْتُ على باب فجاءني فخطاني خطاة أو خطاتين^(٢) ثم قال: «اذهب فادعُ لي معاوية». قال: فذهبتُ فدعوته له فقيل: إنه يأكل. فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: إنه يأكل؛ فقال: «إذهب فادعه». فأتيته الثانية فقيل: إنه يأكل فأخبرته. فقال في الثالثة: «لا أشبع الله بطنه». قال: فما شبع بعدها^(٣).

هذا الحديث ذكره ابن كثير في عدِّ مناقب معاوية فقال:

قد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه:

أمّا في دنياه: فإنه لما صار إلى الشام أميراً، كان يأكل في اليوم سبع مرّات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول: والله ما أشبع وإّما أعياء، وهذه نعمة ومعدةٌ يرغب فيها كلُّ الملوك.

وأمّا في الآخرة: فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري^(٤) وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة: أن رسول الله ﷺ قال: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّمَا عَبْدٍ سَبَيْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ دَعَوْتُ عَلَيْهِ وَلَيْسَ لَذَلِكَ

١- مسند أحمد [١/٥٥١، رقم ٣٠٩٤].

٢- [في صحيح مسلم ومسند أحمد: «فخطاني خطاة»؛ والخطأ هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين].

٣- صحيح مسلم ٨: ٢٧ [٥/١٧٢، ح ٩٦-٩٧، كتاب البرّ والصلة والآداب]؛ تاريخ ابن كثير ٨: ١١٩ [٨/١٢٧].

٤- صحيح البخاري [٥/٢٣٣٩، ح ٦٠٠٠]. - ١٢٨، حوادث سنة ٦٠ هـ.

أهلاً فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة . فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية ، ولم يورد له غير ذلك^(١) .

قال الأميني: هنا يرجح عليّ القول في مسألة هذا المدافع عن ابن هند والناحت له فضيلة مركبة من رذيلة ثابتة لمعاوية ، وأفيسة مفتراة على قدس صاحب الرسالة ، أنه هل عرف النافع من الضار ، فحكم بانتفاع معاوية بالدعوة المذكورة في دنياء وأخراه؟! وإنه هل عرف حدود الإنسانية وكمال النفس؟! ولا أظنه ، وإلا لما حكم بأنّ الذي كان يرغب فيه معاوية وحسب أنه يرغب فيه

الملوك من كثرة الأكل وقوة المعدة إلى ذلك الحدّ المحقوت المساوق حدّ البهائم نعمة من نعم الله أتت ابن آكلة الأكباد ببركة دعوة النبي المعصوم ﷺ ، ولم يعرف من سعادة الحياة إلا أن يملأ أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً ، وما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، يحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه^(٢) .

ثم إنّ الذي يتبين من تضاعيف الروايات وخصوصيات المقام: أنّ المورد مورد نقمة لا مورد رحمة ، وإنما الدعاء عليه لا له كيفما تمحلّ ابن كثير! فقد طعن على الرجل أبو ذر الغفاري بقوله: «لعنك رسول الله ودعا عليك مرّات أن لا تشبع»^(٣) . واشتهرت عنه هذه المنقصة حتّى جرت مجرى المثل وقيل فيها:

وصاحب لي بطنه كالهويه كأنّ في أحشائه معاويه

١ - البداية والنهاية [١٢٧/٨ - ١٢٨] ، حوادث سنة ٦٠ هـ .

٢ - من قولنا: «وما ملأ آدمي...» إلى آخره ، أخرجه أحمد [في المسند ١١٧/٥] ، ح [١٦٧٣٥] ، والترمذي [في السنن

٥٠٩/٤] ، ح [٢٣٨٠] ؛ وابن ماجه [في السنن ١١١١/٢] ، ح [٣٣٤٩] ؛ والحاكم [في المستدرک علی الصحیحین

٣٦٧/٤] ، ح [٧٩٤٥] مرفوعاً ، عن رسول الله ﷺ كما في الجامع الصغير [٥٢٦/٢] ، ح [٨١١٧] .

٣ - راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [٢٥٥/٨] ، خطبة ١٣٠ .

وحديث مسلم^(١) الذي يلوح عليه لوائح الافتعال إنما اختلق لمثل هذه الغاية وتأويل ما إليها مما صدر عن النبي الأقدس ﷺ من طعن ولعن وسبّ وجلد ودعوة على من يستحقّ كلّها. وللدفاع عن أولياء الشيطان وفي الطليعة منهم ابن أبي سفيان، والمنع عن الواقعة فيهم وغمزهم تأسيّاً برسول الله ﷺ، لفقوا مكابرات عجيبة في دلالة الألفاظ والنصوص، وأنّ ذلك صدر منه ﷺ لا عن قصد، أو أنّه صدر عن نزعات نفسية تقتضيها فطرة البشر. وقد ذهب على المغفلين أنّه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيّ يوحى، وأنّه لعلّ خلق عظيم، وأنّ في كتابه الذي جاء به من ربّه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ اِخْتَلَوْا بِهِتَانًا وَإِنَّمَا تُسِينَا﴾^(٢).

وقد صحّ عنه قوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٣).

وقوله ﷺ: «المؤمن لا يكون لعاناً»^(٤).

١ - «اللهمّ إنّما أنا بشر فأبشّر رجلاً من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة.

اللهمّ إنّني أأخذ عندك عهداً لن تخلفنيه، فإنّما أنا بشر فأبشّر فأبشّر المؤمنين آذيتهم، شتمتهم، لعنتهم، جلدتهم فاجعلها له صلاة وزكاة وقرية تقرّبه بها إليك يوم القيامة.

اللهمّ إنّ محمداً بشر يغضب كما يغضب البشر وإنّي قد أخذتُ عندك عهداً لن تخلفنيه، فأبشّر مؤمناً آذيتهم أو سببتهم أو جلدته فاجعلها له كفارة وقرية تقرّبه بها إليك يوم القيامة.

إنّما أنا بشر وإنّي اشتربتُ على ربّي عزّاً وجلّاً أيّ عبد من المسلمين سببته أو شتمته أن يكون ذلك له زكاة وأجرّاً. إنّني اشتربتُ على ربّي فقلت: إنّما أنا بشر أَرْضَى كما يَرْضَى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأبشّر أحد دعوتٍ عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقرية يقرّبه بها منه يوم القيامة». هذه ألفاظ حديث مسلم في صحيحه ٨: ٢٤ - ٢٧ [١٦٨/٥ - ١٧٠، ح ٨٨ - ٩٥].

٢ - الأحزاب: ٥٨.

٣ - أخرجه البخاري [في الصحيح ١/١٣، ح ١٠]، ومسلم [في الصحيح ١/٩٦، ح ٤١ كتاب الإيمان]، وأحمد [في مسنده ٢/٣٩٦، ح ٦٧٦٧]، والترمذي [في السنن ٤/٥٧٠، ح ٢٥٠٤].

٤ - مستدرک الحاكم ١: ١٢ و ٤٧ [١/٥٧، ح ٢٩]، وص ١١٠، ح ١٤٥.

وقوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق»^(١).

وقوله ﷺ: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»^(٢).

وقوله ﷺ: «من ذكر امرأ بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه»^(٣).

هل هؤلاء القوم يصفون نبياً صَحَّ عندهم من حديث مسلم: أنه غضبت عائشة رضي الله عنها مرة، فقال لها رسول الله ﷺ: مالكِ جاءكِ شيطانكِ؟! فقالت: ومالكِ شيطان؟ قال: بلى ولكني دعوتُ الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير^(٤).

وهل يتكلمون عن نبيٍّ قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «اكتب عني في الغضب والرضا، فوالذي بعثني بالحق نبياً ما يخرج منه إلا حق»، وأشار إلى لسانه^(٥)؟

وقال عبد الله بن عمرو: أكتبُ كلَّ شيءٍ أسمعُه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلَّ شيءٍ سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: «أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق»^(٦).

وكان ﷺ كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يغضب للدين فإذا أغضبه الحق لم يعرفه

١ - متفق عليه؛ أخرجه: البخاري [في صحيحه ٢٧/١، ح ٤٨] ومسلم [في صحيحه ١/١١٤، ح ١١٦، كتاب الايمان] والترمذي [في السنن ٣١١/٤، ح ١٩٨٣] والنسائي [في السنن الكبرى ٣١٢/٢، ح ٣٥٦٧-٣٥٧٨] وابن ماجه [في السنن ١٢٩٩/٢، ح ٣٩٣٩-٣٩٤١] والطبري [في المعجم الكبير ١/١٤٥، ح ٣٢٥]، والحاكم، والدارقطني.

٢ - الترغيب والترهيب ٣: ١٩٧ [٣/٥١٥، ح ٣٢]، رواه الطبراني بإسنادٍ جيد.

٤ - إحياء العلوم ٣: ١٦٧ [٣/١٦٤].

٥ - إحياء العلوم ٣: ١٦٧ [٣/١٦٤]. أخرجه أبو داود [في مسنده ٣: ٣١٨، ح ٣٦٤٦].

٦ - سنن الدارمي ١: ١٢٥.

أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له»^(١).

وهل يشوّهون بهذا العزو المختلق - لتبرير ذيل أمثال ابن هند - سمعة قداسة نبيّ كان يؤدّب أمته بآداب الله، وينهى أصحابه عن لعن كلّ شيء حتى الدوابّ والبهائم والديك والبرغوث والريح؟! وكان يقول: «من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه»^(٢). وقال لرجل كان يسير معه فلعن بغيره: «يا عبدالله! لا تسر معنا على بغير ملعون»^(٣). وكان ﷺ يبالغ في الأمر ويحذّر الناس عنه حتى قال سلمة بن الأكوع: كنّا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أن قد أتى باباً من الكبائر^(٤).

دع الأباطيل ولا تشطط في القول؛ فمن لعنه ﷺ فهو ملعون، ومن سبّه فهو مستأهل لذلك، ومن جلده فإنّ ذلك من شرعه المبين، ومن دعا عليه أخذته الدعوة، وهل يجد ذو خبرة مصداقاً لتلك المزعمة المخزية ويسع له أن يستشهد بسبّ رسول الله ﷺ أحداً من صلحاء أمته كائناً من كان ممّن لا يستحقّ السبّ أو بلعنه وجلده إيّاه ودعوته عليه؟! حاشا النبيّ المبعوث لتتميم مكارم الأخلاق من هذه الفرية الشائنة.

وإن صحّت هذه المزعمة لتطرّق الوهن في أفعاله وأقواله وفي قضائه وحدوده، فلا يعلم الإنسان أنّها بحافز إلهي، أو اندفاع إلى شهوة وإطفاء ثورة الغضب؟! وأيّ نبيّ معصوم هذا؟! وكيف تُتبع سنّته؟! ويقتفى أثره عندئذ؟! وفي أيّ من حالتيه هو مقتدى البشر وحجّة الخلق وقدوة الأمم؟! وما المائز بينه وبين أمته وكلّ يستحوذ عليه الغضب، ويقوده الهوى؟! وكان لأيّ أحد أسوة برسول الله ﷺ أن يقول مثل ذلك حين

١ - أخرجه الترمذي في الشمائل [ص ١١٣، ح ٢٢٥ وفيه: عن الحسن بن عليّ عليه السلام].

٢ - الترغيب والترهيب ٣: ١٩٧ وصحّحه [٣/ ٤٧٤ - ٤٧٥، ح ٢١ - ٢٦].

٣ - الترغيب والترهيب ٣: ١٩٦ فقال: إسناده جيّد [٣/ ٤٧٤، ح ١٩].

٤ - الترغيب والترهيب ٣: ١٩٥ قال: سندٌ جيّد [٣/ ٤٧٢، ح ١٥].

يقع في المسلمين بالسباب وينال منهم باللعن فتقلب المعصية بتلك الدعوة اللاحقة طاعة وبراً وكفارة وقربة.

ومن هنا بلغت القحّة والصلف من ابن حَجَرٍ إلى أن تمسك بذيل حديث مسلم المثبت ما لا يقبله العقل والمنطق وتأباه الأصول الدينية المسلّمة، فمنع بذلك عن لعن الحكم لعين رسول الله وطريده وابنه الوزغ بن الوزغ^(١)!

وللقوم في هذا المقام تصعيدات وتصويبات، أو قل: خرافات ومخاز؛ مثل ما حكي عن بعضهم^(٢): أن ظاهر هذا الحديث يُعطينا إباحة تلکم المحظورات للنبي ﷺ فحسب. وعدّ السيوطي^(٣) من خصائص رسول الله ﷺ: باب اختصاصه ﷺ بجواز لعن من شاء بغير سبب. وقال القسطلاني^(٤):

كان له ﷺ أن يقتل بعد الأمان، وأن يلعن من شاء بغير سبب، وجعل الله شتمه ولعنه قرينة للمشتوم والملعون لدعائه ﷺ.

ألا يضحك ضاحكٌ على عقلية هذا الأرعن؟! وأنه كيف يكون ذلك وقد فرض أن مصبّ هاتيك الطعون مستوجبٌ للرحمة والحنان بالدعوة اللاحقة إيّاها؟ فما المجوّز لنبيّ الرحمة هتك ستار أولئك وفضحهم على ملأ^(٥) من الأشهاد من غير استحقاق على مرّ الدهور؟! وهل الدعاء الأخير يرفع عنهم شية العار الملحقة بهم من الدعوة الأولى؟! وهل لإباحة تلکم الفواحش التي هي بذاتها فاحشة وقبائح عقلية لا تقبل التخصيص لصاحب الرسالة معنى معقول؟! وهل هتك حرّات المؤمنين مع حفظ الوصف لهم والمبدأ فيهم ممّا يُستباح لأحد نبياً كان أو غيره؟!

١- الصواعق المحرقة: ١٠٨ [ص ١٨١].

٢- الخصائص الكبرى للسيوطي ٢: ٢٤٤ [٢/٤٢٥]؛ المواهب اللدنية ١: ٣٩٥ [٢/٦٢٥].

٣- راجع الخصائص الكبرى ٢: ٢٤٤ [٢/٤٢٥]. ٤- المواهب اللدنية ٢: ٦٢٥.

٥- [في بعض النسخ: «وتفضيهم بملاً»].

أما أنا فلا أعرفه ، وأحسب أن من ذهب إلى ذلك أيضاً مثلي في الجهل .
وهلاً كان لرسول الله والحالة هذه أن ينصّ بعد ما سبّ من لا يستحقّ أو لعنه أو
جلده أو دعا عليه ، وبعد ما هدأت ثورة غضبه وأطفأ نيران سخطه على أن ذلك وقع في
غير محله ، حتّى لا يدنس ساحة الأبرياء طيلة حياتهم بشية العار ووسمة الشنار ،
ولا يُشوّه سمعة أناس نزهين في الملأ الدينيّ أبد الدهر؟!
وهلاً كان للصحابة أن يستفهموا رسول الله ﷺ جليّة الحال في كلّ تلکم الموارد
ليعرفوا وجه ما أتى به من الهتيكة : هل وقع في أهله ومحله؟ حتّى لا يتخذوا فعله مدرکاً
مطرداً في الوقیعة والتحامل ، ولا يزرّي أحداً جهالاً منه بالموضوع اقتفاءً
لأثره ﷺ .

وهلاً كان لمثل أبي سفيان ومعاوية والحكم ومروان وبقیة ثمرات الشجرة الملعونة
في القرآن ونظرانهم الملعونين بلسان النبيّ الأقدس أن يحتجّوا برواية مسلم على من
يعيرهم بلعن رسول الله ﷺ إياهم كعائشة أمّ المؤمنين وأمير المؤمنين وأبي ذر ووجوه
الصحابة غيرهم؟!

وها هنا دقيقة أخرى وهي: أنّ اللعنات والطعون المتوجّهة في القرآن الكريم إلى
أناس عناهم الذكر الحكيم ونوّه بذلك الصادع الكريم ﷺ هل هي من الله تعالى كما
زعموه في النبيّ الأقدس ومؤولة بدائع ورحمات وقرب؟! فهي إلى جلاله أولئك القوم
وقد استهم أدلّ من كونهم ملعونين مطرودين من ساحة رحمة الله تعالى .

وهل الله سبحانه أعطى عهداً بذلك وآلى على نفسه أن يجعلها رحمةً وزكاةً وقربةً؟!
أم أنّها باقية على مدايلها التي هي ناصّة عليها؟!

لا أدري ماذا يقول القوم! هل يسلبون الحقائق عن الألفاظ القرآنيّة كما سلبوها
عن الألفاظ النبويّة؟! وفي ذلك ارتاج لباب التفاهم وسدّ لطريق المحاوره ، غير أن

أحمال الكلام لم تراقبها دائرة المكوس، فللمتحدث أن يقول ما شاء، وللثرائر أن يلهج بما حبّذه الهوى ولا يكثرث. نعوذ بالله من التقول بلا تعقل.

﴿قَوْلُ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلُ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

- ١٢ -

أبو حنيفة أعلم من رسول الله!!

قد بلغت مغالاة أمة من الحنيفة إلى حدّ زعمت أنّه أعلم من رسول الله ﷺ؛ قال عليّ بن جرير: كنتُ في الكوفة فقدمتُ البصرة وبها عبد الله بن المبارك، فقال لي: كيف تركت الناس؟ قال: قلتُ: تركت بالكوفة قوماً يزعمون أنّ أبا حنيفة أعلم من رسول الله ﷺ. [قال: كفروا]^(٢). قلتُ: اتخذوك في الكفر إماماً، قال: فبكي حتى ابتلت لحيتي؛ يعني أنّه حدث عنه^(٣).

وعن فضيل بن عياض قال: إنّ هؤلاء أشربت قلوبهم حبّ أبي حنيفة، وأفرطوا فيه، حتى لا يرون أنّ أحداً كان أعلم منه^(٤).

- ١٣ -

أبو بكر شيخ يُعرف والنبي شاب لا يُعرف!!

عن أنس بن مالك قال: «أقبل النبي ﷺ إلى المدينة، وأبو بكر شيخ يُعرف والنبي ﷺ شاب لا يُعرف؛ فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر! من هذا الذي بين يديك؟ فيقول: يهديني السبيل، فيحسب الحاسب أنّه يهديه الطريق وإنّما يعني سبيل الخير».

وفي لفظ: إنّ أبا بكر كان رديف النبي ﷺ وكان أعرف بذلك الطريق؛ فيراه الرجل

٢ - [الزيادة من المصدر].

١ - البقرة: ٧٩.

٤ - حلية الأولياء ٥: ٣٥٨.

٣ - تاريخ بغداد ١٣: ٤٤١.

يعرفه فيقول: يا أبا بكر! من هذا الغلام بين يديك؟ وفي لفظ أحمد: كانوا يقولون: يا أبا بكر! ما هذا الغلام بين يديك؟ فيقول: هذا يهديني السبيل.

وفي رواية: ركب رسول الله ﷺ وراء أبي بكر ناقته^(١).

قال الأميني: ما أنزل الدهر نبى الإسلام حتى قيل: إنه شاب لا يُعرف. كأنه غلام نكرة اتخذهُ شيخ انتشر صوته كصيته بين الناس دليلاً في مسيره يرتدّفه تارة ويمشي به بين يديه أخرى ومهما سُئل عنه يقول: هذا يهديني الطريق وهو أعرف به مني. كأن نبى الإسلام ﷺ لم يكن ذلك الذي كان يعرض نفسه على القبائل في كل موسم فعرفوه على بكرة أبيهم من آمن منهم ومن لم يؤمن، خصوصاً الأنصار المدينين منهم وفيهم رجال الأوس والخزرج، وقد بايعوه عند العقبة الأولى مرّة، وبايعه منهم مرّة ثانية عند العقبة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان.

وكان المدينة ليست بدار بني النجّار وهم خوولة النبي الأقدس.

وكأنه ﷺ لم يكن الذي اتخذ المدينة قاعدة ملكه، وعاصمة حكومته، ومعسكر نهضته؛ فبث فيها رجاله وخاصته من أهلها ومن المهاجرين. ومتى كان أبو بكر شيخاً والنبى شاباً وهو ﷺ أكبر منه بسنتين وعدّة أشهر كما يأتي.

- ١٤ -

أبو بكر أسنّ من النبي!!

عن يزيد بن الأصم: «أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: أنا أكبر أو أنت؟ قال: لا بل أنت أكبر مني وأكرم وخير مني، وأنا أسنّ منك»^(٢).

١ - صحيح البخاري ٥٣: ٦، باب هجرة النبي ﷺ [١٤٢١/٣، ح ٣٦٩٤]؛ سيرة ابن هشام ٢: ١٠٩ [١٣٧/٢]؛ مسند

أحمد ٣: ٢٨٧ [٢٠٥/٤، ح ١٣٦٤٩].

٢ - تاريخ مدينة دمشق [٢٥/٣٠، رقم ٣٣٩٨]؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٧٢ [ص ٩٩].

قال الأميني: أو لا تعجب من أكذوبة تُعدّ أكرومة؟! متى تصحّ رواية يزيد بن الأصمّ عن النبي ﷺ ولم يُدرّكه؛ فإنّ الرجل توفيّ سنة (١٠١، ١٠٣، ١٠٤) وهو ابن ثلاث وسبعين سنة؛ فولادته بعد وفاة النبي ﷺ بدهر.

ثمّ متى كان أبو بكر أسنّ من النبيّ وقد وُلد ﷺ في عام الفيل، ووُلد أبو بكر بعد عام الفيل بثلاث سنين. وقال سعيد بن المسيّب: استكمل أبو بكر بخلافته سنّ رسول الله ﷺ فتوفيّ وهو بسنّ النبي ﷺ ابن ثلاث وستين سنة. قال ابن قتيبة في المعارف^(١):

إنفقوا على أن عمره ثلاث وستون سنة؛ فكان رسول الله ﷺ أسنّ من أبي بكر بمقدار سنّي خلافته.

وفي صحيح الترمذي^(٢): أنّه ﷺ توفيّ وهو ابن خمس وستين سنة^(٣).

- ١٥ -

رسول الله ﷺ يؤخّر البيان عن وقت الحاجة!!

أخرج البيهقي في السنن الكبرى عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنّه قال: ثلاث لأن يكون رسول الله ﷺ يتيهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم: الخلافة، والكلالة، والربا^(٤).

قال الأميني: ما أعضل الكلالة على الخليفة! وما أبهمها وأبهم حكمها عنده وهي شريعة مطّردة سمحة سهلة!

وهل هو حين أكثر السؤال عنها أجاب عنه رسول الله ﷺ أو لم يجب؟ فإن كان الأوّل فلم لم يحفظه أو قصر فهمه عن عرفانه وهو أحبّ إليه من حمر النعم،

١- المعارف: ٧٥ [ص ١٧٢].

٢- سنن الترمذي ٢: ٢٨٨ [٥/٥٦٤، ح ٣٦٥٠ و ٣٦٥١].

٣- وانظر أيضاً سيرة ابن هشام ١: ٢٠٥؛ وتاريخ الأمم والملوك ٢: ١٢٥؛ و ٤٧: ٤ [٢/١٥٥، ٣/٢١٦، حوادث

سنة ١٣ هـ]. ٤- السنن الكبرى ٦: ٢٢٥.

أو من الدنيا وما فيها، أو من أن يكون له مثل قصور الشام؟

وإن كان الثاني فحاشا رسول الله أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة وهو يعلم أنه سوف يترجع على منصّة الخلافة فترفع إليه المسائل والخصومات وإن من أكثرها أطراداً مسألة الكلالة.

لكن الحقيقة هي ما نوّه به رسول الله ﷺ بقوله لحفصة: «ما أرى أباك يعلمها»^(١) أو بقوله: «ما أراه يقيمها»^(٢)؛ وهو يعرب عن جليّة الحال، ويوقف القارئ على الواقع إن لم يضلّه الهوى.

والخطب الفظيع أنه بعد هذه كلّها ومع قوله: «إنها لم تبين لي» لم يترحّز عن الحكم فيها، وكان يقضي فيها برأيه ما شاء ذاهلاً عن قوله تعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السُّنْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً»^(٣). وعن قوله تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ»^(٤).

وتراه يتبع أبا بكر وهو يعلم أنه شاكلته وقد سمع منه قوله: «إني سأقول فيها برأبي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأً فني ومن الشيطان»! «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً»^(٥).

- ١٦ -

الأمة شريكة لنبيها في كل ما كان له!!

قال موسى جار الله في كتابه الوشيعة في نقد عقائد الشيعة:

الأمة معصومة عصمة نبيها، معصومة في تحملها وحفظها، وفي تبليغها

١ - أنظر كنز العمال ٦: ٢ [٧٨/١١، ح ٣٠٦٨٨]. ٢ - أنظر تفسير ابن كثير ١: ٥٩٤.

٣ - الإسراء: ٣٦.

٤ - النجم: ٢٨.

وأدائها ، حفظت كل ما بلغه النبي مثل حفظ النبي ، وبلغت كل ما بلغه النبي مثل تبليغ النبي ، حفظت كليات الدين وجزئيات الدين أصلاً وفرعاً ، وبلغت كليات الدين وجزئيات الدين أصلاً وفرعاً .

فالأمة بالقرآن والسنة أعلم من جميع الأئمة . وعلم الأمة بالقرآن وسنن النبي اليوم أكثر وأكمل من علم علي ومن علوم كل أولاد علي .

ومن عظيم فضل الله على نبيه ، ثم من عظيم فضل الله على الأمة أن جعل في الأمة من أبناء الأمة كثيراً هم أعلم بكثير من الأئمة ومن صحابة النبي ﷺ . وكلُّ حادثة إذا وقعت فالأمة لا تخلو من حكم حق وصواب وجواب يريه الله الواحد من الأمة التي ورثت نبيها وصارت رشيدة ببركة الرسالة ، وختمها أرشد إلى الهداية وإلى الحق من كل إمام ، والأمة مثل نبيها معصومة ببركة الرسالة وكتابتها ، ومعصومة بعقلها العاصم .

الأمة بلغت وصارت رشيدة لا تحتاج إلى الإمام ، رشدها وعقلها يغنيها عن كل إمام .

أنا لا أنكر على الشيعة عقيدتها أن الأئمة معصومة ، وإنما أنكر عليها عقيدتها أن أمة محمد لم تزل قاصرة ولن تزال قاصرة ، تحتاج إلى وصاية إمام معصوم إلى يوم القيامة ، والأمة أقرب إلى العصمة والاهتداء من كل إمام معصوم ، وأهدى إلى الصواب والحق من كل إمام معصوم ؛ لأن عصمة الإمام دعوى ، أما عصمة الأمة فبدهاء وضرورة بشهادة القرآن .

الأمة بعقلها وكمالها ورشدها بعد ختم النبوة أكرم وأعز وأرفع من أن تكون تحت وصاية وصي تبقى قاصرة إلى الأبد .

الجواب: كنت أود أن لا أحدث لهذا الكتاب ذكراً ، وأن لا يسمع أحد منه ركزاً ؛ فإنه في الفضائح أكثر منه في عداد المؤلفات ، لكن طبع الكتاب وانتشاره حداني إلى أن

أوقف المجتمع على مقدار الرجل، وعلى أنموذج مما سود به صحائفه، وكلُّ صحيفةٍ منه عار على الأمة وعلى قومه أشدَّ شناراً.

لست أدري ما أكتب عن كتاب رجل نبذ كتاب الله وسنة نبيه وراءه ظهرياً، فجاء يحكم وينقد، ويتحكّم ويفنّد، وينبر وينبز، ويعبث بكتاب الله ويفسّره برأيه الضئيل وعقليته السقيمة كيف شاء وأراد؛ فكأنَّ القرآن قد نزل اليوم ولم يسبقه إلى معرفته أحد، ولم يأت في آية قول، ولم يُدوّن في تفسيره كتاب، ولم يرد في بيانه حديث، وكأنَّ الرجل قد أتى بشرعٍ جديد، ورأي حديث، ودين مخترع، ومذهب مبتدع، لا يساعده أيُّ مبدأ من مبادئ الإسلام، ولا شيء من الكتاب أو السنة.

ما قيمة مغفل وكتابه وهو يرى الأمة شريكة لنبيها في كل ما كان له، وفي كل فضيلة وكمال تستوجبها الرسالة، وشريكة لنبيها في أخصّ خصائص النبوة، ويرى رسالة الأمة متصلة تمام الاتصال برسالة نبيها، وبحسب سورة القدر سورة رسالة الأمة متصلة بسورة رسالة النبي من غير فصل، ويستدلُّ على رسالة الأمة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١)؛ وبقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

وقد أغرق نزاعاً في تفنيد أباطيله العلامة المبرور الشيخ مهدي الحجار النجفي نزيل المعقل^(٣).

ولو لم يكن للرجل في طيّ كتابه إلا أساطيره الراجعة إلى الأمة لكفاه جهلاً وسوأة. هذه سلسلة أوهام وحلقة خرافات تبعد عن ساحة أي متعلّم متفقّه فضلاً عمّن يرى نفسه فقيهاً، فكأنَّ الرجل يتكلّم في الطيف في عالم الأضغاث والأحلام.

٢ - الفتح: ٢٩.

١ - التوبة: ١٢٨.

٣ - أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر.

ألا من يسأله عن أن الأمة إذا كانت معصومةً حافظة لكلّيات الدين وجزئياته أصلاً وفرعاً، ومبلّغةً جميع ذلك كافّة عن كافّة وعصراً بعد عصر، ولم يوجد هناك شيء منسيّ أو مغفول عنه، فإمعنى أعلميّتها من جميع الأئمة؟! وأقربيّة اهتدائها من اهتدائهم؟! أيراهم خارجين عن الأمة غير حافظين ولا مهتدين، في جانب عن الدين الذي حفظته الأمة، لا تشملهم عصمتها ولا حفظها ولا اهتداؤها ولا تبليغها؟!

وعلى ما يهّم الرجل يجب أن لا يوجد في الأمة جاهلٌ، ولا يقع بينها خلافٌ في أمر دينيّ أو حكم شرعيّ، وهؤلاء جهلاء الأمة الذين سدّوا كلّ فراغ بين المشرق والمغرب، وتشهد عليهم أعمالهم وأقوالهم بأنهم جاهلون - وفي مقدّمهم هو نفسه - وما شجر بين الأمة من الخلاف منذ عهد الصحابة وإلى يومنا الحاضر ممّا لا يكاد يخفى على عاقل. وهل يُتصوّر الخلاف إلّا بجهل أحد الفريقين بالحقيقة الناصعة؟! لأنّها وحدانيّة لا تقبل التجزئة. أيرى من الدين الذي حفظته الأمة وبلّغته جهل عليّ وأولاده من بينهم بالقرآن والسنن؟! أم يراهم أنّهم ليسوا من الأمة؟! فيقول: «إنّ علم الأمة بالقرآن وسنن النبيّ اليوم أكثر وأكمل من علم عليّ ومن علوم كلّ أولاد عليّ».

ومتى أحاط هو بعلم عليّ وأولاده ﷺ وبعلم الأمة جمعاء، حتّى يسعه هذا التحكّم

الباتّ والفتوى المجرّدة؟!

ولعليّ يسعني أن أقول: بأنّ النبيّ ﷺ كان أبصر وأعرف بأئمّته من صاحب هذه الفتاوى المجرّدة، وأعلم بمقادير علومهم وبصائرهم؛ فهو بعد ذلك كلّ خلف لهداية أئمّته من بعده الثقلين: كتاب الله وعترته - ويريد الأئمة منهم - وقال: «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»، فحصر الهداية بالتمسّك بهما واقتصاص آثارهما إلى غاية الأمد يفيدنا أنّ عندهما من العلوم والمعارف ما تقصر عنها الأمة، وأنّه ليس في حيّز الإمكان أن تبلغ الأمة - وهي غير معصومة من الخطأ - ولم تكشف لها حجب الغيب - مبلّغاً يستغنى به عمّن يرشدها في مواقف الحيرة.

فأئمة العترة أعدل الكتاب في العلم والهداية بهذا النص الأغبر، وهم مفسروه والواقفون على مغازيه ورموزه. ولو كانت الأمة أو أن فيها من يضاهيهم في العلم والبصيرة - فضلاً عن أن يكون أعلم بكثير منهم - لكان هذا النص الصريح مجازفة في القول.

ولو كان علم الأمة اليوم بالقرآن والسنن أكثر وأكمل من علم عليّ ومن علوم كل أولاد عليّ - كما زعمه المسكين - فكيف خفي ذلك على رسول الله، فقال وكأنه لم يعرف أمته: «أعلم أمتي من بعدي عليّ بن أبي طالب»^(١)؟! وكيف اتّخذ وعاء علمه وبابه الذي يؤتى منه؟! وكيف حكم المحافظ النيسابوري بإجماع الأمة على أن عليّاً ورث العلم من النبيّ دون الناس؟!!

وعلى هذه كلّها فلازم كون الأمة أعلم من عليّ كونها أعلم من رسول الله ﷺ؛ لأنه ورث علمه كلّهُ.

ثمّ، كيف كان رسول الله ﷺ يأمر أمته بالافتداء بأهل بيته من بعده، ويعرّفهم بأنهم «خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي»؟!!

والأمة إن كانت غير قاصرة لا تحتاج إلى وصاية أمام معصوم إلى يوم القيامة كما زعمه المغفل، ولا يتصور عقله احتياجها إلى إمام معصوم، فلماذا أخرت الأمة تجهيز نبيها ﷺ ودفنه ثلاثة أيّام؟! وهذه كتب القوم تنصّ على أن ذلك إنما كان لاشتغالهم بالواجب الأهمّ، ألا وهو أمر الخلافة وتعيين الخليفة^(٢).

فكيف يتصور عندئذ عقل الرجل ميسس حاجة الأمة يوم ذلك إلى إمام غير معصوم، وهي لا تحتاج إلى أمام معصوم قطّ إلى يوم القيامة؟!!

٢ - أنظر الصواعق المحرقة: ٥ [ص ٧].

١ - أنظر ص ٧٢٨ - ٧٣٣ من كتابنا هذا.

هـ: الاجتهاد في مقابل رسول الله ﷺ!!

- ١ -

رأي الخليفة في الجدة

عن قبيصة بن ذؤيب قال: «جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه تسأله عن ميراثها. فقال لها أبو بكر: ما لك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئاً فارجمي حتى أسأل الناس. فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاهما السُّدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة. فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه...»^(١).

فانظر إلى ما عذب عنه علم الخليفة في مسألة تكثر بها البلوى ويطرّد الحكم فيها، حتى اضطرّته الحاجة إلى الركون إلى رواية مثل المغيرة أزنّى ثقيف وأكذب الأمة^(٢). وكان من تغييره للسنة ولعبه بها أنّه صلى صلاة العيد يوم عرفة مخافة أن يعزل سنة أربعين^(٣)، هو في مقدّم أناس كانوا ينالون من أمير المؤمنين رضي الله عنه، وكان ينال من أمير المؤمنين رضي الله عنه كلّما رقى صهوة المنبر^(٤).

١ - موطأ مالك ١: ٣٣٥ [٢/٥١٣، ح ٤]؛ سنن الدارمي ٢: ٣٥٩؛ سنن أبي داود ٢: ١٧ [٣/١٢١، ح ٢٨٩٤]؛

سنن ابن ماجه ٣: ١٦٣ [٢/٩٠٩، ٢٧٢٤]؛ مسند أحمد ٤: ٢٢٤ [٥/٢٦٥، ح ١٧٥١٩]؛ سنن البيهقي ٦:

٢٣٤؛ بداية المجتهد ٢: ٣٤٤؛ مصابيح السنة ٢: ٢٢ [٢/٣٩١، ح ٢٢٧٣].

٢ - أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٦٣ [١٢/٢٤١، خطبة ٢٢٣].

٣ - الأغاني ١٤: ١٤٢ [١٦/٩٦].

٤ - أنظر مسند أحمد ٤: ٣٦٩ [٥/٤٩٦، ح ١٨٨٠٢]؛ ١: ١٨٨ [١/٣٠٧، ح ١٦٣٤]؛ ص ٣٠٨، ح ١٦٤٠ و١٦٤١.

- ٢ -

رأي الخليفة في الجدتين

عن القاسم بن محمد أنه قال:

إنَّ جدّتين أتتا أبا بكر الصديق عليه السلام أمّ الأمّ وأمّ الأب، فأعطى الميراث أمّ الأمّ دون أمّ الأب. فقال له عبدالرحمن بن سهيل - سهيل - أخو بني حارثة: يا خليفة رسول الله! لقد أعطيت التي لو أنّها ماتت لم يرثها. فجعله أبو بكر بينهما؛ يعني السدس^(١).

قال الأميني: أو لا تعجّب عن جهل الرجل بحكم إرث الجدّتين، وسرعة انقلابه عمّا ارتآه أو لا بنقد رجل من الأنصار أو أخي بني حارثة؟!

وكان ذلك النقد يستدعي حرمان الجدة من قبل الأمّ لكنّه شركها في الميراث واتّخذته الفقهاء مصدراً لحكمهم، وأصل الحكم مأخوذ من رواية المغيرة المخصوصة بالجدة الواحدة!

وأما رأي الرجل الأنصاري في الجدة الذي زحزح الخليفة عن حكمه فلم يكن أخذاً بالكتاب والسنة بل كان مخالفاً لها وفقاً لقول الشاعر:

بنونا بنو أبناؤنا وبنائنا بنوهنّ أبناء الرجال الأبعادِ

فخصّ القوم به قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾^(٢)

لعقب الأبناء دون من عقبته البنات، وذهبوا إلى عدم شمول أحكام الأولاد في الفروض وغيرها على وليد بنت الرجل محتجّين بقول الشاعر.

قال البغدادي في خزانة الأدب^(٣):

هذا البيت لا يُعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة وغيرهم.

١ - موطأ مالك: ١: ٣٣٥ [٥١٣/٢، ح ٥]؛ سنن البيهقي: ٦: ٢٣٥؛ بداية المجتهد: ٢: ٢٤٤ [٣٤٨/٢]؛ الاستيعاب: ٢: ٤٠٠؛

الإصابة: ٢: ٤٠٢، وقال: رجاله ثقات؛ [٨٣٦/٢، رقم ١٤٢٤]؛ كنز العمال: ٦: ٦ [٢٢/١١، ح ٣٠٤٦٦].

٢ - خزانة الأدب: ١: ٣٠٠ [٤٤٥/١].

٣ - النساء: ١١.

سبحانك اللهم ما أجراهم على هذا الرأي السياسي في دين الله لإخراج آل الله عن نبوة رسول الله ﷺ!

ما قيمة قول الشاعر تجاه قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾^(١)؟! فهو نص صريح على أن الحسنين السبطين ابني النبي الأقدس . وقد سمي الله سبحانه أسباط نوح ذرية له ، وليست الذرية إلا ولد الرجل كما في القاموس^(٢)؛ فقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ... وَيَعْقِبَ وَيَعْقِبَ﴾^(٣) فعد عيسى من ذرية نوح وهو ابن بنته مريم . قال الرازي في تفسيره^(٤):

هذه الآية - يعني آية قل تعالوا - دالة على أن الحسن والحسين ﷺ كانا ابني رسول الله ﷺ ، وعد أن يدعو أبناءه ، فدعا الحسن والحسين ، فوجب أن يكونا ابنيه . ومما يؤكد هذه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾ ، ومعلوم أن عيسى ﷺ إنما انتسب إلى إبراهيم ﷺ بالأُم لا الأب ، فثبت أن ابن البنت قد يُسمى ابناً ، والله أعلم .

فبعد كون ذرية الرجل ولده على الإطلاق ودخل فيهم أولاد البنات لا ينبغي التفكيك في الأحكام عندئذ بين الذرية والأولاد ، ولا يسع لأي أحد أن يرى أبناء البنات أبناء الرجال الأبعد خارجين عن ولد الرجل على الحقيقة ، ويصح له مع ذلك عدُّهم عن ذريته وليست إلا ولد الرجل .

٢ - القاموس المحيط ٢: ٣٤ [ص ٥٠٧].

١ - آل عمران: ٦١.

٣ - الأنعام: ٨٤ و ٨٥.

٤ - التفسير الكبير ٢: ٤٨٨ [٨/ ٨١]؛ وانظر أيضاً الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤: ١٠٤، و ٧: ٣١ [٤/ ٦٧]؛

و ٧/ ٢٢-٢٣.

ويشهد على لغة القرآن المجيد، وأنّ ولد البنت ابن أبيها على الحقيقة، قول رسول الله ﷺ :

١ - «أخبرني جبريل : أنّ ابني هذا - يعني الحسين - يُقتل». وفي لفظ : «إنّ أُمّي ستقتل ابني هذا»^(١).

٢ - وقوله للحسن السبط : «ابني هذا سيّد»^(٢).

٣ - وقوله لعلّي : «أنت أخي وأبو ولدي»^(٣).

٤ - وقوله : «إنّ جبريل أخبرني أنّ الله عزّ وجلّ قتل بدم يحيى بن زكريّا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً»^(٤).

٥ - وقوله : «المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي»^(٥).

٦ - «هذان ابناي من أحبهما فقد أحببني»^(٦) الحسن والحسين.

٧ - وقوله : «ادعوا إني»؛ فأتى الحسن بن علي^(٧).

٨ - وقوله : «اللهم إنّ هذا إني - الحسن - وأنا أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه»^(٨).

٩ - وقوله لعلّي : «أيّ شيء سميت إني؟ قال : ما كنتُ لأسبقك بذلك. فقال : وما أنا السابق ربّي فهبط جبريل فقال : يا محمّد! إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول لك : عليّ منك

١ - [ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد غير المطبوع : ٤٤، ح ٢٦٨]؛ المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٧٧

[٣/١٩٤، ح ٤٨١٨]؛ أعلام النبوة للماوردي : ٨٣ [ص ١٣٧]؛ الصواعق المحرقة : ١١٥ [ص ١٩٢].

٢ - المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٧٥ [٣/١٩١، ح ٤٨٠٩]؛ أعلام النبوة للماوردي : ٨٣ [ص ١٣٧]؛ تفسير ابن

كثير ٢ : ١٥٥. ٣ - ذخائر العقبی : ٦٦.

٤ - المصدر السابق : ١٥٠. ٥ - المصدر السابق : ١٣٦.

٦ - المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٦٦ [٣/١٨١، ح ٤٧٧٦]؛ تاريخ مدينة دمشق ٤ : ٢٠٤ [١٣/١٩٩، رقم

١٣٨٣]؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ٧/١٢]؛ كنز العمال ٦ : ٢٢١ [١٢/١٢٠، ح ٣٤٢٨٦].

٧ - ذخائر العقبی : ١٢٢.

٨ - تاريخ مدينة دمشق ٤ : ٢٠٣ [١٣/١٩٧، رقم ١٣٨٣]؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ٧/١٠.

بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك، فسمّ ابنك هذا باسم ولد هارون»^(١).

١٠ - وقوله: «اطلبوا ابني» لما ضلّ الحسن والحسين^(٢).

١١ - وقوله: «إنّ ابنيّ هذين ريجاتاي من الدنيا»^(٣)؛ يعني الحسنين.

١٢ - وقوله: «سمّيت ابنيّ هذين باسم ابني هارون شبر وشبير»^(٤).

١٣ - وقوله: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث

رجلاً من ولدي اسمه كاسمي».

فقال سلمان: من أيّ ولدك يا رسول الله؟ قال: «من ولدي هذا، وضرب بيده على

الحسين»^(٥).

١٤ - وقول الحسن السبط ﷺ لأبي بكر وهو في منبر جدّه الأقدس: «إنزل عن

مجلس أبي». فقال أبو بكر: صدقت إنّّه مجلس أبيك.

وفي لفظ: «إنزل عن منبر أبي». فقال أبو بكر: منبر أبيك لا منبر أبي^(٦).

١٥ - وقوله في وصيّته: «ادفنوني عند أبي»؛ يعني المصطفى^(٧).

١٦ - وقول الحسين السبط ﷺ لعمر: «إنزل عن منبر أبي». فقال عمر: منبر أبيك

لا منبر أبي، من أمرك بهذا^(٨)؟

١ - ذخائر العقبى: ١٢٠. ٢ - كنز العمال ١٠٨: ٥ [١٣/٦٦٢، ح ٣٧٦٨٥].

٣ - الصواعق المحرقة: ١١٤ [ص ١٩١]؛ كنز العمال ٦: ٢٢٠، ٧: ١٠٩ [١٢/١١٣، ح ٣٤٢٥٢] و ١٣/٦٦٧، ح ٣٧٦٩٩.

٤ - الصواعق المحرقة: ١١٥ [ص ١٩٢]؛ كنز العمال ٦: ٢٢٢ [١٢/١١٨، ح ٣٤٢٧٥].

٥ - ذخائر العقبى: ١٣٦.

٦ - الرياض النضرة ١: ١٣٩ [١/١٧٥]؛ شرح نهج البلاغة ٢: ١٧ [٦/٤٢، خطبة ٦٦]؛ الصواعق المحرقة: ١٠٨.

[ص ١٧٧]؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٥٤ [ص ٧٥]؛ كنز العمال ٣: ١٣٢ [٥/٦١٦، ح ١٤٠٨٤ و ١٤٠٨٥].

٧ - الإتحاف بحبّ الأشراف للشبراوي: ١١ [ص ٣٨].

٨ - تاريخ مدينة دمشق ٤: ٣٢١ [١٤/١٧٥، رقم ١٥٦٦] وفي مختصر تاريخ دمشق ٧/١٢٧.

١٧- وقول الإمام السبط الحسن الزكيّ كما في الاتحاف للشبراوي^(١) :

خيرةُ الله من الخلق أبي بعد جدّي وأنا ابن الخيرتين
فضّةٌ قد صُيغت من ذهب فأنا الفضّةُ إسن الذهبين

١٨- وقوله كما في الاتحاف^(٢) :

أنا ابن الذي قد تعلمون مكانه وليس على الحقّ المبين طحاء
أليس رسولُ الله جدّي ووالدي أنا البدرُ إن حلّ النجوم خفاء

١٩- وقول الناشئ :

بني أحمدٍ قلبي بكم يتقطّع بمثل مصابي فيكمُ ليس يُسمعُ

٢٠- وقول صاحب بن عبّاد :

أُجَزُّ رأسُ ابنِ النبيّ وفي الوريّ حيّ أمّام ركابه لم يقتل
فما المبرّر عندئذٍ للخليفة في صفحه عمّا في كتاب الله وسنة نبيّه وتلقّيه بالقبول قول
الأنصاريّ الشاذّ عن الكتاب والسنة؟!

وما عذر فقيه أو حافظ اتّخذ رأي الأنصاري ديناً محتجّاً بقول شاعرٍ لم يُعرف بعدُ،
وبين يديه القرآن والحديث والأدب؟!

- ٣ -

رأي الخليفة في قطع السارق

عن صفية بنت أبي عبيد : أن رجلاً سرق على عهد أبي بكر رضي الله عنه مقطوعة يده
ورجله فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يقطع رجله ويدع يده يستطيب بها ويتطهر بها، ويستنفع
بها. فقال عمر : لا والذي نفسي بيده لتقطعن يده الأخرى. فأمر به أبو بكر رضي الله عنه فقطعت
يده.

١- الاتحاف بحبّ الأشراف : ٤٩ [ص ١٣٦]. ٢- المصدر السابق : ٥٧ [ص ١٩٣].

وعن القاسم بن محمد: أن أبا بكر عليه السلام أراد أن يقطع رجلاً بعد اليد والرجل. فقال عمر عليه السلام: السنة اليد^(١).

إن من موارد الحيرة أن الخليفة لا يعلم حد السارق الذي هو من أهم ما تجب عليه معرفته لحفظ الأمن العام، وتهدئة الحالة، وقطع جرثومة الفساد.

ومن المحير أيضاً تسرعه إلى الحكم قبل ما عزي إليه فيما مر^(٢) من الرجوع إلى الكتاب والسنة ثم الاستعلام من الصحابة ثم المشورة.

ثم إن الذي سدده في هذا القضية لم نسي الحكم إبان خلافته فأراد عين ما أراده صاحبه^(٣)!

- ٤ -

رأي الخليفة في تولية المفضل

قال الحلبي في السيرة النبوية^(٤):

إن أبا بكر عليه السلام كان يرى جواز تولية المفضل على من هو أفضل منه ؛ وهو الحق عند أهل السنة لأنه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين ، وأعرف بتدبير الأمر ، وما فيه انتظام حال الرعية .

أجاب الحلبي بهذا عن تقديم أبي بكر عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح على نفسه في الخلافة وقوله : «بايعوا أي الرجلين إن شئتم» .

وقال الباقلاني في التمهيد^(٥) عند الجواب عن قول أبي بكر: «وليتكم ولست

بخيركم» :

يمكن أن يكون قد اعتقد أن في الأمة أفضل منه إلا أن الكلمة عليه أجمع

٢- في ص ١١١ من كتابنا هذا.

١- سنن البيهقي ٨: ٢٧٣ - ٢٧٤.

٤- السيرة الحلبية ٣: ٣٨٦ [٣/٣٥٨].

٣- راجع ما سيأتي في ص ١٥٣ من كتابنا هذا.

٥- التمهيد للباقلاني: ١٩٥.

والأمة بنظره أصلح ، لكي يدللهم على جواز إمامة المفضل عن عارض يمنع من نصب الفاضل ؛ ولهذا قال للأنصار وغيرهم : قد رضى لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أحدهما : عمر بن الخطاب وأبا عبيدة الجراح ، وهو يعلم أن أبا عبيدة دونه ودون عثمان وعلي في الفضل ، غير أنه قد رأى أن الكلمة تجتمع عليه ، وتنحسم الفتنة بنظره . وهذا أيضاً ممثلاً لجواب لهم عنه .

قال الأمين: الذي نرتئيه في الخلافة أنها إمرة إلهية كالنبوة، وإن كان الرسول خُصّ بالتشريع والوحي الإلهي. وشأن الخليفة التبليغ والبيان، وتفصيل المجمل وتفسير المعضل، وتطبيق الكلمات بمصاديقها، والقتال دون التأويل^(١) كما يُقاتل النبي دون التنزيل، وإظهار ما لم يتسنّ للنبي الإشادة به إمّا لتأخر ظرفه، أو لعدم تهيو النفوس له، أو لغير ذلك من العلل؛ فكلّ منهما داخل في اللطف الإلهي الواجب عليه بمعنى تقريب العباد إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية؛ ولذلك خلقهم واستعبدهم وعلمهم ما لم يعلموا، فلم يدع البشر كالبهائم ليأكلوا ويتمتعوا ويُلهمهم الأمل، ولكن خلقهم ليعرفوه، وليمكنهم من الحصول على مرضاته، وسهّل لهم الطريق إلى ذلك ببعث الرسل، وإنزال الكتب، وتواصل الوحي في الفينة بعد الفينة.

وبما أن أيّ نبي لم يُنطِ عمره بمنصرم الدنيا، ولا قدّر له البقاء مع الأبد، وللشرائع ظروف مديدة، كما أن للشرعية الخاتمة أمد لا منتهى له، فإذا مات الرسول ولشريعته إحدى المدينتين وفي كلّ منهما نفوس لم تكمل بعد، وأحكام لم تُبلّغ وإن كانت مشرّعة،

١ - وبهذا عرّف النبي ﷺ مولانا أمير المؤمنين بقوله: «إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله». قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا». قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكن خاصف النعل»، وكان أعطى علياً نعله يخصفها.

أخرجه جمع من الحفاظ وصحّحه الحاكم والذهبي [في المستدرک على الصحيحين ١٢٢/٣، ح ٤٦٢١؛ وكذا في تلخيصه]، الهيثمي [في مجمع الزوائد ١٢٣/٩]؛ [واظفر تلخيص الغدير ١٨٩/١ - ١٩٠].

وأخرى لم تأت ظروفها، ومواليد قدر تأخير تكوينها، ليس من المعقول بعد أن تترك الأمة سُدى والحالة هذه، والناس كلهم في شمول ذلك اللطف والواجب عليه سبحانه شرع سواء؛ فيجب عليه جلّت عظمته أن يقيض لهم من يكمل الشريعة ببيانه، ويزيح شبه الملحدّين ببرهانه، ويجلو ظلم الجهل بعرفانه، ويدراً عن الدين عادية أعدائه بسيفه ولسانه، ويقيم الأمت والعوج بيده ولسانه.

ومهما كان للمولى جلّت مننه عناية بعبيده، وقد ألزم نفسه بإسداء البرّ إليهم، وأن لا يوليهم إلاّ الخير والسعادة، فعليه أن يختار لهم من ينوء بذلك العبء الثقيل ويمثّل مخلّفه الرسول في الوظائف كلّها، فينصّ عليه بلسان ذلك النبيّ المبعوث، ولا يجوز أن يخلي سربهم، ويتركهم سُدى.

ألا ترى أنّ عبدالله بن عمر قال لأبيه: «إنّ الناس يتحدّثون أنّك غير مستخلف، ولو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمّ جاء وترك رعيّته رأيت أن قد فرط - لرأيت أن قد ضيّع - ورعيّة الناس أشدّ من رعيّة الإبل والغنم، ماذا تقول لله عزّ وجلّ إذ لقينّه ولم تستخلف على عباده»^(١)؟

وقالت عائشة لابن عمر: «يا بنيّ أبلغ سلامي وقل له: لا تدع أمّه محمّد بلا راع، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً؛ فإنّي أخشى عليهم الفتنة...»^(٢).

وهذا معاوية بن أبي سفيان يتمسّك بهذا الحكم العقليّ المسلّم في استخلاف يزيد ويقول: «إنّي أرهّب أن أدع أمة محمّد بعدي كالضأن لا راعي لها»^(٣).

ليت شعري هذا الدليل العقليّ المتسالم عليه لم أهملته الأمة في استخلاف النبيّ الأعظم وأتهمته بالصفح عنه؟!

١ - سنن البيهقي ٨: ١٤٩ عن صحيح مسلم [١٠٢/٤، ح ١٢، كتاب الإمارة].

٢ - الإمامة والسياسة ١: ٢٢ [٢٨/١].

٣ - تاريخ الطبري ٦: ١٧٠ [٣٠٤/٥، حوادث سنة ٥٦ هـ]؛ الإمامة والسياسة ١: ١٥١ [١٥٩/١].

ولا يجوز أيضاً توكيل الأمر إلى أفراد الأمة، أو إلى أهل الحل والعقد منهم؛ لأنّ ممّا أوجبه العقل السليم أن يكون الإمام مكتنفاً بشرائط بعضها من النفسيات الخفية، الملكات التي لا يعلمها إلا العالم بالسرائر^(١)؛ كالعصمة والقداسة الروحية والنزاهة النفسية لتبعده عن الأهواء والشهوات، والعلم الذي لا يضلّ معه في شيء من الأحكام، إلى كثير من الأوصاف التي تقوم بها النفس، ولا يظهر في الخارج منها إلا جزئيات من المستصعب الحكم باستقرائها على ثبوت كليّاتها: «وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُغْلِظُونَ»^(٢). و«اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»^(٣).

فالأمة المنكفي علمها عن الغيوب لا يمكنها تشخيص من تحلّى بتلك الصفات؛ فالغالب على خيرتها الخطأ؛ فإذا كان نبيّ كموسى على نبينا وآله وعليه السلام تكون وليدة اختياره من الآلاف المؤلفة سبعين رجلاً، وإنّهم لما بلغوا الميقات قالوا: أرنا الله جهرة، فما ظنك بأفراد عاديّين واختيارهم؟! وأناس ماديّين وانتخابهم؟! وما عساهم أن ينتخبوا غير أمثالهم ممّن هو وإيّاهم سواسية كأسنان المشط في الحاجة إلى المسدّد؟!.

وليس من المأمون أن يقع انتخابهم على عاثر، أو يكون التياثهم^(٤) بمشاغب، أو يكون انثياهم وراء من يسرّ على الأمة حسواً في ارتغاء^(٥)، أو يقع اختيارهم على جاهل يرتبك في الأحكام فيرتكب العظام، ويأتي بالجرائم، ويقترف المآثم وهو لا يعلم، أو يعلم ولا يكثرث لأن يقول زوراً، ويحكم غروراً؛ فيفسدوا من حيث أرادوا أن يصلحوا، ويقعوا في الهلكة وهم لا يشعرون؛ كما وقعت أمثال ذلك في البيعة

١ - وقد أشبعنا القول في البرهنة على لزوم هذه الملكات الفاضلة في الإمامة في غير هذا المورد.

٢ - القصص: ١٦٩. ٣ - الأنعام: ١٢٤.

٤ - [«الانثيات»: الاختلاط والالتفات].

٥ - مثّل يضرب لمن يظهر أمراً ويريد غيره؛ تاج العروس ١٠: ١٥٣ [والمجمع الأمثال ٣/ ٥٢٥، رقم ٤٦٨٠].

للمعاوية ويزيد وخلفاء الأمويين.

فعلى البارئ الذي يكره كل ذلك في خلقه أن لا يجعل لأحد من خلقه الخيرة فيها وقد خلقه ظلوماً جهولاً^(١)؛ «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^(٢). «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ»^(٣) في الأمر. «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»^(٤).

وقد أخبر به النبي الأعظم من أول يومه يوم عرض نفسه على القبائل فبلغ بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله؛ فقال له قائلهم: رأيت إن نحن تابعنك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «إِنَّ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»^(٥).

أنى تسوغ أن تكون للخلق خيرة في الأمر مع شيوع الغايات والأغراض والدعائوي والميول والشهوات في الناس حول الانتخاب، مع اختلاف الأنظار وتضارب الآراء والمعتقدات في تحليل نفسيات الرجال والشخصيات البارزة، مع كثرة الأحزاب والفرق والأقوام والطوائف المتشاكسة، مع شقاق القومية والطائفية والشعوبية الذائع الشائع في المسكين ابن آدم من أول يومه.

وقد اقترن الانتخاب من بدئه بالتحارش والتلاكم والتكالم والتشاور والتصاخب والتخاصم حتى قدت برود يمانية^(٦) ووقع البرح براحاً^(٧). وكم بالانتخاب هتكت

٢- الملك: ١٤.

١- راجع الأحزاب: ٧٢.

٤- الأحزاب: ٣٦.

٣- القصص: ٦٨.

٥- سيرة ابن هشام ٢: ٣٢ [٦٦/٢]؛ الروض الأنف ١: ٢٦٤ [٣٨/٤-٣٩]؛ بهجة المحافل لعبد الدين العامري ١:

١٣٨؛ السيرة الحلبية ٢: ٣؛ سيرة زيني دحلان ١: ٣٠٢ [١٤٧/١] هامش الحلبية؛ حياة محمد هيكمل: ١٥٢

[ص ٢٠١-٢٠٢].

٦- مثل يضرب في شدة الخصومة؛ أي تخاصموا حتى تشاققوا الشيايب الغالية.

٧- «البرح»: الشدة والأذى والشر. و«البراح»: الصراح البين.

حرمات وأهينت مقدّسات، وأُضيعت حقائق، ودُحِض الحقّ الثابت، ودُحِس الصالح العالم، واختلّ الوثام، وأقلق السلام، وسفحت دماء زكيّة، وتشلّشت أشلاء الإسلام الصحيح؛ فجاء يطمع في الأمر من لا خلاق له من سوقٍ برديٍّ، أو مبرطش أهواء الصفق بالأسواق، أو بزّاز يحمل بني أبيه على رقاب الناس، أو حفّار قبور لا يعرف عرضه من طوله، أو طليق غاشم، أو خمار سكّير، أو مستهتر مشاغب، من الذين اتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً، ودين الله حولاً.

ومقتضى هذا البيان الضافي أن يكون الخليفة أفضل الخليقة أجمع في أمته؛ لأنّه لو كان في وقته من يماثله في الفضيلة أو من ينيف عليه استلزم تعيينه الترجيح بلا مرجّح أو التظيف في كفة الرجحان.

على أنّ الإمام لو قصر في شيء من تلك الصفات لأمكن حصول حاجته إلى المورد الذي نبا عنه علمه، أو تضاءلت عنه بصيرته، أو ضعفت عنه منته؛ فعندئذ الطامة الكبرى؛ من الفتيا المجردة والرأي لا عن دليل، أو الأخذ عمّن يسدّده. وفي الأوّل العيث والفشل، وفي الثاني سقوط المكانة. وقد أخذ في الإمام مثل النبيّ أن يكون بحيث يُطاع ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، وقرنت طاعة الإمام بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)؛ وذلك ليتمكن إقامة الحدود الإلهية، ودحض الأباطيل وربما تسرّبت الشبهة عن جهله إلى نفس الدعوة وحقيقة الدين إن كان عميده الداعي إليه يقصر عن الدفاع عنه وإزاحة الشكوك المتوجّهة إليه.

فكلّ هذا يستدعي كماله في الصفات الكمالية كلّها فيفضل على الأمة جمعاء؛ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣). ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ

تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ»^(١). «أَقَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي
فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^(٢).

الخلافة عند القوم:

نعم، الخلافة التي تقول بها الجماعة لا تستدعي كل ما ذكرنا؛ فإنهم يحسبون الخليفة
أي مستحوذ على الأمة يقطع السارق، ويقتص القاتل، ويكلاً الثغور، ويحفظ الأمن
العام، إلى ما يشبه هذه، ولا يخلع بفسق، ولا ينتقد بفاحشة ميّنة، ولا يعاب بجهل،
ولا يؤاخذ بعثرة، ولا يُشترط فيه أي من الملكات الكريمة، وله العتب في كل ذلك،
وليس عليه من عتب.

كلمة الباقلاني:

قال الباقلاني في التمهيد^(٣) باب الكلام في صفة الإمام الذي يلزم العقد له:

فإن قال قائل: فحبرونا ما صفة الإمام المعقود له عندهم؟

قيل لهم: يجب أن يكون على أوصاف:

منها: أن يكون قرشياً من الصميم.

ومنها: أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضياً من قضاة
المسلمين.

ومنها: أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب، وتدير الجيوش والسرايا، وسد
الثغور، وحماية البيضة وحفظ الأمة، والانتقام من ظالمها، والأخذ
لمظلومها، وما يتعلق به من مصالحها.

٢- يونس: ٣٥.

١- الرعد: ١٦.

٣- التمهيد للباقلاني: ١٨١.

ومنها : أن يكون ممن لا تلحقه رقّة ولا هودة في إقامة الحدود ولا جزع لضرب الرقاب والأبشار .

ومنها : أن يكون من أمثلهم في العلم وسائر هذه الأبواب التي يمكن التفاضل فيها ، إلا أن يمنع عارض من إقامة الأفضل فيسوغ نصب المفضول .
وليس من صفاته : أن يكون معصوماً ، ولا عالماً بالغيب ، ولا أفرس الأمة وأشجعهم ، ولا أن يكون من بني هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش .
وقال^(١) :

قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث : لا ينخلع الإمام بنفسه وظلمه بغصب الأموال ، وضرب الأبشار ، وتناول النفوس المحرّمة ، وتضييع الحقوق ، وتعطيل الحدود ، ولا يجب الخروج عليه ، بل يجب وعظه وتخويله . وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه ، من معاصي الله .

واحتجوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي ﷺ وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ، وأنه قال ﷺ : إسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع ، ولو لعبد حبشي ، وصلّوا وراء كلّ برّ وفاجر . وروي أنّه قال : أطعهم وإن أكلوا مالك ، وضربوا ظهرك ، وأطيعوهم ما أقاموا الصلاة .

قال الأميني: ومما أو عز إليه الباقلاني من الأخبار الكثيرة الدالة على وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال ولا ينزل الإمام بالفسق ما عن حذيفة بن اليمان قال : قلت : يا رسول الله ! إنّنا كنّا بشرّاً ، فجاء الله بخير فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال : نعم . قلت : وهل وراء هذا الشرّ خير؟ قال : نعم . قلت : فهل وراء ذلك الخير شرّ؟ قال : نعم . قلت : كيف يكون؟ قال : يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنّون

بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جحآن إنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع^(١)!

وأخذاً بهذه الأحاديث قال الجمهور بعدم عزل الإمام بالفسق.
قال النووي في شرح مسلم^(٢) هامش إرشاد الساري في ذيل هذه الأحاديث المذكورة عن صحيح مسلم:

قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل [الخليفة] بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله.

قال الأميني: فما عذر عائشة وطلحة والزبير ومن تبعهم من الناكثين والمارقين في الخروج على مولانا أمير المؤمنين؟! هبه صلوات الله عليه آوى قتلة عثمان، وعطل الحدود معاذ الله فأين العمل بهذه الأحاديث التي أخذتها الأمة المسكينة سنة ثابتة مشروعة؟!

كلمة التفتازاني:

وقال التفتازاني في شرح المقاصد^(٣):

ولا يشترط أن يكون الإمام هاشمياً ولا معصوماً ولا أفضل من يولّى عليهم.
وقال^(٤):

إذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف

١- صحيح مسلم ٢: ١١٩ [٤/١٢٤، ح ٥٢، كتاب الإمارة]؛ سنن البيهقي ٨: ١٥٧.

٢- شرح صحيح مسلم، هامش إرشاد الساري ٨: ٣٦ [شرح صحيح مسلم ١٢/٢٢٩].

٣- شرح المقاصد ٢: ٢٧١ [٥/٢٣٣].
٤- المصدر السابق ٢: ٢٧٢.

وقهر الناس بشوكة انعقدت الخلافة له ، وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على
الأنظر إلا أنه يُعصى فيما فعل . ويجب طاعة الإمام ما لم يخالف حكم
الشرع ، سواء كان عادلاً أو جائراً .

كلمة القاضي الإيجي^(١) :

قال في المواقف^(٢) :

الجمهور على أن أهل الإمامة :
مجتهد في الأصول والفروع ؛ ليقوم بأمور الدين .
ذو رأي ؛ ليقوم بأمور الملك .
شجاع ؛ ليقوى على الذب عن الحوزة .
يجب أن يكون :
عدلاً ؛ لئلا يجور .
عاقلاً ؛ ليصلح للتصرفات .
بالغاً ؛ لقصور عقل الصبي .
ذكراً ؛ إذ النساء ناقصات عقل ودين .
حرّاً ؛ لئلا يشغله خدمة السيد ، ولئلا يُحتقر فيعصى .
فهذه الصفات مشروط بالإجماع . وها هنا صفات في اشتراطها خلاف :
الأولى : أن يكون قرشياً .
الثانية : أن يكون هاشمياً ؛ شرطه الشيعة .
الثالثة : أن يكون عالماً بجميع مسائل الدين ؛ وقد شرطه الإمامية .

١ - إمام الشافعية القاضي عبدالرحمن الإيجي ، المتوفى ٧٥٦ .

٢ - المواقف : ٣٩٨ .

الرابعة : ظهور المعجزة على يده ؛ إذ به يعلم صدقه في دعوى الإمامة والعصمة ؛ وبه قال الغلاة . ويُبطل الثلاثة أنا ندلّ على خلافة أبي بكر ولا يجب له شيء مما ذكر^(١) .

الخامسة : أن يكون معصوماً ؛ شرطها الإمامية والإسماعيلية . وبطله أن أبا بكر لا يجب عصمته اتفاقاً^(٢) .

ما تنعقد به الإمامة:

قال القاضي عضد الإيجي في المواقف^(٣) :

المقصد الثالث فيما ثبت به الإمامة : أنّها تثبت بالنصّ من الرسول ، ومن الإمام السابق بالإجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد خلافاً للشيعة ؛ دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بالبيعة^(٤) .

وقال :

إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة ، فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع^(٥) ؛ إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع ، بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ والعقد كافٍ ؛ لعلمنا أنّ الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك ؛ كعقد عمر لأبي بكر ، وعقد عبدالرحمن بن عوف لعثمان ، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلاً عن إجماع الأمة . هذا ولم ينكر عليهم أحد ، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا .

١ - دليل يضحك التكلّي ، لأنّه لا يعدوه أن يكون مصادرة بالمطلوب ، وأخذ المدّعى دليلاً .

٢ - اقرأ واضحك ، أو اعطفه على ما قبله . ٣ - المواقف [ص ٣٩٩] .

٤ - أنظر إلى هذا النول الذي تشابهوا في النسخ عليه .

٥ - قال السيّد الشريف الجرجاني : « يعني من جميع أهل الحلّ والعقد » .

وقد أقرّه شرّاحه وهم: السيّد الشريف الجرجاني، والمولى حسن چلبی، والشيخ مسعود الشيرواني^(١).

وقال الإمام ابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي^(٢):
لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد على الخلاف المعلوم فيه.

كلمة القرطبي:

وقال القرطبي في تفسيره^(٣):

فإن عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت ويلزم الغير فعله ؛ خلافاً لبعض الناس حيث قال : لا تنعقد إلا بجماعة من أهل الحلّ والعقد . ودليلنا : أن عمر رضي الله عنه عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك^(٤)
قال الأميني: فما المبرّر عندئذٍ لتخلّف عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وسعد ابن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، وأبي مسعود الأنصاري، وحسان بن ثابت، والمغيرة بن شعبة، ومحمد بن مسلمة وبعض آخر من ولادة عثمان على الصدقات وغيرها، عن بيعة مولانا أمير المؤمنين بعد إجماع الأمة عليها؟! وما عذر تأخرهم عن طاعته في حروبه، وقد عرفوا بين الصحابة وسمّوا المعتزلة لاعتزالهم بيعة علي^{(٥)؟!}

١- شرح المواقف ٣: ٢٦٥-٢٦٧ [٣٥٢/٨]. ٢- شرح صحيح الترمذي لابن العربي ١٣: ٢٢٩.

٣- الجامع لأحكام القرآن ١: ٢٣٠ [١٨٦/١].

٤- كأنّ بني هاشم كلّهم، والأنصار بأجمعهم إلّا رجلين، والزبير وعمار وسلمان ومقداداً وأبا ذرّ وآخرين كثيرين من المهاجرين المتخلفين عن بيعة أبي بكر المنكرين إياها كما فصل في محله، لم يكونوا من الصحابة عند القرطبي، وإلّا فلا يجوز للمفسّر أن يكذب وهو يعلم أنّ التاريخ الصحيح سيكشف السر عن دجله.

٥- المستدرک للحاكم ٣: ١١٥ [١٢٤/٣، ح ٤٥٩٦]؛ تاريخ الطبري ٥: ١٥٥ [٤/٤٣١]، حوادث سنة ٣٥ هـ؛

الكامل لابن الأثير ٣: ٨٠ [٣٠٣/٢، حوادث سنة ٣٥ هـ]؛ تاريخ أبي الفداء ١: ١١٥ و١٧١.

نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم:

قال الأمين: هذا ما جاء به القوم من الخلافة الإسلامية والإمامة العامة؛ فهي عندهم ليست إلا رئاسة عامة لتدبير الجيوش، وسدّ الثغور، وردع الظالم، والأخذ للمظلوم، وإقامة الحدود، وقسم الفيء بين المسلمين، والدفع بهم في حجّهم وغزوهم. ولا يشترط فيها نبوغ في العلم زائداً على علم الرعيّة، بل هو والأمة في علم الشريعة سيّان، ويكفي له من العلم ما يكون عند القضاة. وهؤلاء القضاة بين يديك وأنت جدّ عليم بعلمهم ويسعك إمعان النظر فيه من كذب. ولا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه وجوره وفجوره، ويجب على الأمة طاعته على كلّ حال برّاً كان أو فاجراً، ولا يسوغ لأحد مخالفته ولا القيام عليه والتنازع في أمره.

فعلى هذا الأساس كان يزحزح خلفاء الانتخاب الدستوريّ في القضاء والإفتاء عن حكم الكتاب والسنة ولم يكن هناك أيّ وازع، ولم يكن يوجد قطّ أحد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وعلى هذا الأساس تمكّن معاوية بن أبي سفيان من أن يجلس بالكوفة للبيعة ويبايعه الناس على البراءة من عليّ بن أبي طالب^(١).

وعلى هذا الأساس أقرّ عبد الله بن عمر بيعة يزيد الخمر^(٢).

وعلى هذا الأساس تكلمت عائشة فيما رواه الأسود بن يزيد قال: قلت لعائشة: ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمّد في الخلافة؟ قالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة

١ - البيان والتبيين ٢: ٨٥ [٧٢/٢].

٢ - صحيح البخاري ١: ١٦٦ [٢٦٠٣/٦] ح ٦٦٩٤؛ سنن البيهقي ٨: ١٥٩ و ١٦٠؛ مسند أحمد ٢: ٩٦ [٢٢٨/٢].

سنة (١).

وعلى هذا الأساس يوجّه قول مروان بن الحكم؛ قال: ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليٍّ. ف قيل له: ما لكم تسبّونه على المنابر؟ قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك^(٢). وعلى هذا الأساس يتمّ اعتذار شمر بن ذي الجوشن قاتل الإمام السبط فيما رواه أبو إسحاق؛ قال: كان شمر بن ذي الجوشن يصليّ معنا ثمّ يقول: اللهمّ إنّك شريف تحبّ الشرف، وإنّك تعلم أنّي شريف فاغفر لي. قلتُ: كيف يغفر الله لك وقد أعنت على قتل ابن رسول الله ﷺ؟! قال: ويحك فكيف نصنع؟ إنّ أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخافهم، ولو خالفناهم كنّا شرّاً من هذه الحمر الشقاة^{(٣)(٤)}!

وعلى هذا الأساس هتكت حرّات آل الله، وأُضيّعت مقدّسات العترة الهادية، وسُفكت دماء الأبرياء الأزكياء من شيعة أهل البيت الطاهر، وشاع وذاع لعن سيّد العترة نفس النبيّ الأقدس، والمطهر بلسان الله، على صهوات المنابر، واتّخذ خلفاء بني أميّة سنّة متّبعة في أرجاء العالم الإسلاميّ، حتّى وبّخ معاوية سعد بن أبي وقاص لسكوته عن سبّ أبي السبطين مولانا أمير المؤمنين^(٥)!

وعلى هذا الأساس من معنى الخلافة لا عسف ولا حزازة في رأي الخليفة الأوّل ومن هذا حذوه من صحّة اختيار المفضول على الفاضل، وتقديم المتأخّر على المتقدّم بأعذار مفتعلة، وأوهام مختلفة، ومرجّحات واهية، وسياسة وقتيّة. واتبّع الأكثرون الخليفة في تقديم المفضول على الفاضل.

١ - أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدرّ المنثور ٦: ١٩ [٣٨٣/٧].

٢ - الصواعق المحرقة: ٣٣ [ص ٥٥].

٣ - تاريخ ابن عساكر ٦: ٣٣٨ [١٨٩/٢٣]، رقم ٢٧٦٢؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١٠/٣٣٢؛ ميزان الاعتدال

للذهبي ١: ٤٤٩ [٢/٢٨٠، رقم ٣٧٤٢]. ٤ - [في المصادر الثلاثة المتقدّمة: «السقاة»].

٥ - [راجع تلخيص الغدير/٢٩٨].

قال القاضي في المواقف^(١):

جرّز الآكثرون إمامة المفضل مع وجود الفاضل ؛ إذ لعلّه أصلح للإمامة من
الفاضل ؛ إذ المعتبر في ولاية كلّ أمر معرفة مصالحه ومفاسده ، وقوّة القيام
بلوازمه . وربّ مفضل في علمه وعمله هو بالزعامة أعرف ، وبشرائطها أقوم .
وفضّل قوم فقالوا : نصب الأفضل إن أثار فتنة لم يجب وإلاّ وجب .

وقال الشريف الجرجاني :

كما إذا فرض أنّ العسكر والرعاية لا ينقادون للفاضل بل للمفضل^(٢) .

قال الأميني: إنّنا لا نريد بالأفضل إلّاّ الجامع لجميع صفات الكمال التي يمكن اجتماعها
في البشر لا الأفضليّة في صفة دون أخرى ؛ فيكون حينئذٍ الأفقه مثلاً هو الأبصر بشؤون
السياسة ، والأعرف بمصالح الأمور ومفاسدها ، والأثبت في إدارة الصالح العام ،
والأبسل في مواقف الحروب ، والأقضى في المحاكمات ، والأخشن في ذات الله ، والأرأف
بضعفاء الأمّة ، والأسمح على محاييج الملأ الدينيّ ، إلى أمثالها من الشرائط والأوصاف ؛
إذن فلا تصوير لما حسبه من أنّ المفضل قد يكون أقدر وأعرف وأقوم .
وعلى المولى سبحانه أن لا يخلي الوقت عن إنسان هو كما قلناه ، بعد أن أثبتنا أنّ
تقييذه من اللطف الواجب عليه سبحانه ، وهو عديل القرآن الكريم ، ولا يفترقا حتّى
يردا على النبيّ الحوض .

وأما من لا ينقاد له من الجيش وغيره فهو كمن لا ينقاد لصاحب الرسالة ،
لا يزحزح بذلك صاحب الأمر عمّا قيّضه الله له من الولاية الكبرى ، بل يجب على بقيّة
الأمّة إخضاعهم كما أخضعوا أهل الردة أو من حسبه منهم ، وأن يفوّقوا إليه سهم الجنّ
كما فوّقه إلى سعد بن عبادّة أمير الخزرج .

ولم تكن للخليفة مندوحة عن رأيه في تقديم المفضول، وما كان إلا تصحيحاً لخلافة نفسه، ولتقدمه على من قدّسه المولى سبحانه في كتابه العزيز، ورآه نفس النبيّ الأقدس وقرن طاعته بطاعته، وولايته بولايته، وأكمل به الدين، وأتمّ به النعمة، وأمر نبيّه بالبلاغ وضمن له العصمة من الناس، وهتف هاتف الوحي بولايته وألويّته بالمؤمنين من أنفسهم في محتشد رهيب بين مئة ألف أو يزيدون قائلاً: «يا أيّها الناس إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، أللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه».

ولم تكن تخفى لأيّ أحد فضائل أبي السبطين وملكاته وروحانيّاته، وطيب عنصره، وطهارة محتده، وقداسة مولده، وعظمة شأنه، وبُعد شأوه في حزمه وعزمه وسبقه في الإسلام، وتفانيه في ذات الله، وأفضليّته في العلم والفضائل كلّها.

ولم يكن هناك من يزعم أو يفوه بأفضليّة أبي بكر وعمر من مولانا أمير المؤمنين؛ هذا أبو بكر ينادي على صهوات المنابر: «وليتّ ولست بخيركم، ولي شيطان يعتريني»، ويطلب من أمته العون له على نفسه وإقامة أمته وعوجه^(١).

وهذا عمر بن الخطّاب ونصوصه بين يديك على أنّ الأمر كان لعليّ غير أنّهم زحزحوه عنه لحدّاثه سنّه والدماء التي عليه^(٢).

أو لما قاله لما عزم على الاستخلاف: «لله أبوك لولا دعاة فيك»^(٣).

١- طبقات ابن سعد ٣: ١٥١ [٢١٢/٣]؛ الإمامة والسياسة ١: ١٦ [٢٢/١]؛ تاريخ الطبري ٣: ٢١٠ [٢٢٤/٣]، حوادث سنة ١١ هـ؛ صفة الصفوة ١: ٩٩ [٢٦١/١]، رقم ٢؛ شرح نهج البلاغة ٣: ٨؛ و ٤: ١٦٧ [٢٠/٦]، خطبة ١٦٦ و ١٥٦/١٧، كتاب ٦٢؛ كنز العمال ٣: ١٢٦ [٥٨٩/٥] ح ١٤٠٥٠.

٢- راجع محاضرات الأدباء للراغب ٢: ٢١٣ [٢/٢ ج ٤/٤٧٨]؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٠ و ١١٥ [٥٠/٦]، خطبة ٦٦؛ ٨٢/١٢، خطبة ٢٢٣.

٣- الغيث المنسجم للصفدي ١: ١٦٨ [٢٧٦/١].

وكان يدعو الله ربّه أن لا يبقيه لمعضلة ليس فيها أبو الحسن، ويرى أنّ عليّاً لولاه لضلّ هو^(١)، ولولاه لهلك هو، ولولاه لافتضح هو، وعقمت النساء أن يلدن مثل عليّ. إلى كثير ممّا مرّ عنه في نواذر الأثر. ولم يكن قط يختلج في هواجس ضميره أنّه كان يماثل مولانا عليّاً في إحدى فضائله، أو يدانيه في شيء منها، أو يبعد عنه بقليل.

وبعد ما عرفت معنى الخلافة عند القوم، ووقفت على رأي سلفهم فيها وفي مقدّمهم الخليفة الأوّل، هلمّ معي إلى التهافت بين تلكم الكلمات وبين مزاعم أخرى جنح إليها لفيف آخر: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»^(٢).

قال أحمد بن محمّد الوتري البغداديّ في روضة الناظرين^(٣):

إعلم أنّ جماهير أهل السنّة والجماعة يعتقدون أنّ أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ رضي الله تعالى عنهم، وأنّ المتقدّم في الخلافة هو المتقدّم في الفضيلة؛ لاستحالة تقديم المفضل على الفاضل؛ لأنّهم كانوا يراعون الأفضل فالأفضل.

والدليل عليه: أنّ أبا بكر ﷺ لمّا نصّ على عمر ﷺ قام إليه طلحة ﷺ فقال له: ما تقول لربّك وقد وليت علينا فظاً غليظاً؟ قال أبو بكر ﷺ: فركت لي عنيك، ودلكت لي عقيبك، وجعنتني تكفّني عن رأيي، وتصدّني عن ديني، أقول له إذا سألتني: خلفت عليهم خير أهلك؛ فدّل على أنّهم كانوا يراعون الأفضل فالأفضل.

وأنت ترى أنّ هذه المزعمة فيها دجل لإغراء البسطاء من الأُمّة المسكينة وهي تصادم رأي الجمهور ونظريات علماء الكلام منهم، وعمل الصحابة ونصوصهم، وقبل

٢- النساء: ٨٢.

١- التمهيد للباقلاني: ١١٩.

٣- روضة الناظرين: ٢.

كلّ شيء رأي الخليفة أبي بكر. وكأنّ ما حسبه من الاستحالة قد خفي على الخليفة وعلى من آزره على أمره، واعتنق إمامته في القرون والأجيال من بعده.

وكانّ التاريخ ونوادير الأثر لم يكن بين يدي الوثري حتّى يعرف مقادير الرجل، ولا يغلو فيهم، ويعلم بأنّ عمر لو كان خير الأئمة وتلك سيرته ونوادير أثره فعلى الإسلام السلام.

نعم، إنّما هي أهواء وشهوات أخذ كلّ بطرف منها، وفتاوى مجرّدة هملج وراءها كلّ حسب ميوله. ونحن نضع عقلك السليم مقياساً بين هذين الإمامين: مَنْ نَصِفُهُ نحن، ومن يقول به هؤلاء. فراجعهم إلى أيّهما يجنح، وأيّاً منهما يتّخذة وسيلة بينه وبين ربّه سبحانه، وأيّهما يحقّ له أن يستحوذ على رقاب المسلمين ونفوسهم ونواميسهم وأحكامهم في دنياهم وأخراهم؟ إن لم تكن في ميزان نصفته عينٌ. فويل للمطفّفين.

- ٥ -

رأي الخليفة في القدر

أخرج اللالكائي في السنّة عن عبدالله بن عمر قال: جاء رجل إلى أبي بكر فقال: أرايت الزنا بقدر؟ قال: نعم. قال: فإنّ الله قدّره عليّ ثمّ يعذبني؟ قال: نعم، يا ابن اللخناء! أما والله لو كان عندي إنسان أمرت أن يجأ^(١) أنفك^(٢).

قال الأميني: أترى الخليفة عرف معنى القدر الصحيح؟! بمعنى ثبوت الأمر الجاري في العلم الأزليّ الألهي، مع إعطاء القدرة على الفعل والترك، مع تعريف الخير والشرّ وتبيان عاقبة الأوّل ومغبّة الأخير.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٣). ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٤). ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا

١ - «وجأ عنقه»: ضربه. و«وجأه»: رضه ودقّه. ٢ - تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٦٥ [ص ٨٩].

٤ - البلد: ١٠.

٣ - الإنسان: ٣.

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ»^(١). «وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ»^(٢).

كل ذلك مع تكافؤ العقل والشهوة في الإنسان، مع خلق عوامل النجاح تجاه النفس الأمارة بالسوء، فمن عامل بالطاعة بحسن اختياره، ومن مقترف للمعصية بسوء الخيرة.

«فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ»^(٣). «مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا»^(٤). «فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا»^(٥). «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ»^(٦). «فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا»^(٧). «قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي»^(٨). «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا»^(٩). «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ»^(١٠). «رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^(١١).

فالقدر لا يستلزم جبراً، وعلم المولى سبحانه بمقادير ما يختاره العباد من النجدين ويأتون به من العمل من خير أو شر لا ينافي التكليف. كما لا أثر له في اختيار المكلفين، ولا يقبح معه العقاب على المعصية، ولا يسقط معه الثواب على الطاعة.

«فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(١٢). «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا

٢- لقمان: ١٢.

١- النمل: ٤٠.

٤- الإسراء: ١٥.

٣- فاطر: ٣٢.

٦- الجاثية: ١٥.

٥- الزمر: ٤١.

٨- سبأ: ٥٠.

٧- الأنعام: ١٠٤.

١٠- النجم: ٣٠.

٩- الإسراء: ٧.

١٢- الزلزلة: ٧ و ٨.

١١- القصص: ٨٥.

حَاسِبِينَ»^(١). «أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ أَلْيَوْمَ»^(٢). «فَكَتِفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَذِمَّ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(٣).

فهل الخليفة عرف هذا المعنى من القدر، فأجاب بما أجاب، لكن السائل لم يفهم ما
أراده فانتقده بما انتقد؟ غير أنه لو كان يريد ذلك لما جابه المنتقد بالسباب المقذع والتمني
بأن يكون عنده من يجأ أنفه قبل بيان المراد فيفيء الرجل إلى الحق.

أو أن الخليفة لم يكن يعرف من القدر إلا ما ارتفعت به عقيرة جماهير من أشياعه
من القول بخلق الأعمال؟ فينتجه إذن ما قاله المنتقد، سبه الخليفة أولم يسبه.

والذي يؤثر عن ابنته عائشة هو الجنوح إلى المعنى الثاني يوم اعتذرت عن نهضتها
على مولانا أمير المؤمنين، وتبرجها عن خدرها المضروب لها تبرج الجاهلية الأولى
بعد أن لمت على ذلك: بأنها كانت قدراً مقدوراً وللقدر أسباب^(٤).

- ٦ -

رأي الخليفة في قصة مالك

سار خالد بن الوليد يريد البطاح حتى قدمها فلم يجد بها أحداً. وكان مالك بن
نويرة قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال: يا بني يربوع! إنا دُعينا إلى هذا الأمر
فأبطأنا عنه فلم نفلح، وقد نظرت فيه فرأيت الأمر يتأقّى لهم بغير سياسة، وإذا الأمر
لا يسوسه الناس، فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم، ففترقوا وادخلوا في هذا الأمر،
ففترقوا على ذلك. ولما قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام وأن
يأتوه بكلّ من لم يجب، وإن امتنع أن يقتلوه. وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا
ويقيموا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا

٢- غافر: ١٧.

١- الأنبياء: ٤٧.

٤- أخرجه البغدادي بإسناده في تاريخه ١: ١٦٠.

٣- آل عمران: ٢٥.

الغارة ثم تقتلوا كل قتلة، الحرق فإسواء، إن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة، ولا كلمة. فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع من عاصم وعبيد وعرين وجعفر فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلّوا، فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء وجعلت تزداد برداً. فأمر خالد منادياً فنادى: ادفئوا أسراكم. وكانت في لغة كنانة القتل. فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكا وسمع خالد الواقعة فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه. وتزوج خالد أمّ تميم امرأة مالك، فقال أبو قتادة: هذا عملك، فزبره خالد فغضب ومضى.

وفي تاريخ أبي الفداء: كان عبدالله بن عمرو وأبو قتادة الأنصاري حاضرين، فكلما خالداً في أمره، فكره كلامهما. فقال مالك: يا خالد! ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا. فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك وتقدم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه.

فقال عمر لأبي بكر: إن سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه في ذلك. فقال: يا عمر! تأول فأخطأ فرفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم سيفاً^(١) سلّه الله على الكافرين^(٢).

نظرة في القضية:

قال الأمين: يحقّ على الباحث أن يعين النظرة في القضية من ناحيتين:
الأولى: ما ارتكبه خالد بن الوليد من الطامات والجرائم الكبيرة التي تُنزّه عنها ساحة كل معتنق للإسلام، وتضادّ نداء القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويتبرأ منها

١ - «شام السيف يشيمه»: إذا أغمده.

٢ - تاريخ الأمم والملوك [٢٧٩/٣]، حوادث سنة ١١ هـ.

وَمَنْ اقْتَرَفَهَا مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى»^(١).
«أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَغْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ»^(٢). «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ»^(٣).

بأي كتاب أم بأية سنة ساغ للرجل سفك تلكم الدماء الزكية من الذين آمنوا بالله
ورسوله واتبعوا سبيل الحق وصدقوا بالحسنى، وأذنوا وأقاموا وصلّوا وقد علت
عقيرتهم: بأننا مسلمون، فما بال السلاح معكم؟! «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ
أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٤).

ما عذر الرجل في قتل مثل مالك الذي عاشر النبي الأعظم، وأحسن صحبته،
واستعمله ﷺ على صدقات قومه، وقد عُدَّ من أشرف الجاهلية والإسلام، ومن
أرداف الملوك؟! «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»^(٥).
«وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَبِعِزَّتِ اللَّهِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا»^(٦).

وماذا أحل للرجل شن الغارة على أهل أولئك المقتولين وذويهم الأبرياء وإيذائهم
وسبيهم بغير ما اكتسبوا إثماً، أو اقترفوا سيئة، أو ظهر منهم فساد في الملأ الديني؟!
«وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا»^(٧).

ما هذه القسوة والعنف والفظاظة والتزحزح عن طقوس الإسلام، وتعذيب
رؤوس أمة مسلمة، وجعلها إثنيةً للقدر وإحراقها بالنار؟! «قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ»^(٨).
«قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ»^(٩).

٢ - البلد : ٥ .

١ - القيامة : ٣٦ .

٤ - آل عمران : ١٨٨ .

٣ - العنكبوت : ٤ .

٦ - النساء : ٩٣ .

٥ - المائدة : ٣٢ .

٨ - الزمر : ٢٢ .

٧ - الأحزاب : ٥٨ .

٩ - الزخرف : ٦٥ .

ما خالد وما خطره بعد ما اتَّخذ إلهه هواه، وسوّلته نفسه، وأضلّته شهوته، وأسكره شبقه؟! فهتك حرّمات الله، وشوّه سمعة الإسلام المقدّس، ونزا على زوجة مالك قتل غيّه في ليلته^(١)؛ «إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمُتْنًا وَسَاءَ سَبِيلًا»^(٢). ولم يكن قتل الرجل إلّا لذلك السفاح، وكان أمراً مشهوداً وسراً غير مستسرّ، وكان يعلمه نفس مالك ويخبر زوجته بذلك قبل وقوع الواقعة بقوله إيّاها: أَقْتُلْتَنِي. فقتل الرجل مظلوماً غيرَةً و محاماةً على ناموسه. وفي المتواتر: «من قتل دون أهله فهو شهيد»^(٣). وفي الصحيحة: «من قتل دون مظلّمته فهو شهيد»^(٤).

والعذر المفتعل من منع مالك الزكاة لا يبرّئ خالداً من تلکم الجنایات. أيوجب الردّة مجرّد امتناع الرجل المسلم الموحّد المؤمن بالله وكتابه عن أداء الزكاة لهذا الإنسان بخصوصه وهو غير منكر أصل الفريضة؟! أو يُحكم عليه بالقتل عندئذٍ، وقد صحّ عن المشرّع الأعظم قوله: «لا يحلّ دم رجل يشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله، إلّا بإحدى ثلاثة: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»^{(٥)؟}

ما شأن أبناء السلف وقد غرّرت بهم سكرة الشبق، وغالتهم داعية الهوى، وجاؤوا لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمّة وأولئك هم المعتدون؟!

١ - الصواعق: ٢١ [ص ٣٦]؛ تاريخ الخميس ٢: ٣٣٣ [٢/٢٠٩].

٢ - النساء: ٢٢..

٣ - مسند أحمد: ١: ١٩١ [١/٣١١، ح ١٦٥٥]. نصّ على تواتره المناوي في الفيض القدير ٦: ١٩٥ [ح ٨٩١٧].

٤ - أخرجه النسائي [في السنن الكبرى ٢/٣١١، ح ٣٥٥٩]؛ والضياء المقدسي كما في الجامع الصغير [٢/٦٣١، ح ٨٩١٨] وصحّحه السيوطي؛ راجع الفيض القدير ٦: ١٩٥ [ح ٨٩١٨].

٥ - صحيح البخاري ١٠: ٦٣ [٦/٢٥٢١] كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقَى بِالثَّيْبِ﴾، صحيح مسلم

٢: ٣٧ [٣/٥٠٦، ح ٢٥، كتاب القسامة والمحاريب].

فترى هذا يقتل مثل مالك ويأتي بالطامات رغبةً في نكاح أم تميم.

وهذا يقتل سيّد العترة أمير المؤمنين شهوةً في زواج قطام.

وآخر^(١) شنّ الغارة على حيّ من بني أسد، فأخذ امرأة جميلة فوطأها بهبة من أصحابه، ثمّ ذكر ذلك لخالد فقال: قد طيّبها لك - كأنّ تلکم الجنود كانت مجنّدة لوطء النساء وفضّ ناموس الحرائر - فكتب إلى عمر، فأجاب برضخه بالحجارة^(٢).

وهذا يزيد بن معاوية يدسّ إلى زوجة ریحانة رسول الله الحسن السبط الزكيّ السمّ النقيع لتقتله ويتزوّجها^(٣)، أو فعله معاوية لغاية له كما يأتي.

ووراء هؤلاء المعتدين قوم ينزّهون ساحتهم بأعذار مفتعلة كالتأويل والاجتهاد - وليتبعها لم يكونا - والله يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون؛ «وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَخْكُم بِمَنْتَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^(٤).

الناحية الثانية:

الثانية من الناحيتين التي يهّمنا أن نولّي شطرها وجه البحث، تسليط الخليفة أولاً أمثال خالد وضرار بن الأزور شارب الخمر وصاحب الفجور^(٥)، على الأنفس والدماء، على الأعراض ونواميس الإسلام، وعهده إلى جيوشه في حرق أهل الرّدّة.

١ - هو ضرار بن الأزور زميل خالد بن الوليد وشاكلته في الزو على الحرائر.

٢ - تاريخ ابن عساكر ٧: ٣١ [٣٨٨/٢٤ - ٣٨٩ رقم ٢٩٣١، وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/١٥٤]؛ خزنة الأدب ٨: ٢ [٣٢٦/٣]؛ الإصابة ٢: ٢٠٩ [رقم ٤١٧٢].

٣ - تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٢٦ [٢٨٤/١٣، رقم ١٣٨٢، وفي مختصر تاريخ دمشق ٧/٣٩].

٤ - المائدة: ٤٢.

٥ - تاريخ ابن عساكر ٧: ٣٠ [٣٨٩/٢٤ - ٣٩٠، رقم ٢٩٣١، وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/١٥٤]؛ خزنة الأدب

٨: ٢ [٣٢٦/٣]؛ الإصابة ٢: ٢٠٩ [رقم ٤١٧٢].

وقد نُهي عنه في السنّة الشريفة^(١).

وصفحه ثانياً عن تلکم الطامّات والجنايات الفاحشة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً؛ فما سمعت أذن الدنيا منه حولها ركزاً، وما حُكِيت عنه في الإنكار عليها ذامة، وما رأى أحد منه حولاً.

لَمْ يَأْخُذْ الخليفة خالدًا بقتل مالك وصحبه المسلمين الأبرياء، وقد ثبت عنده كما يلوح ذلك عن دفاعه عنه ومحاماته عليه؟!

لَمْ يَقْتَصْصْ منه قصاص القاتل؟! ولم يُقَمْ عليه جلدّة الزاني؟! ولم يضربه حدّ المفترى؟! ولم يعزّره تعزيز المعتدي على ما ملكته أيدي أولئك المسلمين؟!

لَمْ يَرَّ عزل خالد وقد كره ما فعله، وعرض الدية على متّم بن نويرة أخي مالك، وأمر خالدًا بطلاق امرأة مالك كما في الإصابة^(٢)؟!

دع هذه كلّها ولا أقلّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوبيخ الرجل وعتابه على تلکم الجرائم، وأقلّ الإنكار كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة».

ما للخليفة يتلعثم ويتلعذم في الدفاع عن خالد وجنایاته؟! فيرى تارة أنّه تأوّل وأخطأ، ويعتذر أخرى بأنّه سيف من سيوف الله، وينهى عمر بن الخطّاب عن الوقیعة فيه، ويأمره بالكفّ عنه وصرف اللسان عن مغايطته، ويغضب على أبي قتادة لإنكاره على خالد كما في شرح ابن أبي الحديد^(٣).

ونحن نقصر في البحث عن هذا الجانب على توجيه القارئ إليه، ولم نذهب به قصاه، ولم نبتغ فيه مداه، إذ لم نر أحداً تخفى عليه حزاة أيّ من العذرين. هلّا يعلم

١- عن رسول الله ﷺ: «لا يُعَذَّبُ بالنار إلّا ربّ النار»، أنظر صحيح البخاري ٤: ٣٢٥ [١٠٩٨/٣، ح ٢٨٥٣].

٢- الإصابة ١: ٤١٥.

٣- شرح نهج البلاغة ٤: ١٨٧ [١٧/٢١٣، كتاب ٦٢].

متشرع في الإسلام أن تلکم الطامات والجرائم الخطيرة لا يتطرق إليها التأول والاجتهاد؟! ولا يسوغ لكل فاعل تارك أن يتترس بأمثالهما في معرّاته، ويتدرّع بها في أحناته، ولا تُدْرَأُ بها الحدود، ولا تطلّ بها الدماء، ولا تحلّ بها حرّمات الحرائر، ولا يرفض لها حكم الله في الأنفس والأعراض والأموال، ولم يُضَحِ الحاكم لمذّعيها؛ كما ادّعى قدامة بن مطعون في شربه الخمر بأنه تأول واجتهد فأقام عمر عليه الحدّ وجلده ولم يقبل منه العذر؛ كما في سنن البيهقي^(١) وغيره.

وأخرج ابن أبي شيبة^(٢) وابن المنذر عن محارب بن دثار: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ شربوا الخمر بالشام وقالوا: شربنا لقول الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا...﴾^(٣)؛ فأقام عمر عليهم الحدّ^(٤).

وجلد أبو عبيدة أبا جندل العاصي بن سهيل وقد شرب الخمر متأولاً لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا...﴾^(٥).

وهل يرتاب أحد في أن سيفاً سلّه المولى سبحانه لا يكون فيه قطّ رهق ولا شغب، ولا تسفك به دماء محرّمة، ولا تُهتَكَ به حرّمات الله، ولا يُرهف لنيل الشهوات، ولا يُنضى للشبق، ولا يُفتك به ناموس الإسلام، ولا يحمله إلا يد أناس طيّبين، ورجال نزيهين عن الخنابة^(٦) والعيث والفساد؟!

فما خالد وما خطره حتّى يهبه الخليفة تلك الفضيلة الراقية ويراه سيفاً سلّه الله على أعدائه، وقد تبرّأ منه النبيّ الإسلام الأعظم غير مرّة^(٧)؟! أليست هذه كلّها تحكّماً

١- سنن البيهقي ٨: ٣١٦.

٢- المصنّف في الأحاديث والآثار [٥٤٦/٩، ح ٨٤٥٨].

٣- المائدة: ٩٣. ٤- الدر المنثور ٢: ٣٢١ [١٧٤/٣].

٥- الروض الأنف للسيهلي ٢: ٢٣١ [٤٨٩/٦]. ٦- [«الخنابة»: الأثر القبيح].

٧- أنظر الاستيعاب ١: ١٥٣ [القسم الثاني/٤٢٨، رقم ٦٠٣]؛ السيرة النبويّة لابن هشام [٧٢/٤].

وسرفاً في الكلام، وزوراً في القول، واتخاذ الفضائل في دين الله مهزأةً ومجھلةً؟! كيف يسعنا أن نعدّ خالداً سيفاً من سيوف الله سله على أعدائه وقد ورد في ترجمته وهي بين أيدينا: «أنه كان جبّاراً فاتكاً، لا يراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه»^(١)؟!

- ٧ -

رأي الخليفة في فاقد الماء

الاجتهاد في حياة رسول الله!!

أخرج الإمام مسلم في صحيحه^(٢) في باب التيمّم بأربعة طرق عن عبدالرحمن بن أبزي: إن رجلاً أتى عمر فقال: إني أجنت فلم أجد ماءً. فقال عمر: لا تصل. فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين! إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماءً، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتممكت في التراب وعلّيت؛ فقال النبي ﷺ: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفّيك». فقال عمر: إتق الله يا عمار! قال: إن شئت لم أحدث به.

تحريف وتدجيل:

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه^(٣) في باب: «المتيمّم هل ينفخ فيها؟» وفي أبواب بعده، غير أنه راقه أن يحرفه صوتاً لمقام الخليفة؛ فحذف منه جواب عمر «لا تصل» أو: «أما أنا فلم أكن لأصلي» ذاهلاً عن أن كلام عمار عندئذ لا يرتبط بشيء. وذكره الذهبي في تذكرته^(٤) محرفاً وأردفه بقوله:

١- شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٨٧ [١٧/٢١٤، كتاب ٣٢].

٢- صحيح مسلم [١/٣٥٥، ح ١١٢]، كتاب الحيض، مستد أحمد ٤: ٢٦٥ [٥/٣٢٩، ح ١٧٨٦].

٣- صحيح البخاري [١/١٢٩، ح ٢٣١]. ٤- تذكرة الحقاظ ٣: ١٥٢ [٣/٩٥١، رقم ٨٩٧].

قال بعضهم : كيف ساع لعنّار أن يقول مثل هذا فيحلّ له كتمان العلم؟! والجواب : إنّ هذا ليس من كتمان العلم فإنّه حدّث به واتّصل - والله الحمد - بنا ، وحدّث في مجلس أمير المؤمنين - وأما لاطف عمر بهذا ، لعلمه بأنّه كان ينهى عن الإكثار من الحديث خوفاً من الخطأ ، ولئلاّ يتشاغل الناس به عن القرآن .

قال الأمين: هناك شيء هامّ أمثال هذه الكلمات المزخرفة والأبحاث الفارغة المعدة لتعمية البسطاء من القراء عمّا في التاريخ الصحيح. ليت شعري ما أغفلهم عن قول عمر: «لا تصلّ» أو «أمّا أنا فلم أكن لأصليّ»؟! يقوله وهو أمير المؤمنين والمسألة سهلة جداً عامّة البلوى شائعة.

وما أغفلهم عن قوله لعَمَّار: «اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمَّار»؟!
وعن تركه الصلاة يوم أُجْنِبَ في السريّة بعد ما جاء الإسلام بالطهورين؟!
وعن جهله بآية التيمّم وحكم القرآن الكريم وعن غصّه البصر عن تعليم النبي ﷺ
عَمَّاراً بكيفية التيمّم؟!

ما أذهلهم عن هذه الطامات الكبرى وأشغلهم بعمار وكلمته!
نعم، الحبُّ يُعمي ويُصمُّ، ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ
سَبِيلًا﴾^(١).

ويظهر من العيني في عمدة القاري^(٢)، وابن حجر في فتح الباري^(٣)، ثبوت تينك الفقرتين^(٤) من لفظ عمر في الحديث ولذلك جعلاه مذهباً له؛ قال العيني:

فيه - يعني في الحديث - أن عمر رضي الله عنه لم يكن يرى للجنب التيمم لقول عمار

١- الاسراء: ٧٢. ٢- عمدة القاري ١٧٢: ٢ [١٨/٤-١٩].

۳- فتع الباری ۱: ۳۵۲ [۴۴۳/۱].

٤- أعني قول عمر: «لا تصل»، وقوله: «أما أنا فلم أكن لأصلي حتى أجد الماء».

له : فأما أنت فلم تصل . إنه جعل آية التيمم مختصة بالحدث الأصغر ، وأدى
اجتهاده إلى أن الجنب لا يتيمم .

وقال ابن حجر :

هذا مذهب مشهور عن عمر .

يعرب الحديث عن أن هذا الاجتهاد من الخليفة كان في حياة رسول الله ﷺ ؛ وهو
أعجب شيء طرقت أذن الدهر !

فهل سأل الرجل رسول الله بعد ما خالفه عمار ، ورآه يتمك بالتراب فيصلّي ؟
وهل خفي على الخليفة ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عمران بن الحصين ،
قال : إن رسول الله ﷺ رأى رجلاً معزلاً لم يصل في القوم فقال : « يا فلان ! ما منعك أن
تصلّي في القوم ؟ » فقال : يا رسول الله ! أصابتنى جنابة ولا ماء ؛ فقال : « عليك بالصعيد
فإنه يكفيك »^(١) .

وقبل كل شيء آيتا التيمم : إحداهما في سورة النساء آية (٤٣) ؛ وهي قوله :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا
عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ
النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا » .
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « أنزلت هذه الآية [في المسافر] إذا أجنب فلم يجد الماء
تيمم وصلّى حتى يدرك الماء ، فإذا أدرك الماء اغتسل »^(٢) .

والآية الثانية في سورة المائدة آية (٦) ؛ وهي قوله .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ

١ - صحيح البخاري ١ : ١٢٩ [١/١٣٤ ، ح ٢٤١] ؛ صحيح مسلم [٢/١٣١ ، ح ٣١٢ ، كتاب المساجد] .

٢ - سنن البيهقي ١ : ٢١٦ [والزيادة في المتن من المصدر] .

وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَزْجُلْكُمْ إِلَى الْكَفَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ».

فإنَّ المراد من الملامسة في آية النساء هو الجماع لا محالة؛ كما عن أمير المؤمنين وابن عباس وأبي موسى الأشعري، وتبعهم في ذلك الحسن وعبيدة والشعبي وآخرون. وهذا مذهب كل من نفى الوضوء بمس المرأة كأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وزفر والثوري والأوزاعي وغيرهم.

فترى بعد هذه كلها أنَّ رأي الخليفة شاذُّ عن الكتاب والسنة الثابتة وإجماع الأمة، واجتهادٌ محض تجاه النصوص المسلمة؛ ولذلك خالفته الأمة الإسلامية جمعاء من يومها الأوَّل حتَّى اليوم، وأصفت على وجوب التيمم على الجنب الفاقد للماء.

- ٨ -

قضاء الخليفة على مجنونة قد زنت

عن ابن عباس قال: أتى عمر بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أناساً، فأمر بها أن تُرَجَمَ. فمرَّ بها عليٌّ عليه السلام فقال: «ما شأن هذه؟» فقالوا: مجنونة بني فلان زنت فأمر بها عمر أن تُرَجَمَ. فقال: «ارجعوا بها».

ثمَّ أتاه فقال: «يا أمير المؤمنين أما علمت؟! أما تذكر أنَّ رسول الله ﷺ قال: رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبيِّ حتَّى يبلغ، وعن النائم حتَّى يستيقظ، وعن المعتوه حتَّى يبرأ؟! وأنَّ هذه معتوهة بني فلان لعلَّ الذي أتاها أتاها وهي في بلائها» فخلَّى سبيلها، وجعل عمر يكبر^(١).

١ - أنظر سنن أبي داود ٢: ٢٢٧ [٤/١٤٠، ح ٤٣٩٩ و ٤٤٠١]؛ سنن ابن ماجه ٢: ٢٢٧ [١/٦٥٩، ح ٢٠٤٢]؛

المستدرک علی الصحیحین ٢: ٥٩، ٤: ٢٨٩ [٢/٦٨، ح ٢٣٥١ و ٤/٤٣٠، ح ٨١٦٩]. وصحَّحه.

لفت نظر:

أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه^(١) غير أنه مهما وجد فيه مسّة بكرامة الخليفة حذف صدره تحفظاً عليها، ولم يرّقه إيقاف الأُمَّة على قضية تعرب عن جهله بالسنة الشائعة أو ذهوله عنها عند القضاء؛ فقال: قال عليّ لعمر: «أما علمت أنّ القلم رفع عن المجنون حتّى يفيق، وعن الصبيّ حتّى يدرك، وعن النائم حتّى يستيقظ؟».

- ٩ -

اجتهاد الخليفة في قراءة الصلاة

١ - عن عبد الرحمن بن حنظلة بن الراهب: أنّ عمر بن الخطّاب صلّى المغرب فلم يقرأ في الركعة الأولى، فلما كانت الثانية قرأ بفاتحة الكتاب مرّتين، فلما فرغ وسلّم سجد سجدتي السهو!

ذكره ابن حجر في فتح الباري^(٢) وقال:

رجاله ثقات، وكأّنه مذهب لعمر.

٢ - عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أنّ عمر بن الخطّاب كان يصلّي بالناس المغرب فلم يقرأ فيها، فلما انصرف قيل له: ما قرأت. قال: فكيف كان الركوع والسجود؟ قالوا: حسناً. قال: فلا بأس إذن^(٣).

٣ - عن الشعبي: أنّ أبا موسى الأشعري قال لعمر بن الخطّاب ﷺ: يا أمير المؤمنين! أقرأت في نفسك؟ قال: لا؛ فأمر المؤذنين فأذّنوا وأقاموا وأعاد الصلاة بهم^(٤).

يظهر من هذه الموارد وتكرّر القصّة فيها أنّ الخليفة لم يستند في صلواته هاتيك إلى

١ - في كتاب الحاربيين، باب: لا يرجم المجنون والمجنونة [٢٤٩٩/٦].

٢ - فتح الباري ٣: ٦٩ [٩٠/٣]؛ وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢: ٣٨٢.

٣ - السنن الكبرى ٢: ٣٤٧ و ٣٨١، كنز العمال ٤: ٢١٣ [١٣٣/٨]، ح [٢٢٢٥٦].

٤ - السنن الكبرى ٢: ٣٨٢، كنز العمال ٤: ٢١٣ [١٣٣/٨]، ح [٢٢٢٥٦].

أصل مسلم؛ فمرة لم يقرأ في الركعة الأولى فيقضيها في الثانية ويسجد سجدتي السهو قبل السلام أو بعده، وأخرى اكتفى بحسن الركوع والسجود عن الإعادة وسجدتي السهو، وطوراً نراه يحتاط بالإعادة أو أنه يرى ما أتى به باطلاً فيعيد ويعيدون؛ فهل هذه اجتهادات وقتية؟! أو أنه لم يعرف للمسألة ملاكاً يرجع إليه؟! وفي هذه الأحاديث إعرابٌ عن مبلغ خضوع الخليفة وخشوعه في صلواته.

- ١٠ -

رأي الخليفة في الميراث

عن مسعود الثقفي قال: شهدتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشرك الإخوة من الأب والأم مع الإخوة من الأم في الثلث؛ فقال له رجل: قضيت في هذا عام أول بغير هذا. قال: كيف قضيت؟

قال: جعلته للإخوة من الأم ولم تجعل للإخوة من الأب والأم شيئاً.

قال: تلك على ما قضينا وهذا على ما قضينا.

وفي لفظ: تلك على ما قضينا يومئذٍ، وهذه على ما قضينا اليوم^(١).

قال الأميني: كأنَّ أحكام القضايا تدور مدار ما صدر عن رأي الخليفة سواء أصاب الشريعة أم أخطأ، وكأنَّ الخليفة له أن يحكم بما شاء وأراد، وليس هناك حكم يتبع وقانون مطرد في الإسلام، ولعلَّ هذا أفزع من التصويب المدحوض بالبرهنة القاطعة.

- ١١ -

أمر الخليفة برفع امرأة حامل قد اعترفت بالفجور

أتى عمر بن الخطاب بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برفعها. فتلقاها عليٌّ فقال: «ما بال هذه؟» فقالوا: أمر عمر برفعها. فردّها عليٌّ وقال: «هذا سلطانك عليها

فما سلطانك على ما في بطنها؟! ولعلك انتهرتها أو أخفتها». قال: قد كان ذلك. قال: «أو ما سمعت رسول الله ﷺ قال: لا حدّ على معترف بعد بلاء، إنّه من قيّد أو حبس أو تهدّد فلا إقرار له». فخلّى سبيلها ثمّ قال: عجزت النساء أن تلدن مثل عليّ بن أبي طالب، لولا عليّ لهلك عمر^(١).

- ١٢ -

رأي الخليفة في امرأة تزوجها رجل في عدتها

أخرج ابن المبارك قال: حدّثنا أشعث عن الشعبي عن مسروق، قال: بلغ عمر: أن امرأة من قريش تزوّجها رجل من ثقيف في عدتها، فأرسل إليها ففرّق بينهما وعاقبها وقال: لا ينكحها أبداً وجعل الصداق في بيت المال وفشا ذلك بين الناس. فبلغ عليّاً كرم الله وجهه فقال: «رحم الله أمير المؤمنين ما بال الصداق وبيت المال؟! إنهما جهلا فينبغي للإمام أن يردّهما إلى السنّة». قيل: فما تقول أنت فيها؟

قال: «لها الصداق بما استحلّ من فرجها، ويفرّق بينهما، ولا جلد عليهما، وتكمل عدتها من الأوّل ثمّ تكمل العدة من الآخر، ثمّ يكون خاطباً».

فبلغ ذلك عمر فقال: يا أيّها الناس ردّوا الجهالات إلى السنّة^(٢).

قال الأميني: لماذا جلدهما الخليفة؟! ولماذا أخذ المهر؟! وبأيّ كتاب أم بأية سنّة جعل الصداق في بيت المال وصيّره صدقة في سبيل الله؟! ولمّ وجمّ حرّم المرأة على الرجل؟! أنا لا أدري «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^(٣).

وليت الخليفة لا ينسى نفسه ويأخذ بقوله: «ردّوا الجهالات إلى السنّة» قبل قضائه بالأقضية الشاذّة عن الكتاب والسنّة.

١- الرياض النضرة ٢: ١٩٦ [١٤٣/٣]؛ المناقب للخوارزمي: ٤٨ [ص ٨١، ح ٦٥].

٢- السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٤٤١-٤٤٢؛ الرياض النضرة ٢: ١٩٦ [١٤٤/٣]؛ ذخائر العقبى: ٨١.

٣- النحل: ٤٣.

- ١٣ -

إجتهااد الخليفة في الجدّ

أخرج الدارمي في سننه^(١) عن الشعبي أنّه قال: أوّل جدّ ورت في الإسلام عمر فأخذ ماله؛ فأتاه عليّ وزيد فقالا: ليس لك ذلك إنّما كنت كأحد الأخوين.

وعن سعيد بن المسيّب عن عمر قال: سألتُ النبي ﷺ كيف قسم الجدّ؟ قال: «ما سؤالك عن ذلك يا عمر؟! إنّني أظنّك أن تموت قبل أن تعلم ذلك». قال سعيد بن المسيّب: فمات عمر قبل أن يعلم ذلك^(٢).

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى^(٣) عن عبيدة قال: إنّني لأحفظ عن عمر في الجدّ مئة قضية كلّها ينقض بعضها بعضاً.

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة^(٤):

كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثمّ ينقضه ويفتي بضدّه وخلافه. قضى في الجدّ

مع الإخوة قضايا كثيرة مختلفة، ثمّ خاف من الحكم في هذه المسألة فقال:

من أراد أن يفتح جرائم جهنّم فليقل في الجدّ برأيه.

قال الأميني: أنا لا أدري أنّ خليفة المسلمين كيف يسوغ له الجهل بما شرّعه نبيّ

الإسلام حتّى يربكه ذلك في التناقض؟! وهو مع ذلك أعلم الصحابة في زمانه على

الإطلاق عند صاحب الوشيعة!

- ١٤ -

حكم الخليفة برجم مضطّرة

عن عبدالرحمن السلمي، قال: أتى عمر بامرأة أجهدتها العطش فرّت على راعٍ

فاستسقته، فأبى أن يسقيها إلّا أن تُمكّنه من نفسها ففعلت. فشاور الناس في رجمها؛

٢- المعجم الأوسط للطبراني [١٣٥/٥، ح ٣٩١٤].

١- سنن الدارمي ٢: ٣٥٤.

٤- شرح نهج البلاغة ١: ٦١ [١٨١/١، خطبة ٣].

٣- السنن الكبرى ٦: ٢٤٥.

فقال عليّ: «هذه مضطرّة أرى أن يُحلى سبيلها»؛ ففعل^(١).

صورة مفصلة:

إنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتى بامرأة زنت فأقرّت فأمر برجمها. فقال عليّ رضي الله عنه: «لعلّ بها عذراً». ثمّ قال لها: «ما حملك على الزنا؟» قالت: كان لي خليط، وفي إيله ماء ولبن، ولم يكن في إيلي ماء ولا لبن، فظمّنت فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتّى أعطيه نفسي فأبيت عليه ثلاثاً، فلمّا ظمّنت وظننت أنّ نفسي ستخرج أعطيته الذي أراد فسقاني. فقال عليّ: «الله أكبر؛ «فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٢)»^(٣). قال الأميني: ليت الخليفة كان يحمل شيئاً من علم الكتاب والسنة حتّى يحكم بما أنزل الله على نبيّه ﷺ! وليتني أدري ما كان صيرّه، وأيّ مبلغ كانت تبلغ بوائق أقضيته إن لم يكن في الأئمة عليّ أمير المؤمنين؟! أو لم يكن يُقيم أوده ويُزيل أمته^(٤)؟! نعم، حقّاً قال الرجل: لولا عليّ لهلك عمر.

- ١٥ -

رأي الخليفة في حدّ الخمر

عن أنس بن مالك قال: إنّ النبيّ ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين. قال: وفعله أبو بكر. فلمّا كان عمر استشار الناس فقال عبدالرحمن بن عوف: أخفّ الحدود ثمانون؛ فأمر به عمر. قال الأميني: ما قيمة عبدالرحمن وقيمة رأيه تجاه ما قام به المشرّع الأعظم؟! وما بال عمر وهو خليفة المسلمين يستشير ويستفتي في حكم من أحكام الدين ثبت بسنة ثابتة عن صاحب الشريعة؟!

١ - سنن البيهقي ٨: ٢٣٦؛ الرياض النضرة ٢: ١٩٦ [١٤٤/٣].

٢ - البقرة: ١٧٣.

٣ - كنز العمال ٣: ٩٦ [٤٥٦/٥]، ح ١٣٥٩٦.

٤ - «الأئمة»: الاعوجاج.

- ١٦ -

رأي الخليفة في القود

عن ابن أبي حسين: أنَّ رجلاً شجَّ رجلاً من أهل الذمة، فهمَّ عمر بن الخطاب أن يقيده منه. فقال معاذ بن جبل: قد علمت أن ليس ذلك لك، وأثر ذلك عن النبي ﷺ؛ فأعطاه عمر بن الخطاب في شجته ديناراً فرضي به^(١).

- ١٧ -

رأي الخليفة في ذمي مقتول

عن مجاهد: قال: قدم عمر بن الخطاب الشام فوجد رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة فهمَّ أن يقيده. فقال له زيد بن ثابت: أتقيد عبدك من أخيك؟ فجعله عمر دية^(٢).

- ١٨ -

رأي الخليفة في الأصابع

عن سعيد بن المسيب: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الأصابع في الإيهام بثلاثة عشرة، وفي التي تليها باثنتي عشرة، وفي الوسطى بعشر، وفي التي تليها بتسع، وفي الخنصر بست.

وعن أبي غطفان أنَّ ابن عباس كان يقول في الأصابع عشر عشر. فأرسل مروان إليه فقال: أتفتي في الأصابع عشر عشر وقد بلغك عن عمر في الأصابع؟! فقال ابن عباس: رحم الله عمر! قول رسول الله أحق أن يتبع من قول عمر^(٣).

١- كنز العمال ٧: ٣٠٤ [٩٧/١٥، ح ٤٠٢٤٣].

٢- المصنف لعبد الرزاق [١٠٠/١٠، ح ١٨٥٠٩]؛ كنز العمال ٧: ٣٠٤ [٩٧/١٥، ح ٤٠٢٤٢].

٣- كتاب الأم للشافعي ١: ٥٨ و ١٣٤ [١٥١/١]؛ سنن البيهقي ٨: ٩٣.

قال الأميني: ثبت في الصحاح والمسانيد أن رسول الله ﷺ قال في الأصابع عشر عشر على ما أفتى به ابن عباس، وهذه سنته ﷺ المسلمة وهدية الثابت فيها، وما قضى به عمر فمن آراء الخاصة به. والأمر كما قال ابن عباس: قول رسول الله ﷺ أحق أن يُتبع من قول عمر. وأنا لا أدري أن الخليفة كان يعلم ذلك ويخالف أم لم يكن يعلم؟! فإن كان لا يدري فتلك مصيبة وإن كان يدري فالمصيبة أعظم

- ١٩ -

رأي الخليفة في سارق

عن عبدالرحمن بن عائد، قال: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل أقطع اليد والرجل قد سرق. فأمر به عمر رضي الله عنه أن يقطع رجله. فقال علي رضي الله عنه: «إنما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾»^(١)؛ فقد قطعت يد هذا ورجله فلا ينبغي أن تقطع رجله فتدعه ليس له قائمة يمشي عليها، إمّا أن تعزّره وإمّا أن تستودعه السجن». قال: فاستودعه السجن^(٢).

- ٢٠ -

رأي الخليفة في شجرة الرضوان

عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها ببيعة الرضوان فيصلّون عندها؛ فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت^(٣). وذكره ابن أبي الحديد في شرحه^(٤) ولفظه:

كان الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ يأتون الشجرة التي كانتبيعة الرضوان

٢- كنز العمال ٣: ١١٨ [٥/٥٥٣، ح ١٣٩٢٨].

١- المائدة: ٣٣.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦٠٧ [٢/١٠٠]، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ١٠٧ [ص ١١٥].

٤- شرح نهج البلاغة ١: ٦٠ [١/٧٨، خطبة ٣].

تحتها فيصلّون عندها ، فقال عمر : أراكم أيّها الناس رجعتم إلى العرّي ، ألا
لا أوتي منذ اليوم بأحدٍ عاد لمثلها إلّا قتلته بالسيف كما يقتل المرتدّ ؛ ثم أمر بها
فقطعت .

- ٢١ -

رأي الخليفة في آثار الأنبياء

عن معرور ، قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجّها قال : فقرأ بنا في
الفجر : ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يلاف قريش فلما انصرف فرأى الناس
مسجداً فبادروه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجد صلى فيه النبي ﷺ . فقال : هكذا هلك
أهل الكتاب قبلكم ، اتّخذوا آثار أنبيائهم بيعاً ، من عرضت له صلاة فليصل ومن
لم تعرض له صلاة فليمض ^(١) .

قال الأمين : ليت شعري ما المانع من تعظيم آثار الأنبياء وفي مقدّمهم سيّد ولد آدم
محمد ﷺ إذا لم يكن خارجاً عن حدود التوحيد كالسجود إلى تماثيلهم واتّخاذها قبلة ؟
﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ^(٢) .

ومتى هلك الأمم باتّخاذهم آثار أنبيائهم بيعاً ؟
وأيّ مسجد تكون الصلاة فيه أزلف إلى الله سبحانه من مسجد صلى فيه رسول
الله ﷺ ؟!

وأيّ مكان أشرف من مكان حلّ به النبي الأعظم وبويع فيه بيعة الرضوان وحظي
المؤمنون فيه برضى الله عنهم ؟!

١ - سيرة عمر لابن الجوزي : ١٠٧ [ص ١١٦] ؛ شرح ابن أبي الحديد : ٣ : ١٢٢ [١٠١/١٢] ، خطبة ٢٢٣ وفيه بدل

معرور : «المغيرة بن سويد» ؛ فتح الباري : ١ : ٤٥٠ [١/٥٦٩] .

٢ - الحج : ٣٢ .

أو لا يكسب ذلك كله المحلّ فضلاً يزيد في زلفة المتعبدين بفنائه؟ وما ذنب الشجرة المسكينة حتى اجتثت أصولها؟! ولا من نائرها أو مدافع عنها. أو ليس ذلك توهيناً للمحلّ ولمشرفه؟! أيسوّغ أدب الدين للخليفة قوله: أراكم أيها الناس رجعتُم إلى العزّي؟! والذين كانوا يرون حرمة تكلم الآثار ويعظمونها ويصلّون عندها إنّما هم حملة علم الدين من الصحابة العدول، مراجع الخليفة في الأحكام والشرائع، كان يعوّل عليهم حيثما أعيتهم المسائل قائلًا: كلّ الناس أفتقه منك يا عمر! ومن الصحابة التي كانت تتبرّك بتلك الأماكن وتصلّي فيها عبد الله بن عمر^(١). فالراجع إلى الصحاح والسنن يجد كثيراً من لدّة هذه يعلم بما أنّ رأي الخليفة إنّما يخصّ به ولا يُتَّبَع ولم يُتَّبَع ولن يُتَّبَع.

- ٢٢ -

اجتهاد الخليفة في البكاء على الميت

عن ابن عباس قال: لما ماتت زينب^(٢) بنت رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «ألقوها بسلفنا الخير عثمان بن مظعون». فبكت النساء فجعل عمر يضربهنّ بسوطه فأخذ رسول الله ﷺ يده وقال: «مهلاً يا عمر! دعهنّ يبكين، وإياكنّ ونعيق الشيطان». إلى أن قال: وقعد رسول الله ﷺ على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي فجعل النبي ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها^(٣).

١- صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة والمواقع التي صلى فيها النبي ﷺ [١/٨٨٣، ح ٤٦٩].

٢- توقّيت زينب سنة ثمان من الهجرة، فحزن عليها رسول الله ﷺ حزناً عظيماً.

٣- مسند أحمد ١: ٢٣٧ و ٣٣٥ [١/٣٩٣، و ٥٥١، ح ٢١٢٨ و ٣٠٩٣]، المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٩٠ [٣/٢١٠، ح ٤٨٦٩] وصحّحه.

قال الأمين: لا أدري ما الذي حدا عمر إلى التسرع إلى ضرب تلکم النسوة الباقيات وصاحب الشريعة ينظر إليهن من كذب؟! ولو كان بكأوهن محظوراً كان هو الأولى بالمنع والرد؟! ومن أين علم الحظر في بكائهن ورسول الله ﷺ يخالفه؟! وهلاً راجعه في أمرهن لما هم بهن تأدباً؟! وما هذه الفظاظ الدافعة له إلى ما فعل؟! وكيف مدّ يده إلى تلکم النسوة حتى أخذ بها النبي الأعظم ودافع عنهن؟! والمجتمعات هناك بطبع الحال حامة رسول الله وذوات رحمة ونسوته؛ غير أنني لا أعلم أن الصديقة الفاطمة التي كانت من الباقيات في ذلك اليوم هل كانت بين تلکم النسوة المضروبات أو لا؟ وعلى أيّ فقد جلست إلى أبيها وهي باكية.

وكانت للخليفة في حياة رسول الله ﷺ بمراى منه ومشهد مواقف لدة هذه لم يصب فيها قط؛ ومنها ما أخرج الحاكم^(١) بإسنادٍ صحّحه، وأقرّه الذهبي، عن أبي هريرة قال: خرج النبي ﷺ على جنازة ومعه عمر بن الخطاب فسمع نساء يبكين فزبرهن عمر؛ فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر! دعهن فإن العين دامة، والنفس مصابة، والعهد قريب». وينبئنا التاريخ عن أن الخليفة لم تجده تلکم النصوص وبقي على اجتهاده والوسط بيده يردع به ويزجر مستنداً إلى ما اختلقته يد الإفك على رسول الله ﷺ مما يخالف العقل والعدل والطبيعة من أنه قال: «إن الميت يعذب ببكاء الحي».

وحديث عمر: إن الميت يعذب ببكاء الحي، فقد كذّبه عائشة فيما أخرجه الحاكم في المستدرک^(٢) وقال: إتفق الشيخان على إخراج حديث أيّوب السخيتاني عن عبد الله ابن أبي مليكة مناظرة عبد الله بن عمر وعبد الله بن العباس في البكاء على الميت ورجوعهما فيه إلى أم المؤمنين عائشة وقولها: والله ما قال رسول الله ﷺ: إن الميت

١- المستدرک على الصحيحين ١: ٣٨١ [٥٣٧/١] ح ١٤٠٦.

٢- المستدرک على الصحيحين ١: ٣٨١ [٥٣٧/١] ح ١٤٠٧.

يعذب ببكاء أحد، ولكن رسول الله ﷺ قال: «إن الكافر يزيد عند الله بكاء أهله عذاباً شديداً» وإن الله هو أضحك وأبكى، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وقال الشافعي في اختلاف الحديث^(١):

وما روت عائشة عن رسول الله ﷺ أشبه أن يكون محفوظاً عنه ﷺ بدلالة الكتاب ثم السنة. فإن قيل: فأين دلالة الكتاب؟ قيل: في قوله عز وجل: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى». «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى»^(٢). وقوله: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(٣). وقوله: «لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى»^(٤)...

فإن قيل: أين دلالة السنة؟ قيل: قال رسول الله لرجل: «ابنك هذا؟» قال: نعم. قال: «أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه»؛ فأعلم رسول الله مثل ما أعلم الله من أن جناية كل امرئ عليه كما عمله له لا لغيره ولا عليه.

وقبل هذه كلها بكاء النبي الأقدس والصحابه والتابعين لهم بإحسان على موتاهم؛ فهذا رسول الله ﷺ يبكي على ولده العزيز - إبراهيم - ويقول: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»^(٥).

وهذا هو ﷺ يبكي على ابنه طاهر ويقول: «إن العين تذرف، وإن الدمع يغلب، وإن القلب يحزن، ولا نعصي الله عز وجل»^(٦).

وهذا هو ﷺ لما أصيب حمزة رضي الله عنه وجاءت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها تطلبه فحالت

١ - طبع في هامش كتابه الأم ٧: ٢٦٧ [ص ٥٣٧]. ٢ - النجم: ٣٩.

٤ - طه: ١٥.

٣ - الزلزلة: ٧-٨.

٥ - سنن أبي داود ٣: ٥٨ [٢/ ١٩٣، ح ٣١٢٦]؛ سنن ابن ماجه ١: ٤٨٢ [١/ ٥٠٦، ح ١٥٨٩].

٦ - مجمع الزوائد ٣: ١٨.

بينها وبينه الأنصار، فقال ﷺ: «دعوها»؛ فجلست عنده فجعلت إذا بكت بكى رسول الله ﷺ، وإذا نشجت نشج، وكانت فاطمة عليها السلام تبكي ورسول الله ﷺ كلما بكت يبكي وقال: «لن أصاب بمثلك أبداً»^(١).

ولما رجع رسول الله ﷺ من أحد بكت نساء الأنصار على شهدائهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لكن حمزة لا بواكي له». فرجعت الأنصار فقلن لنسائهم: لا تبكين أحداً حتى تبدأن بحمزة. قال: فذاك فيهم إلى اليوم لا يبكين ميتاً إلا بدأن بحمزة^(٢). وهذا هو ﷺ زار قبر أمه وبكى عليها وأبكى من حوله^(٣).

وهذا هو ﷺ يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت ودموعه تسيل على خده^(٤). وهذه الصديقة الطاهرة تبكى على رسول الله ﷺ وتقول: «يا أبتاه من ربّه ما أدناه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه إلى جبريل نعاها، يا أبتاه جنّة الفردوس مأواه»^(٥).

وهذه هي سلام الله عليها وقفت على قبر أبيها الطاهر وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمدٍ أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

صُبّت عليّ مصائب لو أنّها صُبّت على الأيام صرن ليالياً^(٦)

هذه سنة النبي الأعظم المتبعة بين الصحابة يعارضها حديث الخليفة: «إنّ الميت يعذب ببكاء الحيّ»؛ فالقول به يخصّ به وبابنه عبدالله؛ فالحقّ أحقّ أن يتبع.

١- إمتاع المقرئ: ١٥٤. ٢- مجمع الزوائد ٦: ١٢٠.

٣- سنن البيهقي ٤: ٧٠؛ تاريخ الخطيب البغدادي ٧: ٢٨٩ [رقم ٣٧٩١].

٤- سنن أبي داود ٢: ٦٣ [٢٠١/٣، ح ٣١٦٣]؛ سنن ابن ماجه ١: ٤٤٥ [٤٦٨/١، ح ١٤٥٦].

٥- صحيح البخاري [١٦١٩/٤، ح ٤١٩٣] باب مرض النبي ووفاته.

٦- راجع ص ٧١٣ من كتابنا هذا.

- ٢٣ -

اجتهاد الخليفة في الأضحية

عن حذيفة بن أسيد قال: رأيت أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - وما يضحيان عن أهلها خشية - مخافة - أن يستنّ بهما؛ فحملني أهلي على الجفاء بعد أن علمت السنة حتى إنّي لأضحّي عن كل^(١).

وقال الشافعي في كتاب الأم^(٢):

قد بلغنا أنّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يضحيان كراهية أن يفقدى بهما فيظنّ من رآهما أنّها واجبة.

وعن الشعبي: أنّ أبا بكر وعمر شهدا الموسم فلم يضحيا^(٣).

قال الأميني: هل وقف الرجلان على شيء من الحكمة لم يقف عليه رسول الله ﷺ فضحّي وأمر بها وحضّ عليها، وخفي عليه ما عرفاه من اتّخاذ الأمة ذلك من الطقوس الواجبة؟!

أو أنّ الرجلين كانا أشفق على الأمة منه ﷺ فأحبّا أن لا يهضاها بنفقة الأضحاحي؟! أو أنّهما خشيا أن يكون ذلك بدعة في الدين بظنّ الوجوب؟!

لكنّه حجة داحضة؛ لأنّ رسول الله ﷺ حين فعل وأمر كان ذلك مشفوعاً ببيان عدم وجوبه، وعرفت ذلك منه الصحابة، وعلى هذا كان عملهم، وتلقّاه منهم التابعون وهلمّ جرّاً إلى يومنا الحاضر. ولو كان ما حسباه مطرداً لزم ترك المستحبات كلّها.

ثمّ إنّ احتمال مزعمة الوجوب كان أولى أن ينشأ من فعل النبي ﷺ وقوله؛ فإنّ السنة سنّته، والدين ما صدع به، لكنّه لم ينشأ لما شفعه من البيان، فهلاًّ فعلاً كما فعل

١ - المعجم الكبير للطبراني [١٨٢/٣، ح ٣٠٥٨]. ٢ - كتاب الأم ٢: ١٨٢ [٢/٢٢٤].

٣ - كنز العمال ٣: ٤٥ [٥/٢١٩، ح ١٢٦٦٤].

وهما خليفته؟!

والعجب العجاب أن الخليفة الثاني هاهنا ينقض السنة الثابتة للصادق الكريم خشية ظن الأمة الوجوب، ويسن لها ما لا أصل له في الدين كزكاة الخيل وصلاة التراويح، إلى أحداث أخرى كثيرة، وهو في ذلك كله لا يخشى ولا يكثر ولا يبالي!

- ٢٤ -

رأي الخليفة في تحقق البلوغ

عن ابن أبي مليكة: أن عمر كتب في غلام من أهل العراق سرق فكتب: أن أشبروه فإن وجدتموه ستة أشبار فاقطعوه. فشبر فوجد ستة أشبار تنقص أنملة فترك^(١). قال الأميني: الذي ثبت من الشريعة في تحقق البلوغ هو الاحتلام الثابت بصحيح قوله ﷺ فيمن رفع عنه القلم: «والغلام حتى يحتلم»، أو نبات الشعر في العانة الثابت بالصحيح، أو السن المحدود كما في صحيحة عبدالله بن عمر^(٢) ولا رابع لها يُعدّ حداً مطرداً. وأما المساحة بالأشبار فهو من فقه الخليفة ومحدثاته فحسب، ولعله أبصر بمواقع فقاھته.

- ٢٥ -

تنقيص الخليفة من الحد

عن أبي رافع: أن عمر بن الخطاب أتى بشارب فقال: لأبعثنك إلى رجل لا تأخذه فيك هواة؛ فبعث به إلى مطيع بن الأسود العدوي فقال: إذا أصبحت غداً فاضربه الحد. فجاء عمر وهو يضربه ضرباً شديداً؛ فقال: قتلت الرجل كم ضربته؟ قال: ستين. قال: أقص عنه بعشرين.

١- كنز العمال ٣: ١١٦ [٥/٥٤٤، ح ١٣٨٨٧].

٢- راجع في أحاديث الباب السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٥٤ - ٥٩.

قال أبو عبيدة في معناه: يقول اجعل شدة هذا الضرب قصاصاً بالعشرين التي بقيت من الحد فلا تضربه إيّاها^(١).

قال الأُميني: أنظر إلى الرجل كيف يتلوّن في الحكم فيضعف يوماً حدّ الشارب وهو الأربعون - عند القوم - فيجلد ثمانين^(٢)، ثم يرق المحدث في يوم آخر فينقص منه عشرين، ويتلافى شدة الكيف بنقيصة الكمّ بعد تسليم الشارب إلى رجل يعرفه بالشدة، والكلّ زائد على الناموس الإلهي الذي جاء به النبيّ الأقدس.

وفي الحديث: «يؤتى بالرجل الذي ضرب فوق الحدّ فيقول الله: لم ضربت فوق ما أمرتك؟ فيقول: يا ربّ غضبتُ لك؛ فيقول: أكان لغضبك أن يكون أشدّ من غضبي؟ ويؤتى بالذي قصّر فيقول: عدي لم قصّرت؟ فيقول: رَحِمْتُهُ؛ فيقول: أكان لرحمتك أن تكون أشدّ من رحمتي؟»^(٣). وكم لهذا الحديث من نظائر أخرجه الحفاظ^(٤).

- ٢٦ -

اجتهاد الخليفة في الطلاق الثلاث

عن ابن عباس، قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين - وسنين - من خلافة عمر رضي الله عنه طلاق الثلاث واحدة؛ فقال عمر رضي الله عنه: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيّناهم عليهم؛ فأمضاه عليهم^(٥).

قال الأُميني: إنّ من العجب أن يكون استعجال الناس مسوّغاً لأن يتخذ الإنسان كتاب الله وراءه ظهيراً ويلزمه بما رأوا. هذا الذكر الحكيم يقول بكلّ صراحة: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِنْ سَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ» إلى قوله تعالى: «فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ

١ - السنن الكبرى ٨: ٣١٧؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٣٣ [١٢/١٣٦، الخطبة ٢٢٣].

٢ - راجع ص ١٥١ من كتابنا هذا. ٣ - البيان والتبيين ٢: ٢٠ [٢/١٩].

٤ - كنز العمال ٣: ١٩٦ [٥/٨٥٤، ح ١٤٥٥١ - ١٤٥٥٦].

٥ - مسند أحمد ١: ٣١٤ [١/٥١٦، ح ٢٨٧٠]؛ صحيح مسلم ١: ٥٧٤ [٣/٢٧٦، ح ١٥، كتاب الطلاق].

حَتَّى تَنْكَحَ زَوْجاً غَيْرَهُ»^(١)؛ فقد أوجب سبحانه تحقيق المرّتين والتحرّيم بعد الثالث، وذلك لا يجمع جمع التطليقات بكلمة - ثلاثاً - ولا بتكرار صيغة الطلاق ثلاثاً متعاقبة بلا تخلل عقدة النكاح بينها.

أمّا الأول : فلاّنه طلاقٌ واحد، وقول «ثلاثاً» لا يكرّره؛ ألا ترى أن الوحدة المأخوذة في الفاتحة في ركعات الصلاة لا تُكرّر لو شفعها المصلّي بقوله : «خمساً» أو «عشراً»، ولا يقال : إنه كرّر السورة وقرأها غير مرّة.

وكذلك كلّ حكم اعتبر فيه العدد؛ كرمي الجمرات السبع فلا يُجزي عنه رمي الحصيات مرّة واحدة، وكالشهادات الأربع في اللعان لا تُجزي عنها شهادة واحدة مشفوعة بقوله : «أربعاً».

وكفصول الأذان المأخوذة فيها التشنية لا يتأتّى التكرار فيها بقراءة واحدة وإردافها بقول : «مرّتين».

وكتكبيرات صلاة العيدين الخمس أو السبع المتوالية - عند القوم - قبل القراءة^(٢) لا تتأتّى بتكبيرة واحدة بعدها قول المصلّي خمساً أو سبعاً.

وكصلاة التسييح^(٣)؛ وقد أخذ في تسييحاتها العدد عشراً وخمسة عشر؛ فلا تُجزي عنها تسييحة واحدة مردوفة بقوله عشراً أو خمسة عشر. وهذه كلّها ممّا لا خلاف فيه. وأمّا الثاني : فإنّ الطلاق يحصل باللفظ الأوّل، وتقع به البيّنونة، وتسرح به المعقودة بالنكاح، ولا يبقى ما بعده إلّا لغواً؛ فإنّ المطلقة لا تطلق، والمسرح لا تُسرح؛

١ - البقرة: ٢٢٩ - ٢٣٠.

٢ - السنن الكبرى للنسائي ٣: ٢٨٥ - ٢٩١ [ص ٥٥٤، ح ١٨٠٤].

٣ - صلاة التسييح هي المسماة بصلاة جعفر عند أصحابنا، ولا خلاف بين الفريقين في فضلها وكتّما وكيفها؛ غير أنّ أئمّة القوم أخرجوها في الصحاح والمسانيد عن ابن عباس.

فلا يحصل به العدد المأخوذ في موضوع الحكم، بل تعدد الطلاق يستلزم تخلل عقدة الزواج بين الطلاقين ولو بالرجوع، ومهما لم تتخلل يقع الطلاق الثاني لغواً ويبطله قوله ﷺ: «لا طلاق إلا بعد نكاح»، وقوله ﷺ: «لا طلاق لمن لا يملك»^(١).

وقال الجصاص في أحكام القرآن^(٢):

والدليل على أن المقصد في قوله: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ» الأمر بتفريق الطلاق وبيان حكم ما يتعلق بإيقاع ما دون الثلاث من الرجعة، أنه قال^(٣): «الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ»، وذلك يفتضي التفريق لا محالة؛ لأنه لو طلق اثنتين معاً لما جاز أن يقال طلقها مرتين. وكذلك لو دفع رجل إلى آخر درهمين لم يجز أن يقال أعطاه مرتين حتى يفرق الدفع فحينئذ يطلق عليه

هذا ما نطق به القرآن الكريم. وليس الرأي تجاه كتاب الله إلا تلاعباً به؛ كما نص عليه رسول الله ﷺ في صحيحة أخرجهما النسائي في السنن^(٤)، عن محمود بن لبيد؛ قال: أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً؛ فقام غضبان ثم قال: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟!». حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقتله؟ ولبعض أعلام القوم في المسألة كلمات تشدق بها، وأعجب ما رأيت فيها كلمة العيني؛ قال في عمدة القاري^(٥):

إنَّ الطلاق الوارد في الكتاب منسوخٌ .

١ - سنن الدارمي ٢: ١٦١؛ سنن أبي داود ١: ٣٤٢ [٢/٢٥٨، ح ٢١٩٠].

٢ - أحكام القرآن ١: ٤٤٧ [١/٣٧٨].

٣ - [المصدر المؤول خبراً لقوله المتقدم: «والدليل على...»].

٤ - السنن الكبرى ٦: ١٤٢ [٢/٣٤٩، ح ٥٥٩٤]؛ الدر المنثور ١: ٢٨٣ [١/٦٧٦].

٥ - عمدة القاري ٢٠: ٢٣٣.

فإن قلت : ما وجه هذا النسخ وعمره ﷺ لا ينسخ؟ وكيف يكون النسخ بعد النبي ﷺ؟

قلت : لما خاطب عمر الصحابة بذلك فلم يقع إنكارٌ صار إجماعاً . والنسخ بالإجماع جوزه بعض مشايخنا بطريق أن الإجماع موجب علم اليقين كالنص فيجوز النسخ به . . .

فإن قلت : هذا إجماع على النسخ من تلقاء أنفسهم فلا يجوز ذلك في حقهم . قلت : يحتمل أن يكون ظهر لهم نصٌ أوجب النسخ ولم ينقل إلينا ذلك .

لم تسمع الآذان نبأ هذا النسخ في القرون السالفة إلى أن جاد الدهر بالعيني فجاء يدّعي ما لم يقل به أحد ، ويخبط خط عشواء ، ويلعب بكتاب الله ، ولا يرى له ولا لسنة الله قيمة ولا كرامة .

إن كان نسخ بالإجماع فيكف ذهب أبو حنيفة ومالك والأوزاعي والليث إلى أن الجمع بين الثلاث طلاق بدعة؟! وقال الشافعي وأحمد وأبو ثور ليس بحرام لكن الأولى التفريق؟! وقال السندي : ظاهر الحديث التحريم^(١)؟!

واحتال استناد إجماع الصحابة إلى نصٍّ لم ينقل إلينا خرافةً تكذّبه نصوص الخليفة وغيره من الصحابة . على أن ما ذهب إليه الخليفة لم يكن إلا مجرد رأي وسياسة محضة . وما أحسن كلمة الشيخ صالح بن محمد العمري الفلاني المتوفى (١٢٩٨) في كتابه إيقاظ همم أولى الأبصار^(٢) ؛ حيث قال :

إنّ المعروف عند الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعند سائر العلماء المسلمين أن حكم الحاكم المجتهد إذا خالف نصّ كتاب الله

١- راجع حاشية الإمام السندي على سنن النسائي ٦: ١٤٢ .

٢- إيقاظ همم أولى الأبصار : ٩ .

تعالى أو سنة رسول الله ﷺ وجب نقضه ومنع نفوذه . ولا يعارض نص الكتاب والسنة بالاحتمالات العقلية والخيالات النفسانية والعصية الشيطانية ؛ بأن يقال : لعل هذا المجتهد قد اطلع على هذا النص وتركه لعلّه ظهرت له ، أو أنه اطلع على دليل آخر ، ونحو هذا ممّا لهج به فرق الفقهاء المتعصبين وأطبق عليه جهلة المقلدين .

- ٢٧ -

رأي الخليفة في العجم

روى مالك - إمام المالكية - عن الثقة عنده أنه سمع سعيد بن المسيّب يقول: أبى عمر بن الخطاب أن يورث أحداً من الأعاجم إلاّ أحداً ولد في العرب . قال مالك: وإن جاءت امرأة حامل من أرض العدو فوضعت في أرض العرب فهو ولدها يرثها إن ماتت ، وترثه إن مات ، ميراثها في كتاب الله ^(١) .

قال الأميني: هذا حكم حدت إليه العصية المحضة . وإن التوارث بين المسلمين عامّة عرباً كانوا أو أعاجم أينما ولدوا وحيثما قطنوا من ضروريات دين الإسلام ، وعليه نصوص الكتاب والسنة ؛ فعمومات الكتاب لم تُخصّص ، وليس من شروط التوارث الولادة في أرض العرب ولا العروبة من شروط الإسلام . وهذه العصية إلى أمثالها في موارد لا تحصى هي التي تفكك عرى الاجتماع ، وتشتت شمل المسلمين ، وإثما المسلمون كأسنان المشط لا تفاضل بينهم إلاّ بالتقوى ؛ والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ^(٢) . ويقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ^(٣) . ويقول: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ ^(٤) .

١- موطأ مالك ٢: ١٢ [٢/٥٢٠، ح ١٤، كتاب الفرائض].

٢- الحجرات: ١٠.

٣- الحجرات: ١٣.

٤- فصلت: ٤٤.

وهذا هتاف النبي الأعظم ﷺ من خطبة له يوم الحج الأكبر في ذلك المحتشد الرحيب بقوله :

«أيها الناس إنما المؤمنون إخوة، ولا يحلّ لامرئٍ مال أخيه إلّا عن طيب نفس منه... أيها الناس إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربيّ على عجميّ فضل إلّا بالتقوى...»^(١).

وفي لفظ أحمد^(٢): «ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلّا بالتقوى».

قال الهيثمي^(٣): رجاله رجال الصحيح.

ونصب عين الكلّ تعليمات النبي الأقدس، وتقديره الشخصيات المحلّة بالفضائل من مختلف العناصر بمثل قوله: «سلمان منّا أهل البيت»^(٤). وقوله: «لو كان العلم بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس»^(٥) إلى الكثير الطيّب من أمثاله.

فعلى المسلم أن لا يتخذ تلكم الآراء الشاذة خطّة لنفسه، ولا يصفح عن قول النبي الأمين: «ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية»^(٦).

وقوله ﷺ: «من قاتل تحت راية عميّة يغضب للعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتله جاهلية»^(٧).

١- البيان والتبيين ٢: ٢٥ [٢٢/٢]؛ العقد الفريد ٢: ٨٥ [٢٣٨/٣]؛ تاريخ يعقوبي ٢: ٩١ [١١١/٢].

٢- مسند أحمد [٥٧٠/٦، ح ٢٢٩٧٨]. ٣- مجمع الزوائد ٣: ٢٦٦.

٤- مستدرک الحاكم ٣: ٥٩٨ [٦٩١/٣، ح ٦٥٣٩].

٥- مسند أحمد ٢: ٤٢٠ و ٤٢٢ [١٤٩/٣، ح ٩١٥٣؛ و ١٥٣، ح ٩١٧٧]. وأخرجه ابن قانع بإسناده بلفظ: «لو

كان الدين متعلّقاً بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس»؛ الإصابة ٣: ٤٥٩ [رقم ٨٢١١].

٦- سنن أبي داود ٢: ٣٣٢ [٣٣٢/٤، ح ٥١٢١]. ٧- سنن البيهقي ٨: ١٥٦.

- ٢٨ و ٢٩ -

رأي الخليفة في المتعتين

متعة الحج:

١ - عن أبي رجاء قال: قال عمران بن حصين: نزلت آية المتعة في كتاب الله وأمرنا بها رسول الله ﷺ، ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج، ولم ينه عنها رسول الله ﷺ حتى مات، قال رجل برأيه بعد ما شاء^(١).

وفي بعض نسخ صحيح البخاري: قال محمد - أي البخاري - يقال: إنه عمر.

قال القسطلاني في الإرشاد^(٢): لأنه كان ينهى عنها.

وذكره ابن كثير في تفسيره^(٣) نقلاً عن البخاري فقال:

هذا الذي قاله البخاري قد جاء مصرحاً به: إن عمر كان ينهى الناس عن

التمتع.

٢ - عن أبي موسى: أنه كان يفتي بالمتعة؛ فقال له رجل: رويك ببعض فتياك فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعدك، حتى لقيته فسأله. فقال عمر: قد علمت أن النبي قد فعله وأصحابه ولكني كرهت أن يظلوا معرّسين بهن في الأراك ثم يروحون في الحج تقطر رؤوسهم^(٤).

٣ - عن سالم قال: إنني لجالس مع ابن عمر في المسجد إذ جاءه رجل من أهل الشام فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج؛ فقال ابن عمر: حسن جميل.

١ - صحيح مسلم ١: ٤٧٤ [٧١/٣، ح ١٧٢، كتاب الحج]؛ وانظر أيضاً صحيح مسلم [٧١/٢، ح ١٦٩ - ١٧١،

كتاب الحج]. - إرشاد الساري [٦١/١٠، ح ٤٥١٨].

٢ - تفسير ابن كثير ١: ٢٢٣.

٣ - صحيح مسلم ١: ٤٧٢ [٦٧/٣، ح ١٥٧، كتاب الحج]؛ سنن ابن ماجه ٢: ٢٢٩ [٩٩٢/٢، ح ٢٩٧٩]؛ مسند

أحمد ١: ٥٠ [٨١/١، ح ٣٥٢]؛ السنن الكبرى ٥: ١٥٣ [٣٤٨/٢، ح ٣٧١٥].

قال: فإنَّ أباك كان ينهى عنها؛ فقال: ويلك! فإن كان أبي نهى عنها وقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به أفبقول أبي آخذ أم بأمر رسول الله ﷺ؟ قم عني^(١).

٤- عن ابن عباس أنَّه قال لمن كان يعارضه في متعة الحجِّ بأبي بكر وعمر: يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر^(٢).

متعة النساء:

- ١- عن جابر بن عبد الله قال: «كُنَّا نستمع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى - ثم - نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث»^(٣).
- ٢- عن الحكم، قال: قال عليّ عليه السلام: «لولا أنَّ عمر عليه السلام نهى عن المتعة ما زنى إلَّا شقي»^(٤).
- ٣- عن ابن جريج، عن عطاء، قال: سمعتُ ابن عباس يقول: رحم الله عُمر ما كانت المتعة إلَّا رحمة من الله تعالى رحم بها أمة محمد، ولولا نهيه لما احتاج إلى الزنا إلَّا شقي^{(٥)(٦)}.
- ٤- كان عُمر يقول: والله لا أُؤتي برجل أباح المتعة إلَّا رجُمته^(٧).

١- تفسير القرطبي ٢: ٣٦٥ [٢٥٨/٢] نقلًا عن الدارقطني.

٢- زاد المعاد لابن القيم ١: ٢١٥ [٢٠٩/١]، وهامش شرح المواهب ٢: ٣٢٨.

٣- صحيح مسلم ١: ٣٩٥ [١٩٤/٣]، ح ١٦، كتاب النكاح؛ جامع الأصول لابن الأثير [١٣٥/١٢]، ح ٨٩٥٣؛ كنز العمال ٨: ٢٩٤ [٥٢٣/١٦]، ح ٤٥٧٣٢.

٤- تفسير الطبري ٥: ٩ [جامع البيان مج ٤/ج ١٣/٥]؛ التفسير الكبير ٣: ٢٠٠ [٥٠/١٠]؛ الدر المنثور ٢: ١٤٠ [٤٨٦/٢].

٥- أي إلَّا قليلاً من الناس؛ قاله ابن الأثير في النهاية [٤٤٨/٢].

٦- أحكام القرآن للجصاص ٢: ١٧٩ [١٤٧/٢]؛ الدر المنثور ٢: ١٤٠ [٤٨٧/٢].

٧- ذكره سبط بن الجوزي في مرآة الزمان.

وعن نافع عن عبد الله بن عمر، أنه سُئل عن متعة النساء، فقال: حرامٌ. أما إنَّ عمر ابن الخطاب لو أخذ فيها أحداً لرجمه بالحجارة^(١).

المتعتان

متعة الحج ومتعة النساء

١ - عن عمر، أنه قال في خطبته: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهي عنهما وأعاقب^(٢) عليهما: متعة الحج، ومتعة النساء.
وفي لفظ الجصاص: لو تقدّمت فيها لرجمت^(٣).

استدلّ المأمون على جواز المتعة بهذا الحديث وهمّ بأن يحكم بها^(٤).
خطبة عمر هذه في المتعتين من المتسالم عليه بالألفاظ المذكورة.

٢ - أخرج الطبري في المستبين، عن عمر أنه قال: ثلاث كنَّ على عهد رسول الله ﷺ أنا محرّمهنَّ ومعاقب عليهنَّ: متعة الحج، ومتعة النساء، وحىَّ على خير العمل في الأذان.

هذا شطر من أحاديث المتعتين وهي تربو على أربعين حديثاً بين صحاح وحسان تُعرب عن أنَّ المتعتين كانتا على عهد رسول الله ﷺ، ونزل فيهما القرآن، وثبتت إباحتهما بالسنة، وأوّل من نهى عنهما عمر.

١ - السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٢٠٦.

٢ - «أضرب فيهما» كذا في لفظ غير واحد. وفي لفظ الجاحظ: «أضرب عليهما».

٣ - البيان والتبيين للجاحظ ٢: ٢٢٣ [١٩٣/٢]، أحكام القرآن للجصاص ١: ٣٤٢ و ٣٤٥؛ و ٢: ١٨٤ [٢٩٠/١]

و ٢٩٣؛ و ٢: ١٥٢ [١٥٢/٢]؛ التفسير الكبير ٢: ١٦٧؛ و ٣: ٢٠١ و ٢٠٢ [١٥٣/٥] و ١٠: ٥٢-٥٣؛ كنز العمال ٨:

٢٩٣ [١٦/٥١٩، ح ٤٥٧١٥؛ وص ٥٢١، ح ٤٥٧٢٢].

٤ - وفيات الأعيان ٢: ٣٥٩ [٦/١٥٠، رقم ٧٩٣].

نظرة في المتعتين

هذه جملة مما ورد فيها من الأحاديث؛ وهي كما ترى بنفسها وافية بإثبات تشريعها على العهد النبوي كتاباً وسنة من دون نسخ يعقب حكمها. أضف إليها من الأحاديث الكثيرة الدالة على إباحتها ولم نذكرها لخلوها عن نهى عمر. ولم يكن النهي منه في المتعتين إلا رأياً محضاً أو اجتهاداً مجرداً تجاه النص.

أما متعة الحج:

فقد نهى عنها لما استهجنه من توجه الناس إلى الحج ورؤوسهم تقطر ماءً بعد بجامعة النساء بعد تمام العمرة. لكن الله سبحانه كان أبصر منه بالحال، ونبيه ﷺ كان يعلم ذلك حين شرع إباحة متعة الحج حكماً باتاً أبدياً إلى يوم القيامة كما هو نص الأحاديث الآتية والآتية، ولم يكن ما جاء به إلا استحساناً يخص به لا يعول عليه وجاه الكتاب والسنة.

هذا ما رآه الخليفة هو بنفسه في مستند حكمه. وهناك أقاويل منحوتة جاؤوا بها شوهاء ليعضدوا تلك الفتوى المجردة، ويبرروا بها ما قدم عليه الخليفة وتفرد به، وكلها يخالف ما نص عليه هو بنفسه، وهي أضرار مفتعلة لا تدعم قولاً ولا تغني من الحق شيئاً. وقد بلغت شدة نكير عثمان على من تمتع إلى حدّ كاد أن يقتل من جرّائه مولانا أمير المؤمنين^(١). ومن ابتغى تفصيلاً في الموضوع فعليه بزاد المعاد لابن قيم الجوزية^(٢).

أما متعة النساء:

فالذي يظهر من كلمات عمر أنّه كان يعدّها من السفاح؛ ولذلك قال في حديث: «بيّتوا حتّى يُعرف النكاح من السفاح»^(٣). ولم يكن عند ذلك وفي عهد الصحابة كلّهم

١- راجع جامع بيان العلم لأبي عمر ٢: ٣٠ [ص ٢٤٥، ح ١٢٨٢].

٢- زاد المعاد ١: ١٧٧ - ٢٢٥ [١/١٧١ - ٢١٩].

٣- كنز العمال ٨: ٢٩٤ [١٦/٥٢٢، ح ٤٥٧٢٦] من طريق الطبري.

من حديث النسخ عين ولا أثر. وكان إذا شجر بينهم خلافٌ في ذلك استند المجوزون إلى الكتاب والسنة، والممانعون إلى قول عمرو نهيها. كما ينفي النسخ بكلّ صراحة قول الخليفة: «أنا أنهي عنهما». وهو صريح ما عن أمير المؤمنين عليه السلام وعبد الله بن العباس من إسناد النهي إلى عمر فحسب. وإلى هذا استند كلٌّ من أباحها من الصحابة والتابعين. ذكر شيخنا العلامة في الغدير^(١) (٢٠) ممن أباحها من الصحابة والتابعين: منهم: ١ - جابر بن عبد الله^(٢).

٢ - عبد الله بن مسعود. ذكر الآلوسي في تفسيره^(٣) حديث قراءته: «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل». وعده ابن حزم في المحلى^(٤) والزرقاني في شرح الموطأ^(٥) ممن ثبت على إباحتها. وأخرج الحفاظ عنه أنّه قال: كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس لنا نساء، فقلنا: يا رسول الله ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك ورخص لنا أن ننكح بالثوب إلى أجل، ثمّ قال: «لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ»^(٦). قال الجصاص بعد ذكر الحديث:

إنّ الآية من تلاوة النبي ﷺ عند إباحة المتعة وهو قوله تعالى: «لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ»^(٧).

٣ - عبد الله بن عمر^(٨).

١ - [راجع الغدير ٣١١/٦ - ٣١٤].

٢ - أنظر عمدة القاري للعيني ٨: ٣١٠ [٢٤٦/١٧]؛ صحيح مسلم ١: ٣٩٥ [١٩٤/٢]، ح ١٧، كتاب النكاح.

٣ - تفسير الآلوسي ٥: ٥. ٤ - المحلى [٥١٩/٩]، المسألة ١٨٥٤.

٥ - شرح الزرقاني على موطأ مالك [١٥٤/٣]، ح ١١٧٨، كتاب النكاح.

٦ - صحيح البخاري ٨: ٧ [١٩٥٣/٥]، ح ٤٧٨٧، كتاب النكاح؛ صحيح مسلم ١: ٣٥٤ [١٩٢/٣]، ح ١١، كتاب

النكاح؛ الدر المنثور ٢: ٣٠٧ [١٤٠/٣] نقلاً عن تسعة من الأئمة والحفاظ.

٨ - أنظر مسند أحمد ٢: ٩٥ [٢٢٥/٢]، ح ٥٦٦١.

٧ - المائدة: ٨٧.

٤- أبي بن كعب. تأتي^(١) قراءته: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل».

نعم، جاء قوم راقهم أن ينيحتوا لنهي عمر حجة قوية، فادّعوا نسخ الآية بالكتاب تارةً وبالسنة أخرى. وتضاربت هناك آراؤهم وكلُّ منها يكذب الآخر؛ كما أن كلاً من قائلها يزيّف قول الآخر.

فمن قائل: نسخت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(٢). ومن قائل: بنسخها بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(٣)؛ نظراً إلى أن المنكوحة متعة ليست بزوجة ولا ملك يمين.

وثالث يقول: إنها نسخت بآية الميراث؛ إذ كانت المتعة لا ميراث فيها. هذه كلّها دعاوٍ فارغة؛ أحسب امرؤ أن تخفى هذه الآيات وكونها ناسخة لآية المتعة على أولئك الصحابة وفيهم من المجوّزين لها من عرفت، وفيهم من فيهم، وفي مقدّمهم سيّدنا أمير المؤمنين العارف بالكتاب قذاذاته وجذاذاته؟! على أن الآية الأولى إنما أراد سبحانه بها من تبين بالطلاق لا مطلق الينونة وإلاّ لشمّلت ملك اليمين أيضاً فنسخته ولم يقل به أحد ولا عدّه أحد من السفاح. وأمّا الآية الثانية: فالقول فيها بنفي الزوجية في المتعة مصادرة محضة؛ فإنّ القائل بإباحتها يقول بالزوجية فيها وإنّها نكاح؛ فالاستدلال بإطلاق هذه الآية على إباحة نكاح المتعة أولى من التمسك بها في نسخ آية المتعة.

وأما آية الميراث: فهي أجنبيّة عن المقام؛ فإنّ نفي الوراثة جاءت بها السنة في خصوص النكاح المؤجل؛ فهي بمعزل عن نفي عقدة النكاح وعنوان الزوجية؛ كما جاء

٢- الطلاق: ١.

١- في ص ١٧٦ من كتابنا هذا.

٣- المؤمنون: ٥- ٦.

مثله في الولد القاتل أو الكافر من غير نفي لأصل البنوة.

وأما النسخ بالسنة: فقد كثر القول فيه واختلفت الآراء اختلافاً هائلاً، وكلُّ منها لا يلائم الآخر. والقارئ لا مناص له من هذا الخلاف والتضارب في القول لاختلاف ما اختلقته يد الوضع فيه من الروايات الجمة تجاه ما حفظته السنة الثابتة والتاريخ الصحيح؛ فوضع كلُّ من رجال النسخ المفتعل بحسب رأيه وسليقته ذاهلاً عن نسيجه أخيه وفعيلته.

ثم ذكر شيخنا العلامة ﷺ في الغدير^(١) (١٥) من تلکم الأقوال.

وأفطع من هذه كلّها نعرات القرن العشرين لصاحبها موسى الوشيعة؛ فإنه جاء بطامّات قصرت عنها يد اللاعبين بالكتاب والسنة في القرون المتقدمة، وأتى برأي جديد خداج ومذهب مخترع يخالف رأي سلف الأمة جمعاء، ولا يساعده في تقولاته أيّ مبدأ من المبادئ الإسلامية ولا شيء من الكتاب والسنة. قال^(٢):

وللأمة في المتعة كلام طويل عريض. وأرى أنّ المتعة من بقايا الأنكحة الجاهلية، ويمكن أنّها قد وقعت من بعض الناس في صدر الإسلام. ويمكن أنّ الشارع الكريم قد أقرّها لبعض الناس في الأحوال من باب ما نزل فيها إلا ما قد سلف... وقد نزل في أشدّ المحرّمات. كانت المتعة أمراً تاريخياً ولم تكن حكماً شرعياً بإذن من الشارع. وإن ادّعى مدّع أنّ المتعة كانت حلالاً طلقاً بإذن من الشارع وإقرار منه، فلتكن ولنقل أن لا بأس بها ولا كلام لنا في هذه على ردّها.

١- [راجع الغدير ٦/ ٣١٥ - ٣٢٠].

٢- الوشيعة: ٣٢ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٤٩ و ١٦٥ و ١٦٦.

وإنما كلامي الآن في أن المتعة هل ثبتت في القرآن أو لا؟
كتب الشيعة تدعي أن المتعة نزل فيها قول الله جلّ جلاله : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾^(١).

وأرى أن أدب البيان يأبى وعربية هذه الجملة الكريمة تأبى أن تكون هذه الجملة الجليلة الكريمة قد نزلت في المتعة ؛ لأن تركيب هذه الجملة يفسد ونظم هذه الآية الكريمة يختل لو قلنا إنها نزلت فيها .

أما متعة النكاح ونكاح المتعة فلم ينزل قرآن فيها وفيه . ولبيان هذا المعنى الجليل عقدت هذا الباب دفعا لما شاع في كتب الشيعة أن قوله : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ نزل في نكاح المتعة .

المتعة لم تكن مباحة في شرع الإسلام أصلاً ، ونسخها لم يكن نسخ حكم شرعي ، إنما كان نسخ أمر جاهليّ تحريم أبدي .

حديث المتعة من غرائب الأحاديث كان يقول بها جماعة من الصحابة ، حتى قال بها جماعة من التابعين منهم طاووس وعطاء وسعيد بن جبير ، وجماعة من فقهاء مكة

وقد أسرف القول بإباحة المتعة فقيه مكة ابن جريج كما كان يسرف في العمل بها حتى أوصى بسبعين امرأة وقال : لا تتزوجوا بهنّ فإنهنّ أمهاتكم

استبعد غاية الاستبعاد أن يكون مؤمن يعلم لغة القرآن الكريم ويؤمن بإعجازه ويفهم حقّ الفهم إفادة النظم يقول : إنّ قول الله جلّ جلاله : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ نزل في متعة النساء . قول لا يكون إلا من جاهل يدعي ولا يعي .

كتب الشيعة ترفع إلى الباقر والصادق أن ﴿فَمَا اسْتَفْتَيْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ منزل في المتعة . وأحسن الاحتمالين أن السند موضوعٌ وآلاً فالباقر والصادق جاهلٌ . لا يوجد في غير كتب الشيعة قول لأحد أن ﴿فَمَا اسْتَفْتَيْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ نزل في متعة النساء وقد أجمعت الأمة على تحريم المتعة ، ولم يقل أحدٌ أن قول الله : ﴿فَمَا اسْتَفْتَيْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ قد نسخ

الجواب: هذه جمل التقطناها من صحائف الوشيعة سودها الرجل في مسألة المتعة . وتلك الصحائف السوداء تبعد عن أدب الدين ، أدب العلم ، أدب العقّة ، أدب الكتاب ، أدب الاجتماع ، وبينها وبين ما جاء به الإسلام بون شاسع ؛ فلا نقابله فيها إلا بالسلام . أمّا بسط القول في المتعة فلا حاجة لنا تمسّ بها بعد ما أغرق نزاعاً فيها محققو أصحابنا ولا سيما الأواخر منهم^(١)؛ فجاء الرجل بعده يتهم عليهم بفاحش القول ولا يبالي ، ويقذفهم بلسان بذّي ولا يكثر له .

وإنما يهمنّا إيقاظ شعور الباحث إلى أكاذيب الرجل وجنایاته الكبيرة على العلم والقرآن وأهله بكتان رأي السلف فيه ، وتدجيله الحقائق الراهنة على الأمة بالسفساف والمخاريق ، وإشاعة ما يضادّ الكتاب والسنة في الملاء العلمي ، وهو مع جهله بهما يرى نفسه فقيهاً من فقهاء الإسلام ؛ فعلى الإسلام السلام .

المتعة في الكتاب:

﴿فَمَا اسْتَفْتَيْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيمًا﴾^(٢) .

١ - نظراء الأعلام المحجج سيّدنا السيّد عبدالحسين شرف الدين ، سيّدنا السيّد المحسن الأمين ، شيخنا الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، وأفرد فيها الأستاذ توفيق الفكيكي كتاباً وقد أدّى فيه حقّ المقال .

يرى موسى الوشيعة :

أنّ القول بنزول الآية من دعاوي الشيعة فحسب ، ولا يوجد في غير كتبهم

قول به لأحد ، والقول به لا يكون إلا من جاهل يدّعي ولا يعي .

ثمّ ذكر شيخنا العلامة ﷺ في الغدير^(١) (١٩) ممّا في كتب قومه حتّى يعلم القارئ إلى

من توجه قوارص هذا الرجل الجاهل الفاحش المتفحّش ؛ منها :

١ - أخرج أحمد إمام الحنابلة في مسنده^(٢) بإسنادٍ رجاله كلّهم ثقات ، عن عمران

ابن حصين ، قال : «نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى وعملنا بها مع رسول

الله ﷺ ؛ فلم تنزل آية تنسخها ولم ينة عنها النبي ﷺ حتّى مات» .

٢ - أخرج أبو جعفر الطبري المتوفّي (٣١٠) في تفسيره^(٣) بإسناده عن أبي نضرة :

قال : سألتُ ابن عبّاس عن متعة النساء . قال : أما تقرأ سورة النساء ؟ قال : قلت : بلى .

قال : فما تقرأ فيها : «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسّمي» ؟ قلت له : لو قرأتها هكذا ما

سألتك . قال : فإنّها كذا .

وفي حديثٍ : قال ابن عبّاس : والله لأنزلها الله كذلك ثلاث مرّات .

وأخرج عن قتادة في قراءة أبيّ بن كعب : «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسّمي» .

٣ - أخرج الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّي (٤٥٨) بإسناده في السنن الكبرى^(٤) ، عن

محمّد بن كعب ، عن ابن عبّاس ﷺ ، قال : «كانت المتعة في أوّل الإسلام وكانوا يقرأون

هذه الآية : فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسّمي ...» .

٤ - قال أبو القاسم جارا الله الزمخشري المعتزلي المتوفّي (٥٣٨) في الكشّاف^(٥) :

٢ - مسند أحمد ٤ : ٤٣٦ [٦٠٢/٥] ح ١٩٤٠٦ .

١ - [راجع الغدير ٦/٣٢٣ - ٣٢٢] .

٤ - السنن الكبرى ٧ : ٢٠٥ .

٣ - جامع البيان ٥ : ٩ [مج ٤/١٢٠ - ١٣] .

٥ - الكشّاف ١ : ٣٦٠ [٤٩٨/١] .

قيل : نزلت - الآية - في المتعة . وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ ،
وكان يقرأ : فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى .

٥ - قال أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي^(١) المتوفى (٥٦٧) في تفسيره^(٢) عند بيان

الاختلاف في معنى الآية :

قان الجمهور : إنّ المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام . وقرأ ابن
عبّاس وأبيّ وسعيد بن جبير : فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى فآتوهنّ
أجورهنّ .

٦ - ذكر أبو عبدالله فخر الدين الرازي الشافعي المتوفى (٦٠٦) في تفسيره

الكبير^(٣) قولين في الآية ، وقال :

أحدهما قول أكثر العلماء . والقول الثاني : إنّ المراد بهذه الآية حكم
المتعة وأنفقوا على أنّها كانت مباحة في ابتداء الإسلام واختلفوا في أنّها
هل نسخت أم لا ؟ .

٧ - قال الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١) في الدرّ المنتور^(٤) : «أخرج

الطبراني^(٥) والبيهقي في سننه^(٦) عن ابن عباس قال : كانت المتعة في أول الإسلام وكانوا
يقرؤون هذه الآية : فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى » .

هلمّ معي :

هلمّ معي أيها القارئ نسائل الرجل - موسى جار الله - عن هذه الكتب أليست هي

١ - القرطبي صاحب التفسير هو أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري المتوفى سنة ٦٧١ .

٢ - الجامع لأحكام القرآن ٥ : ١٣٠ [٨٨/٥] . ٣ - التفسير الكبير ٣ : ٢٠٠ [٤٩/١٠ و ٥١ و ٥٣] .

٤ - الدرّ المنتور ٢ : ١٤٠ [٤٨٤/٢] . ٥ - المعجم الكبير [١٠/٣٢٠ ح ١٠٧٨٢] .

٦ - السنن الكبرى [٢٠٥/٧] .

مراجع أهل السنة في علم القرآن؟! أليس هؤلاء أعلامهم وأئمتهم في التفسير؟! أليس من واجب الباحث أن يراجع تلكم الكتب ثم ينقض ويبرم، ويزن ويرجح؟! أیوجه قوارصه إلى مثل ابن عباس ترجمان القرآن، وأبي بن كعب أقرأ الصحابة عندهم، وعبد الله بن مسعود عالم الكتاب والسنة، وعمران بن حصين، والحكم، وحبيب بن أبي ثابت، وسعيد بن جبیر، وقتادة، ومجاهد؟! أیرى كلاً منهم جاهلاً يدّعي ولا يعي؟! أليس هذا سبّ الصحابة والسلف الصالح الذي تُتهم به الشيعة عند قومه؟!

أم يرى رجالات قومه من الشيعة ويسلقهم بالسنة حداد؟! فإن لم تكن عنده قيمة لمثل البخاري، ومسلم، وأحمد، والطبري، ومحمد بن كعب، وعبد بن حميد، وأبي داود، وابن جريج، والجصاص، وابن الأنباري، والبيهقي، والحاكم، والبغوي، والزمخشري، والأندلسي، والقرطبي، والفخر الرازي، والنووي، والبيضاوي، والخازن، وابن جزّي، وأبي حيان، وابن كثير، وأبي السعود، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي، فمن قدوته وأسوته في العلم والدين؟!

نعم، لا يفوتنا أن أكاذيب الرجل وأساطيره المسطرة وعزو القول بنزول الآية إلى الشيعة فحسب كلّها تقدمه لسبّ الإمامين الطاهرين الباقر والصادق عليه السلام، وهو يعلم وكلّ ذي نصفة يدري أن أئمة قومه الأربعة عائلة الإمامين في علمهما؛ فإن يوجد عندهم شيء من العلم فمن ذلك النير العذب. والباقران هما الباقران، وموسى الوشيعة هو موسى الوشيعة، والله هو الحكم العدل، وإلى الله المشتكى.

وهلّم نساءل الرجل عن أدب البيان الذي شعر به هو وخفي على هؤلاء الأعلام في القرون الحالية، وعن الاختلال الذي عرفه هو وجهله أئمة القوم على تقدير القول بنزول الآية في المتعة ما هو؟! وأين كان؟! وعمّن يؤثر؟! ومن الذي قال به؟! وما الحجّة عليه؟! وممن أخذه؟! ولم كتبه الأولون والآخرون حتّى انتهت النوبة إليه؟! لا أحسب أنّه يحير جواباً يشفي الغليل، ولعله يعيد سبابه المقذع إلى أناس آخرين.

حدود المتعة في الإسلام:

- ١- الأجرة.
- ٢- الأجل.
- ٣- العقد المشتمل للإيجاب والقبول.
- ٤- الافتراق بانقضاء المدة أو البذل.
- ٥- العدة أمة وحرّة، حائلاً وحاملاً.
- ٦- عدم الميراث.

إنّ هذه الحدود ذكرها الفقهاء في مدوّناتهم الفقهية، والمحدّثون في الصحاح والمسانيد، والمفسّرون في ذيل الآية الكريمة الآنفه؛ فوقع إصفاقهم على أنّها حدود شرعية إسلامية لا محيص عنها، سواء فيها من يقول بالإباحة الدائمة أو بالإباحة الموقّعة المنسوخة؛ فأين يكون مقيل كلمة الرجل: «إنّها من الأنكحة الجاهلية النارية ولم تكن بإذن من الشارع»؟! ومتى كان في الجاهلية نكاح بهذه الحدود، وقد ضبطوا أنكحتها وعاداتها وتقاليدها وليس فيها ما يشابه نكاح المتعة؟!

نعم، الرجل يتقول ولا يكثرث لما يقول. وذهب جمع من الصحابة والتابعين إلى إباحة المتعة وعدم نسخها مع وقوفهم على نهى عمر عنها، ولهم ولرأيهم شأن في الأمة، وفيهم من يجب عليها اتّباعه^(١).

ولماذا يكون ابن جريج مسرفاً في إتيان الفاحشة التي نزلت في أشدّ المحرّمات في مزعمة موسى؟! ولو كان ابن جريج متهاوناً بالدين، فلماذا أخرج عنه أئمة الحديث أرباب الصحاح الست كلّهم، وحشّو المسانيد مروياته وأسانيده؟! وقد سمعوا منه اثني عشر ألف حديث يحتاج إليها الفقهاء^(٢). ولو فسد مثله أو فسدت روايته لوجب أن تُمحي صحائف جمّة من جوامع الحديث، ولا تبقى قيمة لتلكم الصحاح عندئذٍ. ولو كان

٢- مفتاح السعادة ٢: ١٢٠ [٢٣١/٢].

١- [أنظر تلخيص الغدير/٣٣٩].

كما يزعمه فلماذا أطرته أئمة الرجال بكلِّ ثناءٍ جميل؟! وكيف رآه أحمد إمام الحنابلة أثبت الناس؟! وكيف كانوا يسمّون كتبه الأمانة^(١)؟

اقرأ واضحك أو ابك:

ذكر القوشجي المتوفّي (٨٧٩) في شرح التجريد^(٢) في مبحث الإمامة أن عمر قال وهو على المنبر: أيها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهي عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن: متعة النساء، ومتعة الحجّ، وحيّ على خير العمل. ثمّ اعتذر عنه بقوله:

إنّ ذلك ليس ممّا يوجب فدحاً فيه ؛ فإنّ مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع .

ما كنّا نقدر أن ضليعاً في العلم يقابل النبيّ الأعظم ﷺ بواحد من أئمّته ويجعل كلاًّ منها مجتهداً، وما ينطقه الرسول الأمين هو عين ما ثبت في اللوح المحفوظ وإن هو إلّا وحي يوحى علّمه شديد القوى، فأين هو عن الاجتهاد برّد الفرع إلى الأصل، واستعمال الظنون في طريق الاستنباط؟! وإنّ السائع من المخالفة الاجتهادية هو ما إذا قابل المجتهد مجتهداً مثله لا من اجتهد تجاه النصّ المبين، وارتأى أمام تصريحات الشريعة من قول الشارع وعمله .

ثمّ أيّ مستوى يقلّ سيّد أولى الأبواب وهذا الرجل في عرض واحد فهماً وإدراكاً حتّى يقابل بين رأييهما؟!!

وأيّ قيمة لآراء العالمين جميعاً إذا خالفت ما جاء به المشرّع الأقدس؟! لكنّي أعذر القوشجي لالتزامه بدحض كلّ ما جاء به نصير الدين الطوسي لئلاّ يُعزى إليه العجز والتواني في الحجاج؛ فلا بدّ أن يأتي بكلّ ما دبّ ودرج سواء كان

حجة له أو وبالأعلى عليه.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(١).

- ٣٠ -

اجتهاد الخليفة في الخمر وآياتها

١ - قال الزمخشري في ربيع الأبرار^(٢) في باب اللهو واللذات والقصف واللعب^(٣)، وشهاب الدين الأبهسي في المستطرف^(٤):

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات : الأولى قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾^(٥) فكان من المسلمين من شارب ومن تارك إلى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر .

فنزل قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٦) فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ بلحى بعير وشجّ به رأس عبدالرحمن بن عوف ، ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر يقول :

وكائن بالقلب قلب بدر	من الفتيان والعرب الكرام
وكائن بالقلب قلب بدر	من الشيزى المكلل بالسنام ^(٧)
أيوعدي ابن كبشة أن سنجي	وكيف حيلة أصداء وهام؟
أيعجز أن يرد الموت عني	وينشري إذا بليت عظامي؟

٢ - ربيع الأبرار [٥١/٤].

١٠ - النحل : ١١٦ .

٣ - وقفنا من الكتاب على عدة نسخ في مكتبات العراق وإيران .

٥ - البقرة : ٢١٩ .

٤ - المستطرف ٢ : ٢٩١ [٢٦٠/٢] .

٧ - هذا البيت لا يوجد في المستطرف .

٦ - النساء : ٤٣ .

ألا من مبلغ الرحمن عني بآتي تارك شهر الصيام
فقل لله بمنعني شرابي وقل لله بمنعني طعامي
فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج مغضباً بجرّ رداءه فرفع شيئاً كان في يده فضربه
به فقال : أعود بالله من غضبه وغضب رسوله .

فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي
الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴾ ^(١) فقال
عمر رضي الله عنه : انتهينا ، انتهينا .

٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : « لما نزل تحريم الخمر قال عمر : اللهم بين لنا في
الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ . قال :
فدُعي عمر فقرأت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في
النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ
إذا أقيمت الصلاة ينادي : ألا لا يقربن الصلاة سكران . فدُعي عمر فقرأت عليه فقال :
اللهم بين لنا بياناً شافياً ، فنزلت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي
الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴾ .
قال عمر : انتهينا ، انتهينا » ^(٢) .

قال الأُميني : لم نرُم بسرد هذه الأحاديث إثبات شرب الخمر على الخليفة أيام
الجاهلية : إذ الإسلام يجب ما قبله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

١- المائدة : ٩١ .

٢- سنن أبي داود ٢ : ١٢٨ [٣/ ٣٢٥ ، ح ٣٦٧٠] ؛ مستد أحمد ٢ : ٥٣ [١/ ٨٦ ، ح ٣٨٠] ؛ السنن الكبرى للنسائي

٨ : ٢٨٧ [٣/ ٢٠٢ ، ح ٥٠٤٩] ؛ تفسير الطبري ٧ : ٢٢ [جامع البيان / ج ٥ / ح ٣٢/٧] ؛ المستدرک علی الصحیحین

٢ : ٢٧٨ [٢/ ٣٠٥ ، ح ٣١٠١] .

طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَأَخْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(١).

بل الغاية المتوخاة إيقاف القارئ على مبلغ علم الخليفة بالكتاب، وحدّ عرفانه مغازي آيات الله وأنه لم يكن يعرف الحظر من قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ». وقد نزل بياناً للنهي عنها، وعرفته الصحابة منه. وقالت عائشة: لما نزلت سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك^(٢). ولا يكون بيان شافٍ في مقام الإعراب عن الحظر والحظر أولى منها، ولا سيما بملاحظة أمثال قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْأَلْبَنَى»^(٣) من الآيات الواردة في الإثم فقد حرّمت بكلّ صراحة الإثم الذي هتفت الآية الأولى بوجوده في الخمر. والإثم: الذنب، والآثم والأثيم: الفاجر. وقد يطلق على نفس الخمرة كقول الشاعر:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول^(٤)

وليست منافع الخمر إلا أثمانها قليل تحريمها وما يصلون إليه بشربها من اللذة، وقد نصّ على هذا كما في تفسير الطبري^(٥).

وما كان ذلك التأويل من الخليفة وطلب البيان بعد البيان، وعدم الانتهاء قبل الزجر والوعيد إلا لحبه لها وكونه أشرب الناس في الجاهلية؛ كما ينمّ عنه قوله فيما أخرجه ابن هشام في سيرته^(٦): «كنتُ للإسلام مباعدًا، وكنتُ صاحب خمر في الجاهلية

١- المائدة: ٩٣.

٢- أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٨: ٣٥٨ [رقم ٤٤٥٧]، وحكاه عنه السيوطي في الدرّ المستور ١: ٢٥٢.

٣- الأعراف: ٣٣.

[٦٠٦/١].

٤- لسان العرب ١٤: ٢٧٢ [٧٥/١]، تاج العروس ٨: ١٧٩.

٥- جامع البيان ٢: ٢٠٢ [ج ٢/٢: ٣٥٩].

٦- السيرة النبوية ١: ٣٦٨ [٣٧١/١].

أحبّها وأشربها^(١)، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة^(٢) عند دور عمر بن عبد بن عمران المخزومي، فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت: لو أني جئت فلاناً الخمار، وكان بمكة يبيع الخمر لعلّي أجد عنده خمرأ فأشرب منها...».

وفيما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى^(٣) عن عبد الله بن عمر من قول والده في أيام خلافته: «إني كنت لأشرب الناس لها في الجاهلية، وإنها ليست كالزنا^(٤)».

ومن هنا خصّ الخليفة بالدعوة وقراءة النبي الأعظم عليه الآيات النازلة في الخمر، وكان ممن يؤوّلها ولم ينته عنها، إلى أن نزل الزجر والوعيد بآية المائدة وهي آخر سورة نزلت من القرآن^(٥) ومنها ما نزل في حجة الوداع^(٦).

ولاعتياده بها منذ مدة غير قصيرة إلى نزول آية المائدة في حجة الوداع طفق يشرب النبيذ الشديد بعد نزول ذلك الوعيد، وبعد قوله: «انتهينا انتهينا». وكان يقول: «إننا نشرب هذا الشراب الشديد لنقطع به لحوم الإبل في بطوننا أن تؤذينا فن رابه من شرابه شيء فليمزجه بالماء»^(٧).

١ - [في المصدر: «وأسرها»].

٢ - «الحزورة»: كانت سوقاً من أسواق مكة، وهي الآن جزء المسجد.

٣ - السنن الكبرى ١٠: ٢١٤.

٤ - السنن الكبرى ١٠: ٢١٤. وراجع سيرة عمر لابن الجوزي: ٩٨ [ص ١٢٢]؛ كنز العمال ١٠٧: ٣ [٥/٥٠٥، ح

١٣٧٤٦]؛ منتخب الكنز - بهامش مسند أحمد - ٢: ٤٢٨ [٢/٥٠٠]؛ الخلفاء الراشدون لعبد الوهاب النجار: ٢٢٨.

٥ - مستدرک الحاكم ٢: ٣١١ [٢/٣٤٠، ح ٣٢١١]؛ جامع الترمذي ١٧٨: ٢ [٥/٢٤٣، ح ٣٠٦٣]؛ الدر المنثور ٢:

٢٥٢ [٣/٣]؛ نقلاً عن أحمد، والترمذي، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي، وسعيد ابن منصور، وابن المنذري.

٦ - تفسير القرطبي ٦: ٣٠ [٢٢/٦]؛ وإرشاد الساري ٧: ٩٥ [١٠/١٩٨].

٧ - السنن الكبرى ٨: ٢٩٩؛ محاضرات الراغب ١: ٣١٩ [ج ١/٢٦٩٩]؛ كنز العمال ١٠٩: ٣ [٥/٥١٤، ح

١٣٧٧٢]؛ نقلاً عن ابن أبي شيبة.

وقال: «إني رجل معجار^(١) البطن أو مسعار البطن، وأشرب هذا النبيذ الشديد فيسهل بطني»^(٢).

وقال: «لا يقطع لحوم هذه الإبل في بطوننا إلا النبيذ الشديد»^(٣).

وكان يشرب النبيذ الشديد إلى آخر نفس لفظه؛ قال عمرو بن ميمون: «شهدتُ عمر حين طعن أتي بنبيذ شديد فشربه»^(٤).

وكان حدة شرابه وشدة بحيث لو شرب غيره منه لسكر وكان يقيم عليه الحد؛ غير أن الخليفة كان لم يتأثر منه لاعتياده أو كان يكسره ويشربه.

قال الشعبي: شرب أعرابي من أدواة عمر فأغشي فحدّه عمر. ثم قال: وإنما حدّه للسكر لا للشرب^(٥).

وفي لفظ الجصاص في أحكام القرآن^(٦): «إن أعرابياً شرب من شراب عمر فجلده عمر الحد. فقال الأعرابي: إنما شربت من شرابك. فدعا عمر شرابه فكسره بالماء ثم شرب منه وقال: من رابه من شرابه شيء فليكسره بالماء».

وعن أبي رافع: «إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إذا خشيت من نبيذ شدته فاكسروه بالماء».

أخرجه النسائي في سننه^(٧) وعدّه ممّا احتجّ به من أباح شرب المسكر. ومن العجيب حدّ من شرب من إدواة عمر فسكر؛ لأنّه إن كان لا يعلم أنّ ما في الإدواة مسكر وشرب فلا حدّ عليه؛ كما أخرجه أبو عمر في العلم^(٨) عن الخليفة نفسه

١ - [لعله: معجار البطن؛ كما في النهاية لابن الأثير ١/٢٧٥].

٢ - كنز العمال ٣: ١٠٩ [٥/٥١٤، ح ١٣٧٧٣].

٣ - جامع مسانيد أبي حنيفة ٢: ١٩٠ و ٢١٥.

٤ - العقد الفريد ٣: ٤١٦ [٦/٢٧٨].

٥ - تاريخ بغداد للخطيب ٦: ١٥٦.

٦ - السنن الكبرى ٨: ٣٢٦ [٣/٢٣٧، ح ٥٢١٤].

٧ - أحكام القرآن ٢: ٥٦٥ [٢/٤٦٤].

٨ - جامع بيان العلم ٢: ٨٦ [ص ٣٠٨، ح ١٥٤٨].

من قوله: «ما الحدّ إلّا على من علمه».

وإن كان يعلم ذلك فإنّ له في شرابه أسوة بالخليفة، والفرق بينها بأنّه أسكره ولم يكن يسكر الخليفة لاعتياده به تافهاً.

فكان المدار عند الخليفة في حلّية الأشربة والحدّ عليها على الإسكار وعدمه بالإضافة إلى شخص كلّ شارب؛ وينبئ عنه قوله: «الخمر ما خامر العقل»^(١). والحدّ والحرمة مطلقان لكلّ مسكر، وإن قورنت صفة الإسكار بمانع من خصوصيات الأمزجة أو لقلّة في الشرب، فالصفة صلتها بالمشروب فحسب لا الشارب.

ويدلّ على ذلك أحاديث جمّة صحيحة تدلّ على أنّ القليل الذي لا يسكر ممّا يسكر كثيره حرام؛ مثل قوله ﷺ: «أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره»^(٢).

وقوله ﷺ من طريق جابر، وابن عمر، وابن عمرو: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»^(٣).

- ٣١ -

الخليفة أوّل من أعال الفرائض

عن ابن عباس قال: «أوّل من أعال الفرائض عمر بن الخطّاب لما التوت عليه الفرائض ودافع بعضها بعضاً قال: والله ما أدري أيّكم قدّم لله ولا أيّكم أخر، وكان امراً ورعاً، فقال: ما أجد شيئاً هو أوسع لي من أن أقسم المال عليكم بالحصص وأدخل على كلّ ذي حقّ ما أدخل عليه من عول الفريضة».

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: دخلتُ أنا وزفر بن أوس بن

١- أخرجه الخمسة من أئمة الصحاح الستة؛ كما في تيسير الوصول ٢: ١٧٤ [٢/٢١٣، ح ٢].

٢- السنن الكبرى ٨: ٣٠١ [٣/٢١٦، ح ٥١١٨].

٣- سنن أبي داود ٢: ١٢٩ [٣/٣٢٧، ح ٣٦٨١]؛ سنن الترمذي ١: ٣٤٢ [٤/٢٥٨، ح ١٨٦٥].

الحدثان على ابن عباس بعد ما ذهب بصره فتذاكرنا فرائض الميراث. فقال: ترون الذي أحصى رمل عاج عدداً لم يحص في مالٍ نصفاً ونصفاً وثلاثاً إذا ذهب نصف ونصف فأين موضع الثلث؟! فقال له زفر: يابن عباس من أول من أعال الفرائض؟ قال: عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. قال: ولم؟ قال: لما تدافعت عليه وركب بعضها بعضاً، قال: والله ما أدري كيف أصنع بكم؟ والله ما أدري أيكم قدّم الله ولا أيكم آخر؟ قال: وما أجد في هذا المال شيئاً أحسن من أن أقسمه عليكم بالحصص.

ثم قال ابن عباس: وايم الله لو قدّم من قدّم الله، وأخر من أخر الله ما عالت فريضة.

فقال له زفر: وأيهم قدّم وأيهم آخر؟

فقال: كلّ فريضة لا تزول إلا إلى فريضة فتلك التي قدّم الله، وتلك فريضة الزوج له النصف، فإن زال فإلى الربع لا ينقص منه. والمرأة لها الربع، فإن زالت عنه صارت إلى الثمن لا تنقص منه. والأخوات لهنّ الثلثان والواحدة لها النصف، فإن دخل عليهنّ البنات كان لهنّ ما بقي فهؤلاء الذين أخر الله؛ فلو أعطى من قدّم الله فريضته كاملة ثمّ قسّم ما يبقى بين من أخر الله بالحصص ما عالت فريضة.

فقال له زفر: فما منعك أن تشير بهذا الرأي على عمر؟ فقال: هبته والله ^(١).

وفي أوائل السيوطي وتاريخه ^(٢)، ومحاضرة السكتواري:

إنّ عمر أول من قال بالعول في الفرائض.

قال الأميني: ما عساني أن أقول بعد قول الخليفة: والله ما أدري كيف أصنع بكم؟!

١- أحكام القرآن للجصاص ٢: ١٠٩ [٩٠/٢]؛ مستدرک الحاكم ٤: ٣٤٠ [٣٧٨/٤، ح ٧٩٨٥] وصححه؛

والسنن الكبرى ٦: ٢٥٣؛ كنز العمال ٦: ٧ [٢٧/١١، ح ٣٠٤٨٩].

٢- تاريخ الخلفاء: ٩٣ [ص ١٢٨]؛ محاضرة السكتواري: ١٥٢.

والله ما أدري أيكم قدّم الله ولا أيكم آخر؟! أو بعد قول ابن عباس: وإيم الله لو قدّم من قدّم الله وآخر من آخر الله ما عالت فريضة.

كيف لك يترشح الرجل عن القضاء في الفرائض والحال هذه ويحكم بالرأي؟! وهو القائل في خطبة له: «ألا إنّ أصحاب الرأي أعداء السنن أعييتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم فضلّوا وأضلّوا، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نستبدع، مانضّل ما تمسّكنا بالأثر^(١)».

أهكذا الاقتداء والاتباع، أم هذه هي الابتداء والابتداع؟! وكيف يسوغ لمثل الخليفة أن يجهل الفرائض وهو القائل: «ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ ضرّاً من جهل إمام وخرقه»^(٢)؟! وكيف يشغل منصّة القضاء قبل أن يتفقه في دين الله وهو القائل: «تفقّوها قبل أن تسودوا»^(٣)؟!

- ٣٢ -

رأي الخليفة في بيت المقدس

عن سعيد بن المسيّب، قال: استأذن رجلٌ عمر بن الخطّاب في إتيان بيت المقدس. فقال له: اذهب فتجهّز فإذا تجهّزت فأعلمني. فلمّا تجهّز جاءه فقال له عمر: اجعلها عمرة.

قال: ومّرّ به رجلان وهو يعرض إبل الصدقة فقال لهما: من أين جئتما؟ قالوا: من بيت المقدس؛ فعلاهما بالدرّة وقال: أحجّ كحجّ البيت؟! قالوا: إنا كنّا مجتازين^(٤).

١ - سيرة عمر لابن الجوزي: ١٠٧ [ص ١١٦].

٢ - سيرة عمر لابن الجوزي: ١٠٠ و ١٠٢ و ١٦١ [ص ١٠٨ و ١١١ و ١٦٦].

٣ - صحيح البخاري، باب الاغتباط في العلم: ١: ٢٨ [٣٩/١، باب ١٥].

٤ - أخرجه الأزرقي [في أخبار مكّة ٦٣/٢] كما في كنز العمّال ٧: ١٥٧ [١٤/١٤٦، ح ٣٨١٩٤].

قال الأمين: إن بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي تشدّ إليها الرحال وتُقصد بالزيارة والصلاة فيها، لكنّ الخليفة عزبت عنه تلك المأثورات النبويّة فلم يسمعها منه ﷺ أولم يعبها أو نسيها؛ فنع الرجل المتأهّب لزيارته عنها، وعلا بالدرّة من حسب أنّه زاره فترّسا عنها بإبداء أنّها مرّاه مجتازين.

وإليك نصوص أحاديث الباب فاقرأها واعجب:

١ - عن أبي هريرة، عنه ﷺ: «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(١).

٢ - عن عبدالله بن عمرو بن العاص، مرفوعاً: «إنّ سليمان بن داود ﷺ لما بنى بيت المقدس سأل الله عزّ وجلّ خلافاً ثلاثة: سأل الله عزّ وجلّ حكماً يصادف حكمه، فأوتيّه. وسأل الله عزّ وجلّ ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأوتيّه. وسأل الله عزّ وجلّ حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحدٌ لا ينهزه إلّا الصلاة فيه أن يخرج منه خطيئته كيوم ولدته أمّه»^(٢).

هذه جملة ممّا ورد في بيت المقدس وقصده للصلاة. وقد أسرى المولى سبحانه بعبد المصطفى ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكانت الصحابة تقصدها للصلاة في مسجدها كما في مجمع الزوائد^(٣).

وأفرد الحافظ ابن عساكر كتاباً فيه وأسماء: «المستقصى في فضائل المسجد الأقصى».

وإذا غضضنا الطرف عن هذه الأحاديث فإنّ شدّ الرحال إلى أيّ من المساجد

١ - مسند أحمد ٢: ٢٣٨ و ٢٧٨ [٢/٤٧٣، ح ٧٢٠٨؛ وص ٥٤٢، ح ٧٦٧٨]؛ صحيح البخاري [١/٣٩٨، ح

١١٣٢]؛ صحيح مسلم [٣/١٨٣، ح ٥١١ و ٥١٣، كتاب الحج].

٢ - سنن ابن ماجه ١: ٤٣٠ [١/٤٥٢، ح ١٤٠٨]؛ السنن الكبرى ٢: ٣٤ [١/٢٥٦، ح ٧٧٢].

٣ - مجمع الزوائد ٤: ٤.

يكون من المباحات الأولية التي لم يرد عنها نهى؛ فما معنى الإرهاب بالدرّة في مثلها؟! نعم، كأنّ الخليفة كان يرى إتيان تلكم المساجد إحياءً لآثار الأنبياء وله فيها رأيّه الشاذّ كما أسلفناه^(١).

- ٣٣ -

رأي الخليفة في المجوس

أخرج يحيى بن سعيد، بإسناده عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: «ما أدري ما أصنع بالمجوس وليسوا أهل الكتاب»؟ وفي لفظ: «ما أدري كيف أصنع في أمرهم»؟ فقال عبدالرحمن بن عوف: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب». وعن بجاله قال: لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتّى شهد عبدالرحمن بن عوف أنّ رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر^(٢).

قال الأُميضي: أو لا تعجب ممّن يتصدّى للخلافة الكبرى ولا يعرف أمسّ لوازمها بها؟! فإنّ حكم المجوس من أوّلّيات ما يلزم معرفته لتولّي السلطة الإسلاميّة من الناحية الماليّة والسياسيّة والدينيّة.

أو لا تعجب من تعطيل حكم هامّ كهذا سنين متطاولة إلى شهادة عبدالرحمن بن عوف وإجراء الحكم بعدها؟! وكان ذلك قبل موت الخليفة بسنة^(٣)، ومن الممكن أن يبتلى له وبمثلله وعبدالرحمن أو مثله في منتأى عنه؛ فماذا يعمل إذن؟!

ولو لم تلد عبدالرحمن أمّه فإلى ما كان يؤول أمره؟! ومن ذا الذي كان يفيض علمه عليه؟! وكيف يتولّى الأمر من يجد في الرعيّة من هو أعلم منه؟! وأين هو ومن ولاه

١ - في ص ١٥٤ من كتابنا هذا.

٢ - الأموال [ص ٤٠، ح ٧٧]؛ موطأ مالك ١: ٢٧٠ [٢٧٨/١، ح ٤٢]؛ صحيح البخاري [١١٥١/٣، ح ٢٩٨٧]؛

مسند أحمد ١: ١٩٠ [٣١٢/١، ح ١٦٦٠].

٣ - راجع مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي: ٣٤٤ [٤١٣/٢، ح ٤٠٣٥].

الأمر من قول النبي الأعظم ﷺ: «من تولى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسوله فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين»^(١)! ﴿فَعَالٍ مَثْوً لَّآءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَقْتَهُونَ حَدِيثَهُ﴾^(٢)؟

- ٣٤ -

رأي الخليفة في صوم رجب

عن خرشة بن الحر، قال: «رأيت عمر بن الخطاب يضرب أكف الرجال في صوم رجب حتى يضعونها في الطعام ويقول: رجب وما رجب، إنما رجب شهر كان يعظمه أهل الجاهلية فلما جاء الإسلام ترك»^(٣).

قال الأميني: لقد عزب عن الخليفة ما جاء عن رسول الله ﷺ في خصوص صوم رجب والترغيب فيه وذكر المثوبات الجزيلة له من ناحية^(٤).

وما جاء عنه ﷺ في صوم ثلاثة أيام من الأشهر كلها وهو يعم رجباً وغيره من ناحية أخرى^(٥).

وما جاء عنه ﷺ في صوم خصوص الأشهر الحرم ومنها شهر رجب من ناحية ثالثة^(٦).

وما جاء عنه ﷺ في الترغيب في صوم يوم وإفطار يوم من تمام السنة وفيها شهر

١- مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ٥: ٢١١. ٢- النساء: ٧٨.

٣- أخرجه ابن أبي شيبة [في المصنف ١٠٢/٣] والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ٣: ١٩١. وكنز العمال ٤: ٢٤١ [٦٣٥/٨، ح ٢٤٥٨٠].

٤- أنظر مجمع الزوائد ٣: ١٩١، كنز العمال ٤: ٢٤١ [٦٥٣/٨، ح ٢٤٥٨٢].

٥- أنظر صحيح البخاري ٣: ٢١٩ [٦٩٨/٢، ح ١٨٧٧]، سنن الترمذي ١: ١٤٦ [١٣٥/٢، ح ٧٦٢].

٦- سنن أبي داود ١: ٢٨١ [٣٢٢/٢، ح ٢٤٢٨]، سنن ابن ماجه ١: ٥٣٠ [٥٥٤/١، ح ١٧٤١].

رجب من ناحية رابعة^(١).

وما جاء في التطوع بمطلق الصوم والترغيب فيه من أي شهر كان، وهذه خامسة النواحي التي فاتت المانع عن صوم رجب^(٢).

وقد ذهب فقهاء المذاهب الأربعة إلى استحباب صوم رجب وعدوها من الصوم المندوب؛ غير أن الحنابلة قالوا بكراهة إفراد رجب بالصوم إلا إذا أفطر في أثناءه فلا يكره^(٣)؛ ولعله أخذاً بما في إحياء العلوم^(٤) من قوله:

وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان.

ولا أحسبك بعد ذلك كله تقيم وزناً لما انفرد به ابن ماجة عن ابن عباس من أن

النبي ﷺ نهى عن صيام رجب.

إن كانت الرواية صحيحة فإنها معارضة بما عرفت من المتواتر معنى أو بالتواتر الإجمالي من استحباب صوم رجب المرغب فيه بصدور قطعي كما أفتى به علماء المذاهب الأربعة؛ فيكف بها وهي ضعيفة بمكان داود ابن عطاء. قال البخاري^(٥) وأبو زرعة: «منكر الحديث».

على أنه من متفردات ابن ماجة ولا يؤبه بها عند نقاد الفن؛ قال أبو المحجّاج المزني: «كل ما انفرد به ابن ماجة فهو ضعيف»؛ يعني بذلك ما انفرد به من الحديث عن الأئمة الخمسة: أصحاب الصحاح^(٦).

١ - صحيح البخاري ٣: ٢١٧ [١/ ٣٨٠، ح ١٠٩٧]؛ صحيح مسلم ١: ٣١٩ - ٣٢١ [٢/ ٥١٤ - ٥٢٠، ح ١٨١ - ١٨٢، وح ١٨٦ - ١٩٣، كتاب الصيام].

٢ - السنن الكبرى للنسائي ٤: ١٦٥ [٢/ ٩٢، ح ٢٥٣٠ - ٢٥٣٣].

٣ - الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٤٣٩ [١/ ٥٥٧].

٤ - إحياء علوم الدين ١: ٢٤٤ [١/ ٢١٣].

٥ - [التاريخ الكبير ٣/ ٢٤٣، رقم ٨٣٦].

٦ - تهذيب التهذيب ٩: ٥٣١ [٩/ ٤٦٩].

فبعد هذه كلّها لا أدري ما محلّ ضرب الأيدي حتّى يضعونها في الطعام؟! وما معنى قول القائل: «رجب وما رجب إنّما شهر كان يعظمه أهل الجاهليّة فلما جاء الإسلام ترك»؟!

- ٣٥ -

اجتهاد الخليفة في السؤال عن مشكلات القرآن

١ - وعن أنس: «إنّ عمر بن الخطّاب جلد صبيغاً الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتّى اضطربت الدماء في ظهره».

وعن الزهري: «إنّ عمر جلد صبيغاً لكثرة مساءلته عن حروف القرآن حتّى اضطربت الدماء في ظهره»^(١).

قال الغزالي في الإحياء^(٢): «وعمر هو الذي سدّ باب الكلام والمجدل وضرب صبيغاً بالدرّة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره».

٢ - عن عبد الرحمن بن يزيد: أنّ رجلاً سأل عمر عن «وَقَاكِهَةٌ وَأَبَاءُ» فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرّة^(٣).

قال الأميني: أحسب أنّ في مقول العراجين، ولسان المخرصة، ومنطق الدرّة الجواب الفاصل عن كلّ ما لا يعلمه الإنسان؛ وإليه يوعز قول الخليفة: نهينا عن التكلّف، في الجواب عن أبسط سؤال يعلمه كلّ عربيّ صميم؛ ألا وهو معنى الأبّ المفسّر في نفس الكتاب المبين بقوله تعالى: «مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِإِنْعَامِكُمْ»^(٤).

١ - سنن الدارمي ١: ٥٤ و ٥٥؛ تاريخ ابن عساكر ٦: ٣٨٤ [٤١١/٢٣]، رقم ٢٨٤٦؛ وفي مختصر تاريخ دمشق

[٤٦/١١]، سيرة عمر لابن الجوزي: ١٠٩ [ص ١١٧]، الدرّ المشثور ٦: ١١١ [٦١٤/٧].

٢ - إحياء علوم الدين ١: ٣٠ [٢٨/١].

٣ - فتح الباري ١٣: ٢٣٠ [٢٧١/١٣]، الدرّ المشثور ٦: ٢١٧ [٤٢٢/٨].

٤ - عبس: ٣٢.

وأنا لا أعلم أنّ السائلين بماذا استحقّوا الإدماء والإيجاع بمحض السؤال عمّا لا يعلمونه من مشكل القرآن أو ما غاب عنهم من لغته؟! وليس في ذلك شيء ممّا يوجب الإلحاد. لكنّ القصص جرت على ما ترى.

ثمّ ما ذنب المجيبين بعلم عن السؤال عن الأب؟! ولماذا أقبل عليهم الخليفة بالدرة؟! وهل تبقى قائمة لأصول التعليم والتعلّم والحالة هذه؟!

ولعلّ الأئمة قد حرمت بركة تلك الدرة عن التقدّم والرقى في العلم بعد أن آل أمرها إلى أن هاب مثل ابن عباس أن يسأل الخليفة عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾^(١) وقال: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطّاب عن حديث ما منعني منه إلّا هيئته^(٢). وقال: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه عن آية فلا أستطيع أن أسأله هيبة^(٣).

- ٣٦ -

رأي الخليفة في السؤال عمّا لم يقع

أضف إلى اجتهاد الخليفة في مشكلات القرآن رأيه الخاص به في السؤال عمّا لم يقع فإنّه كان ينهى عنه. قال طاووس: قال عمر على المنبر: أحرّج بالله على رجل سأل عمّا لم يكن؛ فإنّ الله قد بيّن ما هو كائن^(٤).

وقال: لا يحلّ لأحد أن يسأل عمّا لم يكن؛ إنّ الله تبارك وتعالى قد قضى فيما هو كائن. وقال: أحرّج عليكم أن لا تسألوا عمّا لم يكن فإنّ لنا فيما كان شغلاً.

وجاء رجل يوماً إلى ابن عمر فسأله عن شيء لا أدري ما هو، فقال له ابن عمر:

١ - مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ٥: ٨. ٢ - كتاب العلم لأبي عمر: ٥٦ [ص ١٢٥، ح ٦٦٤].

٣ - سيرة عمر بن الخطّاب لابن الجوزي: ١١٨ [ص ١٢٦].

٤ - سنن الدارمي ١: ٥٠؛ جامع بيان العلم ٢: ١٤١ [ص ٣٧٢، ح ١٨٠٧].

لا تسأل عما لم يكن فإني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن^(١).

- ٣٧ -

نهى الخليفة عن الحديث

وأردف الحادّثين في مشكل القرآن والسؤال عما لم يقع، بثالث أقطع؛ وهو نهى الخليفة عن الحديث عن رسول الله ﷺ أو عن إكثاره، وضربه وحبسه وجوه الصحابة بذلك.

في لفظ الطبري^(٢)؛ كان عمر يقول: «جردوا القرآن ولا تفسّروه، وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم^(٣)».

وأخرج الطبراني عن إبراهيم بن عبد الرحمن: «إنّ عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري؛ فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ، حبسهم بالمدينة حتّى استشهد^(٤)».

وأخرج الذهبي في التذكرة^(٥) عن أبي سلمة، قال: «قلت لأبي هريرة: أكنت تحدّث في زمان عمر هكذا؟ فقال: لو كنتُ أحدّث في زمان عمر مثل ما أحدّثكم لضربني بمخفّفته».

وقال أبو هريرة: «ما كنّا نستطيع أن نقول: قال رسول الله ﷺ حتّى قبض عمر^(٦)».

١- سنن الدارمي ١: ٥٠؛ كتاب العلم لأبي عمر ٢: ١٤٣ [ص ٣٦٩، ح ١٧٩٤]؛ وفي مختصره: ١٩٠ [ص ٣٢٦،

ح ٢٣٢]؛ فتح الباري ١٣: ٢٢٥ [٢٢٦/١٣]؛ كنز العمال ٢: ١٧٤ [٨٣٩/٣، ح ٨٩٠٦].

٢- تاريخ الأمم والملوك [٢٠٤/٤، حوادث سنة ٢٣ هـ].

٣- شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٢٠ [٩٣/١٢، الخطبة ٢٢٣].

٤- تذكرة الحفاظ ١: ٧ [رقم ٢]؛ مجمع الزوائد ١: ١٤٩، وصحّحه محمّد بن أبي الخطاب؛ فقال: «هذا صحيح عن عمر من

وجوه كثيرة، وكان عمر شديداً في الحديث». ٥- تذكرة الحفاظ ١: ٧.

٦- البداية والنهاية ٨: ١٠٧ [١١٥/٨، حوادث سنة ٥٩ هـ].

قال الأميني: هل خفي على الخليفة أن ظاهر الكتاب لا يغني الأمة عن السنة، وهي لا تفارقه حتى يردا على النبي الحوض، وحاجة الأمة إلى السنة لا تقصر عن حاجتها إلى ظاهر الكتاب؟! والكتاب كما قال الأوزاعي ومكحول: أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب^(١).

وبعد نهى الأمة المسلمة عن علم القرآن، وإيعادها عمّا في كتابها من المعاني الفخمة والدروس العالية من ناحية العلم والأدب والدين والاجتماع والسياسة والأخلاق والتاريخ، وسدّ باب التعلّم والأخذ بالأحكام والطقوس ما لم يتحقّق ويقع موضوعها، والتجافي عن التهيؤ للعمل بدين الله قبل وقوع الواقعة، ومنعها عن معالم السنة الشريفة والحجز عن نشرها في الملأ، فبأيّ علم ناجع، وبأيّ حكم وحكم ترفع وتتقدّم الأمة المسكينة على الأمم؟! وبأيّ كتاب وبأيّة سنة نتأقّى لها سيادة العالم التي أسسها لها صاحب الرسالة الحاتمة؟! فسيرة الخليفة هذه ضربة قاضية على الإسلام وعلى أمته وتعاليمها وشرفها وتقدّمها وتعاليمها علم بها هو أو لم يعلم.

ومن ولائد تلك السيرة الممقوتة حديث كتابة السنن؛ ألا وهو:

- ٣٨ -

المنع عن كتابة السنن

عن عروة: أن عمر بن الخطّاب أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً^(٢).

١ - جامع بيان العلم ٢: ١٩١ [ص ٤٢٩، ح ٢٠٧١ و ٢٠٧٣].

٢ - طبقات ابن سعد ٣: ٢٠٦ [٢٨٧/٣]، مختصر جامع بيان العلم ٣٣: [ص ٦٢، ح ٥٨].

وقد اقتفى أثر الخليفة جمع وذهبوا إلى المنع عن كتابة السنن خلافاً للسنّة الثابتة عن الصادع الكريم^(١).

- ٣٩ -

قضاء الخليفة في امرأة ولدت لستة أشهر

أخرج الحفاظ عن بعجة بن عبدالله الجهني قال: «تزوَّج رجل منّا امرأة من جهينة فولدت له تماماً لستّة أشهر؛ فانطلق زوجها إلى عثمان، فأمر بها أن ترجم. فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام فأتاه فقال: «ما تصنع؟ ليس ذلك عليها؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٢). وقال: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ»^(٣)؛ فالرضاعة أربعة وعشرون شهراً، والحمل ستّة أشهر». فقال عثمان: والله ما فطنتُ لهذا؛ فأمر بها عثمان أن تردّ فوجدت قد رُجمت. وكان من قولها لأختها: يا أختي! لا تحزني فوالله ما كشف فرجي أحداً قطّ غيره. قال: فشبّ الغلام بعد فاعترف الرجل به وكان أشبه الناس به. وقال: فرأيتُ الرجل بعد يتساقط عضواً عضواً على فراشه». أخرجه^(٤): مالك، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، وأبو عمر، وابن كثير، وابن الديبع، والعيني، والسيوطي.

قال الأميني: إن تعجب فعجب أن إمام المسلمين لا يفتن لما في كتاب الله العزيز مما تكثر حاجته إليه في شتّى الأحوال، ثم يكون من جرّاء هذا الجهل أن تودي بريئة

١ - راجع سنن الدارمي ١: ١٢٥؛ مستدرک الحاكم ١: ١٠٤ - ١٠٦ [١/١٨٦ - ١٨٧، ح ٣٥٧ - ٣٥٩]؛ مختصر

جامع العلم: ٣٦ و ٣٧ [ص ٦٨ - ٧٢، ح ٦١ - ٦٣].

٢ - البقرة: ٢٢٣.

٣ - الأحقاف: ١٥.

٤ - موطأ مالك ٢: ١٧٦ [٢/٨٢٥، ح ١١]؛ السنن الكبرى للبيهقي [٧/٤٤٢]؛ تفسير ابن كثير [٤/١٥٨]؛ تيسير

الوصول [٢/١١١]؛ عمدة القاري [٢١/١٨]؛ الدر المنثور ٦: ٤٠ [٧/٤٤١].

مؤمنة، وتتهم بالفاحشة، ويهتك ناموسها بين الملأ الديني وعلى رؤوس الأشهاد! وهلاً كان حين عزب عنه فقه المسألة قد استشار أحداً من الصحابة يعلم ما جهله فلا يبوء بإثم القتل والفضيحة؟! وهلاً تذكر لدة هذه القضية وقد وقعت غير مرة على عهد عمر؟! حين أراد أن يرحم نساء ولدن ستة أشهر فحال دونها أمير المؤمنين^(١) وابن عباس^(٢)؟!

ثمَّ هَبْ أَنَّهُ ذَهَلْ عَنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ، وَنَسِيَ مَا سَبَقَ فِي الْعَهْدِ الْعُمَرِيِّ، فَمَاذَا كَانَ مَدْرَكَ حُكْمِهِ بِرَجْمِ تِلْكَ الْمُسْكِينَةِ؟ أَهَوِ الْكِتَابُ؟ فَأَنْتَ هُوَ؟ أَوِ السُّنَّةُ؟ فَمَنْ ذَا الَّذِي رَوَاهَا؟ أَوِ الرَّأْيُ وَالْقِيَاسُ؟ فَأَيْنَ مَدْرَكَ الرَّأْيِ؟ وَمَا تَرْتِيبُ الْقِيَاسِ؟

وإن كانت فتوى مجرّدة فحياً الله المفتي، وزه بالفتيا، ومرحباً بالخلافة والخليفة. نعم، لا يُرَبِّي بَيْتَ أُمِّيَّةٍ أَرْبَى مِنْ هَذَا الْبَشَرِ، وَلَا يَجْتَنِي مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ أَشْهَى مِنْ هَذَا الثَّمَرِ.

- ٤٠ -

إتمام عثمان الصلاة في السفر

أخرج الشيخان وغيرهما بالإسناد عن عبد الله بن عمر قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ بمبنى ركعتين وأبو بكر بعده وعمر بعد أبي بكر وعثمان صدراً من خلافته رضي الله عنهم، ثمَّ إِنَّ عَثْمَانَ صَلَّى بَعْدَ أَرْبَعًا؛ فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ»^(٣).

وأخرج أبو داود وغيره عن الزهري: «أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رضي الله عنه أَتَمَّ الصَّلَاةَ بِمَنْى مِنْ

١- أنظر المصنّف للمحافظ عبد الرزّاق [٣٥٠/٧، ح ١٣٤٤٤].

٢- أنظر الدرّ المشثور ٦: ٤٠ [٤٤٢/٧].

٣- صحيح البخاري ٢: ١٥٤ [٥٩٦/٢، ح ١٥٧٢]؛ صحيح مسلم ٢: ٢٦٠ [١٤٢/٢، ح ١٧، كتاب صلاة المسافرين]؛ مستد أحمد ٢: ١٤٨ [٣١٩/٢، ح ٦٣١٦]؛ سنن البيهقي ٣: ١٢٦.

أجل الأعراب؛ لأنهم كثروا عامئذٍ فصلّى بالناس أربعاً ليعلمهم أنّ الصلاة أربعاً»^(١).
وروى ابن حزم في المحلى^(٢) من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه
قال: «اعتلّ عثمان وهو بمنى؛ فأتى عليّ ف قيل له: صلّ بالناس. فقال: إن شئتُ صلّيتُ
بكم صلاة رسول الله ﷺ - يعني ركعتين - قالوا: لا، إلّا صلاة أمير المؤمنين - يعنون
عثمان - أربعاً؛ فأبى».

وعن عبد الملك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن عمّه قال: «صلّى عثمان بالناس
بمنى أربعاً. فأتى آتٍ عبد الرحمن بن عوف فقال: هل لك في أخيك؟ قد صلّى بالناس
أربعاً. فصلّى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين؛ ثمّ خرج حتّى دخل على عثمان فقال له: ألم
تُصلّ في هذا المكان مع رسول الله ﷺ ركعتين؟ قال: بلى. قال: ألم تُصلّ مع أبي بكر
ركعتين؟ قال: بلى. قال: أفلم تُصلّ مع عمر ركعتين؟ قال: بلى. قال: ألم تُصلّ صدراً من
خلافتك ركعتين؟ قال: بلى. قال: فاسمع مني يا أبا محمّد! إنّي أخبرت أنّ بعض من حجّ
من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان هذا
إمامكم عثمان يصلّي ركعتين. وقد اتّخذتُ بكّة أهلاً فرأيتُ أن أصلي أربعاً لخوف
ما أخاف على الناس، وأخرى قد اتّخذتُ بها زوجة، ولي بالطائف مالٌ، فربّما اطلعتُ
فأقمتُ فيه بعد الصدر.

فقال عبد الرحمن بن عوف: ما من هذا شيء لك فيه عذر؛ أمّا قولك: «اتّخذت
أهلاً»، فزوجتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت، وتقدم بها إذا شئت، إنّما تسكن بسكنائك.
وأمّا قولك: «ولي مالٌ بالطائف»، فإنّ بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت
لست من أهل الطائف.

١ - سنن أبي داود ١: ٣٠٨ [٢/١٩٩، ح ١٩٦٤]؛ سنن البيهقي ٣: ١٤٤.

٢ - المحلى ٤: ٢٧٠، وذكره ابن التركماني في ذيل سنن البيهقي ٣: ١٤٤.

وأما قولك: «يرجع من حجّ من أهل اليمن وغيرهم فيقولون: هذا إمامكم عثمان يصليّ ركعتين وهو مقيم»، فقد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذٍ الإسلام فيهم قليل، ثمّ أبو بكر مثل ذلك، ثمّ عمر، فضرب الإسلام بجراحه فصلّى بهم عمر حتى مات ركعتين. فقال عثمان: هذا رأي رأيته...»^(١).

نظرة في رأي الخليفة:

قال الأميني: أنت ترى أنّ ما ارتكبه الرجل مجرد رأي غير مدعوم ببرهنة ولا معتضد بكتاب أو سنة، ولم يكن عنده غير ما تترسّ به من حججه الثلاث الّتي دحضها عبدالرحمن بن عوف بأوفي وجه حين أدلى بها، بعد أن أربكه النقد، وكان ذلك منه تشبّهًا كتشبّث الغريق. ومن أمعن النظر فيها لا يشكّ أنّها ممّا لا يفوه به ذو مرّة في الفقاهاة فضلاً عن إمام المسلمين.

ولو كان مجرد أنّ زوجته مكّية من قواطع السفر فأيّ مهاجر من الصحابة ليس كمثله؟! فكان إذن من واجبه الإتمام، لكنّ الشريعة فرضت التقصير على المسافر مطلقاً، والزوجة في قبضة الرجل تتبعه في طعنه وإقامته؛ فلا تخرج زوجها عن حكم المسافر لمحض أنّه بمقربة من بيئتها الأصليّة الّتي هاجر عنها وهاجرت.

قال ابن حجر في فتح الباري^(٢):

أخرج أحمد والبيهقي من حديث عثمان أنّه لما صلّى بمنى أربع ركعات أنكر الناس عليه فقال: إني تأهّلت بمكة لما قدمت وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تأهل ببلدة فإنّه يصليّ صلاة مقيم. قال: هذا الحديث

١ - تاريخ الأمم والملوك ٥: ٥٦ [٢٦٨/٤، حوادث سنة ٢٩ هـ]؛ الكامل في التاريخ ٣: ٤٢ [٢٤٤/٢، حوادث سنة

٢٩ هـ]؛ البداية والنهاية ٧: ١٥٤ [١٧٣/٧، حوادث سنة ٢٩ هـ]؛ تاريخ ابن خلدون ٢: ٣٨٦ [٥٨٨/٢].

٢ - فتح الباري ٢: ٤٥٦ [٢٧٠/٢].

لا يصحّ منقطع ، وفي رواه من لا يُحتجّ به ، وبرّدّه أنّ النبي ﷺ كان يسافر بزوجاته وقصّر .

وقال ابن القيم^(١) في عدّ أعذار الخليفة :

إنّه كان قد تأهل بمنى ، والمسافر إذا أقام في موضع وتزوَّج فيه ، أو كان له به زوجة أتمّ . ويروى في ذلك حديث مرفوع عن النبي ﷺ ؛ فروى عكرمة بن إبراهيم الأزدي عن أبي ذئاب عن أبيه قال : صلّى عثمان بأهل منى أربعاً وقال : يا أيّها الناس لمّا قدمتُ تأهّلتُ بها ، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إذا تأهل الرجل ببلدة فإنّه يصلّي بها صلاة مقيم . رواه الإمام أحمد^(٢) في مسنده^(٣) ، وعبدالله بن زبير الحميدي في مسنده^(٤) أيضاً ، وقد أعله البيهقي بانقطاعه ، وتضعيفه عكرمة بن إبراهيم .

قال أبو البركات بن تيمية : ويمكن المطالبة بسبب الضعف ؛ فإنّ البخاري ذكره في تاريخه^(٥) ولم يطعن فيه ، وعادته ذكر الجرح والمجروحين . وقد نصّ أحمد وابن عباس قبله : إنّ المسافر إذا تزوّج لزمه الإتمام ، وهذا قول أبي حنيفة^(٦) ، ومالك وأصحابهما ؛ وهذا أحسن ما اعتذر به عن عثمان .

قال الأميني: لو كان عثمان لهج بهذه المزعمة في وقته على رؤوس الأشهاد، وكان من المسلم في الإسلام أنّ التزويج من قواطع السفر - وليس كذلك - لما بقيت كلمة مطوية تحت أستار الخفاء حتّى يكتشفها هذا الأثري المتمحلّ، أو يختلقها له رماة القول على عواهنه .

ثمّ لأيّ شيء كانت والحالة هذه ، نقود الصحابة الموجهة إلى الرجل؟! أو لم يسمعه

٢- مسند أحمد ١: ٦٢ [١/١٠٠، ح ٤٤٥].

١- زاد المعاد [١/١٢٩-١٣٠].

٤- التاريخ الكبير [٧/٥٠، رقم ٢٢٧].

٣- مسند الحميدي [١/٢١، ح ٣٦].

لما رفع عقيرته بعذره الموجّه؟ أو سمعوه ولم يقيموا له وزناً؟ أو أنّ الخطاب من ولائد أمّ
الفرية بعد منصرف أيّامه؟

على أنّ النكاح لا يتمّ عند القوم إلّا بشاهدين عدلين، وورد عن ابن عبّاس:
«لأنكاح إلّا بأربعة: وليّ، وشاهدين، وخاطب»^(١)؛ فأين كان أركان نكاح الخليفة
يوم توجيه النقود إليه حتّى يدافعوا عنه تلك الجلبة واللغط؟!

ومتى تأهل الرجل بهذه المرأة الموهومة قاطعة السفر له؟! وما المسوّغ له ذلك وقد
دخل مكّة محرماً؟! وكيف يشيع المنكر ويقول: تأهلّت بمكّة مذ قدمت؟! ولم يكن متمتعاً
بالعمرة - لأنّه لم يكن يبيح ذلك أخذاً برأي من حرّمها كما يأتي تفصيله - حتّى يقال: إنّ
تأهلّ بين الإحرامين بعد قضاء نسك العمرة، فهو لم يزل كان محرماً من مسجد الشجرة
حتّى أحلّ بعد تمام النسك بمنى، فيجب أن يكون إتمامه الصلاة إن صحّ الإتمام بالتأهلّ.
وأنى؟ من حيث أحلّ وتأهلّ، وقد صلاها تامّة بمنى أيّام منى وبعرفات أيضاً محرماً مع
الحاجّ؛ فهذه مشكلة أخرى قطّ لا تنحلّ؛ لما صحّ من طريق عثمان نفسه عن رسول
الله ﷺ من قوله: «لا يَنْكِحُ المحْرَمُ ولا يُنْكَحُ ولا يَخْطُبُ»^(٢).

وليتني أدري بأيّ كتاب أم بأية سنّة قال أبو حنيفة ومالك ونصّ أحمد - كما زعمه
ابن القيم^(٣) - على أنّ المسافر إذا تزوّج ببلدة لزمه الإتمام بها؟! وسنّة رسول الله الثابتة

١ - سنن البيهقي [١٢٤/٧ - ١٢٧ و ١٤٢].

٢ - الموطأ لمالك ١: ٣٢١؛ وفي طبعته: ٢٥٤ [١/٣٤٨، ح ٧٠]؛ الأئمّ للشافعي ٥: ١٦٠ [٥/١٧٨]؛ مسند أحمد ١:

٥٧ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٨ و ٧٣ [١/٩٢، ح ٤٠٣؛ ص ١٠٤، ح ٤٦٤؛ ص ١٠٥، ح ٤٦٨؛ ص ١١٠، ح ٤٩٤؛

ص ١١٧، ح ٥٣٥]؛ صحيح مسلم ١: ٩٣٥ [٣/٢٠١، ح ٤١، كتاب النكاح]؛ سنن الدارمي ٢: ٣٨

[٢/١٤١]؛ سنن أبي داود ١: ٢٩٠ [٢/١٦٩، ح ١٨٤١]؛ سنن ابن ماجه ١: ٦٠٦ [١/٦٣٢، ح ١٩٦٦]؛ سنن

النسائي ٥: ١٩٢ [٢/٣٧٦، ح ٣٨٢٥]؛ سنن البيهقي ٥: ٦٥ و ٦٦.

٣ - زاد المعاد [١/١٣٠].

عنه ﷺ خلافه . وليس مستند القوم إلا رواية عكرمة بن إبراهيم التي أعلها البيهقي ، وقد مرّ عن ابن حجر أنها لا تصحّ . وقال يحيى ^(١) وأبو داود : «عكرمة ليس بشيء» . وقال النسائي ^(٢) : «ضعيف ليس بثقة» .

نعم راق أولئك الأئمة التحفظ على كرامة الخليفة ولو بالإفتاء بغير ما أنزل الله ، وكم له من نظير ! ونوقفك في الآتية على شطر مهمّ من الفتاوى الشاذّة عن الكتاب والسنة عند البحث عنها . والعجب كلّ العجب عدّ ابن القيم هذا العذر المفتعل أحسن ما اعتذر به عن عثمان ، وهو مكتنف بكلّ ما ذكرناه من النقود والعلل ؛ هذا شأن أحسن ما اعتذر به ، فما ظنك بغيره ؟!

وأما وجود مال له بالطائف: فالرجل مكّي قد هاجر عنها لا طائيّ ، وبينه وبين الطائف عدّة مراحل . هب أن له مالا بمكة أو بنفس منى وعرفة اللّتين أتمّ فيها الصلاة ، فإنّ مجرّد المال في مكان ليس يقطع السفر ما لم يجمع الرجل مكثاً ، وقد قصّر أصحاب النبي ﷺ معه عام الفتح ، وفي حجة أبي بكر ولعدد منهم بمكة دار أو أكثر وقربات . كما رواه الشافعي في كتاب الأم ^(٣) .

وأما الخيفة ممّن حجّ من أهل اليمن وجفاة الناس الذين لم يتمرّنوا بالأحكام أن يقولوا : إنّ الصلاة للمقيم ركعتان هذا إمام المسلمين يصلّيها كذلك : فقد كانت أولى بالرعاية على العهد النبويّ والناس حديثو عهد بالإسلام ، ولم تطرق جملة من الأحكام أسماعهم ، وكذلك على العهدين قبله ، لكنّ رسول الله ﷺ لم يرعها بعد بيان حكمي الحاضر والمسافر ، وكذلك من اقتصّ أثره من بعده ، ولقد صلى ﷺ بمكة ركعتين أيّام إقامته بها ثمّ قال : «أتمّوا الصلاة يا أهل مكة فإنّا سفر» ، أو قال : «يا أهل البلد صلّوا

٢- كتاب الضعفاء والمتروكين [ص ١٩٤ ، رقم ٥٠٦] .

١- التاريخ [١٧١/٤ ، رقم ٣٧٧٠] .

٣- كتاب الأم ١ : ١٦٥ [١٨٧/١] .

أربعاً؛ فإتأ سفر»^(١).

على أن الخليفة إن أراد أن ينقذ الهمج من الجهل بتشريع الصلاة أربعاً فقد ألقاهم في الجهل بحكم صلاة المسافر؛ فكان تعليمه العمليّ إغراءً بالجهل.

هذه حجج الخليفة التي أدلى بها يوم ضايقه عبدالرحمن بن عوف لكنها عادت عنده مدحورة، وقد أربكه عبدالرحمن بنقد ما جاء به فلم يبق عنده إلا أن يقول: «هذا رأي رأيته»، كما أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لما دخل عليه وخصمه بحججه فقال: «والله ما حدث أمر ولا قدم عهد...» وعجز الرجل عن جوابه فقال: «رأي رأيته».

هذا منقطع معاذير عثمان في تبرير أحدوثته فلم يبق له ارتحاضه إلا قوله: «رأي رأيته»، لكن للرجل من بعده أنصاراً اصطنعوا له أعذاراً أخرى هي أوهن من بيت العنكبوت، ولم يهتد إليها نفس الخليفة حتى يُغَبَّر بها في وجه منتقديه، ولكن كم ترك الأول للآخر؛ منها:

١ - إنه كان إماماً للناس والإمام حيث نزل فهو عمله ومحلّ ولايته، فكأنه وطنه. قال الأميني: إن ملاك حكم الشريعة هو المقرّر من قبل الدين لا الاعتبار المنحوتة، والإمام والسوقة شرعٌ سواء في شمول الأحكام، بل هو أولى بالاتباع لنواميس الدين حتى يكون قدوة للناس وتكون به أسوتهم. وكان رسول الله ﷺ إمام الخلائق على الإطلاق، ومع ذلك كان يقصّر صلاته في أسفاره، ولا يعزى إليه أنه ربّع بمكة أو في منى أو بعرفة أو غيرها، وإنما اتبع ما استنّه للأمة جمعاء.

وبهذا ردّه ابن القيم في زاد المعاد، وابن حجر في فتح الباري^(٢).

٢ - إن التقصير للمسافر رخصة لا عزيمة؛ ذكره جمع، وقال المحبّ الطبري في

١ - سنن البيهقي ٣: ١٢٦ و ١٥٧؛ سنن أبي داود ١: ١٩١ [٩/٢، ح ١٢٢٩]؛ أحكام القرآن للجصاص ٢: ٣١٠.

٢ - فتح الباري ٢: ٤٥٦ [٥٧٠/٢].

الرياض^(١) :

عذره في ذلك ظاهر ؛ فإنه ممن لم يوجب القصر في السفر .

وهذا مخالفٌ لنصوص الشريعة ، والمأثورات النبوية ، والسنة الشريفة الثابتة عن النبي الأقدس ، وكلمات الصحابة ؛ وإليك نماذج منها :

١ - عن عمر : « صلاة السفر ركعتان ... على لسان محمد » . وفي لفظ : « على لسان النبي ﷺ »^(٢) .

٢ - عن عبدالله بن عمر قال : « كان رسول الله ﷺ إذا خرج من هذه المدينة لم يزد على ركعتين حتى يرجع إليها »^(٣) .

٣ - عن أنس بن مالك قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة ، فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة »^(٤) .

٤ - عن عبدالله بن عمر قال : « إن رسول الله ﷺ أتانا ونحن في ضلال فعلمنا ؛ فكان فيما علمنا : أن الله عز وجل أمرنا أن نصلي ركعتين في السفر »^(٥) .

ولو كان هناك ترخيص لما خفي على أكابر الصحابة حتى نقدوا عثمان نقداً مراً وفندوا معاذيره وفيهم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبي ، ومستقى أحكام الدين من بعده ، يعرف رخصها من عزائمها قبل كل الصحابة ؛ فهل يعزب عنه حكم الصلاة وهو أول من صلى من ذكرٍ مع رسول الله ﷺ ؟!

١ - الرياض النضرة ٢ : ١٥١ [٨٩/٣] . وتبعه في ذلك شراح البخاري .

٢ - مسند أحمد ١ : ٣٧ [٦٢/١] ح ٢٥٩ ؛ سنن ابن ماجه ١ : ٣٢٩ [٣٣٨/١] ح ١٠٦٣ .

٣ - مسند أحمد ٢ : ٤٥ [١٣٧/٢] ح ٥٠٢٢ ؛ سنن ابن ماجه ١ : ٣٣٠ [٣٣٩/١] ح ١٠٦٧ .

٤ - صحيح البخاري [٣٦٧/١] ح ١٠٣١ ؛ صحيح مسلم [١٤١/٢] ح ١٥ ، كتاب صلاة المسافرين ؛ مسند أحمد

[٤٠/٤] ح ١٢٦٥٣ .

٥ - تفسير الخازن ١ : ٤١٢ [٣٩٥/١] ، نيل الأوطار ٣ : ٢٥٠ [٢٣٢/٣] .

حتى إنّ الخليفة نفسه لم يفقه بهذا العذر البارد، ولو كان يعرف شيئاً ممّا قالوه لما أرجأ بيانه إلى هؤلاء المدافعين عنه، ولما كان في منصرم معاذيره بعد أن أعوزته أنّه رأيي رآه، ولما كان تابعه على ذلك من تابعه محتجاً بدفع شرّ الخلاف فحسب من دون أيّ تنويه بمسألة الرخصة.

وأنت تعرف بعد هذه الأحاديث قيمة قول المحبّ الطبري في رياضه النظرة^(١)؛

إنّها مسألة اجتهادية؛ ولذلك اختلف فيها العلماء؛ فقلوه - يعني عثمان - فيها لا بوجوب تكفيراً ولا تفسيقاً.

خفي على المغفل أن الاجتهاد في تجاه النصّ لا مساع له، وأنّ المسألة لم يكن فيها خلاف إلى يوم أحدوثة عثمان، بل كانت السنّة الثابتة عند جميع الصحابة بقول واحد وجوب القصر للمسافر، وما كان عمل الخليفة إلّا بمجرّد رأي رآه خلاف سنّة أبي القاسم ﷺ.

الدين عند السلف سياسة وقتية:

تعطينا هذه الروايات الواردة في صلاة الخليفة درساً ضافياً صافقه الاستقراء لكثير من الموارد: أن كثيرين من الصحابة ما كان يحجزهم الدين عن مخالفة التعاليم المقرّرة وكانوا يقدّمون عليها سياسة الوقت، وإلّا فلا وجه لترييعهم الصلاة وهم يرون أن المشروع خلافه لمحض أن الخلاف شرّ، وهم أو من ناضل عنهم وحكّم بعدالتهم أجمع لا يرون جواز التقيّة؛ فعبدالله بن عمر يتّبع الخليفة في أحدوخته، وكان يتمّ إذا صلى مع الإمام، وإذا صلى وحده صلى ركعتين، وفي لسانه قوله: «الصلاة في السفر ركعتان من خالف السنّة فقد كفر»^(٢). وبسمع منه قوله ﷺ: «إنّ الله لا يقبل عمل امرئٍ حتى يُتّقنه». قيل: وما إتقانه؟ قال: «يخلصه من الرياء والبدعة»^(٣). وقوله ﷺ: «من عمل

١ - الرياض النظرة ٢: ١٥١ [٨٩/٣]. ٢ - راجع سنن البيهقي ٣: ١٤٠.

٣ - بهجة النفوس للحافظ ابن أبي جمرة الأزدي الأندلسي ٤: ١٦٠ [ح ٢٤١].

عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»^(١).

وهذا عبدالله بن مسعود يرى السنة في السفر ركعتين، ويحدث بها، ثم يتم معتذراً بأن عثمان كان إماماً فما أخالفه والخلاف شرٌّ.

وهذا عبدالرحمن بن عوف كان لم ير للخليفة عذراً فيما أتى به من إتمام الصلاة في السفر، ويقول له مجيباً عن أذاره: «ما من هذا شيء لك فيه عذر»، ويسمع منه قوله: «إنه رأي رأيته» خلافاً للسنة الثابتة، ومع ذلك كله يصلي أربعاً بعد ما سمع من ابن مسعود بأن الخلاف شرٌّ^(٢).

لماذا كانت مخالفة عثمان شرّاً، ولم تكن مخالفته ومخالفتهم على ناموس الشريعة ونبيها شرّاً؟! دعني واسأل الصحابة الأولين.

وهذا عليّ أمير المؤمنين المقتضّ الوحيد أثر النبي الأعظم يؤتي به للصلاة - كما مرّ^(٣) - فيقول: «إن شئتم صليتُ بكم صلاة رسول الله ﷺ ركعتين»؛ فيقال له: لا إلا صلاة أمير المؤمنين عثمان أربعاً؛ فيأبى ولا يبالون.

نعم، لم تكن الأحكام عند أولئك الخلفاء الذين أدخلوا آراءهم الشاذّة في دين الله والذين اتبعوهم، إلا سياسة وقتية يدور بها الأمر والنهي، ويتغيّر بتغيّرها الآراء حيناً بعد حين؛ فترى الأول منهم يقول على رؤوس الأشهاد: «لئن أخذتوني بسنة نبيكم لا أطيقها»، وقد جاء النبي الأعظم بسنة سهلة سمحة.

ويقول: «إني أقول برأيي إن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأ فني ومن

الشیطان»^(٤).

٢ - راجع سنن البيهقي ٣: ١٤٤.

١ - المحلى ٧: ١٩٧ [المسألة ٨٦٦].

٣ - في ص ١٩٩ من الكتاب.

٤ - أنظر المصنّف لعبد الرزاق [١٠ / ٣٠٤، ح ١٩١٩١]، المصنّف لابن أبي شيبة [١١ / ٤١٥، ح ١١٦٤٦]، جامع

البيان ٦: ٣٠ [مج ٣ / ج ٤ / ٢٨٤]، كنز العمال [١١ / ٧٩، ح ٣٠٦٩١].

ويأتي بعده من يفتي بترك الصلاة للجنب الفاقد للماء ولا يبالي، وقد علمه النبي الأعظم التيمّم فضلاً عما في الكتاب والسنة^(١).

وكان لم يقرأ بفاتحة الكتاب في الركعة الأولى، ويكرّرها في الثانية تارةً، وأخرى لم يقرأها في ركعاتها، ويقتصر على حسن الركوع والسجود، وطوراً يتركها ولم يقرأ شيئاً ثم يعيد^(٢).

وكان ينهي عن التطوّع بالصلاة بعد العصر، ويضرب بالدرّة من تنقل بها، والناس تُخبره بأنّه سنّة محمد ﷺ، وهو لا يصيخ إلى ذلك^(٣).

وتراه يحكم في الجدّ بمئة قضية كلّها ينقض بعضها بعضاً^(٤).

وثبت عنه قوله: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهي عنها وأعاقب عليهما». كما فضّلناه سابقاً^(٥).

وجاء عنه قوله: «أيها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهن وأحرّمهن وأعاقب عليهن: متعة النساء، ومتعة الحجّ، وحيّ على خير العمل»^(٦). إلى قضايا أخرى لدة هذه^(٧).

وهذا عثمان يخالف السنّة الثابتة في مثل الصلاة عماد الدين، ويعتذر بقوله: «إنّه رأي رأيتّه».

ويُحدث أذاناً بعد الأذان والإقامة، ويتّخذ الملاء الإسلاميّ سنّة في الحواضر الإسلاميّة. وينهى عليّاً أمير المؤمنين عن متعة الحجّ، وهو يسمع منه قوله: «لم أكن لأدع سنّة

١- أنظر ص ١٤٢-١٤٦ من الكتاب. ٢- أنظر ص ١٤٧-١٤٨ من الكتاب.

٣- أنظر صحيح مسلم ١: ٣١٠ [٢/٢٤٧، ح ٣٠٢، كتاب صلاة المسافرين]؛ [راجع الغدير ٦/٢٥٨-٢٦٢].

٤- أنظر ص ١٥٠ من الكتاب. ٥- أنظر ص ١٦٩ من الكتاب.

٦- أنظر ص ١٦٩ من الكتاب.

٧- [أنظر تلخيص الغدير/٥٢٢-٦٠٨، نوادر الأثر في علم عمر].

رسول الله لقول أحد من الناس».

ويأخذ الزكاة من الخيل، وقد عفى الله عنها بلسان نبيه الأقدس.

ويقدم الخطبة على الصلاة في العيدين خلاف السنة المسلمة.

ويترك القراءة في الأوليين، ويقضيها في الآخرين.

ويرى في عدة المختلعة ما يخالف السنة المتسالم عليها.

وأتخذ في الأموال والصدقات سيرة دون ما قرره الكتاب والسنة.

إلى كثير من الآراء الشاذة عن مقررات الإسلام المقدس، وسيوافيك تفصيلها.

وهذا معاوية - وما أدراك ما معاوية؟! - يتبع أثر النبي الأعظم في صلاة ظهره

فيأتيه مروان وابن عثمان فيحزحانه عن هديه، فيخالف السنة الثابتة - باعتراف منه -

في صلاة عصره، إتباعاً لسياسة الوقت، وإحياءً لبدعة ابن عمه، وإماتة لشرعة

المصطفى، تزلّفهاً إلى مثل مروان وابن عثمان.

وتراه يحكم بجواز الجمع بين الأختين المملوكتين، ويعترض عليه الناس

فلا يبالى^(١).

ويحلل الربا، وفي كتاب الله العزيز: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا»^(٢)؛ فأخبره

أبو الدرداء أن النبي ﷺ نهى عن بيع باعه. فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً. فقال

أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية، أخبره عن رسول الله، ويخبرني عن رأيه،

لا أساكنك بأرض؛ فخرج من ولاية معاوية^(٣).

وأخذ ألف دينار دية الذمي، وجعل خمسمئة في بيت المال، وخمسمئة لأهل القتيل،

بدعة مسلمة خلاف سنة الله^(٤).

٢ - البقرة: ٢٧٥.

١ - الدر المنثور ٢: ١٣٧ [٤٧٧/٢].

٣ - اختلاف الحديث للشافعي هامش كتابه الأم ٧: ٢٣ [اختلاف الحديث / ٤٨٠].

٤ - كتاب الديات لأبي عاصم الضحاك: ٥٠.

وأمر بالأذان في العيدين، ولا أذان فيها، ولا أذان إلا في المكتوبة^(١).
 وأخذ من الأعطية زكاة، وهو أول من أحدثها؛ كما في كتاب الأم^(٢).
 وهو أول من نقص التكبير؛ كما أخرجه ابن أبي شيبة.
 وأتى إليه بلصوص، فقطع بعضهم، وعفى عن أحدهم لسماعه منه ومن أمه كلاماً
 يروقه؛ كما ذكره الماوردي في الأحكام السلطانية^(٣)؛ وابن كثير في تاريخه^(٤).
 وقدم الخطبة على الصلاة في العيدين كما يأتي تفصيله^(٥)، والمسنون خلفه.
 وسنّ لعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وأمر به الخطباء وأئمة الجمعة والجماعة في جميع
 الحواضر الإسلامية.
 فكن على بصيرة من أمرك «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»^(٦). «وَأَخَذَهُمْ أَنْ
 يَتَّبِعُونَكَ»^(٧). «سَوَاءٌ مَخْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»^(٨).

- ٤١ -

إبطال الخليفة الحدود

أخرج البلاذري في الأنساب^(٩) من طريق محمد بن سعد، بالإسناد عن أبي
 إسحاق الهمداني: «أن الوليد^(١٠) بن عقبة شرب فسكراً فصلّى بالناس الغداة ركعتين^(١١)

١ - كتاب الأم ذكره للشافعي في ١: ٢٠٨ [٢٣٥/١].

٢ - كتاب الأم ٢: ١٤ [١٧/٢]. ٣ - الأحكام السلطانية: ٢١٩ [٢٢٨/١].

٤ - البداية والنهاية ٨: ١٣٦ [١٤٥/٨]، حوادث سنة ٦٠ هـ.

٥ - في ص ٢٢٢ من كتابنا هذا. ٦ - الجانية: ١٨.

٧ - المائدة: ٤٩. ٨ - الجانية: ٢١.

٩ - الأنساب البلاذري ٥: ٣٣.

١٠ - كان وليد أخا عثمان لأمه؛ أمها أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

١١ - هكذا في الأنساب وصحيح مسلم [٥٣٩/٣]، ح ٣٨ كتاب الحدود]، وأما بقية المصادر فكلها مطبقة على أربع

ثم التفت فقال: أزيدكم؟ فقالوا: لا قد قضينا صلاتنا. ثم دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزدي وهو سكران فانتزعا خاتمه من يده وهو لا يشعر سكرًا...». وقال الواقدي: وقد يقال: إنَّ عثمان ضرب بعض اليهود أسواطاً، فأتوا عليّاً فشكوا ذلك إليه؛ فأتى عثمان فقال: «عطّلت الحدود وضربتَ قومًا شهدوا على أخيك فقلّبتَ الحكم، وقد قال عمر: لا تحمل بني أمية وآل أبي معيط خاصّة على رقاب الناس». قال: فما ترى؟ قال: «أرى أن تعزله ولا تولّيه شيئاً من أمور المسلمين، وأن تسأل عن اليهود فإن لم يكونوا أهل ظنة ولا عداوة أقمت على صاحبك الحدّ».

قال: «ويقال: إنَّ عائشة أغلظتْ لعثمان وأغلظ لها، وقال: وما أنتِ وهذا؟! إنما أمرت أن تقرّي في بيتك. فقال قوم مثل قوله. وقال آخرون: ومن أولى بذلك منها؛ فاضطربوا بالنعال؛ وكان ذلك أول قتال بين المسلمين بعد النبي ﷺ».

وأخرج من عدّة طرق: «أنّ طلحة والزبير أتيا عثمان فقالا له: قد نهيناك عن تولية الوليد شيئاً من أمور المسلمين فأبيت وقد شهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله...». وقال أبو عمر في الاستيعاب^(١): وخبر صلاته بهم وهو سكران وقوله: أزيدكم؟ بعد أن صلى الصبح أربعاً مشهورٌ من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار^(٢).

وفي تاريخ اليعقوبي: «تهوّع في المحراب».

وفي أسد الغابة: «قوله لهم: أزيدكم؟ بعد أن صلى الصبح أربعاً، مشهورٌ من رواية

١ - الاستيعاب [القسم الرابع/ ١٥٥٥، رقم ٢٧٢١].

٢ - هكذا جاء في مسند أحمد: ١: ١٤٤ [٢٣٣/١، ح ١٢٣٤]؛ تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٢ [١٦٥/٢]؛ الكامل في التاريخ

لابن الأثير ٣: ٤٢ [٢/٢٤٦، حوادث سنة ٣٠هـ]؛ أسد الغابة ٥: ٩١، ٩٢ [٥/٤٥٢، رقم ٥٤٦٨]؛ وسنن

البيهقي ٨: ٣١٨؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٠٤ [ص ١٤٤].

الثقات من أهل الحديث»^(١).

وفي السيرة الحلبية^(٢): «صلى بأهل الكوفة أربع ركعات وصار يقول في ركوعه وسجوده: إشرِب واسقني. ثمّ قاء في المحراب. ثمّ سلّم وقال: هل أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود رضي الله عنه: لا زادك الله خيراً ولا من بعثك إلينا، وأخذ فردة خفه وضرب به وجه الوليد وحصبه الناس، فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنخ...».

وحكى أبو الفرج في الأغاني^(٣) عن أبي عبيد والكلبي والأصمعي: «أنّ الوليد بن عقبة كان زانياً شريب الخمر فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات ثمّ التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم؟ وتقيّاً في المحراب وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته:

علقَ القلبُ الربابا
بعد ما شابت وشابا».

وأخرج من طريق مطر الوراق قال: «قدم رجل المدينة فقال لعثمان رضي الله عنه: إني صليتُ الغداة خلف الوليد بن عقبة فالتفت إلينا فقال: أزيدكم؟ إني أجد اليوم نشاطاً، وأنا أشمّ منه رائحة الخمر؛ فضرب عثمان الرجل. فقال الناس: عطّلت الحدود، وضربت الشهود».

وجاء في صحيح البخاري^(٤) في مناقب عثمان في حديث: «قد أكثر الناس فيه». قال ابن حجر في فتح الباري^(٥) في شرح الجملة المذكورة:

ووقع في رواية معمر: وكان أكثر الناس فيما فعل به؛ أي من تركه إقامة الحدّ عليه - على الوليد - وإنكارهم عليه عزل سعد بن أبي وقاص.

١- أسد الغابة ٥: ٩١-٩٢. ٢- السيرة الحلبية ٢: ٣١٤ [٢/٢٨٤].

٣- الأغاني ٤: ١٧٨ [٥/١٣٩ و ١٤١ و ١٤٣]. ٤- صحيح البخاري [٣/١٣٥١، ح ٣٤٩٣].

٥- فتح الباري ٧: ٤٤ [٧/٥٦].

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب^(٤):

٤ - الاستعاب ٢ : ٦٢٠ [القسم الرابع / ١٥٥٣ ، رقم ٢٧٢١] .

قتال بين المسلمين بعد رسول الله ﷺ، وعقيرة أم المؤمنين مرتفعة: إنَّ عثمان عطل الحدود وتوعد الشهود، ويوجِّهه على ذلك سيّد العترة - صلوات الله عليه - بقوله: «عطلت الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك».

وهل بعد هذه كلّها يستأهل مثل هذا الفاسق المهتوك بلسان الكتاب العزيز أن يبعث على الأموال؟! كما فعله عثمان وبعث الرجل بعد إقامة الحدّ عليه على صدقات كلب وبلقين^(١). وهل آصرة الإخاء تستبيح ذلك كلّهُ؟! ليست ذمّي رهينةً بالجواب عن هذه الأسئلة وإنّما عليّ سرد القصّة مشفوعة بالتعليل والتحليل، وأمّا الجواب فعلى عهدة أنصار الخليفة، أو أن المحكم فيه هو القارئ الكريم.

- ٤٢ -

رأي الخليفة في متعة الحجّ

أخرج البخاري في الصحيح بالإسناد عن مروان بن الحكم قال: سمعتُ^(٢) عثمان وعليّاً رضي الله عنهما بين مكّة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما. فلمّا رأى ذلك عليّ أهلّ بهما جميعاً، قال: «لبّيك عمرة وحجّة معاً». قال: فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيء وتفعله أنت؟ قال: «لم أكن لأدع سنّة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس».

وأخرج الشيخان بالإسناد عن سعيد بن المسيّب قال: «اجتمع عليّ وعثمان رضي الله عنهما بعسفان، وكان عثمان ينهى عن المتعة، فقال له عليّ: «ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ تنهى عنه؟». قال: دعنا منك. قال: «إنّي لا أستطيع أن أدعك»؛ فلمّا رأى ذلك عليّ أهلّ بهما جميعاً.

٢- [في المصدر: شهدت عثمان وعليّاً...].

١- تاريخ يعقوبي ٢: ١٤٢ [١٦٥/٢].

وأخرج مسلم من طريق عبد الله بن شقيق قال: «كان عثمان رضي الله عنه ينهى عن المتعة وكان علي رضي الله عنه يأمر بها. فقال عثمان لعلي كلمة، ثم قال علي: «لقد علمت أنا قد تمتعنا مع رسول الله ﷺ» قال: أجل ولكننا كنا خائفين»^(١).

قال الأميني: لقد فصلنا^(٢) القول في هذه المسألة في نواذر الأثر تفصيلاً وذكرنا هنالك أحاديث جمّة أن متعة الحج ثابتة بالكتاب والسنة، ولم تنزل آية تنسخ متعة الحج ولم ينه عنها رسول الله ﷺ حتى مات، وإنما النهي عنها رأيي رآه الخليفة الثاني كما أخرجه الشيخان وجمع من أئمة الحديث من طرقهم المتكثرة. ولقد شاهد عثمان تلکم المواقف وما وقع فيها من الحوار وما أنكره الصحابة على من نهى عنها. وكان كل حجته: إني لو رخصت في المتعة لهم لعرّسوا بهن في الأراك ثم راحوا بهن حجاجاً.

وأنت ترى أن هذه الحجّة الداحضة لم تكن إلا رأياً تافهاً غير مدعوم ببرهنة، بل منقوض بالكتاب والسنة، وكان رسول الله ﷺ أعرف من صاحب هذا الرأي بهذه الدقيقة التي اكتشفها بنظّارته المقرّبة، والله سبحانه قبّله يعلم كل ذلك؛ فلم ينهيا عن متعة الحج بل أثبتاها.

ما العلم إلا كتاب الله والأثر وما سوى ذلك لا عين ولا أثر
إلا هوى وخصومات ملفقة فلا يغرنك من أربابها هذر^(٣)

١- راجع: صحيح البخاري ٣: ٦٩ و ٧١ [٥٦٧/٢، ح ١٤٨٨، ص ٥٦٩، ح ١٤٩٤]؛ صحيح مسلم ١: ٣٤٩ [٦٨/٢، ح ١٥٨، كتاب الحج]؛ مسند أحمد ١: ٦١ و ٩٥ [٩٨/١، ح ٤٣٣، ص ١٥٣، ح ٧٣٥]؛ السنن الكبرى ٥: ١٤٨ و ١٥٢ [٣٤٥/٢، ح ٣٧٠٣]؛ المستدرک علی الصحيحین ١: ٤٧٢ [٦٤٤، ح ١٧٣٥].

٢- أنظر ص ١٦٧ - ١٧٠ من كتابنا هذا.

٣- البيتان للفقيه أبي زيد علي الزبيدي، المتوفى ٨١٣، ذكرهما صاحب شذرات الذهب ٧: ٢٠٣ [١٥٣/٩، حوادث سنة ٨١٣هـ].

نعم، شهد عثمان كل ذلك لكنه لم يكثرث لشيء منها، وطفق يقتص أثر من قبله، وكان حقاً عليه أن يتبع كتاب الله وسنة نبيه والحق أحق أن يتبع.

ولم يقنعه كل ذلك حتى أخذ يعاتب أمير المؤمنين علياً عليه السلام - الذي هو نفس الرسول، وباب مدينة علمه، وأقضى أمته وأعلمها - على عدم موافقته له في رأيه المجرد الشاذ عن حكم الله، حتى وقع الحوار بينهما في عسفان وفي الجحفة وأمير المؤمنين عليه السلام متمتع بالحج، وكاد من جرّاء ذلك يُقتل عليّ سلام الله عليه (١).

ونحن لا ندري مغزى جواب الرجل لمولانا علي عليه السلام لما قال له: «لقد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله»، من قوله: «أجل ولكنّا كنّا خائفين»!

أي خوف كان في سنة حجة التمتع مع رسول الله ﷺ؟! وهي الحجة الوداع والنبي الأقدس كان معه مئة ألف أو يزيدون، وأنت تجد أعلام الأمة غير عارفين بهذا العذر التافه المخلق أيضاً. وقال إمام الحنابلة أحمد في المسند بعد ذكر (٢) الحديث: «قال شعبة لقتادة: ما كان خوفهم. قال: لا أدري!».

أنا لا أدري، هذا مبلغ علم الخليفة، أو مدى عقليته، أو كميّة إصراره على تنفيذ ما أراد، أو حدّ أتباعه كتاب الله وسنة نبيه، أو مقدار أمانته على ودائع الدين، وهو خليفة المسلمين؟! «فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (٣).

أليس من الغلو الممقوت الفاحش عندئذٍ ما جاء به البلاذري في الأنساب (٤) من قول ابن سيرين:

كان عثمان أعلمهم بالمناسك وبعده ابن عمر؟!

إن كان أعلم الأمة هذه سيرته وهذا حديثه، فعلى الإسلام السلام.

١- راجع جامع بيان العلم لأبي عمر ٢: ٣٠ [ص ٢٤٥، ح ١٢٨٢].

٢- مسند أحمد [٩٨/١، ح ٤٣٣].

٣- النحل: ٤٣.

٤- الأنساب للبلاذري ٥: ٤.

- ٤٣ -

رأي الخليفة في الجنابة

أخرج مسلم في الصحيح بالإسناد عن عطاء بن يسار: «أنّ زيد بن خالد الجهني أخبره أنّه سأل عثمان بن عفّان قال: قلت: أ رأيت إذا جامع الرجل امرأته ولم يُمْنِ؟ قال عثمان: يتوضّأ كما يتوضّأ للصلاة، ويغسل ذكره. قال عثمان: سمعته من رسول الله ﷺ^(١)».

وأخرجه أحمد في مسنده^(٢) وفيه: «فسألت عن ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأبيّ بن كعب فأمرّوه بذلك».

قال الأميني: هذا مبلغ فقه الخليفة إبان خلافته وبين يديه قوله تعالى: ﴿لَا تَغْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَيْرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾^(٣).
قال الشافعي في كتاب الأم^(٤):

فأوجب الله عزّ وجلّ الغسل من الجنابة ؛ فكان معروفاً في لسان العرب أنّ الجنابة الجماع وإن لم يكن مع الجماع ماء دافق ، وكذلك ذلك في حدّ الزنا وإيجاب المهر وغيره ...

ودلّت السّنة على أنّ الجنابة أن يفضي الرجل من المرأة حتّى يغيب فرجه في فرجها إلى أن يوارى حشفته ، أو أن يرى الماء الدافق ، وإن لم يكن جماع .
وفي تفسير القرطبي^(٥):

١ - صحيح مسلم ١: ١٤٢ [٣٤٤٣/١ ح ٨٦، كتاب الحيض] . وانظر أيضاً صحيح البخاري ١: ١٠٩ [١١١/١ ح ٢٨٨] .

٢ - مسند أحمد ١: ٦٣، ٦٤ [١٠١/١ ح ٤٥٠، ص ١٠٣ ح ٤٦٠] .

٣ - النساء: ٤٣ .
٤ - كتاب الأم ١: ٣١ [٣٦/١] .

٥ - الجامع لأحكام القرآن ٥: ٢٠٤ [١٣٣/٥] .

الجنابة : مخالطة الرجل المرأة . والجمهور من الأمة على أن الجنب هو غير الطاهر من إنزال أو مجاوزة ختان .

ثم كيف عزب عن الخليفة حكم المسألة، وقد مرّنته الأسئلة، وعلمته الجوابات النبوية، وبمسمع منه مذاكرات الصحابة لما وعوه عن رسول الله ﷺ؛ وإليك جملة منها:

١ - عن أبي هريرة مرفوعاً: «إذا قعد بين شعبها الأربع وألّزق الختان بالختان فقد وجب الغسل»^(١).

وفي لفظ: «إذا التقى الختان بالختان وجب الغسل أنزل أو لم يُنزل».

وفي لفظ أحمد: «إذا جلس بين شعبها الأربع، ثم جهّد، فقد وجب الغسل».

٢ - عن عائشة قالت: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، فعَلَّته أنا ورسول الله فاغتسلنا».

وفي لفظ: «إذا قعد بين الشعب الأربع، ثم ألّزق الختان بالختان فقد وجب الغسل»^(٢).

وكان الخليفة كان بمنتأى عن هذه الأحاديث فلم يسمعها ولم يعبها، أو أنه سمعها لكنّه ارتأى فيها رأياً تجاه السنّة المحقّقة.

وأما ما مرّ في روايات أوّل العنوان من موافقة مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأبي ابن كعب وآخرين لعثمان في الفتيا، فكذبٌ عليهم سترأ على عوار جهل الخليفة بالحكم في مسألة سمحة سهلة كهذه. أمّا الإمام عليه السلام فقد ردّ على الخليفة الثاني في نفس المسألة

١ - صحيح البخاري ١: ١٠٨ [١/١١٠، ح ٢٨٧]؛ صحيح مسلم ١: ١٤٢ [١/٣٤٤، ح ٨٧، كتاب الحيض]؛

مسند أحمد ٢: ٢٣٤ و ٣٤٧ و ٣٩٣ [٢/٤٦٦، ح ٧١٥٧؛ ٣/٢٣، ح ١٨٣٦٩، ص ١٠٢، ح ٨٨٦٣].

٢ - سنن ابن ماجه [١/١٩٩، ح ٦٠٨]؛ مسند أحمد ٦: ٤٧ و ١١٢ و ١٦١ [٧/٧٢، ح ٢٣٦٨٦، ص ١٦٣، ح

٢٤٢٩٦؛ ص ٢٣١، ح ٢٤٧٥٣].

وقال: «إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل»^(١).

وقد علم يوم ذاك حكم المسألة كلُّ جاهل به ورفع الخلاف فيها؛ قال القرطبي في تفسيره^(٢):

على هذا جماعة العلماء من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار، وأن الغسل يجب بنفس التقاء الختاتين، وقد كان فيه خلاف بين الصحابة ثم رجعوا فيه إلى رواية عائشة عن النبي ﷺ.

وأما أبي بن كعب فقد جاء عنه من طرق صحيحة قوله: «إنَّ الفتيا التي كانت الماء من الماء رخصة أرخصها رسول الله في أوَّل الإسلام ثمَّ أمر بالغسل»^(٣).
وأما غيرهما: ففي فتح الباري^(٤) عن أحمد أنه قال: «ثبت عن هؤلاء الخمسة الفتوى بخلاف ما في هذا الحديث».

فنسبة القول بعدم وجوب الغسل في التقاء الختاتين إلى الجمع المذكور بهتٌ وقولٌ زور، وقد ثبت منهم خلافه. تقول القوم عليهم لتخفيف الوطأة على الخليفة، وافتعلوا للغاية نفسها أحاديث^(٥).

وإن تعجب فعجب قول البخاري^(٦):

الغسل أحوط؛ وذلك الأخير إنما يثبت لاختلافهم.

قاله بعد إخراج رواية أبي هريرة الموجبة للغسل المذكورة، وفتوى عثمان

١- أخرجه أحمد إمام الحنابلة في مسنده ٥: ١١٥ [١٣٣/٦، ح ٢٠٥٩٣].

٢- الجامع لأحكام القرآن ٥: ٢٠٥ [١٣٤/٥].

٣- سنن الدارمي ١: ١٩٤؛ سنن ابن ماجه ١: ٢١٢ [٢٠٠/١، ح ٦٠٩]؛ سنن البيهقي ١: ١٦٥؛ الاعتبار لابن

٤- فتح الباري ١: ٣١٥ [٢٩٧/١].
حازم: ٣٣ [ص ١٢٤].

٥- أنظر المدونة الكبرى [٣٠/١]؛ والمحلى لابن حزم [١٤/٢].

٦- صحيح البخاري [١١١/١، ح ٢٨٩].

المذكورة، وحديث أبي الموافق معه، فجنح إلى رأي عثمان، وضرب عما جاء به نبي الإسلام وأجمعت عليه الصحابة والتابعون والعلماء، كما سمعت عن القرطبي.

وقال النووي في شرح مسلم^(١) هامش إرشاد الساري:

إن الأمة مجتمعة الآن على وجوب الغسل بالجماع، وإن لم يكن معه إنزال، وعلى وجوبه بالإتزال.

فلا تعجب عن بخاريّ يقدّم في الفتوى رأي مثل عثمان على ما جاء به رسول الله ﷺ بعد إجماع الأمة عليه، وتقديعه نظراء عمران بن حطان الخارجي على الإمام الصادق جعفر بن محمد في الرواية: «وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ»^(٢).

- ٤٤ -

رأي الخليفة في زكاة الخيل

أخرج البلاذري في الأنساب^(٣) بالإسناد من طريق الزهري: «أن عثمان كان يأخذ من الخيل الزكاة؛ فأنكر ذلك من فعله وقالوا: قال رسول الله ﷺ: «عَفُوْتُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ»».

قال الأميني: ليت هذه الفتوى المجردة من الخليفة كانت مدعومة بشيء من كتاب أو سنة، لكن من المأسوف عليه أن الكتاب الكريم خال عن ذكر زكاة الخيل، والسنة الشريفة على طرف النقيض ممّا أفتى به، وقد ورد فيما كتبه رسول الله ﷺ في الفرائض قوله: «ليس في عبد مسلم ولا في فرسه شيء».

وجاء عنه ﷺ قوله: «عَفُوْتُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ».

١ - شرح صحيح مسلم هامش إرشاد الساري ٢: ٤٢٥ [٣٦/٤].

٣ - أنساب الأشراف ٥: ٢٦ [٢٦/٥].

٢ - البقرة: ١٤٥.

وفي لفظ ابن ماجة: «قد تجوزت لكم عن صدقة الخيل والرقيق».

وفي لفظ البخاري: «ليس على المسلم في فرسه وغلामه صدقة»^(١).

وقال ابن حزم:

وذهب جمهور الناس إلى أن لا زكاة في الخيل أصلاً. وقال مالك والشافعي،

وأحمد، وأبو يوسف، ومحمد، وجمهور العلماء: لا زكاة في الخيل بحال.

نعم، للحنفية هاهنا تفصيل مجرد عن أي برهنة ضربت عنه الأمة صفحاً؛ قالوا:

«لا زكاة في الخيل الذكور ولو كثرت وبلغت ألف فرس. وإن كانت إناثاً، أو إناثاً

وذكوراً، سائمة غير معلوفة فحينئذ تجب فيها الزكاة. وصاحب الخيل مخير إن شاء

أعطى عن كل فرس منها ديناراً أو عشرة دراهم، وإن شاء قوّمها فأعطى من كل مائتي

درهم خمسة دراهم»^(٢).

وهذا التفصيل ما كان قطّ يعرفه الصحابة والتابعون لأنهم لم يجدوا له أثراً في كتاب

أو سنة. وكان من الحقيق إن كان للحكم مدرك يعول عليه، أن يعرفوه، وأن يثبتته

رسول الله ﷺ في كتابه، وكذلك أبو بكر من بعده، وهذا كاف في سقوطه؛ ولذلك خالف

أبا حنيفة فيه أبو يوسف ومحمد وقالوا بعدم الزكاة في الخيل؛ كما ذكره الجصاص في

أحكام القرآن^(٣)، وملك العلماء في البدائع^(٤)، والعيني في العمدة^(٥).

وغاية جهد أصحاب أبي حنيفة في تدعيم قوله بالحجة أحاديث لم يوجد في شيء

١- راجع صحيح البخاري ٣: ٣٠ و ٣١ [٢/٥٣٢، ح ١٣٩٤ و ١٣٩٥]؛ صحيح مسلم ١: ٢٦١ [٢/٣٧١، ح ٨

- ٩، كتاب الزكاة]؛ سنن الترمذي ١: ٨٠ [٣/٢٣، ح ١٢٨]؛ سنن أبي داود ١: ٢٥٣ [٢/١٠٨، ح ١٥٩٤ -

١٥٩٥]؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٥٥ و ٥٥٦ [١/٥٧٩، ح ١٨١٣].

٢- كذا حكاه ابن حزم في المحلى ٥: ٢٨٨، وأبوزرعة في طرح التثريب ٤: ١٤، وملك العلماء في بدائع الصنائع ٢: ٣٤

والنووي في شرح مسلم [٧/٥٥]. ٣- أحكام القرآن ٣: ١٨٨ [٢/١٥٣].

٥- عمدة القاري ٤: ٣٨٢ [٩/٣٦].

٤- البدائع ٢: ٣٤.

منها ما جاء به من الرأي المجرد^(١).

- ٤٥ -

تقديم عثمان الخطبة على الصلاة

كل سنن رسول الله ﷺ قد غيّرت حتى الصلاة!!

قال ابن حجر في فتح الباري^(٢): روى ابن المنذر عن عثمان بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: «أول من خطب قبل الصلاة عثمان، صلى بالناس ثم خطبهم»^(٣). فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة، ففعل ذلك؛ أي صار يخطب قبل الصلاة. وهذه العلة غير التي اعتلّ بها مروان؛ لأنّ عثمان رأى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة، وأمّا مروان فراعى مصلحتهم في إستماعهم الخطبة.

لكن قيل: إنهم كانوا في زمن مروان يتعمّدون ترك سماع خطبته لما فيها من سب من لا يستحقّ السب، والإفراط في مدح بعض الناس، فعلى هذا إنّما راعى مصلحة نفسه. ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحياناً بخلاف مروان الذي واظب عليه.

قال الأميني: إنّ الثابت في السنّة الشريفة أنّ الخطبة في العيدين تكون بعد الصلاة. قال الترمذي في الصحيح^(٤):

والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنّ صلاة العيدين قبل الخطبة. ويقال: إنّ أول من خطب قبل الصلاة مروان بن الحكم.

١ - ألا وهي: ١ - ما أخرجه البخاري في صحيحه [١٣٣٢/٣، ح ٣٤٤٦] ومسلم في صحيحه [٣٧٦/٢، ح ٢٤، كتاب

الزكاة]. ٢ - ما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٤: ١١٩. ٣ - ما أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده من طريق عمر

مرفوعاً. استدلّ به على وجوب الزكاة في الخيل ابن تركماني المارديني في الجوهر النقي - ذيل سنن البيهقي - ٤: ١٢٠.

٢ - فتح الباري ٢: ٣٦١ [٤٥١/٢]؛ نيل الأوطار للشوكاني ٣: ٣٦٢ [٣٣٤/٢ و ٣٤٥].

٣ - على الباحث مناقشة الحساب حول هذه الكلمة.

٤ - سنن الترمذي ١: ٧٠ [٤١١/١٢، ح ٥٣١].

وإليك جملة مما ورد فيها:

١ - عن ابن عباس قال: «أشهد على رسول الله ﷺ أنه صلى يوم فطر أو أضحى قبل الخطبة ثم خطب»^(١).

٢ - عن عبدالله بن عمر قال: «كان النبي ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر يصلون العيدين قبل الخطبة»^(٢).

وليتني أدري كيف يُتقرب إلى المولى سبحانه بصلاة بدّلوا فيها سنة الله التي لا تبديل لها؟! لا

قال الشوكاني في نيل الأوطار^(٣):

قد اختلف في صحّة العيدين مع تقدّم الخطبة ؛ ففي مختصر المزني^(٤) عن

الشافعي ما يدلّ على عدم الاعتداد بها . وكذا قال النووي في شرح المهذب :

إنّ ظاهر نصّ الشافعي أنّه لا يعتدّ بها . وهو الصواب .

ثمّ تابع عثمان المسيطرون من الأمويّين من بعده فخالفوا السنّة المتّبعة بتقديم

الخطبة ؛ لكنّ الوجه في فعل عثمان غيره في من تبعه .

أمّا هو فكان يُرتج عليه القول فلا يروق المجتمعين ما يتكلّفه من تلفيقه غير المنسجم

فيتفرّقون عنه ؛ فقدّمها ليصيخوا إليه وهم منتظرون للصلاة ولا يسعهم التفرّق قبلها .

قال الجاحظ :

صعد عثمان بن عفّان ﷺ المنبر فأرتج عليه فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدّان

١ - صحيح البخاري ٢: ١١٦ [٢/٥٢٥، ح ١٢٨١]، صحيح مسلم ٢٢٥ [٢/٢٨٣، ح ٢، كتاب صلاة العيدين].

٢ - صحيح البخاري ٢: ١١١ و ١١٢ [١/٣٢٦، ح ٩١٤؛ وص ٣٢٧، ح ٩٢٠]، صحيح مسلم ١: ٣٢٦ [٢/٢٨٦، ح ٨، كتاب صلاة العيدين].

٣ - نيل الأوطار ٣: ٣٦٣ [٢/٣٢٥].

٤ - مختصر المزني [ص ٣١].

لهذا المقام مقالاً ، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب ،
وستأتىكم الخطب على وجهها وتعلمون إن شاء الله^(١) .

وقال البلاذري في الأنساب^(٢) :

إنَّ عثمان لما بويح خرج إلى الناس ، فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيُّها الناس إنَّ أوَّلَ مَرَكَبٍ صَعَبٌ ، وإنَّ بعدَ اليومَ أَيْتَاماً ، وإنَّ أعشَ تَأْتِكُم
الخطبة على وجهها ، فما كنَّا خطباء وسيعلمنا الله .

وروى أبو مخنف كما في أنساب البلاذري :

إنَّ عثمان لما صعد المنبر قال : أيُّها الناس إنَّ هذا مقام لم أزوِّر له خطبة
ولا أعددت له كلاماً ، وسنعود فنقول إن شاء الله .

وفي لفظ ملك العلماء في بدائع الصنائع^(٣) :

إنَّ عثمان لما استخلف خطب في أوَّل جمعة ، فلما قال : الحمد لله أرتج
عليه . فقال : أنتم إلى إمام فعَّال أحوج منكم إلى إمام قوَّال ، وإنَّ أبا بكر
وعمر كانا يعدَّان لهذا المكان مقالاً وستأتىكم الخطب من بعد ، وأستغفر الله
لي ولكم . ونزل وصلى بهم الجمعة .

ولعلَّه لحراجه الموقف عليه كان يماطل الخطبة باستخبار الناس وسؤالهم عن
أخبارهم وأسعارهم وهو على المنبر؛ كما أخرجه أحمد في المسند^(٤) من طريق موسى بن
طلحة . وذكره الهيثمي في المجمع^(٥) فقال : «رجالہ رجال الصحيح» .

١ - البيان والتبيين ١ : ٢٧٢ ، و ٢ : ١٩٥ [٢٧٩/١] و ٢ : ١٧١ .

٢ - أنساب الأشراف ٥ : ٢٤ [٢٤/٥] ؛ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٤٣ [٦٢/٣] .

٣ - بدائع الصنائع ١ : ٢٦٢ . ٤ - مسند أحمد ١ : ٧٣ [١١٨/١] ح ٥٤١ .

٥ - مجمع الزوائد ٢ : ١٨٧ .

ولا يبرّر عمل الخليفة ما احتجّ به ابن حجر فيما مرّ عن فتح الباري من: «أنّه رأى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة...»؛ لأنّ هذه المصلحة المزعومة كانت مرموقةً على العهد النبويّ لكنّه ﷺ لم يرعها؛ لما رآه من مصلحة التشريع الأقوى؛ فهذا الرأي تجاه ما ثبت من السنّة نظير الاجتهاد في مقابلة النصّ. ولو سوّغنا تغيير الأحكام، وما قرّره الشرع الأقدس بآراء الرجال، فلا تبقى قاعدة للإسلام، فلا فرق بينه وبين ما ارتآه مروان في كونها بدعة مستحدثة، وإن ضمّ إليه شناعة أخرى من سبّ من لا يحلّ سبّه. هذا مجمل القول في أحدىثة الخليفة.

وأما من عداه من آل أميّة، فكانوا يسبّون ويلعنون مولانا أمير المؤمنين عليّاً - صلوات الله عليه - في خطبهم على صهوات المنابر، فلا تجلس لهم الناس وينثالون عنهم^(١)، فقدّموا الخطبة ليضطرّ الناس إلى الاستماع له بالرغم من عدم استباحتهم ذلك القول الشائن؛ لما وعوه من حديث رسول الله ﷺ الصحيح المأثور من طريق ابن عباس وأمّ سلمة من قوله: «من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى»^(٢).

قال ابن حزم في المحلّى^(٣):

أحدث بنو أميّة تقديم الخطبة قبل الصلاة واعتلّوا بأنّ الناس كانوا إذا صلّوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبة؛ وذلك لأنّهم كانوا يلعنون عليّ بن أبي طالب ﷺ، فكان المسلمون يفرّون، وحقّ لهم، فكيف وليس الجلوس واجباً؟!

١ - [أي: يتفرّقون].

٢ - المستدرک ٣: ١٢١ [١٣٠/٣، ح ٤٦١٦]، وستوافيك طرقه ومصادره.

٣ - المحلّى ٥: ٨٦.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار^(١):

قد ثبت في صحيح مسلم^(٢) من رواية طارق بن شهاب عن أبي سعيد قال :
أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان . وقيل : أول من فعل ذلك
معاوية ؛ حكاه القاضي عياض وقيل : أول من فعل ذلك زياد بالبصرة في
خلافة معاوية ؛ حكاه القاضي أيضاً . وروى ابن المنذر عن ابن سيرين أن أول
من فعل ذلك زياد بالبصرة ؛ قال : ولا مخالفة بين هذين الأثرين ، وأثر مروان ؛
لأن كلاً من مروان وزيد كان عاملاً لمعاوية فيحمل على أنه ابتداء ذلك ،
وتبعه عماله .

أخرج الشافعي في كتاب الأم^(٣) من طريق وهب بن كيسان قال : « رأيت ابن
الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة . ثم قال^(٤) : كل سنن رسول الله ﷺ قد غيّرت حتى
الصلاة » .

فإن كان ما ينقم على الخليفة من هذا الوجه أمراً واحداً فهو في بقية الأمويين
أمران : مخالفة السنة ، والابتداع بسبب أمير المؤمنين ؛ فهم مورد المثل السائر : « أحشفاً
وسوء كيلة^(٥) » .

أنا لا أعجب من هؤلاء الثلاثة إن جاؤوا بالبدع ؛ فإن بقية أعمالهم تلائم هاتيك
الخطّة ؛ فإن الخلاعة والتهتك مزيج نفسيّاتهم ، والمعاصي المقترفة ملء أرواحهم ؛
فلا عجب منهم إن غيّروا السنة كلّها .

ولا عجب إن بدلوا الخطبة المجعولة للموعظة وتهذيب النفوس ، بما هو محظور شرعاً

١ - نيل الأوطار ٣ : ٣٦٣ [٢٣٥/٣] . ٢ - صحيح مسلم [١/١٠٠] ، ح ٧٨ ، كتاب الإيمان .

٣ - كتاب الأم ١ : ٢٠٨ [٢٣٥/١] . ٤ - [أي قال عبد الله بن الزبير] .

٥ - مثل يضرب لخصي الإساءة تجتمعان على الرجل ، المستقصى في أمثال العرب [١/٢٥٩] .

أشدّ الحظر من الوقعة في أمير المؤمنين، وأوّل المسلمين، وحامية الدين، الإمام المعصوم، المطهر بنصّ الكتاب العزيز، نفس النبيّ الأقدس بصرح القرآن، وعدل الثقل الأكبر في حديث الثقلين، صلوات الله عليه.

ولعلّك لا تعجب من الخليفة أيضاً تغييره سنة الله وسنة رسوله بعد أن درست تاريخ حياته، وسيرته المعربة عن نفسيّاته، وهو وهُم من شجرة واحدة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

لكنّ العجب كلّهُ ممّن يرى هؤلاء، وأمثالهم من سماسرة الشهوات والميول، عدولاً بما أنّهم من الصحابة، والصحابة كلّهم عدول عندهم. وأعجب من هذا أن يُحتجّ في غير واحد من أبواب الفقه بقول هؤلاء وعملهم. نعم، وافق شئ طبقة.

- ٤٦ -

رأي الخليفة في القراءة

قال ملك العلماء في بدائع الصنائع^(١):

أنّ عمر رضي الله عنه ترك القراءة في المغرب في إحدى الأوليين فقضاها في الركعة الأخيرة وجهراً. وعثمان رضي الله عنه ترك القراءة في الأوليين من صلاة العشاء فقضاها في الآخرين وجهراً.

قال الأميني: إنّ ما ارتكبه الخليفان مخالف للسنة من ناحيتين:

الأولى: الاجتزاء بركعة لا قراءة فيها.

والثانية: تكرير الحمد في الأخيرة أو الآخرين بقضاء الفائتة مع صاحبة الركعة.

أمّا الناحية الأولى فإليك نبذة ممّا ورد فيها:

- ١ - عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأمّ القرآن فصاعداً».
وفي لفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب إمام أو غير إمام»^(١).
- ٢ - عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «لا صلاة لمن لم يقرأ في كلّ ركعة الحمد وسورة في فريضة أو غيرها»^(٢).

رأي الشافعي:

قال إمام الشافعية في كتاب الأم^(٣):
سنّ رسول الله ﷺ أن يقرأ القارئ في الصلاة بأمّ القرآن ، ودلّ على أنّها فرض على المصلي إذا كان يحسن أن يقرأها .
فذكر عدّة من الأحاديث فقال :
فوجبّ على من صلى منفرداً أو إماماً أن يقرأ بأمّ القرآن في كلّ ركعة لا يجزيه غيرها . وإن ترك من أمّ القرآن حرفاً واحداً ناسياً أو تساهياً لم يعتدّ بتلك الركعة ؛ لأنّ من ترك منها حرفاً لا يقال له قرأ أمّ القرآن على الكمال .

رأي مالك:

وقال إمام المالكية كما في المدوّنة الكبرى^(٤):
ليس العمل على قول عمر حين ترك القراءة^(٥) فقالوا له : إنك لم تقرأ؟ فقال :
كيف كان الركوع والسجود؟ قالوا حسن . قال : فلا بأس إذن . وأرى أن يعيد من فعل هذا^(٦) وإن ذهب الوقت .

١ - صحيح البخاري ١ : ٣٠٢ [٢٦٣/١ ح ٧٢٣] ؛ صحيح مسلم ١ : ١٥٥ [٣٧٥/١ ح ٣٤ ، كتاب الصلاة] .
٢ - سنن الترمذي ١ : ٣٢ [٣/٢ ح ٢٣٨] ؛ سنن ابن ماجه ١ : ٢٧٧ [٢٧٤/١ ح ٨٣٩] ؛ كنز العمال ٥ : ٩٥ [٤٣٧/٧ ح ١٩٦٦٦] .
٣ - كتاب الأم ١ : ٩٣ [١٠٧/١ و ١٠٢ - ١٠٣] .
٤ - المدوّنة الكبرى ١ : ٦٨ [٦٥/١ ح ٦٦] .
٥ - مرّ حديثه في ص ١٤٧ من كتابنا هذا .
٦ - [في المصدر: «ذلك» ، بدلاً من: «هذا»] .

وقال في رجل ترك القراءة في ركعتين من الظهر أو العصر أو العشاء الآخرة:
لا تجزئه الصلاة وعليه أن يعيد . ومن ترك القراءة في جلّ ذلك أعاد . وإن قرأ
في بعضها وترك في بعضها أعاد أيضاً . وإذا قرأ في ركعتين وترك القراءة في
ركعتين ، فإنه يعيد الصلاة من أيّ الصلوات كانت .

رأي الحنابلة:

قال ابن حزم في المحلى^(١) :

وقراءة أم القرآن فرض في كلّ ركعة من كلّ صلاة إماماً كان أو مأموماً أو
منفرداً ، والفرض والتطوع سواء ، والرجال والنساء سواء .
وذكر^(٢) فعل عمر وما يعزى إلى عليّ - وحاشاه من ذلك - فقال :
لا حجة في قول أحد بعد رسول الله ﷺ .

ومن ذلك كلّ ، يُعلم حكم الناحية الثانية وأنّ الأُمَّة مطبقة على أنّ تدارك الفائتة
من قراءة ركعة في ركعة أخرى لم يرد في السنّة النبويّة ، وأنّ رأي الرجلين غير مدعوم
بحجّة ، لا يُعمل به ، ولا يُعوّل عليه ، ولا يستنّ به قطّ أحدٌ من رجال الفتوى ، والحقّ
أحقّ أن يُتَّبَعَ .

- ٤٧ -

رأي الخليفة في صلاة المسافر

أخرج أبو عبيد في الغريب^(٣) وعبد الرزّاق^(٤) والطحاوي وابن حزم عن أبي
المهلب ، قال : كتب عثمان : «أنّه بلغني أنّ قوماً يخرجون إمّا لتجارة أو لجباية أو
لحشريّة^(٥) يقصرون الصلاة وإنّما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو بحضرة عدوّ» .

٢ - المصدر السابق ٣ : ٢٤٣ .

١ - المحلى ٣ : ٢٣٦ .

٤ - المصنّف [٢ / ٥٢١ ، ح ٤٢٨٢] .

٣ - غريب الحديث [٣ / ٤١٩] .

٥ - كذا في النسخ بالمهمله ، والصحيح كما يأتي : «الجشر» بالمعجمة .

ومن طريق قتادة عن عياش المخزومي: كتب عثمان إلى بعض عمّاله: «أنّه لا يصلي الركعتين المقيم ولا البادي ولا التاجر، إنّما يصلي الركعتين من معه الزاد والمزاد». وفي لفظ ابن حزم: إنّ عثمان كتب إلى عمّاله: «لا يصلي الركعتين جابٍ ولا تاجر ولا تان^(١)، إنّما يصلي الركعتين...».

وفي لسان العرب:

في حديث عثمان رضي الله عنه أنّه قال: «لا يغرنكم جشركم من صلاتكم فإنما بقصر الصلاة من كان شاخصاً أو يحضره عدوّ». قال أبو عبيد: البشّر القوم يخرجون بدواتهم إلى المرعى، ويبيتون مكانهم ولا يأوون إلى البيوت^(٢). وفي هامش سنن البيهقي^(٣):

شاخصاً: يعني رسولاً في حاجة.

وفي النهاية^(٤):

شاخصاً: أي مسافراً؛ ومنه حديث أبي أيوب: فلم يزل شاخصاً في سبيل الله. قال الأميني: من أين جاء عثمان بهذا القيد في السفر؟ والأحاديث المأثورة في صلاته مطلقات كلّها، كما أوقفناك عليها^(٥). وقبلها عموم قوله تعالى: «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ»^(٦).

ولأبي حنيفة وأصحابه والثوري وأبي ثور في عموم الآية نظر واسع لم يخصّوه

١ - «التناية»: هي الفلاحة والزراعة؛ نهاية ابن الأثير [١٩٩/١].

٢ - سنن البيهقي ٣: ١٣٧؛ المحلى لابن حزم ٥: ١ [مسألة ٥١٣]؛ نهاية ابن الأثير ٢: ٣٢٥ [٢٧٣/١]؛ لسان العرب

٥: ٢٠٧ [٢٨٧/٢]؛ كنز العمال ٤: ٢٣٩ [٢٣٥/٨، ح ٢٢٧٠٤]؛ تاج العروس ٣: ١٠٠؛ و ٤: ٤٠١.

٣ - سنن البيهقي ٣: ١٣٧. ٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر [٤٥١/٢].

٥ - في ص ٢٠٤ - ٢٠٥ من كتابنا هذا. ٦ - النساء: ١٠١.

بالمباح من السفر، بل قالوا بأنه يعمّ سفر المعصية أيضاً كقطع الطريق والبغي^(١).
وليس لحضور العدو أيّ دخل في القصر والإتمام وإنّما الخوف وحضور العدو لهما شأن خاصّ في الصلوات، وأحكام تخصّ بهما، وناموس مقرر لا يعدوهما.
فمقتضى الأدلّة كما ذهبت إليه الأئمة جمعاء: أنّ التاجر والجاني والتاني والجشيرة وغيرهم إذا بلغوا مبلغ السفر فحكمهم القصر، فهم وبقية المسافرين شرع سواء، وإلاّ فهم جميعاً في حكم الحضور يتمّون صلاتهم من دون أيّ فرق بين الأصناف. وليس تفصيل الخليفة إلّا فتوى مجرّدة ورأياً يخصّ به، وتقوّل لا يؤبه له تجاه النصوص النبويّة، وإطباق الصحابة، واتّفاق الأئمة، وتساند الأئمة والعلماء.
وإنّما ذكرناه هنا لإيقافك على مبلغ الرجل من الفقاهاة، أو تسرّعه في الفتيا من غير فحص عن الدليل، أو أنّه عرف الدليل لكنّه لم يكثرث له وقال قولاً أمام قول رسول الله ﷺ.

كناطح صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

- ٤٨ -

رأي الخليفة في رجل طلق امرأته ثمّ

راجعها حين دخلت في الحيضة الثالثة

أخرج البيهقي في السنن الكبرى^(٢) بالإسناد عن أبي عبيدة قال: «أرسل عثمان رضي الله عنه إلى أبيّ يسأله عن رجل طلق امرأته ثمّ راجعها حين دخلت في الحيضة الثالثة. قال أبيّ: إنّني أرى أنّه أحقّ بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة، وتحلّ لها الصلاة. قال: لا أعلم عثمان رضي الله عنه إلّا أخذ بذلك».

١ - كما ذكره ابن حزم في المحلى ٤: ٢٦٤، والجصاص في أحكام القرآن ٢: ٣١٢ [٢٥٥/٢]، وابن رشد في بداية المجتهد ١: ١٦٣ [١٧٢/١] وملك العلماء في البدائع ١: ٩٣، والمنازين في تفسيره ١: ٤١٣ [٣٩٦/١].

٢ - سنن الكبرى ٧: ٤١٧.

قال الأميني: صرح الرواية أن الخليفة كان جاهلاً بهذا الحكم حتى تعلّمه من أبي وأخذ بفتياه. ولا شك أن الذي علّمه هو خير منه؛ فهلاً ترك المقام له أو لمن هو فوقه؟! وفوق كل ذي علم عليم. ولو ترك الأمر لمن لا يسأل غيره في أيّ من مسائل الشريعة لدخل مدينة العلم من بابها.

وحسبك في مبلغ علم الخليفة قول العيني في عمدة القاري^(١):

إنّ عمر كان أعلم وأفقه من عثمان.

وقد أوقفناك على علم عمر، فانظر ماذا ترى؟!

- ٤٩ -

إتخاذ الخليفة الحمى له ولذويه

لقد جعل الإسلام منابت العشب من مساقط الغيث والمروج كلّها شرعاً سواء بين المسلمين إذا لم يكن لها مالك مخصوص؛ كما هو الأصل في المباحات الأصلية من أجواز الفلوات وأطراف البراري؛ فترتع فيها مواشيهم وترعى إبلهم وخيلهم من دون أيّ مزاحمة بينهم، وليس لأيّ أحد أن يحمي لنفسه حمى فيمنع الناس عنه؛ فقال ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلا والماء والنار».

وقال ﷺ: «من منع فضل الماء لينع به فضل الكلا منعه الله فضله يوم القيامة»^(٢).

نعم كان في الجاهلية يحمي الشريف منهم ما يروقه من قطع الأرض لمواشيه وإبله خاصة فلا يشاركه فيه أحد وإن شاركهم هو في مراتعهم، وكان هذا من مظاهر التجبر السائد عندئذ؛ فاكسح رسول الله ﷺ ذلك فيما اكتسحه من عادات الطواغيت وتقاليد

١ - عمدة القاري ٢: ٧٣٣ [٢٠٣/٥].

٢ - توجد هذه الأحاديث في صحيح البخاري ٣: ١١٠ [٨٣٠/٢] ح ٢٢٢٦ و ٢٢٢٧؛ سنن أبي داود ٢: ١٠١

[٢٧٧/٣ و ٢٧٨، ح ٣٤٧٣ و ٣٤٧٧]. سنن ابن ماجه ٢: ٩٤ [٨٢٨/٢] ح ٢٤٧٨.

الجبابة فقال ﷺ: «لا حمى إلّا لله ولرسوله»^(١).

كان هذا الناموس متسالماً عليه بين المسلمين حتّى تقلّد عثمان الخلافة فحمى لنفسه دون إبل الصدقة؛ كما في أنساب البلاذري^(٢)، والسيرة الحليّة^(٣). أو له ولحكم بن أبي العاص؛ كما في رواية الواقدي.

أو لهما ولبنى أميّة كلّهم كما في شرح ابن أبي الحديد^(٤)؛ قال:

حمى عثمان المرعى حول المدينة كلّها من مواشي المسلمين كلّهم إلّا عن بني أميّة.

نقم ذلك المسلمون على الخليفة فيما نقموه عليه، وعدّته عائشة ممّا أنكروه عليه، فقالت: وإنا عتبنا عليه كذا وموضع الغمامة المحماة^(٥)، وضربه بالسوط والعصا، فعمدوا إليه حتّى إذا ماصوه كما يماص الثوب^(٦).

قال ابن منظور في ذيل الحديث:

الناس شركاء فيما سقته السماء من الكلا إذا لم يكن مملوكاً فلذلك عتبوا عليه.

كانت في اتّخاذ الخليفة الحمى جدّة وإعادة لعادات الجاهليّة الأولى التي أزاحها نبيّ الإسلام ﷺ وجعل المسلمين في الكلا مشتركين، وقال: «ثلاثة يبغضهم الله» وعدّ فيهم

١- صحيح البخاري ٣: ١١٣ [٢/٨٣٥، ح ٢٢٤١]؛ الأموال لأبي عبيد: ٢٩٤ [ص ٣٧٢، ح ٧٢٨]؛ كتاب الأمّ للشافعي ٣: ٢٠٧ [٤/٤٧] وفي الأخيرين تفصيلٌ ضافٍ حول المسألة.

٢- الأنساب للبلاذري ٥: ٢٧. ٣- السيرة الحليّة ٢: ٨٧ [٢/٧٨].

٤- شرح نهج البلاغة ١: ٦٧ [١/١٩٩، خطبة ٣].

٥- يسمّى العشب بالغمامة كما يسمّى بالسما. «المحماة»: من أحيت المكان فهو محمى؛ أي جعلته حمى؛ الفائق للزمخشري.

٦- راجع الفائق للزمخشري ٢: ١١٧ [٣/٧٧]؛ نهاية ابن الأثير ١: ٢٩٨؛ ٤: ١٢١ [١/٤٤٧؛ و ٤/٣٧٢]؛ لسان

العرب ٨: ٣٦٣؛ و ٨: ٢١٧ [٣/٣٤٩؛ و ١٣/٢٢٣]؛ تاج العروس ١٠: ٩٩.

من استنّ في الإسلام سنّة الجاهليّة^(١).

وكان حقّاً على الرجل أن يحمي حمى الإسلام قبل حمى الكلا، ويتّخذ ما جاء به الرسول ﷺ سنّة متّبعة ولا يحبي سنّة الجاهليّة؛ «فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا»^(٢). ولكنه...

- ٥٠ -

إقطاع الخليفة فدك لمروان

عدّ ابن قتيبة في المعارف^(٣)، وأبو الفداء في تاريخه^(٤) ممّا نقم الناس على عثمان إقطاعه فدك لمروان وهي صدقة رسول الله. فقال أبو الفداء:

وأقطع مروان بن الحكم فدك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي طلبتها فاطمة

ميراثاً؛ فروى أبو بكر عن رسول الله ﷺ: نحن معاشر الأنبياء لا نُورث، ما

تركناه صدقة. ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز

فانتزعها من أهله وردّها صدقة.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى^(٥) من طريق المغيرة حديثاً في فدك وفيه: «أنّها

أقطعها مروان لما مضى عمر لسبيله. فقال: قال الشيخ: إنّما أقطع مروان فدكاً في أيّام

عثمان بن عفّان رضي الله عنه وكأنّه تأوّل في ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ: «إذا أطعم الله نبياً

طعمة فهي للذي يقوم من بعده، وكان مستغنياً عنها بماله فجعلها لأقربائه ووصل بها

رحمهم...».

١ - بهجة النفوس للحافظ الأزدي ابن أبي جرة [١٩٧/٤].

٢ - فاطر: ٤٢. ٣ - المعارف: ٨٤ [ص ١٩٤ - ١٩٥].

٤ - تاريخ أبي الفداء: ١٦٨. ٥ - سنن الكبرى ٦: ٣٠١.

وقال ابن أبي الحديد في شرحه^(١):

وأقطع عثمان مروان فذك ، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه تارةً بالميراث وتارةً بالنحلة فدفعت عنها .

قال الأميني: أنا لا أعرف كنه هذا الإقطاع وحقيقة هذا العمل فإن فذك إن كانت

فيئاً للمسلمين - كما ادّعاء أبو بكر - فما وجه تخصيصه بمروان؟!

وإن كانت ميراثاً لآل رسول الله ﷺ كما احتجّت له الصديقة الطاهرة في خطبتها ،

واحتجّ له أئمة الهدى من العترة الطاهرة وفي مقدّمهم سيّدهم أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام ، فليس مروان منهم ، ولا كان للخليفة فيه رفع ووضع .

وإن كانت نحلة من رسول الله ﷺ لبضعتها الطاهرة فاطمة المعصومة صلوات الله

عليها - كما ادّعته وشهد لها أمير المؤمنين وإبناها الإمامان السبطان وأمّ أيمن المشهود لها بالجنة فردّت شهادتهم بما لا يرضي الله ولا رسوله ، وإذا رُدّت شهادة أهل آية التطهير

فبأيّ شيء يُعتمد^(٢)؟ وعلى أيّ حجة يُعول؟

إن دام هذا ولم يحدث به غيرٌ لم يُبك ميتٌ ولم يُفرح بمولودٍ

- فأيّ مساس بها لمروان؟! وأيُّ سلطة عليها لعثمان حتى يُقطعها لأحد؟!

ولقد تضاربت أعمال الخلفاء الثلاثة في أمر فذك فانتزعها أبو بكر من أهل البيت ،

وردّها عمر إليهم ، وأقطعها عثمان لمروان ، ثم كان فيها ما كان في أدوار المستحوذيين على

الأمر منذ عهد معاوية وهلمّ جرّاً فكانت تؤخذ وتعطى ، ويفعلون بها ما يفعلون بقضاء

من الشهوات^(٣) .

١ - شرح نهج البلاغة ١: ٦٧ [١/١٩٨ - ١٩٩ ، خطبة ٣] .

٢ - [ضمّن بُيِّنَ «يُعتمد» معنى «يوثق»] .

٣ - راجع فتوح البلدان للبلاذري: ٣٩ - ٤١ [٤٦ - ٤٧] ؛ تاريخ يعقوبي ٣: ٤٨ [٢/٣٠٥] ؛ شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد ٤: ١٠٣ [١٦/٢٧٨ ، كتاب ٤٥] ، [أنظر العدير ٧/٢٦٣ - ٢٦٦] .

- ٥١ -

رأي الخليفة في الأموال والصدقات

لم تكن فذك ببدع من سائر الأموال من الفء والغنائم والصدقات عند الخليفة بل كان له رأي حُرٌّ فيها وفي مستحقَّيها، كان يرى المال مال الله، ويحسب نفسه وليّ المسلمين، فيضعه حيث يشاء ويفعل فيه ما يريد؛ فقام كما قال مولانا أمير المؤمنين: «نافجاً حضنيه بين نثيله ومُعتلفه، وقام معه بنو أبيه يَخْضَمون مال الله خَضْمَة الإبل نبتة الربيع»^(١).

كان يصل رحمه بال يستوي فيه المسلمون كلّهم، ولكلّ فرد من الملأ الدينيّ منه حقّ معلوم للسائل والمحروم، لا يسوغ في شرعة الحقّ وناموس الإسلام المقدّس حرمان أحد من نصيبه وإعطاء حقّه لغيره من دون مرضاته.

جاء عن رسول الله ﷺ في الغنائم: «لله خمسة وأربعة أخماس للجيش، وما أحد أولى به من أحد، ولا السهم تستخرجه من جنبك، ليس أنت أحقّ به من أخيك المسلم»^(٢).

وكان ﷺ إذا جاءه فيء قسّمه من يومه فأعطى ذا الأهل حظّين، وأعطى العزب حظّاً^(٣).

والسنّة الثابتة في الصدقات أنّ أهل كلّ بيئة أحقّ بصدقّتهم ما دام فيهم ذو حاجة. وليس الولاية على الصدقات للجباية وحملها إلى عاصمة الخلافة وإنّما هي للأخذ من الأغنياء والصرف في فقراء محالّها.

وقد ورد في وصيّة رسول الله ﷺ معاذاً حين بعثه إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام

١ - نهج البلاغة ١: ٢٥ [ص ٤٩، خطبة ٣]. ٢ - سنن البيهقي [٣٢٤/٦ و ٣٢٦].

٣ - سنن أبي داود ٢: ٢٥ [١٣٦/٣، ح ٢٩٥٣]؛ مسند أحمد ٦: ٢٩ [٤٥/٧، ح ٢٣٤٨٤]؛ سنن البيهقي ٦: ٣٤٦.

والصلاة أنه قال: «فإذا أقرؤا لك بذلك فقل لهم: إن الله قد فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فتردّ في فقرائكم»^(١).

ومن كتاب لمولانا أمير المؤمنين إلى قثم بن العباس يوم كان عامله على مكة: «وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع الفاقة والخلاّت، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسّمه فيمن قبلنا»^(٢).

وقال الإمام لعبدالله بن زمعة لما قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً: «إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم؛ فإن شَرَكْتُهُمْ في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلاّ فجنة»^(٣) أيديهم لا تكون لغير أفواههم»^(٤).

وأتى عليّاً أمير المؤمنين مال من إصبهان فقسّمه بسبعة أسباع ففضل رغيف فكسره بسبع [كسراً]^(٥) فوضع على كلّ جزء كسرة ثمّ أقرع بين الناس أيّهم يأخذ أوّل^(٦).

وقبل هذه كلّها سنّة الله في الذكر الحكيم حول الأموال مثل قوله تعالى:

١- «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ»^(٧).

٢- «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ

وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^(٨).

١- صحيح البخاري ٢١٥:٣ [٢/٥٠٥، ح ١٣٣١]. ٢- نهج البلاغة ٢: ١٢٨ [ص ٤٥٧، كتاب ٦٧].

٣- [«الجنة»: ما يجنى من الشجر، أي يُقطف]. ٤- نهج البلاغة: ٤٦١١ [ص ٣٥٣، رقم ٢٣٢].

٥- من المصدر. ٦- سنن البيهقي [٣٤٨/٦].

٧- الأنفال: ٤١. ٨- التوبة: ٦٠.

٣- ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١).

هذه سنة الله وسنة نبيه غير أن الخليفة عثمان نسي ما في الكتاب العزيز، وشذَّ عما جاء به النبي الأقدس في الأموال، وخالف سيرة من سبقه، وتزحزح عن العدل والنصفة، وقَدَّم أبناء بيته الساقط، أثمار الشجرة الملعونة في كتاب الله، رجال العيث والعبث، والخمور والفجور، من فاسق إلى لعين، إلى حلاف مهين هُمَّاز مشاء بنميم، وفضلهم على أعضاء الصحابة وعظماء الأمة الصالحين، وكان يهب من مال المسلمين لأحد من قرابته قناطير مقنطرة من الذهب والفضة من دون أي كيل ووزن، ويؤثرهم على من سواهم كائناً من كان من ذي قربى رسول الله ﷺ وغيرهم!

ولم يكن يجرو أحد عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما كان يرى سيرته الخسنة مع أولئك القائمين بذلك الواجب، ويشاهد فيهم من الهتك والتغريب والضرب بدرّة كانت أشد من الدرّة العمرية^(٢) مشفوعة بالسوط والعصا^(٣)؛ وإليك نبذة من سيرة الخليفة في الأموال:

- ٥٢ -

أيادي الخليفة عند الحكم بن أبي العاص

إيواء لعين رسول الله ﷺ وطريده!!

أعطى صدقات قضاة الحكم بن أبي العاص عمّه، طريد النبي بعد ما قرّبه وأدناه، وألبسه يوم قدم المدينة وعليه فزر^(٤) خلق وهو يسوق تيساً والناس ينظرون إلى سوء

١- الحشر: ٦ و ٧. ٢- راجع محاضرة الأوائل للكتوراري: ١٦٩.

٣- يأتي حديثه مُعَيَّد هذا.

٤- من فزر الثوب: انشقّ وتقطع وبلي.

حاله وحال من معه، حتى دخل دار الخليفة ثم خرج وعليه جبة خزّ وطيلسان^(١). وقال البلاذري في الأنساب^(٢) رواية عن ابن عباس أنه قال: «كان ممّا أنكروا على عثمان أنه ولّى الحكم ابن أبي العاص صدقات قضاة^(٣)؛ فبلغت ثلاث مئة ألف درهم فوهبها له حين أتاه بها».

وعن عبدالرحمن بن يسار قال: «رأيتُ عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاهها عثمان، فقال له: إُدفعها إلى الحكم بن أبي العاص. وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال. فجعل يدافعه ويقول له: يكون فنعطيك إنشاء الله؛ فألح عليه؛ فقال: إنما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله ما أنا لك بخازنٍ ولا لأهل بيتك إنما أنا خازن المسلمين، وجاء بالمفاتيح يوم الجمعة وعثمان يخطب فقال: أيها الناس زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته وإنما كنتُ خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم، ورمى بها فأخذها ودفعها إلى زيد بن ثابت^(٤)».

قال الأُميني: يُروى نظير هذه القضية كما يأتي لزيد بن أرقم وعبدالله بن مسعود، ولعلّ هذه وقعت لغيرهم من الولاة على الصدقات أيضاً؛ والله العالم.

الحَكَم وما أدراك ما الحَكَم؟!

كان خصّاء يخصي الغنم^(٥)، أحد جيران رسول الله ﷺ بمكة، من أولئك الأشداء عليه ﷺ المبالغين في إيذائه شاكلة أبي هُب؛ كما قاله ابن هشام في سيرته^(٦). وأخرج الطبراني^(٧) من حديث عبدالرحمن بن أبي بكر قال: «كان الحكم يجلس

٢- الأنساب للبلاذري ٥: ٢٨.

١- تاريخ يعقوبي ٢: ٤١ [١٦٤/٢].

٤- تاريخ يعقوبي ٢: ١٤٥ [١٦٨/٢].

٣- أبو حيّ بالبن.

٦- السيرة النبوية ٢: ٢٥ [٥٧/٢].

٥- حياة الحيوان للدميري ١: ١٩٤ [٢٧٦/١].

٧- المعجم الكبير [٢/٢١٤، ح ٣١٦٧].

عند النبي ﷺ فإذا تكلم اختلج؛ فبصر به النبي ﷺ فقال: «كن^(١) كذلك» فما زال يختلج حتى مات.

وفي لفظ مالك بن دينار: «مرّ النبي ﷺ بالحكم فجعل الحكم يغمز النبي ﷺ بإصبعه؛ فالتفت فرآه فقال: «اللهم اجعل به وزغاً»^(٢)؛ فرجف مكانه وارتعش». وزاد الحلبي: «بعد أن مكث شهراً مغشياً عليه»^(٣).

روى البلاذري في الأنساب^(٤): «إنّ الحكم بن أبي العاص كان جاراً لرسول الله ﷺ في الجاهلية وكان أشدّ جيرانه أذىً له في الإسلام، وكان قدومه المدينة بعد فتح مكة وكان مغموصاً عليه في دينه، فكان يمرّ خلف رسول الله ﷺ فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه، وإذا صلى قام خلفه فأشار بأصابعه، فبقي على تخليجه وأصابته خيلة. واطّلع على رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في بعض حجر نسائه فعرفه وخرج إليه بعنزة^(٥) وقال: «من عذيري من هذا الوزغة اللعين؟». ثمّ قال: لا يساكنني ولا ولده فغزّبهم جميعاً إلى الطائف. فلما قبض رسول الله ﷺ كلم عثمان أبا بكر فيهم وسأله ردّهم فأبى ذلك وقال: ما كنت لأوي طرداء رسول الله ﷺ. ثمّ لما استخلف عمر كلمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر. فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال: قد كنتُ كلّمتُ رسول الله فيهم وسألته ردّهم فوعدني أن يأذن لهم فقبض قبل ذلك. فأنكر المسلمون عليه إدخاله إياهم المدينة.

١ - [كذا في الإصابة، وفي المعجم الكبير: «أنت»].

٢ - «الوزغ»: الارتعاش والرعدة.

٣ - الإصابة ١: ٣٤٥ و ٣٤٦ [رقم ١٧٨١]؛ السيرة الحلبية ١: ٣٣٧ [٣١٧/١]؛ الفائق للزنجشيري ٢: ٣٠٥

[٥٧/٤ - ٥٨]؛ تاج العروس ٦: ٣٥؛ وانظر أيضاً: المستدرک علی الصحيحین [٦٧٨/٣، ح ٤٢٤١]؛ دلائل

النبوة [٢٣٩/٦ و ٢٤٠].

٤ - الأنساب للبلاذري ٥: ٢٧.

٥ - «العنزة»: عصاً في قدر نصف الرمح أو أكثر، فيها سنان مثل سنان الرمح.

وقال الواقدي: ومات الحكم بن أبي العاص بالمدينة في خلافة عثمان فصلى عليه وضرب على قبره فسطاطاً.

وعن سعيد بن المسيب قال: خطب عثمان فأمر بذبح الحمام وقال: إن الحمام قد كثّر في بيوتكم حتى كثّر الرمي ونالنا بعضه؛ فقال الناس: يأمر بذبح الحمام وقد آوى طرداء رسول الله ﷺ.

وروى البلاذري في الأنساب^(١)، والحاكم في المستدرك^(٢) وصححه والواقدي كما في السيرة الحلبية^(٣) بالإسناد عن عمرو بن مرّة قال: «إستأذن الحكم على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال: «ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم، ذوو مكر وخديعة يُعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق»^(٤).

الحكم في القرآن:

أخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي: «إن رسول الله ﷺ أصبح وهو مهموم فقيل: مالك يا رسول الله؟ فقال: إني أريت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا. فقيل: يا رسول الله! لا تهتمّ فإنها دنيا تنالهم؛ فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ أَلَتِي...﴾^(٥).

وأخرج الطبري والقرطبي وغيرهما من طريق سهل بن سعد قال: «رأى رسول

١- الأنساب للبلاذري ٥: ١٢٦.

٢- المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٨١ [٤/٥٢٨، ح ٨٤٨٤].

٣- السيرة الحلبية ١: ٣٣٧ [١/٣١٧].

٤- وذكره الدميري في حياة الحيوان ٢: ٢٩٩ [٢/٤٢٢]، وابن حجر في الصواعق: ١٠٨ [ص ١٨١]؛ والسيوطي

في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٦: ٩٠ [كنز العمال ١١/٣٥٧، ح ٣١٧٢٩].

٥- الإسراء: ٦٠.

الله ﷻ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك؛ فما استجمع ضاحكاً حتى مات، وأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا آلَ رِيٍّ آلَ تِيٍّ أَرْثَاكَ...﴾.

وروى القرطبي والنيسابوري عن ابن عباس: «أن الشجرة الملعونة هو بنو أمية»^(١).

قال الآلوسي^(٢):

ومعنى جعل ذلك فتنة للناس جعله بلاءً لهم ومختبراً، وبذلك فسره ابن المسيب. وكان هذا بالنسبة إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا، وعدلوا عن سنن الحق وما عدلوا وما بعده بالنسبة إلى ما عدا خلفاءهم منهم ممن كان عندهم عاملاً وللخبائث عاملاً، أو ممن كان أعوانهم كيف ما كان. ويحتمل أن يكون المراد: ما جعلنا خلافتهم وما جعلنا أنفسهم إلا فتنة. وفيه من المبالغة في ذمهم ما فيه. وجعل ضمير نخوفهم على هذا لما كان له أولاً أو للشجرة باعتبار أن المراد بها بنو أمية. ولعنهم لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة، والفروج المحصنة، وأخذ الأموال من غير حلها، ومنع الحقوق عن أهلها. وتبديل الأحكام، والحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام، إلى غير ذلك من القبائح العظام والمخازي الجسام التي لا تكاد تُنسى ما دامت الليالي والأيام. وجاء لعنهم في القرآن إما على الخصوص كما زعمته الشيعة، أو على العموم كما نقول؛ فقد قال سبحانه

١- مصادر ما رويناه: جامع البيان ١٥: ٧٧ [مج ٩/ج ١٥/١١٢ - ١١٣]؛ تاريخ الأمم والملوك ١١: ٣٥٦

[١٠/٥٨، حوادث سنة ٢٨٤ هـ]؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٨ [٤/٥٢٧، ح ٨٤٨١]؛ الجامع لأحكام

القرآن ١٠: ٢٨٣ و ٢٨٦ [١٠/١٨٣ - ١٨٥]؛ تاريخ خطيب ٨: ٢٨؛ ٩: ٤٤؛ الخصائص الكبرى للسيوطي ٢:

١١٨ [٢/٢٠٠]؛ الدر المنثور: ٢٣١ [٥/٣٠٩]؛ كنز العمال ٦: ٩٠ [١١/٣٥٨، ح ٣١٧٣٦].

٢- تفسير الآلوسي ١٥: ١٠٧.

وتعالى : «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١) .
وقال عز وجل : «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ
* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ»^(٢) ، إلى آيات أخر .
ودخولهم في عموم ذلك يكاد يكون دخولاً أولياً . . .

نظرة في كلمتين:

١ - قال الطبري بعد روايته حديث الرؤيا : «لا يدخل في هذا الرؤيا عثمان ولا عمر بن عبدالعزيز ولا معاوية» .

لا يهمننا بسط القول حول هذا التخصيص ، ولا ننسب ببنت شفة في تعميم العموم الوارد في الأحاديث المذكورة وأمثالها الواردة في بني أمية عامة وفي بني أبي العاص جد عثمان خاصة ؛ من قوله ﷺ في الصحيح من طريق أبي سعيد الخدري : «إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ مِنْ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قِتْلًا وَتَشْرِيدًا ، وَإِنَّ أَشَدَّ قَوْمَنَا لَنَا بَغْضًا بَنُو أُمِّيَّةَ وَبَنُو الْمَغِيرَةِ وَبَنُو مَخْزُومٍ»^(٣) .

وقوله ﷺ من طريق أبي ذر : «إِذَا بَلَغْتَ بَنُو أُمِّيَّةَ أَرْبَعِينَ اتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوْلًا ، وَمَالَ اللَّهِ نَحْلًا»^(٤) ، وكتاب الله دغلاً»^(٥) .

وقوله ﷺ من طريق أبي ذر : «إِذَا بَلَغَ بَنُو أَبِي الْعَاصِ ثَلَاثِينَ رَجُلًا اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ دَوْلًا ، وَعِبَادَ اللَّهِ خَوْلًا ، وَدِينَ اللَّهِ دَغْلًا» . قال حلام بن جفال^(٦) : فَأُنْكَرَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ ؛

١ - الأحزاب : ٥٧ . ٢ - محمد : ٢٢ و ٢٣ .

٣ - مستدرک الحاكم ٤ : ٤٨٧ [٤ / ٥٣٤ ، ح ٨٥٠٠] ، وصححه .

٤ - [في كنز العمال : «دغلاً»] .

٥ - مستدرک الحاكم ٤ : ٤٧٩ [٤ / ٥٢٦ ، ح ٨٤٧٦] ، وأخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال ٦ : ٣٩ [١١ / ١٦٥ ،

ح ٣١٠٥٨] .

٦ - [في المستدرک : «حلام بن جذل» ، وفي شرح النهج ٨ / ٢٥٧ : «جلام بن جندل»] .

فشهد علي بن أبي طالب عليه السلام: «إني سمعتُ رسول الله يقول: ما أظَلَّت الحُضراء ولا أقلتُ الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرٍّ، وأشهد أن رسول الله ﷺ قاله».

أخرجه الحاكم من عدة طرق وصحّحه هو والذهبي كما في المستدرک^(١).

وذكر ابن حجر في تطهير الجنان^(٢) هامش الصواعق بسند حسن: «أن مروان دخل على معاوية في حاجة وقال: إن مؤنثي عظيمة أصبحت أبا عشرة، وأخا عشرة، وعم عشرة، ثم ذهب. فقال معاوية لابن عباس وكان جالساً معه على سريريه: أنشدك بالله يا ابن عباس! أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «إذا بلغ بنو أبي الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا آيات الله بينهم دولاً، وعباد الله خولاً، وكتابه دخلاً؛ فإذا بلغوا سبعة وأربعمئة كان هلاكهم أسرع من كذا»؟ قال: اللهم نعم».

وقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية»^(٣).

فالحكم في هذه العمومات ولا سيما بعد ملاحظة ما أثبتته السير ومدونات التاريخ وغيرها، وبعد الإحاطة بأحوال الرجال وما ارتكبوه وما ارتكبوا فيه، أنت ووجدانك أيها القارئ الكريم.

٢- قال ابن حجر في الصواعق^(٤):

قال ابن ظفر: وكان الحكم هذا يُرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل؛ كذا ذكره الدميري في حياة الحيوان^(٥).

ولعنته ﷺ للحكم وابنه لا تضرهما؛ لأنه ﷺ تدارك ذلك بقوله ممّا بيّنه في الحديث الآخر: «إنه بشرٌ يغضب كما يغضب البشر، وإنه سأل ربه أن من سبه

١- المستدرک على الصحيحين ٤: ٤٨٠ [٥٢٧/٤، ح ٨٤٧٨].

٢- تطهير الجنان: ١٤٧ [ص ٦٤، وفيه: «دغلان»، بدلاً من: «دخلاً»].

٣- كنز العمال ٦: ٩١ [٣٦٤/١١، ح ٣١٧٥٥].

٤- مرّ هذا الكلام والجواب عنه في ص ٧٧-٧٩ من كتابنا هذا.

٥- حياة الحيوان [٤٢٢/٢].

أو لعنه أو دعا عليه أن يكون [ذلك] ^(١) رحمةً وزكاةً وكفارةً وطهارةً . وما نقله
الدميري عن ابن ظفر في أبي جهل لا تأويل عليه فيه بخلافه في الحَكَم فإنه
صحابي ، وقبيح أي قبيح أن يُرمى صحابي بذلك ؛ فليحمل على أنه إن صحَّ
ذلك كان يُرمى به قبل الإسلام .

المسألة:

هلمَّ معي نسائل الخليفة في إيواء لعين رسول الله ﷺ وطريده - الحَكَم -
وبسمع منه ومرأى نزول القرآن فيه واللعن المتواصل من مصدر النبوة
عليه وعلى من تناسل منه عدا المؤمنين ، وقليل ما هم ، ما هو المبرر لعمله
هذا وردّه إلى مدينة الرسول ، وقد طرده ﷺ وأبناءه منها تنزيهاً لها من
تلكم الأرجاس والأدناس الأموية؟!
وقد سأل أبا بكر وبعده عمر أن يردّاه ؛ فقال كلٌّ منهما : « لا أحلُّ عقدة
عقدها رسول الله ﷺ » ^(٢) .

وقال الحلبي في السيرة ^(٣) :

كان يقال له : طريدُ رسول الله ﷺ ولعينُهُ . وقد كان ﷺ طرده إلى الطائف
ومكث به مدة رسول الله ﷺ ومدة أبي بكر بعد أن سأله عثمان في إدخاله
المدينة فأبى . فقال له عثمان : عمي . فقال : « عمك إلى النار ، هيهات هيهات
أن أُعَبِّرَ شيئاً فعله رسول الله ﷺ ، والله لا رددتُه أبداً » . فلما توفي أبو بكر وولي
عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له : « ويحك يا عثمان ! تتكلم في لعين رسول

١ - [من المصدر] .

٢ - الأنساب للبلاذري ٥ : ٢٧ ؛ الرياض النضرة ٢ : ١٤٣ [٨٠/٣] ؛ أسد الغابة ٢ : ٣٥ [٣٨/٢] ، رقم [١٢١٧] .

السيرة الحلبيّة ١ : ٣٣٧ [٣١٧/١] ؛ الإصابة ١ : ٣٤٥ [رقم ١٧١٨] .

٣ - السيرة الحلبيّة ٢ : ٥٨ [٧٦/٢ - ٧٧] .

الله ﷺ وطريده وعدّو الله وعدّو رسوله؟! فلما ولي عثمان رده إلى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة ، فكان ذلك من أكبر الأسباب على القيام عليه .

ألم تكن لل خليفة أسوة في رسول الله ، والله يقول : «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا»^(١)؟!

أو كان قومه وحامته أحب إليه من الله ورسوله ، وبين يديه الذكر الحكيم : «قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ»^(٢)؟!

ثم ما هو المبرر لتخصيص الرجل بتلك المنحة الجزيلة من حقوق المسلمين وأعطياتهم ، بعد تأمينه على أخذ الصدقات المشروط فيه الثقة والأمانة ، واللعين لا يكون ثقة ولا أميناً؟!

وإعطاء الصدقات لأولئك الأمراء من أظهر مصاديق الإعانة على الإثم والعدوان والله تعالى يقول : «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ»^(٣) .

ثم الخليفة يدّعي^(٤) أن رسول الله ﷺ وعده ردّ الحكم بعد أن فاضله في ذلك ، إن كان هذا الوعد صحيحاً فلم لم يعلم به أحدٌ غيره ، ولا عرفه الشيخان؟! وهلا رواه لهما حين كلمهما في رده فجباه بما عرفت؟! أو أنّهما لم يثقا بتلك الرواية؟

١- الأحزاب : ٢١ .

٢- التوبة : ٢٤ .

٣- المائدة : ٢ .

٤- الأنساب للبلاذري ٥ : ٢٧ ؛ الرياض النضرة ٢ : ١٤٣ [٨٠/٣] ، مرآة الجنان لليافعي ١ : ٨٥ ؛ الصواعق : ٦٨

[ص ١١٣] ؛ السيرة الحلبية ٢ : ٨٦ [٧٧/٢] .

وللخليفة معذرة أخرى، قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد^(١):

لَمَّا رَدَّ عَثْمَانُ الْحَكَمَ طَرِيدَ النَّبِيِّ ﷺ وَطَرِيدَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ تَكَلَّمَ
النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ عَثْمَانُ: مَا يَنْقُمُ النَّاسُ مِنِّي؟! إِنِّي وَصَلْتُ رَحِمًا وَقَرَّبْتُ
عَيْنًا.

ونحن لا نخدش العواطف بتحليل كلمة الخليفة هذه، ولا نفصل القول في مغزاها
وإنما نمرُّ به كراماً. وأنت إذا عرفت الحكم وما ولد، فعلمت أن ردّهم إلى المدينة المشرفة
وتولّيهم على الأمور، وتسليطهم على ناموس الإسلام، واتّخاذ الحمى لهم كما مرّ، جناية
كبيرة على الأمة لا تُغتفر، ولا تقرّ بها قطّ عين.

- ٥٣ -

أيادي الخليفة عند مروان

يُعْطَى سَهْمُ ذَوِي قُرْبَى الرَّسُولِ ﷺ لَطَرِيدِهِ وَلَعِينِهِ!!

أعطى مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن عمّه وصهره من ابنته أمّ أبان خمس
غنائم إفريقية وهو خمسمئة ألف دينار^(٢).

وروى البلاذري وابن سعد: «أنّ عثمان كتب لمروان بخمس مصر وأعطى أقرباءه
المال، وتأوّل في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتّخذ الأموال واستسلف من بيت المال
وقال: إنّ أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإنّي أخذته فقسمته في أقربائي؛ فأنكر
الناس عليه ذلك»^(٣).

١- العقد الفريد ٢: ٢٧٢ [١١٨/٤].

٢- أنظر ما رواه ابن قتيبة في المعارف: ٨٤ [ص ١٩٥]؛ وأبو الفداء في تاريخه ١: ١٦٨.

٣- طبقات ابن سعد ٣: ٤٤ طبع ليدن [٦٤/٣]؛ الأنساب للبلاذري ٥: ٢٥.

وأخرج البلاذري في الأنساب^(١) من طريق الواقدي عن أم بكر بنت المسور قالت:

لمّا بنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه وكان المسور فيمن دعا.

فقال مروان وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين

درهماً فما فوقه. فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت لكان خيراً لك، لقد

غزوت معنا إفريقية وإنك لأفلنا مالاً ورفيقاً وأعواناً وأخفنا ثقلأً، فأعطاك ابن

عقّان خمس إفريقية وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين.

فشكاه مروان إلى عروة وقال: يغلظ لي وأنا له مكرم متّي.

وقال الحلبي في السيرة^(٢):

وكان من جملة ما انتقم به علي عثمان رضي الله عنه أنّه أعطى ابن عمّه مروان بن

الحكم مئة ألف وخمسين أوقية.

مروان وما مروان؟!

مرّ^(٣) ما صحّ من لعن رسول الله ﷺ على أبيه وعلى من يخرج من صلبه. ويأتي^(٤)

ما صحّ من قول عائشة لمروان: «لعن رسول الله ﷺ أباك فأنت فضض من لعنة الله».

وأخرج الحاكم في المستدرك^(٥) من طريق عبد الرحمن بن عوف وصحّحه أنّه قال:

كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلاّ أتى به إلى النبي ﷺ [فدعاه له] فأدخل عليه مروان بن

الحكم فقال: «هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون».

١- الأنساب للبلاذري ٥: ٢٨. ٢- السيرة الحلبية ٢: ٧٨ [٧٨/٢].

٣- في ص ٢٤١ من كتابنا هذا. ٤- في ص ٧١٤ من الكتاب.

٥- المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٧٩ [٥٢٦/٤]، ح ٨٤٧٧. وما بين المعقوفين منه]. وذكره الدميري في حياة

الحیوان ٢: ٣٩٩ [٤٢٢/٢]؛ وابن حجر في الصواعق: ١٠٨ [ص ١٨١]؛ والحلي في السيرة ١: ٣٣٧

[٣١٧/١].

ولعلّ معاوية أشار إليه بقوله لمروان: «يابن الوزغ لست هناك»^(١).
وأخرج ابن النجيب من طريق جبير بن مطعم قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فمرّ
الحكم بن أبي العاص فقال النبي ﷺ: «ويل لأمتي ممّا في صلب هذا»^(٢).
وفي شرح ابن أبي الحديد^(٣) نقلاً عن الاستيعاب^(٤):
نظر عليّ عليه السلام يوماً إلى مروان فقال له: «ويل لك وويل لأمة محمد منك ومن
بيتك إذا شاب صدغاك».
قال البلاذري في الأنساب^(٥):
كان مروان يلقّب خيط باطل^(٦)؛ لدقّته وطوله شبه الخيط الأبيض الذي يرى
في الشمس.

إنّ الذي يستشفّه المنقّب من سيرة مروان وأعماله أنّه ما كان يقيم لنواميس الدين
الحنيف وزناً، وإنّما كان يلحظها كسياسات زمنيّة فلا يبالي بإبطال شيء منها، أو تبديله
إلى آخر حسب ما تقتضيه ظروفه وتستدعيه أحواله؛ وإليك من شواهد ذلك عظام،
وعليها فقس ما لم نذكره:

١ - أخرج البخاري^(٧) من طريق أبي سعيد الخدري قال: «خرجتُ مع مروان
وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلّى إذا منبر بناء كثير بن الصلت، فإذا
مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصليّ، فجبذتُ ثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل
الصلاة. فقلت له: غيرتم والله. فقال: أباسعيد! قد ذهب ما تعلم. فقلتُ: ما أعلم والله

١ - فيما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢: ٥٦ [١٥٥/٦]، خطبة ٧٢.

٢ - أسد الغابة ٢: ٢٤ [٣٧/٢]، رقم ١٢١٧؛ الإصابة ١: ٣٤٦ [رقم ١٧٨١]؛ السيرة الحلبية ١: ٢٣٧ [٣١٧/١]؛

٣ - شرح نهج البلاغة ٢: ٥٥ [١٥٠/٦]، خطبة ٧٢. كنز العمال ٦: ٤٠ [١٦٧/١١]، ح ٣١٠٦٦.

٤ - الاستيعاب [ص ١٣٨٨، رقم ٢٣٧٠]. ٥ - الأنساب للبلاذري ٥: ١٢٦.

٦ - أنظر ثمار القلوب [ص ٧٦، رقم ١٠٣]. ٧ - صحيح البخاري [١/٣٢٦، ح ٩١٣].

خير مما لا أعلم. فقال: إنَّ الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة».

أترى مروان كيف يغيّر السنّة؟! وكيف يفوه ملء فيه بما لا يسوغ لمسلم أن يتكلّم به؟!

نعم، كان لمروان في المقام ملحوظتان: الأولى اقتصاصه أثر ابن عمّه عثمان، والآخر أنّه كان يقع في الخطبة في مولانا أمير المؤمنين ﷺ ويسبّه ويلعنه فتتفرّق عنه الناس لذلك، فقدّمها على الصلاة لئلاّ يجفلوا فيسمعوا العظام ويصيخوا إلى ما يلفظ به من كبائر وموبقات؛ راجع تفصيلاً أسلفناه^(١).

ويستظهر ممّا سبق^(٢) من كلام عبد الله بن الزبير: «كلُّ سنن رسول الله ﷺ قد غيّرت حتّى الصلاة»: إنّ تسرّب التغيير ولعب الأهواء بالسنن لم يكن مقصوراً على الخطبة قبل الصلاة فحسب، وإنّما تطرّق ذلك إلى كثير من الأحكام.

٢- سبّه لمولانا أمير المؤمنين عليّ ﷺ. وكان الرجل كما قال أسامة بن زيد فاحشاً متفحّشاً^(٣).

الحجر الأساسيّ في ذلك هو عثمان جرّاً الوزغ اللعين على أمير المؤمنين يوم قال له: أقد مروان من نفسك. قال ﷺ: «مّمّ ذاك؟» قال: من شتمه وجذب راحلته. وقال له: لم لا يشتمك؟ كأنّك خير منه!^(٤)

وعلاه معاوية بكلّ ما عنده من حول وطول، لكن مروان تبعه شرّاً متابعة، ولم يأل جهداً في تثبيت ذلك كلّما أقلّته صهوة المنبر، أو وقف على منصّة خطابة. ولم يزل مجدّداً في ذلك وحاضاً عليه حتّى عاد مطّرداً بعد كلّ جمعة وجماعة في أيّ حاضرة يتولّى أمرها،

١- في ص ٢٢٢ - ٢٢٧ من كتابنا هذا. ٢- في ص ٢٢٦ من الكتاب.

٣- الاستيعاب في ترجمة أسامة [القسم الأول/ ٧٧، رقم ٢١].

٤- يأتي حديثه تفصيلاً في قصّة أبي ذر إن شاء الله تعالى.

وبين عمّاله يوم تولى خلافة هي كلعقة الكلب أنفه تسعة أشهر كما وصفها مولانا أمير المؤمنين. ولم تكن هذه السيرة السيئة إلا لسياسة وقتية.

وقد أعرب عمّا في سريره بقوله، فيما أخرجه الدارقطني من طريقه عنه، قال: «ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ». ف قيل له: مالكم تسبّونه على المنابر؟ قال: «إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك»^(١).

ولم يختلف من المسلمين اثنان في أنّ سبّ الإمام ولعنه من الموبقات. وإذا صحّ ما قاله ابن معين^(٢) كما حكاه عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٣) من: «أنّ كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، فما قيمة مروان عندئذٍ؟!

ونحن مهما تنازلنا فإنّا لا نتنازل عن أنّ مولانا أمير المؤمنين كأحد الصحابة الذين يشملهم حكم كلّ من سبّهم ولعنهم؛ فكيف، ونحن نرى أنّه ﷺ سيّد الصحابة على الإطلاق، وسيّد الأوصياء، وسيّد من مضى ومن غبر عدا ابن عمّه ﷺ وهو نفس النبيّ الأقدس بنصّ الذكر الحكيم؟! فلعله وسبّه لعنه وسبّه وقد قال ﷺ: «من سبّ عليّاً فقد سبني ومن سبني فقد سبّ الله»^(٤).

وكان مروان يتربّص الدوائر على آل بيت العصمة والقداسة، ويغتني الفرص في إيذائهم. قال ابن عساكر في تاريخه^(٥):

أبى مروان أن يُدفن الحسن في حجرة رسول الله ﷺ وقال: ما كنت لأدع ابن

١ - الصواعق لابن حجر: ٣٣ [ص ٥٥].

٢ - التاريخ [٦٦/٢].

٣ - تهذيب التهذيب ١: ٥٠٩ [٤٤٧/١].

٤ - مستدرک الحاكم ٣: ١٢١ [١٣١/٣ ح ٤٦١٦]، مسند أحمد ٦: ٢٢٣ [٤٥٥/٧ ح ٢٦٢٠٨]، وسيوافيك تفصيل طرقه.

٥ - تاريخ مدينة دمشق ٤: ٢٧ [٢٨٧/١٣]، وفي مختصر تاريخ دمشق [٤١/٧].

أبي تراب يُدفن مع رسول الله وقد دفن عثمان بالبقيع . ومروان يومئذٍ معزولٌ
يريد أن يرضي معاوية بذلك ؛ فلم يزل عدواً لبني هاشم حتى مات .

أي خليفة هذا يُجلب رضاه بإيذاء عترة رسول الله؟! ومن أولى بالدفن في الحجرة
الشريفة من السبط الحسن الزكي؟! وبأي كتاب وبأيّة سنّة وبأي حقّ ثابت كان لعثمان
أن يدفن فيها؟!

هذا مروان:

فهلّمّ معي إلى الخليفة نستحفيه الخبر عن هذا الوزغ اللعين في صلب أبيه وبعد
مولده بماذا استباح إيواؤه وتأمينه على الصدقات والطمأنينة به في المشورة في الصالح
العام؟! ولم استكتبه وضعه إليه فاستولى عليه^(١) ونَصَبُ عينيه ما لهج به النبي
الأعظم ﷺ؟!

ومن واجب الخليفة تقديم الصلحاء من المؤمنين وإكبارهم شكراً لأعمالهم
لا الاحتفال بأهل المجانة والخلاعة كمروان .

وهب أن الخليفة تأوّل وأخطأ لكأنه ما هذا التبسّط إليه بكّله وتقريبه وهو ممّن يجب
إقصاءه، وإيواؤه وهو ممّن يستحقّ الطرد، وتأمينه وهو أهل بأن يُتّهم، ومنحه أجزل
المنح من مال المسلمين ومن الواجب منعه، وتسليطه على أعطيات المسلمين ومن المحتمّ
قطع يده عنها؟!

أنا لا أعرف شيئاً من معاذير الخليفة في هذه المسائل، لكنّ المسلمين في يومه ما
عذروه وهم الواقفون على الأمر من كُتب، والمستشفّون للحقائق المعنونة فيها؛ وكيف

١ - كما ذكره أبو عمر في الاستيعاب [القسم الثالث/ ١٣٨٧، رقم ٢٣٧٠]؛ وابن الأثير في أسد الغابة ٤: ٢٤٨

[١٤٤/٥ - ١٤٥، رقم ٤٨٤١].

يعذره المسلمون ونصب أعينهم قوله عزّ من قائل: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ»^(١)!

أليس إعطاء الخمس لمروان اللعين خروجاً عن حكم القرآن؟! أليس عثمان هو الذي فاوض بنفسه ومعه جبير بن مطعم رسول الله ﷺ أن يجعل لقومه نصيباً من الخمس فلم يجعل ونصّ على أن بني عبد شمس وبني نوفل لا نصيب لهم منه؟! قال جبير بن مطعم:

لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ سَهْمَ ذِي الْقُرْبَىٰ بَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ^(٢) أَتَيْتُهُ أَنَا وَعُثْمَانُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَؤُلَاءِ بَنُو هَاشِمٍ لَا يُنْكِرُ فَضْلَهُمْ لِمَكَانِكَ الَّذِي وَضَعَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْهُمْ، أَرَأَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ أُعْطِيَتْهُمْ وَمَنْعَتْنَا، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَمْ يَفَارِقُونِي - أَوْ: لَمْ يَفَارِقُونَا - فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ وَإِنَّمَا هُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَلَمْ يَقَسِّمْ رَسُولُ اللَّهِ لِبَنِي عَبْدِ الشَّمْسِ وَلَا لِبَنِي نُوْفَلٍ مِنْ ذَلِكَ الْخُمْسِ شَيْئاً كَمَا قَسَمَ لِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ^(٣).

ومن العزيز على الله ورسوله أن يُعطى سهم ذوي قربى الرسول ﷺ لطريده ولعينه، وقد منعه النبي ﷺ وقومه من الخمس؛ فما عذر الخليفة في ترحزحه عن حكم الكتاب والسنة، وتفضيل رَجْمِهِ أبناء الشجرة الملعونة في القرآن على قربى رسول الله ﷺ الذين أوجب الله مودّتهم في الذكر الحكيم؟! أنا لا أدري. والله من ورائهم حسيب.

١- الأنفال: ٤١. ٢- المطّلب أخو هاشم لأبٍ وأمٍّ وأُمُّهُمَا عاتكة بنت مرة.

٣- صحيح البخاري ٥: ٢٨ [١١٤٣/٣، ح ٢٩٧١]، سنن البيهقي ٦: ٣٤٠ و٣٤٢، سنن أبي داود ٢: ٣١ [١٤٥/٣].

- ١٤٦، ح ٢٩٧٨ - ٢٩٨٠.

- ٥٤ -

إقطاع الخليفة وعطيته الحارث

أعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص - أخا مروان وصهر الخليفة من ابنته عائشة - ثلاثمائة ألف درهم؛ كما في أنساب البلاذري^(١). وقال^(٢): «قدمت إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم».

وقال ابن قتيبة في المعارف^(٣)، وابن عبد ربّه في العقد الفريد^(٤)، وابن أبي الحديد في شرحه^(٥)، والراغب في المحاضرات^(٦): «تصدّق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يُعرف بمهزون^(٧) على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم». وقال الحلبي في السيرة^(٨): «أعطى الحارث عشر ما يباع في السوق؛ أي سوق المدينة».

أنا لا أدري بماذا استحقّ الرجل هذه الأعطيات الجزيلة؟! وكيف خصّ به ما تصدّق به رسول الله ﷺ على كافة أهل الإسلام، وحرمه الباقيون؟! ولو كان الخليفة موقراً عليه بهذه الكمية من مال أبيه لاستكثر ذلك نظراً إلى حاجة المسلمين وجيوشهم ومرايطهم؛ فكيف به وقد وهبه ما لا يملك من مال المسلمين ومن الأوقاف والصدقات؟!

وما كان الرجل يعرف بشيء من الأعمال البارة والمساعي المشكورة في سبيل

١ - الأنساب للبلاذري ٥: ٥٢. ٢ - المصدر السابق ٥: ٢٨.

٣ - المعارف: ٨٤ [ص ١٩٥]. ٤ - العقد الفريد ٢: ٢٦١ [٤/١٠٣].

٥ - شرح نهج البلاغة ١: ٦٧ [١/١٩٨، خطبة ٣].

٦ - محاضرات الأدباء ٢: ٢١٢ [مج ٢/ح ٤، ص ٤٧٦].

٧ - في المعارف: «مهزوز». وفي شرح ابن أبي الحديد: «تهروز». وفي محاضرات الراغب: «مهزور». [في طبعتي المعارف

وشرح النهج المعتمدين لدينا: «مهزور»]. ٨ - السيرة الحلبية ٢: ٨٧ [٢/٧٨].

الدعوة الإلهية وخدمة المجتمع الديني حتى يحتمل فيه استحقاق زيادة في عطائه .
فلم يبق مبرر لتلك الصنائع أو الفجائع إلا الصهر بينه وبين الخليفة والنسب لأنه
ابن عمه .

ولك حقّ النظر في صنيع كلّ من الخليفتين :

١ - عثمان ؛ وقد علمت ما ارتكبه ها هنا وفي غيره .

٢ - مولانا عليّ ؑ ؛ يوم جاءه عقيل يستميحه صاعاً من البرّ للتوسيع له ولعياله ممّا
قدّر له في العطاء ، فأدّى ؑ ما هو حقّ الأخوة والتربية ، ولا سيما في مثل عقيل من
الأشراف والأعاضم الذين يجب فيهم التهذيب أكثر من غيرهم ، فأدنى إليه الحديدة
الحماة فتأوّه فقال ؑ : « تجزع من هذه وتعرّضني لنار جهنّم ؟ ! » (١) .
« فآخكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى » (٢) .

- ٥٥ -

حظوة سعيد من عطية الخليفة

أعطى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة مئة ألف درهم .
قال أبو مخنف والواقدي : « أنكر الناس على عثمان إعطاءه سعيد بن العاص مئة ألف
درهم ، فكلمه عليّ والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك . فقال : إنّ له
قربةً ورحماً . قالوا : ألما كان لأبي بكر وعمر قربة وذو رحم ؟ فقال : إنّ أبا بكر وعمر
كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي . قالوا : فهديهما والله أحبّ
إلينا من هديك . فقال : لا حول ولا قوّة إلا بالله » (٣) .
قال الأميني : كان العاص أبو سعيد من جيران رسول الله ﷺ الذين كانوا يؤذونه ،

٢ - سورة ص : ٢٥ .

١ - الصواعق لابن حجر : ٧٩ [ص ١٣٢] .

٣ - أنساب البلاذري [٢٨/٥] .

وقتل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يوم بدر مشركاً^(١).

وأما خلفه سعيد فهو ذلك الشاب المترف كما في رواية ابن سعد^(٢). ورد الكوفة من غير سابقة والياً من قبل عثمان بعد عزله الوليد ولم يحمل أي حنكة، فطفق يلهج من أول يومه بما يثير العواطف ويحيش الأفتدة، فنسبهم إلى الشقاق والخلاف وقال: إن هذا السواد بستان لأغيلمه من قريش.

لقد أراد الخليفة أن يصل رحمه من هذا الشاب المجرم بإعطاء تلك الكمية الزائدة على حدّه وحقّه من بيت المال، إن كان له ثمة نصيب، ولو كان هذا العطاء حقاً لما نقده عليه أعظم الصحابة وفي طليعتهم مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه.

وأما ما تترس به من المذرة من الاحتساب بصلة الرحم كما احتسب من قبله بمنع رحمهم عن الزيادة في إعطياتهم من بيت المال، فتافه؛ لأن الصلة إنما تستحسن من الإنسان إن كان الإنفاق من خالص ماله لا المال المشترك بين آحاد المسلمين.

- ٥٦ -

هبة الخليفة للوليد من مال المسلمين

أعطى الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية أخا الخليفة من أمّه ما استقرض عبدالله بن مسعود من بيت مال المسلمين ووهبه له.

قال البلاذري في الأنساب^(٣): «لما قدم الوليد الكوفة ألّفى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضه مالاً وقد كانت الولاية تفعل ذلك ثمّ تردّ ما تأخذ؛ فأقرضه عبدالله ما سأله، ثمّ إنّه اقتضاه إيّاه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان؛ فكتب عثمان إلى عبدالله بن مسعود: إنّما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال؛ فطرح ابن مسعود

١ - طبقات ابن سعد ١: ١٨٥، طبع مصر [٢٠١/١]؛ أسد الغابة ٢: ٣١٠ [٣٩١/٢]، رقم ٢٨٠٢.

٢ - الطبقات ٥: ٢١، طبع ليدن [٣٢/٥].
٣ - أنساب البلاذري ٥: ٣٠.

المفاتيح وقال: كنت أظنُّ أني خازن للمسلمين، فأما إذ كنتُ خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال».

الوليد ومن ولده:

أما أبوه عقبة بن أبي معيط فكان أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ في إيذائه من جيرانه.

أخرج ابن سعد بالإسناد من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «كنتُ بين شرِّ جارين: بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط. إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي، حتَّى إنهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الأذى فيطرحونه على بابي»^(١).

وقال الضحَّاك: «لما بزق عقبة رسولَ الله ﷺ رجع بزاقه على وجهه لعنه الله تعالى، ولم يصل حيث أراد فأحرق خديّه وبقي أثر ذلك فيها حتَّى ذهب إلى النار». وروي عن ابن عباس أنَّه قال: «كان أبيّ بن خلف يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة ابن أبي معيط: فنزل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ...﴾^(٢). قال: الظالم: عقبة، وفلان: أبيّ». وروي مثله عن الشعبي وقتادة وعثمان ومجاهد^(٣).

هذا الوالد، وما أدراك ما ولده! :

أمَّا الوليد الفاسق بلسان الوحي المبين، الزاني، الفاجر، السكير، المدمن للخمر المتهتك في أحكام الدين وتعاليمه، المهتوك بالجلد على رؤوس الأشهاد، فسَلَّ عنه قوله

١ - طبقات ابن سعد ١: ١٨٦، طبع مصر [٢٠١/١].

٢ - الفرقان: ٢٧.

٣ - راجع: جامع البيان ١٩: ٦ [مج ١١/ج ٧/٨]؛ تفسير البضاوي ٢: ١٦١ [١٣٩/٢-١٤٠]؛ الجامع لأحكام القرآن ١٣: ١٥ [١٩/١٣]؛ الكشف ٢: ٣٢٦ [٢٧٦/٣]؛ التفسير الكبير ٦: ٣٦٩ [٧٥/٢٤]؛ الدر المنثور ٦٨: ٥ [٢٥٣-٢٥٠/٦].

تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوهُ﴾^(١)؛ فَإِنَّ مِنَ الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ
نزوله فيه ؛ كما مر^(٢).

وَسَلَّ عَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٣)؛ وهذه الآية
كسابقتها تومي بالفاسق إليه^(٤).

وَسَلَّ عَنْهُ مِحْرَابُ جَامِعِ الْكُوفَةِ يَوْمَ قَاءَ فِيهِ مِنَ الْسُكْرِ وَصَلَّى الصُّبْحَ أَرْبَعًا وَأَنْشَدَ
فِيهَا رَافِعًا صَوْتَهُ :

عَلِقَ الْقَلْبَ الرَّبَابَا بعدما شابت وشابا

وَقَالَ : هَلْ أَزِيدُكُمْ ؟ فَضْرَبَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ بِفِرْدَةٍ خَفَّهَ ، وَأَخَذَهُ الْحَصْبَاءُ مِنَ الْمَصْلِينَ ،
فَقَرَّ عَنْهُمْ حَتَّى دَخَلَ دَارَهُ وَالْحَصْبَاءُ مِنْ وَرَائِهِ ؛ كَمَا فَصَّلْنَاهُ^(٥).

وَسَلَّ عَنْهُ سُوطَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَمَّا جَلَدَهُ حَدَّ الشَّارِبِ بِأَمْرِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَهُوَ يَسْبِيهِ بِمَشْهَدِ عَثْمَانَ بَعْدَ ضَوْضَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَأْخِيرِ الْحَدِّ^(٦).

وَسَلَّ عَنْهُ ابْنُ عَمِّهِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ لَمَّا غَسَلَ مِنْبَرَ جَامِعِ الْكُوفَةِ وَمِحْرَابَهُ تَطْهِيرًا مِنْ
أَقْدَارِ الْفَاسِقِ حِينَ وَلَّاهُ عَثْمَانَ عَلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ الْوَلِيدِ.

١- الحجرات : ٦. ٢- في ص ٢١٣ من كتابنا هذا.

٣- السجدة : ١٨.

٤- أخرج الطبري في تفسيره ، بإسناده عن عطاء بن يسار ، قال : كان بين الوليد [الوليد بن عقبة بن أبي معيط]
وعليّ كلام ؛ فقال الوليد : أنا أبسط منك لساناً ، وأحدُّ منك سناناً ، وأردّ منك للكتيبة ؛ فقال عليّ : «أُسكت فإنّك
فاسق» ؛ فأثرل الله : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج وحكى عن شيخه : أنّه من المعلوم الذي لا ريب فيه : لاشتهار الخبر به ،
وإطباق الناس عليه ؛ أنظر جامع البيان ٢١ : ٦٢ [ج ١١ / ١٠٧/٢١] ؛ شرح نهج البلاغة ١ : ٣٩٤ ؛ و ٢ : ١٠٣.

٥- في ص ٢١٢ من كتابنا هذا. ٨٠/٤ ، خطبة ٢٩٢/٦ ، خطبة ٨٣.

٦- أنظر الأغاني [١٤٢/٥].

وَسَلَّ عَنْهُ الْإِمَامُ السَّبْطُ الْحَسَنُ الْمُجْتَبَى يَوْمَ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ ﷺ :
 «وَأَمَّا أَنْتَ يَا وَلِيدُ! فَوَاللَّهِ مَا أَلُومُكَ عَلَى بَغْضِ عَلِيٍّ وَقَدْ جَلَدَكَ ثَمَانِينَ فِي الْخَمْرِ وَقَتْلِ
 أَبَاكَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَبْرًا، وَأَنْتَ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ الْفَاسِقَ، وَسَمَّيَ عَلِيًّا الْمُؤْمِنَ حَيْثُ
 تَفَاخَرْتَمَا فَقُلْتَ لَهُ: اسْكُتْ يَا عَلِيٌّ! فَأَنَا أَشْجَعُ مِنْكَ جَنَانًا، وَأَطُولُ مِنْكَ لِسَانًا؛ فَقَالَ لَكَ
 عَلِيٌّ: اسْكُتْ يَا وَلِيدُ! فَأَنَا مُؤْمِنٌ، وَأَنْتَ فَاسِقٌ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُوَافَقَتِهِ قَوْلَهُ: ﴿أَقَمْنِ
 كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾. ثُمَّ أَنْزَلَ فِيكَ عَلَى مُوَافَقَةِ قَوْلِهِ أَيْضًا: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ
 بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوهُ﴾... وما أَنْتَ وَقْرِيشٌ؟ إِنَّمَا أَنْتَ عَلِجٌ مِنْ أَهْلِ صَفُورِيَّةَ، وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ لَأَنْتَ
 أَكْبَرُ فِي الْمِيلَادِ وَأَسَنُّ مِمَّنْ تُدْعَى إِلَيْهِ»^(١).

وإن شئت فسل الخليفة عثمان عن تأهيله إتياءه للولاية على صدقات بني تغلب ثم
 للإمارة على الكوفة، واثمناه على أحكام الدين وأعراض المسلمين، وتهذيب الناس
 ودعوتهم إلى الدين الحنيف، وإسقاط ما عليه من الدين لبيت مال المسلمين وإبراء
 ذمته عما عليه من مال الفقراء.

قال في تهذيب التهذيب^(٢): «قد ثبتت صحبته، وله ذنوبٌ أمرها إلى الله تعالى،
 والصواب السكوت».

أما نحن فلا نرى السكوت صواباً بعد أن لم يسكت عنه الذكر الحكيم وسمّاه فاسقاً
 في موضعين؛ ﴿أَقَمْنِ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

ومهما سكتنا عن أمر بينه وبين الله سبحانه، فليس من السائق أن نسكت عن
 ترتيب آثار العدالة عليه والرواية عنه وهو فاسق في القرآن، متهتك بالجرائم على
 رؤوس الأشهاد، متعدّد حدود الله؛ ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣).

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٠٣ [٦/٢٩٢-٢٩٣، خطبة ٨٣].

٢- تهذيب التهذيب ١١: ١٤٤ [١١/١٢٧]. ٣- البقرة: ٢٢٩.

- ٥٧ -

عطية الخليفة أبا سفيان

كان رأس المشركين وكهفاً للمنافقين منذ أسلم

أعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمرwan ابن الحكم بمئة ألف من بيت المال^(١).

قال الأُمياني: لا أرى لأبي سفيان المستحقّ للمنع عن كلّ خير أيّ موجب لذلك العطاء الجزل من بيت مال المسلمين، وهو - كما في الاستيعاب لأبي عُمر عن طائفة - كان كهفاً للمنافقين منذ أسلم وكان في الجاهليّة ينسب إلى الزندقة. قال الزبير يوم اليرموك لما حدّثه ابنه أن أبا سفيان كان يقول: إيه بني الأصفر: قاتله الله يا بني! إلا نفاقاً أولسنا خيراً له من بني الأصفر؟ وقال له عليّ^(عليه السلام): «ما زلتُ عدوّاً للاسلام وأهله». ومن طريق ابن المبارك عن الحسن: أن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أُميّة، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنّة ولا نار. فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل^(٢).

وفي تاريخ الطبري^(٣): يا بني عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جنّة ولا نار.

وفي لفظ المسعودي: يا بني أُميّة تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثّة^(٤).

١ - قاله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١: ٦٧ [١٩٩/١، خطبة ٣].

٢ - الاستيعاب ٢: ٦٩٠ [القسم الرابع/ ١٦٧٨ - ١٦٧٩، رقم ٣٠٠٥].

٣ - تاريخ الأمم والملوك ١١: ٣٥٧ [٥٨/١٠، حوادث سنة ٢٨٤ هـ].

٤ - مروج الذهب ١: ٤٤٠ [٣٦٠/٢].

وأخرج ابن عساكر في تاريخه^(١) عن أنس: أن أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمي فقال: هل هنا أحد^(٢)؟ فقالوا: لا. فقال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية.

وقال ابن حجر: كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب.

وإن سألت مولانا أمير المؤمنين عن الرجل فعلى الخير سقطت؛ قال في حديث له: «معاوية طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين»^(٣).

وحسبك ما في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان من قوله: «يا ابن صخر يا ابن اللعين»^(٤). ولعله ﷺ يوعز بقوله هذا إلى ما روينا من أن رسول الله ﷺ لعنه وابنيه معاوية ويزيد لما رآه راكباً وأحد الولدين يقود والآخر يسوق فقال: «اللهم اللعن الراكب والقائد والسائق»^(٥).

وذكر ابن أبي الحديد في الشرح^(٦) من كتاب للإمام ﷺ كتبه إلى معاوية قوله: «فلقد سلكت طرائق أبي سفيان أبيك وعتبة جدك وأمثالهما من أهللك ذوي الكفر والشقاق والأباطيل»^(٧).

ويعرفك أبا سفيان قول أبي ذر لمعاوية - لما قال له: يا عدو الله وعدو رسوله -:

١ - تاريخ مدينة دمشق ٦: ٤٠٧ [٤٧١/٢٣، رقم ٢٨٤٩، وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/٦٧].

٢ - [في المصدر: «ها هنا أحد»؟]. ٣ - تاريخ الطبري ٦: ٤ [٨/٥، حوادث سنة ٣٧ هـ].

٤ - شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤١١ و ٤: ٥١ [٨٢/١٥، كتاب ١٠ و ١٦/١٣٥، كتاب ٢٢].

٥ - راجع ما يأتي في ص ٧٦٤ من كتابنا هذا [أنظر تاريخ الأمم والملوك ١٠/٥٨، سنة ٢٨٤ هـ].

٦ - شرح نهج البلاغة ٤: ٢٢٠ [٢٣/١٨، الكتاب ٦٥].

٧ - [قوله ﷺ لمعاوية هو: «فلقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل». وأما القول الذي ينقله العلامة ﷺ فهو

لابن أبي الحديد في شرحه لقول أمير المؤمنين ﷺ].

«ما أنا بعدو لله ولا لرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر...»^(١).

هذا حال الرجل يوم كفره وإسلامه ولم يغير ما هو عليه حتى لفظ نفسه الأخير، فهل له في أموال المسلمين قطمير أو نقير^(٢) فضلاً عن الآلاف؟! لولا أن النسب الأموي برّر للخليفة أن يخصّه بمنائحه الجمّة من مال الناس، وافق السنّة أم خالفها.

- ٥٨ -

الكنوز المكتنزة ببركة الخليفة

إقتنى جماعة من رجال سياسة الوقت، وأصحاب الفتن والثورات من جرّاء الفوضى في الأموال، ضياعاً عامرة، ودوراً فخمة، وقصوراً شاهقة، وثروة طائلة، ببركة تلك السيرة الأمويّة في الأموال، الشاذّة عن الكتاب والسنّة الشريفة وسيرة السلف؛ فجمعوا من مال المسلمين مالاً جمّاً، وأكلوه أكلاً لماً.

منهم: الزبير بن العوام؛ خلف - كما في صحيح البخاري في كتاب الجهاد باب بركة الغازي في ماله^(٣) -؛ إحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، وكان له أربع نسوة، فأصاب كلّ امرأة بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا ألف.

قال البخاري: «فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف».

وقال ابن الهائم: «بل الصواب أن جميع ماله حسبما فرض: تسعة وخمسون ألف

١ - أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [٢٥٥/٨، خطبة ١٣٠].

٢ - [«القطمير»: القشرة الدقيقة على النواة بين النواة والتمر. «النقير»: كناية عن الشيء التافه؛ يقال: هو حقير نقير].

٣ - صحيح البخاري ٥: ٢١ [١١٣٨/٣، ١١٣٩، ح ٢٩٦١].

ألف وثمانئة ألف»^(١).

وصرح ابن بطل والقاضي عياض وغيرهما: بأن الصواب ما قاله ابن الهائم، وأن البخاري غلط في الحساب.

كذا نجدها في صحيح البخاري وغيره من المصادر غير مقيدة بالدرهم أو الدينار؛ غير أن في تاريخ ابن كثير^(٢) قيدها بالدرهم.

ومفهم: طلحة بن عبيد الله التيمي؛ إيتنى داراً بالكوفة تُعرف بالكناس بدار الطلحتين. وكانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك. وله بناحية سراة^(٣) أكثر مما ذكر. وشيّد داراً بالمدينة وبناها بالآجر والجصّ والساج. وقال ابن الجوزي: «خلف طلحة ثلاثئة جمل ذهباً».

وأخرج البلاذري من طريق موسى بن طلحة قال: «أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار»^(٤).

ومفهم: عبدالرحمن بن عوف الزهري؛ قال ابن سعد: «ترك عبدالرحمن ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومئة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً».

وقال المسعودي: «أبتنى داره ووسّعها وكان على مربطه مئة فرس، وله ألف بعير،

١ - ذكره شرّاح البخاري؛ راجع فتح الباري [٢٣٣/٦]؛ إرشاد الساري [٥٠/٧]؛ عمدة القاري [٥٢/١٥]، ح

[٣٧]؛ شذرات الذهب ١: ٤٣ [٢٠٨/١]، حوادث سنة ٣٦هـ.

٢ - البداية والنهاية ٧: ٢٤٩ [٢٧٨/٧]، حوادث سنة ٣٥هـ.

٣ - بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء [معجم البلدان ٢/٢٠٥].

٤ - راجع: الطبقات الكبرى ٣: ١٥٨، طبع ليدن [٢٢١/٣ - ٢٢٢]؛ مروج الذهب ١: ٤٣٤ [٣٥٠/٢]؛ العقد

الفريد ٢: ٢٧٩ [١٢٩/٤]؛ الرياض النضرة ٢: ٢٥٨ [٢٢٧/٣ - ٢٢٨]؛ دول الإسلام [ص ٢٢ و ٢٣، حوادث

سنة ٣٥هـ]؛ خلاصة الخزرجي [١٢/٢]، رقم ٣١٩٥؛ الأنساب للبلاذري ٧: ٥.

وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً^(١).
ومنهم: سعد بن أبي وقاص؛ قال ابن سعد: «ترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم، ومات في قصره بالعقيق»^(٢).
ومنهم: يعلى بن أمية^(٣)؛ خلف خمسمئة ألف دينار، وديوناً على الناس و عقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مئة^(٤) ألف دينار.
ومنهم: زيد بن ثابت، المدافع الوحيد عن عثمان؛ قال المسعودي: «خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع، بقيمة مئة ألف دينار»^(٥).

هذه نبذة مما وقع فيه التفريط المالي على عهد عثمان. ومن المعلوم أن التاريخ لم يُحصِ كل ما كان هناك من عظام، شأنه في أكثر الحوادث والفتن ولا سيما المتدرّجة منها في الحصول.

وأما ما اقتناه الخليفة لنفسه فحدث عنه ولا حرج، كان ينضد أسنانه بالذهب ويتلبس بأثواب الملوك.

قال محمد بن ربيعة: رأيتُ على عثمان مطرف خزّ ثمن مئة دينار؛ فقال: هذا لنائلة^(٦) كسوتها إياه، فأنا ألبسه أسرها به.

وقال أبو عامر سليم: رأيتُ على عثمان برداً ثمنه مئة دينار^(٧).

١ - الطبقات الكبرى، طبع ليدن ٩٦: ٣ [١٣٦/٢]؛ مروج الذهب ١: ٤٣٤ [٢٥٠/٢].

٢ - الطبقات الكبرى ٣: ١٠٥ [١٤٨/٣ - ١٤٩]؛ مروج الذهب ١: ٤٣٤ [٢٥٠/٢].

٣ - [في المصدر: «يعلى بن منية»].

٤ - [في المصدر: «ثلاثمئة»].

٥ - مروج الذهب ١: ٤٢٤ [٢٥١/٢].

٦ - هي حليّة عثمان بنت الفرافصة.

٧ - طبقات ابن سعد ٣: ٤٠، طبع ليدن [٥٨/٣]؛ أنساب البلاذري: ٣، ٤ [٤٨/٥]؛ الاستيعاب في ترجمة عثمان ٢:

٤٧٦ [القسم الثالث/١٠٤٢، رقم ١٧٧٨].

قال البلاذري:

كان في بيت المال بالمدينة سفظ فيه حلّي وجواهر فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله ، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه . فقال : هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم . وفي لفظ : لناخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام . فقال له عليّ : «إذا تُمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه . . .» .

وقال ابن سعد في الطبقات^(١) :

كان لعثمان عند خازنه يوم قُتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمئة ألف درهم ، وخمسون ومئة ألف دينار فأنتهت وذهبت . وترك ألف بعير بالربذة وصدقات بمراديس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي ألف دينار .

وقال المسعودي في المروج^(٢) :

بنى داره في المدينة وشبّدها بالحجر والكس وجعل أبوابها من الساج والعرعر^(٣) ، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة . وقال الذهبي في دول الإسلام^(٤) : «كان قد صار له أموال عظيمة ﷺ وله ألف مملوك» .

١ - الطبقات الكبرى ، طبع ليدن ٣ : ٥٣ [٧٦/٢ - ٧٧] .

٢ - مروج الذهب ١ : ٤٢٣ [٣٤٩/٢ - ٣٥٠] .

٣ - «العرعر» : شجر يُقال له الساسم ويقال له الشيزي . ويقال : هو شجر عظيم جبليّ .

٤ - دول الإسلام ١ : ١٢ [ص ١٦] .

صورة متخذة

من أعطيات الخليفة والكنوز العامة ببركته

الدينار	الأعلام
٥٠٠٠٠٠	مروان
١٠٠٠٠٠	ابن أبي سرح
٢٠٠٠٠٠	طلحة
٢٥٦٠٠٠٠	عبد الرحمن
٥٠٠٠٠٠	يعلي بن أمية
١٠٠٠٠٠	زيد بن ثابت
١٥٠٠٠٠	عثمان الخليفة
٢٠٠٠٠٠	عثمان الخليفة

٤ / ٣١٠ / ٠٠٠ الجمع أربعة ملايين وثلاثمائة وعشرة آلاف دينار.

إقرأ ولا تنس قول مولانا أمير المؤمنين في عثمان: «قام نافجاً حُضْنِيهِ بين نَشِيلِهِ ومَعْتَلْفِهِ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع».

وقوله الآتي بُعِيدَ هَذَا: «أَلَا إِنَّ كُلَّ قِطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عِثْمَانُ، وَكُلَّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ

فَهُوَ مُرَدُّودٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ».

الدرهم	الأعلام
٣٠٠٠٠٠	الحكم
٢٠٢٠٠٠٠	آل الحكم
٣٠٠٠٠٠	الحارث
١٠٠٠٠٠	سعيد

الوليد	١٠٠٠٠٠
عبدالله	٣٠٠٠٠٠
عبدالله	٦٠٠٠٠٠
أبو سفيان	٢٠٠٠٠٠
مروان	١٠٠٠٠٠
طلحة	٢٢٠٠٠٠٠
طلحة	٣٠٠٠٠٠٠٠
الزبير	٥٩٨٠٠٠٠٠
ابن أبي وقاص	٢٥٠٠٠٠٠
عثمان الخليفة	٣٠٥٠٠٠٠٠

المجموع ١٢٦/٧٧٠/٠٠٠ مئة وستة وعشرون مليوناً وسبعمئة وسبعون ألف

درهم.

بقي هنا أن نسأل الخليفة عن علّة قصر هذه الأثرة على المذكورين ومن جرى مجراهم من زبانيته؛ أهل خلقت الدنيا لأجلهم؟! أو أنّ الشريعة منعت عن الصلوات وإعطاء الصدقات للصلحاء الأبرار من أمة محمد ﷺ؛ كأبي ذرّ الغفاري، وعمار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود إلى نظرائهم؟! فيجب عليهم أن يقاسوا الشدّة، ويعانوا البلاء، ويشملهم المنع بين منفيّ ومضروب ومهان. وهذا سيّدهم أمير المؤمنين يقول: «إنّ بني أُميّة لِيُفَوِّقُونِي تراث محمد ﷺ تفويقاً»^(١) أي يعطوني من المال قليلاً قليلاً كفُواق الناقة^(٢).

١- نهج البلاغة ١: ١٢٦ [ص ١٠٤، خطبة ٧٧]. ٢- «فُواق الناقة»: الحلبة الواحدة من لبنها].

وَيُعَلِّمُ حُكْمَ تِلْكَ الْأَعْطِيَّاتِ وَالْقَطَائِعِ - وَقَدْ أَقْطَعَ أَكْثَرَ أَرَاذِي بَيْتِ الْمَالِ^(١) - مِنْ خُطْبَةٍ لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ذَكَرَهَا الْكَلْبِيُّ مَرْفُوعَةً إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام خُطِبَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ بَيْعَتِهِ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ قِطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عِثْمَانُ، وَكُلَّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ، فَهُوَ مُرْدُودٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ الْقَدِيمَ لَا يَبْطُلُهُ شَيْءٌ. وَلَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَفَرَّقَ فِي الْبُلْدَانِ، لَرَدَدْتُهُ إِلَى حَالِهِ؛ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَنْهُ الْحَقُّ فَالْجُورُ عَنْهُ أَضِيقُ»^(٢).

قَالَ الْكَلْبِيُّ: «ثُمَّ أَمَرَ عليه السلام بِكُلِّ سِلَاحٍ وَجَدَ لِعِثْمَانَ فِي دَارِهِ مِمَّا تَقَوَّى بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَبَضَ، وَأَمَرَ بِقَبْضِ نَجَائِبِ كَانَتْ فِي دَارِهِ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَقَضَبَتْ، وَأَمَرَ بِقَبْضِ سَيْفِهِ وَدَرْعِهِ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يُعْرَضَ لِسِلَاحٍ وَجَدَ لَهُ لَمْ يُقَاتِلْ بِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَبِالْكَفِّ عَنْ جَمِيعِ أَمْوَالِهِ الَّتِي وَجَدَتْ فِي دَارِهِ وَغَيْرِ دَارِهِ، وَأَمَرَ أَنْ تُرْجَعَ الْأَمْوَالُ الَّتِي أَجَازَ بِهَا عِثْمَانُ حَيْثُ أُصِيبَتْ أَوْ أُصِيبَ أَصْحَابُهَا...»^(٣).

- ٥٩ -

الخليفة والشجرة الملعونة في القرآن

كَانَ مَزِيغُ نَفْسِ الْخَلِيفَةِ حَبِّ بَنِي أَبِيهِ آلِ أُمَيَّةِ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ فِي الْقُرْآنِ وَتَفْضِيلُهُمْ عَلَى النَّاسِ. وَقَدْ تَنَشَّبَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ وَكَانَ مَعْرُوفًا مِنْهُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِهِ، وَعَرَفَهُ بِذَلِكَ مِنْ عَرَفِهِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «لَوْ وَلِيَهَا عِثْمَانُ لَحَمَلَ بَنِي أَبِي مَعِيطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَلَوْ فَعَلَهَا لَقَتَلُوهُ»^(٤).

١- السيرة الحلبية ٢: ٨٧ [٧٨/٢].

٢- نهج البلاغة [٤٦/١، ص ٥٧، خطبة ١٥]؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٠ [٢٦٩/١، خطبة ١٥].

٣- شرح ابن أبي الحديد ١: ٩٠ [٢٧٠-٢٧١]. ٤- أنساب البلاذري [١٦/٥].

وبهذه الوصية أخذه عليّ وطلحة والزبير لما ولي الوليد بن عقبة على الكوفة وقالوا له: «ألم يوصك عمر ألاّ تحمل آل أبي معيط وبني أمية على رقاب الناس»؟! فلم يجبههم بشيء^(١).

كان يبذل كلّ جهده في تأسيس حكومة أموية قاهرة في الحواضر الإسلامية كلّها تقهر من عداهم، وتتسي ذكرهم في القرون الغابرة؛ غير أن القدر الحاتم راغمه على منوياته فجعل الذكر الجميل الخالد والبقية المتواصلة في الحقب والأجيال كلّها لآل عليّ عليه وعليهم السلام، وأما آل حرب فلا تجد من ينتمي إليهم غير متوارٍ بانتسابه، متخافت عند ذكر نسبه؛ فكأنهم حديث أمس الدابر، فلا ترى لهم ذكراً، ولا تسمع لأحد منهم ركزاً.

ولي الخليفة على الأمر في المراكز الحساسة والبلاد العظيمة أغلمة بني أمية، وشبابهم المترّف المتبختر في شرخ الشبيبة وغلوائها.

وكان هؤلاء الأغلمة لا يبالي أحدهم بما يفعل، ولا يكثرث لما يقول، والخليفة لا يصيخ إلى شكاية المشتكي، ولا يعي عذل أيّ عاذل.

وهؤلاء الأغلمة هم الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ بقوله: «إنّ فساد أمتي على يدي غلّة سفهاء من قريش»^(٢).

وهم المعنيون بقوله ﷺ: «سيكون أمراء بعدي يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون»^(٣).

١ - الأنساب للبلاذري ٥: ٣٠.

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن ١٠: ١٤٦ [١٣١٩/٢]، ح ٣٤١٠، و ٢٥٨٩/٦، ح ٦٦٤٩. والمحاكم في مستدرک ٤: ٤٧٠ [٥١٧/٤]، ح ٨٤٥٠، صحّحه هو والذهبي.

٣ - مسند أحمد ١: ٤٥٦ [٤١/٢]، ح ٤٣٥٠.

يستعملهم عثمان وهو أعرف بهم من أيّ ابن أنثى وقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله :
«من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله
وسنة نبيّه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين»^(١).

وفي تهديد الباقلاني^(٢) : «من تقدّم على قوم من المسلمين وهو يرى أنّ فيهم من هو
أفضل منه خان الله ورسوله والمسلمين».

فعهد أولئك الأغيلة عهد هلاك أمة محمد ودور فسادها، منهم بدأت الفتن وعليهم
عادت؛ فترى الولاة يوم ذاك من طريدٍ لعين إلى وزغٍ مثله، ومن فاسقٍ مهتوكٍ بالذكر
الحكيم إلى طليقٍ منافقٍ، ومن شابٍ مترفٍ إلى أغيلة سفهاء.

وكان للخليفة وراء ذلك كله أمل بأنّه لو بيده مفاتيح الجنة ليعطيها بني أمية حتّى
يدخلوها من عند آخرهم؛ أخرج أحمد في المسند^(٣) من طريق سالم بن أبي الجعد قال:
«دعا عثمان رضي الله عنه ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمار بن ياسر فقال: إنّي سائلكم
وإنّي أحبّ أن تصدقوني. نشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشاً على
سائر الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم. فقال عثمان: لو أنّ
بيدي مفاتيح الجنة لأعطيها بني أمية حتّى يدخلوا من عند آخرهم». إسناده صحيح
رجالهم كلّهم ثقات رجال الصحيح.

فكان الخليفة يحسب أنّ الهرج الموجود في العطاء عنده سوف يتسرّب معه إلى باب
الجنة يحاكي قومه بالنعيم كما حاباهم في الدنيا بالأموال؛ «أَيَطْمَعُ كُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ
جَنَّةَ نَعِيمٍ»^(٤). «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

١- سنن البيهقي ١٠: ١١٨؛ مجمع الزوائد ٥: ٢١١.

٢- مسند أحمد ١: ٦٢ [١/١٠٠، ح ٤٤١].

٣- تهديد الباقلاني: ١٩٠.

٤- المعارج: ٣٨.

سَوَاءٌ^(١). «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ»^(٢). «كَأَلَا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ»^(٣). «كَأَلَا لَيَبْذَنَّ فِي الْأُخْطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْأُخْطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَنْفِئَةِ»^(٤). «وَأَزَلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّيِّنِينَ * وَتُرِزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»^(٥). «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ»^(٦).
ألا تعجب من خليفة لا يروقه إيثار نبيه بني هاشم على سائر قريش، وتدعوه عصبية العمياء إلى أن يعارض بمثل هذا التافه المخزي قوله ﷺ فيما أخرجه أحمد^(٧):
«يا معشر بني هاشم! والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم»^(٨).

- ٦٠ -

تسيير الخليفة أبا ذر إلى الربذة !!

روى البلاذري^(٩): لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث ابن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مئة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشر الكائزين بعذاب أليم ويتلو قول الله عز وجل: «وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»^(١٠). فرفع ذلك مروان ابن الحكم إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر ناتلاً مولاه أن انته عما يبلغني عنك.
فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله؟! فوالله لأن

٢- الانقطاع: ١٣- ١٥.

١- الجاثية: ٢١.

٤- الهمزة: ٤- ٧.

٣- المطففين: ٧.

٦- هود: ٢٣.

٥- الشعراء: ٩٠ و ٩١.

٧- مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام [ص ١٢٢، ح ١٨٠].

٩- أنساب الأشراف [٥٢/٥].

٨- الصواعق: ٩٥ [ص ١٦٠].

١٠- التوبة: ٣٤.

أرضي الله بسخط عثمان أحبُّ إليَّ وخيرُ لي من أن أسخط الله برضاه.

فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وكفَّ.

وقال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضي؟

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبو ذر: يابن اليهوديين أتعلّمنا ديننا؟!

فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولئك بأصحابي! الحق بمكتبك. وكان مكتبه بالشام

إلا أنه كان يقدم حاجاً ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله ﷺ فيأذن له في

ذلك. وإنما صار مكتبه بالشام لأنه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعاً: إنني سمعتُ

رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ البناء سلعاً فاهرب» فأذن لي آتي الشام فأغزو هناك

فأذن له.

وكان أبو ذر يُنكر على معاوية أشياء يفعلها، وبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار؛

فقال: إن كانت من عطائي الذي حرمتومني عامي هذا قبيلتها، وإن كانت صلةً

فلا حاجة لي فيها.

وبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري بمائتي دينار؛ فقال: أما وجدتَ أهون عليك

منّي حين تبعث إليّ بمال؟ وردّها.

وبنى معاوية الخضراء بدمشق؛ فقال: يا معاوية! إن كانت هذه الدار من مال الله

فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف؛ فسكت معاوية.

وكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله

ولا سنة نبيه، والله إنّي لأرى حقّاً يُطفأ، وباطلاً يُحيى، وصادقاً يُكذّب، وأثرةً بغير تقى،

وصالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إن أبا ذر مفسدٌ عليك الشام فتدارك أهله إن كانت

لكم به حاجة. فكتب معاوية إلى عثمان فيه. فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد، فاحمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجّه معاوية من سار به الليل والنهار. فلما قدم أبو ذر المدينة جعل يقول: تستعمل الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرب أولاد الطلقاء. فبعث إليه عثمان: إلحق بأيّ أرض شئت. فقال: بمكة. فقال: لا. قال: فبيت المقدس. قال: لا. قال: فبأحد المصرين. قال: لا، ولكنّي مُسيّر إلى الربذة. فسيّره إليها فلم يزل بها حتّى مات.

ومن طريق الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: «قلت لأبي ذر: ما أنزلك الربذة؟ قال: أنصح لعثمان ومعاوية».

ذكر المسعودي: «... قال [عثمان]: فإنّي مُسيّر إلى الربذة. قال: الله أكبر! صدق رسول الله ﷺ قد أخبرني بكلّ ما أنا لاقٍ. قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأنّي أُمْنَعُ عن مكة والمدينة وأموت بالربذة، ويتولّى مواراتي نفرٌ ممّن يردون من العراق نحو الحجاز. وبعث أبو ذر إلى جمل له فحمل عليه امرأته وقيل ابنته. وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الربذة. فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها، إذ طلع عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه ابنه وعقيل أخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر. فاعترض مروان فقال: يا عليّ! إنّ أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيّعوه، فإن كنت لم تدرِ بذلك فقد أعلمتُك.

فحمل عليه عليّ بن أبي طالب بالسوط [وضرب] ^(١) بين أذني راحلته وقال: «تنحّ نَحّاك الله إلى النار» ومضى مع أبي ذر فشيعه ثمّ ودّعه وانصرف. فلما أراد الانصراف بكى أبو ذر وقال: رحمكم الله أهل البيت إذا رأيْتُك يا أبا الحسن وولدتُ ذكرتُ بكم رسول الله ﷺ.

فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به عليّ بن أبي طالب. فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرني من عليّ؟ ردّ رسولي عمّا وجهته له وفعل كذا والله لنعطيه حقه. فلما رجع عليّ استقبله الناس^(١) فقالوا: إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أبا ذر. فقال عليّ: «غضب الخيل على اللحم»^(٢).

ثمّ جاء. فلما كان بالعشيّ جاء إلى عثمان فقال له: ما حملك على ما صنعت بمروان واجترأت عليّ ورددت رسولي وأمرني؟

قال: «أمّا مروان فإنه استقبلني يرُدُّني فرددته عن ردّي وأمّا أمرك فلم أردّه».

قال عثمان: أو لم يبلغك أنّي قد نهيتُ الناس عن أبي ذر وعن تشييعه؟

فقال عليّ: «أو كلّ ما أمرتنا به من شيء يرى طاعة لله والحقّ في خلافه اتّبعنا فيه أمرك؟ بالله لا نفعل».

قال عثمان: أقد مروان.

قال: «وما أقيده»؟ قال: ضربت بين أذني راحلته^(٣).

قال عليّ: «أمّا راحلتي فهي تلك فإن أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فليفعل. وأمّا أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت مثلها بما لا أكذب فيه ولا أقول إلّا حقّاً».

قال عثمان: ولم لا يشتمك إذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه.

فغضب عليّ بن أبي طالب وقال: «إلّيّ تقول هذا القول؟! وبمروان تعدلني؟! فأنا

١- هذه الجملة تعرب عن غيبة الإمام عليه السلام عن المدينة المشرفة في تشييع أبي ذر أياماً، وتقرب ما قاله الأستاذ عبد

الحميد جودت السخّار المصري في كتابه الإشتراكيّ الزاهد: ١٩٢: «ومضى عليّ ورفقاؤه مع أبي ذر حتّى بلغوا

الربذة فزلوا عن رواحلهم وجلسوا يتحدثون».

٢- [مجمع الأمثال ٤١٢/٢، رقم ٢٦٦٢. مثل يضرب لمن يغضب غضباً لا ينتفع به. و«اللّحم» جمع لجام: الحديد في فم الفرس].

٣- في العبارة سقط يظهر في الجواب وسيأتي صحيحها بعيد هذا إن شاء الله.

والله أفضل منك، وأبي أفضل من أهلك، وأمي أفضل من أمك، وهذه نبلي قد نثلتها وهلم فأقبل بنبلك».

فغضب عثمان واحمر وجهه فقام ودخل داره وانصرف علي فاجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار. فلما كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكوا إليهم علياً وقال: إنه يعيبي ويظاهر من يعيبي يريد بذل أبا ذر وعمار بن ياسر وغيرهما، فدخل الناس بينهما، وقال له علي: «والله ما أردت تشييع أبي ذر إلا لله»^(١).

كلمة أمير المؤمنين

لما أخرج أبو ذر إلى الربذة

«يا أبا ذر إنك غضبت لله فارح من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابع غداً، والأكثر حسداً. ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً، لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لأمتوك»^(٢).

ذكر ابن أبي الحديد في الشرح^(٣) تفصيل قصة أبي ذر ورآه مشهوراً متضافراً؛

١- راجع: الأنساب ٥: ٥٢ - ٥٤، صحيح البخاري، كتابي الزكاة والتفسير [٥٠٩/٢، ح ١٣٤١، ١٧١١/٤، ح ٤٢٨٣]؛ الطبقات الكبرى ٤: ١٦٨ [٢٢٩/٤]؛ مروج الذهب ١: ٤٣٨ [٣٥٧/٢ - ٣٦٠]؛ تاريخ يعقوبي ٢: ١٤٨ [١٧١/٢ - ١٧٢]؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٤٠ - ٢٤٢ [٥٢/٣ - ٥٩، خطبة ٤٣]؛ فتح الباري ٣: ٢١٣ [٢٧٤/٣]؛ عمدة القاري ٤: ٢٩١ [٢٦٢/٨، ح ١١].

٢- نهج البلاغة ١: ٢٤٧ [ص ١٨٨، خطبة ١٣٠، «وقرّضت منها»: قطعت منها جزءاً].

٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٣٧٥ - ٣٨٧ [٢٥٢/٨ - ٢٦٢، خطبة ١٣٠].

وقال:

«واقعة أبي ذر وإخراجه إلى الربذة أحد الأحداث التي نقت على عثمان...».

هلمّ معي إلى نظارة التنقيب

قال الأميني: هل تعرف موقف أبي ذر الغفاري من الإيمان، وثباته على المبدأ، ومحلّه من الفضل، ومبلغه من العلم، ومقامه من الصدق، ومُبوّاه من الزهد، ومُرتقاه من العظمة، وخشونته في ذات الله، ومكانته عند صاحب الرسالة الخاتمة؟ فإن كنت لا تعرف فإلى الملتقى.

تعبّده قبل البعثة، سبقه في الإسلام، ثباته على المبدأ

١ - أخرج ابن سعد في الطبقات^(١) من طريق عبد الله بن الصامت قال: «قال أبوذر: صليت قبل الإسلام قبل أن ألقى رسول الله ﷺ ثلاث سنين. فقلت: لمن؟ قال: لله. فقلت: أين توجه؟^(٢) قال: أتوجه حيث يوجهني الله».

٢ - أخرج ابن سعد في الطبقات^(٣) من طريق أبي ذر قال: «كنت في الإسلام خامساً».

وفي لفظ ابن سعد من طريق ابن أبي وضاح البصري: «كان إسلام أبي ذر رابعاً أو خامساً»^(٤).

وأخرج أبو نعيم في الحلية^(٥) من طريق ابن عباس عن أبي ذر، قال: «أقمت مع

١ - الطبقات الكبرى ٤: ١٦١ [٢٢٠/٤]. وفيه: «صليت يابن أخي قبل أن...».

٢ - [فعل المضارع للمفرد المخاطب، وأصله: تتوجه، فحذفت تاء المضارعة للتخفيف].

٣ - الطبقات الكبرى ٤: ١٦١ [٢٢٤/٤].

٤ - راجع: المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٤٢ [٣٨٥/٣، ح ٥٤٥٩]؛ الاستيعاب ١: ٨٣؛ و ٢: ٦٦٤ [القسم الأول/٢٥٢، رقم ٣٣٩، والقسم الرابع/١٦٥٣، رقم ٢٩٤٤]؛ أسد الغابة ٥: ١٨٦ [٣٥٧/١، رقم ٨٠٠].

٥ - حلية الأولياء ١: ١٥٨.

رسول الله ﷺ بمكة فعلمني الإسلام وقرأت من القرآن شيئاً. فقلت: يا رسول الله! إنني أريد أن أظهر ديني. فقال رسول الله ﷺ: «إنني أخاف عليك أن تُقتل». قلت: لا بدّ منه وإن قُتِلْتُ. قال: فسكت عني؛ فجئت وقریش حلق يتحدّثون في المسجد؛ فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله؛ فانتفضت الحلق، فقاموا فضربوني حتّى تركوني كأني نصب أحمر، وكانوا يرون أنّهم قد قتلوني. فأفقت فجئت إلى رسول الله ﷺ فرأى ما بي من الحال فقال لي: «ألم أنك؟» فقلت: يا رسول الله! كانت حاجة في نفسي فقضيتها، فأقمت مع رسول الله ﷺ فقال: «الحق بقومك فإذا بلغك ظهوري فأتني».

حديث علمه:

- ١- أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى^(١) من طريق زاذان سُئل عليّ عن أبي ذر فقال: «وعى علماً عجز فيه، وكان شحيحاً حريصاً، [شحيحاً] على دينه، حريصاً على العلم، وكان يكثر السؤال فيعطى ويمنع، أما أن قد ملئ له في وعائه حتّى امتلأ».
- ٢- أخرج^(٢) المحامي في أماليه والطبراني من طريق أبي ذر قال: «ما ترك رسول الله ﷺ شيئاً ممّا صبه جبرئيل وميكائيل في صدره إلّا وقد صبه في صدري...».

حديث صدقه وزهده:

- ١- أخرج ابن سعد والترمذي من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر، وأبي الدرداء مرفوعاً: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر».
- أخرجه على اختلاف ألفاظه: ابن سعد، الترمذي، ابن ماجه، أحمد، ابن

١- الطبقات الكبرى، طبع ليدن ٥: ١٧٠ [٢٣٢/٤]. وما بين المعقوفين منه.

٢- أمالي المحامي [ص ١٠٠-١٠١]، المعجم الكبير [١٤٩/٢، ح ١٦٢٤]، مجمع الزوائد ٩: ٣٣٠، والإصابة ٣: ٤٨٤.

أبي شيبة^(١)، ابن جرير^(٢)، أبو عمر، أبو نعيم، البغوي، الحاكم، ابن عساكر^(٣)، الطبراني^(٤)، ابن الجوزي^(٥).

٢- أخرج الترمذي في صحيحه^(٦) مرفوعاً: «أبوذر يمشي في الأرض بزهد عيسى ابن مريم عليه السلام».

حديث فضله:

١- عن بريدة عن النبي ﷺ: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم: عليّ وأبو ذر والمقداد وسلمان»^(٧).

٢- أخرج ابن هشام في السيرة^(٨) مرفوعاً: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَث وحده»^(٩).

٣- أخرج البزار من طريق أنس بن مالك مرفوعاً: «الجنة تشاق إلى ثلاثة: عليّ وعمار وأبي ذر».

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد^(١٠) فقال: «إسناده حسن».

١- مصنف ابن أبي شيبة [١٢/١٢٤، ح ٢٣١٥-٢٣١٧].

٢- تهذيب الآثار [ص ١٥٨، ح ١٨ من مسند علي بن أبي طالب عليه السلام].

٣- مختصر تاريخ دمشق [٢٨/٢٩٠].

٤- المعجم الكبير [٢/١٤٩، ح ١٦٢٥].

٥- راجع: الطبقات الكبرى ٤: ١٦٨ و ١٦٧ [٤/٢٢٨]؛ سنن الترمذي ٢: ٢٢١ [٥/٦٢٨، ح ٣٨٠١-٣٨٠٢]؛

سنن ابن ماجه ١: ٦٨ [١/٥٥، ح ١٥٦]؛ مسند أحمد ٢: ١٦٣ و ١٧٥ و ٢٢٣ و ١٩٧؛ ٥: ٦ و ٤٤٢ [٢/٣٤٧،

ح ٦٤٨٣؛ ص ٣٦٦، ح ٦٥٩٣؛ ص ٤٤٦، ح ٧٠٣٨، ٦/٢٥٥، ح ٢١٢١٧؛ و ٧/٥٩٥، ح ٢٦٩٤٧] و....

٦- سنن الترمذي ٢: ٢٢١ [٥/٦٢٩، ح ٣٨٠٢].

٧- سنن الترمذي ٢: ٢١٣ [٥/٥٩٤، ح ٣٧١٨]؛ سنن ابن ماجه ١: ٦٦ [١/٥٣، ح ١٤٩]؛ المستدرک علی

الصحيحين ٣: ١٣٠ [٢/١٤١، ح ٤٦٤٩]؛ الاستيعاب ٢: ٥٥٧ [القسم الثاني/٦٣٦، رقم ١٠١٤]؛ الجامع

الصغير [١/٢٥٨، ح ١٦٩٢].

٨- السيرة النبوية ٤: ١٧٩ [٤/١٦٧].

٩- وذكره أبو عمر في الاستيعاب ١: ٨٣ [ص ٢٥٣، رقم ٣٣٩]؛ وابن الأثير في أسد الغابة ٥: ١٨٨ [٦/١٠١، رقم

[٥٨٦٢].

١٠- مجمع الزوائد ٩: ٣٣٠.

عهد النبي الأعظم إلى أبي ذر:

- ١- أخرج الحاكم في المستدرک^(١) من طريق صحّحه عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! كيف أنت إذا كنت في حثالة؟» وشبك بين أصابعه. قلت: يا رسول الله فما تأمرني؟ قال: «اصبر اصبر اصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم، وخالفوهم في أعمالهم».
- ٢- أخرج أبو نعيم في الحلية^(٢) من طريق سلمة بن الأكوع عن أبي ذر رضي الله عنه قال: بينا أنا واقف مع رسول الله ﷺ فقال لي: «يا أبا ذر! أنت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي». قلت: في الله؟ قال: «في الله». قلت: مرحباً بأمر الله.
- ٣- أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى^(٣) من طريق أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «يا أبا ذر! كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يستأثرون بالنبي؟» قلت: إذا والذي بعثك بالحق أضرب بسيفي حتى ألحق به. فقال: «أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ إصبر حتى تلقاني».

هذا أبو ذر

وفضائله وفواضله وعلمه وتقواه وإسلامه وإيمانه ومكارمه وكرامته ونفسيّاته وملكاته الفاضلة وسابقته ولاحقته وبدء أمره ومنتهاه، فأبى منها كان ينقمه الخليفة عليها^(٤)، فطفق يعاقبه ويطارده من معتقل إلى منفى، ويستجلبه على قتب بغير وطاء، يطير مركبه خمسة من الصقالبة الأشداء حتى أتوا به المدينة وقد تسلّخت بواطن

١- المستدرک على الصحيحين ٣: ٢٤٣ [٣/٣٨٦، ح ٥٤٦٤].

٢- الحلية ١: ١٦٢.

٣- الطبقات الكبرى ٤: ١٦٦ [٤/٢٢٦]، وانظر مسند أحمد ٥: ١٨٠ [٦/٢٢٨-٢٢٩، ح ٢١٠٤٨ و٢١٠٤٩].

٤- سنن أبي داود ٢: ٢٨٢ [٤/٢٤١، ح ٤٧٥٩]. ٤- التاريخ الكبير [٣/٢٣١، رقم ٧٨٠].

أفخأذه وكاد أن يتلف، ولم يفتأ يسومه سوء العذاب حتى سالت نفسه في منقاه الأخير - الربذة - على غير ماء ولا كلاً، يلفحه حرّ المهجير، وليس له من وليّ حميم يمرّضه، ولا أحد من قومه يوارى جثثانه الطاهر، مات رحمه الله وحده، وسيحشر وحده كما أخبره رسول الله ﷺ الذي خوّل به بتلك الفضائل، والله سبحانه من فوقها نعم الخصيم للمظلوم، فانظر لمن الفلج^(١) يومئذٍ.

لقد كان الخليفة يباري الريح في العطاء لحامّته ومن ازدلف إليه ممّن يجري مجراهم، فلكوا من عطاياه وسماحه الملايين، وليس فيهم من يبلغ شأو أبي ذر في السوابق والفضائل، ولا يشقّ له غباراً في أكرومة، فاذا الذي آخر أبا ذر عنهم حتى قطعوا عنه عطاءه الجاري، ومنعوه الخطوة بشيء من الدعة، وأجفلوه عن عقر داره وجوار النبيّ الأعظم، وضائق عليه الأرض بما رحبت؟!

ولماذا نودي عليه في الشام أن لا يجالسه أحد^(٢)؟! ولماذا يفرّ الناس منه في المدينة؟!

ولماذا حظر عثمان على الناس أن يقاعدوه ويكلّموه؟! ولماذا يمنع الخليفة عن تشييعه ويأمر مروان أن لا يدع أحداً يكلّمه؟!

نعم، إنّ أبا ذر ينقم ما كان مطّرداً عند ذاك من السرف في العطاء من دون أيّ كفاءة في المعطى، ومخالفة رسول الله ﷺ في ذلك وفي كلّ ما يخالف السنّة الشريفة، واضطهاد أهل السوابق من الأئمة بيد أمراء البيت الأمويّ رجال العيث والعبث؛ وكانوا يحسبون عرش ذلك اليوم قد استقرّ على تلكم الأعمال؛ فرأوا أنّ في الإصاخة إلى قيل أبي ذر وشاكلته من صلحاء الصحابة ترحزحاً لذلك العرش عن مستقرّه، أو أنّ مهملجة الجشع الذين حصلوا على تلكم الثروات الطائلة خافوه أن يُسلب ما في أيديهم

١ - [«الفلج»: الظفر والفوز].

٢ - أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤: ١٦٨ [٢٢٩/٤].

إن وعى واعٍ إلى هتافه، فتألبوا عليه وأغروا خليفة الوقت به بتسويات متنوعة حتى وقع ما وقع، والخليفة أسير هوى قومه، ومسير بشهواتهم، مدفوع بحبّ بني أبيه وإن كانوا من الشجرة الملعونة في القرآن.

وما كان أبو ذر يمنعهم عن جلب الثروة من حقّها، ولا يبغى سلب السلطة عمّن ملك شيئاً ملكاً مشروعاً، لكنّه كان ينقم أهل الأثرة على اغتصابهم حقوق المسلمين، وخضّمهم مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، وما كان يتحرّى إلا ما أراد الله سبحانه بقوله عزّ من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١)، وما جاء به رسول الله ﷺ في الجهات الماليّة.

أخرج أحمد في مسنده^(٢) من طريق الأحنف بن قيس قال: «كنتُ بالمدينة فإذا أنا برجل يفرّ الناس منه حين يرونه. قال: قلت: من أنت؟ قال: أنا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ. قال: قلت: ما يفرّ الناس منك؟ قال: إنّي أنهارهم عن الكنوز بالذي كان ينهارهم عنه رسول الله.»

وفي فتح الباري^(٣) نقلاً عن غيره: «الصحيح أن إنكار أبي ذر كان على السلاطين الذين يأخذون المال لأنفسهم ولا ينفقونه في وجهه». وتعبّه النووي بالإبطال لأنّ السلاطين حينئذ كانوا مثل أبي بكر وعمر وعثمان وهؤلاء لم يخونوا.

وفي هذا التعقيب تدجيل ظاهر؛ فإنّ يوم هتاف أبي ذر بمناوئيه لم يكن العهد لأبي بكر وعمر، وإنّما كان ذلك يوم عثمان المخالف لهما في السيرة مخالفة واضحة، والمبائن للسيرة النبويّة في كلّ ما ذكرناه؛ ولذلك كلّ كان سلام الله عليه ساكتاً عن هتافه في

١- التوبة: ٣٤.

٢- مسند أحمد ٥: ١٦٤ و ١٧٦ [٢٠٦/٦، ح ٢٠٩٤٠، ص ٢٢٤، ح ٢١٠٢٤].

٣- فتح الباري ٣: ٢١٣ [٢٧٥/٣].

العهدين وكان يقول لعثمان: «ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر؟ هل رأيت هذا هديهم؟ إنك تبطش بي بطش جبار». ويقول: «اتّبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام».

وكان يُنكر مع ذلك على معاوية المتخذ شناسن الأكاسرة والقياصرة بالترقة والتوسع والاستيثار بالأموال، وكان في العهد النبويّ صعلوكاً لا مال له ووصفه به رسول الله ﷺ^(١) وفي لفظ: «إنّ معاوية ترب خفيف الحال»^(٢).

فما واجب أبي ذر عندئذٍ، وقد أمره النبيّ الأعظم في حديث^(٣) السبعة التي أوصاه بها، بأن يقول الحقّ وإن كان مرّاً، وأمره بأن لا يخاف في الله لومة لائم؟ وما الذي يجديه قول عثمان: مالك وذلك؟ لا أمّ لك!

ولأبي ذر أن يقول له كما قال: «والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

ولم تكن لما رفع به أبو ذر عقيرته جدّة ليس لها سلف من العهد النبويّ؛ فلم يهتف إلا بما تعلّمه من الكتاب والسنة، وقد أخذه من الصادع الكريم من قلق فيه. ولم يكن ﷺ يسلب ثروة أحد من أصحابه وكان فيهم تجار وملاك ذوو يسار، ولم يأخذ منهم زيادة على ما عليهم من الحقوق الإلهيّة، وعلى حذوه هذا أبو ذر في الدعوة والتبليغ.

١ - صحيح مسلم، كتاب النكاح والطلاق ٤: ١٩٥ [٢/٢٩٠، ح ٣٦]؛ سنن النسائي ٦: ٧٥ [٢/٢٧٤، ح ٥٣٥٢]؛

سنن البيهقي ٧: ١٣٥. ٢ - صحيح مسلم ٤: ١٩٩ [٢/٢٩٥، ح ٤٨].

٣ - أخرجه ابن سعد في الطبقات: ١٦٤ [٤/٢٢٩] من طريق عبدالله بن الصامت عن أبي ذر قال: «أوصاني خليلي بسبع: [أمرني] بحبّ المساكين والدنوّ منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوق، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن أقول الحقّ وإن كان مرّاً، وأمرني أن لا أخاف لومة لائم، وأمرني أن أكثّر من لا حول ولا قوّة إلا بالله؛ فإنّهنّ من كنز تحت العرش».

كان ﷺ أخبره بما يجري عليه من البلاء والعناء وما يُصنع به من طرده من الحواضر الإسلامية: مكة، والمدينة، والشام، والبصرة، والكوفة. ووصفه عند ذلك بالصلاح، وأمره بالصبر، وأنّ ما يصيبه في الله؛ فقال أبو ذر: مرحبا بأمر الله. فصلاح أبي ذر يمنعه عن الأمر بخلاف السنّة بما يخلّ نظام المجتمع، وكون بلائه في الله يأبى أن يكون ما جرّ إليه ذلك البلاء غير مشروع.

وإن كان ذلك خلاف الصالح العام ولم تكن فيه مرضاة الله ورسوله لوجب عليه ﷺ أن ينهاء عمّا سينوء به من الإنكار وهو يعلم أنّ تلك الدعوة تجرّ عليه الأذى والبلاء الفادح، وتشوّه سمعة خليفة المسلمين، وتسوّد صحيفة تاريخه، وتبقى وصمة عليه مع الأبد.

وما كانت الشريعة السمحاء تأتي بذلك الحكم الشاقّ الذي اتّهم به أبو ذر، ولم يكن قطّ يقصده وهو شبيه عيسى في أمة محمد ﷺ زهداً ونسكاً وبرّاً وهدياً وصدقاً وجدّاً وخلقاً.

هكذا وصفه رسول الله ﷺ غير أنّ عثمان قال لما غضب عليه: «أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب، إمّا أن اضربه أو أحبسه أو اقتله». وكذّبه حين روى عن رسول الله ﷺ حديث بني العاص.

عجباً هذا جزاء من نصّح لله ورسوله وبلغّ عنهما صادقاً؟! لاها الله هذا أدب يخصّ بالخليفة!

وأعجب من هذا جواب عثمان لمولانا أمير المؤمنين لما دافع عن أبي ذر بقوله: «أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون»^(١)؛ أجابه بجواب غليظ أخفاه الواقدي وما أحبّ أن يذكره، ونحن وإن وقفنا عليه من طريق آخر لكن ننزّه الكتاب عن ذكره.

١- أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٣٧٥-٣٨٧ [٨/٢٥٢-٢٦٢، خطبة ١٣٠] [الغدير ٨/٤٣٠].

وقد تجهّم عثمان مرّة أخرى أمام أمير المؤمنين ﷺ بكلام فظّ، لما شيع هو وولده السبطان أباذر في سبيله إلى المنفى ومروان يراقبه وقد مرّ تفصيله^(١)؛ وفيه قوله لعليّ ﷺ: «ما أنت بأفضل عندي من مروان».

إنّ من هوان الدنيا على الله أن يقع التفاضل بين عليّ ومروان الوزغ ابن الوزغ اللعين ابن اللعين. أنا لا أدري هل كان الخليفة في معزل عن النصوص النبويّة في مروان؟ أو لم يكن مروان ونزعاته الفاسدة بمراي منه ومسمع؟ أو القرابة والرحم بعثته إلى الإغضاء عنها، فرأى ابن الحكم عدلاً لمن طهره الجليل ورآه نفس النبيّ الأعظم في الذكر الحكيم؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم...

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْفَعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢).

جناية التاريخ

ما أكثر جناية التاريخ على ذوي الفضل والأحساب الذين تستفيد الأمة من تاريخ حياتهم، كرائم أخلاقهم، وآثار مآثرهم، ونفسيّاتهم الكاملة، ومعاهد أقوالهم وبوالغ عظاتهم، ودرر حكمهم، وموارد إقدامهم وإحجامهم!

تجد التاريخ هنا يسرع السير فيُنسي ذكرهم، ويغمت فضلهم، أو يأتي بمجمل من القول في صورة مصغّرة، أو يحوّر الكلام ومزيجه الخبر المائن أو رواية شائنة، كلّ ذلك تأييداً لمبدأ، وأخذاً بناصر نزعة، وستراً على أقوام آخرين تمسّ الحقيقة الراهنة بهم وبكرامتهم، وتبعاً لأهواء وشهوات من ساسة الوقت أو زعماء الزمن.

فمن هذه النواحي كلّها أغفل التاريخ عن التبسّط في حياة أبي ذر المائلة بالفضائل والفواضل الشاخصة بالعبريّة والكمال، التي يجب أن تُتخذ قدوة في السلوك والتهذيب، وأن تكون للأمة بها أسوة وقدوة في التقوى والمبدأ.

البلاذري:

فتجد البلاذري يذكر حديث إخراج أبي ذر إلى الربذة من عدة طرق ويروي قول أبي ذر لموشب الفزاري - وأبو ذر هو الذي ما أظلت الخضراء... - أخرجت كارهاً. ثم عقبه بأكذوبة سعيد بن المسيّب - الذي كان من مناوئي العترة الطاهرة وشيعتهم - من إنكار إخراج عثمان إياه، وأنه خرج إليها راغباً في سكنها. ولا يعلم المغفل أنّ في ذلك تكذيباً لرسول الله ﷺ فيما أخبر أبا ذر بأنه يُخرج من المدينة^(١).

وتكذيباً لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال لعثمان بعد وفاة أبي ذر في المنفى، وقد صمّ عثمان أن يتبع ذلك بنفي عمّار: «يا عثمان! إتق الله فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك»^(٢).

وتكذيباً لأبي ذر في قوله فيما رواه البلاذري نفسه من طريق صحيح: «ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابياً».

وتكذيباً لعثمان الذي روى عنه البلاذري أيضاً أنّه لما أنهى إليه نعي أبي ذر قال: رحمه الله. فقال عمّار: نعم فرحمه الله من كلّ أنفسنا. فقال عثمان: «يا عاضّ أير أبيه أتراني ندمتُ على تسييره؟...». يأتي^(٣) تمام الحديث في مواقف عمّار. ومن أمانة البلاذري في النقل أنّه عند سرد قصّة أبي ذر ومشايعة مولانا أمير المؤمنين له قال: «جرى بين عليّ وعثمان في ذلك كلام». ولم يذكر ما جرى؛ لأنّ فيه نبلاً من صاحبه.

١ - أنظر مسند أحمد ٥: ١٧٨ [٢٢٨/٦ - ٢٢٩، ح ٢١٠٤٨ و ٢١٠٤٩] ورجال الإسناد كلّهم نقات.

٢ - سيوافيك الحديث بتمامه في ص ٣١٣ إن شاء الله تعالى.

٣ - في ص ٣١٣ من كتابنا هذا.

ابن جرير الطبري:

وإنك تجد الطبري في التاريخ^(١) لما بلغ إلى تاريخ أبي ذر يقول: «في هذه السنة - أعني سنة (٣٠) - كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة. وقد ذكر في سبب إشخاصه إيّاه منها إليها أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها. فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة».

لماذا ترك الطبري تلك الأمور الكثيرة ولم يذكر منها إلا قصة العاذرين التي افعلوها معذرة لمعاوية وتبريراً لعمل الخليفة؟!

ثم ذكر القصة بصورة مكذوبة مختلقة لا يصح شيء منها، وكلّ جملة منها يكذبه التاريخ الصحيح أو الحديث المتسالم على صحته. وكفاها وهنا ما في سندها من الغمز؛ وإليك رجاله:

- ١ - السري؛ إنه مشترك بين اثنين عُرفا بالكذب والوضع.
- ٢ - شعيب بن إبراهيم الأسيدي الكوفي؛ إنه مجهول لا يُعرف. قال ابن عدي: «ليس بالمعروف»^(٢).
- ٣ - سيف بن عمر التيمي الكوفي^(٣)؛ قالت الحفاظ وأئمة المرح والتعديل حول الرجل: إنه ضعيف، متروك، ساقط، وضّاع، عامّة حديثه منكر، يروي الموضوعات عن الأثبات، كان يضع الحديث، وأتهم بالزندقة.
- ٤ - عطية بن سعد العوفي الكوفي؛ للقوم فيه آراء متضاربة بين توثيق وتضعيف^(٤).

١ - تاريخ الأمم والملوك [٢٨٣/٤]، حوادث سنة ٣٠ هـ.

٢ - ميزان الاعتدال ١: ٤٤٨ [٢٧٥/٢]، رقم ٣٧٠٤.

٣ - راجع كتاب المجرّحين [٣٤٥/١]؛ الكامل في ضعفاء الرجال [٤٣٥/٣]، رقم ٨٥١؛ وانظر أيضاً الاستيعاب (ترجمة القعقاع) ٢: ٥٣٥ [القسم الثالث/١٢٨٣]، رقم ٢١٢١؛ الإصابة ٣: ٢٣٩.

٤ - راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد [٣٠٤/٦]؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٧: ٢٢٧ [٢٠٠/٧ - ٢٠١].

٥ - يزيد الفقعسي؛ لا أعرفه ولا أجده ذكرًا في كتب التراجم.

نظرة قيّمة في تاريخ الطبري:

شوّه الطبري تاريخه بمكاتبات السريّ الكذاب الوضّاع، عن شعيب المجهول الذي لا يُعرف، عن سيف الوضّاع، المتروك، الساقط، المتهّم بالزندقة. وقد جاءت في صفحاته بهذا الإسناد المشوّه (٧٠١) رواية وضعت للتمويه على الحقائق الراهنة في الحوادث الواقعة من سنة (١١) إلى (٣٧) عهد الخلفاء الثلاثة فحسب. ولا يوجد شيء من هذا الطريق الوعر في أجزاء الكتاب كلّها غير حديث واحد ذكره في السنة العاشرة، وإنما بدأ برواية تلکم الموضوعات من عام وفاة النبيّ الأقدس، وبثّها في الجزء الثالث والرابع والخامس، وانتهت بانتهاء خامس الأجزاء.

ومما يهمّ لفت النظر إليه أنّ الطبري من صفحة (٢١٠) من الجزء الثالث إلى ^(١)

(ص ٢٤١) يروي عن السريّ بقوله: «حدّثني» المعرب عن السماع منه، ومن ^(٢)

(ص ٢٤١) يقول: «كتب إليّ السريّ»، إلى آخر ما يروي عنه، إلّا حديثاً واحداً في

الجزء الرابع ^(٣) (ص ٨٢) يقول فيه: حدّثنا.

ومن أمعن النظر في هذه الروايات يجدها نسيج يد واحدة، ووليد نفس واحد،

ولا أحسب أنّ هذه كلّها تخفى على مثل الطبري، غير أنّ الحبّ يعمي ويصمّ.

وقد سوّدت هاتيك المخاريق المختلفة صحائف تاريخ ابن عساكر، وكامل ابن

الأثير، وبداية ابن كثير، وتاريخ ابن خلدون، وتاريخ أبي الفداء إلى كتب أناس آخرين

اقتفوا أثر الطبري على العمى، وحسبوا أنّ ما لفقّه هو في التاريخ أصل متّبع لا غمز فيه،

١ - تاريخ الأمم والملوك [٢/٢٢٢-٢٧٦، حوادث سنة ١١ هـ].

٢ - المصدر السابق [ص ٢٧٦، حوادث سنة ١١ هـ].

٣ - المصدر السابق [ص ٤٧٨، حوادث سنة ١٣ هـ].

مع أنّ علماء الرجال لم يختلفوا في تزييف أيّ حديث يوجد فيه أحد من رجال هذا السند فكيف إذا اجتمعوا في إسناد رواية.

والتأليف المتأخّرة اليوم المشحونة بالتافهات التي هي من ولائد الأهواء والشهوات كلّها متّخذة من هذه السفاسف التي عرفت حالها وسوقفك على نماذج منها.

ابن الأثير الجزري:

وأنت ترى ابن الأثير في الكامل - الناقص - تبعاً للطبري في الذكر والإهمال كما هو كذلك في كلّ ما توافقا عليه من التاريخ، لكنّه زاد ضعفاً على إِبالة^(١) فقال^(٢):

وفي هذه السّنة كان ما ذُكر في أمر أبي ذر وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة . وقد ذكر في سبب ذلك أموراً كثيرة من سبّ معاوية إيّاه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ، ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع ، لا يصحّ النقل به . ولو صحّ لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان ؛ فإنّ للإمام أن يؤدّب رعيّته ، وغير ذلك من الأعذار ، لا أن يجعل ذلك سبباً للطعن عليه كرهتُ ذكرها .

إنّ الذي لم يصحّح الرجل نقله صحّحه آخرون فنقلوه قبله وبعده فلم ينل المسكين مبتغاه ، وكان قد حسب أنّ الحقائق الثابتة تخفى عن أعين الناس إن سترها هو بذيل أمانته .

هَبْ أنّه ستر التاريخ بالإهمال لكنّه ماذا يصنع بالمحدّثين الذين أثبتوا حديث إخراجهم من المدينة وطرده عن مكّة والشام في باب الفتن وفي باب أعلام النبوة؟

١ - [«الضعف»: القبضة من الحشيش . و«الإِبالة»: الحزمة من الخطب . وقد مرّ كراراً شرح هذا المثل].

٢ - الكامل في التاريخ [٢/٢٥١، حوادث سنة ٣٠هـ].

ثم إن تأديب الخليفة للرعية إنما يقع على من فقد الآداب الدينية وطوّحت به طوائع الجهل إلى مساقط الضعة، وأمّا مثل أبي ذر الذي أطراه رسول الله ﷺ بما لم يُطّر به غيره، وقربه وأدناه وعلمه وإذا غاب عنه تفقّده، وشهد أنّه شبيه عيسى بن مريم هدياً وسمتاً وخلقاً وبرّاً وصدقاً ونسكاً وزهداً، فماذا يؤدّب؟! ولماذا؟! وأيّ تأديب هذا يراه النبيّ الأعظم بلاءً في الله؟! ويأمر أبا ذر بالصبر وهو يقول: مرحباً بأمر الله. وبم ولم استحقّ أبو ذر التأديب وعمله مبرور مشكور عند المولى سبحانه، ويراه مولانا أمير المؤمنين غضباً لله ويقول له: «فارح من غضبت له»^(١)؟!!

نعم، يجب أن يكون أبو ذر هو المؤدّب للناس؛ لما حمّله من علم النبوة وأحكام الدين وحكمه، والنفسيّات الكريمة، والملكات الفاضلة التي تركته شبيهاً بعيسى بن مريم في أمة محمد ﷺ.

ما بال الخليفة يتحرّى تأديب أبي ذر وهو هذا، ويهظه تأديب الوليد بن عقبة السكّير على شرب الخمر واللعب بالصلاة المفروضة؟!!

ويهظه تأديب عبيد الله بن عمر على قتل النفوس المحترمة.

ويهظه تأديب مروان وهو يتّهمه بالكتاب المزور عليه.

ويهظه تأديب الوقاح المستهتر المغيرة بن الأخنس وهو يقول له: أنا أكفيك عليّ بن أبي طالب؛ فأجابه الإمام بقوله: «يا بن اللعين الأبتّر والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني؟! فوالله ما أعزّ الله من أنت ناصره...»^(٢).

ما بال الخليفة يخوّل مروان مهمّات المجتمع، ويلقي إليه مقاليد الصالح العام، ولم يُصخّر إلى قول صالح الأئمة مولانا أمير المؤمنين له: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّكك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الطعينة يُقَاد حيث يُسار به؟ والله ما مروان

بذي رأي في دينه ولا في نفسه، وأيم الله إنني لأراه سيوردك ثم لا يُصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغُلِبْتَ على أمرك...»^(١)؟!
كان من صالح الخليفة أن يدني إليه أبا ذر فيستفيد بعلمه وخلقه ونسكه وأمانته وثقته وتقواه وزهده لكنه لم يفعل.

لقد فات ابن الأثير كل هذا؛ فاعتذر عن الرجل بأن الخليفة يؤدّب رعيته.

عماد الدين بن كثير:

جاء ابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية^(٢) فبنى على أساس ما علاه من قبله في حذف ما كان هنالك من هنات وزاد في الطنبور نغمات؛ قال:

كان أبو ذر بُنكر على من يقتني مالاً من الأغنياء ويمنع أن يدخر فوق القوت
ويوجب أن يتصدق بالفضل ويتأول قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ
يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنِّصَّةَ وَلَا يُفْقِرُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣) فينهاه
معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع، فبعث يشكوه إلى عثمان، فكتب عثمان
إلى أبي ذر أن يقدم عليه المدينة فقدمها، فلامه عثمان على بعض ما صدر
منه واسترجعه فلم يرجع؛ فأمره بالمقام بالربذة؛ وهي شرقي المدينة. ويقال:
إنه سأل عثمان أن يقيم بها. وقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: إذا بلغ البناء
سلعاً فأخرج منها؛ وقد بلغ البناء سلعاً؛ فأذن له عثمان بالمقام بالربذة، وأمره
أن يتعاهد المدينة في بعض الأحيان حتى لا يرتد أعرابياً بعد هجرته، ففعل،
فلم يزل مقيماً بها حتى مات.

١ - أظفر الأنساب للبلاذري ٥: ٦٤ و ٦٥ [١٧٧/٦ و ١٧٩]؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦٣ و ١٦٤ [١٤٦/٢] -

١٤٧، خطبة ٣٠.]

٢ - البداية والنهاية ٧: ١٥٥ [١٧٥/٧، حوادث سنة ٣٠هـ].

٣ - التوبة: ٣٤.

وقال^(١) عند ذكر وفاته:

جاء في فضله أحاديث كثيرة ، من أشهرها ما رواه الأعمش عن أبي اليقظان عثمان بن عمير ، عن أبي حرب بن أبي الأسود ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر » . وفيه ضعف

هذا كل ما في عيبة ابن كثير من المخاريق في المقام . وفيه مواقع للنظر :

١ - اتهمه أبا ذر بأنه كان يُنكر اقتناء المال على الأغنياء

هذه النظرية قديماً ما عزوها إلى الصحابيِّ العظيم إختلاقاً عليه وزوراً . وقد تحوّلت في الأدوار الأخيرة بصورة مشوّهة أخرى من نسبة الاشتراكية إليه . وسنفصل القول عنها .

٢ - إنه حسب نزوله الشام وهبوطه الربذة بخيرة منه بعد ما أوعز إلى أن عثمان أمره بالمقام بالربذة .

أمّا حديث الربذة فقد أوقفناك آنفاً^(٢) على أنّه كان منفيّاً إليها ، وأخرج من مدينة الرسول بصورة منكرة ، ووقع هنالك ما وقع بين عليّ ﷺ ومروان ، وبينه وبين عثمان ، وبين عثمان وبين عمّار ، واعتراف عثمان بتسييره ، وتسجيل عليّ أمير المؤمنين عليه ذلك ، وسماع غير واحد من أبي ذر الصادق نفسه حديثه ، وأنّ عثمان جعله أعرابياً بعد الهجرة . وهو مقتضى إعلام النبوة في إخبار رسول الله ﷺ إيّاه بأنه سوف يُخْرَج من المدينة ، ويُطرد من مكّة والشام .

وأما خبر الشام فقد مرّ^(٣) إخراجُه إليها ولم يكن ذلك باختياره أيضاً .

١ - البداية والنهاية : ١٦٥ [٥٨٦/٧] ، حوادث سنة ٣٢ هـ .

٢ - في ص ٢٧١ - ٢٧٢ من كتابنا هذا .

٣ - في ص ٢٧١ - ٢٧٥ من كتابنا هذا .

٣- وأما حديث بلوغ البناء سلماً فإفكٌ مفترى على أمّ ذر. وقد جاء في مستدرک الحاكم^(١)، وذكره البلاذري كما مرّ^(٢) ورآه سبب خروج أبي ذر إلى الشام بإذن عثمان لا سبب خروجه إلى الربذة كما في حديث الطبري.

على أن ابن كثير أخذه من الطبري في التاريخ، وجلّ ما عنده إنما هو ملخص ما فيه مع التصرف فيه على ما يروقه، وإسناد الرواية في التاريخ رجاله بين كذاب وضاع وبين مجهول لا يُعرف إلى ضعيف متهم بالزندقة كما أسلفناه^(٣)؛ وهم:

١- السريّ. ٢- شعيب. ٣- سيف. ٤- عطية. ٥- يزيد الفقعسي.

وحديثٌ يكون في إسناده أحد هؤلاء لا يعول عليه.

وعلى فرض اعتباره فإنه لا يقاوم الصحاح المعارضة له الدالة على إخبار رسول الله ﷺ بأنه يُخرج ويُطرّد من مكّة والمدينة والشام.

وهي معتمدة بما مرّ عن أبي ذر وعثمان وغيرهما في تسيير عثمان إليّاه.

أضف إليها الأعذار الباردة الواردة عن أعلام القوم في تبرير عثمان عن هذا الوزر الشائن.

٤- وأما ما ذكره من أمر عثمان أبا ذر أن يتعاهد المدينة حتّى لا يرتدّ أعرابياً فإنه من جملة تلك الرواية المكذوبة التي تشمل على حديث السلع. وقد ورد من طريق البلاذري بإسناد صحيح قول أبي ذر: «ردّني عثمان بعد الهجرة أعرابياً». على أنّه لم يذكر أحدًا أن أبا ذر قدم المدينة خلال أيّام نفيه من سنة ثلاثين إلى وفاته سنة اثنتين وثلاثين حتّى يكون ممثلاً لأمر عثمان بالتعاهد.

٥- ما ذكره من أنّه جاء في فضله أحاديث كثيرة من أشهرها....

١- المستدرک على الصحيحين ٣: ٣٤٤ [٣/٣٨٧، ح ٥٤٦٨].

٢- في ص ٢٧١ - ٢٧٢ من كتابنا هذا. ٣- في ص ٢٨٦ من كتابنا هذا.

إنَّ شَنْشَنَةَ الرَّجُلِ فِي الْفَضَائِلِ أَنَّهُ إِذَا قَدِمَ لِسَرْدِ تَارِيخٍ مِنْ يَهُوَاهُ مِنَ الْأُمُومِيِّينَ وَمِنْ أَنْصَوَى إِلَيْهِمْ مِنْ رَوَّادِ النَّهْمِ جَاءَ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَسَرْدِ التَّافَةِ الْمَوْضُوعِ فِي صُورَةِ الصَّحَاحِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِإِسْنَادِهَا أَوْ تَعْقِيبٍ لِمُضَامِينِهَا، وَلَا يَمْلُ مِنْ تَسْطِيرِهَا وَإِنْ سَوَّدَتْ أَضَابِيرُ مِنَ الْقَرَاطِيسِ.

لَكِنَّهُ إِذَا وَصَلَتْ النُّوبَةُ إِلَى ذِكْرِ فَضْلِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليه السلام) أَوْ شِيعَتِهِمْ وَبَطَانَتِهِمْ مِنْ عِظَمَاءِ الْأُمَّةِ وَصَلَحَائِهَا كَأَبِي ذَرٍّ، تَضَيَّقَ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِرَحْبِهَا، وَتَلَكَّأَ وَتَلَعَّمُ كَأَنَّ فِي لِسَانِهِ عَقْلَةً وَفِي شَفْتَيْهِ عَقْدَةً، أَوْ أَنَّهُ كَانَ فِي أُذُنِهِ وَقْرٌ عَنْ سَمَاعِهَا فَلَمْ تُنْهَ إِلَيْهِ. وَإِنْ اضْطَرَّتْهُ الْحَالَةُ إِلَى ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْهَا جَاءَ بِهِ فِي صُورَةِ مُصَغَّرَةٍ، كَمَا تَجَدُّ هَاهُنَا حَيْثُ جَعَلَ مَا هُوَ مِنْ أَشْهُرِ فَضَائِلِ أَبِي ذَرٍّ ضَعِيفاً، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ طَرِيقَ هَذَا الْإِسْنَادِ لَيْسَ مُنْحَصِراً بِمَا ذَكَرَهُ هُوَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَمْرٍو الَّذِي أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ، وَإِنَّمَا جَاءَ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبِي ذَرٍّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَأَبِي هُرَيْرَةَ. وَحَسَّنَ التِّرْمِذِيُّ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ طَرَقِهِ فِي صَحِيحِهِ (١).

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢).

نظريّة أبي ذر في الأموال

كَانَ نَكِيرَ سَيِّدِنَا أَبِي ذَرٍّ مُوَجَّهاً إِلَى أَمْثَالٍ مِنْ ذَكَرْنَاهُمْ؛ كَمَعَاوِيَةَ الَّذِي كَانَ يَرْفَعُ أَبُو ذَرٍّ عَقِيرَتَهُ عَلَى بَابِهِ كُلِّ يَوْمٍ وَيَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنِّصْفَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣).

وَكَانَ يَرَى الْأَمْوَالَ تُجْبَى إِلَيْهِ فَيَقُولُ: «جَاءَتِ الْقَطَارُ تَحْمِلُ النَّارَ».

١ - سنن الترمذي ٢: ٢٢١ [٥/٦٢٨، ح ٣٨٠١ و ٣٨٠٢].

٢ - التوبة: ٣٤.

٣ - سورة ق: ٢٢.

وكمروان الذي كان إحدى منائح عثمان له خمس إفريقيّة وهو خمسمئة ألف دينار.
وكعبدالرحمن بن عوف، وزيد بن ثابت المخلف، وطلحة و....

وأمثال هؤلاء البخلاء على المجتمع الدينيّ.

وهو يرى أنّ خليفة الوقت يأتيه أبو موسى بكيلة ذهب وفضّة فيقسمها بين نسائه وبناته من دون أيّ اكتراث لمخالفة السنّة الشريفة، وهو يعلم الكميّة المدخّرة من النقود التي نهبت يوم الدار: «زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالنِّصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمُنَاقَبِ»^(١).

ولذلك لم يوجّه نكيره إلى أناس آخرين من زملائه ومعاصريه من أهل اليسار؛ كقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الذي كان يهب غير الحقوق الواجبة عليه آلافاً مؤلّفة^(٢).

وكأبي سعيد الخدري الذي كان يقول: ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منّا^(٣).

وكعبدالله بن جعفر الطيّار الذي دوّخ الأجواء ذكر ثروته وعطاياه وقد فصلها ابن عساكر في تاريخه^(٤) وغيره.

وعبدالله بن مسعود الذي خلف تسعين ألفاً كما في صفة الصفوة و.... فلم تسمع أذن الدنيا أنّ أبا ذر وجّه إلى أحد من هؤلاء الأثرياء لوماً؛ لأنّه كان يعلم بأنّهم اقتنوها من طرقها المشروعة وأدّوا ما عليهم منها وزادوا، وراعوا حقوق المروءة حقّ رعايتها، وما كان يبغى بالناس إلّا هذه.

١- آل عمران: ١٤. ٢- [لعرقان شطير من يساره أنظر تلخيص الغدير/ ١٣٢].

٣- صفة الصفوة لابن الجوزي ١: ٣٠٠ [٧١٥/١، رقم ١٠٥].

٤- تاريخ مدينة دمشق ٧: ٣٢٥ و ٣٤٤ [٢٧/٢٤٨-٢٩٨، رقم ٣٢٢٢]؛ وانظر المنتظم [٦/٢١٤، رقم ٤٧٧].

لماذا يرى أبو ذر بناء معاوية الخضراء في دمشق فيقول: «يا معاوية! إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف»؛ فسكت معاوية. ويقول أبو ذر: «والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إنني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يُحْيى، وصادقاً يكذب، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه»^(١).

ويرى بناء المقداد داره بالمدينة بالجرف وقد جعلها محصّة الظاهر والباطن كما في مروج الذهب^(٢)؛ فلا ينكره عليه ولا ينهاء عنه ولا ينسب ببنت شفة؛ وليس ذلك إلا لما كان يراه من الفرق الواضح بين المالين والبناءين وصاحبيهما.

وأما وجوب إنفاق المال الزائد على القوت كلّهُ الذي عزاه إلى سيّدنا أبي ذر المختلقون، فمن أفاكتهم المفتريات، لم يدّعه أبو ذر ولا دعا إليه؛ وكيف يكون ذلك وأبو ذر يعي من شريعة الحقّ وجوب الزكاة؟! وهل يمكن ذلك إلا بعد اليسار والوفر الزائد على المؤن؟! والله سبحانه يقول: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ»^(٣). وفي تنكير الصدقة و«من» التبعيض دلالة على أنّ المأخوذ بعض المال لا كلّهُ.

على أنّ النّصب الزكويّة المضروبة في النقدين والأنعام والغلات كلّها نصوص على أنّ الباقي من المال مباح لأربابه. ولأبي ذر نفسه في آداب الزكاة أحاديث أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما من رجال الصحاح وأحمد والبيهقي وغيرهم.

فلو كان يجب إنفاق بعد إخراج الزكاة فما معنى التحديد بالنّصب والإخراج منها؟! وهذا معنى واضح لا يخفى على كلّ مسلم، فضلاً عن مثل أبي ذر الذي هو وعاء العلم والمحيط بالسنة الشريفة.

١- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [٢٥٥/٨، خطبة ١٣٠].

٢- مروج الذهب ١: ٤٣٤ [٣٥١/٢].

٣- التوبة: ١٠٣.

ولو كانت على المكلف بقية من الواجب بعد الزكاة لم يؤدّها فما معنى الفلاح الذي وصف الله تعالى به المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾؟^(١)

ولو كان لأبي ذر أدنى شذوذ عن الطريقة المثلى في حكم إلهي، شذوذاً يخلّ بنظام المجتمع ويقلق السلام والوئام، وتكثر حوله القلاقل، وفيه إثارة العواطف والإخلال بالأمن أو الترحيز عن مبادئ الإسلام، لكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أول من يردعه ويحبسه عن قصده السيئ وأبو ذر أطوع له من الظلّ لذيّه؛ لكنّه عليه السلام بدلاً عن ذلك يقول: «غضبت لله فارح من غضبت له». ويقول: «والله ما أردت تشييع أبي ذر إلا لله». ويقول لعثمان: «أتق الله فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك». وأمير المؤمنين من تعرفه بتنمّره في ذات الله لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو مع الحقّ والحقّ معه في كلّ ما يقول ويفعل.

وهل ترى أنّ رسول الله ﷺ مع أنّه كان يعلم أنّ أبا ذر سوف ينوء في أخرياتّه بدعوة باطلة كهذه طفق ينوّه به، ويعرّفه بين الملاء بصفات فاضلة تكبر مقامه، وتعظّم مكانته عند الجامعة^(٢)، وتمكّنه من القلوب الصالحة؟! فيكون عليه السلام مؤيِّداً له على عيشه، ومؤسساً لباطله، ومعرّفاً لضلاله. حاشا رسول العظمة من مثل ذلك.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٣).

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾^(٤).

﴿إِذْ تُلْقُونَهُ بِالسَّتِيزَةِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٥).

﴿مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾^(٦).

٢ - [أي: المجتمع الإسلامي].

٤ - الأنعام: ١٤٨.

٦ - الكهف: ٥.

١ - المؤمنون: ١ - ٤.

٣ - الأنعام: ١٤٤.

٥ - النور: ١٥.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(١).

أبو ذر والاشتراكية

لقد عرفت كل ما في كنانة الأولين من نبال مرشوقة إلى العبد الصالح شبيه عيسى في أمة محمد ﷺ.

فهلّم هاهنا إلى رجرة الآخرين من مقلدة الدور الأخير الخاطبين خطب عشواء، الذين رموا أبا ذر - وأجله - بالاشتراكية تارة، وبالشيوعية أخرى.

لا أحسب أنهم عرفوا شيئاً من تلكم المغازي فضلاً عن حدود الإسلام، يجعل مثل أبي ذر العظيم شيوعياً أو اشتراكياً، وقد صافقه على ما هتف به ونقم على من ناواه وآذاه من القوم جلّ الصحابة إن لم نقل كلّهم ممن يعبأ به وبرأيه، واستأثروا لما نكّب به من جرّاء ذلك الهتاف وفي مقدّمهم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وإيناه الإمامان إن قاما وإن قعدا، وعمّار أنذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَمَّاراً مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَهُ يَدُورُ عَمَّارٌ مَعَ الْحَقِّ أَيْنَمَا دَارُ»^(٢) إلى كثيرين وافقوا هؤلاء على النقمة والاستياء؛ فلم يكن أبو ذر شاذاً في رأيه، ولا أنهي إلينا أنه خالفه أحد من الصحابة، فدونك صحائف التاريخ وزبر الحديث.

نعم، خالفه الذين يريدون أن يخضمو مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، وكانوا يكتزون الذهب والفضة ولا يُنفقون منها ما يجب عليهم إنفاقه، ويحرمون الأمة عن أعطياتهم وما ينمو منها، ويريدون للضعفاء أن يرزخوا تحت نير الاضطهاد، ويرسفوا في قيود الفاقة والضعة، خاضعين لهم مستعبدين، وللقوم من أموالهم قصور مشيّدة، وغارق مصفوفة، وزرابي مبنوثة، يأكلون فيها مال الله أكلاً لماً، ويحبّون احتكاره حبّاً جمّاً.

٢- سيوافيك في محله في ص ٣١٧ بإذن الله تعالى.

دع ذلك كله وهلمّ معي إلى النظر في مبادئ الشيوعية والفِرَق الاشتراكيين؛ إنّ القوم على تعدّد فرقهم إلى الاشتراكية الديمقراطية، والاشتراكية الوطنية النازية والشيوعية، والماركسيّة - اشتراكية رأس المال - وبالرغم من تباينهم الكثير في شتى النواحي لا يختلفون في موادّ ثلاثة تجمع شملهم المبدّد - بدّد الله شملهم :-

١ - تقويض النظام الحالي، وتشديد نظام جديد على أنقاضه يضمن توزيع الثروة توزيعاً عادلاً بين الأفراد.

٢ - إلغاء الملكية الخاصّة - ثروات الإنتاج - كرأس المال، والأرض، والمصانع، على أن تستولي الدولة على هذه الملكيات جميعها وتجعلها ملكيّة عامّة تديرها للمصلحة العامّة.

٣ - يشتغل الأفراد لحساب الدولة بأجور تُعطى لهم بالتساوي؛ على أساس قيمة العمل الذي ينتجه كلّ منهم، وتبعاً لذلك لا يكون هناك دخل للأفراد سوى الأجور. وتتفرد الشيوعية عن بقية الاشتراكيين بأمرين:

أحدهما: إلغاء الملكية الخاصّة إلغاءً نهائياً من غير فرق بين ثروات الإنتاج وثرورات الاستهلاك.

وثانيهما: توزيعها المال بين الأفراد لكلّ على حسب حاجته، ويستخدم من كلّ على حسب قدرته، فيكلّف العامل بالعمل على قدر استطاعته، ويدرّ عليه المعاش بما يسدّ حاجته.

فعلينا هاهنا أن نعيد ذكر ما هتف به أبو ذر في شتى مواقفه، وما رواه عن رسول الله ﷺ في باب الأموال، وما قال في حقّه عظماء الصحابة من الإطراء له والدفاع عنه بعد هتافه بما هتف، وما يؤثّر فيه عن رسول الله ﷺ من الثناء الجميل وعهده إليه بما يتنابه من النكبات؛ فننظر إليها نظرة مُستشفّ للحقيقة فترى هل ينطبق شيء منها على

موادّ الشيوعيّة والاشتراكيّة؟ أو ينحسر عنه ذلك الإفك المفترى داحراً إلى حضيض البهت والافتراء؟

إنّ من قول أبي ذر لعثمان: «ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ﷺ ورأيت أبا بكر وعمر؟! هل رأيت هذا هديهم؟! إنك لتبطش بي ببطش الجبار».

ومن قوله له أيضاً: «اتّبع سنّة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام».

قال عثمان: مالك وذلك؟ لا أمّ لك!

قال أبو ذر: «والله ما وجدت لي عذراً إلاّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

تجد أبا ذر هاهنا يلفت نظر عثمان إلى عهد الرسالة ثمّ إلى عهد الشيخين ويدعوه إلى اتّباع تلكم السير، ومن جليّة الحال عند هاتيك الأدوار الثلاثة أطراد الملكية الخاصّة، ووجود أهل اليسار من الملاكين، والتجار، وحرّيتهم في ثروقي الإنتاج والاستهلاك، واختصاص كلّ مالّيّة من نقود أو عقار أو ضياع أو مصانع أو أطعمة بأربابها.

ومن النواميس المسلّمة عند نبيّ الإسلام ﷺ أنّه لا يحلّ مال امرئٍ إلاّ بطيب نفسه. وفي الذكر الحكيم: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾^(١).

فتجده يعزو الأموال إلى أربابها ويحرّم أكلها بالباطل إلاّ أن تستباح بتجارة شرعيّة تستتبع رضا المالك الخاصّ. وهناك آيات كريمة كثيرة تربو على خمسين آية لم يعدها عزو الأموال إلى مالكيها^(٢).

فأبو ذر في هذا الموقف يدعو إلى ضدّ الدعوة الاشتراكيّة الملغية للملكيّة الخاصّة، ويرى مخالفة ذلك من المنكر الذي يجب النهي عنه؛ فلم يردعه علماً مضى فيه قول عثمان: مالك وذلك؟ لا أمّ لك!

١ - النساء: ٢٩.

٢ - كقوله تعالى في البقرة: ٣ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٥ و ٢٦٧ و ٢٧٤، وآل عمران: ٩٢؛ والنساء: ٢٨؛ والأفقال: ٣؛

وإبراهيم: ٣١؛ والحج: ٣٥؛ والمنافقون: ١٠.

ومن قوله لمعاوية لما بنى الخضر: «إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف».

فأبو ذر هاهنا يجوز أن يكون المال مقسوماً إلى مال الله وإلى ما يخص الإنسان نفسه، فيرتب على الأول الخيانة، وعلى الثاني السرف. ولم ينقم على معاوية نفس تصرفه في المال وإنما نقم عليه أحد الأمرين الخيانة أو الإسراف، ولو كان ملغياً للملكية لكان الواجب عليه أن ينتقد منه أصل تصرفه في تلك الأموال.

وتراه يسمي مال المسلمين من الفيء والصدقات والغنائم «مال الله». وقد روى ذلك عن رسول الله ﷺ أيضاً لعثمان حيث قال له: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباده خولاً ودينه دخلاً». وصدقه في حديثه مولانا أمير المؤمنين ﷺ.

وهذه التسمية لم تكن قصراً على عهد أبي ذر ومعاوية وإنما كانت دارجة قبله وبعده.

كان عمر كلما مرّ بخالد قال: «يا خالد! أخرج مال الله من تحت استك»^(١). ومولانا أمير المؤمنين ﷺ يقول: «لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله؟ ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف»^(٢).

كما أن التسمية بمال المسلمين أيضاً كان مطّرداً قبل هذا العهد وبعده. قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن الأرقم: «أقسم بيت مال المسلمين في كل شهر مرة...»^(٣).

وقال مولانا أمير المؤمنين ﷺ: «إنّ هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو في المسلمين»^(٤).

١- راجع تاريخ الأمم والملوك [٤٣٧/٣]، حوادث سنة ١٣ هـ.

٢- نهج البلاغة ١: ٢٤٢ [ص ١٨٣، خطبة ١٢٦، والزيادة منه].

٣- أنظر سنن البيهقي ٦: ٣٥٧.

٤- نهج البلاغة ١: ٤٦١ [ص ٣٥٣، رقم ٢٢٢].

ومن كتاب له إلى زياد بن أبيه: «وإني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خُنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدنّ عليك شدة»^(١).

ولكلّ من التسميتين وجه معقول؛ أمّا التسمية بمال الله فلاّنه الله سبحانه وهو الأمر بإخراجه ومعين النصب، ومبين الكييات المخرجة، ومشخص المصارف والمستحقين. وأمّا التسمية بمال المسلمين فلاّتهم المصروف والمدرّ له؛ فلا غضاذه على أبي ذر لو سمّاه بأيّ من الاسمين، ولا يعرب أيّ منها عن مبدأ سوء.

ومن كلمات أبي ذر: قوله لمعاوية لما بعث إليه بثلاثمئة دينار: «إن كانت من عطائي الذي حرمتومنيه عامى هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها».

فإنك تشهد ها هنا أبا ذر يقسم المال إلى العطاء المفترض الذي منع منه عامه ذلك - لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر - وإلى المال المملوك الذي يُخرج منه الصلة بطوع من صاحبه ورغبة؛ فإنّ الصلة من المروءات وهي لا تكون إلّا من خالص مال الرجل، ومن غير الحقوق الإلهية، ومن غير الأموال المسروقة؛ فأين هو عن إلغاء الملكية الذي هو الحجر الأساسي للاشترائيين؟! على أنّه ليس عندهم صلة ولا غيرها من حقوق الإنسانية، وإنّما هي عندهم أجور على قيم أعمال الرعيّة.

رواياته في الأموال:

وأما ما رواه أبو ذر في باب الأموال عن رسول الله ﷺ فينادي بما لا يلائم الاشتراكية قطّ؛ وإليك جملة منه:

١ - «ما من مسلم ينفق من كلّ مال له زوجين في سبيل الله عزّ وجلّ إلّا استقبلته حجة الجنة كلّهم يدعوه إلى ما عنده». قلت: وكيف ذلك؟ قال ﷺ: «إن كانت رجلاً

فرجلين، وإن كانت إيلاً فبغيرين، وإن كانت بقرأ فبقرتين»^(١).

ففيه إثبات المال لكل إنسان بالرغم من المبدأ الاشتراكي، والترغيب بالتطوع بالإتفاق في سبيل الله من كل نوع زوجين.

٢- «في الإبل صدقتها، وفي الغنم صدقتها، وفي البقر صدقتها، وفي البر صدقته».

٣- «ما من رجل يموت فيترك غنماً أو إيلاً أو بقرأ لم يؤدّ زكاته إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمن حتى تطأه بأظلافها وتنطحه بقرونها»^(٢).

فهي تثبت المالية وأنه لا فريضة على الإنسان في ماله غير الزكاة، وهي من بعضها، وأن الباقي لصاحبه، رضي الاشتراكي أو غضب.

٤- «ثلاثة يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقر المختال، والغني الظلوم».

وفي لفظ: «إن الله يبغض الشيخ الزاني، والفقر المختال، والمكثر البخيل».

وفي لفظ: «إن الله لا يحب كل مختال فخور، والبخيل المتان، والتاجر الخلف»^(٣).

في هذه الروايات ذكر اختلاف طبقات الناس وحدودهم بما يملكون، ففقر وغني، ومكثر وتاجر تتقوّم تجارته برأس ماله، والاشتراكي يرى أن الناس شرع سواء بالنسبة إلى الأموال.

٥- أمرني خليلي ﷺ بسبع: «أمرني بحب المساكين والدنوّ منهم، وأمرني أن أنظر

١- أخرجه أحمد في مسنده ٥: ١٥١ و ١٥٣ و ١٥٩ و ١٦٤ [١٨٧/٦]، ح ٢٠٨٣٤، ص ١٩٠، ح ٢٠٨٥١؛ ص ١٩٩، ح ٢٠٩٠٤؛ ص ٢٠٦، ح ٢٠٩٤٢.

٢- مسند أحمد ٥: ١٥٢ و ١٥٨ و ١٦٩ و ١٧٩ [١٨٩/٦]، ح ٢٠٨٤٤؛ ص ١٩٧، ح ٢٩٨٩٢؛ ص ٢١٤، ح ٢٠٩٨٠؛ ص ٢٢٨، ح ٢١٠٤٧؛ سنن ابن ماجه ١: ٥٤٤ [٥٦٩/١]، ح ١٧٨٥.

٣- مسند أحمد ٥: ١٥٣ و ١٧٦ [١٩٠/٦]، ح ٢٠٨٤٨ - ٢٠٨٤٩؛ ص ٢٢٣، ح ٢١٠٢٠. وأخرجه أبوداود، وابن خزيمة في صحيحه [١٠٤/٤]، ح ٢٤٥٦؛ والنسائي [في السنن الكبرى ٤/٢٦٩، ح ٧١٣٧]؛ والترمذي في باب كلام الحور العين وصححه [٦٠١/٤]، ح ٢٥٦٨.

إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوق...»^(١).

ومما لا غبار عليه أنّ المراد من الدون والتحت في هذا الحديث: من هو دونه في المال ليشكر الله سبحانه على تفضيله عليهم، ولا ينظر إلى من فوقه لئلا يشغله الاستياء أو الحسد على تفضيل غيره عليه عن الذكر والشكر والنشاط في العبادة.

وأما الأعمال والطاعات والملكات الفاضلة، فينبغي للإنسان أن ينظر إلى من هو فوقه فيها ليتنشط على مثل عمله فيتحرى شأوه، ولا ينظر إلى من هو دونه فيفتر عن العمل ويقعد عن اكتساب الفضائل والفواضل، وربما داخله العجب.

ففي الحديث إثبات المائيّة والتفاضل فيها بالرغم من المبدأ الشيوعي.

هذه جملة من روايات أبي ذر الصدوق المصدّق تضادّ بنصّها ما اتّهم به من المبدأ الممقوت، وإن هي إلّا نداء القرآن الكريم وما صدع به الرسول الأمين.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زِنٌ فَيُتَّبِعُونَ مَا نَشَاءُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ لَفِثَةٍ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^(٣).

نظرة في الكلمات الواردة في إطراء أبي ذر

هل تلائم ما اتّهم به؟

أمّا ثناء الصحابة عليه بعد نفيه ودأبه على ما هتف به فحسبك من ذلك قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّك غضبت لله فارح من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك...» إلى آخر ما مرّ^(٤).

١- مسند أحمد ٥: ١٥٩ و ١٧٣ [١٩٩/٦، ح ٢٠٩٠٦، ص ٢١٩، ح ٢١٠٠٦].

٢- الزمر: ١٨.

٣- آل عمران: ٧.

٤- في ص ٢٧٥ من كتابنا هذا.

وفي الكلمة صراحة بأن غضب أبي ذر كان لله فعليه أن يرجو من غضب له، وهو فرع رضا الله سبحانه على ما ناء به ودعا إليه، وأن ما لهج به مما أغضب القوم كانت كلمة دينية محضة تجاه الديونة المحضة التي خافها أبو ذر على دينه وخافها القوم على دنياهم، فامتحنوه بالقلبي ونفوه إلى الفلا، وأنه هو الرابع غداً، وإنما القوم حاسدوه. وأي من هذه تلتئم مع الشيوعية التي هي مادية محضة ليس بينها وبين مرضاة الله تعالى أي صلة؟!

أحسب أن مولانا امير المؤمنين عليه السلام أطرى أبا ذر بهذا الإطراء البالغ - ويقول في كلمته الأخرى لعثمان: «أتق الله سيّرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك»؛ فيراه صالحاً ويرى هلاكه في ذلك التسيير حوباً لا يصدر من المتقي - وهو غير مستشفّ لنظريته؟! ولا عارف بنفسيته وهو كروحه التي بين جنبيه؟! أو أنه يوافق على المذهب الشيوعي؟! أو أنه يراغم أعداءه مع حيطة بباطله؟!

أضف إلى كلمة الإمام قول ولده الإمام الزكيّ السبط المجتبي أبي محمد الحسن لأبي ذر: «قد أتى من القوم إليك ما ترى فضع عنك الدنيا بتذكّر فراغها، واصبر حتى تلقى نبيك وهو عنك راض»^(١).

فترى الإمام المعصوم يتذمّر مما أصاب أبا ذر من القوم، ويأمره بالصبر المقابل بالأجر الجزيل، وأنه سيلقى رسول الله ﷺ وهو عنه راض.

وهل تجد توفيقاً بين [رضا]^(٢) الرسول ومعتقد الإمام المجتبي وبين الشيوعية؟! وأشفع الكلمتين بقول الإمام السبط الشهيد أبي عبد الله لأبي ذر: «قد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك؛ فاسأل الله الصبر والنصر»^(٣).

١ - أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٣٧٥ - ٣٨٧ [٨/ ٢٥٢ - ٢٦٢، خطبة ١٣٠].

٢ - [ساقط من الطبعة الثانية]. ٣ - المدرك السابق.

كانت الصحابة كلهم المهاجرون منهم والأنصار ينقمون ما نبيل به أبو ذر من النفي والتعذيب، وكان قيل النعمة بين شفاهم، وفي طيات قلوبهم، وأسطر خطاباتهم، يوم التجمهر ويوم الدار.

وهذه النعمة العامة المنبعثة عن مودة القوم لأبي ذر مودة خالصة دينية وإخاء في الإيمان وولاء في الطريقة المثلى، كل ذلك أخذاً بما وعوه عن رسول الله ﷺ في أبي ذر وهديه وسمته ونسكه وتقواه وإيمانه وصدقه لا تلتئم مع شيء مما قذفوا به أبا ذر من الشيوعية، أو تقول: إن الصحابة كلهم شيوعيون؟!

ثناء النبي ﷺ عليه وعهده إليه:

أمّا ما أثر عن نبي الإسلام من ذلك فقد قدّمنا شطراً منه ولا منتدح من أن نقول: إن نبي العظمة كان جدّ عليم بوسع علم النبوة بما سوف ينوء به أبو ذر في خواتيم أيامه بأقوال وأعمال تبهّظ مناوئيه، وكان يعلم أيضاً أن أمته سيتخذون كل ما لهج به أصولاً متبعة؛ فلو كان يعلم في أبي ذر شذوذاً لما أغرى الأمة بموافقته بتلكم الكلم الدريّة. على أنه ﷺ عهد إليه وأخبره أن ما يصيبه من الكوارث من جرّاء ما يدعو إليه في الله وبعينه؛ فلا يعقل أن يكون في رأيه شذوذ عن طريقة الدين، بل كان من واجبه ﷺ أن يُنبّهه على خطئه في الرأي وغلطه في الدعوة.

﴿قَائِدُنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبِحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(١).

- ٦١ -

الخليفة يخرج ابن مسعود من المسجد عنفاً!!

أخرج البلاذري في الأنساب^(٢) قال: حدّثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعوانة في إسنادهما: أن عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد

٢- أنساب الأشراف ٥: ٣٦ [١٤٦/٦].

ابن عقبة قال: من غير غير الله ما به، ومن بدل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدل، أي عزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولي الوليد؟! وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو:

إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار^(١).

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنه يعيبك ويطعن عليك. فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه؛ فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه. فقال: إن له علي حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن. فرد الناس وخرج إليه^(٢).

قال البلاذري: وشيعة أهل الكوفة، فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن؛ فقالوا له: جُزيت خيراً فلقد علّمت جاهلنا، وثبت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل. ثم ودّعوه وانصرفوا.

وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دُويبة سوء، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح.

فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان. ونادت عائشة: أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ؟!

ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، وضرب به عبد الله ابن زمعة^(٣)

١- هذه جملة من كلمة ابن مسعود، وقد أخرجها برمتها أبو نعيم في حلية الأولياء ١: ١٣٨ [رقم ٢١] وهي كلمة قيّمة فيها فوائد جمة.

٢- الاستيعاب ١: ٢٧٣ [القسم الثالث/ ٩٩٣، رقم ١٦٥٩].

٣- [هو عبد الله بن زمعة بن الأسود القرشي الأسدي، قُتل مع عثمان يوم الدار].

الأرض. ويقال: بل احتمله - يحموم - غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدُقَّ ضلعه.

فقال عليّ: «يا عثمان! أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة؟». فقال: ما بقول الوليد فعلتُ هذا ولكن وجهتُ زيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة فقال له ابن مسعود: إنَّ دم عثمان حلال؛ فقال عليّ: «أحلت عن زيد على غير ثقة».

وقال قوم: إنَّه كان نازلاً على سعد بن أبي وقاص، ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربِّي. قال: ألا أدعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا آمر لك بعطائك؟^(١) قال: منعني وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه؟! قال: يكون لولدك. قال: رزقهم على الله. قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن! قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي. وأوصي أن لا يصلي عليه عثمان. فدُفِنَ بالبقيع وعثمان لا يعلم. فلما علم غضب وقال: سبقتُموني به؟ فقال له عمار بن ياسر: إنَّه أوصى أن لا تصلي عليه.

وأخرج محمد بن إسحاق بن محمد بن كعب القرظي: «إنَّ عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذر»^(٢).

وفي السيرة الحلبية^(٣): «من جملة ما انتقم به على عثمان أنَّه حبس عبدالله ابن مسعود وهجره، وحبس عطاء أبي بن كعب، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه معاوية، وضرب عمار بن ياسر وكعب بن عتبة ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال، وقال لعبد الرحمن بن عوف: إنَّك منافق...».

١ - قال ابن كثير في تاريخه ٧: ١٦٣ [١٨٣/٧]، حوادث سنة ٣٢ هـ: «كان قد تركه ستين».

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٣٧ [٤٤/٣]، خطبة ٤٣.

٣ - السيرة الحلبية ٢: ٨٧ [٧٨/٢].

قال الأمين: لعلك لا تستكنه هذه الجرأة ولا تبلغ مداها حتى تعلم أن ابن مسعود من هو، فهناك تؤمن بأن ما فعل به حوب كبير لا يبرر فعل مرتكبه أي عذر معقول فضلاً عن التافهات:

١ - أخرج^(١) مسلم وابن ماجه من طريق سعد بن أبي وقاص، قال: نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) في ستة نفر منهم عبدالله بن مسعود.

٢ - أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى^(٣)، من طريق عبدالله بن مسعود نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) في ثمانية عشر رجلاً هو أحدهم.

٣ - ذكر الشريبي والحازن^(٥) نزول قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَانِثُ آنَاءِ الْبَيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَخْذَرُ الْآخِرَةَ﴾^(٦) في ابن مسعود وعمار وسلمان.

٤ - عن عليّ بن أبي طالب مرفوعاً: «عبدالله يوم القيامة في الميزان أثقل من أحد»^(٧).

٥ - أخرج الحاكم في المستدرك^(٨) من طريق حبة العرني قال: إن ناساً أتوا عليّاً

١ - صحيح مسلم [٣١/٥، ح ٤٥، كتاب فضائل الصحابة]؛ سنن ابن ماجه [١٣٨٢/٢، ح ٤١٢٨]؛ جامع البيان

٧: ١٢٨ [ج ٥/ ح ٢٠٢/٧]؛ الدر المنثور ٣: ١٣ [٢٧٤/٣].

٢ - الأنعام: ٥٢.

٣ - الطبقات الكبرى، طبع ليدن ٣: ١٠٨ [١٥٢/٣ - ١٥٣].

٤ - آل عمران: ١٧٢. ٥ - تفسير الحازن ٤: ٥٠.

٦ - الزمر: ٩.

٧ - راجع: المستدرك على الصحيحين ٣: ٣١٧ [٢/٣٥٨، ح ٥٣٨٥]؛ كنز العمال ٦: ١٨٠ و ١٨١؛ ٧: ٥٥ [١١/

٧٠٩، ح ٣٣٤٥٦ و ٣٣٤٥٧؛ ١٣/٤٦٦، ح ٣٧٢١٢.

٨ - المستدرك على الصحيحين ٣: ٣١٥ [٣/٣٥٧، ح ٥٣٨٠].

فأثنوا على عبدالله بن مسعود؛ فقال: «أقول فيه مثل ما قالوا وأفضل: من قرأ القرآن وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة».

٦- أخرج الترمذي^(١) بإسنادٍ رجاله ثقات من طريق حذيفة بن اليمان: «أنّ أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمّد ﷺ عبد الله».

وفي لفظ البخاري «ما أعرف أحداً أقرب سمّاً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ من ابن أمّ عبد».

هذا ابن مسعود:

وهذا علمه وهديه وسمته وصلاحه وزلفته إلى نبيّ العظمة ﷺ. أضف إلى ذلك كلّه سابقته في الاسلام وهو سادس سنة، وهجرته إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهوده بدرًا ومشاهد النبي ﷺ كلّها، وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة كما في رواية أبي عمر في الاستيعاب. ولعلّك لا تشكّ بعد سيرك الحثيث في غضون السيرة والتاريخ في أنّه لم يكن له دأب إلا على نشر علم القرآن وسنة الرسول وتعليم الجاهل، وتنبية الغافل، وتثبيت القلوب، وشدّ أزر الدين، في كلّ ذلك هو شبيه رسول الله ﷺ في هديه وسمته ودلّه؛ فلا تجد فيه مغمزاً لغامز، ولا محلاً للمز لا مز.

وقد بعثه عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم، وبعث عماراً أميراً وكتب إليهم: «إنّهما من النجباء من أصحاب محمّد من أهل بدر؛ فاقتدوا بهما واسمعا من قولهما، وقد آثرْتُكم بعبد الله بن مسعود على نفسي»^(٢). وقد سمعت ثناء أهل الكوفة عليه بقولهم: «جُزيت خيراً، فلقد علّمت جاهلنا وثبّت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، فنعم أخو الاسلام أنت ونعم الخليل».

١- سنن الترمذي [٦٣١/٥، ح ٣٨٠٧]، صحيح البخاري [١٣٧٣/٢، ح ٣٥٥١].

٢- الاستيعاب ١: ٣٧٣؛ و ٢: ٤٣٦ [القسم الثالث/ ٩٨٨، رقم ١١٦٥٩ و ١١٤٠، رقم ١٨٦٣]، الإصابة ٢: ٣٦٩.

كان ابن مسعود أول من جهر بالقرآن بمكة^(١).

فلماذا يحرم هذا البدريّ العظيم عطاءه سنين؟! ثمّ يأتيه من سامه سوء العذاب وقد خالجه الندم ولات حين مندم متظاهراً بالصلة فلا يقبلها ابن مسعود وهو في منصرم عمره، ويسأل ربّه أن يأخذ له منه بحقه، ثمّ يتوجّه إلى النعيم الخالد مُعرضاً عن الحطام الزائل، موصياً بأن لا يصلي عليه من نال منه ذلك النيل الفجيع.

لماذا فُعل به هذا؟! ولماذا شتم على رؤوس الأشهاد؟! ولماذا أخرج من مسجد رسول الله ﷺ مُهاناً عنفاً؟! ولماذا ضُرب به الأرض فدُقّت أضالعه؟! ولما بطشوا به بطش الجبارين؟!

كلّ ذلك لأنّه امتنع عن أن يبيع للوليد بن عقبة الخالع الماجن من بيت مال الكوفة يوم كان عليه ما أمر به، فألق مفاتيح بيت المال لما لم يجد من الكتاب والسنة وهو العليم بهما مساعياً لها تيك الإباحة ولا لأثرة الأمر بها.

ولابن مسعود عند القوم مظلمة أخرى؛ وهي جلده أربعين سوطاً في موقف آخر. لماذا كان ذلك؟ لأنّه دفن أبا ذر لما حضر موته في حجّته. وجد بالربذة في ذلك الوادي القفر الوعر ميّتاً كان في الغارب والسنام من العلم والإيمان.

وجد صحابياً عظيماً كان رسول الله ﷺ يقربه ويدنيه قد فارق الدنيا.

وجد عالماً من علماء المسلمين قد غادرته الحياة.

وجد مثلاً للقداسة والتقوى، فتمثّل أمام عينيه تلك الصورة المكبرة التي كان يشاهدها على العهد النبوي.

وجد شبيه عيسى بن مريم في الأئمة المرحومة هدياً وسمتاً ونسكاً وزهداً وخلقاً، طرده خليفة الوقت عن عاصمة الإسلام.

وجد عزيزاً من أعزّاء الصحابة على الله ورسوله وعلى المؤمنين قد أودى على مستوى الهوان في قاعة المَنَى مظلوماً مضطهداً.

وجد في قارعة الطريق جثان طيّب طاهر غريب وحيد نازح عن الأوطان تصهره الشمس، وتسفي عليه الرياح، وذكر قول رسول الله: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويُحشر وحده».

فلم يدع العلم والدين ابن مسعود ومن معه من المؤمنين أن يمرّوا على ذلك المنظر الفجيع دون أن يمتثلوا حكم الشريعة بتعجيل دفن جثان كلّ مسلم، فضلاً عن أبي ذر الذي بشرّ بدفنه صلحاء المؤمنين رسول الله ﷺ. فلما هبطوا يثرب نقم على ابن مسعود من نقم على أبي ذر، فحسب ذلك الواجب الذي ناء به ابن مسعود حوباً كبيراً، حتّى صدر الأمر بجلده أربعين سوطاً؛ وذلك أمرٌ لا يُفعل بمن دَفَنَ زنديقاً لطمَ جيفته فضلاً عن مسلم لم يبلغ مبلغ أبي ذر من العظمة والعلم والتقوى والزلفة، فكيف بمثل أبي ذر؟! أيّ خليفة هذا لم يُراعِ حرمة ولا كرامة لصلحاء الأُمة وعظماء الصحابة من البدرين الذين نزل فيهم القرآن، وأثنى عليهم النبيّ العظيم؟! وقد جاء في مجرم بدريّ^(١) قوله ﷺ لما قال عمر: إئذن لي يا رسول الله! فأضرب عنقه؛ فقال: «مهلاً يا ابن الخطاب! إنّه قد شهد بدرأً، وما يدريك لعلّ الله قد أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فأنيّ غافر لكم^(٢)». واختلق القوم حديثاً لإدخال عثمان في زمريهم؛ لفضلهم المتسالم عليه عند الأُمة جمعاء.

والمدافع إن أعوزته المعاذير تشبّت بالطحلب فقال^(٣): حداه إلى ذلك الاجتهاد!

١ - [هو حاطب بن بلتعنة حين كتب إلى كفّار قريش كتاباً يتنصّح لهم فيه].

٢ - أحكام القرآن ٣: ٥٣٥ [٤٢٥/٣].

٣ - راجع: التمهيد للبلاقلاني: ٢٢١ [ص ٢٣١]؛ الرياض النضرة ٢: ١٤٥ [٨٢/٣]؛ الصواعق: ٦٨ [ص ١١٢]؛

ذلك العذر العام المصحح للأباطيل، والمبرر للشنائع، والوسيلة المتخذة لإغراء بسطاء الأمة، وذلك قولهم بأفواههم: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ»^(١). «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ»^(٢).

- ٦٢ -

مواقف الخليفة مع عمار!!

١ - في لفظ الزهري كما في أنساب البلاذري^(٣): «كان في الخزائن سقط فيه حلّي، وأخذ منه عثمان فحلّى به بعض أهله؛ فأظهروا عند ذلك الطعن عليه وبلغه ذلك فخطب فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم. فقال عمار: أنا والله أوّل من رغم أنفه من ذلك. فقال عثمان: لقد اجترأت عليّ يا بن سميّة! وضربه حتّى غشي عليه. فقال عمار: ما هذا بأوّل ما أوديت في الله. وأطلعت عائشة شعراً من رسول الله ﷺ ونعله وثياباً من ثيابه - فيما يحسب وهب - ثمّ قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيكم! وقال عمرو بن العاص: هذا منبر نبيكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبلّ فيكم وقد بدّلتم وغيّرتم؛ فغضب عثمان حتّى لم يدر ما يقول».

٢ - قال البلاذري في الأنساب^(٤): «إنّ المقداد بن عمرو وعمار بن ياسر وطلحة والزبير في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدّدوا فيه أحداث عثمان، وخوّفوه ربّه، وأعلموه أنّهم موائبوه إن لم يُقْلَع، فأخذ عمار الكتاب وأتاه به فقرأ صدراً منه. فقال له عثمان: أعليّ تقدم من بينهم؟ فقال عمار: لأنيّ أنصحهم لك. فقال: كذبت يا بن سميّة! فقال: أنا والله ابن سميّة وابن ياسر؛ فأمر غلمانَه فحدّوا بيديه ورجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه - وهي في الحفّين - على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغُشي عليه».

١ - النمل: ٧٤.

٢ - القيامة: ١٤ - ١٥.

٣ - أنساب الأشراف ٥: ٨٨ [٢٠٩/٦].

٤ - المصدر السابق ٥: ٤٩ [١٦٢/٦].

وذكره ابن أبي الحديد في الشرح^(١) نقلاً عن الشريف المرتضى من دون غمز فيه.
 ٣- قال البلاذري في الأنساب^(٢): «وقد روي أيضاً: أنه لما بلغ عثمان موت أبي ذر
 بالربذة قال: رحمه الله. فقال عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا. فقال عثمان:
 يا عاصُ أيرأيه! أتراني ندمتُ على تسييره؟! وأمر فدفن في قفاه وقال: الحق بمكانه.
 فلما تهياً للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان فيه. فقال له عليّ:
 «يا عثمان! اتق الله؛ فإنك سيرت رجلاً^(٣) صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم
 أنت الآن تريد أن تنفي نظيره». وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحقّ بالنفي منه؛
 فقال عليّ: «رُم ذلك إن شئت». واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلّمك كلّمك رجلٌ
 سيرته ونفيته فإن هذا شيء لا يسوغ؛ فكفّ عن عمار».

وفي طبقات ابن سعد^(٤): «إنّ عقبة بن عامر هو الذي قتل عماراً، وهو الذي كان
 ضربه حين أمره عثمان ابن عفان».

قال الأميني: هذه أفاعيل الخليفة في رجل نزل فيه القرآن شهيداً على طمأنينته
 بالإيمان والرضا بقنوته آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة. في رجل هو أول مسلم
 اتخذ مسجداً في بيته يتعبد فيه^(٥). في رجل تضافر الثناء عليه عن رسول الله ﷺ
 مشفوعاً بالنهي المؤكّد عن بغضه ومعاداته وسبّه وتحقيره وانتقاصه بالفاظ ستقف عليها
 إنشاء الله تعالى.

وقد أكبرته الصحابة الأولون ونقمت على من آذاه وأغضبه وأبغضه، وفعل به كل

١- شرح نهج البلاغة ١: ٢٣٩ [٥٠/٣]، خطبة ٤٢.

٢- أنساب الأشراف ٥: ٤٥ [١٦٩/٦]. ٣- يعني سيدنا أبا ذر الغفاري.

٤- الطبقات الكبرى، طبع ليدن ٣: ١٨٥ [٢٥٩/٣].

٥- طبقات ابن سعد ٣: ١٧٨، طبع ليدن [٢٥٠/٣]؛ وذكره ابن كثير في تاريخه ٧: ٣١١ [٣٤٥/٧]، حوادث سنة

٣٧ هـ؛ والحاكم في المستدرک ٣/٤٣٤، ح ٥٦٥٥ و ٥٦٥٦.

تلكم المناهي . ولم يؤثر عن عمّار إلا الرضا بما يُرضي الله ورسوله والغضب لهما والعتاف بالحقّ والتجهم أمام الباطل رضي الناس أم غضبوا . ولم يزل على ذلك كلّ منذ بدء أمره الذي أُوذي فيه هو وأبواه ؛ فكان مرضياً عند الله إيمانهم وخضوعهم وبعين الله ما قاسوه من المحن فعاد ذكرهم ورداً للنبيّ الاسلام فلم يزل يلهم بهم ويدعو لهم ويقول :

«اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة» ؛ من طريق عثمان بن عفّان ^(١) .

ويقول : «أبشروا آل ياسر موعدكم الجنة» ؛ من طريق جابر ^(٢) .

ويقول : «اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت» ؛ رواه عثمان أيضاً ^(٣) .

نعم ، كان عمّاراً هكذا عند مفتتح حياته الدينيّة إلى منصرم عمره الذي قتلته فيه الفئة الباغية . وقد أخبر به النبيّ ﷺ بقوله :

«ويحك يا بن سميّة ! تقتلك الفئة الباغية» .

وفي لفظ معاوية : «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» .

وفي لفظ عثمان : «تقتلك الفئة الباغية ، قاتل عمّار في النار» .

جاء هذا الحديث من طرق كثيرة تربو حدّ التواتر ^(٤) .

قال في الاستيعاب :

تواترت الآثار عن النبيّ ﷺ أنّه قال : «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» ؛ وهذا من

١ - أخرجه الطبراني [في المعجم الكبير ٣٠٣/٢٤ ح ٧٦٩] و...

٢ - مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٣ ، نقلاً عن الطبراني [في المعجم الأوسط ٣٠٥/٢ ح ١٥٣١] فقال : «رجال الصحيح غير

إبراهيم وهو ثقة» . ٣ - مسند أحمد ١ : ٦٢ [١٠٠/١ ح ٤٤١] ؛ و...

٤ - راجع : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ١٨٠ [٢٥١/٣] ؛ السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ١١٤ [١٤٢/٢] ؛ المستدرک

على الصحيحين ٣ : ٢٨٦ و ٣٨٧ و ٣٩١ [٤٣٥/٣ ح ٥٦٥٧ ؛ وص ٤٣٦ ح ٥٦٥٩ ؛ وص ٤٤٢ ح ٥٦٧٦ ؛

الاستيعاب ٢ : ٤٣٦ [القسم الثالث / ١١٤٠ ، رقم ١٨٦٣] ؛ وأخرجه البخاري في صحيحه [١٧٢/١ ح ٤٣٦ ؛

ومسلم في صحيحه [٤٣١/٥ ح ٧٣ ، كتاب الفتن] ؛ وأحمد في مسنده [٢٨١/٦ ح ٢١٣٦٦] و...

إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ وهو من أصحّ الأحاديث .

عمّار في الذكر الحكيم:

هذا عمّار بين البدء والختم المحمودين وهو بينهما كما أثنى عليه الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آَنَاءَ أَلَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾^(١).

أخرج^(٢) ابن سعد في الطبقات وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس: أنها نزلت في عمّار بن ياسر.

وذكر الزمخشري في تفسيره^(٣): أنها نزلت في عمّار وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي.

آية ثانية: أخرج ابن ماجة^(٤) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٥) أنها نزلت في عمّار وصهيب وبلال وخبّاب^(٦).

آية ثالثة: أخرج جمع من الحفاظ نزول قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٧) في عمّار. وقال أبو عمر في الاستيعاب: «هذا ممّا اجتمع أهل التفسير عليه». وقال القرطبي: «نزلت في عمّار في قول أهل التفسير». وقال ابن حجر في الإصابة:

١ - الزمر: ٩.

٢ - الطبقات الكبرى ٣: ١٨٧، طبع ليدن [٢٥٠/٣]؛ مختصر تاريخ دمشق ١٨/٢١٠.

٣ - الكشف ٣: ٢٢ [١١٧/٤]. ٤ - سنن ابن ماجة [١٣٨٣/٢]، ح ٤١٢٨.

٥ - الأنعام: ٥٢.

٦ - راجع: جامع البيان ٧: ١٢٧ و ١٢٨ [مج ٥/ج ٧/٢٠٠ - ٢٠١]، الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٤٣٢ [٢٧٨/٦]؛

الكشف ١: ٤٥٣ [٢٧/٢]، التفسير الكبير ٤: ٥٠ [٢٣٤/١٢]، الدر المنثور ٣: ١٤ [٢٧٣/٣].

٧ - النحل: ١٠٦.

«اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ نَزَلَ فِي عَمَّارٍ»^(١).

آية رابعة: ذكر الواحدي من طريق السدي أن قوله تعالى: ﴿أَقَمْنِ وَعَدَتَاهُ وَعَدَاً حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾^(٢) نزل في عمار والوليد بن المغيرة^(٣).

آية خامسة: أخرج أبو عمر من طريق ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَرَمَنْ كَانَ مِيتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(٤) أنه عمار بن ياسر^(٥).

الثناء الجميل على عمار:

أمّا الأحاديث الواردة في الثناء عليه فحدّث عنها ولا حرج؛ وإليك نزرًا منها:

١- عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ في حديث: «إِنَّ عَمَّارًا مُلِيَ إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ»^(٦).

٢- أخرج ابن عسّاكر^(٧) من طريق عليّ: «عمار خلط الله الإيمان ما بين قرنيه إلى قدمه، وخلط الإيمان بلحمه ودمه، يزول مع الحقّ حيث زال، وليس ينبغي للنار أن

١- راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ١٧٨ [٢٤٩/٣]؛ جامع البيان ١٤: ١٢٢ [مج ٨/ج ١٨١/١٤]؛ أسباب

النزول للواحدي: ٢١٢ [ص ١٩٠]؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ٣٥٧ [٢/٣٨٩، ح ٣٣٦٢]؛ الاستيعاب

٢: ٤٣٥ [القسم الثالث/١١٣٦، رقم ١٨٦٣]؛ الجامع لأحكام القرآن ١٠: ١٨٠ [١١٨/١٠]؛ الكشف ٢:

١٧٦ [٦٣٦/٢]؛ الدرّ المشور [١٦٩/٥ - ١٧٠].

٢- القصص: ٦١.

٣- راجع: أسباب النزول للواحدي: ٢٥٥ [ص ٢٢٩]؛ الجامع لأحكام القرآن ١٣: ٣٠٣ [١٣/٢٠٠]؛ الكشف

٢: ٣٨٦ [٤٢٥/٣]؛ ٤- الأنعام: ١٢٢.

٥- الاستيعاب ٢: ٤٣٥ [القسم الثالث/١١٣٧، رقم ١٨٦٣]؛ الدرّ المشور ٣: ٤٣ [٣٥٢/٣].

٦- حلية الأولياء ١: ١٣٩؛ الكشف ٢: ١٧٦ [٦٣٦/٢]؛ التفسير الكبير ٥: ٣٦٥ [١٢١/٢٠]؛ كنز العمال ٦:

١٨٤: ٧٥ [١١/٧٢٤، ح ٣٣٥٤١]؛ ٧- مختصر تاريخ دمشق [٢١٣/١٨].

تأكل منه شيئاً»^(١).

٣- أخرج ابن ماجه وأبو نعيم من طريق هاني بن هاني، قال: كنا عند عليّ فدخل عليه عمار فقال: «مرحباً بالطيّب المطيّب؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: عمار ملىّ إيماناً إلى مُشاشه»^(٢).

٤- أخرج ابن سعد في الطبقات^(٣) مرفوعاً: «إنّ عماراً مع الحقّ والحقّ معه، يدور عمار مع الحقّ أينما دار، وقاتل عمار في النار».

٥- عن أنس بن مالك مرفوعاً: «إنّ الجنّة تشتاق إلى أربعة: عليّ بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والمقداد».

وفي لفظ الترمذي والحاكم وابن عساكر: «اشتاق الجنّة إلى ثلاثة: عليّ وعمار وسلمان».

وفي لفظ لابن عساكر: «اشتاق الجنّة إلى ثلاثة: إلى عليّ وعمار وبلال»^(٤).

٦- أخرج أحمد^(٥) من طريق خالد بن الوليد مرفوعاً: «من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله»؛ صحّحه الحاكم^(٦) والذهبي بطريقين، وصحّحه الهيثمي^(٧).

وفي لفظ: «من يسبّ عماراً يسبّه الله، ومن يبغض عماراً يبغضه الله، ومن يسفّه عماراً يسفّه الله»؛ صحّحه الحاكم^(٨) والذهبي.

١- كنز العمال ٦: ١٨٣ [١١/٧٢٠، ح ٣٣٥٢٠].

٢- سنن ابن ماجه ١: ٦٥ [١/٥٢، ح ١٤٧]؛ حلية الأولياء ١: ١٣٩.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ١٨٧، طبع ليدن [٣/٢٦٢].

٤- المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٧ [٣/١٤٨، ح ٤٦٦٦]؛ سنن الترمذي [٥/٦٢٦، ح ٣٧٩٧]؛ تاريخ مدينة

دمشق ٣: ٣٠٦، ١٩٨ و ١٩٩ [١٠/٤٥١، رقم ٩٧٤؛ و ٢١/٤١٠-٤١١، رقم ٢٥٩٩].

٦- المستدرك على الصحيحين [٣/٤٤١، ح ٥٦٧٤].

٥- مسند أحمد [٥/٥٠، ح ١٦٣٧٣].

٨- المستدرك على الصحيحين [٢/٤٣٩، ح ٥٦٦٧].

٧- مجمع الزوائد [٩/٢٩٣].

أخرج هذا الحديث على اختلاف ألفاظه جمع كثير من الحفاظ وأئمة الفن^(١).

٧- عن حذيفة أنه قيل له: إنَّ عثمان قد قُتل فما تأمرنا؟ قال: «ألزموا عماراً». قيل: إنَّ عماراً لا يفارق علياً. قال: «إنَّ الحسد هو أهلك للجسد، وإنما ينفركم من عمار قربه من عليٍّ. فوالله لعليٍّ أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإنَّ عماراً من الأخيار»^(٢).

٨- عن عبد الله بن جعفر قال: «ما رأيت مثل عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر كانا لا يحبَّان أن يعصيا الله طرفة عين، ولا يخالفان الحقَّ قيد شعرة»^(٣).

هذا عمار:

إذا درستَ هذه كلها، فهل تجد من الحقَّ أن يُعمل معه تلكم الفظاظات مرّة بعد أخرى؟! وهل تجد مبرراً لشيء منها؟!

فإن زعمتَ أنها تأديب من خليفة الوقت فإنَّ التأديب لا يسوغ إلا على إساءة في الأدب، وزور من القول، ومناقضة للحقِّ، ومضادة للشرعية، ويجلّ عمار عن كلِّ ذلك؛ فلم يصدر منه غير دعاء إلى الحقِّ، وأذان بالحقيقة، وتضجّر لمظلوم، وعمل بالوصيّة واجب، ورسالة عن أناس مؤمنين يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ فهل حظر الإسلام شيئاً من هذه فأراد الخليفة أن يعيد عماراً إلى نصاب الحقِّ؟! أو أن الخليفة مُفوّض في النفوس كما يرى أنّه مُفوّض في الأموال، فيراغم فيها عامّة المسلمين بإرضاء من يجب إرغامهم من أناس لا خلاق لهم؟! وكذلك يفعل بالنفوس فعل المستبدّين ولوازم الدكتاتورية ومقتضيات الملك العضوض.

١- راجع: مسند أحمد ٤: ٨٩ [٥٠/٥، ح ١٦٣٧٣]؛ المستدرک علی الصحیحین ٣: ٣٩٠ و ٣٩١ [٢/٤٤٠، ح

٥٦٧٠، وص ٤٤١، ح ٥٦٧٣]؛ كنز العمال ٦: ١٨٥؛ ٧: ٧١-٧٥ [١١/٧٢٢، ح ٣٣٥٣٤؛ ١٣/٥٣٢،

ح ٣٧٣٨٧. ٢- كنز العمال ٧: ٧٣ [١٣/٥٣٢، ح ٣٧٣٨٥].

٣- أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٩: ٢٩٢.

ولو كان الخليفة ناصباً نفسه للتأديب فهل أدّب أمثال عبيد الله بن عمر، والحكم بن أبي العاص، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وسعيد بن العاص، ونظراءهم من رجال العيث والفساد المستحقين للتأديب حيناً بعد حين، وهو كان يرنو إلى أعمالهم من كتب؟!

لكنّه لم يصدر منه إلا إرضائهم وتوفير العطاء لهم والدفاع عنهم، وتسليطهم على النفوس والأموال حتى أوردوه مورد الهلكة. ولقد أدّخر تأديبه كلّ لصالحاء الأئمة مثل عمّار وأبي ذر وابن مسعود ومن حذا حذوهم؛ فإلى الله المشتكى.

وإنّك لو أمعنت النظر في أعماله وأفعاله لتجدته لا يقيم وزناً لأيّ صالح من الأئمة، ولقد ترقى ذلك أو تسافل حتى إنّ جابه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام غير مرّة بقوارص كلماته، ومما قال له ممّا مرّ^(١) قوله: «أنت أحقّ بالنفي منه». وقوله: «لئن بقيت لا أعدم طاعياً يتخذك سلماً وعضداً وكهفياً وملجأً»؛ يريد بالطاغية أبا ذر وعمّار وأمثالهما، ويجعل الإمام عليه السلام سلماً وعضداً وكهفياً وملجأً لمن ساءهم الطغاة. «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ»^(٢).

كان الرجل لم يصاحب النبي الأعظم ﷺ، أو لم يَجِ إلى ما هتف به من فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من أوّل يومه آناء الليل وأطراف النهار في حلّه ومرتحله، في ظعنه وإقامته، عند أفراد من أصحابه أو في محتشد منهم، ولدى الحوادث والوقائع، وعند كلّ مناسبة، وفي حروبه ومغازيه.

وكأنّه لم يشهد بلاء مولانا الإمام عليه السلام في مآزق الاسلام الحرجة، ولم يشهد كراته وقد فرّ أصحابه، وتفانيه في سبيل الدعوة عند خذلان غيره، واقتحامه المهالك لصالح الإسلام حيث ركنوا إلى دعة، وتقهر بهم الفرق، وثبّطهم الخول^(٣).

٢- الكهف: ٥.

١- في ص ٣١٣ من كتابنا هذا.

٣- [لعله بمعنى التفرّق، من: ذهب القوم أخول أخول، إذا تفرّقوا شتّى].

يزعم القوم أن الخليفة كان حافظاً للقرآن وأنه كان يتلوه في ركعة في لياليه؛ ولو صح ما يقولون فهلاً كان يمرّ بآية التطهير ومولانا الإمام ﷺ أحد الخمسة الذين أريدوا بها، وبآية المباهلة وهو نفس النبي فيها، إلى آيات أخرى نازلة فيها بالغة إلى ثلاثمائة آية كما يقوله حبر الأمة عبدالله بن العباس^(١)؟! أو أنه كان يمرّ بها على حين غفلة من مفادها؟! أو يمرّ بها وقد بلغ منه اللغوب من كثرة التلاوة فلا يلتفت إليها؟! أو أنه كان يرتلها ملتفتاً إلى مغازيها، ولكن...؟!

أنا لا أدري بماذا يُعلّل قوارص الخليفة علياً ﷺ ابنا حجر وكثير وأمثالهما المعلّلون أقوال الخليفة وأفعاله في مثل أبي ذر وابن مسعود ومالك الأشتر، بأن مصلحة بقائهم في الأوساط الإسلامية مع الحرّية في المقال لا تكافئ المفسدة المترتبة عليه من سقوط أئمة الخلافة؟! على أنه ما كان عند القوم إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهل يجزّهم الحب المعمي والمصم إلى أن يقولوا بمثل ذلك في حقّ عظيم الدنيا والدين مولانا أمير المؤمنين ﷺ؟! فهل كانت مفسدة هنالك مترتبة على مقام الإمام في المدينة حتّى يكون نفيه عنها أولى؟! وهل هو إلا الصلاح كلّهُ؟! وهل المصالح النوعية والفردية تُستقى من غيره؟! ولعمر الحقّ إنّ أئمة تسقط لمكان أمير المؤمنين ﷺ وفضله ونزاهته وعلمه وإصلاحه لحرّية بالسقوط. وأيم الله لو وسع أولئك المدافعون عن تلکم العظام لدنسوا ساحة قدس الإمام بالفرية الشائنة، وأتهموه بمثل ما اتهموا به غيره من صلحاء الأمة وأعلام الصحابة والخيرة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ولكن....

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٢).

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾^(٣).

١- راجع تاريخي الخطيب ٦: ٢٢١ [رقم ٣٢٧٥]؛ وابن عساكر [١٢/٣٠٩] وفي ترجمة الإمام علي ابن أبي طالب من

تاريخ دمشق - الطبعة المحققة - ١/ ٢٧٣، ح ٣٢٢؛ وكفاية الكنجي: ١٠٨ [ص ٢٣١]؛ والصواعق: ٧٦ [ص ١٢٧]؛

وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١١٥ [ص ١٦١]؛ والفتوحات الإسلامية ٢: ٣٤٢؛ ونور الأبصار: ٨١ [ص ١٦٤].

٢- النحل: ٢٣.

٣- الإنسان: ٢٧.

- ٦٣ -

تسيير الخليفة صلحاء الكوفة إلى الشام !!

روى البلاذري عن عباس بن هشام بن أبيه عن أبي مخنف في إسناده قال: «لما عزل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة عن الكوفة ولّاها سعيد بن العاص وأمره بمداواة أهلها، فكان يجالس قراءها ووجوه أهلها ويسامرهم فيجتمع عنده منهم: مالك بن الحارث الأستر النخعي، وزيد وصعصة ابنا صوحان العبديّان، وحر قوص بن زهير السعدي، وجندب بن زهير الأزدي، وشرح بن أوفى بن يزيد بن زاهر العبسي، وكعب ابن عبدة النهدي، وعديّ بن حاتم الجواد الطائي ويكنّى أبا طريف، وكدام بن حضري بن عامر، ومالك بن حبيب بن خراش، وقيس بن عطار بن حاجب، وزباد بن خصفة بن ثقف، ويزيد بن قيس الأرحبي، وغيرهم؛ فإنّهم لعنده وقد صلّوا العصر إذ تذاكروا السواد والجبل ففضّلوا السواد وقالوا: هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل، وكان حسان بن محدوج الذهلي الذي ابتداء الكلام في ذلك. فقال عبدالرحمن بن حنيس الأسدي صاحب شرطة: لوددتُ أنّه للأمير وأنّ لكم أفضل منه. فقال له الأشر: تمنّ للأمير أفضل منه ولا تمنّ له أموالنا. فقال عبدالرحمن: ما يضرّك من تمنّي حتى تزوي ما بين عينيك فوالله لو شاء كان له. فقال الأشر: والله لو رام ذلك ما قدر عليه. فغضب سعيد وقال: إنّما السواد بستان لقريش. فقال الأشر: أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاناً لك ولقومك؟! والله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصاصاً^(١) منه. ووثب بابن حنيس فأخذته الأيدي.

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إني لا أملك من الكوفة مع الأشر وأصحابه الذين يدعون القراء وهم السفهاء شيئاً. فكتب إليه أن سيّرهم إلى الشام.

١ - «تصاصاً من الرجل» إذا فارق منه وخاف.

وكتب إلى الأشر: إني لأراك تضر شيئاً لو أظهرته لحلّ دمك، وما أظنك منتهياً حتى يصيبك قارعة لا بُقيا بعدها، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك من قبلك وإنك لا تألوهم خبالاً. فسّر سعيد الأشر ومن كان وثب مع الأشر وهم: زيد و صعصعة ابنا صوحان، وعائذ حملة الطُهوي من بني تميم، وكميل بن زياد النخعي، وجندب بن زهير الأزدي، والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، ويزيد بن المكفف النخعي، وثابت بن قيس بن المنقع النخعي، وأصعر^(١) بن قيس بن الحارث الحارثي.

فخرج المسيرون من قرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق، نزلوا مع عمرو بن زرارة فبرّهم معاوية وأكرمهم، ثمّ إنه جرى بينه وبين الأشر قول حتى تغالطا فحبسه معاوية. فقام عمرو بن زرارة فقال: لئن حبسته لتجدن من يمنعه. فأمر بحبس عمرو. فتكلّم سائر القوم فقالوا: أحسن جوارنا يا معاوية! ثمّ سكتوا فقال معاوية: مالكم لا تكلمون؟! فقال زيد بن صوحان: وما نصنع بالكلام؟ لئن كنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله، وإن كنّا مظلومين فإنّا نسأل الله العافية. فقال معاوية: يا أبا عائشة! أنت رجل صدق. وأذن له في اللحاق بالكوفة، وكتب إلى سعد بن العاص: أمّا بعد: فإنّي قد أذنتُ لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيتُ من فضله وقصده وحسن هديه، فأحسن جواره وكفّ الأذى عنه وأقبل إليه بوجهك وودّك، فإنّه قد أعطاني موثقاً أن لا ترى منه مكروهاً. فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج من حبس ففعل.

وبلغ معاوية أنّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشر وأصحابه فكتب إلى عثمان: إنك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي ويعلموهم ما لا يُحسنونه حتى تعود سلامتهم غائلة، واستقامتهم اعوجاجاً.

١ - كذا في أنساب الأشراف بالعين المهملة، وفي الإصابة: بالمعجمة.

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيّرهم إلى حمص، ففعل وكان واليها عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة. ويقال: إن عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجّ منهم سعيد ثانية فكتب في تسييرهم إلى حمص فنزلوا الساحل»^(١).

قال الأميني: كان في عظمة أكثر هؤلاء القوم وصلاحهم المتسالم عليه وتقواهم المعترف بها مرتدع من أذاهم وإجفاهم عن مستوى عزّهم وموطن إقامتهم وتسييرهم من منى إلى منى، والإصاخة إلى سعاية ذلك الشابّ المستهتر، والله سبحانه يقول: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢).

وكان على الخليفة أن يبعث إليه باللائمة بل يعاقبه على ما فرّط في جنب أولياء الله بتسميته إياهم السفهاء وهم قرّاء مصر، وزعماء الملاء، ونسّاك القطر، وفقهاء القارة، وهم القدوة في التقوى والنسك، وبهم الأسوة في الفقه والأخلاق، ولم يكن عليهم إلا عدم التنازل لميول ذلك الغلام الزائف، وعدم مماشاتهم إياه على شهواته ومزاعمه.

وهلّا استشف الخليفة حقيقة ما شجر بينه وبين القوم حتّى يحكم فيه بالحق، لكنّه بدل أن يتخذ تلكم الطريقة المثلى في القضية استهواه ذلك الشابّ المترف فقال إليه بكّله، ونال من القوم ما نال، وأوقع بهم ما حبّذه له الحبّ المعمي والمصمّ، لكن الدين وملاء أنكرا ذلك عليه وحفظه التاريخ ممّا نقم به على عثمان.

كانت لائحة معاوية للقوم مزيجها الملاينة لآعن حلم، وخشونة لا يستمرّ عليها، كلّ ذلك لم يكن لنصرة حقّ أو ابتغاء إصلاح، وإنّما كان يكشفهم جلباً لمرضاة الخليفة، ويوادعهم لما كان يدور في خلد من هوى الخلافة غداً، وكان يعرف القوم بالشدة والمتبوعيّة، فما كان يروقه قطع خطّ الرجعة بينه وبينهم متى تسنّى له الحصول على غايته

١- أنساب الأشراف ٥: ٣٩-٤٣ [١٥١/٦-١٥٦].

٢- الحجرات: ٦.

المتوَحَّاة، وكانت هذه الخواطر لا تبارحه، ولا يزال هو يعدّ الدقائق والثواني للتوصل إليها، وكان أحبّ الأشياء إليه اكتساح العراقيل دونها؛ ولذلك أطلق سراح القوم وتنبَّط عن النهضة لنصرة عثمان لما استنصره - كما سيأتي تفصيله - حتى قتل و معاوية في الخاذلين له.

وأما ابن خالد فقد جرى مجرى أبيه في الفظاظة والغلظة، فلم يعاملهم إلا بالرعونة ولم يجاملهم إلا بالقسوة، وكلّ إناء بالذي فيه ينضح.

وها هنا نوقفك على بُد من أحوال من يهَمُّك الوقوف على حياته الثمينة من أولئك الرجال المنفيين الأبرار، حتى تعلم أنّ ما تقوّلوه فيهم وفعلوه بهم في متنايئ عنهم، وإنّما كان ذلك ظلماً وعدواناً، وتعلم أنّ ابن حجر مائن فيما يصف به الأشر من المروق^(١) غير مصيب في قذفه، متجانف للإثم في الدفاع عن عثمان بقوله: «إنّ المجتهد لا يُعترض عليه في أموره الاجتهادية، لكن أولئك الملاعين المعترضون لا فهم لهم بل ولا عقل»^(٢).

١ - مالك بن الحارث الأشر:

أدرك النبيّ الأعظم وقد أثنى عليه كلّ من ذكره، ولم أجد أحداً يغمز فيه. وثقة العجلي^(٣)، وذكره ابن حبّان في الثقات^(٤). ولا يُحمل عدم رواية أيّ إمام عنه على تضعيفه؛ قال ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٥):

قال: مهتأ: سألتُ أحمد عن الأشر يروي عنه الحديث؟ قال: لا. قال: ولم يرد

أحمد بذلك تضعيفه، وإنّما نفى أن تكون له رواية.

وكفاه فضلاً ومنعة كلمات مولانا أمير المؤمنين في الثناء عليه في حياته وبعد المنون؛

٢ - راجع الصواعق: ٦٨ [ص ١١٣].

١ - راجع الصواعق: ٦٨ [ص ١١٥].

٤ - الثقات [٣٨٩/٥].

٣ - تاريخ الثقات [ص ٤١٧، رقم ١٥٢٠].

٥ - تهذيب التهذيب ١٠: ١٢ [١١/١٠].

وإليك بعض ما جاء في ذلك البطل العظيم :

١ - من كتابٍ لمولانا أمير المؤمنين كتبه إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشر: «أما بعد: فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروح، أشد على الفجار من حريق النار؛ وهو مالك بن الحارث أخو مذحج؛ فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق؛ فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل الظبة^(١) ولا نابي الضريبة؛ فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يُحجم، ولا يؤخر ولا يُقدم إلا عن أمري، وقد آثرْتُكم به على نفسي لنصيحتي لكم، وشدة شكيمة على عدوكم»^(٢).

٢ - من كتابٍ للمولى أمير المؤمنين كتبه إلى أميرين من أمراء جيشه: «وقد أمرت عليهما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشر؛ فاسمعا له وأطيعا واجعلاه درعاً ومجناً؛ فإنه ممن لا يُخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسرعه إلى ما البطء عنه أمثل». قال ابن أبي الحديد في شرحه^(٣):

فأما ثناء أمير المؤمنين عليه في هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل. ولعمري كان الأشر أهلاً لذلك، كان شديد البأس جواداً رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً، وكان يجمع بين اللين والعنف، فيسطو في موضع السطوة، ويرفق في موضع الرفق....

١ - «الظبة» بتخفيف الموحدة: حد السيف.

٢ - تاريخ الأمم والملوك ٩: ٥٥ [٩٦/٥، حوادث سنة ٣٨ هـ]؛ نهج البلاغة ٢: ٦١ [ص ٤١٠، خطبة ٣٨]؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٣٠ [٧٧/٦، خطبة ٦٧].

٣ - شرح نهج البلاغة ٣: ٤١٧ [١٠١/١٥، كتاب ١٣].

٣ - عن جماعة من أشياخ النخع، قالوا: دخلنا على عليّ أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشر فوجدناه يتلهّف ويتأسّف عليه ثمّ قال: «لله درّ مالك، وما مالك؟! لو كان من جبل لكان فنداً^(١)، ولو كان من حجر لكان صلداً، أما والله ليهدّنّ موتك عالماً، وليفرحنّ عالماً، على مثل مالك فليبك البواكي، وهل موجود كمالك؟!».

وقال علقمة بن قيس النخعي: «فما زال عليّ يتلهّف ويتأسّف، حتّى ظننّا أنّه المصاب به دوننا، وعُرف ذلك في وجهه أيّاماً^(٢)».

٤ - قال ابن أبي الحديد في شرحه^(٣):

كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها، شديد التحقّق بولاء أمير المؤمنين ﷺ ونصره، وقال فيه بعد موته: «رحم الله مالكا، فلقد كان لي كما كنتُ لرسول الله ﷺ».

٥ - دسّ معاوية بن أبي سفيان للأشتر مولى لآل عمر، فسقاه شربة سويق فيها سمّ فمات؛ فلما بلغ معاوية موته قام خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أمّا بعد: فإنّه كانت لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان، قطعتُ إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر، وقطعتُ الأخرى اليوم وهو مالك الأشتر^(٤)».

قال الأمين: ما أجراً الطليق ابن الطليق الطاغية على السرور والتبّهج بموت الأخيار الأبرار بعد ما يقتلهم، ويقطع عن أديم الأرض أصول بركاتهم، ويبشّر بذلك

١ - «الفند» بالكسر: القطعة العظيمة من الجبل.

٢ - نهج البلاغة ٢: ٢٣٩ [ص ٥٤٤، خطبة ٤٤٣]؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٣٠ [٧٧/٦]، خطبة

٦٧، لسان العرب ٤: ٢٣٦ [٣٢٣/١٠]؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ١٥٤ [٤١٠/٢].

٣ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٤١٦ [٩٨/١٥]، كتاب ١٣.

٤ - تاريخ الأمم والملوك ٦: ٢٥٥ [٩٦/٥]، حوادث سنة ٢٨هـ؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ١٥٣ [٤١٠/٢]؛

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٩ [٧٦/٦]، خطبة ٦٧.

أُمَّتَهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، وَيَأْمُرُهُم بِالْعَدَاءِ عَلَيْهِمْ؛ «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْأُخْرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ»^(١). «وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا»^(٢).

٦- وقبل هذه كلها ما جاء عن رسول الله ﷺ في دفن أبي ذر سيّد غفار من قوله في لفظ الحاكم وأبي نعيم وأبي عمر: «ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين». وفي لفظ البلاذري: «يلي دفنه رهط صالحون». وقد دفنه مالك الأشر وأصحابه الكوفيون^(٣).

قال ابن أبي الحديد في الشرح:

هذا الحديث يدلّ على فضيلة عظيمة للأشتر^(٤)؛ وهي شهادة قاطعة من النبي ﷺ بأنه مؤمن.

قال الأميني: ما أبعد المسافة بين هذه الشهادة وبين وصف ابن حجر إِيَّاهُ في الصواعق^(٥) بالمروق وعدم الفهم والعقل، ولعنه إِيَّاهُ وأصحابه الصلحاء، وقد عذب عنه أنّه لا يلفظ من قول إلّا ولديه رقيب عتيد.

نحن لسنا الآن في صدد التبسّط في فضائل مالك وتحليل نفسيّاته الكريمة ومآثره الجمة وإلّا لأريناك منه كتاباً ضخماً. ولقد ناء بشر مهمّ منها الفاضلان الشريفان السيّد محمّد الرضا آل السيّد جعفر الحكيم النجفي، وابن عمّه السيّد محمّد التقي بن السيّد السعيد الحكيم النجفي في كتابيهما المطبوعين المخصوصين بمالك. وقد سبقهما إلى ذلك بعض علمائنا السابقين، يوجد كتابه المخطوط في مكتبة مولانا الإمام الرضا^(٦) بخراسان المشرفة، حيّا الله حملة العلم سلفاً وخلفاً.

٢- الفرقان: ٤٢.

١- النمل: ٥.

٣- كما في أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٥٥ [١٧١/٦]؛ المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٣٧ [٣/٣٨٨، ح ٥٤٧٠]؛

الاستيعاب لأبي عمر ١: ٨٢ [القسم الأوّل ٢٥٤/٢، رقم ٣٣٩]؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٤١٦

٤- الصواعق المحرقة: ٦٨ [ص ١١٥].

[٩٩/١٥، كتاب ١٣].

٢ - عديّ بن حاتم الطائي:

صحابي عظيم قدم على رسول الله ﷺ سنة (٧)، لم يختلف اثنان في ثقته. أخرج حديثه أئمة الصحاح الستة. وقد أثنى عليه عمر بن الخطاب^(١). وفي أسد الغابة لابن الأثير: «إنه كان منحرفاً عن عثمان». وأعجب ما أجده من التحريف في تاريخ الخطيب^(٢) ما أخرجه بالإسناد عن المغيرة قال:

خرج عديّ بن حاتم وجرير بن عبدالله البجلي وحنظلة الكاتب من الكوفة، فنزلوا قرقسياء^(٣) وقالوا: لا نقيم ببلد يُشتم فيه عثمان. والصواب: يُشتم فيه عليّ؛ فبدلت يد التحريف عليّاً بعثمان. وذكره على علّاته ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٤). توجد ترجمة عدي في^(٥): الاستيعاب، تاريخ بغداد، أسد الغابة، الإصابة، تهذيب التهذيب.

٣ - كميل بن زياد النخعي:

كان شريفاً في قومه، قتله الحجاج سنة (٨٢). وثّقه^(٦) ابن سعد، وابن معين، والعجلي، وابن عمّار، وذكره ابن حبان في الثقات^(٧).

١ - أنظر مسند أحمد: ٤٥ [٧٤/١، ح ٣١٨]؛ صحيح مسلم [١١١/٥، ح ١٩٦، كتاب فضائل الصحابة].

٢ - تاريخ بغداد: ١٩١.

٣ - «قرقيسياء»: بلد على نهر الخابور، عندها مصبّ الخابور في الفرات، فهي مثلث بين الخابور والفرات].

٤ - تهذيب التهذيب ٧: ١٦٧ [١٥١/٧].

٥ - الاستيعاب [القسم الثالث/ ١٠٥٧، رقم ١٧٨١]؛ تاريخ بغداد [١٨٩/١، رقم ٢٩]؛ أسد الغابة [٨/٤، رقم ٣٩٠٦]؛ الإصابة [٤٦٨/٢، رقم ٥٤٧٥].

٦ - الطبقات الكبرى ٦: ١٧٩، تاريخ الثقات للعجلي: ٣٩٨، رقم ١٤٢٣؛ كتاب الثقات ٥: ٣٤١.

٧ - تهذيب التهذيب ٨: ٤٤٧ [٤٠٢/٨].

۱۔ راجع ص ۲۷۴ من کتابنا هذا.

فما تكلمت به لجواباً، ولكنني عن جوابك مشغولٌ بوجعي؛ فأنا أقول كما قال العبد الصالح: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ»^(١) «^(٢)».

أم بقوله له: «ما أنت بأفضل من عمار، وما أنت أقل استحقاقاً للنبي منه»^(٣).

أم بقوله له: «أنت أحق بالنبي من عمار»^(٤).

أم بقوله الغليظ الذي لا يحب المؤرخون ذكره ونحن سكتنا عن الإعراب عنه^(٥)؟

وبعد هذه كلها يزحزحه ﷺ عن مدينة الرسول ﷺ ويقلقه من عقر داره ويخرجه إلى ينبع

مرة بعد أخرى قائلاً لابن عباس: «قل له فليخرج إلى ماله لينبع، فلا أغتم به ولا يغتم بي».

ألا مسائل الرجل عما أوجب أولوية الإمام الطاهر المنزه عن الخطل، المعصوم من

الزلل بالنبي ممن نفاهم من الأمة الصالحة؟

أكان - بزعمه - علي ﷺ شيوعياً اشتراكياً شيخاً كذاباً كأبي ذر الصادق المصدق؟!

أم كان عنده دويبة سوء كابن مسعود أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله ﷺ؟!

أم كان الرجل يراه ابن متكاء، عاضاً أير أبيه، طاغياً كذاباً يجترئ عليه ويجري

عليه الناس كعمار جلدة ما بين عيني النبي ﷺ؟!

حاشا صنو النبي الأقدس عن أن يُرمى بسقطة في القول أو في العمل بعد ما طهره

الجليل، واتخذ نفسه لنبيه، واختارهما من بين بريته نبياً ووصياً.

وحاشا أولئك المنفيين من الصحابة الأولين الأبرار والتابعين لهم بإحسان عن

تلكم الطامات والأفائك والنسب المفتعلة.

١ - يوسف: ١٨.

٢ - الإمامة والسياسة ١: ٣٥.

٣ - الفتنة الكبرى: ١٦٥ [المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين - الفتنة الكبرى: ج ٤/ ٣٦٠].

٤ - راجع ص ٣١٣ من كتابنا هذا.

٥ - راجع الأنساب للبلاذري ٥: ٥٢ - ٥٤؛ مروج الذهب ١: ٤٣٨ [٣٥٧/٢ - ٣٦٠]؛ وشرح نهج البلاغة لابن

أبي الحديد [٢٥٥/٨، خطبة ١٣٠]؛ وانظر ص ٢٨٣ من كتابنا هذا.

نعم، كان يرى الرجل كلاً من أولئك الصفوة البررة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر طاعياً اتخذ علياً ﷺ سلفاً ويعده كهفأً وملجأً يدافع عنهم بوادر غضب الخليفة، ويحول بينهم وبين ما يرومه من عقوبة تلك الفئة الصالحة الناقمة عليه لما ركبه من النهاير^(١)؛ فدفع هذا المانع الوحيد عن تحقق هواجس الرجل كان عنده أولى بالنفي من أولئك الرجال المنفيين، ولولاه لكان يشفي منهم غليله، ويتسنى له ما كان يبتغيه من البغي عليهم، والله يدافع عن الذين آمنوا وأنه على نصرهم لقدير.

على أنه ليس من المعقول أن يكون من يأوي إلى مولانا أمير المؤمنين وآواه هو طاعياً كما يحسبه هذا الخليفة؛ فإنه لا يأوي إلى مثله إلا الصالح الراشد من المظلومين وهو ﷺ لا يحمي إلا من هو كذلك، وهو ولي المؤمنين، وأمير البررة، وقائد الغر المحجلين، وإمام المتقين، وسيّد المسلمين؛ كل ذلك نصّ من الرسول الصادق الأمين. وليتني أدري ممّ كان يغتمّ عثمان من مكان أمير المؤمنين ﷺ بالمدينة؟! ووجوده رحمة ولطف من الله سبحانه وتعالى على الأمة جمعاء لا سيما في البيئة التي ثقّله، يكسح عن أهلها الفساد، ويكبح جماح المتغلبين، ويقف أمام نعرات المتهوّسين، ويسير بالناس على المنهج اللائح سيراً صحيحاً.

نعم، يغتمّ به سماسرة النهمة والشره فيروقه بعباده ليهملج كلّ منهم إلى غاياته قلق الوضين^(٢). وما كان هتاف الناس به يومئذٍ إلا لأن يقيم أود الجامعة، ويعدّل الخطّة العوجاء، ويقف بهم على المحجّة الواضحة، غير أنّ ذلك الهتاف لا يروق من لا يروقه ذلك كلّ؛ فالاغتمام به جناية على المجتمع الديني، ووقوف أمام سير الصالح العام.

١ - «النهاير»: جمع نهيرة؛ وهي المهالك، وأصلها الحفر بين الآكام.

٢ - «الوضين»: بطن منسوج على بعض يُشدُّ به الرجل على البعير، وقوله: «قلق الوضين» أي سريع الحركة يوصف بالخفة وقلة الثبات؛ كالحزام إذا كان رخواً.

ولعمر الله إن هذه القوارص هي التي فتحت باب الجرأة على أمير المؤمنين بمصراعيه طيلة حياته، وهتكت منه حجاب حرمة وكرامته، وأطالت عليه السنة البذاءة والوقيعه فيه. وعثمان هو الذي أزرى الإمام في الملاء الديني، وصغره في أعين الناس وجرأ عليه طغام الأمويين وسفلة الأعراب، فبأذاه أبناء أمة وهم على آسال خليفتهم اتخذوه أسوة وقدوة في شتيمة وقذيعته وأذوا نبيهم في أخيه علم الهدى؛ «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا»^(١). «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٢). «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا»^(٣).

- ٦٥ -

ترك الخليفة التكبير في كل خفض ورفع

أخرج أحمد بالإسناد عن مطرف عن عمران بن حصين قال: «صَلَّيْتُ خَلْفَ عَلِيٍّ صَلَاةً ذَكَرَنِي صَلَاةً صَلَّيْتُهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْخَلِيفَتَيْنِ. قَالَ: فَاَنْطَلَقْتُ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ فَإِذَا هُوَ يَكْبِرُ كُلَّمَا سَجَدَ وَكُلَّمَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا نَجِيدٍ مَنْ أَوَّلُ مَنْ تَرَكَهُ؟ قَالَ: عُمَانُ ؓ حِينَ كَبَّرَ وَضَعَفَ صَوْتَهُ تَرَكَهُ»^(٤).

قال الأميني: سيوافيك^(٥) البحث الضافي حول التكبيرة في الصلاة عند كل رفع وخفض وأنها سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ تسالت عليها الأمة، وعمل بها الصحابة،

١- الأحزاب: ٥٧. ٢- التوبة: ٦١.

٣- الأحزاب: ٥٨.

٤- مسند أحمد ٤: ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٤٠ و ٤٤٤ [٥/٥٩٠، ح ١٩٣٣٩، وص ٥٩٣، ح ١٩٣٥٩، وص ٥٩٧،

ح ١٩٣٨٠، وص ٦٠٩، ح ١٩٤٥٠، وص ٦١٦، ح ١٩٤٩٣].

٥- في ص ٣٤٩ من كتابنا هذا.

واستقرّ عليها إجماع أئمة المذاهب. وهذا الحديث يعطينا خبراً بأنّ أوّل من تركها هو عثمان وتبعه معاوية وبنو أميّة، وما زال الناس على هذا المزن وتمرنّت عليه الأُمّة طوعاً أو كرهاً حتّى ضاعت السنّة الثابتة ونُسيت، وكان من جاء بها يُعدّ أحقّ كأنّه ارتكب أمراً شاذّاً عن الشرع المقدّس. والتبعة في ذلك كلّهُ على الخليفة البادي بترك سنّة الله الّتي لا تبدّل لها.

وتبرير عمل عثمان بالحمل علي الإخفاء ياباه صريح لفظ: «ترك». وإنّما يخبر ابن حصين عن تكبير أمير المؤمنين في الهويّ والانتصاب لا عن جهره به، والسائل إنّما يسأله عن أوّل من تركه لا عمّن خافت به أوّلاً.

نتاج البحث:

هذه نبذة قليلة نشرتها يد التاريخ الجانية بعد أن طوى كشحاً عن ذكر مهمّات ما جرى في ذلك العهد المشحون بالقلقل، الطافح بالفتن، المفعم بالهناث^(١). وقد عرفناه جانياً بستر تلکم الحقائق، جنوحاً إلى العاطفة، سائراً مع الميول، والتاريخ حرّ يجب أن يمضي مع الواقع وأن لا يلويه مع القصد تعصّب لأحد أو تحيّر إلى فئة، لكنّ القوم لم يسيروا في سرد التاريخ كما يجب عليهم، فطفقوا يُحرّفون الكلم عن مواضعه، ويثبتون ما يوافق هواهم، ويدعون ما لا يروقهم.

قال الطبري في تاريخه:

قد ذكرنا كثيراً من الأسباب الّتي ذكر قائلوه [أي عثمان] أنّهم جعلوها ذريعة إلى قتله، فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعلّ دعت إلى الإعراض عنها^(٢).

١ - [«الهناث»: الدواهي، وأحدثها هنبثة].

٢ - تاريخ الأمم والملوك ٥: ١١٣ [٤/٣٦٥، حوادث سنة ٣٥هـ].

وقال^(١):

إنَّ محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية لما وُلِّيَ ؛ فذكر مكاتبات جرت بينهما
كرهتُ ذكرها لما فيه ممَّا لا يتحمَّل سماعها العامة .
قال الواقدي في ذكر ما جرى بين عليٍّ عليه السلام وعثمان^(٢) :
فأجابه عثمان بجواب غليظ لا أحبُّ ذكره وأجابه عليٌّ بمثله .
وقال ابن كثير في البداية والنهاية^(٣) :

وفي هذه السنة - يعني (٣٣) - سَير عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام ،
والى مصر بأسباب مسوَّغة لما فعله عليه السلام ؛ فكان هؤلاء ممَّن يؤلَّب عليه ويُمالي
الأعداء في الحطِّ والكلام فيه ، وهم الظالمون في ذلك ، وهو البار
الراشد عليه السلام .

وقال الدكتور أحمد فريد رفاعي في عصر المأمون^(٤) :

أمَّا نحن فلا يُطلب ممَّا أن نبدي رأينا في عثمان ؛ فهو صحابيٌّ عظيم وله أثره
الخالد في جمع القرآن وغير القرآن ، وله دينه السمح الَّذي لا تشوبه شائبة .
وما كان الدين ليحتَم على الناس جميعاً أن يكون نظرهم إلى الحياة الدنيا نظر
التقشُّف والزهد . ولا يطلب ممَّا أن ثبت ضعف الحكومة العثمانية ، وإنَّما
يُطلب ممَّا أن نسرد الحوادث بإيجاز ، ولنا في تسلسل هذه الحوادث ودراستها
وتقييد آثارها ما قد سمح لنا بالتعرُّض له حين معالجتنا الكلام عن عصرنا
فيما بعد .

١ - المصدر السابق ٥ : ٢٣٢ [٥٥٧/٤ ، حوادث سنة ٣٦ هـ] .

٢ - أنظر شرح نهج البلاغة [٢٥٩/٨ ، خطبة ١٣٠] .

٣ - البداية والنهاية ٧ : ١٦٦ [١٨٦/٧ ، حوادث سنة ٣٣ هـ] .

٤ - عصر المأمون ١ : ٥ .

ثم ذكر ما جاء به اليعقوبي من الإيعاز إلى بعض ما نُقم به على عثمان، فتخلص عن البحث فيه بما أتى به ابن الأثير من رواية الطبري عن السريّ الكذاب، عن شعيب المجهول عن سيف المتروك الساقط المتهم بالزندقة أو عن أناس آخرين أمثال هؤلاء. أضف إلى هذه كثيراً من كتب التاريخ المؤلفة قديماً وحديثاً؛ فإنّها ألّفت بيد أئمة على ودائع العلم والدين. ولعلّ في المذكور من كتابنا هذا وهو قليل من كثير مقنعاً للحصول على العلم بنفسيات الخليفة من شتّى نواحيه، ومبلغه من العلم، ومقداره من التقوى. وقد عرف كلّ ذلك من عاصره وعاشره؛ فكانت كلمتهم في حقّه واحدة، وأعمالهم معه كلّ يشبه الآخر^(١).

- ٦٦ -

معاوية والخمر

١ - أخرج إمام الحنابلة أحمد في مسنده^(٢) من طريق عبد الله بن بريدة، قال: «دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفرش، ثمّ أتينا بالطعام فأكلنا، ثمّ أتينا بالشراب فشرب معاوية، ثمّ ناول أبي، قال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله ﷺ. ثمّ قال معاوية: كنت أجمل شباب قريش، وأجودهم ثغراً، وما شيء كنت أجده له لذة كما كنت أجده وأنا شاب، غير اللبن أو إنسان حسن الحديث يحدثني».

٢ - وأخرج ابن عساكر في تاريخه^(٣) من طريق عمرو بن قيس، قال: إنّ عبادة أتى حجرة معاوية وهو بأنظرطوس^(٤)، فألزم ظهره الحجرة وأقبل على الناس بوجهه

١ - [أنظر تلخيص الغدير / ٨٩٧ - ٩١٥].

٢ - مسند أحمد ٥: ٣٤٧ [٤٧٦/٦، ح ٢٢٤٣٢].

٣ - تاريخ مدينة دمشق ٧: ٢١٣ [٢٦ / ٢٠٠، رقم ٣٠٧١، وما بين المعقوفات منه؛ وفي تهذيب تاريخ دمشق ٧/

[٢١٦].

٤ - بلدة من سواحل بحر الشام؛ هي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحليّة وأوّل أعمال حمص. [معجم البلدان

[٢٧٠/١].

وهو يقول: بايعتُ رسول الله ﷺ أن لا أبالي في الله لومة لائم، ألا إن المقداد ابن الأسود قد غلّ بالأمس حماراً. [قال:] وأقبلت أوسق من مالٍ، فأشارت^(١) الناس إليها فقال: [عبادة:] أيها الناس [ألا] إنها تحمل الخمر، والله ما يحلّ لصاحب هذه الحجرة أن يعطيكم منها شيئاً، ولا يحلّ لكم أن تسألوه، وإن [كانت] معبلة^(٢) - يعني سهماً - في جنب أحدكم. [قال:] فأتى رجل المقداد [بن الأسود] وفي يده قرصافة^(٣)، فجعل يتلّ الحمار بها وهو يقول: [يا] معاوية، هذا حمارك شأنك به، حتى أورده الحجرة.

قال الأميني: لعلّ في الناس من يحسب أنّ سلسلة الاستهتار بمعاقرة الخمر كانت مبدوءة بيزيد بن معاوية، وإن لم يحكم الضمير الحرّ بإنتاج أبوين صالحين في دار طنّبت بالصلاح والدين، تخلو عن الخمر والفجور، ولداً مستهتراً مثل يزيد الطاغية المتخصّص في فنون العيث والفساد، لكن هذه الأنباء تُعلمنا أنّ هاتيك الخزية كانت موروثه له من أبيه الماجن المشيع للفحشاء في الذين آمنوا، بحمل الخمر إلى حاضرتة على القطار تارةً، وعلى حماره أخرى، بلاءً من الأشهاد، ونصب أعين المسلمين، وتوزيعها في الملاء الدينيّ، وهو يحاول مع ذلك أن لا ينقده أحد، ولا ينقم عليه ناقد، وكم لهذه المحاولة من نظائر، ينبو عنها العدد ولا تقف على حدٍّ؛ فهو وما ولد سواسية في الخمر والفحشاء، والمجون، وهذه هي التي أسقطته عند صلحاء الأمة، وحطّته عن أعينهم، فلا يرون له حرمة ولا كرامة، ولا يقيمون له وزناً.

وحذا معاوية في هذه الموبقة حذو أبيه أبي سفيان؛ فإنّه كان يشرب الخمر وهو من أظهر آثامه وبوائقه. وقد جاء في حديث أبي مریم السلولي الحمار بالطائف: أنّه نزل

١ - [في الحقيقة: «فاشرأب الناس إليها»]. ٢ - [«المعبلة»: نصل طويل عريض].

٣ - [«القرصافة»: القطيفة].

عنده وشرب وثل، وزنا بسمية أم زياد بن أبيه^(١).

فبيت معاوية حانوت الخمر، ودكة الفجور، ودار الفحشاء والمنكر من أول يومه، والخمر شعار أهله، وما أغنتهم النذر إذ جاءت، وهم بمجنب عن قول رسول الله ﷺ - لا بل هم أهله - «لعنْتُ الخمر وشاربها، وساقياها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وعاصرها، ومعتصرها، وآكل ثمنها»^(٢).

وعن قوله ﷺ: «ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقرّ في أهله الخبث»^(٣).

وعن قوله ﷺ: «إنّ عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال». قالوا: يا رسول الله! وما طينة الخبال؟! قال: «عرق أهل النار. أو: عصارة أهل النار»^(٤).

إلى أحاديث كثيرة في الترهيب من هذا الرجس الذي كان يشربه معاوية ووالده وولده.

- ٦٧ -

معاوية يأكل الربا

١ - أخرج مالك والنسائي وغيرهما من طريق عطاء بن يسار: «أنّ معاوية رضي الله عنه باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها. فقال له أبو الدرداء رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ

١ - أنظر شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧٠ [١٨٧/١٦]؛ العقد الفريد ٣: ٣ [٥/٥].

٢ - سنن أبي داود ٢: ١٦١ [٣٢٦/٣]؛ سنن ابن ماجه ٢: ١٧٤ [١١٢٢/٢]؛ ح ٣٣٨٠ و ٣٣٨١؛

جامع الترمذي ١: ١٦٧ [٥٨٩/٣]؛ ح ١٢٩٥.

٣ - أخرجه أحمد [في مسنده ١٨١/٢]؛ ح ٥٣٤٩؛ والنسائي [في سننه ٤٢/٢]؛ ح ٢٣٤٣.

٤ - راجع الترغيب والترهيب ٣: ١٠١ - ١١٠ [٢٤٨/٣ - ٢٦٧]؛ وانظر السنن الكبرى للنسائي ٤/١٨٦؛ ح

٦٨١٨؛ والمعجم الأوسط للطبراني ١/٢٢٦، رقم ٣٤٣.

[ينهى] ^(١) عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل؛ فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً. فقال له أبو الدرداء رضي الله عنه: من يعذرني من معاوية؟! أنا أخبره عن رسول الله ﷺ وهو يخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها. ثم قدم أبو الدرداء رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر له ذلك؛ فكتب عمر إلى معاوية: أن لا تبع ذلك إلا مثلاً بمثل، وزناً بوزن ^(٢).

٢- وأخرج البيهقي وغيره من طريق حكيم بن جابر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: الذهب الكفة بالكفة، والفضة الكفة بالكفة حتى خصَّ أن قال: ^(٣) الملح بالملح. فقال معاوية: إن هذا لا يقول شيئاً. فقال عبادة رضي الله عنه أشهد أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك».

وزاد النسائي: قال عبادة: «إني والله ما أبالي أن لا أكون بأرض يكون بها معاوية». وفي لفظ ابن عساكر: «إني والله ما أبالي [إلا] ^(٤) أن أكون بأرضكم هذه» ^(٥). قال الأميني: إن من ضروريات الدين الحنيف الثابتة كتاباً وسنة وإجماعاً حرمة الربا، وأنه من أكبر الكبائر؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَرْبًا لَا يَتُوبُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْطِئُ الشَّيْطَانُ مِنْ أَلَمَسٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ^(٦).

وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ^(٧).

١ - [الزيادة من المصادر].

٢ - راجع: موطأ مالك ٢: ٥٩ [٢/٦٣٤، ح ٣٣]؛ السنن الكبرى للنسائي ٧: ٢٧٩ [٤/٣٠، ح ٦١٦٤].

٣ - [من سنن البيهقي].

٤ - [من المصدر].

٥ - راجع: مسند أحمد ٥: ٣١٩ [٦/٤٣٦، ح ٢٢٢١٧]؛ السنن الكبرى للنسائي ٧: ٢٧٧ [٤/٢٩، ح ٦١٥٩]؛

تاريخ مدينة دمشق ٧: ٢٠٦ [٢٦/١٧٦، رقم ٣٠٧١، وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/٣٠٢].

٦ - البقرة: ٢٧٥.

٧ - البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩.

وتواترت السنة الشريفة في المسألة وبلغت حدًّا لا يسع لأيّ مسلم ولو كان قروياً أن يدّعي الجهل به، فضلاً عمّن يدّعي إمرة المؤمنين؛ ومنها:

١ - جاء من غير طريق أنّ رسول الله ﷺ لعن آكل الربا، ومؤكله، وشاهديه، وكاتبه^(١).

٢ - أخرج الحاكم^(٢) بإسناد صحيح، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أربعة، حقّ على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حقّ، والعاقّ لوالديد».

٣ - أخرج البرّاز^(٣) بإسناد صحيح مرفوعاً: «الربا بضع وسبعون باباً، والشرك مثل ذلك».

٤ - أخرج البيهقي^(٤) بإسناد لا بأس به من طريق أبي هريرة مرفوعاً: «الربا سبعون باباً، أدناها كالذي يقع على أمّه».

٥ - أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي^(٥) من طريق أنس بن مالك، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال: «إنّ الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستّ وثلاثين زنية يزنيها الرجل».

هذه جملة من أحاديث الباب جمعها وغيرها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب^(٦).

٦ - وروى أئمة الحديث واللفظ لمسلم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «الذهب

١ - صحيح مسلم ٥: ٥٠ [٤٠٧/٣، ح ١٠٥ و ١٠٦]؛ سنن أبي داود ٢: ٨٣ [٢٤٤/٣، ح ٣٣٢٣].

٢ - المستدرک علی الصحیحین [٤٣/٢، ح ٢٢٦٠].

٣ - مسند البرّاز (البحر الزّخّار) [٣١٨/٥، ح ١٩٣٥].

٤ - شعب الإيمان [٣٩٤/٤، ح ٥٥٢٠].

٥ - شعب الإيمان [٣٩٥/٤، ح ٥٥٢٣].

٦ - الترغيب والترهيب ٢: ٢٤٧ - ٢٥١ [٢/٣ - ١٤].

بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعر بالشعر، والتمر بالتمر، والملح بالملح مثلاً بمثل، يداً بيد؛ فمن زاد واستزاد فقد أربى، والآخذ والمطعمي فيه سواء»^(١).

٧ - ومن طريق أبي سعيد مرفوعاً: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا»^(٢) بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل...»^(٣).

وعلى هذه السنة الثابتة جرت الفتاوى:

في الفقه على المذاهب الأربعة^(٤):

لا خلاف بين أئمة المسلمين في تحريم ربا النسيئة؛ فهو كبيرة من كبائر

بلا نزاع، وقد ثبت [ذلك]^(٥) بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله، وإجماع

المسلمين....

وفيه أيضاً:

أما ربا الفضل وهو أن يبيع أحد الجنسين بمثله بدون تأخير في القبض، فهو

حرام في المذاهب الأربعة.

هذا ما عند الله وعند رسوله وعند المسلمين أجمع، لكن معاوية بلغت به الرفعة

مكاناً يقول فيه: «قال الله ورسوله وقلت». هما يحرمان الربا بأشدّ التحريم، ويستحلّه

معاوية، وينهى عن رواية سنة جاءت فيه، ويؤشدّد النكير عليها وعلى من رواها، حتى

يفادر الصحابي الصالح من جرّائه عقر داره؛ فماذا للقائل أن يقول فيمن يحادّ الله

ورسوله، ويستحلّ ما حرّماه، ويتعدّى حدودهما؟! أو يقول فيمن يسمع آيات الله

تُتلى عليه ثمّ يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها؟!!

١ - راجع: صحيح مسلم ٥: ٤٤ [٣/٣٩٩، ح ٨٢، كتاب المساقاة]؛ السنن الكبرى ٧: ٢٧٧ - ٢٧٨ [٤/٢٨٨].

٢ - «لا تشفوا»: لا تفضلوا. [٢٩٠، ح ٦١٥٨، ٦١٥٧].

٣ - صحيح مسلم ٥: ٤٢ [٣/٣٩٥، ح ٧٥]؛ صحيح البخاري ٣: ٢٨٨ [٢/٧٦٢، ح ٢٠٦٨].

٤ - الفقه على المذاهب الأربعة ٢: ٢٤٥. ٥ - [من المصدر].

ولئن صحَّ للجاحظ إكفار معاوية لمحض مخالفته للسنة الثابتة باستلحاق زياد - كما سيوافيك^(١) - شرحه - فهو بما ذكرناه هنا وفي غير واحد من موارده ومصادره أكفر كافر.

- ٦٨ -

معاوية يتم في السفر

أخرج الطبراني، وأحمد^(٢)، بإسناد صحيح من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: «لما قدم علينا معاوية حاجاً، قدمنا معه مكة. قال: فصلّى بنا الظهر ركعتين ثمّ انصرف إلى دار الندوة. قال: وكان عثمان حين أتمّ الصلاة، فإذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً أربعاً، فإذا خرج إلى منى وعرفات قصر الصلاة، فإذا فرغ من الحجّ وأقام بمنى أتمّ الصلاة حتى يخرج من مكة. فلما صلى بنا الظهر ركعتين، نهض إليه مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان، فقالا له: ما عاب أحد ابن عمك بأقبح ما عيبته به. فقال لهما: وما ذاك؟! قال: فقالا له: ألم تعلم أنّه أتمّ الصلاة بمكة. قال: فقال لهما: ويحكمما وهل كان غير ما صنعت؟! قد صليتهما مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قالوا: فإنّ ابن عمك قد أتمّها وإنّ خلافاً له عيب. قال: فخرج معاوية إلى العصر فصلّاها بنا أربعاً»^(٣).

قال الأميني: انظر إلى مبلغ هؤلاء الرجال أبناء بيت أميّة من الدين، ولعبهم بطقوس الإسلام، وجرأتهم على الله وتغيير سنته، وأحداثهم في الصلاة وهي أفضل ما بُنيت عليه البيضاء الحنيفة، وانظر إلى ابن هند حلف الخمر والربا كيف يترك ما جاء به رسول الله ﷺ ووجد هو عمله عليه، ووافقه هو مع أبي بكر وعمر، ثمّ يعدل عنه لمحض

٢- مسند أحمد [٥/٥٨، ح ١٦٤١٥].

١- في ص ٣٦٢ من كتابنا هذا.

٣- مرّ في ص ١٩٨ تفصيل الكلام حول ما أحدثه عثمان في صلاة المسافر خلاف سنة رسول الله ﷺ.

أن ابن عمّه غير حكم الشريعة فيه، وأن مروان بن الحكم طريد رسول الله وابن طريده، الوزغ بن الوزغ، اللعين بن اللعين على لسان النبي العظيم، وصاحبه عمرو بن عثمان ما راقهما إتباعه السنّة، فاستهان مخالفتها دون أن يعيب ابن عمّه بعمله، فأحيا أحدىثة ذي قرباه، وأمات سنّة محمد ﷺ، غير مكترث لما سمعته أذن الدنيا عن ابن عمر: «الصلاة في السفر ركعتان من خالف السنّة فقد كفر»^(١)؛ فزهِ به من خليفة المسلمين وألف زه!!

- ٦٩ -

أحدوثة الأذان في العيدين

أخرج الشافعي في كتاب الأم^(٢) من طريق الزهري قال: «لم يؤذن للنبي ﷺ ولأبي بكر ولا لعمر ولا لعثمان في العيدين، حتّى أحدث ذلك معاوية بالشام، فأحدثه الحجاج بالمدينة حين أمر عليها».

وفي المحلى لابن حزم^(٣): «أحدث بنو أميّة تأخير الخروج إلى العيد وتقديم الخطبة قبل الصلاة، والأذان والإقامة».

قال الأميني: إنّ من المتسالم عليه عند أئمة المذاهب عدم مشروعية الأذان والإقامة إلا للمكتوبة فحسب. قال الشافعي في كتابه الأم^(٤):

لا أذان إلا للمكتوبة، فإنّا لم نعلمه أذن لرسول الله ﷺ إلا للمكتوبة....

وقال الشوكاني في نيل الأوطار^(٥):

أحاديث الباب تدلّ على عدم شرعية الأذان والإقامة في صلاة العيدين. قال

٢- كتاب الأم ١: ٢٠٨ [٢٣٥/١].

١- أنظر سنن البيهقي ٣: ١٤٠.

٤- كتاب الأم ١: ٢٠٨ [٢٣٥/١].

٣- المحلى ٥: ٨٢.

٥- نيل الأوطار ٣: ٣٦٤ [٣٣٦/٣].

العراقي : وعليه عمل العلماء كافة . وقال ابن قدامة في المغني ^(١) : ولا نعلم في هذا خلافاً ممن يعتد بخلافه .

وقد تضافرت الأخبار الدالة على هدي الرسول الأعظم في صلاة العيدين ، وأنه ﷺ صلاها بغير أذان ولا إقامة ؛ وإليك جملة منها :

١ - عن جابر بن عبد الله : «شهدت مع النبي ﷺ يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة...» ^(٢) .

٢ - عن جابر بن سمرة : «صليت مع النبي ﷺ العيد غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة» ^(٣) .

هذه شريعة الله التي شرعها في صلاة العيدين ، واستمر عليها العمل في دور النبوة ، ولم تزل متبعة على عهد الشيخين ، وهلم جرّاً ، حتى أحدث رجل النفاق بدعته الشنعاء ، وأدخل في الدين ما ليس منه ، فكان مصيره ومصير بدعته ومن عمل بها إلى النار ، وكان على الأمة منه يوم أسود عند حشرها ، كما كان منه عليها يوم أحر في دنياها ؛ فأبى خليفة هذا يجرّ على قومه الولايات في النشاطين جمعاء ؟!

وهذه وما شابهها من بدع الرجل تنم عن تهاونه بالشريعة ، وعدم التزامه بسننها وفروضها ، وإنما كان يعمل بما يرتئيه وتخبذ له ميوله ، غير مكترث لمخالفته الدين ، متى وجد فيه حريجة من شهواته ، ومدخلاً من أهوائه ؛ فحسب أن في تقديم الأذان دعوة إلى الاجتماع وملتمحاً للأبهة ، وعزب عنه أن دين الله لا يقاس بهذه المقاييس ، وإنما هو

١ - المغني [٢/٢٣٥] .

٢ - صحيح البخاري مختصراً ٢ : ١١١ ، [صحيح البخاري ١/٣٣٢ ، ح ٩٣٥] ، صحيح مسلم ٣ : ١٨ [٢/٢٨٤] ، ح ٤ ، كتاب صلاة العيدين .

٣ - صحيح مسلم ٣ : ٢٩ [٢/٢٨٥ ، ح ٧] ؛ سنن أبي داود ١ : ١٧٩ [١/٢٩٨ ، ح ١١٤٨] .

منبعث عن مصالح لا يعلم حقائقها إلا الله، ولو كانت لتلك المزعمة مقبل من الحق لجاء بها نبي العظمة ﷺ؛ فدع معاوية يتورط في سيئاته، ويهملج في تركاضه إلى الضلال، والله يعلم منقلبه ومشواه.

- ٧٠ -

معاوية يصلي الجمعة يوم الأربعاء

إن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين، فتعلق به رجل من دمشق، فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون أنها ناقتة، ف قضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه. فقال الكوفي: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة. فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره فدفع إليه ضعفه، وبرّه وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً أني أقابله^(١) بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل. ولقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء، وأعاروه رؤوسهم عند القتال، وحملوه بها وركنوا إلى قول عمرو بن العاص: إن علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن عليّ سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير^(٢).

قال الأميني: اشتملت هذه الصحيفة السوداء على أشياء تجد البحث عن بعضها في طيات كتابنا هذا:

كانتخاذ لعن عليّ أمير المؤمنين سنة يدأب عليها.

وكتأويل عمرو بن العاص قول رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» بأن

١ - [في المصدر: أقاتله].

٢ - مروج الذهب ٢: ٧٢ [٤٢/٣].

عليّاً عليه السلام هو الذي قتل عمّاراً لإلقاءه بين سيوف القوم ورماحهم.

وكبيان ما يُعرب عن حال أصحاب معاوية ومبلغهم من العقل والدين، وهذه كلمة معاوية ومعتقده فيهم، وهو على بصيرة منهم، وقد كان يستفيد من أولئك الهمج بضؤولة عقليّتهم، وخَوَر نفسيّاتهم، وبُعدهم عن معالم الدين ونواميس الشريعة المقدّسة، فيجسّعهم على قتال إمام الحقّ تارة، وللشهادة بأنّه عليه السلام هو الذي قتل عثمان طوراً، إلى موارد كثيرة من شهادات الزور التي كان يُغريهم بها؛ كقصّة حجر بن عدي وأمثالها.

والذي يهّمنا هاهنا: أولاً: حكمه الباطل على ناقة لم تكن توجد هنالك، وإنّما الموجود جمل قد شاهده وعلم به وأنّه خارج عن موضوع الشهادة، لكنّه أنفذ الحكم الباطل المبني على خمسين شهادة، زور كلّها، ويقول بملء فم: «هذا حكم قد مضى». والحقيقة غير عازبة عنه، ويتبجّح أنّه يقابل إمام الهدى عليه السلام بمائة ألف من أولئك الحمر المستنقرة، لكنّه لم يقابل إمام الحقّ بهم فحسب، وإنّما كان يقابل النبيّ الأعظم، ودينه الأقدس، وكتابه العزيز، بتلكم الرعرة الدهماء.

ويهّمنا ثانياً: تغييره وقت صلاة الجمعة عند مسيره إلى صفّين - في تلك السفرة المحظورة التي أنشئت على الضدّ من رضى الله ورسوله - إلى يوم الأربعاء.

وإلى الغاية لم يظهر لي سرّ هذا التغيير، هل نسي يوم الجمعة فحسب يوم الأربعاء أنّه يوم الجمعة؟! ومن العجب أنّه لم يذكره أحدٌ من ذلك الجيش اللجب، ولا ذكره منهم أحد.

أو أنّه كان يبهضه ما جاء عن رسول الله ﷺ في فضل يوم الجمعة، وفضل ساعاته والأعمال الواردة فيه، وقد اتّخذهُ هو ﷺ والمسلمون من بعده عيداً تتناز به هذه الأمة عن بقيّة الأمم؟

وما كان ابن هند يستسهل أن يجري في الدنيا سنة للنبي ﷺ متبعة لم يولها إخلالاً وعيثاً، فبدر إلى ذلك التبديل عتوّاً منه. وما أكثر عبثه بالدين وحيفه بالمسلمين!

ولعله اختار يوم الأربعاء لما ورد فيه من أنه أثقل الأيام، يوم نحس مستمر^(١)؛ فأراد أن يرفع النحوسة بصلاة الجمعة. ولم يعبأ باستلزام ذلك تغيير سنة الله التي لا تبدل لها، والجمعة سيّد الأيام، خير يوم طلعت عليه الشمس^(٢).

وبهذا وأمثاله يُستهان بما يؤثر عن الرجل من تقديم وقت الجمعة إلى الضحى^(٣)، ووقتها المضروب لها في شريعة الإسلام الزوال لا غيره، وهي بدل الظهر، ووقتها وقتها، وهذه سنة رسول الله ﷺ الثابتة المتبعة؛ فعن سلمة بن الأكوع قال: «كُنَّا نُجْمَعُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ نَرْجِعُ نَتَّبِعُ الْفِيءَ»^(٤).

وعن سلمة أيضاً قال: «كُنَّا نَصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَا نَجِدُ لِلْحَيْطَانِ فَيْئاً يُسْتَظَلُّ بِهِ»^(٥).

وعن أنس بن مالك قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَصَلِّي الْجُمُعَةَ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ»^(٦).

وقال البخاري في صحيحه^(٧): «باب وقت الجمعة إذا زالت الشمس».

-
- ١- راجع ثمار القلوب: ٥٢١ و ٥٢٢ [ص ٦٤٩ و ٦٥٠، رقم ١٠٩٤].
 - ٢- أخرجه الحاكم [في المستدرک ٤١٣/١، ح ١٠٣٠]؛ والترمذي [في سننه ٣٥٩/٢، ح ٤٨٨]؛ والنسائي [في سننه ٥١٧/١، ح ١٦٦٣]؛ وأبو داود [في سننه ٢٧٤/١، ح ١٠٤٦ و ١٠٤٧].
 - ٣- راجع فتح الباري ٢: ٣٠٩ [٣٨٧/٢]؛ نيل الأوطار ٣: ٣١٩ و ٣٢٠ [٢٩٥/٣-٢٩٦].
 - ٤- صحيح مسلم ٣: ٩ [٢٦٦/٢، ح ٣١، كتاب الجمعة]؛ سنن البيهقي ٢: ١٩٠.
 - ٥- صحيح مسلم ٣: ٩ [٢٦٦/٢، ح ٣٢]؛ سنن البيهقي ٣: ١٩١.
 - ٦- صحيح البخاري ١: ٣٠٧ [٨٦٢]؛ مستد أحمد ٣: ٥٨٢ [١١٨٩٠، ح ١١٨٩٠].
 - ٧- صحيح البخاري ١: ٣٠٦ [١].

وقال ابن رشد في البداية^(١) :

أما الوقت فإن الجمهور على أن وقتها وقت الظهر بعينه ، أعني وقت الزوال ،
وأنها لا تجوز قبل الزوال . وذهب قوم إلى أنه يجوز أن تصلي قبل الزوال ؛
وهو قول أحمد بن حنبل .

وقال القسطلاني :

هو مذهب عامة العلماء . وذهب أحمد إلى صحة وقوعها قبل الزوال متمسكاً
بما روي عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان رضي الله عنهم أنهم كانوا يصلون
الجمعة قبل الزوال من طريق لا تثبت^(٢) .

طُرُق ما تمسك به أحمد تنتهي إلى عبدالله بن سيدان السلمي ، زيفها الحفاظ لمكان
ابن سيدان^(٣) .

فالسنة الثابتة في توقيت الجمعة هي السنة المتبعة في صلاة الظهر ، وإقامة معاوية
الجمعة في الضحى خروج عن سنة النبي ﷺ وهديه ، وشذوذ عن سيرة السلف كشذوذه
في بقية أفعاله وتروكه .

- ٧١ -

أحداث الجمع بين الأختين

أخرج ابن المنذر عن القاسم بن محمد : «أن حياً سألوا معاوية عن الأختين ممّا
ملك اليمين يكونان عند الرجل يطؤهما؟ قال : ليس بذلك بأس . فسمع بذلك النعمان
بن بشير ، فقال : أفتيت بكذا وكذا؟ قال : نعم . قال : أرايت لو كان عند الرجل أخته
مملوكة يجوز له أن يطأها؟ قال : أما والله لربما وددتني أدرك ، فقل لهم : اجتنبوا ذلك ،

١ - بداية المجتهد ١ : ١٥٢ [١٦٠/١] . ٢ - إرشاد الساري ٢ : ١٦٤ [٦٤٨/٢] .

٣ - راجع : فتح الباري ٢ : ٣٠٩ [٣٨٧/٢] ، والكامل في ضعفاء الرجال [٢٢٢/٤] ، رقم [١٠٣١] .

فإنّه لا ينبغي لهم، فقال: إنّما الرحم من العتاقة وغيرها»^(١).

قال الأميني: هذا الباب المرجح فتحه عثمان^(٢). وقد عدّ ذلك من أحداثه، ولم يوافقّه عليه أحد من السلف والخلف ممّن يُعبأ به وبرأيه، حتّى جاء معاوية معلّياً على ذلك البنيان المتضعع، معلّياً بما شدّ عن الدين الحنيف، أخذاً بأحدوثة ابن عمّه، صفحاً عن كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ. وقد أتينا هنالك في بطلانه بما لم يبق معه في القوس منزع.

- ٧٢ -

أحدوثة معاوية في الديات

أخرج الضحّاك في الديات^(٣) من طريق محمّد بن إسحاق قال: «سألتُ الزهري قلت: حدّثني عن دية الذمي كم كانت على عهد رسول الله ﷺ؟! قد اختلف علينا فيها. فقال: ما بقي أحد بين المشرق والمغرب أعلم بذلك منّي، كانت على عهد رسول الله ألف دينار، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، حتّى كان معاوية، أعطى أهل القتل خمسمائة دينار، ووضع في بيت المال خمسمائة دينار».

وقال ابن كثير في تاريخه^(٤):

قال الزهري: مضت السنة أنّ دية المعاهد كدية المسلم، وكان معاوية أوّل

من قصّرها إلى النصف وأخذ النصف لنفسه^(٥).

قال الأميني: إنّ دية الذمي في دور النبوة لم يكن ألفاً كما حسبه الزهري، ولم يذهب إليه أحد من أئمة المذاهب إلّا أبا حنيفة، وأنّ أوّل من جعلها ألفاً هو عثمان^(٦). وعلى

١- الدرّ المشثور ٢: ١٣٧ [٤٧٧/٢].

٢- أنظر موطأ مالك ٢: ١٠ [٥٣٨/٢، ح ٣٤] [راجع الغدير ٨/ ٣٠٤-٣١٦].

٣- الديات: ٥٠. ٤- البداية والنهاية ٨: ١٣٩ [١٤٨/٨، حوادث سنة ٦٠هـ].

٥- [الزيادة من المصدر].

٦- أنظر كتاب الأمّ للشافعي ٧: ٢٩٣ [٣٢١/٧] [راجع الغدير ٨/ ٢٤٠-٢٤٨].

أيّ حال فما ارتكبه معاوية فيه بدع ثلاث :

١ - أخذ الدية ألفاً .

٢ - تنصيفه بين ورثة المقتول وبيت المال .

٣ - وضعه حصّة بيت المال أخيراً إن كانت الألف سنّة وليت المال فيها حقّ .

فرحى بخليفة يجهل حكماً واحداً من الشريعة من شتى نواحيه! أو يعلمه لكنّه يتلاعب به كيفما حبّذته له ميوله! وهو لا يقيم للحكم الإلهي وزناً، ولا يرى الله حدوداً لا يتجاوزها، ويقول: «لو أنا نظرنا...». ولا يبالي بما تقول على الله ولا يكثر لمعّبة ما أحدثه في الدين وفي الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَغْضُ الْأَقَابِلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^(١).

- ٧٣ -

ترك التكبير المسنون في الصلوات

أخرج الطبراني - وفي شرح الموطأ: الطبري - عن أبي هريرة: «أنّ أوّل من ترك التكبير معاوية. وروى أبو عبيد: أنّ أوّل من تركه زياد».

قال ابن حجر في فتح الباري^(٢):

هذا لا ينافي الذي قبله ؛ لأنّ زياداً تركه بترك معاوية ، وكان معاوية تركه بترك

عثمان^(٣) . وقد حمل ذلك جماعة من أهل العلم على الإخفاء .

وفي الوسائل إلى مسامرة الأوائل^(٤):

أوّل من نقص التكبير معاوية ؛ كان إذا قال : سمع الله لمن حمده ، انحطّ إلى السجود

فلم يكبر .

٢ - فتح الباري ٢ : ٢١٥ .

١ - الحاقة : ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ .

٣ - أخرج حديثه أحمد في مسنده [٥/٥٩٧، ح ١٩٣٨٠] من طريق عمران كما يأتي في المتن بعيد هذا .

٤ - الوسائل إلى مسامرة الأوائل : ١٥ .

وأخرج الشافعي في كتاب الأم^(١) من طريق عبيد بن رفاعه: أن معاوية قدم المدينة فصلّى بهم فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ولم يكبر إذا خفض وإذا رفع؛ فناداه المهاجرون حين سلّم والأنصار: أن يا معاوية سرقت صلاتك، أين بسم الله الرحمن الرحيم؟! وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت؟! فصلّى بهم صلاة أخرى؛ فقال ذلك فيما الذي عابوا عليه.

قال الأميني: تتم هذه الأحاديث عن أن البسملة لم تزل جزءاً من السورة منذ نزول القرآن الكريم، وعلى ذلك تمرنت الأمة، وانطوت الضمائر، وتطامنت العقائد؛ ولذلك قال المهاجرون والأنصار لما تركها معاوية: إنه سرق. ولم يتسنّ لمعاوية أن يعتذر لهم بعدم الجزئية، حتّى التجأ إلى إعادة الصلاة مكلفة سورتها بالبسملة، أو أنه التزم بها في بقية صلواته. ولو كان هناك يومئذ قول بتجرّد السورة عنها لاحتجّ به معاوية، لكنّه قول حادث ابتدعه لتبرير عمل معاوية ونظرائه من الأمويين الذين اتبعوه بعد تبين الرشد من الغي.

وأما التكبير عند كل هوي وانتصاب فهي سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ عرفها الصحابة كافة، فأنكروا على معاوية تركها، وعليها كان عمل الخلفاء الأربعة، واستقرّ عليها إجماع العلماء، وهي مندوبة عندهم، عدا ما يؤثر عن أحمد في إحدى الروايتين عنه من وجوبها، وكذلك عن بعض أهل الظاهر؛ وإليك جملة مما ورد في المسألة:

١- عن مطرف بن عبد الله قال: «صلّيت خلف علي بن أبي طالب عليه السلام أنا وعمران ابن حصين، فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع رأسه كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر. فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين، فقال: قد ذكرني هذا صلاة محمد، أو قال: لقد صلّى بنا صلاة محمد ﷺ».

وفي لفظ آخر له: عن مطرف عن عمران قال: «صليت خلف عليّ صلاة ذكرني صلاة صليتها مع رسول الله ﷺ والخليفتين. قال: فانطلقت فصليت معه، فإذا هو يكبر كلما سجد وكلما رفع رأسه من الركوع. فقلت: يا أبا نجيد من أول من تركه؟! قال: عثمان ابن عفان ؓ حين كبر وضعف صوته تركه»^(١).

٢- عن عكرمة قال: «رأيت رجلاً عند المقام يكبر في كل خفض ورفع وإذا قام وإذا وضع؛ فأخبرت ابن عباس ؓ قال: أو ليس تلك صلاة النبي ﷺ لا أم لك؟!». وفي لفظ عن عكرمة: «صليت خلف شيخ بمكة، فكبر ثنتين وعشرين تكبيرة، فقلت لابن عباس: إنه أحق؛ فقال: ثكلتك أمك سنة أبي القاسم ﷺ»^(٢).

قال الأمين: يظهر من هذه الرواية أن تغيير الأمويين هذه السنة الشريفة وفي مقدمهم معاوية كان مطرداً بين الناس، حتى كادوا أن ينسوا السنة، فحسبوا من ناء بها أحق، أو تعجبوا منه كأنه أدخل في الشريعة ما ليس منها، كل ذلك من جرّاء ما اقترفته يدا معاوية وحزبه الأثيمتان، وجنحت إليه ميولهم وشهواتهم، فبعداً لأولئك القصيين عما جاء به محمد ﷺ.

٣- عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب: «كان رسول الله ﷺ يكبر كلما خفض ورفع، فلم تزل تلك صلاته حتى قبضه الله»^(٣).

هذه سنة الله ورسوله ﷺ في تكبير الصلوات عند كل هوي وانتصاب، وبها أخذ الخلفاء، وإليها ذهبت أئمة المذاهب، وعليها استقرّ الإجماع، غير أن معاوية يقابلها

١- صحيح البخاري ٥٧: ٢ و ٧٠ [٢٧٢/١، ح ٧٥٣؛ وص ٢٨٤، ح ٧٩٢]؛ صحيح مسلم ٨: ٢ [٣٧٤/١، ح ٣٣، كتاب الصلاة]؛ سنن أبي داود ١: ١٣٣ [٢٢١/١، ح ٨٣٥]؛ السنن الكبرى للنسائي ٢: ٢٠٤ [٢٢٧/١، ح ٦٦٩].

٢- صحيح البخاري ٥٧: ٢ و ٥٨ [٢٧٢/١، ح ٧٥٤ و ٧٥٥]؛ مسند أحمد ١: ٢١٨ [٣٦١/١، ح ١٨٨٩].

٣- المدونة الكبرى ١: ٧٣ [٧١/١]؛ نصب الراية ١: ٣٧٢.

بخلافها، ويغيرها برأيه ويتخذ الأمويون أحداثه سنة متبعة تجاه ما جاء به نبي الإسلام.

قال ابن حجر في فتح الباري^(١):

استقر الأمر على مشروعية التكبير في الخفض والرفع لكل مصل، فالجمهور على ندبة ما عدا تكبيرة الإحرام، وعن أحمد وبعض أهل العلم بالظاهر يجب كله.

وقال^(٢):

أشار الطحاوي إلى أن الإجماع استقر على أن من تركه فصلاته تامة^(٣). وفيه نظر؛ لما تقدم عن أحمد، والخلاف في بطلان الصلاة بتركه ثابت في مذهب مالك، إلا أن يريد إجماعاً سابقاً.

- ٧٤ -

ترك التلبية خلافاً لعلّي ﷺ

أخرج النسائي في سننه^(٤)، والبيهقي في السنن الكبرى^(٥) من طريق سعيد بن جبير، قال: «كان^(٦) ابن عباس بعرفة، فقال: يا سعيد! مالي لا أسمع الناس يلبنون؟! فقلت: يخافون معاوية. فخرج ابن عباس من فسطاطه، فقال: لبيك اللهم لبيك، وإن رغم ألف معاوية، اللهم العنهم فقد تركوا السنة من بغض علي». وقال السندي في تعليق سنن النسائي:

من بغض علي أي لأجل بغضه؛ أي وهو كان يتقيد بالسنن فهو لاء تركوها بغضاً له.

١- فتح الباري ٢: ٢١٥ [٢٧٠/٢ و ٢٧١]. ٢- في ص: ٢١٦.

٣- شرح معاني الآثار [٢٢٨/١، ح ١٣٦٦].

٤- السنن الكبرى ٥: ٢٥٣ [٤١٩/٢، ح ٣٩٩٣. وفيه: «كنا مع ابن عباس»].

٥- السنن الكبرى للبيهقي ٥: ١١٣. ٦- [في السنن الكبرى للبيهقي: «كنا عند ابن عباس»].

وفي تاريخ ابن كثير^(١) من طريق صحيح، عن سفيان، عن حبيب، عن سعيد، عن ابن عباس:

أنّه ذكر معاوية، وأنّه لبى عشية عرفة، فقال فيه قولاً شديداً، ثم بلغه أنّ عليّاً لبى عشية عرفة فتركه.

قال الأميني: إنّ السنّة المسلّمة عند القوم استمرار التلبية إلى رمي جمرة العقبة، أو لها أو آخرها على خلاف فيه. وإليك ما يؤثر منها عندهم:

١ - عن الفضل: «أَفَضْتُ مع النبي ﷺ من عرفات، فلم يزل يلبيّ حتّى رمى جمرة العقبة، ويكبر مع كلّ حصاة، ثمّ قطع التلبية مع آخر حصاة»^(٢).

وقال الترمذي^(٣): «والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم».

٢ - عن جابر بن عبد الله وأسماء وابن عباس: «أنّ رسول الله ﷺ لزم التلبية ولم يقطعها حتّى رمى جمرة العقبة»^(٤).

٣ - أخرج ابن أبي شيبة^(٥) من طريق عكرمة، يقول: «أهلّ رسول الله ﷺ حتّى رمى الجمرة، وأبو بكر، وعمر».

٤ - عن مولانا أمير المؤمنين: أنّه لبى حتّى رمى جمرة العقبة^(٦).

هذه هي السنّة المتسالم عليها عند القوم، وبها أخذت أئمة الفقه والفتوى.

١ - البداية والنهاية ٨: ١٣٠ [١٣٩/٨، حوادث سنة ٦٠ هـ].

٢ - صحيح البخاري ٣: ١٠٩ [٦٠٥/٢، ح ١٦٠١]؛ صحيح مسلم ٤: ٧١ [١٠٤/٢، ح ٢٦٦ - ٢٦٧، كتاب الحج].

٣ - سنن الترمذي [٢٦٠/٢، ح ٣٥٥٢].

٤ - صحيح البخاري ٣: ١١٤ [٦٠٥/٢، ح ١٦٠٢]؛ سنن ابن ماجه ٢: ٢٤٤ [١٠١١/٢، ح ٣٠٣٩].

٥ - المصنّف [٣٤٢/٤، ح ١٤]؛ الحلّي ٧: ١٣٦. ٦ - الحلّي ٧: ١٣٦.

قال ابن حزم في المحلى^(١):

لا يقطع التلبية إلا مع آخر حصاة من جمرة العقبة

وفي نيل الأوطار^(٢):

أن التلبية تستمر إلى رمي جمرة العقبة ؛ وإليه ذهب الجمهور .

هذا ما تسالمت عليه الأمة سلفاً وخلفاً ، لكنّ معاوية جاء متهاوناً بالسنة لمحض أن علياً عليه السلام كان ملتزماً بها ؛ فحدثه بغضاؤه إلى مصادته ولو لزمّت مضادة السنة ، ومحو زينة الحج . هذه نظرية خليفة المسلمين فيما حسبه ، وهذا مبلغه من الدين ومبوؤه من الأخذ بسنة نبيه ﷺ فلهمي على المسلمين من متغلب عليهم باسم الخلافة .

وإنّي لست أدري أكان من السائغ الجائر لعن ابن عباس وهو محرم في ذلك الموقف العظيم ، في مثل يوم عرفة اليوم المشهود ، معاوية مبغض عليّ أمير المؤمنين ومناوئه تارك سنة محمد ﷺ؟! هلاً كان خبر الأمة يعلم أن الصحابة كلّهم عدول؟! أو أن الصحابي كائناً من كان لا يجوز سبه؟! أو أن معاوية مجتهد وللمخطئ من المجتهدين أجر واحد؟! أنا لا أدري ؛ غير أن ابن عباس لا يقول بالتافه ولا يخبت إلى الخرافة .

وما أظلم معاوية الجاهل بأحكام الله! فإنه يخالف هاهنا علياً عليه السلام وهو بكلّه حاجة وافتقار إلى علم الإمام الناجع ؛ قال سعيد بن المسيّب: «إن رجلاً من أهل الشام وجد رجلاً مع امرأته فقتله وقتلها ، فأشكل على معاوية الحكم فيه ، فكتب إلى أبي موسى ليسأل له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم . فقال له عليّ عليه السلام: «هذا شيء ما وقع بأرضي عزمّت عليك لتخبرني» . فقال له أبو موسى: إن معاوية كتب إليّ به أن أسألك فيه . فقال عليّ عليه السلام: «أنا أبو الحسن إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته»^(٣)»^(٤) .

١- المحلى ٧: ١٣٥ . ٢- نيل الأوطار ٥٥: ٥ [٣٦١/٤] .

٣- «الرمّة»: الحبل الذي يقاد به الجاني .

٤- موطأ مالك ٢: ١١٧ [٧٣٧/٢ ح ١٨] ؛ تيسير الوصول ٤: ٧٣ [٨٦/٤] ؛ سنن البيهقي ٨: ٢٣١ .

لفت نظر: هذه النزعة الأموية الممقوتة بقيت موروثة عند من تولّى معاوية جيلاً بعد جيل؛ فترى القوم يرفعون اليد عن السنّة الثابتة خلافاً لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام، أو إحياء لما سنّته يد الهوى تجاه الدين الحنيف. كما كان معاوية يفعل ذلك إحياءً لما أحدثه خليفة بيته الساقط تارة، كما مرّ^(١) في الإتمام في السفر ومواضع أخرى، وخلافاً للإمام آونةً، كما في التلبية وغيرها.

قال الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقي في كتاب رحمة الأئمة في اختلاف الأئمة المطبوع بهامش الميزان للشعراني^(٢):

الدنّة في القبر التسطّيح، وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي. وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: التسنيم أولى؛ لأنّ التسطّيح صار شعاراً للشيعة. وقال الغزالي والماوردي:

إنّ تسطّيح القبور هو المشروع، لكنّ لما جعلته الرافضة شعاراً لهم، عدلنا عنه إلى التسنيم.

وقال مصنّف الهداية من الحنفية:

إنّ المشروع التختّم في اليمين، ولكنّ لما اتّخذته الرافضة جعلناه في اليسار. وأوّل من اتّخذ التختّم باليسار خلاف السنّة هو معاوية؛ كما في ربيع الأبرار للزمخشري^(٣).

وقال الحافظ العراقي في بيان كيفية إسدال طرف العمامة^(٤):

فهل المشروع إرخاؤه من الجانب الأيسر كما هو المعتاد أو الأيمن لشرفه؟!

١- في ص ٣٤١-٣٤٢ من كتابنا هذا.

٢- رحمة الأئمة في اختلاف الأئمة، المطبوع بهامش الميزان للشعراني ١: ٨٨.

٤- شرح المواهب للزرقاني ٥: ١٣.

٣- ربيع الأبرار [٢٤/٤].

لم أر ما يدلّ على تعيين الأيمن إلّا في حديث ضعيف عند الطبراني . وبتقدير ثبوته فلعله كان يرخيها من الجانب الأيمن ثمّ يردّها إلى الجانب الأيسر كما يفعله بعضهم ، إلّا أنّه صار شعاراً للإماميّة ، فينبغي تجنّبه لترك التشبه بهم . وقال ابن تيميّة في منهاجه^(١) عند بيان التشبه بالروافض :

ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم ؛ فإنّه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك ، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم ، فلا يتميّز السني من الرافضي ، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم ، أعظم من مصلحة هذا المستحب .

ثمّ جعل هذا كالتشبه بالكفار في وجوب التجنّب عن شعارهم . وقال الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسيره روح البيان^(٢) :

قال في عقد الدرر والآلئ^(٣) : المستحبّ في ذلك اليوم - يعني يوم عاشوراء - فعل الخيرات من الصدقة والصوم والذكر وغيرهما . ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبه بيزيد الملعون في بعض الأفعال ، وبالشيعه والروافض والخوارج أيضاً ؛ يعني لا يجعل ذلك اليوم يوم عيد أو يوم ماتم ؛ فمن اكتحل يوم عاشوراء فقد تشبه بيزيد الملعون وقومه ، وإن كان للاكتحال في ذلك اليوم أصل صحيح ؛ فإنّ ترك السنّة سنّة إذا كان شعاراً لأهل البدعة كالتختم باليمين ؛ فإنّه في الأصل سنّة لكنّه لما كان شعار أهل البدعة والظلمة ، صارت السنّة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا ؛ كما في شرح القهستاني .

ومن قرأ يوم عاشوراء وأواثل المحرّم مقتل الحسين ﷺ ، فقد تشبه بالروافض ،

١- منهاج السنّة ٢: ١٤٣ [١٤٧/٢] . ٢- روح البيان ٤: ١٤٢ .

٣- في فضل الشهور والأيام والليالي ، للشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الحموي الشهير بالرسّام .

خصوصاً إذا كان بالفاظ مخلة بالتعظيم لأجل تحزين السامعين .
وفي كراهية القهستاني : لو أراد ذكر مقتل الحسين ، ينبغي أن يذكر أولاً مقتل
سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض .
وقال حجة الإسلام الغزالي : يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين
وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم ؛ فإنه يهيج بغض
الصحابة والطمع فيهم ، وهم أعلام الدين ، وما وقع بينهم من المنازعات
فيحمل على محامل صحيحة ، ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد ، لا لطلب
الرئاسة والدينا كما لا يخفى .

- ٧٥ -

أحذوثة تقديم الخطبة على الصلاة

روى عبدالرزاق^(١) ، عن ابن جريج ، عن الزهري : «أول من أحدث الخطبة قبل
الصلاة في العيد معاوية . وروى ابن المنذر ، عن ابن سيرين : أول من فعل ذلك زياد
بالبصرة . قال عياض : ولا مخالفة بين هذين الأثرين وأثر مروان ؛ لأن كلاً من مروان
وزياد كان عاملاً لمعاوية ؛ فيحمل على أنه ابتداء ذلك ، وتبعه عماله» .
قال الأميني : مرّ بيان السنّة الثابتة في خطبة العيدين ، وأنها بعد الصلاة كما مضى
عليه الرسول الأمين ﷺ ، واتّبعه الشيخان ، وعثمان ردحاً من أيّامه . ثمّ حدّاه عيّنه عن
تلفيق الخطبة بصورة مرضيّة ، فكانت الناس تتفرّق عن استماعها ، إلى تقديمها على
الصلاة ليمنعهم انتظارهم لها عن الانجفال . ثمّ اقتصّ أثره عماله والمتغلبون على الأمة من
بعد من بني أبيه ، وإن افرقت العلّة فيهم عنها فيه ؛ فإنّهم لما طغوا في البلاد طفقوا يسبّون
أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام في خطبهم ، فكان الحضور لا يستبيحون ذلك فيتفرّقون ، فبدا لهم
تقديمها لإسماع الناس .

وأول من أحدث أحداث السبّ هو معاوية؛ فالشنعة عليه في المقام أعظم ممّن بدّل السنّة قبله؛ فإنّه وإن تابع البادي على البدعة غير أنّه قرنّها بأخرى شوهاء شنعاء .
فأمعن النظرة في تطبيق هذه البدعة بصورتها الأخيرة على ما صحّ عن رسول الله ﷺ من قوله: «من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله»^(١). وقوله ﷺ: «لا تسبّوا عليّاً؛ فإنّه ممسوس في ذات الله»^(٢).

ثمّ ارجع البصر كرّتين إلى أنّه هل يُباح لأيّ مسلم أن يجتهد بجواز سبّ مولانا أمير المؤمنين، تجاه نصّ الكتاب العزيز في تطهيره، وولايته، ومودّته، وكونه نفس النبيّ الأقدس ﷺ، تجاه هذا النصّ الجمليّ الخاص له ﷺ والنصوص العامّة الواردة في سباب المؤمن مثل قوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق»^(٣)؟! وهل يشكّ مسلم أنّ أمير المؤمنين أوّل المسلمين، وأولاهم بهم من أنفسهم، وهو أميرهم وسيّدهم؟

- ٧٦ -

حدّ من حدود الله متروك

ذكر الماوردي وآخرون: «أنّ معاوية أتى بلصوص فقطعهم، حتّى بقي واحد من بينهم؛ فقال:

يميني أمير المؤمنين أعيدها	بغفوك أن تلقى نكالا يُبينها ^(٤)
يدي كانت الحسناء لو تمّ سترها	ولا تعدّ الحسناء عينا يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة	إذا ما شمالي فارقتها يمينا

١ - أخرجه الحفاظ بإسناد رجاله كلّهم ثقات، صحّحه الحاكم والذهبي [في المستدرک على الصحيحين ٣/١٣٠،

ح ٤٦١٥ و٤٦١٦؛ وكذا في تلخيصه]. ٢ - حلية الأولياء ١: ٦٨.

٣ - أخرجه البخاري [في ١/٢٧، ح ٤٨]؛ ومسلم [١/١١٤، ح ١١٦، كتاب الإيمان]؛ والترمذي [في صحيحه

٣١١/٤، ح ١٩٨٣]؛ وابن ماجّة [في السنن ٢/١٢٩٩، ح ٣٩٣٩]؛ والنسائي [في سننه ٢/٣١٣، ح ٣٥٦٧ -

٣٥٧٨]؛ والحاكم والدارقطني وغيرهم في الصحاح والمسانيد.

٤ - «يُبينها»: من أّبان الشيء إذا قطعه].

فقال معاوية: كيف أصنع بك؟! قد قطعنا أصحابك. فقالت أم السارق: يا أمير المؤمنين! اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها؛ فخلّ سبيله؛ فكان أول حد ترك في الإسلام»^(١).

قال الأميني: أفهل عرف معاوية من هذا اللص خصوصية استثنته من حكم الكتاب النهائي العام: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا»^(٢)؟!!

أم أن الرأفة بأمه تركت حداً من حدود الله لم يُقم، وفي الذكر الحكيم: «وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ»^(٣). «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأَرْسِلْهُ مِمَّا آتَى الْفِتْرَةَ»^(٤). «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا»^(٥).

أم أنه كان لمعاوية مؤمن من العقاب غداً وإن تعمّد اليوم إلغاء حد من حدود الله؟! وهل نية التوبة عن المعصية تبيح اجتراح تلك السيئة؟! إن هذا شيء عجاب. ومن ذا الذي طمّنه بأنه سيوفق للتوبة عنها ولا يحول بينه وبينها ذنوب تسلبه التوفيق، أو عظام تسلبه الإيمان، أو استخفاف بالشرعية ينتهي به إلى نار الخلود؟! ويظهر منه: أن التعمّد لا قتراف الذنوب بأمل التوبة كان مطّرداً عند معاوية. وهذا ممّا يخلّ بأنظمة الشريعة، ونواميس الدين، وطقوس الإسلام؛ فإن النفوس الشريرة إنما تترك أكثر المعاصي خوفاً من العقوبة الفعلية؛ فإن زحزحت عنها بأمثال هذه التافهات لم يبق محذور يُفسد النفوس، ويقلق السلام، ويعكّر صفو الإسلام إلا وقد عمل به، وهذا نقض لغاية التشريع، وإقامة الحدود الكابحة لجراح الجراءة على الله ورسوله.

١- الأحكام السلطانية: ٢١٩ [٢/ ٢٢٨]؛ تاريخ ابن كثير ٨: ١٣٦ [٨/ ١٤٥]، حوادث سنة ٦٠ هـ؛ محاضرة

٢- المائة: ٣٨.

السكوتاري: ١٦٤.

٤- البقرة: ٢٢٩.

٣- الطلاق: ١.

٥- النساء: ١٤.

وَهَبْ أَنْ التَّوْبَةَ مَكْفَرَةً عَنِ الْعَصِيَانِ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَكِنْ مِنْ ذَا الَّذِي أَنْبَأَ إِنَّهَا مِنْ تِلْكَ التَّوْبَةِ الْمَقْبُولَةِ؟! «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ آلَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمْتُونُ وَهُمْ كَفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»^(١).

- ٧٧ -

معاوية ولبسه ما لا يجوز

أخرج أبو داود من طريق خالد قال: وفد المقدام بن معدي كرب، وعمرو بن الأسود، ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدام: أَعْلِمْتَ أَنَّ الْحَسَنَ ابْنَ عَلِيٍّ تَوَفَّى؟! فَرَجَعَ^(٢) الْمَقْدَامُ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ^(٣): أَتَرَاهَا مُصِيبَةٌ؟! فَقَالَ: وَلَمْ لَا أَرَاهَا مُصِيبَةً، وَقَدْ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ، فَقَالَ: «هَذَا مِنِّي وَحَسِينٌ مِنْ عَلِيٍّ»؟! فَقَالَ الْأُسْدِيُّ: جَمْرَةٌ أَطْفَأَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَقَالَ الْمَقْدَامُ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَبْرَحُ الْيَوْمَ حَتَّى أَغِيظَكَ وَأَسْمَعَكَ مَا تَكْرَهُ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاوِيَةُ! إِنْ أَنَا صَدَقْتُ فَصَدَّقْنِي، وَإِنْ أَنَا كَذَبْتُ فَكَذَّبْنِي. قَالَ: أَفْعَلْ. قَالَ فَأَنْشَدَكَ بِاللَّهِ: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ لِبْسِ الْحَرِيرِ؟! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنْشَدَكَ بِاللَّهِ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ لِبْسِ الذَّهَبِ؟! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنْشَدَكَ بِاللَّهِ: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ لِبْسِ جُلُودِ السَّبَاعِ وَالرَّكُوبِ عَلَيْهَا؟! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا كُلَّهُ فِي بَيْتِكَ يَا مُعَاوِيَةُ! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْكَ يَا مُقْدَامُ!^(٤).

١- النساء: ١٧، ١٨.

٢- [أَيُّ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ].

٣- في مسند أحمد ٤: ١٣٠ [١١٨/٥، ح ١٦٧٣٨]: «فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَتَرَاهَا مُصِيبَةٌ؟»؛ أَنْظَرِ إِلَى أَمَانَةِ أَبِي دَاوُدَ!

٤- سنن أبي داود ٢: ١٨٦ [٦٨/٤، ح ٤١٣١].

قال الأمين: هل يُرجى خير ممن اعترف بكل ما قيل له من المحظورات المتسالم عليها التي ارتكبها فهلاً أقلع عنها لما ذُكر بحكمها الذي نسيه؟! أو لم يعباً به، لكن الرجل طاغوت يعمل عمل الفراعنة ولم يكثر لمغبته، ولم يُبالِ بمخالفة السنّة الثابتة؟! فزهِ به من خليفة تولى أمر الأمة بغير مرضاتها، وتغلب على إمرتها من دون أيّ حنكة.

قد جاء في كتاب لأمر المؤمنين ﷺ إلى عمرو بن العاص قوله: «فإنك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهرٍ غيّه، مهتوك ستره...».

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج^(١):

فأما قوله ﷺ في معاوية: «ظاهرٌ غيّه»، فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه وكلّ باغٍ غاوٍ. و«أما مهتوك ستره» فإنه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلساء وسمّار، ومعاوية لم يتوقّر ولم يلزم قانون الرئاسة إلّا منذ خرج على أمير المؤمنين، واحتاج إلى الناموس والسكينة، ولّا فقد كان في أيام عثمان شديد التهنّك، موسوماً بكلّ قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه: إلّا أنّه كان يلبس الحرير والديباج، ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلّاة بهما جلال الديباج والوشي، وكان حينئذ شاباً، وعنده نزع الصبا، وأثر الشبيبة، وسكر السلطان والإمرة. ونقل الناس عنه في كتب السيرة أنّه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام. وأما بعد وفاة أمير المؤمنين واستقرار الأمر له فقد اختلف فيه؛ فقليل: إنّه شرب الخمر في ستر. وقيل: إنّه لم يشرب. ولا خلاف في أنّه سمع الغناء وطرب عليه، وأعطى ووصل إليه أيضاً.

اقرأ وتبصّر!

- ٧٨ -

مأساة الاستلحاق سنة أربع وأربعين

كان من ضروريات الإسلام إلى هذه السنة (٤٤)، إلى هذا اليوم الأشنع الذي تقدّم فيه ابن آكلة الأكباد ببدعته الخرقاء على ما قاله رسول الله ﷺ بملء فيه المبارك، واتّخذته الأمة أصلاً مسلماً في باب الأنساب: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» جاء هذا الحديث من طريق أبي هريرة في الصحاح الستة^(١).

ومن طريق عائشة أخرجه الحفاظ المذكورون إلا الترمذي كما في نصب الراية للزيلعي^(٢).

وصحّ عند الأمة قول نبيها ﷺ: «من ادّعى أباً في الإسلام غير أبيه فالجنة عليه حرام»^(٣).

وقوله ﷺ من خطبة له بمضى: «لعن الله من ادّعى إلى غير أبيه، أو تولّى غير مواليه، الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وقوله ﷺ: «من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام»^(٤). لكن سياسة معاوية المتجهمّة تجاه الهتافات النبوية، أصمته عن سماعها، وجعلت للعاهر كلّ النصيب، فوهبت زياداً كلّهُ لأبي سفيان العاهر، بعد ما بلغ أشدّه؛ لما وجد فيه من أهبة الوقعة في أضداده، وهم أولياء عليّ أمير المؤمنين ﷺ.

١- صحيح البخاري ٢: ١٩٩ [٢٤٩٩/٦، ح ٦٤٣٢]؛ صحيح مسلم ١: ٤٧١ [٢٥٦/٣، ح ٣٧، كتاب الرضاع]؛

سنن الترمذي ١: ١٥٠ [٢: ٣٤، ح ٤٦٣/٣]؛ السنن الكبرى للنسائي ٢: ١١٠ [٣٧٨/٣، ح ٥٦٧٦ و

٥٦٧٧]؛ سنن أبي داود ١: ٣١٠ [٢٨٢/٢، ح ٢٢٧٣]؛ سنن البيهقي ٧: ٤٠٢ و ٤١٢.

٢- نصب الراية ٣: ٢٣٦.

٣- مسند أحمد ٥: ٣٨ و ٤٦ [١٧/٦، ح ١٩٨٨٣؛ ص ٢٩، ح ١٩٩٥٣]؛ سنن البيهقي ٧: ٤٠٣.

٤- رواه البخاري [٢٤٨٥/٦، ح ٦٣٨٥]؛ ومسلم [١١٤/١، ح ١١٥، كتاب الايمان].

وُلد زياد على فراش عُبَيْد مولى ثقيف، وربّي في شرّ حجر، ونشأ في أخبت نشء؛ فكان يقال له قبل الاستلحاق: زياد بن عبيد الثقيفي، وبعده زياد بن أبي سفيان. ومعاوية نفسه كتب إليه في أيّام الحسن السبط - سلام الله عليه -: «من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عُبَيْد. أمّا بعد: فإنّك عبد قد كفرت النعمة، واستدعيت النقمة، ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر، وإنّ الشجرة لتضرب بعرقها، وتتفرّع من أصلها، إنّك لا أمّ لك، بل لا أب لك.

[و] يقول فيه: أمس عبد واليوم أمير. خطّة ما ارتقاها مثلك يا بن سميّة. وإذا أتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة وأسرع الإجابة؛ فإنّك إن فعلت فدمك حققت، ونفسك تداركت، وإلاّ اختطفتك بأضعف ريش، ونلتك بأهون سعي. وأقسم قسماً مبروراً أن لا أوتى بك إلاّ في زمارة تمشي حافياً من أرض فارس إلى الشام، حتّى أقيمك في السوق وأبيعك عبداً، وأردّك إلى حيث كنت فيه وخرجت منه. والسلام»^(١). ثمّ لما انقضت الدولة الأمويّة صار يُقال له: زياد بن أبيه، وزياد بن أمّه، وزياد ابن سميّة. أمّه سميّة كانت لدهقان من دهاقين الفرس بزند رود بكسرك، فرض الدهقان فدعا الحارث بن كلدة الطبيب الثقيفي فعالجه فبرأ، فوهبه سميّة وزوّجها الحارث غلاماً له روميّاً يقال له: عبيد، فولدت زياداً على فراشه، فلما بلغ أشده اشترى أباه عُبَيْداً بألف درهم فأعتقه. كانت أمّه من البغايا المشهورة بالطائف ذات راية.

وفي العقد الفريد^(٢):

أمر عمر زياداً أن يخطب فأحسن في خطبته وجوّد، وعند أصل المنبر أبو سفيان بن حرب، وعليّ بن أبي طالب. فقال أبو سفيان لعليّ: أيعجبك

١ - شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦٨ [١٦/١٨٢، كتاب ٤٤].

٢ - العقد الفريد ٣: ٣ [٦/٥].

ما سمعت من هذا الفتى؟! قال : نعم . قال : أما إنه ابن عمك! قال : وكيف ذلك؟! قال : أنا قذفته في رحم أمّه سمّية . قال : فما بمنعك أن تدّعيه؟! قال : أخشى هذا القاعد على المنبر - يعني عمر - أن يفسد عليّ إهابي! فبهذا الخبر استلحق معاوية زياداً وشهد له الشهود بذلك . وهذا خلاف حكم رسول الله ﷺ في قوله : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» .

قال الأميني: لو كان معاوية استلحق زياداً بهذا الخبر لكان استلحاقه عمرو بن العاص أولى؛ إذ ادّعاه أبو سفيان يوم ولادته قائلاً: أما إنّي لا أشكّ أنّي وضعت في رحم أمّه .

واختصم معه العاص، غير أنّ النابغة أبت إلّا العاص؛ لما زعمت من الشحّ في أبي سفيان؛ وفي ذلك قال حسان بن ثابت:

أبوك أبو سفيان لا شكّ قد بدت لنا فيك منه بيّنات الدلائل
ففاخر به إمّا فخرت ولا تكن تفاخر بالعاص الهجين بن وائل^(١)

نعم، لكلّ بغيّ كان يتصل بسميّة أمّ زياد، والنابغة أمّ عمرو، وهند أمّ معاوية، وحمامة أمّ أبي سفيان، والزرقاء أمّ مروان، وأضرابهنّ من مشهورات البغاء، ويأتيهنّ أن يختصم في ولائدهنّ .
وفي العقد الفريد^(٢):

يقال : إنّ أبا سفيان خرج يوماً وهو ثمل إلى تلك الرايات ، فقال لصاحبة الراية : هل عندك من بغيّ؟! فقالت : ما عندي إلّا سمّية . قال : هاتها على نثن إبطيها . فوقع بها فولدت له زياداً على فراش عبيد .

١ - أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٠١ [٦/ ٢٨٥، خطبة ٨٣].

٢ - العقد الفريد ٣: ٣ [٥/ ٥].

فوجد زياد نفسه بعد حسبه الواطئ ونسبه الوضيع، بعد أن كان لا يُعزى إلى أبٍ معلوم عمراً طويلاً يقرب من خمسين عاماً^(١)، فيقال له: زياد بن أبيه، أخا^(٢) ملك الوقت، وابن من يُزعم أنه من شرفاء بيته، وقد تسنى له الحصول على مكانة رابية؛ فأعرق نزعاً في جلب مرضاة معاوية، المحابي له بتلك المرتبة التي يمثلها حابت هند ابنها المردّد بين خمسة رجال أو ستّة من بغايا الجاهليّة، لكنّ آكلة الأكباد ألحقت معاوية بأبي سفيان لدلالة السحنة والشبه، فطفق زياد يلغ في دماء الشيعة، ولمعاوية من ورائه تصدية ومكاء.

وإنّ غلواء الرجل المحابي أعمته عن استقباح نسبة الزنا لأبيه، يوم استحسن أن يكون له أخ مثل زياد، شديد في بأسه، ياتمر أوامرهم، وينتهي إلى ما يودّه من بوائق وموبقات، ولم يكثر لحكم الشريعة بحرمة مثل ذلك الإلحاق، واستعظامها إيّاه، ولا يصيخ إلى قول النبيّ الصادق ﷺ. قال يونس بن أبي عبيد الثقفي لمعاوية: يا معاوية! قضى رسول الله ﷺ أنّ «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فعكست ذلك وخالفت سنة رسول الله ﷺ. فقال: أعد. فأعاد يونس مقاله هذا. فقال معاوية: يا يونس! والله لتنتهين أو لأطيرنّ بك طيراً بطيئاً وقوعها^(٣).

انظر إلى إيمان الرجل بنبيّه ﷺ، وإخباته إلى حديثه بعد استعادته، وعنايته بقبوله ورعايته حرمة. والحكم في هذه الشنيعة كلّ ذي مسكة من علماء الأمة وذوي حنكتها ومؤلفيها وكتّابها.

قال سعيد بن المسيّب: «أول^(٤) قضية ردّت من قضاء رسول الله ﷺ علانية، قضاء

١ - قيل: ولد عام الفتح سنة ثمان، وقيل: عام الهجرة، وقيل: قبل الهجرة، وقيل: يوم بدر.

٢ - [مفعول به ثانٍ لقوله: «وجد» أول الفقرة]. ٣ - الإتحاف للشبراوي: ٢٢ [ص ٦٧].

٤ - ليست بأول قارورة كسرت في الإسلام، وإنما ردّة من يوم السقيفة وهلمّ جرّاً إلى يوم الاستلحاق، من قضايا رسول الله، ما يربو على العدّ.

فلان؛ يعني: معاوية في زياد».

وقال ابن يحيى: «أول حكم ردّ من أحكام رسول الله ﷺ، الحكم في زياد».

وقال ابن بعجة: «أول داء دخل على العرب قتل الحسن^(١) سبط النبي ﷺ وادّعاء

زياد»^(٢).

وقال الحسن [البصري]: «أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة: انتزأؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزّها^(٣) أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميّاً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. وادّعاؤه زياداً؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر». وقتله حُجراً؛ ويلاً له من حُجر وأصحاب حُجر»؛ قالها مرّتين^(٤).

وقال الإمام السبط الحسن الزكيّ عليه السلام لزياد في حضور من معاوية، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم: «وما أنت يا زياد وقريشاً؟! لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً، ولا قديماً ثابتاً، ولا منبتاً كريماً، بل كانت أمك بغياً تداولها رجال قريش وفجار العرب؛ فلما ولدت لم تعرف لك العرب والداً، فادّعاك هذا - يعني معاوية - بعد ممات أبيه. ما لك افتخار. تكفيك سمّة ويكفينا رسول الله ﷺ، وأبي عليّ ابن أبي طالب سيد المؤمنين الذي لم يردّ على عقيبه، وعمّي حمزة سيّد الشهداء، وجعفر

١ - [في تاريخ مدينة دمشق ومختصره: «قتل الحسين»].

٢ - تاريخ ابن عساكر ٥: ٤١٢ [١٩/١٧٩، رقم ٢٣٠٩؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ٩/٧٨]؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي:

١٣١ [ص ١٨٢]؛ أوائل السيوطي: ٥١. ٣ - [في تهذيب تاريخ مدينة دمشق: «ابتزّوها»].

٤ - [تهذيب] تاريخ ابن عساكر ٢: ٣٨١؛ تاريخ الطبري ٦: ١٥٧ [٥/٢٧٩]؛ الكامل لابن الأثير ٤: ٢٠٩ [٢/٤٩٩،

حوادث سنة ٥٩ هـ]؛ تاريخ ابن كثير ٨: ١٣٠ [٨/١٣٩، حوادث سنة ٦٠ هـ].

الطيّار، وأنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنة»^(١).

وفد زياد على معاوية فأتاه بهدايا، وأموال عظام، وسفط مملوء جوهرًا لم يُر مثله، فسرّ معاوية بذلك سروراً شديداً، فلمّا رأى زياد ذلك، صعد المنبر فقال: «أنا والله يا أمير المؤمنين أقتُّ لك معر العراق، وجيئتُ لك ماها، وألفظتُ إليك بحرّها». فقام يزيد بن معاوية فقال: «إن تفعل ذلك يا زياد فنحن نقلنك من ولاء ثقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن زياد بن عُبَيْد إلى حرب بن أُمَيّة». فقال معاوية: «اجلس فذاك أبي وأمّي»^(٢).

وقال السكتواري في محاضرة الأوائل^(٣):

أوّل قضية ردّت من فضايا رسول الله ﷺ علانية، دعوة معاوية زياداً، وكان أبو سفيان تبرّأ منه وادّعى أنّه ليس من أولاده وقضى بقطع نسبه؛ فلما تأمّر معاوية قريبه واستأمره، ففعل ما فعل زياد بن أبيه - يعني ابن زينة - من الطغيان والإساءة في حقّ أهل بيت النبوة.

ولا أحسب أن أحداً من رجالات الدين يشدّ عمّا قاله الجاحظ في رسالته^(٤) النابذة في بني أُمَيّة:

فعندها استوى معاوية على الملك واستبدّ على بقيّة الشورى، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمّوه عام الجماعة، وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبريّة وغلبة، والعام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة منصّباً قيصريّاً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق. ثمّ

١ - المحاسن والمساوي للبيهقي ١: ٥٨ [ص ٧٩]. ٢ - المجتني لابن دريد: ٣٧ [ص ٢٤].

٣ - محاضرة الأوائل: ١٣٦. [وانظر الأوائل لأبي هلال العسكري/ ١٦٧].

٤ - رسائل الجاحظ - الرسائل الكلاميّة - : ٢٩٣ [ص ٢٤١].

ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما ربّنا، حتى ردّ قضية رسول الله ﷺ ردّاً مكشوفاً، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر، مع إجماع الأمة على أنّ سميّة لم تكن لأبي سفيان فراشاً، وأنّه إنّما كان بها عاهراً؛ فخرج بذلك من حكم الفجّار إلى حكم الكفار.

ولو تحرّينا موبقات معاوية المكفّرة له وجدنا هذه في أصاغرها؛ فجّلّ أعماله - إن لم يكن كلّها - على الضدّ من الكتاب والسنة الثابتة؛ فهي غير محصورة في مخالفته لقوله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

- ٧٩ -

جنايات معاوية في صفحات تاريخه السوداء

إنّما تجزئ منها على شيء يسير يكون كأنموذج ممّا له من السيئات التي ينبو عنها العدد، ويتقاعس عنها الحساب، ويستدعي التبسّط فيها مجلّدات ضخمة؛ فمنها: دأبه على لعن مولانا عليّ أمير المؤمنين - صلوات الله عليه -، وكان يقنت به في صلواته^(١). واتّخذ هذه سنة جارية في خطب الجمعة والأعياد. وبدّل سنة محمّد ﷺ في خطبة العيدين المتأخّرة عن صلاتهما وقدمها عليها، لإسماع الناس لعن الإمام الطاهر كما مرّ تفصيله. وكان يأمر عمّاله بتلك الأحدث الموبقة، ويحثّ الناس عليها، ويوبّخ المتوقّفين عنها، ولا يصيخ إلى قول أيّ ناصح وازع.

١ - أخرج مسلم، والترمذي، عن طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: «أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟! فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأنّ تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم؛ فذكر

١ - تاريخ الطبري ٦: ٤٠ [٧١/٥، حوادث سنة ٣٧ هـ].

حديث المنزلة، والراية، والمباهلة»^(١).

وفي لفظ الطبري من طريق ابن أبي نجیح، قال: «لما حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ إنصرف معاوية إلى دار الندوة فأجلسه معه على سرير، ووقع معاوية في عليّ، وشرع في سبه، فزحف سعد. ثمّ قال: أجلسني معك على سريرك ثمّ شرعت في سبّ عليّ، والله لأن يكون لي خصلة واحدة من خصال كانت لعليّ أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، إلى آخر الحديث».

وفيه من قول سعد: «وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت. ونهض».

قال المسعودي بعد رواية حديث الطبري: «ووجدت في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي في الأخبار، عن ابن عائشة وغيره: أن سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم شرط له معاوية وقال له: اقعد حتّى تسمع جواب ما قلت، ما كنتُ عندي قطّ ألام منك الآن، فهلاًّ نصرته؟! ولم قعدت عن بيعته؟! فإنّي لو سمعتُ من النبي ﷺ مثل الذي سمعت فيه لكنتُ خادماً لعليّ ما عشت. فقال سعد: والله إنّي لأحقّ بموضعك منك. فقال معاوية: يأبى عليك [ذلك] بنو عذرة. وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة»^(٢).

قال الأميني: لقد أفك معاوية في ادّعائه عدم إحاطة علمه بتلكم الأحاديث المطردة الشائعة؛ فإنّها لم تكن من الأسرار التي لا يطلع عليها إلاّ البطانة والخاصّة، وإنّما هتف ﷺ بهنّ على رؤوس الأشهاد.

أمّا حديث الراية: فكان في واقعة خيبر وله موقعيته الكبرى؛ لقوله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله...».

١- راجع: صحيح مسلم ٧: ١٢٠ [٢٣/٥] ح ٣٢، كتاب فضائل الصحابة؛ صحيح الترمذي ١٣: ١٧١ [٥/٥٩٦]،

ح ٣٧٢٤؛ مستدرک الحاكم ٣: ١٠٩ [١١٧/٢] ح ٤٥٧٥.

٢- مروج الذهب ١: ٦١ [٢٤/٢] وما بين المعقوفين منه [وَحَكَى شَطْرًا مِنْهُ سَبَطَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَذَكُّرِهِ: ١٢ [ص ١٨].

فاستطالت أعناقُ كلِّ فريق ليروا أيَّ ماجدٍ يُعطاهَا

فلم تنزل النفوس مشرّبة متطلّعة إلى من عناه ﷺ حتّى جيء بأمر المؤمنين ﷺ ومُنح الفتح من ساحة النبوة العظمى؛ فانطبق القول، وصدقت الأكرومة، وعلم الغزاة كلّهم أنّه ﷺ ما كان يريد غيره.

هب أنّ معاوية يوم واقعة خيبر كان عداؤه في المشركين، وموقفه مع من يُحادّ الله ورسوله، لكن هلّا بلغه ذلك بعد ما حدّاه الفرق إلى الاستسلام؟! والحديث مطّرد بين الغزاة وسائر المسلمين، وهم بين مشاهد له وعالم به.

وأما حديث المنزلة: فقد نطق به رسولُ الله ﷺ في موارد عديدة؛ منها غزاة تبوك^(١). وقد حضرها وجوه الصحابة وأعيانهم، وكلّهم علموا بهاتيك الفضيلة الراقية؛ فالاعتذار عن معاوية بأنّه لم يحضرها لإشراكه يومئذٍ مدفوع بما قلناه في واقعة خيبر.

ومن جملة موارد يوم غدير خمّ الذي حضره معاوية وسمعه هو ومائة ألف أو يزيدون، لكنّه لم يعبه بدليل أنّه ما آمن به، فحارب عليّاً ﷺ بعده، وعاداه، وأمر بلعنه محادّة منه لله ولرسوله. وعقيرة رسول الله المرفوعة بقوله ﷺ في عليّ: «اللّهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» بعدُ ترنّ في أذن الدنيا. ومن موارد: يوم المؤاخاة كما أخرجه أحمد^(٢) بإسناده عن محدوج بن زيد الباهلي؛ قال: «أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فبكى عليّ ﷺ فقال رسول الله: ما يبكيك. فقال: لم تواخ بيني وبين أحد. فقال: إنّما ادّخرتُك لنفسي ثمّ قال: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى»^(٣).

١- [أنظر تلخيص الغدير/ ٢٩٤-٢٩٨]. ٢- مناقب عليّ [ص ١٩٧، ح ٢٥٧].

٣- [راجع تلخيص الغدير/ ٢٦١-٢٦٥].

ومنها: يوم كان رسول الله ﷺ في دار أم سلمة، إذ أقبل عليّ ﷺ يريد الدخول على النبي ﷺ، فقال: يا أم سلمة هل تعرفين هذا؟! قالت: نعم. فقال: «هذا عليّ سيط لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

على أن حديث المنزلة: قد جاء من طريق معاوية نفسه، رواه في حياة عليّ ﷺ فيما أخرجه أحمد في مناقبه من طريق أبي حازم، كما في الرياض النضرة^(١).

وأما نبال المباهلة: فصحيح أن معاوية لم يدركه؛ لأن الكفر كان يمنعه عند ذلك عن سماعه، غير أن القرآن الكريم قد أعرب عن ذلك النبأ العظيم إن لم يكن ابن حرب في معزل عن الكتاب والسنة. على أن قصتها من القضايا العالمية وليس من المستطاع لأي أحد أن يدعي الجهل بها.

وهنا غمashi ابن صخر على عدم اطلاعه على تلكم الفضائل إلى حد إخبار سعد إياه، لكنه بماذا يعتذر وهو يقرأ قوله تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأُضْلِحُوا بَيْنَهُمَا»^(٢) الآية؟!

وبماذا يعتذر بعد ما رواه قبل يوم صفين من قوله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»؟!

وبماذا يعتذر بعد علمه بتلكم الأحاديث بأخبار صحابي معدود عند القوم في العشرة المبشرة، وبعد إقامة الشهود عليه؟!

ومن هنا تعلم: أنه أفك مرة أخرى بقوله: «أما إني لو سمعت من رسول الله ما سمعت في عليّ لكنت له خادماً ما عشت»؛ لأنه عاش ولم يرتدع عن غيّه، وحارب أمير المؤمنين ﷺ حياً وميتاً، ودأب على لعنه والأمر به حتى أجهز عليه عمله، وكبت به بطنته.

نعم، إنه استمرّ على بغيه، وقابل سعداً في حديثه بالضرطة، وهل هي هزة منه بمصدر تلکم الأنبياء القدسيّة؟! أو بخضوع سعد لها؟! أو لمحض أن سعداً لم يوافق على ظلمه؟!

أنا لا أدري. غير أن كفر معاوية الدفين لا يأبى شيئاً من ذلك، وهلاًّ منعه الخجل عن مثل هذا المجون وهو مَلِكٌ؟! وبطبع الحال أن مجلسه يحوي الأعاظم والأعيان. من أين تخجل أوجه أمويّة سكبت بلذات الفجور حياءها

٢- لما مات الحسن بن عليّ عليه السلام حجّ معاوية، فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول الله ﷺ. فقليل له: إن هاهنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيّه. فأرسل إليه وذكر له ذلك؛ فقال: إن فعلت لأخرجنّ من المسجد، ثم لا أعود إليه. فأمسك معاوية عن لعنه حتّى مات سعد؛ فلما مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا. فكتبت أمّ سملة زوج النبي ﷺ إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابرکم، وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومن أحبّه، وأنا أشهد أن الله أحبّه ورسوله؛ فلم يلتفت إلى كلامها^(١).

٣- قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: إنّ عليّاً قد قطعك وأنا وصلتك، ولا يرضيني منك إلّا أن تلعنه على المنبر. قال: أفعل. فصعد المنبر، ثمّ قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه ﷺ: أيها الناس إنّ معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب، فالعنوه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ثمّ نزل فقال له معاوية: إنك لم تبين من لعنت منها، بيّنه. فقال: والله لازدت حرفاً ولا نقصت حرفاً، والكلام إلى نيّة المتكلّم^(٢).

١- العقد الفريد ٢: ٣٠١ [١٥٩/٤].

٢- العقد الفريد ٢: ١٤٤ [٢١٥/٣]، المستطرف ١: ٥٤ [٤٣/١].

٤- كان المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة، كان يقوم على المنبر ويخطب وينال من عليّ ﷺ ويلعنه ويلعن شيعته. وقد صحَّ أن المغيرة لعنه على منبر الكوفة مرّات لا تحصى، وكان يقول: إن عليّاً لم ينكحه رسول الله ﷺ ابنته حبّاً ولكنه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه^(١).

٥- أخرج ابن سعد، عن عمير بن إسحاق، قال: كان مروان أميراً علينا - يعني بالمدينة - فكان يسبّ عليّاً كلّ جمعة على المنبر، وحسن بن عليّ يسمع فلا يردّ شيئاً. ثم أرسل إليه رجلاً يقول له: بعليّ وبعليّ وبك وبك وبك، وما وجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها: من أبوك؟! فتقول: أمي الفرس. فقال له الحسن: «إرجع إليه فقل له: إني والله لا أحو عنك شيئاً ممّا قلت بأن أسبّك، ولكن موعدني وموعدك الله، فإن كنت صادقاً جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله أشدّ نقمة»^(٢).

وكان الوزع بن الوزع يقول لما قيل له: ما لكم تسبّون عليّاً على المنابر: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك^(٣).

قال الأمين: لم يزل معاوية وعمّاله دائبين على ذلك حتى تمرّن عليه الصغير وهرم الشيخ الكبير. ولعلّ في أوليات الأمر كان يوجد هناك من يمتنع عن القيام بتلك السبّة المخزية، وكان يسع لبعض النفوس الشريفة أن يتخلّف عنها، غير أنّ شدة معاوية الحليم في إجراء أحداثه، وسطوة عمّاله الخصماء الألداء على أهل بيت الوحي، وتهالكهم دون تدعيم تلك الإمرة الغاشمة، وتنفيذ تلك البدعة الملعونة، حكمت في البلاء حتى عمّت البلوى، وخضعت إليها الرقاب، وغلّلتها أيدي الجور تحت نير الذلّ والهوان؛ فكانت العادة مستمرة منذ شهادة أمير المؤمنين ﷺ إلى نهي عمر بن عبدالعزيز طيلة أربعين

١- مسند أحمد: ١/ ١٨٨ [٣٠٧/١، ح ١٦٣٤]، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٣٦٠ [٦٩/٤، خطبة ٥٦].

٣- الصواعق المحرقة: ١٣ [ص ٥٥].

٢- تاريخ الخلفاء: ١٢٧ [ص ١٧٧].

سنة على صهوات المنابر وفي الحواضر الإسلامية كلها من الشام إلى الري، إلى الكوفة، إلى البصرة، إلى عاصمة الإسلام المدينة المشرفة، إلى حرم أمن الله مكة المعظمة إلى شرق العالم الإسلامي وغربه، وعند مجتمعات المسلمين جمعاء.

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان^(١):

لُعْن عليّ بن أبي طالب ﷺ على منابر الشرق والغرب، ولم يُلعن على منبر سجستان إلا مرة، وامتنعوا على بني أمية حتى زادوا في عهدهم: وأن لا يُلعن على منبرهم أحد. وأي شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله ﷺ على منبرهم وهو يُلعن على منابر الحرمين: مكة والمدينة.

وقد صارت سنة جارية، ودُعمت في أيام الأمويين سبعون ألف منبر يُلعن فيها أمير المؤمنين ﷺ. واتخذوا ذلك كعقيدة راسخة، أو فريضة ثابتة، أو سنة متبعة يُرغب فيها بكل شوق وتوق، حتى أن عمر بن عبدالعزيز لما منع عنها، لحكمة عملية أو لسياسة وقتية، حسبه كأنه جاء بطامة كبرى، أو اقترف إثماً عظيماً.

والذي يظهر من كلام المسعودي في مروجه^(٢)، واليعقوبي في تاريخه^(٣)، وابن الأثير في كامله^(٤)، والسيوطي في تاريخ الخلفاء^(٥) وغيرهم: أن عمر بن عبدالعزيز إنما نهى عن لعنه ﷺ في الخطبة على المنبر فحسب، وكتب بذلك إلى عمّاله وجعل مكانه: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...﴾^(٦). وقيل: بل جعل مكان ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾^(٧). وقيل: بل جعلها جميعاً، فاستعمل الناس في الخطبة.

١- معجم البلدان ٥: ٣٨ [١٩١/٣]. ٢- مروج الذهب ٢: ١٦٧ [٢٠٥/٣].

٣- تاريخ اليعقوبي ٣: ٤٨ [٣٠٥/٢].

٤- الكامل في التاريخ ٧: ١٧ [٢٥٦/٣، حوادث سنة ٩٩ هـ].

٥- تاريخ الخلفاء: ١٦١ [ص ٢٢٦]. ٦- الحشر: ١٠.

٧- النحل: ٩٠.

وأما نهيه عن مطلق الواقعة في أمير المؤمنين والنيل منه ﷺ، وأخذه كل متحامل عليه بالسب والشتم، وإجراء العقوبة على مرتكبي تلكم الجريمة، فلسنا عالمين بشيء من ذلك. غير أننا نجد في صفحات التاريخ أن عمر بن عبدالعزيز كان يجلد من سب عثمان ومعاوية، كما ذكره ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول^(١)، ولم نقف على جلده أحداً لسبه أمير المؤمنين ﷺ.

دع عنك موقف أمير المؤمنين ﷺ من خلافة الله الكبرى، وسوابقه في تثبيت الإسلام والذب عنه، وبثه العدل والإنصاف، وتدعيمه فرائض الدين وسننه، ودعوته إلى الله وحده وإلى نبيه ﷺ وإلى دينه الحنيف، وتهالكه في ذلك كله، حتى لقي ربه مكدوداً في ذات الله.

دع عنك فضائله، وفواضله، والآي النازلة فيه، والنصوص النبوية الماثورة في مناقبه، لكنه هل هو بدع من آحاد المسلمين الذين يحرم لعنهم وسبابهم وعليه تعاضدت الأحاديث واطردت الفتاوى؟!

وحسبك قول رسول الله ﷺ «سباب المسلم فسوق»^(٢).

على أن الإمام أمير المؤمنين ﷺ مع غض الطرف عن طهارة مولده، وقداسته محتده، وشرف أرومته، وفضائله النفسية والكسبية، وملكاته الكريمة، هو من العشرة الذين بُشِّروا بالجنة - عند القوم - ولا أقل من أنه أحد الصحابة الذين يعتقد القوم فيهم العدالة جميعاً^(٣)، ويحتجّون بأقوالهم وأفعالهم، ولا يستسيغون الواقعة فيهم، ويشددون

١ - الصارم المسلول: ٢٧٢ [ص ٥٧٤].

٢ - أنظر صحيح البخاري [٢٧/١، ح ٤٨]، صحيح مسلم [١٤/١، ح ١١٦، كتاب الإيمان]؛ سنن الترمذي

[٣١١/٤، ح ١٩٨٣]؛ السنن الكبرى للنسائي [٣١٣/٢، ح ٣٥٦٨ - ٣٥٧١].

٣ - قال النووي في شرح مسلم هامش الإرشاد ٨: ٢٢ [٢١٦/١٢]: «إن الصحابة - رضي الله عنهم - كلهم هم صفوة الناس، وسادات الأمة، وأفضل من بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم، وفيمن بعدهم كانت النخالة».

النكير على الشيعة لحسابهم أنهم يقعون في بعض الصحابة، ورتّبوا على ذلك أحكاماً.

قال يحيى بن معين:

كل من شتم عثمان، أو طلحة، أو أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين^(١).

وعن أحمد إمام الحنابلة^(٢):

خير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعليّ بعد عثمان، ووقف قوم، وهم خلفاء راشدون مهديون. ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص؛ فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة، وخلّده في الحبس حتى يموت أو يراجع.

وعنه أيضاً: «ما لهم ولعاوية نسأل الله العافية». وقال: «إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام».

وقال أبو بكر بن عبدالعزيز في المقتنع:

فأما الرافضي فإن كان بسبّ فقد كفر، فلا يزوّج^(٣).

ولهم في سبّ الشيخين وعثمان تصويبٌ وتصعيد؛ قال الجرداني في مصباح الظلام^(٤):

قال أكثر العلماء من سبّ أبا بكر وعمر كان كافراً.

وقال ابن تيمية في الصارم المسلول:

قال إبراهيم النخعي: كان يُقال شتم أبي بكر وعمر من الكبائر.

١- تهذيب التهذيب ١: ٥٠٩ [٤٤٧/١].

٢- مسند أحمد [١٨٦/١، ح ٩٣٦].

٣- الصارم المسلول: ٢٧٢ و ٥٧٤ و ٥٧٥.

٤- مصباح الظلام ٢: ٢٣ [٥٦/٢، ح ٣٦٢].

هَبْ أَنْ هَذِهِ الْفُتَاوَى الْمَجْرَدَةُ مِنْ مَسَلَّمَاتِ الْفَقْهِ، وَلَيْسَ لِلْبَاحِثِ أَنْ يَنْاقِشَ أَصْحَابَهَا الْحِسَابَ، وَيَطَالِبَهُمْ مَدَارِكَ تِلْكَ الْأَحْكَامِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَوِ الْأُصُولِ وَالْقَوَاعِدِ، أَوِ الْقِيَاسِ وَالِاسْتِحْسَانِ، وَلَا سِيَّامَدَارِكَ جُمْلَةً مِنْ خُصُوصِيَّاتِهَا الْعَجِيبَةِ الشَّاذَّةِ عَنْ شَرْعَةِ الْإِسْلَامِ، لَكِنَّهَا هَلْ هِيَ مَخْصُوصَةٌ بِغَيْرِ رَجَالَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ فَهِيَ مَنْحَسِرَةٌ عَنْهُمْ؟!

وَلَعَلَّ فِيهِمْ مَنْ يَجَافِيكَ عَلَى ذَلِكَ فَيَقُولُ: نَعَمْ هِيَ مَنْحَسِرَةٌ عَنْ عَلِيٍّ ؑ وَابْنِهِ السَّبْطَيْنِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ ابْنَ هَنْدٍ كَانَ يَقَعُ فِيهِمْ وَيَلْعَنُهُمْ، وَيُلْجِئُ النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ؛ فَلَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ تَسْرِيبُهَا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ كَاتِبُ الْوَحْيِ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَكْتُبْ غَيْرَ عِدَّةٍ كُتِبَ إِلَى رُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ فِي أَيَّامِ إِسْلَامِهِ الْقَلِيلَةِ مِنْ أَخْرِيَّاتِ الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ، وَهُوَ خَالُ الْمُؤْمِنِينَ لِمَكَانِ أُمِّ حَبِيبَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْمُوا بِذَلِكَ غَيْرَهُ مِنْ إِخْوَةِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ كَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَلَيْسَ لَهُ مَبَرَّرٌ إِلَّا أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ فِي الْجَيْشِ الْعُلُوِّيِّ وَمَعَاوِيَةَ حَارِبَهُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ -: فَهِيَ ضَغَائِنٌ قَدِيمَةٌ انْفَجَرَتْ بِرُكَاْنِهَا أَخِيرًا عِنْدَ مَنْتَشِرِ الْأَحْقَادِ وَمُحْتَدِمِ الْإِحْنِ؛ «قَدْ بَدَتْ أَلْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَاتَخَفِي صُدُورُهُمْ أَكْثَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ»^(١).

أَضَفَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا أَنَّ مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؑ كَانَ أَحَدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عِنْدَهُمْ، وَبِالْإِجْمَاعِ الْمَتَسَالِمِ عَلَيْهِ بَيْنَ فِرْقِ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، وَلِلْقَوْمِ فِيمَنْ يَقَعُ فِيهِمْ أَحْكَامٌ شَدِيدَةٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ كَمَا سَمِعْتَهُ قَبِيلُ هَذَا بِكَفَرٍ مِنْ سَبِّ الشَّيْخِينَ، وَزَنْدَقَةٍ مِنْ سَبِّ عُمَانَ، وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ الثَّابِتِ قَوْلُهُ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي».

فهلّمّ معي نسائلهم عن المبرّر لعمل معاوية والأمويّين منتسباً ونزعة، وتابعيهم المجترحين لهذه السيّئة المخزية، وعن المغضين عنهم الذين أخرجوا إمام العدل صنو محمّد - صلى الله عليها وآلهما - عن حكم الخلفاء، وعن حكم الصحابة، بل وعن حكم آحاد المسلمين؛ فاستباحوا النيل منه على رؤوس الأشهاد، وفي كلّ متندى ومجمع من دون أيّ وازع يزعمهم.

فإلى أيّ هوة أسفوا بالإمام الطاهر ﷺ حتّى استلبوه الأحكام المرتبة على المواضع الثلاثة: الخلافة، الصحبة، الإسلام؟! ولم يقيموا له أيّ وزن، وما راعوا فيه أيّ حقّ، وما تحفّظوا له بأيّة كرامة وهو نفس الرسول ﷺ وزوج ابنته، وأبو سبطيه، وأوّل من أسلم له، وقام الإسلام بسيفه، وتمّت برهنة الحقّ ببيانه، واكتسحت المعرّات عن الدين بلسانه ولسانه، وهو مع الحقّ والحقّ معه، وهو مع القرآن والقرآن معه ولن يفترقا حتّى يردا على النبي ﷺ الحوض، وما غير وما بدّل حتّى لفظ نفسه الأخير، وهم يمنعون عن لعن الأدعياء، وحملة الأوزار المستوجبين النار، ويذبّون عن الوقعة في أهل المعرة والخمور والفجور، من طريد، إلى لعين، إلى متهاون بالشرعية، إلى عاثت بالأحكام، إلى مبدّل للسنة، إلى مخالف للكتاب ومخالف للهوى، إلى إلى إلى... إنّنا لله وإنّا إليه راجعون.

نعم، لعمر الحقّ كان الأمر كما قال عامر بن عبدالله بن الزبير لما سمع ابنه ينال من عليّ ﷺ: «يا بنيّ إياك وذكر عليّ ﷺ؛ فإنّ بني أميّة تنقّصته ستّين عاماً فما زاده الله بذلك إلّا رفعة»^(١).

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلّا أَن يُمِثَّ نُورُهُ﴾^(٢).

- ٨٠ -

قتال ابن هند علياً أمير المؤمنين عليه السلام

نحن مهما غضضنا الطرف عن شيء في الباب، فلا يسعنا أن نتغاضى عن أن مولانا أمير المؤمنين هو ذلك المسلم الأوحدي الذي يحرم إيذاؤه وقتاله؛ «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثماً مُّبِيناً»^(١). ومن المتسالم عليه عند أمة محمد ﷺ قوله: «سباب المسلم - المؤمن - فسوق، وقتاله كفر»^(٢). وقد اقترف معاوية الإثمين معاً، فسبّ وقاتل سيّد المسلمين جميعاً، وآذى أول من أسلم من الأمة المرحومة، وآذى فيه رسول الله ﷺ؛ «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٣). ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٤).

على أنه - سلام الله عليه - كان خليفة الوقت يومئذٍ كيفما قلنا أو تمحلنا في أمر الخلافة، وكان تصديّيه لها بالنصّ، وإجماع أهل الحلّ والعقد، وببيعة المهاجرين والأنصار، ورضى الصحابة جمعاء، خلا نفر يسير شذّوا عن الطريقة المثلى لا يفتّون في عضد جماعة، ولا يؤثرون على انعقاد طاعة، بعثت بعضهم الضغائن، وحدث آخر المطامع، واندفع ثالث إلى نوايا خاصّة رغب فيها لشخصيّاته.

وكيفما كانت الحالة فأمر المؤمنين عليه السلام وقتل خليفة حقّاً، وإنّ من ناواه وخرج عليه يجب قتله، وإنّما خلع ربة الإسلام من عنقه، وأهان سلطان الله، ويلقى الله ولا حجة له، وقد جاء في النصّ الجليّ قوله ﷺ: «ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهم جميع فاضربوا رأسه بالسيف كائناً من كان».

١ - الأحزاب: ٥٨.

٢ - أنظر صحيح البخاري [٢٧/١، ح ٤٨]؛ صحيح مسلم [١١٤/١، ح ١١٦، كتاب الإيمان].

٤ - الأحزاب: ٥٧.

٣ - التوبة: ٦١.

وفي لفظ: «فمن رأيتموه يمشي إلى أمة محمد فيفرق جماعتهم فاقتلوه».

وقوله ﷺ: «من أتاكم وأمروكم جمع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه»^(١).

وقوله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةَ الْجَاهِلِيَّةِ»^(٢).

وقوله ﷺ: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»^(٣).

وقوله ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً دخل النار»^(٤).

وقوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»^(٥).

النصوص النبوية تأبي إلا أن يكون الرجل على رأس البغاة، كما كان على رأس الأحزاب يوم كان وثنيّاً، وما أشبه آخره بأوله؛ ولذلك أمر رسول الله ﷺ أمير المؤمنين بقتاله، وأن من يقتل عمّاراً هي الفئة الباغية، ولم يختلف اثنان في أن أصحاب معاوية هم الذين قتلوه، غير أن معاوية نفسه لم يتأثر بتلك الشبهة، ولم تنه عن بغيه تلكم القتل وأمثالها من الصلحاء الأبرار، الذين ولغ في دمائهم.

أضف إلى ذلك أن معاوية هو الخليفة الأخير ببيعة طغام الشام وغطاتهم، إن كانت لبيعتهم الشاذة قيمة في الشريعة، وقد حتم الإسلام قتل خليفة مثله، بقول نبيّه الأعظم ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»^(٦).

١- راجع صحيح مسلم ٢٣/٦ [١٢٧/٤، ح ٦٠، كتاب الإمارة].

٢- تيسير الوصول ٢: ٣٩ [٤٧/٢] نقلاً عن الشيخين.

٣- صحيح الترمذي ٩: ٦٩ [٤٣٥/٤، ح ٢٢٢٤]؛ تيسير الوصول ٢: ٣٩ [٤٧/٢].

٤- مستدرک الحاكم ١: ١١٨ [٢٠٥/١، ح ٤٠٧].

٥- صحيح البخاري، باب السمع والطاعة [٢٦١٢/١، ح ٦٧٢٣]؛ صحيح مسلم ٦: ١٥ [١١٦/٤، ح ٣٧، كتاب الإمارة]. واللفظ للبخاري.

٦- صحيح مسلم ٦: ٢٣ [١٢٨/٤، ح ٦١، كتاب الإمارة]؛ مستدرک الحاكم ٢: ١٥٦ [١٦٩/٢، ح ٢٦٦٥]؛ سنن البيهقي ٨: ١٤٤.

وقوله ﷺ: «ستكون خلفاء فتكثر». قالوا: فما تأمرنا؟! قال: «فُوا بسيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم»^(١).

وهذه الأحاديث الصحيحة الثابتة، هي التي تصحح الحديث الوارد في معاوية نفسه، وإن ضعف إسناده عند القوم، من قوله ﷺ: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»^(٢). وهو المعتضد بما ذكره المناوي في كنوز الدقائق^(٣) من قوله ﷺ: «من قاتل علياً على الخلافة فاقتلوه كائناً من كان».

وبعد أن تراءت الفئتان أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وطغمة معاوية حكم فيهم كتاب الله تعالى بقوله: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْضَلُّوْهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ»^(٤). وبها استدلل أئمة الفقه كالشافعي على قتال أهل البغي^(٥). وأصحاب معاوية هم الفئة الباغية بنص من الرسول الأعظم ﷺ.

وقال محمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفى (١٨٧):

لو لم يقاتل معاوية علياً ظالماً له، متعدياً باغياً، كنا لا نهتدي لقتال أهل البغي^(٦).

قال القرطبي في تفسيره^(٧):

في هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية، المعلوم بغيها على الإمام أو على أحد من المسلمين.

وقال الزيلعي في نصب الراية:

وأما أن الحق كان بيد علي في نوبته، فالدليل عليه قول النبي ﷺ لعمرار:

١ - صحيح مسلم ٦: ١٧ [١١٩/٤، ح ٤٤، كتاب الإمارة]؛ سنن ابن ماجه ٢: ٢٠٤ [٩٥٨/٢، ح ٢٨٧١]؛ سنن

البيهقي ٨: ١٤٤، عن الشيخين. ٢ - راجع: ص ٧٦٥ - ٧٦٦ من الكتاب.

٤ - الحجرات: ٩.

٣ - كنوز الدقائق: ١٤٥ [١١٤/٢].

٦ - الجواهر المضية ٢: ٢٦.

٥ - سنن البيهقي ٨: ١٧١.

٧ - الجامع لأحكام القرآن ١٦: ٣١٧ [٢٠٨/١٦].

«تقتلك الفئة الباغية»، ولا خلاف أنه كان مع عليّ وقتله أصحاب معاوية .
قال إمام الحرمين في كتاب الإرشاد : وعليّ ﷺ كان إماماً حقاً في ولايته ،
ومقاتلوه بغاة ، وحسن الظنّ بهم يقضي أن يظنّ بهم قصد الخير وإن أخطأوه ،
وأجمعوا على أن عليّاً كان مصيباً في قتال أهل الجمل ، وهم طلحة ، والزبير ،
ودائشة ، ومن معهم ، وأهل صفّين ، وهم معاوية وعسكره ، وقد أظهرت
عائشة الندم^(١) .

وحقاً قالت عائشة : ما رأيتُ مثل ما رغبت عنه هذه الأمة من هذه الآية : ﴿وَإِنْ
طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾^(٢) . وأمّ المؤمنين هي أول من رغبت عن هذه الآية ،
وضيّعت حكمها ، وخالفها وخرجت من عقر دارها ، وتركت خدرها ، وتبرّجت تبرّج
الجاهلية الأولى ، وحاربت إمام زمانها ، ولعلّها ندمت وبكت حتّى بلّت خمارها ، ولما...
ومن هنا وهناك كان مولانا أمير المؤمنين ﷺ يوجب قتال أهل الشام ، ويقول :
«لم أجد بدءاً من قتالهم ، أو الكفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٣) .

وكان رسول الله ﷺ يأمر وجوه أصحابه كأمير المؤمنين ، وأبي أيّوب الأنصاري
وعمار بن ياسر ، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(٤) . وكان من المتفق عليه عند
السلف أن القاسطين هم أصحاب معاوية .

فبأيّ حجة ولو كانت داحضة ، كان معاوية الذي يجب قتله وقتاله يستسيغ محاربة
عليّ أمير المؤمنين ، وبين يديه كتاب الله وسنة نبيه ﷺ إن كان ممّن يقتصّ أثرهما؟! وفي

١ - هكذا حكاه الزيلعي عن الإرشاد وأنت تجده محرّفاً عند الطبع ؛ راجع الإرشاد : ٤٢٣ [ص ٣٦٥] .

٢ - السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ١٧٢ ؛ مستدرک الحاكم ٢ : ١٥٦ [١٦٨/٢] ، ح ٢٦٦٤ .

٣ - نهج البلاغة ١ : ٩٤ [ص ٨٤ ، خطبة ٤٣] ؛ كتاب الصفّين : ٥٤٢ [ص ٤٧٤] ؛ مستدرک الحاكم ٣ : ١١٥ [١٢٤/٣] .

ح ٤٥٩٧ ؛ شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٨٣ [٢٠٨/٢] ، خطبة ٣٥ .

٤ - [أنظر تلخيص الغدير / ٢٩٢ - ٢٩٤] .

الذكر الحكيم قوله سبحانه: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^(١). «وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»^(٢). «وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(٣). «وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^(٤).

فلم يكن القتال أول فاصل لنزاع الأمة قبل الرجوع إلى محكمات الكتاب، وما فيه فصل الخطاب من السنة المباركة؛ ولذلك كان مولانا أمير المؤمنين يُتمّ عليهم الحجة بكتابه وخطابه، منذ بدء الأمر برفع الخصومة إلى الكتاب الكريم وهو عدله، وكان يخاطب وفد معاوية ويقول: «ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجلّ وسنة نبيّه»^(٥). ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية ومن قبله من قريش قوله: «ألا وإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه، وحقن دماء هذه الأمة»^(٦).

فلم يعبأوا به إلا بعد ما اضطروا إلى التترّس به. وقد أخبر بذلك الإمام قبل وقوع الواقعة، فيما كتب إلى معاوية: «وكأنّي بك غداً وأنت تضجّ من الحرب ضجيج الجبال من الأثقال، وستدعوني أنت وأصحابي إلى كتاب تعظّمونه بالسنتكم، وتحدونه بقلوبكم»^(٧).

فقد صدّق الخبر الخبر واتّخذوه جنة مكرراً وخداعاً يوم رُفعت المصاحف، وكانوا كما قال مولانا أمير المؤمنين يومئذٍ: «عباد الله إني أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكنّ معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح،

١- النساء: ٥٩.

٢- المائدة: ٤٤.

٣- المائدة: ٤٥.

٤- المائدة: ٤٧.

٥- تاريخ الأمم والملوك ٦: ٤ [٨/٥، حوادث سنة ٣٧هـ].

٦- شرح نهج البلاغة ١: ١٩ [٣/٢١٠، خطبة ٤٨].

٧- المصدر السابق ٣: ٤١١، ٤: ٥٠ [٨٣/١٥، كتاب ١٠، ١٦/١٣٤، كتاب ٣٢].

ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، إنها كلمة حقّ يُراد بها الباطل. إنهم والله ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة»^(١).

ولم يألُ الرسول الكريم ﷺ جهداً في تحذير المسلمين عن التورّط في هذه الفتنة العمياء بخصوصها، ويعرّفهم مكانة أمير المؤمنين، ويكرّهم مسّه بشيء من الأذى من قتال، أو سبّ، أو لعن، أو بغض، أو تقاعد عن نصرته، ويحثّهم على ولائه واتّباعه واقتصاص أثره، والكون معه بعد ما قرن الله ولايته بولايته وولاية الرسول، وطاعته بطاعتها؛ فقال: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»^(٢). وقوله تعالى^(٣): «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^(٤).

لكن معاوية لم يقنعه الكتاب والسنة فباء بتلكم الآثام كلّها، وجانب هاتيك الأحكام الواجبة جمعاء، فكان من القاسطين وهو يرأسهم: «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا»^(٥).

نعم، لم يقنع معاوية:

[١] - قوله ﷺ: «عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي».

وقوله ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

١ - [راجع ما ذكر من كلمات الإمام عليّ عليه السلام في تلخيص الغدير/ ١٠٤٣ - ١٠٤٦؛ ففيها المقنع لطالب الحق].

٢ - المائدة: ٥٤. [راجع تلخيص الغدير/ ١٢٢ - ١٢٦، و ٢٧٥ - ٢٨٠].

٣ - النساء: ٥٩.

٤ - صحيح البخاري، باب التفسير [٤/ ١٦٧٤، ح ٤٣٠٨]؛ كتاب الأحكام [٦/ ٢٦١١، ح ٦٧١٨]؛ صحيح

مسلم ٦: ١٣ [٤/ ١١٤، ح ٣١، كتاب الأمانة]. ٥ - المجن: ١٥.

وقوله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني».

وقوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروني، هم تخلفوني فيهما».

[٥-] وقوله ﷺ: «من يريد أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي فليتولّ عليّ بن أبي طالب؛ فإنّه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة».

وقوله ﷺ: «إنّ ربّ العالمين عهد إليّ عهداً في عليّ بن أبي طالب، فقال: إنّه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني».

وقوله ﷺ: «عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ بن أبي طالب».

وقوله ﷺ: لما نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حربٌ لمن حاربكم، وسلمٌ لمن سالمكم».

وقوله ﷺ: «عليّ منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي».

[١٠-] وقوله ﷺ: «أنت وليّ في كلّ مؤمن بعدي».

وقوله ﷺ في حديث: «عليّ أمير المؤمنين، إمام المتّقين، وقائد الغر المحجلّين إلى جنّات ربّ العالمين، أفلح من صدّقه، وخاب من كذّبه. ولو أنّ عبداً عبّد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام، حتّى يكون كالشنّ البالي، ولقي الله مبغضاً لآل محمّد، أكّبه الله على منخره في نار جهنّم».

وقوله ﷺ له: «لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق».

وقوله ﷺ آخذاً بيد الحسن والحسين: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما،

كان معي في درجتي يوم القيامة».

وقوله ﷺ: «عليّ منّي بمنزلة رأسي من بدني».

[١٥] - وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يبغيضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله

النار».

وقوله ﷺ: «يا عليّ طوبى لمن أحبّك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب

فيك».

وقوله ﷺ: «من أحبّني فليحبّ عليّاً، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن أبغضني

فقد أبغض الله عزّ وجلّ، ومن أبغض الله أدخله النار».

وقوله ﷺ: «لا تسبّوا عليّاً فإنّه ممسوس بذات الله».

وقوله ﷺ: «هذا أمير البرّة، قاتل الفجرة، منصورٌ من نصره، مخذولٌ من

خذله».

[٢٠] - وقوله ﷺ: «من آذى عليّاً فقد آذاني».

وقوله ﷺ: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني».

وقوله ﷺ: «أوحى إليّ في عليّ ثلاث: أنّه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ

المجّلين».

وقوله ﷺ: «من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله عزّ وجلّ، ومن سبّ

الله كبّه الله على منخره في النار».

وقوله ﷺ: «لو أنّ عبداً عبّد الله سبعة آلاف سنة، ثمّ أتى الله عزّ وجلّ ببغض عليّ

ابن أبي طالب، جاحداً لحقه، ناكثاً لولايته، لأتّعس الله خيره، وجدع أنفه».

[٢٥] - وقوله ﷺ في عليّ عليه السلام: «سجّيته سجيّتي، ودمه دمي، وهو عيبة علمي، لو أنّ

عبداً من عباد الله عزّ وجلّ عبّد الله ألف عام بين الركن والمقام، ثمّ لقي الله عزّ وجلّ

مبغضاً لعليّ بن أبي طالب وعترتي، أكبّه الله على منخره يوم القيامة في نار جهنّم».

وقوله ﷺ لعليّ: «يا عليّ! لو أنّ أمّتي صاموا حتّى يكونوا كالحنايا، وصلّوا حتّى

يكونوا كالأوتار، ثمّ أبغضوك لأكبّهم الله في النار».

وقوله ﷺ: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له عليّ الجواز».

وقوله ﷺ: «لا يجوز أحد الصراط إلا ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته،

يشرف على الجنة، فيدخل محبّيه الجنة، ومبغضيه النار».

وقوله ﷺ: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحبّ آل محمد جواز على الصراط،

والولاية لآل محمد أمان من العذاب».

[٣٠-] وقوله ﷺ: «يا أيها الناس أوصيكم بحبّ ذي قرنيها أخي وابن عمّي عليّ

ابن أبي طالب؛ فإنه لا يحبّه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق».

وقوله ﷺ: «سيكون بعدي قوم يقاتلون عليّاً، على الله جهادهم، فمن لم يستطع

جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلمه، ليس وراء ذلك شيء».

وقوله ﷺ لعليّ: «أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة، أنت وهم، راضين مرضيين،

ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين. قال: ومن عدوّي؟! وقال: من تبرأ منك ولعنك».

وقوله ﷺ: «مثلُ أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف

عنها غرق».

وقوله ﷺ: «إلزموا مودّتنا أهل البيت؛ فإنه من لقي الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل

الجنة بشفاعتنا، والذي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا».

[٣٥-] وقوله ﷺ: «لو أنّ رجلاً صَفَن بين الركن والمقام، فصلّى وصام، ثمّ لقي الله

وهو مبغض لأهل بيت محمد، دخل النار».

وقوله ﷺ: «إنّ الله جعل أجري عليكم المودّة في أهل بيتي، وإنّي سائلكم

غداً عنهم».

وقوله ﷺ: «وقفوهم إنهم مسئولون عن ولاية عليّ».

وقوله ﷺ: «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ

إلى ربّه سبيلاً».

وقوله ﷺ وقد خيم خيمة وفيها علي وفاطمة والحسن والحسين: «معشر المسلمين! أنا سلم من سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجذ، طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء المولد».

[٤٠-] وقوله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط على جسر جهنم، ما جازها أحد حتى كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب».

هذا مولانا أمير المؤمنين، وهذا غيظ من فيض مما جاء في ولائه وعدائه؛ فأبي صحابي عادل، عاصر نبي الرحمة ووعى منه هاتيك الكلمات الدرية، وشاهد مولانا ﷺ، وعرف انطباقها عليه بتمام معنى الكلمة، ثم ينحاز عنه ويتخذ سبيلاً غير سبيله فيبغى به الغوائل، ويتربص به الدوائر، ويقع فيه بلاء فمه وحشو فؤاده، ويرميه بقذائف الحقد والشنان؟!

لعلك لا تجد مسلماً هو هكذا غير من ألهته العصبية عن الهدى، وتدهورت به إلى هوة الشهوات السحيقة. ولعلك لا تجد ذلك الرجل البائس إلا ابن أبي سفيان المجابه للكتاب والسنة، بعد الإنكار بقلبه بالهزاء والسخرية بلسانه، ففعل مرددة الوقت وطواغيت الأمة؛ فتراه عند ما روى له سعد بن أبي وقاص - أحد العشرة المبشرة - أحاديث مما سمعه عن رسول الله ﷺ في علي عليه السلام ونهض ليقوم شرط له معاوية استهزاءً، كما مر^(١) حديثه.

وحينما ذكر له أبوذر الغفاري ذلك الصادق المصدق قول رسول الله ﷺ: «إست معاوية في النار»، جابهه بالضحك وأمر بحبسه^(٢).

ولما بقر عبدالرحمن بن سهل الأنصاري روايا خمر لمعاوية وبلغه شأنه، قال:

١ - مر في ص ٣٦٩ من كتابنا هذا.

٢ - أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [٢٥٥/٨، خطبة ١٣٠].

«دعوه فإنه شيخ قد ذهب عقله»^(١)، يستهزئ بإنكاره على تلك الكبيرة الموبقة، وليت شعري بم هذا الهزء والسخرية؟! أبالصحابي العادل؟! أم بمن استند إليه في حكمه بتحريم الخمر؟! أم بالشرعة التي جاءت به؟! إن ابن آكلة الأكباد بمقربة من كل ذلك. أو أنه لا يدين الله بذلك الحكم البات؟!!

ولما سمع من عمرو بن العاص ما حدثه عن رسول الله ﷺ من قوله لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»، قال عمرو: «إنك شيخ أخرق، ولا تزال تحدث بالحديث، وأنت ترحض في بولك. نحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا!».!

وقال: «أفسدت علي أهل الشام، أكل ما سمعت من رسول الله ﷺ تقوله»^(٢)؟! «أهذا هزء؟! أم أن معاوية بلغ من السفاهة مبلغاً يحسب معه أن أمير المؤمنين هو قاتل عمار؟! إذن فما قوله في سيد الشهداء حمزة وجعفر الطيار»^(٣)؟! أكان رسول الله ﷺ قاتلها. يوم ألقاهما بين رماح المشركين وسيوفهم؟! لا تستبعد مكابرة الطاغية بقوله: «إن رسول الله ﷺ قتلها».

أو إن الرجل وجد حُمراً مستنفرة فألجمها، وألجم مرادها بتلكم التوبيهات؟ وكل هذه معقولة غير مستعصية على استقراء أعمال معاوية وأفعاله. ثم ماذا يعني بقوله: «أفسدت علي...»؟! أيريد كبحاً أمام جري السنة الشريفة؟! أو يروم إسدال غطاء على مجالها؟! أو الإعراض عن مدلولها لأنه لا يلائم خطته؟! ولا يستبعد شيء من ذلك ممن طبع الله على قلبه وهو الدّ الخصام. ولما حدثه عبادة بن الصامت حديث حرمة الربا^(٤)، وقد نطق بها القرآن الكريم،

١ - ذكره ابن حجر في الإصابة ٢: ٤٠١. ٢ - [أنظر تلخيص الغدير/ ٦٠].

٣ - [بهذا أجاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، عن كلام الرجل كما في تاريخ الخميس ٢/ ٢٧٧].

٤ - أنظر تاريخ مدينة دمشق ٧: ٢١٢ [٨/ ١٨٦٦] وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٣٠٧.

فقال: «اسكت عن هذا الحديث ولا تذكره».

فقال عبادة: «بلى وإن رغم أنف معاوية».

ولما سمع من عبادة حديثه عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ هذا لا يقول شيئاً».

فلم يك يرى قول رسول الله ﷺ شيئاً يُعبأ به ويُصاخ إليه، ويعوّل عليه.

فهل تجد إذن عند معاوية إذعائاً بما جاء من الكتاب في عليّ عليه السلام؟! أو تراه مخبئاً إلى

شيء من الكثير الطيّب الوارد عن رسول الله ﷺ في الثناء على الإمام الطاهر حينما

عاداه، وأبغضه، ونقّصه، وسبّه، وهتك حرّماته، وآذاه، وقذفه بالطامات، وحاربه،

وقاتله، وتخلّف عن بيعته، وخرج عليه؟!

أو ترى أن يسوغ لمسلم صدق نبيّه ولو في بعض تلکم الآثار والمآثر أن ييوح بما

كتبه ابن هند إلى الإمام عليه السلام من الكلم القارصة؟! بمثل قوله في كتاب له إليه عليه السلام:

«ثمّ تركك دار الهجرة التي قال رسول الله ﷺ عنها: إنّ المدينة لتنفي خبيثها، كما ينفي

الكبير خبث الحديد؛ فلعمري لقد صحّ وعده، وصدق قوله، ولقد نفت خبيثها وطردت

عنها من ليس بأهل أن يستوطنها؛ فأقمت بين المصريين، وبعثت عن بركة الحرمين،

ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة، وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضاً عن مجاورة خاتم

النبوّة.

ومن قبل ذلك ما عيّبت خليفتي رسول الله ﷺ أيام حياتهما فقعدت عنهما، وألّبت

عليهما، وامتنعت من بيعتهما، ورُمتُ أمراً لم يرك الله تعالى له أهلاً، ورقيت سلماً وعرأً،

وحاولت مقاماً دحضاً^(١)، وادّعت ما لم تجد عليه ناصراً، ولعمري لو وليتها حينئذ لما

ازدادت إلاّ فساداً واضطراباً، ولا أعقبت ولا يتكها إلاّ انتشاراً وارتداداً، لأنك الشاخص

بأنفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه ويده.

وها أنا سائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار، تحفهم سيوف شاميّة، ورماح قحطانيّة، حتّى يحاكموك إلى الله، فانظر لنفسك وللمسلمين، وادفع إليّ قتلة عثمان فإنهم خاصّتك وخلصاؤك المحدثون بك، فإن أبيت إلّا سلوك سبيل اللجاج والإصرار على الغي والضلال، فاعلم أنّ هذه الآية إنّما نزلت فيك وفي أهل العراق معك «رَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ»^(١).

وقوله في كتاب له: «وإن كنت موثلاً فازدد غيًّا إلى غيِّك، فطالما خفّ عقلك، وميّت نفسك ما ليس لك، والتويت على من هو خير منك، ثمّ كانت العاقبة لغيرك، واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك».

وقوله في كتاب له أيضاً: «فدعني من أساطيرك، واكف عني من أحاديثك، وأقصر عن تقوّلك على رسول الله ﷺ، وافترائك من الكذب ما لم يقل، وغرور من معك والمخداع لهم، فقد استغويتهم ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك، ويعلموا أنّ ما جئت به باطل مضمحل».

وقوله من كتاب آخر له: «فما أعظم الرين على قلبك! والغطاء على بصرك! الشره من شيمتك، والحسد من خليقتك!!».

وقوله في كتاب له إليه عليه السلام: «فدع الحسد؛ فإنك طالما لم تتنفع به، ولا تفسد سابقة جهادك بشرة نخوتك؛ فإنّ الأعمال بخواتيمها. ولا تُخصّص سابقتك بقتال من لا حقّ لك في حقّه؛ فإنّك إن تفعل لا تضرّ بذلك إلّا نفسك، ولا تحقق إلّا عملك، ولا تبطل إلّا حجّتك. ولعمري إنّ ما مضى لك من السابقات لشبيهه أن يكون محقّقاً لا اجترأت عليه من سفك الدماء، وخلاف أهل الحقّ، فاقرأ السورة التي يذكر فيها الفلق، وتعوّذ

من نفسك، فإنك الحاسد إذا حسد».

وقوله من كتاب له إليه عليه السلام: «فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه، عدوت عليه، فبغيت الغوائل، ونصبت له المكائد، وضربت له بطن الأمر وظهره، ودسست عليه وأغريت به، وقعدت - حين استنصرك - عن نصره، وسألك أن تدركه قبل أن يمزق، فما أدركته، وما يوم المسلمين منك بواحد، لقد حسدت أبابكر والتويت عليه، ورميت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطالت مدته وسررت بقتله، وأظهرت الشماتة بمصابه، حتى أنك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل أبيه، ثم لم تكن أشد منك حسداً لابن عمك عثمان...».

وقوله في كتاب له إليه عليه السلام: «أما بعد: فإننا كنا نحن وإياكم يداً جامعة، وإلفة أليفة، حتى طمعت يابن أبي طالب، فتغيرت وأصبحت تعد نفسك قوياً على من عاداك بطغام أهل الحجاز، وأوباش أهل العراق، وحمقى الفسطاط، وغوغاء السواد، وإيم الله لينجلى عنك حمقها، ولينقشعنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء.

قتلت عثمان بن عفان، ورقيت سلماً أطلعك الله عليه مطلع سوء، عليك لالك. وقتلت الزبير وطلحة، وشردت أمك عائشة، ونزلت بين المصريين فنييت وتمنييت، وخيل لك أن الدنيا قد سُخرت لك بخيلها ورجلها، وإنما تعرف أمنييتك، لو قد زرتك في المهاجرين من الشام بقيّة الإسلام، فيحيطون بك من ورائك، ثم يقضي الله علمه فيك، والسلام على أولياء الله»^(١).

فأي أحد من غوغاء الناس ومن جهلة الأمة يحسب في صاحب هذه الكلمات

١- توجد هذه الكتب على تفصيلها في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١٢ و ٤٤٨ و ٤: ٥٠ و ٥١ و ٢٠١.

[١٥/٨٢ و ٨٧ و ١٨٦، و ٦/١٣٤ - ١٣٥، و ١٧/٢٥٢ - ٢٥٣]. وهي مبثوثة في جبهة الرسائل ١: ٣٩٨ - ٤٨٣.

المخزية نزعة دينية؟! أو حياءً وانقباضاً في النفس ولو قيد شعرة؟! أو بخوعاً إلى كتاب الله وهو يطهر أهل البيت وعليّ سيّد العترة، ويراه نفس النبي ﷺ، وقرن ولايته بولايته الله وولايته رسوله وطاعته بطاعتها.

نعم، هكذا فليكن رضيع ثدي هند وريب حجر حمامة، والناشئ تحت راية البغاء، ووليد بيت أميّة، وثمرّة تلك الشجرة الملعونة في القرآن، هكذا يسرف معاوية في القول، ويجازف مفرطاً فيه؛ «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»^(١). وهو سرف الفؤاد لا يعبا بما تلقته الأمة بالقبول من قول نبيها في عليّ عليه السلام: «أنت الصديق الأكبر، أنت الفاروق الذي تفرق بين الحقّ والباطل، وأنت يعسوب الدين»^(٢).

وقوله عليه السلام: «عليّ مع القرآن والقرآن معه، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض». وقوله عليه السلام: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»^(٣)؟

إلى مئات أو ألوف ممّا جاء في عليّ عليه السلام بلسان سيّد العالمين نبيّ الأمّة ﷺ. بلغ الطاغية من عدااء سيّد العترة حدّاً لا يستطيع أن يسمع اسمه عليه السلام، وكان ينهى عن التسمية به؛ يُروى أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام افتقد عبد الله بن العباس، فقال: ما بال أبي العباس^(٤) لم يحضر؟! فقالوا: ولد له مولود. فلما صلى عليّ قال: امضوا بنا إليه، فأتاه فهنّأه فقال: «شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب، ما سمّيته؟». قال: أو يجوز لي أن أسمّيه حتّى تسمّيه؟! فأمر به فأخرج إليه، فأخذه وحنّكه ودعا له، ثمّ ردّه إليه وقال: «خذّه إليك أبا الأملاك، قد سمّيته عليّاً وكنيته أبا الحسن». فلما قام معاوية قال

١- سورة ق: ١٨. ٢- الحاوي للفتاوي للسيوطي [١٩٦/٢].

٣- أنظر تاريخ بغداد ١٤: ٣٢؛ الإمامة والسياسة ١: ٦٨ [٧٣/١]؛ ربيع الأبرار [٨٢٨/١].

٤- [كانت كنية عبد الله بن العباس: «أبا العباس»].

لابن عباس: ليس لكم اسمه وكنيته، قد كُنِّيْتُه أبا محمَّد؛ فجرت عليه^(١).
فكان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه عليّ قتلوه^(٢)؛ فكان الناس يبدلون أسماء
أولادهم. قاله زين الدين العراقي^(٣).

- ٨١ -

هنات وهنابث في ميزان ابن هند

١- لما قُتل نعيم بن صهيب بن العلية فأُتي ابن عمّه وسميّه نعيم بن الحارث بن العلية
معاوية، وكان معه، فقال: إنّ هذا القليل ابن عمّي فهبه لي أدفنه. فقال: لا ندفنه
فليسوا أهلاً لذلك، فوالله ما قدرنا على دفن عثمان معهم إلّا سرّاً. قال: والله لتأذنن لي في
دفنه أو لألحقن بهم ولأدعنك. فقال له معاوية: ويحك ترى أشياخ العرب لا نوارهم
وأنت تسألني دفن ابن عمك؟! ثمّ قال له: ادفنه إن شئت أو دع. فأتاه فدفنه^(٤).

٢- لما قُتل عبد الله بن بديل أقبل إليه معاوية وعبد الله بن عامر حتّى وقفا عليه،
فأمّا عبد الله فألقى عمامته على وجهه وترحّم عليه وكان صديقه. فقال معاوية: اكشف
عن وجهه. فقال: لا والله لا يمثّل به وفيّ روح. فقال معاوية: اكشف عن وجهه فإنّا
لأغثّل به فقد وهبته لك^(٥).

وذكر النسابة أبو جعفر البغدادي في المحبّر^(٦) ممّا كتبه معاوية إلى زياد بن سلمة:
«من كان على دين عليّ ورأيه فاقتله وامثل به».

١- كامل المبرّد ٢: ١٥٧ [٤٩٧/١]. ٢- تهذيب التهذيب ٧: ٣١٩ [٢٨١/٧].

٣- هو عبد الرحيم بن الحسين، أبو الفضل زين الدين، المعروف بالمحافظ، المتوفّى سنة ٨٠٦ هـ.

٤- كتاب صفّين لابن مزاحم: ٢٩٣، طبعة مصر [ص ٢٥٩]؛ تاريخ الطبري ٦: ١٤ [٢٦/٥]، حوادث سنة ٣٧ هـ؛
شرح ابن أبي الحديد ١: ٤٨٩ [٢٠٧/٥]، خطبة [٦٥].

٥- كتاب صفّين: ٢٧٧، طبعة مصر [ص ٢٤٦]؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٤٨٦ [١٩٧/٥]، خطبة [٦٥].

٦- المحبّر: ٤٧٩.

٣ - قد كان معاوية يوم صفين نذر في سبي نساء ربيعة، وقتل المقاتلة^(١).

٤ - ذكر الباوردي: أن عمير بن قرّة الليثي الصحابي ممن شهد صفين من الصحابة، وكان شديداً على معاوية وأهل الشام، حتى حلف معاوية لأن ظفر به ليذيق الرصاص في أذنيه^(٢).

هذه هنات موبقة، ومحظورات مسلمة، من بوائق ابن هند الكثيرة، قد ارتكبتها أو صمم أن يقتربها في صفين؛ فهل من الدين الحنيف منعه عن دفن من قتل تحت راية الحق مع أمير المؤمنين ﷺ مع وجوب الإسراع في دفن كل مؤمن؟! فهل كان أولئك الصلحاء من الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان عند معاوية خارجين عن الدين؟! أو أنه كان يتبع فيهم هواه المردي، ويشفي بذلك غيظه منهم على نصرتهم الحق. وكم عند معاوية من مخازي أمثال هذه تقع عن الدين المبين بمعزل!

أفهل تسوغ مثلة المسلم المخالف هواه هوى ابن آكلة الأكباد؟! والمثلة محرمة حتى بالحيوان، حتى بالكلب العقور^(٣)، فكيف بصلحاء المؤمنين وقد لعن رسول الله ﷺ من مثل بالحيوان^(٤)؟!!

فما المسوغ عندئذ لابن هند المثلة بمن كان على دين عليٍّ ورأيه، ودينه هو دين محمد الذي جاء بالإسلام المقدس؟!!

وهل ينعقد نذر المعصية بسبي نساء ربيعة المسلمات إن تغلب عليهم لولاء بعولتهن علياً أمير المؤمنين؟! وهو محرم في شرع الإسلام، ولا ينعقد النذر إلا في طاعة، ولا أقل!

١ - كتاب صفين: ٢٣١، طبعة مصر [ص ٢٩٤]. ٢ - الإصابة لابن حجر ٣: ٣٥ [رقم ٦٠٥٢].

٣ - أخرجه الطبراني [في المعجم الكبير ١/ ١٠٠، ح ١٦٨] من طريق عليٍّ أمير المؤمنين. وذكره الزيلعي في نصب الراية ٣: ١٢٠، والسرخسي في شرح السير الكبير ١: ٧٨.

٤ - أخرجه البخاري في صحيحه [٥/ ٢١٠٠، ح ٥١٩٦] باب ما يكره من المثلة من طريق ابن عمر.

من الرجحان في متعلق النذر، كما مرّ بيانه^(١)؛ فبأيّ كتاب أم بأية سنة يسوغ هذا النذر لصاحبه إن كان من أهلها، ويسع له أن يقول: لله عليّ كذا؟! وهل يجوز في شرع الإسلام اليمين بإذابة الرصاص في أذن مسلم صحابيٍّ عادل لا يتّبع أهواء معاوية، ولا يُخبت إلى ضلالاته؟! وهل كان يحلف الرجل بإله محمد وعليّ صلوات الله عليهما وآلهما؟ وهما وربّهما برآء عن مثل هذا الحلف وصاحبه. أو كان يقصد إله آبائه دعائم الشرك وعبدّة هُبُل، حملة الأوزار المستوجبين النار؟

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢)

- ٨٢ -

قذائف موبقة في صحائف ابن آكلة الأكباد

هاهنا في أيّ كفة تجد معاوية وأعماله الشاذّة عن الإسلام؟! فهل تراه أثقل ميزانه بالصالحات؟ أو أنّه خفّفها بكلّ موبقة مهلكة؟ وأنّه كان يطفّفها ويخفّف المكيال كيفما وزن وكال. وليت ابن هند أدلى بما عنده من الشبه في هذه القضية - قتاله عليّاً عليه السلام - لنمعن النظر فيها إمعان استشفاف لما وراءها، لكنّه فات المخدول أن يدلي بشيء من ذلك لا تعارضه البرهنة، ولا يفنّده المنطق غير أمرين أراد بهما تلويثاً لساحة قدس الإمام، وإن كان هو كشف عن عورته ساعة عرف الناس كذبه في الأمرين جميعاً:

الأول: نسبة الإلحاد إليه - سلام الله عليه - وأنّه لا يصلي. هذا وقد وضع الإسلام بسيفه، وقامت الصلاة بأيده، يمّوه بذلك على الرعرة الدهماء من الشاميين.

قال الجاحظ في كتاب الردّ على الإماميّة:

إنّ معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهمّ إنّ أبا تراب، ألدّ في دينك، وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذّبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى

الآفاق ؛ فكانت هذه الكلمات يُشاد بها على المنابر إلى أيام عمر بن عبد العزيز^(١).

كان المخذول يشوّه سمعة الإمام الطيّبة بتلكم القذائف الشائنة طيلة حياته، ولما استشهد - سلام الله عليه - لم يرفع اليد عن غيّه وبغيه، فجاء يُري الأمة الغوغاء أن ما كان من عدائه المحتدم للإمام عليه السلام إنما كان عن أساس دينيٍّ لله فيه؛ فكتب إلى عمّاله: «سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد: فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوّكم، وقتله خليفتم، إنّ الله بلطفه وحُسن صنعه أتاح لعليّ بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، وقد جاءتنا كُتُبُ أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم، وحسن عدّتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان»^(٢).

ولما دخل ابن عباس على معاوية بعد مقتل أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الحمد لله الذي أمات عليّاً»^(٣).

ما أغلف قلب هذا الرجل الذي يحسب أن عبد الرحمن بن الملجم من عباد الله وقد قيّضه المولى سبحانه للنيل من إمام الهدى! ويعدّ ذلك من لطفه وحسن صنعه! وابن ملجم هو ذلك الشقيّ المهتوك الخارجيّ الجاني على الأمة جمعاء بقتل سيّدها نفس الرسول ﷺ، وآتيها بخسارة الأبد، وهو أشقى الآخرين في لسان النبيّ الكريم، أو أشقى الأمة في حديثه الآخر، وأشدّ الناس عذاباً يوم القيامة. وعاد قوله عليه السلام فيه

١ - ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٥٦ [٤/ ٥٦ و ٥٧، خطبة ٥٦].

٢ - مقاتل الطالبين: ٢٤ [ص ٦٩]؛ شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٣ [١٦/ ٣٧، وصية ٣١ هـ].

٣ - البداية والنهاية لابن كثير [٨: ٣٣١]؛ تاريخ مدينة دمشق [٢٩/ ٢٨٧].

«أشقى» كلقب يُعرف به أشقى مراد، حيث أنه اُطرد ذكره به في موارد كثيرة من الحديث والتاريخ.

وليت شعري أي إله يحمدّه معاوية في موت عليّ أمير المؤمنين؟! الأله جعل مودة عليّ أجر الرسالة في محكم الذكر الحكيم؟!

الأله اتخذ عليّاً نفساً لنبيه في قصة المباهلة؟!

الأله أمر رسوله ﷺ بتبليغ ولاية عليّ ﷺ وأنه إن لم يفعل فما بلغ رسالته؟!

الأله يرى بولاية عليّ ﷺ إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضاه سبحانه؟!

الأله أوحى لنبيه ﷺ في عليّ ثلاثاً: إنه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجلّين؟!

الأله عهد إلى رسول الله ﷺ في عليّ أنه راية الهدى، ومنار الإيمان، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني؟!

الأله كان عليّ أحبّ خلقه إليه بعد نبيه، كما جاء في حديث الطير؟!

الأله كان يحبّ عليّاً وعليّ يحبه في حديث خيبر؟!

الأله اختار عليّاً وصيّاً لنبيه بعد ما اختاره نبياً، فهو أحد الخيرتين من البشر، كما

جاء في النصّ النبوي؟!

الأله دعاه صاحبّ الرسالة الحاتمة حينما قال في مئة ألف أو يزيدون: «من كنت

مولاه فعليّ مولاه، اللَّهُمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل

من خذله»؟!

أيسوغ مثل هذا الحمد والثناء لمن يؤمن بالله واليوم الآخر، وصدّق نبيّ الإسلام

وما جاء به؟! أم هل يتصوّر توجيهه إلى ربّ محمّد وعليّ؟! وقد تمّت بهما كلمة الله صدقاً

وعدلاً، وقامت بهما دعائم الدين الحنيف، وبسعيهما أدركت الأمة المرحومة سعادة

الأبد.

نعم، له مسرح إن وجه إلى هُبَل إله آباء معاوية وإلهه إلى أخريات أيام النبوة إن لم نقل إلى آخر نفس لفظه معاوية، وقد كان مرتكزاً في أعماق قلبه، ومزيج نفسه طيلة ما لهج بأمثال هذه الأقاويل المخزية.

ثم أيّ مسلم يبلغ أمله عند قتل إمام الحق، ووئد خطّة الهدى، إلا من ارتطم في الضلالة، وسبح في الإلحاد سباحاً طويلاً؟!

وأما قوله: «وأهلك الله أهل البغي والعدوان» فانظر واقرأ قول العزيز الحكيم: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾^(١) يلهج بهذه الكلمة كأنه بمجلب عن البغي والعدوان - وهو ولفيفه هم الفئة الباغية بنصّ النبي الأعظم - وهو يندّد بمن يحسب أنه تردّى بهما. نعم، حنّ قدح ليس منها. هل الباغي هو من خرج على إمام زمانه يناضله وينازله؟! أو أنّ إمام الوقت - المعصوم بنصّ الكتاب - هو الباغي؟! والعياذ بالله، وإن كان القوم أعداءه وهو عدوّ لهم فهم أعداء الله وأعداء رسوله بغير واحد من النصوص النبوية، وقد شملتهم دعوة صاحب الرسالة المتواترة: «وعاد من عاداه، واخذل من خذله».

نظرة فيما تشبّث به معاوية في قتال عليّ عليه السلام:

الثاني من الأمرين اللذين تشبّث بهما ابن آكلة الأكباد في تشييط الملا عن نصره الإمام عليه السلام وتأليبهم إلى قتاله: أنّ عنده ثار عثمان وعليه تراته. وللحاكم في هذه القضية أن ينظر:

أولاً: إلى أنّ معاوية نفسه لم يشهد وقعة عثمان حتّى يبصر المباشر لقتله، وإنما تشبّث عن نصرته، بل كان يحبّد قتله طمعاً في أن ينال الملك بعده بحججه النافهة.

وثانياً: إلى أنّ أمير المؤمنين - سلام الله عليه - كان غائباً عن المدينة النورة عند

وقوع الواقعة، فكيف تصحّ مباشرته لقتل أو قتال؟! أو كان ساكناً في عقر داره بالمدينة لا له ولا عليه.

وثالثاً: إلى شهادات الزور^(١) المتولّدة من دسائس ابن حرب ترمي أبرأ الناس من ذلك الدم المراق، بإيعاز من ابن النابغة، ذلك العامل الوحيد في قتل عثمان، وقد سمعت عقيرته أذن الدنيا: «أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع».

ورابعاً: إلى أنّ عثمان قتله رجال مجتهدون من المهاجرين والأنصار، ووجوه أصحاب محمد ﷺ العدول، بعد إقامة الحجّة عليه، وإثبات شذوذه عن الكتاب والسنة، وإهدار دمه بحكم الكتاب^(٢)؛ فليس على القوم قود ولا قصاص. ولم يك مولانا أمير المؤمنين إلّا رجلاً من المهاجرين، أورد كما أوردوا، وأصدر كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على ضلال، ولا ليضربهم بالعمى.

وقد كتب بهذا أمير المؤمنين ﷺ إلى معاوية^(٣)، وجاء الحجاج به في كلمات غير واحد من الصحابة؛ مثل قول الصحابي العظيم هاشم المرقال^(٤)، وقول عمار بن ياسر^(٥) الممدوح بالكتاب والسنة الذي أسلفناه، وقول أبي الطفيل^(٦) الشيخ الصحابي

١- راجع: وقعة صفين: ٤٩- ٥٧ [ص ٤٤- ٥١]؛ الاستيعاب، ترجمة شُرَّحِيل ١: ٥٨٩ [القسم الثاني/ ٧٠٠،

رقم ١١٦٨]؛ أسد الغابة ٢: ٣٩٢ [٢/ ٥١٤، رقم ٢٤١٠]؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ١١٩ [٢/ ٣٦٠،

حوادث سنة ٣٦هـ]؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٣٩ و ٢٤٩ و ٢٥٠ [٢/ ٧١- ٧٣، خطبة ٢٦، و

٢/ ٧٩- ٨٣، خطبة ٤٣]. ٢- [راجع تلخيص الغدير/ ٩١٦- ٩٢٢].

٣- راجع أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ١٩٥ و ٣٧٢ [٦/ ١٣٤ و ٣٥٠].

٤- أنظر تاريخ الطبري ٦: ٢٣ [٥/ ٤٣، حوادث سنة ٣٧هـ]؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٧٨ [٨/ ٣٥،

خطبة ١٢٤]. ٥- [أنظر تلخيص الغدير/ ٩٠٦].

٦- راجع الإمامة والسياسة ١: ١٥٨ [١/ ١٦٥]؛ تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٠١ [٢٦/ ١١٦- ١١٧، رقم ٣٠٦٤؛ وفي

مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢٩٣].

الكبير، وقول عبد الرحمن بن عثمان^(١)، فما ذنب عليّ ﷺ إن آواهم، ونصرهم وأيدهم ودفع عنهم عادية الباغين.

وخامساً: إلى أن الذين كانوا في جيش أمير المؤمنين ﷺ أو الذين تحكمت بينه وبينهم آصرة المودة لم يكونوا كلهم قتلة عثمان، ولا باشروا شيئاً من أمره، ولم يكن لأكثرهم في الأمر ورد ولا صدر، وإنما كان فيهم من أولئك الصحابة العدول أناس معلومون أووا إلى إمام الحق؛ فبأي حجة شرعية كان ابن صخر يستبيح قتل الجميع، واستقرأهم في البلاد بعد مقتل مولانا أمير المؤمنين ﷺ وقبلة، فقتلهم تقتيلاً؟!

وسادساً: إلى أن معاوية لم يكن وليّ دم عثمان وإنما أولياؤه ولده. وإن كان لهم حق القصاص فعجزوا عن طلبه، فعليهم رفع الأمر إلى خليفة الوقت وهو مولانا أمير المؤمنين ﷺ لينظر في أمرهم، ويحكم بحكم الله البات، وهو أقصى الأمة بنص الرسول الأمين.

نعم، كانت لمعاوية ترات^(٢) عند أمير المؤمنين ﷺ بأخيه حنظلة بن أبي سفيان، وجدّه لأُمّه عتبة بن ربيعة، وخاله الوليد بن عتبة بن ربيعة، وأبناء عمّه العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أميّة. لكنّه لم ينبس عنهم ببنت شفة لأنها ما كانت تنطلي عند المسلمين، فإنهم وثنيون مشركون حاربوا رسول الله ﷺ، فذاقوا وبال أمرهم، وإنما تترّس بدم عثمان بضرب من السيرة الجاهلية من صحّة قيام أي فرد من أفراد العشيرة بدم أي مقتول منها وإن بعدت بينهم الرحم والقربة. وهذه السيرة الغير المشروعة كان يرنّ صداها في مسامع أهل الشام البعداء عن مبادئ الدين وطقوسه، ومن ثمّ استهواهم معاوية، واستحوذ عليهم بذلك

٢- [جمع ترة، وهي النار].

١- أنظر الإمامة والسياسة ١: ٩٢ [٩٦/١].

التدجيل، ولم تكن تلك الحرب الزبون إلا أنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أحدىة، وثب بها معاوية حين الغفلة، ليدرك ثارات بني عبد شمس، ولم تك تخفى هذه الغاية على أي أحد حتى المخدرات في المجال^(١).

وسابعاً: إلى أن أول واجب على معاوية أن يتنازل إلى ما لزمه من البيعة الحقّة فيدخل في جماعة المسلمين، ولا يشقّ عصاهم بالتقاعس عنها، ثم يرفع الخصومة إلى صاحب البيعة، فيرى فيه رأيه؛ كما جاء في كتاب لأمر المؤمنين إلى معاوية من قوله: «وأما قولك: ادفع إليّ قتلة عثمان. فما أنت وذاك؟! وها هنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك^(٢)؛ فإن زعمت أنك أقوى على طلب دم عثمان منهم، فارجع^(٣) إلى البيعة التي لزمك لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار، ولا يستأنف فيها النظر وحاكم القوم إليّ»^(٤).

في كتاب آخر له ﷺ كتبه إليه:

«وقد أكثر في قتلة عثمان، فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكمت القوم إليّ حملتك وإيّاهم على كتاب الله، وأما تلك التي تريدّها فهي خدعة الصبيّ عن اللبن.

١ - قالت أم الخير بنت الحريش: «إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أحدىة، وثب بها معاوية حين الغفلة،

ليدرك ثارات بني عبد شمس، قاتلوا أئمة الكفر إتهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون»؛ أنظر بلاغات النساء: ٣٦ [ص ٥٧]؛

العقد الفريد ١: ١٣٢ [٢٢٤/١]؛ نهاية الأرب ٧: ٢٤١؛ صبح الأعشى ١: ٢٤٨ [٢٩٧/١].

٢ - في رواية المبرّد: «وبعد: فما أنت وعثمان؟! إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه».

٣ - في رواية المبرّد: «فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم إليّ».

٤ - الإمامة والسياسة ١: ٨٨ [٩٢/١]؛ الكامل للمبرّد ١: ٢٢٥ [٢٧١/١]؛ العقد الفريد ٢: ٢٨٤، ٢٨٥،

[١٣٧/٤]؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٥٢ [٨٩/٣]، خطبة ٤٣.

ولعمري يا معاوية! لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدتني أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أنني كنت في عزلة عنه، إلا أن تتجنني^(١) فتجنن ما بدا لك^(٢).

وثامناً: إلى أن طلحة والزبير قد نهضا قبل معاوية بتلك الغاية التي هو رامها، وأخرجنا حبيسة رسول الله ﷺ من خدرها، وحاربها الإمام ﷺ بعد ما أتم عليها الحجة، وكتب إليهما: «وقد زعمتا أن^(٣) قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة^(٤)، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل، وزعمتا أنني آويت قتلة عثمان، فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي، ثم يخاصموا إلي قتلة أبيهم. وما أنتما وعثمان إن كان قُتل ظالماً أو مظلوماً؟! وقد بايعتاني وأنتم بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكما، وإخراجكما أمكما^(٥)».

وكتب ﷺ إلى معاوية: «إن طلحة والزبير بايعاني، ثم نقضا بيعتهما، وكان نقضهما كردتهما، فجاهدتهما بعد ما أعذرت إليهما، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، فادخل فيما دخل فيه المسلمون^(٦)».

فهل كانت بحسب معاوية تلکم الحجج، وقد طن في أذن الدنيا قول أمير المؤمنين ﷺ:

١- «تجنني عليه»: ادعى عليه ذنباً لم يفعله. «فتجنن»: أي تستره وتخفيه [كذا ضبط في الطبعة التي اعتمدها المؤلف من شرح النهج، وفي الطبعة المعتمدة لدنيا: فتجنن - بفتح التاء - والمعنى: فادع علي ما بدا لك الادعاء. وهذا الضبط ظاهراً أوفق بالسياق].

٢- الإمامة والسياسة ١: ٨١ [٨٥/١]؛ العقد الفريد ٢: ٢٨٤ [١٣٦/٤]؛ نهج البلاغة ٢: ٧ و ١٢٤ [ص ٣٦٧، كتاب ٦]؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٨؛ و ٣: ٣٠٠ [٧٥/٣]؛ خطبة ٤٣؛ و ١٤/٣٥، كتاب ٦.

٣- [في المصدرين: «أنى»].

٤- نظراء سعد بن أبي وقاص، عبدالله بن عمر، محمد بن مسلمة.

٥- نهج البلاغة ٢: ١١٢ [ص ٤٤٦ كتاب ٥٤]؛ الإمامة والسياسة ١: ٦٢ [٦٦/١].

٦- كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤، طبعة مصر [ص ٢٩]؛ العقد الفريد ٢: ٢٨٤ [١٣٦/٤]؛ الإمامة والسياسة ١: ٨١ [٨٥/١]؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٨؛ و ٣: ٣٠٠ [٧٥/٣]؛ خطبة ٤٣؛ و ١٤/٣٦.

«ما هو إلا الكفر، أو قتال القوم»؟!

فهلّا عرف الرجل وبال أمر أصحاب الجمل، ومغبة تلك النخوة والغرور،
والتركاخ وراء الأهواء والشهوات، بعد قتل آلاف مؤلفة من الصالح والطالح، من
أهل الحق والباطل؟!

فإشهاره السيف لإزهاق النفوس بريئة كانت أو متّهمة من رجال أو نساء أو
أغلبة، وقتل أمم وزرافات تُعدّ بالآلاف بإنسان واحد قتله المجتهدون العدول من أمة
محمد بعد إقامة الحجّة عليه، إنّما هو ممّا حظرته الشريعة، ولم يُعرف له مساعٍ من الدين.
وكان ابن هند في الأمر كما كتب إليه الإمام عليه السلام: «لست تقول فيه بأمر بين يُعرف له أثر،
ولا عليك منه شاهد، ولست متعلّقاً بآية من كتاب الله، ولا عهد من رسول الله»^(١).

وناسعاً: إلى أنّ ما حكم به خليفة الوقت يجب اتّباعه ولا يجوز نقضه؛ فقد كتب
علي عليه السلام إلى معاوية في كتاب له: «وأما ما ذكرت من أمر قتلة عثمان، فإنّي نظرت في هذا
الأمر، وضربت أنفه وعينه فلم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك، ولعمري لئن
لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنهم عمّا قليل يطلبونك، لا يكلّفونك أن تطلبهم في برّ
ولا بحر»^(٢).

فهلّا كان ذلك نصّاً من الإمام عليه السلام على أنّه لا مساعٍ له لأن يدفع قتلة عثمان لأيّ
إنسان ثائر، وأنّ طلب ذلك منه غيّ وشقاق؟! فهل كان معاوية يحسب أنّ أمير
المؤمنين عليه السلام يتنازل عن رأيه إذا ما ارتضاه هو؟! أو يعدل عن الحق ويتّبع هواه؟! حاشا
ثمّ حاشا.

١- كتاب صفين لابن مزاحم: ١٢٢ [ص ١٠٩]؛ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤١٢ [٨٦/١٥].

٢- كتاب صفين: ٩٦ و ١٠٢ [ص ٨٦ و ٩١]؛ العقد الفريد ٢: ٢٨٦ [١٣٩/٤]؛ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٩ [٧٨/١٥].

أو لم يكن من واجب معاوية البخوع لحكم الإمام المطهر بنص القرآن، والإخبارات إلى رأيه الذي لا يفارق القرآن؟!

كيف لا، وقد صحَّ عن القوم عن رسول الله ﷺ روايات تمسكوا بها في اتباع نظراء معاوية ويزيد من أئمة الضلال وأمراء الجور والعدوان؟! مثل ما عزي إليه ﷺ: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس». قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»^(١). هذا رأي القوم في أمراء الشر والفساد فما ظنك بالإمام العادل، المستجمع لشرائط الخلافة، الذي ملأت الدنيا النصوص في وجوب اقتصاص أثره، والموافقة لآرائه، وكل ما يرتئيه من حق واضح؟!

وعاشراً: إلى أن قاتل عثمان المباشر لقتله اختلف فيه^(٢) تفصيله: فقتل منهم من قتل في الوقت، ولم يكن أحد من الباقيين في جيش الإمام ﷺ، ولا ممن آواهم هو، فلم يكن لأحد عند غيرهم ثار. وأمّا الذين آواهم الإمام ﷺ فهم المسيّبون لقتله من المهاجرين والأنصار، أو المؤلّبون عليه من الصحابة العدول، ولم يشذّ عنهم إلا أناس يعدّون بالأنامل.

وبعد هذه كلّها هلاً كانت لتبرئة مولانا أمير المؤمنين ﷺ نفسه من دم عثمان وقد كتبها إلى طلحة والزبير ومعاوية، ولتبرئة الأعيان من الصحابة إيّاه منذ مقتل عثمان إلى أن استحرّ القتال في واقعة صفين، وقد كتبوها إلى طلحة والزبير ومعاوية ومن لفّ لفهم، قيمة توازن عند معاوية شهادات الزور التي لفّقها هو من أناس لا خلاق لهم، وثبّتها

١ - صحيح مسلم ٦: ٢٠ [٤/١٢٤، ح ٥٢، كتاب الإمارة]؛ سنن البيهقي ٨: ١٥٧.

٢ - [أنظر تلخيص الغدير/٩٢٣-٩٢٥].

حيله ودسائسه، وأجراها ترغيبه وترهيبه؟! وقد علم هو أن أمير المؤمنين من هو؟ وصلحاء الصحابة الذين وافقوه على التبرئة والتبرير من هم؟ ومن أولئك الطغمة الثائرين لخلافه والمجلبين عليه؟ جئري كان يعلم كل ذلك لكنه الملك والسلطان، وهما يبرران لصاحب النهمة والشره كل بائقة وموبقة.

- ٨٣ -

دفاع ابن حجر عن معاوية بأعذار مفتعلة

أنت إذا قضيت الوطر عن معاوية ومعاذيره التافهة في هذه المعمة، فهلّم معي إلى ناصره الأخير - ابن حجر - الذي فاتته النصرة بالضرب والطعن، فطفق يسود صحيفة من صحائفه الشوهاء بأعذار مفتعلة في صواعقه، يتصوّل بها كمن يُدلي بحجج قاطعة، وابن حجر وإن لم يكن أول من نحت تلكم الأعذار، وقد سبقه إليها أناس آخرون من أبناء حزم وتيميّة وكثير، غير أن ما جاء به ابن حجر يجمع شتات ما تترسّ به القوم دفاعاً عن ابن هند، وزاد هو في طنبوره نغمات.

قال في الصواعق^(١):

ومن اعتقاد أهل السنّة والجماعة: أنّ ما جرى بين معاوية وعليّ رضي الله عنهما من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعليّ في الخلافة، للإجماع على حقّيتها لعليّ كما مرّ^(٢)، فلم تهج الفتنة بسببها. وإنّما هاجت بسبب أنّ معاوية ومن معه، طلبوا من عليّ تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمّه، فامتنع عليّ ظناً منه أنّ تسليمهم إليهم على الفور مع كثرة عشائريهم واختلاطهم بعسكر عليّ يؤدّي إلى اضطراب وترزّل في أمر الخلافة التي بها انتظام كلمة أهل الإسلام، سيّما وهي في ابتدائها لم يستحكم الأمر فيها؛ فرأى عليّ عليه السلام أنّ تأخير تسليمهم أصوب إلى أن

١ - الصواعق المحرقة: ١٢٩ [ص ٢١٦].

٢ - ذكره في الصواعق: ٧١ [ص ١١٩].

يرسخ قدمه في الخلافة ، ويتحقق التمكن من الأمور فيها على وجهها ، ويستمر له انتظام شملها واتفاق كلمة المسلمين ، ثم بعد ذلك يلتقطهم واحداً فواحداً ويسلمهم إليهم . ويدلّ لذلك أنّ بعض قتله عزم على الخروج على عليّ ومقاتلته ، لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان ، وأيضاً فالذين تمالؤوا على قتل عثمان كانوا جموعاً كثيرة كما علم مما قدّمته في قصة محاصرتهم له إلى أن قتله بعضهم ، جمع من أهل مصر قيل : سبعمئة وقيل : ألف وقيل : خمسمئة ، وجمع من الكوفة ، وجمع من البصرة ، وغيرهم ، قدموا كلهم المدينة ، وجرى منهم ما جرى . بل ورد أنّهم هم وعشائره نحو من عشرة آلاف ؛ فهذا هو للحامل لعليّ ﷺ عن الكفّ عن تسليمهم ، لتعذّره كما عرفت .

ويُحتمل أنّ عليّاً ﷺ رأى أنّ قتلة عثمان بغاة ، حملهم على قتله تأويل فاسد استحلّوا به دمه ﷺ ، لإنكارهم عليه أموراً كجعله مروان ابن عمّه كاتباً له ، ورده إلى المدينة بعد أن طرده النبي ﷺ منها ، وتقديمه أقاربه في ولاية الأعمال ، وقضيّة محمّد ابن أبي بكر ، ظنّوا أنّها مبيحة لما فعلوه جهلاً منهم وخطأً . والباغي إذا انقاد إلى الإمام العدل لا يؤاخذ بما أئلفه في حال الحرب عن تأويل دماً كان أو مالاً ؛ كما هو المرجّح من قول الشافعي ﷺ ، وبه قال جماعة آخرون من العلماء . وهذا الاحتمال وإن أمكن لكن ما قبله أولى بالاعتماد منه

قال الأميني: هب أنّ عثمان قُتل مظلوماً بيد الجور والتعدّي .

وأنّه لم يك يكترف قطّ ما يهدر دمه .

وأنّ قتله لم يقع بعد إقامة الحجّة عليه والأخذ بكتاب الله في أمره .

وأنّه لم يُقتل في معمة بين آلاف مكردة من المدنيّين ، والمصريّين ، والكوفيّين ،

والبصريّين .

ولم تكن البلاد تخضعت عليه، وما نقم عليه عباد الله الصالحون.
وأن قاتله لم يُجهل من يوم أودى به، وكان مشهوداً يُشار إليه، ولم يكن قتيل
عمية^(١) لا يُدرى من قتله، حتى تكون ديته من بيت مال المسلمين.
ولم يُقتل الذين باشروا قتله، وكان قد بقي منهم باقية يقتص منها.
وأن المهاجرين والأنصار ما اجتمعوا على قتله، ولم تكن لأولئك المجتهدين العدول
يد في تلك الواقعة، ولم يشارك في دمه عيون الصحابة.
وأن أهل المدينة ليسوا كاتبين إلى من بالآفاق من أصحاب رسول الله ﷺ أنكم إنما
خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد ﷺ؛ فإن دين محمد قد
أفسده من خلفكم وترك، فاهلموا فأقيموا دين محمد ﷺ.
وأن المهاجرين لم يكتبوا إلى من بمصر من الصحابة والتابعين: أن تعالوا إلينا
وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها؛ فإن كتاب الله قد بُدّل، وسنة
رسول الله قد غُيّرت، وأحكام الخليفين قد بُدّلت.
وأن طلحة، والزبير، وأمّ المؤمنين عائشة، وعمر بن العاص، لم يكونوا أشدّ
الناس عليه، ولم يكن لهم تركاض وراء تلك الثورة.
وما قرع سمع الدنيا نداء عثمان: ويلى على ابن الحضرمية - يعني طلحة - أعطيته كذا
وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي، يحرض على نفسي.
وأن طلحة لم يقل: إن قُتل - عثمان - فلا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأنه لم يمنع
الناس عن إيصال الماء إليه.
وأن مروان لم يقتل طلحة دون دم عثمان، ولم يؤثر عنه قوله يومئذ: لا أطلب
بثأري بعد اليوم.

وأنّ الزبير ما باح بقوله: «اقتلوه فإنه غير دينكم، وأنّ عثمان لجيفة على الصراط غدا».

وأنّ عائشة ما رفعت عقيرتها بقولها: «اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر». وأنّها لم تقل لمروان: «وددتُ والله إنك وصاحبك هذا الذي يعينك أمره، في رجل كل واحد منكما رحاً وأنكما في البحر». ولم تقل لابن عباس: «إياك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية». وأنّ عمرو بن العاص لم يقل: «أنا أبو عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع، إن كنت لأحرّض عليه حتّى أني لأحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل».

وأنّ سعد بن أبي وقاص لم يبيح بقوله: «أمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه». وأنّ عثمان لم يبق جثمانه ملقى ثلاثاً في مزبلة لا يهتمّ أمره أحداً من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الصحابة العدول.

وأنّ طلحة لم يك يمنع عن تجهيزه ودفنه في مقابر المسلمين، وأنّه لم يُقبر في حشّ كوكب جبّانة اليهود، بعد ذلّ الاستخفاف.

وأنّ ما ورد^(١) من حديث أمة كبيرة من الصحابة وفيهم العمدة والدعائم، كلّ ذلك لم يصحّ.

وأنّ إمام الوقت ليس له العفو عن قصاص، كما عفى عثمان عن عُبيد الله بن عمر حين قتل هرمزان وجُفينة بنت أبي لؤلؤة بلا أيّ جريرة.

وأنّ معاوية لم يك يتشبّط عن نصرته، ولم يتربّص عليه دائرة السوء، ولم يشهد عليه عيون الصحابة بأنّ الدم المهراق عنده، وأنّه أولى رجل بأن يُقتصّ منه ويؤخذ بدم عثمان.

وأنّ عثمان لم يكن له خَلَفٌ يتولّى دمه غير معاوية.

وَأَنَّ عَلِيًّا ﷺ هُوَ الَّذِي قَتَلَ عَثْمَانَ، أَوْ آوَى قَاتِلِيهِ.

وَأَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمْ يَكْ غَائِباً عَنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ كَثْبٍ، فَعَلِمَ بِمَنْ قَتَلَهُ، وَبِمَنْ انْحَازَ عَنْ قَتْلِهِ.

وَأَنَّ مَا ادَّعَاهُ مَعَاوِيَةُ لَمْ يَكُنْ إِفْكَاً وَبُهْتاً وَزَوْراً مِنَ الْقَوْلِ، مَتَّخِذاً عَنْ شَهَادَةِ مَرْوَرَةٍ وَاخْتِلَاقٍ.

وَأَنَّ هَذِهِ الْخُصُومَةُ لَهَا شَأْنٌ خَاصٌّ لَا تَرْفَعُ كِبَقِيَّةَ الْخُصُومَاتِ إِلَى إِمَامِ الْوَقْتِ.

وَأَنَّ قِتَالَ مَعَاوِيَةَ إِنَّمَا كَانَ لَطَلَبِ قَتْلِ عَثْمَانَ فَحَسَبَ لَا لَطَلَبِ الْخِلَافَةِ.

وَأَنَّهُ لَمْ يَكْ يَرُومُ الْخِلَافَةَ فِي قِتَالِهِ بَعْدَ مَا كَانَ يَعْلَمُ نَفْسَهُ أَنَّهُ طَلِيقٌ وَابْنُ طَلِيقٍ، لَيْسَ بِبَدْرِيٍّ وَلَا لَهُ سَابِقَةٌ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَجْمَعُ شَرَائِطُ الْخِلَافَةِ، وَأَنَّهُ لَمْ تَوْهَّلْهُ لَهَا الْخَيْرَةُ وَالْإِجْمَاعُ وَالِانْتِخَابُ.

هَبْ أَنَّ الْوُقُوعَ هَكَذَا وَقَعَتْ - يَا بَنَ حَجْرٍ! - وَاغْضُضْ عَنْ كُلِّ مَا هُنَاكَ مِنْ حَقَائِقَ ثَابِتَةٍ عَلَى الضَّدِّ مِمَّا سَطَرَ.

فَهَلَّا كَانَتْ مَنَاوَاةَ مَعَاوِيَةَ لَخَلِيفَةِ وَقْتِهِ الْإِمَامِ الْمَنْصُوصِ وَالْمَجْمَعِ عَلَيْهِ خُرُوجاً عَلَيْهِ؟! وَهَلَّا كَانَ الْحَزْبُ السَّفْيَانِيُّ بِذَلِكَ بُغَاةً أَهَانُوا سُلْطَانَ اللَّهِ، وَاسْتَذَلُّوا الْإِمَارَةَ الْحَقَّةَ، وَخَلَعُوا رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ؟! فَاسْتَوْجِبُوا إِهَانَةَ اللَّهِ، يَجِبُ قِتَالُهُمْ وَدَرُؤُهُمْ عَنْ حُوزَةِ الْإِيمَانِ، وَكَانُوا مُصَادِقِينَ لِلْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَحْثِ.

إِنَّ مَعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ خَلِيفَةً وَلَا انْعَقَدَتْ لَهُ بَيْعَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَ وَالِيّاً عَمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الَّذِينَ تَصَرَّمتْ أَيَّامُ خِلَافَتِهِمْ، فَلَزِمَتْهُ بَيْعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ بِالشَّامِ، كَمَا كَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ الْإِمَامُ ﷺ، وَكَانَ تَصَدِّيهِ لِلشُّؤْنِ الْعَامَّةِ وَالْيَأَى عَلَى أَهْلِ نَاحِيَّتِهِ مُحْتَاجاً إِلَى أَمْرٍ جَدِيدٍ، أَوْ تَقْرِيرٍ لَوْلَايَتِهِ الْأُولَى مِنَ خَلِيفَةِ الْوَقْتِ. وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، إِنْ لَمْ نَقُلْ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ عَزَلَهُ عَمَّا تَوَلَّاهُ، وَإِنَّهُ سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْفَدَ عَلَيْهِ مِنْ يَبْلُغُهُ عَنْهُ لَزُومُ الطَّاعَةِ وَاللُّحُوقِ بِالْجَمَاعَةِ، كَمَا إِنَّهُ ﷺ كَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ.

حجج داحضة:

استرسل ابن حجر في تدعيم ما منّته به هواجسه اقتصاصاً منه أثر سلفه في تبرير أعمال معاوية القاسية، والاعتذار عنه بما ركبه من الموبقات، وتصحيح خلافته بإسهاب في القول وتطويل من غير طائل في الصواعق^(١) بما تنتهي خلاصة ما لّفقه إلى أمرين: أحدهما: القول باجتهاده في جملة ما ناء به وباء بإثمه، من حروب دامية، ونزاع مع خليفة الوقت، إلى ما يستتبعانه من مخاريق ومرديات من إزهاق نفوس بريئة تعدّ بالآلاف المؤلفة^(٢)، وفيهم ثلاثئة وثيّف من أهل بيعة الشجرة، وجماعة من البدرين، ولفيف من المهاجرين والأنصار، وعدد لا يستهان به من الصحابة العدول أو التابعين لهم بإحسان. وهو يحسب أنّ شيئاً من هذه التلفيقات يبرّر ما حظرتة الشريعة في نصوصها الجليلة من الكتاب والسنة، وأنّ الاجتهاد المزعوم نسّق حول معاوية سياجاً دون أن يلحقه أيّ حوب كبير، وأسدل عليه ستاراً عمّا اقترفه من ذنوب وآثام تجاه النصوص النبوية. ولم يعلم أنّه لا قيمة لاجتهادٍ هذا شأنه يتجهّم أمام النصّ، ويتهم على أحكام الدين الباتّة وطقوسه النهائية. بلغ الرجل أنّ الاجتهاد جائز على الضدّ من اجتهاد المجتهدين، وما تعقّل أنّه غير جائز على خلاف الله ورسوله.

وقصارى القول أنّه ليس عند ابن حجر ومن سبقه إلى قوله أو لحقه به^(٣) ضابطٌ للاجتهاد يتمّ طرده وعكسه، وإنّما يُططّط مع الشهوات والأهواء؛ فيُعذّر به خالد بن الوليد في فجائع بني حنيفة ومالك بن نويرة، شيخها الصالح وزعيمها المبرور،

١- الصواعق: ١٢٩-١٣١ [ص ٢١٦-٢١٨].

٢- قال ابن مزاحم: «أصيب بصفين من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، وأصيب بها من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً»؛ كتاب صفين: ٦٤٣ [ص ٥٥٨]. وذكره ابن كثير في تاريخه ٧: ٢٧٤ [٣٠٤/٧، حوادث سنة ٣٦] وقال:

«قاله غير واحد».

٣- نظراء الشيخ على القاري [٦٨٧/١]، والخفاجي في شرحي الشفا ٣: ١٦٦.

وفضائحه من قتل الأبرياء، والدخول على حليلة المؤود غيلة وخدعة^(١).

ويعذر به ابن ملجم^(٢) المرادي أشقى الآخرين بنص الرسول الأمين ﷺ على ما انتهكه من حرمة الإسلام، وقتل خليفة الحق وإمام الهدى في محراب طاعة الله، الذي اكتنفته الفضائل والفواضل من شتى نواحيه، واحتفت به النفسيات الكريمة جمعاء، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قاله من كثير طيب عداه الحصر، وكبي عنه الاستقصاء، وهو قبل هذه كلها نفس النبي الطاهرة في الذكر الحكيم.

قال محمد بن جرير الطبري في التهذيب^(٣):

أهل السير لا تدافع عنهم أن علياً أمر بقتل قاتله قصاصاً، ونهى أن يمثل به .
ولا خلاف بين أحد من الأمة أن ابن ملجم قتل علياً متأولاً، مجتهداً، مقدراً على أنه على صواب . وفي ذلك يقول عمران بن حطان :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا
إني أفكر فيه ثم أحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا .

ويبرر به عمل أبي الغادية^(٤) الفزاري قاتل عمار، الممدوح على لسان الله ولسان رسول الله ﷺ، ومن الصحيح الثابت قوله ﷺ له: «تقتلك الفئة الباغية».

ويبرئ به ساحة عمرو بن العاصي^(٥) عن وصمة مكيدة التحكيم، وقد خان فيها أمة محمد ﷺ وكسر شوكتها، وقد قال مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - فيه وفي صاحبه الشيخ المخرف:

«ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكيمين، قد نبذا حكم القرآن وراء

١ - [راجع تلخيص الغدير/ ٦٧٦]. ٢ - [راجع تلخيص الغدير/ ٥٦ - ٥٧].

٣ - تهذيب الآثار [ص ٧١، ح ٦، من مسند علي عليه السلام]؛ وسنن البيهقي ٨: ٥٨ و ٥٩.

٤ - [راجع تلخيص الغدير/ ٥٩].

٥ - راجع تاريخ ابن كثير ٧: ٢٨٣ [٧/ ٣١٤، حوادث سنة ٣٦ هـ].

ظهورهما، وأحيا ما أمات القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه، بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بيّنة، ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين»^(١).

ويُجَبِّد به ما ارتكبه يزيد الطاغية^(٢) من البوائق والطامات، من استئصال شأفة النبوة وقتل ذراريها، وسبي عقائلها، التي لم تُبق للباحث عن صحيفة حياته السوداء إلا أن يلعنه ويتبرأ منه.

ويقدّس به أذيال المتقاعدين^(٣) عن بيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، على حين اجتماع شروط البيعة الواجبة له، فماتوا ميتة جاهليّة ولم يعرفوا إمام زمانهم. ويُنزّه به السابقون الذين أوعزنا سابقاً^(٤) إلى سقطاتهم في الدين والشريعة، بأعذار عنهم لا تقلّ في الشناعة عن جرائمهم، إلى أمثال هذه مما لا يُحصى.

نعم، هناك موارد جمّة ينبو عنها الاجتهاد، فلا يُصاغ إلى مفعوله، لوقوف الميول والشهوات سدّاً دون ذلك؛ فلا يُدْرأ به التهمة عن المؤلّين على عثمان، وهم عدول الصحابة ووجوه المهاجرين والأنصار، وأعيان المجتهدين، الذين أخذوا الكتاب والسنة من نفس رسول الله ﷺ، فهم عند ابن حزم المبرّر لفتكة أشقى مراد باجتهاده المشوم: فسّاق، ملعونون، محاربون، سافكون دماً حراماً عمداً^(٥).

وعند ابن تيميّة: قوم خوارج مفسدون في الأرض، لم يقتله إلا طائفة قليلة باغية ظالمة، وأمّا الساعون في قتله فكلّهم مخطئون، بل ظالمون باغون معتدون^(٦).

١- أنظر الإمامة والسياسة [١٢٣/١]؛ وشرح ابن أبي الحديد [٢٥٩/٢، خطبة ٣٥].

٢- راجع تاريخ ابن كثير ٨: ٢٢٣ و ١٣: ١٠ [٢٤٥/٨، سنة ٦٣: ١٢/١٣، حوادث سنة ٥٩٠ هـ] فيه قول أبي

الخير القزويني: «إنه إمام مجتهد».

٣- راجع: مستدرک الحاكم ٣: ١١٥-١١٨ [١٢٤/٢-١٢٧، ح ٤٥٩٦-٤٦٠٥].

٥- الفصل لابن حزم ٤: ١٦١.

٤- من ص ١١١ إلى هنا من كتابنا هذا.

٦- منهاج السنة ٣: ١٨٩ و ٢٠٦.

وعند ابن كثير: أجلاف أخلاط من الناس، لا شك أنهم من جملة المفسدين في الأرض، بغاة خارجون على الإمام، جهلة، متعنتون، خونة، ظلمة، مفترون^(١).
وعند ابن حجر: بغاة، كاذبون، ملعونون، معترضون، لا فهم لهم بل ولا عقل^(٢).
ولو كان للاجتهاد منتوج مقرر فلم لم يتبع في إرجاء أمير المؤمنين ﷺ أمر المتهمين بقتل عثمان إلى ما يراه من المصلحة، فينتصب للقضاء فيه على ما يقتضيه الكتاب والسنة؛ فشئت عليه الغارات يوم الجمل وفي واقعة صفين، وكان من ذيولها وقعة الحروريين؛ فلم يتبع اجتهاد خليفة الوقت الذي هو باب مدينة علم النبي، وأقضى الأمة بنص من الصادق المصدق، لكننا اتبع اجتهاد عثمان في العفو عن عبيد الله بن عمر في قتله لهرمزان وبنت أبي لؤلؤة، وإهدار ذلك الدم المحرم من غير أي حجة قاطعة أو برهنة صحيحة؛ فلو كان للخليفة مثل ذلك العفو فلم لم يجر حكمه في الآوين إلى مولانا أمير المؤمنين من المتجمهرين على عثمان؟!

ولم يكن يومئذ من المقطوع به ما سوف يقضي به الإمام من حكمه البات؛ أيعطي دية المقتول من بيت المال لأنه أودي به بين جمهرة المسلمين لا يعرف قاتله، كما فعله في أربد الفزاري^(٣)؟ أو أنه يراهم من المجتهدين - وكانوا كذلك - الذين تأولوا أصابوا أو أخطأوا؟ أو أنه كان يرى من صالح الخلافة واستقرار عروشها أن يرجئ أمرهم إلى ما وراء ما انتابه من المثلات؟ وما هنالك من إرجاف وتعكير يُقلقان السلام والوئام، حتى يتمكن من الحصول على تدعيم عرش إمرته الحقّة المشروعة.
فعلى أي من هذه الأقضية الصحيحة كان ينوء الإمام ﷺ به، فلا حرج عليه

١- تاريخ ابن كثير ٧: ١٧٦ و ١٨٦ و ١٨٧ [١٩٨/٧ و ٢٠٩، حوادث سنة ٣٥هـ].

٢- الصواعق المحرقة: ٦٧ و ٦٨ و ١٢٩، [ص ١١٣ و ٢١٧].

٣- راجع كتاب صفين: ١٠٦ [ص ٩٤]، شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٧٩ [١٧٤/٣، الأصل ١٤٦].

ولا تثريب، لكن سيف البغي الذي شهروه في وجهه، أبى للقوم إلا أن يتبع الحق أهواءهم. وماذا نقموا عليه - صلوات الله عليه - من تلكم الاحتملات؟! حتى يسوغ لهم إلحاق الحرب الزبون التي من جرّائها تطايرت الرؤوس، وتساقطت الأيدي، وأرهقت نفوس بريئة، وأريق دماء محترمة. فبأيّ اجتهاد بادروا إلى الفرقة، وتحملوا أوزارها، ولم تتجلّ لهم حقيقة الأمر ولباب الحق؟! لكنهم ابتغوا الفتنة؟! وقلّبوا له الأمور، ألا في الفتنة سقطوا.

ومن أعجب ما يُتراءى من مفعول الاجتهاد في القرون الخالية: أنه يبيح سبّ عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وسبّ كلّ صحابيٍّ احتذى مثاله، ويجوّز لأيّ أحد كيف شاء وأراد لعنهم، والوقية فيهم، والنيل منهم، في خطب الصلوات، والجمعات، والجماعات، وعلى صهوات المنابر، والقنوت بها، والإعلان بذلك في الأندية والمجتمعات، والخلاّ والملاّ، ولا يلحق لفاعلها ذمّ ولا تبعة، بل له أجر واحد لاجتهاده خطأ، وإن كان هو من حثالة الناس، وسفلة الأعراب، وبقايا الأحزاب، البعداء عن العلوم والمعارف.

وأما عليّ وشيعته فلا حقّ لهم في بيان ظلامتهم عند مناوئتهم، والوقية في خصمائهم، ومبلغ إسفافهم إلى هوة الضلالة، على حدّ قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾^(١) وليس لأحدهم في الاجتهاد في ذلك كلّ نصيب، ولو كان ضليعاً في العلوم كلّها؛ فإن أحد منهم نال من إنسان من أولئك الظالمين فمن الحقّ ضربه وتأديبه، أو تعذيبه وإقصاؤه، أو التنكيل به وقتله، ولا يؤبه باجتهاده المؤدّي إلى ذلك صواباً أو خطأ. وعلى هذا عمل القوم منذ أوّل يوم أسّس أساس الظلم والجور، وهلمّ جرّاً حتى اليوم الحاضر.

راجع معاجم السيرة والتاريخ؛ فإنها نعم الحكم الفصل. وبين يدك كلمة ابن حجر في الصواعق^(١) قال في لعن معاوية:

وأما ما يستبيحه بعض المبتدعة من سبّه ولعنه فله فيه أسوة، أي أسوة بالشيخين
وعثمان وأكثر الصحابة، فلا يُلْتَفَت لذلك، ولا يُعَوَّل عليه؛ فإنه لم يصدر إلا من
قوم حمقى، جهلاء، أغبياء، طغاة، لا يبالي الله بهم في أيّ وادٍ هلكوا، فلعنهم
الله وخذلهم، أقبح اللعنة والخذلان، وأقام على رؤوسهم من سيوف أهل السنة،
وفي حججهم المؤيدة بأوضح الدلائل والبرهان ما يقمعهم عن الخوض في تنقيص
أولئك الأئمة الأعيان!

أتعلم مَنْ لعن ابن حجر؟! وإلى من تتوجّه هذه القوارص؟! انظر إلى حديث لعن
رسول الله ﷺ معاوية، وأحاديث لعن عليّ أمير المؤمنين، وقنوته بذلك في صلواته،
ولعن ابن عباس، وعمار، ومحمد بن أبي بكر، ودعاء أم المؤمنين عائشة عليه في دبر
الصلاة، وآخرين من الصحابة، اقرأ واحكم!!

- ٨٤ -

مواقف معاوية

مع أبي محمد الحسن السبط ﷺ

إنّ لابن آكلة الأكباد مع السبط المجتبى مواقف تقشعُرُ منها الجلود، وتقفّ منها
الشعور، وتندى منها جبهة الإنسانيّة، ويلفظها الدين الحفاظ، وينبذها العدل
والإحسان، وينكرها كرم الأرومة وطيب المحتد، ارتكبها معاوية مستسهلاً كلّ ذلك،
مستهيناً بأمر الدين والمروءة.

من هو الحسن عليه السلام؟ :

لا أقلّ من أن يكون هو سلام الله عليه أَوْحدياً من المسلمين، وأحد حملة القرآن، وممن أسلم وجهه لله وهو محسن، يحمل بين أضالعه علوم الشريعة، ومغازي الكتاب والسنة، والملكات الفاضلة جمعاء، وهو القدوة والأسوة في مكارم الأخلاق، ومعالم الإسلام المقدّس؛ فمن المحذور في الدين الحنيف النيل منه، والوقية فيه، وإيذائه، ومحاربتة، على ما جاء لهذا النوع من المسلمين من الحدود في شريعة الله؛ فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

أضف إلى ذلك: أنّه صحابيٌّ مبجلّ ليس في أعيان الصحابة بعد أبيه الطاهر من يمثله ويساجله، ودون مقامه الرفيع ما للصحابة عند القوم من العدالة والشأن الكبير. وأعظم فضائله: أنّه ليس بين لابي العالم من يستحقّ الإمامة والافتداء به واحتذاء مثاله يومئذٍ غيره، لفضله وقرابته؛ فهو أولى صحابيٍّ ثبت له ما أثبتوه لهم من الأحكام، فلا يجوز منافرتة والصدّ عنه، والإعراض عن آرائه وأقواله، وارتكاب مخالفتة، وما يجلب الأذى إليه من السبّ له، والهتك لمقامه، واستصغار أمره.

زد عليه: أنّه سبط رسول الله وبضعته من كريمته سيّدة نساء العالمين، لحمه من لحمه، ودمه من دمه؛ فيجب على معتنقي تلك النبوة الخاتمة حفظ صاحب الرسالة فيه، والحصول على مرضاته، وهو لا يرضى إلّا بالحقّ الصراح والدين الخالص. وهو عليه السلام قبل هذه كلّها أحد أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وهو أحد من أثنى عليهم الله بسورة هل أتى، الذين يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً.

وهو من ذوي قربى رسول الله ﷺ الذين أوجب الله موادّتهم وجعلها أجر الرسالة.

وهو أحد من باهل بهم رسول الله ﷺ نصارى نجران كما جاء في الذكر الحكيم .
وهو أحد الثقلين اللذين خلفهما النبي الأعظم ﷺ بين أُمته ليقتردي بهم وقال :
«ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً» .

وهو من أهل بيت مثلهم في الأُمة : «مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» .
وهو من الذين أوجب الله الصلاة عليهم في الفرائض ، ومن لم يُصلّ عليهم لا صلاة له .
وهو أحد من خاطبهم النبي ﷺ بقوله : «أنا حربٌ لمن حاربتهم ، وسلمٌ لمن سالمهم» .
وهو أحد أهل خيمة خيمها رسول الله ﷺ فقال : «معشر المسلمين ! أنا سلمٌ لمن
سالم أهل الخيمة ، حربٌ لمن حاربه ، وليّ لمن والاهم ، لا يحبهم إلّا سعيد الجدّ طيّب
المولد ، ولا يبغضهم إلّا شقيّ الجدّ رديء الولادة» .

وهو أحد ريحانتي رسول الله ﷺ كان يشمّهما ويضمّهما إليه .
وهو وأخوه الطاهر «سيّدا شباب أهل الجنة» .
وهو حبيب رسول الله ﷺ كان يأمر بحبّه قائلاً : «اللهمّ إني أحبّه فأحبّه ، وأحبّ
من يحبّه» .

وهو أحد أحد السبطين كان جدّهما ﷺ يأخذهما على عاتقه ويقول : «من أحبّهما
فقد أحبّني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني» .

وهو أحد اللذين أخذ رسول الله ﷺ بيدهما فقال : «من أحبّني وأحبّ هذين
وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة» .

وهو أحد ابني رسول الله ﷺ كان يقول ﷺ : «الحسن والحسين ابناي من أحبّهما
أحبّني ، ومن أحبّني أحبّه الله ، ومن أحبّه الله أدخله الجنة ، ومن أبغضهما أبغضني ومن
أبغضني أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله النار» .

هذا هو الإمام الحسن المجتبي عليه السلام. وأما معاوية ابن آكلة الأكباد فهو صاحب تلك الصحيفة السوداء التي مرّت عليك^(١). وأما جنائيات معاوية على ذلك الإمام المطهّر فقد سارت بها الركبان، وحفظ التاريخ له منها صحائف مشوّهة المجلى، مسوّدة الهندام؛ فهو الذي باينه وحاربه وانتزع حقّه الثابت له بالنصّ والمجدارة، وخان عهوده التي اعترف بها عندما تنازل الإمام عليه السلام له بالصلح حقناً لدماء شيعته، وحرصاً على كرامة أهل بيته، وصوناً لشرفه الذي هو شرف الدين، وما كان يرمى إليه معاوية ويعلمه الإمام عليه السلام بعلمه الواسع من أنّ الطاغية ليس بالذي يقتله إن استحوذ عليه، لكنّه يستبقه ليمنّ بذلك عليه، ثمّ يطلق سراحه، وهو بين أنيابه ومخالبه، حتّى يقابل به ما سبق له ولأسلافه طواغيت قريش يوم الفتح، فلكنهم رسول الله ﷺ أرقاء له، ثمّ منّ عليهم وأطلقهم، فسّموا الطلقاء وبقي ذلك سبّة عليهم إلى آخر الدهر، فراق داهية الأمويين أن تكون تلك الشية ملصقة ببني هاشم سبّة عليهم، لكنّه أكدت آماله، وأخفقت ظنونه، وفشل ما ارتآه بهذا الصلح الذي كان من ولائده الإبقاء على شرف البيت الهاشمي، ودرء العار عنهم، إلى نتائج مهمّة، كلّ منها كان يلزم الإمام عليه السلام بالصلح على كلّ حال، وإن كان معاوية هو الخائن المائن في عهوده ومواثيقه، والكائد الغادر بإله وذمّته، فعهد إليه أن لا يسبّ أباه على منابر المسلمين، وقد سبّه وجعله سنّة متّبعة في الحواضر الإسلامية كلّها.

وعهد إليه أن لا يتعرّض لشبهة أبيه الطاهر بسوء، وقد قتلهم تقتيلاً، واستقرأهم في البلاد تحت كلّ حجر ومدر، فطنّب عليهم الخوف في كلّ النواحي بحيث لو كان يقذف الشيعي باليهودية لكان أسلم له من انتسابه إلى أبي تراب سلام الله عليه.

وعهد إليه أن لا يعهد إلى أحد بعده وكتب إليه سلام الله عليه: إن أنت أعرضت عمّا

أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت، وأجريت لك ما شرطت، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس:

وإن أحد أسدى إليك أمانةً فأوف بها تدعى إذا متّ وافياً
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفه إن كان في المال فانياً
ثمّ الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها^(١).

ومع هذا عهد إلى جروه ذلك المستهتر الماجن بعدما قتل الإمام السبط ليصفوه له الجوّ.

ولمّا تصالحا كتب به الحسن كتاباً لمعاوية صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما صالح عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان. صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمّهم، وعلى أن أصحاب عليّ وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وأن لا يبتغي للحسن بن عليّ ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله ﷺ غائلة سرّاً وجهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق، أشهد عليه فلان ابن فلان وكفى بالله شهيداً»^(٢).

فلما استقرّ له الأمر ودخل الكوفة وخطب أهلها فقال: يا أهل الكوفة! أتراني

١ - شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٣ [٣٧/١٦]، الوصية ٣١.

٢ - الصواعق لابن حجر: ٨١ [ص ١٣٦].

قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون؟ ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم - إلى أن قال -: وكل شرط شرطه فتحت قدمي هاتين.

وقال أبو إسحاق السبيعي: «إن معاوية قال في خطبته بالنخيلة: ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدمي هاتين لا أفي به»^(١). قال أبو إسحاق: «وكان والله غداراً».

وكان الرجل الذي خصم ذلك السبط المفضي، وقد خفر ذمته، واستهان بأمره واستصغره، وهو الإمام العظيم، وقطع رحمه، وما راعى فيه جدّه النبيّ العظيم، ولا أباه الوصيّ المقدّم، ولا أمّه الصديقة الطاهرة، ولا نفسه الكريمة التي اكتنفها الفضائل والفواضل من شتى نواحيها، ولم ينظر فيه ذمّة الإسلام، ولا حرمة الصحابة، ولا مقتضى القرابة، ولا نصوص رسول الله ﷺ فيه. ولعمر الحق لو كان مأموراً بقطعه وبغضه ومباينته لما وسعه أن يأتي بأكثر ممّا جاء به، وناء بعبئه، وباء بإثمه؛ فقد قنت بلعنه في صلواته التي تلعن صاحبها؛ قال أبو الفرج: «حدّثني أبو عبيد محمد ابن أحمد قال: حدّثني الفضل بن الحسن المصري، قال: حدّثني يحيى بن معين، قال: حدّثني أبو حفص اللبّان، عن عبدالرحمن بن شريك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حبيب بن أبي ثابت قال: خطب معاوية بالكوفة حين دخلها والحسن والحسين جالسان تحت المنبر فذكر عليّاً فنال منه، ثمّ نال من الحسن، فقام الحسين ليردّ عليه فأخذه الحسن بيده فأجلسه ثمّ قام فقال: «أيها الذاكر عليّاً! أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأمك هند، وجدّي رسول الله وجدّك عتبة بن ربيعة، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة؛ فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمننا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً».

فقال طوائف من أهل المسجد: آمين. قال الفضل: قال يحيى بن معين: وأنا أقول: آمين. قال أبو الفرج: قال أبو عبيد: قال الفضل: وأنا أقول: آمين. ويقول علي بن الحسين الأصفهاني: آمين. قلت: ويقول عبد الحميد بن أبي الحديد مصنف هذا الكتاب: آمين^(١). قال الأميني: وأنا أقول: آمين.

وآخر ما نفض به كنانة غدر الرجل أن دس إليه ﷺ السمّ النقيع، فلقى ربّه شهيداً مكموذاً، وقد قطع السمّ أحشاءه. قال ابن سعد في الطبقات^(٢):

سمّه معاوية مراراً؛ لأنه كان يقدم عليه الشام هو وأخوه الحسين. وقال الواقدي: «إنه سقى سمّاً ثم أفلت، ثم سقى فأفلت، ثم كانت الآخرة توفي فيها، فلما حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه: هذا رجل قطع السمّ أمعاءه؛ فقال الحسين: «يا أبا محمد! أخبرني من سقاك؟» قال: «ولم يا أخي؟» قال: «أقتله والله قبل أن أدفئك، وإن لا أقدر عليه أو يكون بأرض أتكلّف الشخوص إليه». فقال: «يا أخي إنما هذه الدنيا ليالٍ فانية، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله، وأبى أن يسمّيه». وقد سمعتُ بعض من يقول: كان معاوية قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سمّاً^(٣).

وذكر: أن امرأته جعدة بنت أشعث بن قيس الكندي سقته السمّ، وقد كان معاوية دس إليها أنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمئة ألف درهم، وزوجتك يزيد؛ فكان ذلك الذي بعثها على سمّه؛ فلما مات الحسن وفي لها معاوية بالمال وأرسل إليها: إنا نحبّ حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه!

١ - شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٦ [٤٦/١٦ - ٤٧، الوصية ٣١].

٢ - تميم طبقات ابن سعد [١/٣٥٢، ح ٣١٥].

٣ - تاريخ ابن كثير ٨: ٤٣ [٤٧/٨، حوادث سنة ٤٩ هـ].

وذكر: أن الحسن قال عند موته: «لقد حاقت شربته، وبلغ أمنيته، والله ما وفي بما وعد، ولا صدق فيما قال».

وقال: كان الحصين بن المنذر الرقاشي يقول: «والله ما وفي معاوية للحسن بشيء مما أعطاه؛ قتل حُجراً وأصحاب حُجر، وباع لابنه يزيد، وسمَّ الحسن»^(١).

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار^(٢) في الباب الحادي والثمانين:

جعل معاوية لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مئة ألف درهم حتى سمّته،

ومكث شهرين، وأنه يرفع من تحته طستاً من دم وكان يقول: «سُقت السم

مراراً ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرأة، لقد لفظت كبدي».

كان معاوية يرى أمر الإمام السبط عليه السلام حرج عثرة في سبيل أمنيته الخبيثة بيعة

يزيد، ويجد نفسه في خطر من ناحيتين: عهده إليه عليه السلام في الصلح معه بأن لا يعهد إلى أحد

من جانب، وجدارة أبي محمد الزكيّ ونداء الناس به من ناحية أخرى؛ فنجّى نفسه عن

هذه الورطة بسمّ الإمام عليه السلام، ولما بلغه نعيه غداً مستبشراً، وأظهر الفرح والسرور

وسجد وسجد من كان معه.

وفي حياة الحيوان^(٣)، وتاريخ الخميس^(٤): قال ابن خلكان^(٥):

لما مرض الحسن كتب مروان بن الحكم إلى معاوية بذلك وكتب إليه معاوية:

أن أقبل المطيَّ إليّ بخبر الحسن. فلما بلغ معاوية موته سمع نكيرة من

الخضراء فكبر أهل الشام لذلك التكبير. فقالت فاختة بنت قريظة لمعاوية: أقرّ

الله عينك، ما الذي كثرت لأجله؟ فقال: مات الحسن. فقالت: أعلّى موت

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧ [١٦/١٧، الوصية ٣١].

٢- حياة الحيوان ١: ٥٨ [١/٨٣-٨٤].

٣- ربيع الأبرار [٤/٢٠٨].

٤- وفیات الأعيان [٢/٦٦-٦٧].

٥- تاريخ الخميس ٢: ٢٩٤، وفي طبعة: ٣٢٨.

ابن فاطمة تكبر؟ فقال : ما كبرتُ شماتةً بموته ، ولكن استراح قلبي^(١) . ودخل عليه ابن عباس فقال : يا ابن عباس هل تدري ما حدث في أهل بيتك؟! قال : لا أدري ما حدث إلا أنني أراك مستبشراً وقد بلغني تكبيرك . فقال : مات الحسن . فقال ابن عباس : رحم الله أبا محمد - ثلاثاً - والله يا معاوية! لا تسد حفرته حفرتك ، ولا يزيد عمره في عمرك ، ولئن كنا أصبنا بالحسن فلقد أصبنا بإمام المتقين وخاتم النبيين ، فحبر الله تلك الصدعة ، وسكن تلك العبرة ، وكان الخلف علينا من بعده .

وكان ابن هند جذلان مستبشراً بموت الإمام أمير المؤمنين ﷺ قبل ولده الطاهر السبط .

ولإرضاء معاوية مُنع ذلك الإمام الزكي عن أن يقوم أخوه الحسين السبط بإنجاز وصيته ويدفنه في حجرة أبيه الشريفة التي هي له ، وهو أولى إنسان بالدفن فيها . قال ابن عساكر^(٢) :

قال مروان : «ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله ، وقد دفن عثمان بالبقيع» . ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك ، فلم يزل عدواً لبني هاشم حتى مات .

هذه نماذج من جنایات معاوية على ریحانة الرسول ﷺ ولعلّ فيما أنساه التاريخ

١- إلى هاهنا ذكره الزمخشري أيضاً في ربيع الأبرار [٢٠٩/٤] في الباب الحادي والثمانين ، والبدخشي في نُزُل الأبرار [ص ١٤٧-١٤٨] .

٢- تاريخ مدينة دمشق ٤ : ٢٢٦ [٢٨٧/١٣ و ٢٨٨ ، رقم ١٣٨٣] ، وفي مختصر تاريخ دمشق [٤٢/٧] ، وانظر أيضاً البداية والنهاية لابن كثير [٤٨/٨ ، حوادث سنة ٤٩ هـ] .

أضعافها. وهل هناك مسائل ابن حرب عما اقترفه السبط المجتبي سلام الله عليه من ذنب استحق من جرّائه هذه النكبات والعظائم؟! وهل يسع ابن آكلة الأكباد أن يعدّ منه شيئاً في الجواب؟! غير أنّه عليه السلام كان سبط محمد ﷺ وقد عطل دين آباء الرجل الذي فارقه كرهاً ولم يعتنق الإسلام إلاّ فرّقا، وأنّه شبل عليّ خليفة الله في أرضه بعد نبيه ﷺ وهو الذي مسح أسلافه الوثنيين بالسيف، وأثكلت أمّهات البيت الأمويّ بأجريتتهن^(١).

ولما ينقضي حزن معاوية على أولئك الطغمة حتّى تشقّ بأنواع الأذى التي صبّها على الإمام المجتبي إلى أن اغتاله بالسّم النقيع، ولم يملك نفسه حتّى استبشر بموته، وسجد شكراً. وأنا لا أدري ألاته سجد أم لله سبحانه؟! وإنّ لسان حاله كان ينشد ما تظاهر به مقول نغله يزيد:

قد قتلتُ القُرُومَ من ساداتهم	وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدلُ
ليت أشياخي بدرٍ شهدوا	جزعَ الحزرج من وقع الأسلُ
لعبت هاشمُ بالملك فلا	خبرُ جاء ولا وحيّ نزلُ

وأنّه بضعة الزهراء فاطمة الصديقة حبيبة رسول الله ﷺ ومنها نسله الذين ملأوا الدنيا أوضاحاً وغرراً من الحسب الوضّاء، والشرف الباذخ، والدين الحنيف، كلُّ ذلك ورغبات معاوية على الضدّ منها، وما تغنيه الآيات والنذر.

وفي الذكر الحكيم: «سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْفِتْنِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ»^(٢).

- ٨٥ -

معاوية وشيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

لم يبرح معاوية مستصغراً كل كبيرة في توطيد سلطانه، مستسهلاً دونه كل صعب، فكان من الهين عنده في ذلك كل بائقة. ومن ذلك دأبه على سفك دماء الشيعة - شيعة الإمام الطاهر - في أقطار حكومته، وفي جميع مناطق نفوذه، واستباحة أموالهم وأعراضهم، وقطع أصولهم بقتل ذراريهم وأطفالهم، ولم يستثن النساء، وهم المعنيون ببناء صاحب الرسالة ﷺ^(١).

وهب أن هذا الثناء لم يصدر من مصدر النبوة، أو أن روايته لم تبلغ ابن آكلة الأكباد، فهل هم خارجون عن ربة الإسلام المحرم للنفوس والأموال والمحرمات بكتابه وسنة نبيه؟! وهل اقترفوا إثماً لا يغفر أو عثروا عثرة لا تُقال غير ولايتهم لإمام أجمع المسلمون على خلافته، وحث النبي ﷺ أمته على اتباعه وولائه إثر ما نزل في كتاب الله من ولايته؟! أو أن ابن صخر حصل على حكم لم يعرفه المسلمون يعارض كل تلکم الأحكام الواردة في الكتاب والسنة؟! أو أنه لا يتحوب بارتكاب الموبقات فيلغ في الدماء ولو غاً؟! في الدماء ولو غاً؟!

بعث بسر بن أرطاة بعد تحكيم الحكيم وعلي بن أبي طالب عليه السلام يومئذٍ حي، وبعث معه جيشاً آخر، ووجه برجل من عامر ضم إليه جيشاً آخر، ووجه الضحّاك ابن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه، وأن يغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفوا أيدهم عن النساء والصبيان؛ فمر بسر لذلك على وجهه حتى انتهى إلى المدينة فقتل بها ناساً من أصحاب علي عليه السلام وأهل هواه، وهدم بها دوراً، ومضى إلى مكة فقتل

نفرًا من آل أبي لهب. ثم أتى السراة فقتل من بها من أصحابه. وأتى نجران فقتل عبدالله ابن عبدالمدان الحارثي وابنه، وكانا من أصحاب بني العباس عامل علي عليه السلام. ثم أتى اليمن وعليها عبيدالله بن العباس عامل علي بن أبي طالب وكان غائبًا. وقيل: بل هرب لما بلغه خبر بُسر فلم يصادفه بُسر ووجد ابنين له صبيّين فأخذهما بُسر لعنه الله^(١) وذبحهما بيده بمديّة كانت معه، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية.

وفعل مثل ذلك سائر من بعث به؛ فقصّد العامري إلى الأنبار فقتل ابن حسان البكري وقتل رجالاً ونساءً من الشيعة. قال أبو صادق^(٢):

أغارَت خيلٌ لمعاوية على الأنبار فقتلوا عاملاً لعلي عليه السلام يقال له: حسان بن حسان، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساءً؛ فبلغ ذلك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فخرج حتى أتى المنبر فركبه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال:

«إِنَّ الجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ تَرَكَه أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذَّلَّةِ، وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ، وَرَيْبٌ بِالصَّغَارِ وَسِيمُ الْخُسْفِ. وَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ: أَغْزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ فَإِنَّهُ لَمْ يُغْزَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا؛ فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ وَتَرَكْتُمْ قَوْلِي وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا، حَتَّى شَنَنْتُ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتِ. هَذَا أَخُو عَامِدٍ قَدْ جَاءَ الْأَنْبَارَ فَقَتَلَ عَامِلَهَا حَسَّانَ بْنَ حَسَّانٍ وَقَتَلَ رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وَاللَّهُ بَلْغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ وَالْأُخْرَى الْمَعَاهِدَةَ فَيَنْزِعُ حَجْلَهَا وَرِعَاتَهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ مَوْفُورِينَ لَمْ يَكَلِّمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ كَلِمًا، فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمًا مَاتَ دُونَ هَذَا أَسْفًا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ جَدِيرًا...»^(٣).

قالوا: ولما بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بُسر الصبيّين جزع لذلك جزعاً شديداً،

١- كذا جاء في غير موضع من لفظ الحديث.

٢- أخرجه أبو الفرج مسنداً، حذفنا إسناده روماً للاختصار [الأغاني ١٦/٢٨٦-٢٨٧ وفيه: «عن أبي صادق»].

٣- نهج البلاغة [ص ٦٩، خطبة ٢٧].

ودعا على بُسر لعنه الله فقال: «اللهم اسلبه دينه، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله»؛ فأصابه ذلك وفقد عقله، وكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زقّ منفوخ فلا يزال يضربه حتى يسأم^(١).

كان بُسر بن أرطاة^(٢) قاسي القلب، فظاً سفاكاً للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة، فأمره معاوية أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلدٍ أهلّه على طاعة عليٍّ إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاء لهم، وأنك محيطٌ بهم، ثم اكف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبي فاقتله، واقتل شيعة عليٍّ حيث كانوا.

وفي شرح ابن أبي الحديد^(٣): «...كتب [معاوية] إلى عمّاله: إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة؛ فإنّ هذا أحبُّ إليّ، وأقرُّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدُّ إليهم من مناقب عثمان وفضله.

ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا إلى من قامت عليه البيّنة أنّه يحبُّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره...».

١- الأغاني ١٥: ٤٤-٤٧ [٢٨٥/١٦-٢٩٢]؛ تاريخ ابن عساكر ٣: ٢٢٣ [١٠/١٥٢-١٥٣]؛ وفي مختصر تاريخ

دمشق ٥/ ١٨٤؛ الاستيعاب ١: ٦٥ [القسم الأول / ١٦٠، رقم ١٧٤]؛ النزاع والتخاصم: ١٣ [ص ٢٨]؛

تهذيب التهذيب ١: ٤٣٥ و ٤٣٦ [١/٣٨١-٣٨٢].

٢- ويقال: «ابن أبي أرطاة».

٣- شرح نهج البلاغة ٣: ١٥ [١١/٤٤-٤٥، خطبة ٣٢].

استخلف زياد على البصرة سمرة بن جندب لما كتب معاوية إلى زياد بعهدده على الكوفة والبصرة، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكوفة وستة أشهر بالبصرة، وسمرة من الذين أسرفوا في القتل على علم من معاوية بل بأمر منه.

أخرج الطبري^(١) من طريق محمد بن سليم، قال: «سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يُحصى من قتل سمرة بن جندب؟ استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس؛ فقال له معاوية: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت، أو كما قال.

قال أبو سوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن».

أعطى معاوية سمرة بن جندب من بيت المال أربعمئة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام بأن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُغْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٢) نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. وأن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٣) نزل في ابن ملجم أشقى مراد^(٤).

وفي مقدم عمال معاوية الحاملين عدااء سيّد العترة، المهاجمين على شيعة آل الله بكل قوى متيسرة: زياد بن سمية. ومن الزائد جداً بحثنا عن جرائمه الوبيلة التي حفظها له التاريخ، واسودّت بها صفحات تاريخه، ولا بدع وهو وليد البغاء من الأدعياء المشهورين، ربيب حجر سمية البغي، والإناء إنما يترشح بما فيه، والشوك لا يثمر

١- تاريخ الطبري ٦: ١٣٢ [٥/٢٣٧، حوادث سنة ٥٠ هـ].

٢- البقرة: ٢٠٧.

٣- البقرة: ٢٠٤-٢٠٥.

٤- شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٦١ [٤/٧٣، خطبة ٥٦].

العنب . وقد صدق النبي الكريم في قوله ﷺ في السبطين ووالديهما : « لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضهم إلا شقي الجد ردي المولد »^(١) . وكان السلف يبور أولادهم^(٢) بحب علي ﷺ فمن كان لا يحبه علموا أنه لغير رشدة^(٣) ؛ فلا تعجب من الدعي ومن كتابه القارص إلى الإمام السبط الحسن الزكي ﷺ قد شفع إليه في رجل من شيعته .

قال ابن عساكر :

كان سعد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب ، فلما قدم زياد الكوفة والياً عليها أخافه وطلبه زياد فأتي الحسن بن علي فوثب زياد على أخيه وولده وامراته وحبسهم وأخذ ماله وهدم داره ؛ فكتب الحسن إلى زياد : « من الحسن بن علي إلى زياد . أما بعد : فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، فهدمت داره ، وأخذت ماله وعباله فحبستهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره ، واردد عليه عياله وماله ، فإنني قد أجرته فشفعني فيه » . فكتب إليه زياد :

من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة . أما بعد : فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي وأنت طالب حاجة وأنا سلطان ، وأنت سوقة كتبت إلي في فاسق لا يؤبه به ، وشر من ذلك توليه أباك وإيّاك ، وقد علمت أنك أدنيتة إقامة منك على سوء الرأي ورضى منك بذلك ، وإيم الله لا تسبقني به ، ولو كان بين جلدك ولحمك ، وإن نلت بعضك فغير رفيق بك ولا مرع عليك ، فإن أحب لحم إلي أن أكل منه اللحم الذي أنت منه ، فسلمه بجريته إلى من هو أولى به

٢ - [أي : يختبرون طيب مولدهم] .

١ - أنظر الرياض ٢ : ١٨٩ [١٣٦/٣] .

٣ - أسنى المطالب : ٨ [٥٧ و ٥٨] .

منك ، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه ، وإن قتلته لم أقتله إلا لحبه أباك
الفاسق ، والسلام^(١) .

ولما بلغ موته ابن عمر قال : «يا بن سمية لا الآخرة أدركت ولا الدنيا بقيت عليك» .
كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي عليه السلام .
وفي لفظ البيهقي : «يحرضهم على البراءة من علي كرم الله وجهه ؛ فلأمنهم المسجد
والرحبة فمن أبي ذلك عرضه على السيف» .

قال الأميني: هلمّ معي نقرأ هذه الصحائف السوداء المحشوة بالمخازي وشية العار،
المملوءة بالموبقات والبوائق؛ فننظر هل في الشريعة البيضاء، أو في نواميس البشرية، أو
في طقوس العدل مساعٍ لشيء منها؟!

دع ذلك كله هل تجد في عادات الجاهلية مبرراً لشيء من تلكم الهمجية؟! وهل
فعل أولئك الأشقياء الأشداء في أيّامهم المظلمة فعلاً يربو على مخاريق ابن هند؟!
لا . وإنك لا تسمع عن أحد ممن يحمل عاطفة إنسانية - ولا أقول ممن يعتنق الدين
الحنيف فحسب - يستبيح شيئاً من ذلك ، أو يجذّ مخزاةً من تلكم المخازي . وهل تجد
معاوية وهذه جنائياته من مصاديق قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي رُجُومِهِمْ مِّنْ أَثَرِ
السُّجُودِ...﴾^(٢)؟! فهل ترى ابن أبي سفيان خارجاً عنهم؟! فليس هو من رسول الله ﷺ
ولا ممن معه ، ولا رحيماً بهم .

أو أن من ناوأه وعاداه وسبّه وآذاه وقتله وهتكه خارجون عن ربة الإسلام؟!
فهو شديدٌ عليهم وهم خيرة أمة محمد المسلمة ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من
الله ورضواناً . فالحكم للنصفة لا غيرها .

١ - تاريخ ابن عساكر ٥: ٤١٨ [١٩/ ١٩٨ ، رقم ٢٣٠٩ ، وفي مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٨٦]؛ شرح ابن الحديد ٤: ٧٢ و ٧٣

[١٦/ ١٨ ، كتاب ٣١ ، ص ١٩٤ ، كتاب ٤٤] . ٢ - الفتوح : ٢٩ .

كَأَنَّ هَاهُنَا نَسِيت ثَارَاتِ عَثْمَانَ وَعَادَتِ تَبِيعَةُ أَوْلَئِكَ الْمُضْطَهْدِينَ مُحْضَ وِلَاءِ عَلِيٍّ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ وَلايَتَهُ بِوَلايَتِهِ وَوِلَايَةِ رَسُولِهِ، وَحَبَّبَهُمْ لِمَنْ يَحِبُّهُ اللَّهُ
 وَرَسُولَهُ، وَطَاعَتَهُمْ لِمَنْ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، وَوَدَّهُمْ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ وَدَّهُ أَجْرَ الرِّسَالَةِ. فَلَمْ
 يَقْصِدْ مُعَاوِيَةُ وَعَمَّالُهُ أَحَدًا بِسُوءٍ إِلَّا هُوَ لَاءٌ، فَطَفِقَ يَرْتَكِبُ مِنْهُمْ مَا لَا يُرْتَكَبُ إِلَّا مِنْ
 أَهْلِ الرَّدَّةِ وَالْمُحَادَّةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ؛ فَكَانَ الطَّرِيدُ اللَّعِينُ ابْنُ الطَّرِيدِ اللَّعِينِ مَرْوَانَ، وَأَزْنِي
 ثَقِيفٍ مَغِيرَةَ بْنَ شَعْبَةَ، وَأَغِيلِمَةَ قَرِيشٍ الْفَسَقَةَ فِي أَمْنٍ وَدَعَةٍ. وَكَانَ يُوَلِّي لِأَعْمَالِهِ
 الزَّعَانِفَةَ الْفَجْرَةَ أَعْدَاءَ أَهْلِ بَيْتِ الْوَحْيِ؛ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ، وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ، وَمَغِيرَةَ بْنَ
 شَعْبَةَ، وَزِيَادَ بْنَ أَبِيهِ، وَعَبْدَ اللَّهِ الْفَزَارِيَّ، وَسَفْيَانَ بْنَ عَوْفٍ، وَالنَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ،
 وَالضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ، وَسَمْرَةَ بْنَ جَنْدَبٍ، وَنَظَرَاءَهُمْ. يَسْتَعْمَلُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَهُوَ
 يَعْرِفُهُمْ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ وَلَا يَبَالِي بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَلَّى مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا
 فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ وَأَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
 رَسُولِهِ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ» (١).

فَكَانُوا يَقْتَرِفُونَ السَّيِّئَاتِ، وَيَجْتَرَحُونَ الْمَآثِمَ بِأَمْرِ مِنْهُ وَرَغْبَةٍ، وَلَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ
 حَرِيجَةٌ مِنَ الدِّينِ تَرْعَاهُ عَنْ تَلَكُمِ الْجَرَائِمِ؛ فَأَمَرَ بِالْإِغَارَةِ عَلَى مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ وَقَدْ جَعَلَهَا
 اللَّهُ بَلَدًا آمِنًا يَأْمَنُ مِنْ حُلِّ بِهَا وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَلَأَهْلِهَا وَطَيْرِهَا وَوَحْشِهَا وَنَبَاتِهَا
 حُرْمَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَهِيَ الَّتِي حَقَنْتَ دَمَ أَبِي سَفْيَانَ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِ مِنْ حَامِلِي أَلْوِيَةِ
 الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَعَاهَا كُلَّ الرِّعَايَةِ يَوْمَ الْفَتْحِ وَغَيْرِهِ، فَمَا عَامَلَ
 أَهْلَهَا هُوَ وَجَيْشُهُ الْفَاتِحُ إِلَّا بِكُلِّ جَمِيلٍ، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ
 قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يَعْضُدُ

شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها»^(١).

وأمر ابن هند بالاستحواذ على مدينة الرسول ﷺ وإخافة أهلها والوقية فيهم واستقراء من يوجد فيها من شيعة علي أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وللمدينة المنورة في الإسلام حرمتها الثابتة، ولنبيه ﷺ فيها قوله الصادق: «المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا، من أحدث فيها حدثاً^(٢) أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، ذمة المسلمين واحدة، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل»^(٣).

وقوله ﷺ: «لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء»^(٤).

نعم، إن بؤساً لم يلو إلى شيء من ذلك وإنما أوثر بما سؤل له معاوية من هتك الحرمات بقتل الرجال، وسبي النساء، وذبح الأطفال، وهدم الديار، وشم الأعراس، وما رعى لرسول الله ﷺ إلا ولا ذمة في مجاوري حرم أمنه، وساكني حماه المنيع فخفر ذمته كما هتك حرمة، واستخف بجواره، وأذاه بإباحة حرمة حرم الله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٥). «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٦)؛ فيالها من جرأة تقحم صاحبها في المحادة لله ولرسوله ﷺ ودينه القويم.

١ - صحيح البخاري، باب لا يحل القتال بمكة ٣: ١٦٨ [٢/٦٥١، ح ١٧٣٧]؛ صحيح مسلم ٤: ١٠٩ [٣/١٦٠، ح ٤٤٥، كتاب الحج].

٢ - قال القاضي عياض: معنى قوله: «من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً...»: «من أتى فيها إثماً أو آوى من أتاه».

٣ - صحيح البخاري ٣: ١٧٩ [٢/٦٦١، ح ١٧٧١]؛ صحيح مسلم ٤: ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ [٣/١٦٧ - ١٦٩، ح ٤٦٣ - ٤٧٠، كتاب الحج].

٤ - صحيح مسلم ٤: ١١٣ [٣/١٦٦، ح ٤٦٠، كتاب الحج].

٦ - الأحزاب: ٥٧.

٥ - التوبة: ٦١.

كما أن يزيد كان يحذو حذو أبيه في جرائمه الوبييلة وشنّ الغارة على أهل المدينة المشرفة، وبعث مسلم بن عقبة الهاتك الفاتك إلى هتك ذلك الجوار المقدس بوصية من والده الآثم^(١).

معاوية

وحُجر بن عدي وأصحابه

إنّ معاوية استعمل مغيرة بن شعبه على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلما أمّره عليها دعاه وقال له: أمّا بعد: فإنّ لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا. وقد قال المتلمّس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علّم الإنسان إلّا ليعلم
وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردتُ إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها
اعتماداً على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني، ويصلح رعيّتي، ولست تاركُ إيصائك
بخصلة: لا تقهم عن شتم عليّ وذمّه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على
أصحاب عليّ والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه
والإدناء لهم، والاستماع منهم.

فقال المغيرة: قد جرّبت وجُرّبت وعملتُ قبلك لغيرك، فلم يذم بي رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أو تذمّ. ثمّ قال: بل نحمد إن شاء الله. فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة سبع سنين وأشهرًا وهو من أحسن شيء سيرة وأشدّه حبّاً للعافية، غير أنّه لا يدع شتم عليّ والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتركية لأصحابه. فكان حُجر بن عديّ إذا سمع ذلك قال: بل إيّاكم فذمّ

١- أظّر وفاء الوفا ١: ٩١ [١/١٣٠، الباب ٢]؛ أنساب الأشراف ٥: ٤٣ [٥/٣٣٧].

الله ولعن، ثم قام وقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾^(١) وأنا أشهد أن من تذرّون وتعيرون لأحقّ بالفضل، وأن من تزكّون وتطرون أولى بالذمّ. فيقول له المغيرة: يا حُجر لقد رمي بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك، يا حُجر ويحك اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته؛ فإن غضب السلطان أحياناً ممّا يهلك أمثالك كثيراً، ثم يكفّ عنه ويصفح. فلم يزل حتّى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في عليّ وعثمان كما كان يقول وكانت مقالته: اللهم ارحم عثمان بن عفّان، وتجاوز عنه واجزه بأحسن عمله، فإنّه عمل بكتابك واتبع سنّة نبيّك ﷺ، وجمع كلمتنا، وحقق دماءنا، وقتل مظلوماً^(٢)، اللهم فارحم أنصاره وأولياءه ومحبيّه والطالبيين بدمه. ونال من عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ولعنه ولعن شيعته.

فوثب حُجر فنعر نكرةً أسمعت كلّ من كان في المسجد وخارجه وقال: إنك لا تدري بمن تولع من هرمك أيّها الإنسان مُر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإنك قد حبستها عنا ولم يكن ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذمّ أمير المؤمنين، وتقريظ المجرمين؛ فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون: صدق والله حُجر وبرّ، مُر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا؛ فإنّا لا ننتفع بقولك هذا ولا يُجدي علينا شيئاً. وأكثروا في مثل هذا القول.

فنزل المغيرة فدخل القصر فاستأذن عليه قومه فأذن لهم فقالوا: علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة ويحتريّ عليك في سلطانك هذه الجرأة، فيوهن سلطانك، ويسخط عليك أمير المؤمنين معاوية؟ وكان أشدهم له قولاً في أمر حُجر والتعظيم عليه عبدالله بن أبي عقيل الثقفى.

١- النساء: ١٣٥.

٢- هذه كلّها تخالف ما هو الثابت المعلوم من سيرة عثمان؛ [أنظر تلخيص الغدير/ ٧٨٧-٩٦٤].

فقال لهم المغيرة: إني قد قتلته إنه سيأتي أميرٌ بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شرّ قتلة، إنه قد اقترب أجلي، وضعف عملي، ولا أحبُّ أن ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعزّ في الدنيا معاوية، ويذلّ يوم القيامة المغيرة.

ثم هلك المغيرة سنة (٥١) فجمعت الكوفة والبصرة لزياد - ابن سمية - فأقبل زياد حتى دخل القصر بالكوفة ووجه إلى حُجر فجاءه، وكان له قبل ذلك صديقاً، فقال له: قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً، رأيته ما كنت تعرفني به من حبّ عليّ وودّه، فإنّ الله قد سلخه من صدري فصيرّه بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته فإنّ الله قد سلخه من صدري وحوّله حبّاً ومودةً، وإني أخوك الذي تعهد، إذا أتيتني وأنا جالسٌ للناس فاجلس معي على مجلسي، وإذا أتيت ولم أجلس للناس فاجلس حتى أخرج إليك، ولك عندي في كلّ يوم حاجتان: حاجة غدوة، وحاجة عشية، إنك إن تستقم تسلم لك دنياك ودينك، وإن تأخذ يمناً وشمالاً تهلك نفسك، وتشطّ عندي دمك، إني لأحبُّ التّكيل قبل التّقدمة، ولا آخذ بغير حجّة، اللهمّ اشهد.

فقال حُجر: لن يرى الأمير مني إلّا ما يُحب وقد نصح وأنا قابلٌ نصيحته. ثمّ خرج من عنده.

ولمّا ولي زياد، جمع أهل الكوفة فملاً منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرضهم على البراءة من عليّ^(١)، فقام في الناس وخطبهم ثمّ ترخّم على عثمان وأثنى على أصحابه ولعن قاتليه، فقام حُجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة...

١ - تاريخ ابن عساكر ٥: ٤٢١ [٢٠٣/١٩] وفي مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٨٨].

تسيير حُجر وأصحابه إلى معاوية ومقتلهم:

دفع زياد حُجر بن عدي وأصحابه إلى وائل بن حُجر الحضرمي وكثير بن شهاب وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام، فخرجوا عشيةً وسار معهم صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة.

فساروا حتى انتهوا بهم إلى مرج عذراء عند دمشق وهم اثنا عشر رجلاً:

حُجر بن عدي، الأرقم بن عبدالله، شريك بن شدّاد، صيفي بن فسيل، قبيصة بن ضبيعة، كريم بن عفيف، عاصم بن عوف، ورقاء بن سمي، كدام بن حيّان، عبدالرحمن ابن حسان، محرز بن شهاب، عبدالله بن حويّة. وأتبعهم زياد برجلين مع عامر بن الأسود فتمّوا أربعة عشر رجلاً، فحُبِسوا بمرج عذراء...

فجاء رسول معاوية إليهم بتخليفة ستّة وبقتل ثمانية^(١). فقال لهم رسل معاوية: ثمّ إنّنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من عليّ واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم وإن أبيتم قتلناكم، وإنّ أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنّه قد عفا عن ذلك فابروا من هذا الرجل نخلّ سبيلكم. قالوا: لسنا فاعلين؛ فأمرُوا بقبودهم فحلّت، وبقبورهم فحفرت، وأدّيت أكفانهم، فقاموا الليل كلّهُ يصلّون فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أوّل من جار في الحكم، وعمل بغير الحقّ. فقال أصحاب معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم. ثمّ قاموا إليهم وقالوا: تبرؤون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولّاه. فأخذ كلّ رجل منهم رجلاً ليقتله، فوقع قبيصة بن ضبيعة في يدي أبي شريف البدّي فقال له قبيصة: إنّ الشرّ بين قومي

١ - سيأتي في ص ٤٣٨ ذكر أسماء سبعة ممّن قُتل، وسبعة ممّن نجا.

وقومك أمن - أي: آمن - فليقتلني غيرك فقال له: برّتك رحم. فأخذه الحضرمي فقتله.
وقتل القضاءي صاحبه.

قال لهم حُجر: دعوني أصلي ركعتين، فأمن الله ما توضأت قط إلا صليت ركعتين.
فقالوا له: صل؛ فصلّى ثم انصرف فقال: والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن
تروا أن ما بي جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها. ثم قال: اللهم إنا نستعديك على
أمتنا فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها
إني لأول فارس من المسلمين سلك في واديهما، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها؛
فمضى إليه هدبة الأعور بالسيف فأرعدت خصائله^(١)، فقال: كلاً زعمت أنك لا تجزع
من الموت فأنا أدعك فابراً من صاحبك. فقال: مالي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً،
وكفنّاً منشوراً، وسيفاً مشهوراً، وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب. فقليل له:
مدّ عنقك. فقال: إن ذلك لدم ما كنت لأعين عليه. فقدم فضربت عنقه وأقبلوا يقتلونهم
واحداً واحداً حتى قتلوا ستة.

فقتل من أصحاب حُجر معه:

شريك بن شدّاد الحضرمي، صيفي بن فسيل الشيباني، قبيصة بن ضبيعة العبسي،
محرز بن شهاب المنقري، كدام بن حيان العنزي، عبدالرحمن بن حسان العنزي.
ونجا منهم:

كريم بن عفيف الخثعمي، عبدالله بن حويّة التيمي، عاصم بن عوف البجلي، ورقاء
ابن سميّ البجلي، أرقم بن عبدالله الكندي، عتبة بن الأخنس السعدي، سعد بن نمران

١ - «الخصائل»: جمع خصيلة، وهي كلّ عصابة فيها لحم غليظ.

الهمداني^(١).

قال الأميني: من حُجر بن عدي؟ ومن الذين كانوا معه؟ وما الذي كانت غايتهم في تلكم المواقف الهائلة؟ وماذا اقترفوه من ذنب حتى قتلوا تفتيلاً؟ ولماذا هتكت حرما تهم، وقطعت أوصال حياتهم وهم فئة مسلمة؟!

حُجر بن عدي من عدول الصحابة، أو أحد الصحابة العدول.

راهب أصحاب محمد ﷺ كما قاله الحاكم^(٢).

من أفاضل الصحابة وكبارهم مع صغر سنّه مستجاب الدعوة كما في

الاستيعاب^(٣).

وكان ثقةً معروفاً كما قاله ابن سعد^(٤). وقال المرزباني: إنه وفد إلى رسول الله ﷺ

وكان من عبّاد الله وزهادهم وكان باراً بأمّه، وكان كثير الصلاة والصيام^(٥).

وقال أبو معشر: كان عابداً وما أحدث إلا تَوْضُأً وما تَوْضُأً إلا صَلَّى^(٦).

١ - أخذنا ما في هذا الفصل من: الأغاني ١٦: ٢ - ١١ [١٣٧/١٧ - ١٥٨]؛ عيون الأخبار ١: ١٤٧؛ تاريخ الأمم

والمملوك ٦: ١٤١ - ١٥٦ [٢٥٣/٥ - ٢٧٩، حوادث سنة ٥١ هـ]؛ المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٦٨ [٥٣١/٣ -

٥٣٤]؛ تاريخ مدينة دمشق ٤: ٨٤، ٦: ٤٥٩ [٢٠٧/١٢، رقم ١٢٢١، و ٢٥٨/٢٤، رقم ٢٩٠٨، وفي مختصر

تاريخ دمشق ٤/ ٢٣٨، و ١١/ ١٢٥]؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ٢٠٢ - ٢٠٨ [٤٨٨/٢ - ٤٩٨، حوادث

سنة ٥١ هـ]؛ البداية والنهاية ٨: ٤٩ - ٥٥ [٥٤/٨ - ٦٠، حوادث سنة ٥١ هـ].

٢ - مستدرك الحاكم ٣: ٤٦٨ [٥٣١/٣].

٣ - الاستيعاب ١: ١٣٥ [القسم الأول/ ٣٢٩ - ٣٣١، رقم ٤٨٧].

٤ - طبقات ابن سعد [٢٢٠ / ٦]؛ تاريخ ابن عساكر ٤: ٨٥ [٢١٠ / ١٢، رقم ١٢٢١، وفي مختصر تاريخ دمشق

[٢٣٦/٦]؛ تاريخ ابن كثير ٨: ٥٠ [٥٤/٨، حوادث سنة ٥١ هـ].

٥ - تاريخ ابن كثير ٨: ٥٠ [٥٥/٨، حوادث سنة ٥١ هـ].

٦ - تاريخ ابن عساكر ٤: ٨٥، ٥: ٤٢٠ [٢١٢/١٢، رقم ١٢٢١، و ٢٠٢: ١٩، رقم ٢٣٠٩، وفي مختصر تاريخ دمشق

[٢٣٦/٦، و ٨٨/٩]؛ تاريخ ابن كثير ٨: ٥٠ [٥٥/٨، حوادث سنة ٥١ هـ].

وكان له صحبة ووفادة وجهاد وعبادة كما في الشذرات^(١). وكان صاحب كرامة واستجابة دعاء مع التسليم إلى الله؛ روى ابن الجنيد في كتاب الأولياء: «إن حُجر بن عدي أصابته جنابة فقال للموكل به: اعطني شرابي أتطهر به ولا تعطني غداً شيئاً. فقال: أخاف أن تموت عطشاً فيقتلني معاوية، قال: فدعا الله فانسكبت له صحابة بالماء فأخذ منها الذي احتاج إليه؛ فقال له أصحابه: ادع الله أن يخلصنا. فقال: اللهم خِر لنا»^(٢).

وقالت عائشة لمعاوية: «قتلت حُجراً وأصحابه، أما والله لقد بلغني أنه سيقتل بعذراء سبعة رجال - وفي لفظ: أناس - يغضب الله وأهل السماء لهم»^(٣). وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «يا أهل الكوفة سيقتل فيكم سبعة نفر هم من خياركم بعذراء مثلكم كمثل أصحاب الأخدود»^(٤).

وفيما كتب الإمام السبط الحسين عليه السلام إلى معاوية: «ألست قاتل حُجر وأصحابه العابدين المحبتين الذين كانوا يستفزعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟! فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده».

هذا حُجر وأصحابه. وأما غاية ذلك العبد الصالح والتابعين له بإحسان في مواقفهم كلها فهي النهي عن المنكر الموبق من لعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على صهوات المنابر؛

١ - شذرات الذهب ١: ٥٧ [٢٤٧/١]، حوادث سنة ٥١ هـ.

٢ - الإصابة ١: ٣١٥ [رقم ١٦٢٩].

٣ - تاريخ ابن عساكر ٤: ٨٦ [٢٢٧/١٢]، رقم ١٢٢١؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٤١؛ تاريخ ابن كثير ٨: ٥٥ [٦٠/٨]، حوادث سنة ٥١ هـ؛ الإصابة ١: ٣١٥ [رقم ١٦٢٩].

٤ - تاريخ ابن عساكر ٤: ٨٦ [٢٢٧/١٢]، رقم ١٢٢١؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٤١؛ تاريخ ابن كثير ٨: ٥٥ [٦٠/٨]، حوادث سنة ٥١ هـ؛ شذرات الذهب ١: ٥٧ [٢٤٧/١]، حوادث سنة ٥١ هـ.

فكانوا يغبرون في وجه من يرتكب تلكم الجريمة من عمال معاوية وزبائنته الأشداء على إمام الحق وأوليائه.

لم يكن صلاح الرجل وأصحابه يخفى على أي أحد حتى على مثل المغيرة الذي كان من زعانف معاوية الخصماء الألداء على شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ فإنه لما أشير عليه بالتنكيل بحجر وأصحابه قال: «لا أحب أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة المغيرة». ورأى أصحاب معاوية منهم آخر ليلة حياتهم بعذراء حسن صلاة ودعاء فأعجبهم نسكهم وأكبروا موقفهم من طاعة الله، غير أنهم ألقوا عليهم البراءة من علي أمير المؤمنين عليه السلام بأمر من معاوية براءة يتبعها الأمان والسلام فلم يفعلوا، فقتلوا في موالاة علي عليه السلام كما قاله الحاكم في المستدرك^(١).

ونحن لا ندري هل ثبت في الشريعة أن البراءة من إمام الهدى ولعنه مجلبة للأمان على حين أن الرجل مستحق للإعدام؟! أو أن ذلك نفسه فريضة ثابتة قامت بها الضرورة من الدين، فيهدر به دم تاركها، ويكون قتله من أحب ما يكون إلى معاوية؛ كما جاء فيما رواه ابن كثير في تاريخه^(٢) من أن عبدالرحمن بن الحارث قال لمعاوية: أقتلت حُجر بن الأدبر؟ فقال معاوية: «قتله أحب إلي من أن أقتل معه مئة ألف».

نعم، نحن لا ندري، لكن فقه معاوية وشهواته يستسيغان ذلك. وما ذنب حُجر وأصحابه الصلحاء ومن شاكلهم من أهل الصلاح وحملة الإسلام الصحيح إذ عبسوا على إمارة السفهاء؟! إمارة الوزغ بن الوزغ، إلى أزي ثقيف مغيرة، إلى طليق إسته بسر بن أرطاة، إلى ابن أبيه زياد، إلى خليفتهم الغاشم ابن هند.

١- المستدرك على الصحيحين ٣: ٤٧٠ [٥٣٤/٣، ح ١٥٨١].

٢- البداية والنهاية ٨: ٥٤ [٥٩/٨، حوادث سنة ٥١ هـ].

وحُجِر وأصحابه هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأخبتوا إلى ما جاء به نبيُّ الإسلام، وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال لجابر بن عبد الله: «أعاذك الله من إمارة السفهاء». قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «أمرأء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي؛ فمن صدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردوا عليَّ حوضي. ومن لم يصدِّقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وسيردوا عليَّ حوضي»^(١).

ولم يكن لمعاوية عذرٌ في قتل أولئك الصفوة إلا التشبُّث بالتافهات؛ فكان يتلوّن في الجواب بمثل قوله: «إني رأيتُ في قتلهم صلاحاً للأمة وفي مقامهم فساداً للأمة». وقوله: «إني وجدتُ قتل رجل في صلاح الناس خيراً من استحيائه في فسادهم»^(٢). وهل صلاح الناس في الالتزام بلعن عليٍّ أمير المؤمنين ﷺ والبراءة منه والتحامل على شيعته، وفسادهم في تركها أو النهي عنها؟! أنظر لعلك تجد له وجهاً في غير شريعة الإسلام. وبمثل قوله: «لستُ أنا قتلُهم إنما قتلهم من شهد عليهم»^(٣).

وبمثل قوله: «فما أصنع كتب إليَّ فيهم زياد يشدّد أمرهم ويذكر أنّهم سيفتقون عليٍّ فتقاً لا يرقع»^(٤). وقوله: «حملني ابن سميّة فاحتملت»^(٥).

قبح الله الصلف والوقاحة أكان زياد عاملاً له أو هو عامل لزياد حتّى يحتمل الموبقات بإشارته؟! وهل يُهدر دماء الصالحين - وبذلك عرفهم المجتمع الديني - بقول

١- مسند أحمد ٣: ٢٢١ [٢٦٥/٤، ح ١٤٠٣٢].

٢- تاريخ ابن كثير ٨: ٥٥ [٦٠/٨، حوادث سنة ٥١ هـ].

٣- تاريخ الطبري ٦: ١٥٦ [٢٧٩/٥، حوادث سنة ٥١ هـ]؛ الاستيعاب ١: ١٣٥ [القسم الأوّل/٣٣١، رقم ٤٨٧].

٤- الاستيعاب ١: ١٣٤ [القسم الأوّل/٣٣٠، رقم ٤٨٧]؛ أسد الغابة ١: ٣٨٦ [١/٤٦٢، رقم ١٠٩٣].

٥- الأغاني ١٦: ١١ [١٥٨/١٧]؛ تاريخ الطبري ٦: ١٥٦ [٢٧٩/٥، حوادث سنة ٥١ هـ]؛ كامل ابن الأثير ٤:

٢٠٩ [٤٤٩/٢، حوادث سنة ٥١ هـ].

فاسق مستهتر؟! والله يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ»^(١).

لكن معاوية بعد أن استلحق زياداً بأبي سفيان راقه أن لا ينحرف عن مرضاته وفيها شفاء غلته وإن زحزحته عن زمرة أناس خوطبوا بالآية الشريفة.

هل يسع معاوية أو يغنيه يوم لقاء الله التمسك بالترهات تجاه قوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»^(٢). وقوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً... وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»^(٣). وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»^(٤). وقوله تعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا... وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا»^(٥)؟

أو لم يكف معاوية ما رواه هو نفسه عن رسول الله ﷺ من قوله: «كلّ ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»^(٦)؟
أو ما كتبه بيده الأئمة إلى مولانا أمير المؤمنين من كتاب: وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو قتل أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبهم الله على مناخرهم في النار»؟!

الحضرميَّان وقتلهما على التشيع:

قال النسابة أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي المتوفى (٢٤٥) في كتابه المحبر^(٧):

- | | |
|-----------------------|-------------------------------------|
| ١ - الحجرات: ٦. | ٢ - الإسراء: ٣٣. |
| ٣ - النساء: ٩٢ - ٩٣. | ٤ - آل عمران: ٢١. |
| ٥ - الفرقان: ٦٣ - ٦٨. | ٦ - مسند أحمد ٤: ٩٦ [٦٦/٥ ح ١٦٤٦٤]. |
| ٧ - المحبر: ٤٧٩. | |

صَلَبَ زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ مُسْلِمَ بْنِ زَيْمَرٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ نُجَيْيٍّ الْحَضْرَمِيِّينَ ، عَلَى أَبَوَاهُمَا أَيْتَامًا بِالْكُوفَةِ وَكَانَا شِيعِيَّيْنِ وَذَلِكَ بِأَمْرِ مُعَاوِيَةَ . وَقَدْ عَدَّاهُمَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام عَلَى مُعَاوِيَةَ فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِ : «أَلَسْتُ صَاحِبَ حُجْرٍ وَالْحَضْرَمِيِّينَ الَّذِينَ كَتَبَ إِلَيْكَ ابْنُ سَمِيَّةٍ أَنَّهُمَا عَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَرَأْيِهِ ، فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ عَلِيٍّ وَرَأْيِهِ فَاقْتَلَهُ وَامْتَلَأَ بِهِ : فَقَتَلَهُمَا وَمَتَّلَ بِأَمْرِكَ بِهِمَا؟ وَدِينَ عَلِيٍّ وَابْنَ عَمِّ عَلِيٍّ الَّذِي كَانَ يُضْرَبُ عَلَيْهِ أَبَاكَ - يُضْرَبُ عَلَيْهِ أَبُوكَ - أَجْلَسَكَ مَجْلِسَكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ . وَلَوْلَا ذَلِكَ كَانَ أَفْضَلُ شَرَفِكَ وَشَرَفُ أَبِيكَ تَجَشَّمُ الرَّحْلَتَيْنِ ^(١) اللَّتَيْنِ بَنَا مِنْهُنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بَوَاضِعَا عَنْكُمْ» .

قال الأميني: هَلُمُّوا مَعِيَ يَا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ ، هَلْ اعْتَنَاقَ دِينَ عَلِيٍّ عليه السلام مِمَّا يُسْتَبَاحُ بِهِ دَمُ مُسْلِمٍ ، وَتُسْتَحَلُّ الْمِثْلَةُ وَالتَّنْكِيلُ الْمُحْظُورَةُ فِي الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، الْمَنْعُوعُ عَنْهَا وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ؟! أَلَيْسَ دِينَ عَلِيٍّ هُوَ دِينُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الَّذِي صَدَعَ بِهِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى؟! نَعَمْ ، هُوَ كَذَلِكَ لَكِنْ مُعَاوِيَةُ حَائِذٌ عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ وَلَا يَقِيمُ لَهُ وَزَنَاءً مَا ، وَلَا يَكْتَرُثُ لِمَغَبَّةِ هَتَكِهِ ، وَلَا يَتَرَيِّثُ عَنِ الْوَقِيعَةِ فِيهِ .

مالك الأشتر:

وَمِنَ الصُّلَحَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمُ مُعَاوِيَةُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ أَتَاهُ ، مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْترِ النَّخْعِي . اللَّهُ دَرُُّ مَالِكٍ وَمَا مَالِكُ؟ لَوْ كَانَ مِنْ جَبَلٍ لَكَانَ فِينَدًا ^(٢) ، وَلَوْ كَانَ مِنْ حَجَرٍ لَكَانَ صَلْدًا . عَلَى مِثْلِ مَالِكٍ فَلْتَبْكِ الْبَوَاكِي . وَهَلْ مَوْجُودٌ كَمَا لَكَ؟ أَشَدَّ عِبَادَ اللَّهِ بِأَسَاءً ، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا ، كَانَ أَضَرُّ عَلَى الْفَجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ ، وَأَبْعَدُ النَّاسِ مِنْ دَنْسٍ أَوْ عَارٍ ، حَسَامٌ صَارُمٌ ، لَا نَابِيَّ الضَّرِيَّةَ ، وَلَا كَلِيلَ الْحَدِّ ، حَكِيمٌ فِي السَّلَامِ ، رَزِينٌ فِي الْحَرْبِ ،

١ - كَانَ لَقْرِيشَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ رَحْلَتَانِ كُلَّ عَامٍ : رَحْلَةٌ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْبَيْنِ ، وَرَحْلَةٌ فِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ . وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ

يُرَاسُ الْعِيرَ الَّتِي تَرْدُدُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ . ٢ - [«الْفند»: الْقِطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْجَبَلِ] .

ذو رأي أصيل، وصبر جميل.

كان يَمُنُّ لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل، كان يجمع بين اللين والعنف، فيسطو في موضع السطوة، ويرفق في موضع الرفق، كان فارساً شديداً البأس شجاعاً رئيساً حليماً جواداً فصيحاً شاعراً. قال المسعودي في المروج^(١):

ولّى عليّ الأشتر مصر وأنفذه إليها في جيش؛ فلما بلغ ذلك معاوية دسّ إلى دهقان وكان بالعريش^(٢) فأرغبه وقال: أترك خراجك عشرين سنة فاحتل للأشتر بالسمّ في طعامه. فلما نزل الأشتر العريش سأل الدهقان: أيّ الطعام والشراب أحبّ إليه؟ قيل: العسل؛ فأهدى له عسلاً وقال: إنّ من أمره وشأنه كذا وكذا، ووصفه للأشتر وكان الأشتر صائماً فتناول منه شربة فما استقرّت في جوفه حتّى تلف، وأتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه. وقيل: كان ذلك بالقلزم والأول أثبت. فبلغ ذلك عليّاً فقال: للدين وللهم. وبلغ ذلك معاوية فقال: إنّ لله جنداً من العسل.

قال الأميني: هاهنا تجد معاوية كيف لا يتحوّب من ذلك الحوب الكبير قتل العبد الصالح الممدوح بلسان رسول الله وخليفته مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. وأنّه وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً، بموت ذلك البطل المجاهد^(٣) لمحض أنّه كان يناصر إمام وقته المنصوص عليه والمجمع على خلافته. ولا غرو فإنّه كان يسرّ ابن هند كلّ ما ساء ملّة الحقّ وأئمّة الهدى وأولياء الصلاح. وما كان يسعه أن يأتي بطائفة أكبر من هذه لو لم يكن في الإسلام للنفوس القادسة أيّ حرمة، وللأئمّة عليهم السلام ومناصريهم أيّ مكانة، حتّى لو كان

١ - مروج الذهب ٢: ٣٩ [٤٢٩/٢].

٢ - هي مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم.

٣ - تاريخ ابن كثير ٧: ٣١٢ [٣٤٧/٧]، حوادث سنة ٣٨ هـ.

معاوية مستمراً على ما دأب عليه إلى أخريات عهد النبوة من الكفر المخزي فلم يحده الفرق من بارقة الإسلام إلى الاستسلام، فاجاء زبائنه الكفرة يومئذ بأفطع من هذه وأمثالها يوم قتلوا خيار أصحاب محمد ﷺ لمناصرتهم إياه، وحبهم ذوي قرباه، ودفاعهم عن ناموس أهل بيته الأكرمين.

محمد بن أبي بكر:

ومن ضحايا ملك معاوية العضوض، وذبائح حكومته الغاشمة، وليد حرم أمن الله، وربيب بيت العصمة والقداصة: محمد بن أبي بكر. وجه معاوية عمرو بن العاص في سنة ثمان وثلاثين إلى مصر في أربعة آلاف، ومعه معاوية بن حديج، وأبو الأعور السلمي، واستعمل عمراً عليها حياته فالتقوا هم ومحمد بن أبي بكر - وكان عامل عليّ عليها - بالموضع المعروف بالمسناة فاقتتلوا حتى قُتل كنانة بن بشر، وهرب عند ذلك محمد لإسلام أصحابه إياه وتركهم له؛ فاخترأ عند رجل يُقال له: جبلة بن مسروق، فدُلَّ عليه، فجاء معاوية بن حديج وأصحابه فأحاطوا به، فخرج إليهم محمد بن أبي بكر فقاتل حتى قُتل؛ فأخذه معاوية بن حديج وعمرو بن العاص فجعلوه في جلد حمار وأضرموه بالنار؛ وذلك بموضع في مصر يقال له: كوم شريك. وقيل: إنه فعل به ذلك وبه شيء من الحياة. وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فأظهر الفرح والسرور. وبلغ علياً قتل محمد وسرور معاوية فقال: جزعنا عليه على قدر سرورهم؛ فما جزعتُ على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعي عليه، كان لي ربيباً وكنْتُ أعدّه ولداً، كان بي برّاً، وكان ابن أخي^(١)؛ فعلى مثل هذا نحزن وعند الله نحسبه^(٢).

١ - كان محمد بن أبي بكر أخا عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لأُمّه.

٢ - مروج الذهب ٢: ٣٩ [٤٢٨/٢ - ٤٢٩]؛ تاريخ ابن كثير ٧: ٣١٤ [٣٤٩/٧، حوادث سنة ٢٨ هـ].

وحزن عليّ على محمد بن أبي بكر حتى روي ذلك في وجهه وتبين فيه، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ﷺ وقال: «ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجاً، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحتسبه. أما والله إن كان ما علمتُ لمن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويُحبّ هدى المؤمن...»^(١).

وقال أبو عمر: يقال: إن محمد بن أبي بكر أتي به عمرو بن العاص فقتله صبراً. قال الأميني: إن أمثال هذه الفظائع والفجائع لمقربة من مخازي ابن العاصي وأذنايه، ومن مرضاة ابن آكلة الأكباد الذين لم يُبالوا بإراقة الدماء الزاكية منذ بلغوا أشدهم، ولا سيما من لدن مباشرتهم الحرب في صفين إلى أن اصطلوا نار المحطمة فلم يفتأوا والغين في دماء الأخيار الأبرار دون شهواتهم المخزية.

وهب أن محمدًا نال من عثمان ما حسبوه، فعجيب أن ينهض بثاره مثل معاوية المتشبّط عنه يوم استنهضه عثمان حتى قُتل، وعمرو بن العاصي القائل المبتهج بقتله بقوله: «أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع»، وقوله: «أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها»، وقوله: «أنا أبو عبدالله قد يضطر العير والمكواة في النار».

وكان يؤلّب عليه حتى الراعي في غنمه في رأس الجبل^(٢). وهلاً ساق معاوية ذلك الحشد اللهام إلى عائشة الرافعة عقيرتها بين جماهير الصحابة: «اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر»، وأمثالها من الكلم القارصة^(٣).

وإلى طلحة والزبير وكانا أشدّ الناس عليه، وطلحة هو الذي منع عنه الماء في حصاره، ومنع الناس عن تجهيزه، ومنعه أن يُدفن إلا في حشّ كوكب جبّانة اليهود، إلى

١- تاريخ الطبري ٦: ٦٢ [١٠٨/٥، حوادث سنة ٢٨هـ] كامل ابن الأثير ٣: ١٥٥ [٤١٤/٢، حوادث سنة ٣٨هـ].

٢- راجع تاريخ الطبري ٥: ١٠٨ و ٢٠٣ [٣٥٦/٤، حوادث سنة ٣٥هـ] وص ٥٥٨، حوادث سنة ٣٦هـ.

٣- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [٢١٥/٦، خطبة ٧٩].

فظائع أخرى^(١).

وقال الشهرستاني في الملل والنحل^(٢):

كان أمراء جنوده : معاوية عامل الشام ، وسعد بن أبي وقاص عامل الكوفة ،
وبعده الوليد بن عقبة ، وعبدالله بن عامر عامل البصرة ، وعبدالله بن أبي سرح
عامل مصر ، وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه .

نعم ، هؤلاء قتلوه لكنَّ معاوية لا يُريد المقاصَّة إلا من أولياء عليٍّ ﷺ فيستأصل
شأفتهم تحت كلِّ حجر ومدَّر ، ويستسهل فيهم كلَّ شقوة وقسوة ، وليس له مع أضداد
عليٍّ ﷺ أيَّ مقصد صحيح ، وإلا فأَيَّ حرمة لدم أجمعت الصحابة على سفكه؟! واحتجَّت
عليه بآي الذكر الحكيم^(٣) تفصيله . لو لم يكن أتباع القوم بالصحابة والاحتجاج بما قالوا
وعملوا واعتبارهم فيهم العدالة جميعاً تسري مع الميول والشهوات ، فيحتجّون بدعوى
إجماعهم على خلافة أبي بكر - ولم يكن هنالك إجماع - ولا يحتجّون به في قتل عثمان ،
وقد ثبت فيه الإجماع .

وهَبْ أَنْ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ هُوَ قَاتِلُ عِثْمَانَ الْوَحِيدِ مِنْ دُونِ أَيِّ حِجَّةٍ وَلَا مَبَرَّرَ لَهُ
وهو المحكوم عليه بالقصاص ، وفي القصاص حياة ، فهل جاء في شريعة الإسلام
قصاص كهذا بأن يُلقى المقتصُّ به في جيفة حمار ثمَّ يحرق بالنار ، ويُطاف برأسه في
البلاد؟! هل هذا دين الله الذي كان يدين به محمد بن أبي بكر؟! أو دين هُبُل إله معاوية
وإله آبائه الشجرة الملعونة في القرآن؟!

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾^(٤) . ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٥) .
﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^(٦) .

١ - [راجع تلخيص الغدير / ٩٠٣ - ٩٠٤] .

٢ - الملل والنحل : ٢٥ [١/ ٣٢] .

٣ - [أنظر تلخيص الغدير / ٩١٥] .

٤ - الكهف : ١٣ .

٥ - الأنعام : ٥ .

٦ - الأنعام : ٥٧ .

نظرة في مناقب ابن هند:

لعلك إلى هاهنا عرفت معاوية، وأنه أي رجل هو، وأنه كيف كانت نفسياته وملكاته، وأن رجلاً كمثله لا يتبوأ مقعده إلا حيث تنيخ شية العار، وفي مستوى السواة والبوائق، وأن أي فضيلة تلصقه به رواة السوء وتخط عنه الأقلام المستأجرة فهو حديث إفك نطقه الأهواء والشهوات، ولا يُقام له في سوق الاعتبار وزن، ولا في مَبَوِّأ الحق مقيل، فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر.

أليس معاوية هو صاحب تلکم الموبقات والجرأة على الله وعلى الإسلام ونبيّه وكتابه وسنته، سنة الله التي لا تبديل لها؟!

أليس هو الهاتك حرّمات الله والمصغّر قدر أوليائه، والمريق دماءهم الزكية، والدؤوب على الظلم والجور بإزهاق النفوس البريئة من غير جرم؟! ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدِّاً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾^(١).

أليس هو من آذى الله ورسوله في الصالحين من رجالات الأمة وعدول الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان، المحرّمة دماؤهم وأقدارهم وحرّماتهم بزجّهم إلى أعماق السجون، وإبعادهم عن عقر دورهم وإخافتهم؟! ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَلَوْا بُهْتَاناً وَإِنَّمَا مُهِيناً﴾^(٢).

أليس هو من آذى رسول الله في أهل بيته بإثارة الحرب على صنوه ونفسه وخليفته حقّاً، وكان من واجبه أن يخضع له ويتحرّى مرضاته؟! ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

أليس هو الذي لم يراقب حرمة الرسول الأعظم في ذوي قرباه وصغرها بسبّ أبي ولده، وأمر الملاء الدينيّ بتلك الجريمة الموبقة، واتخذها سنّة متّبعة، وقذف من طهره الجليل بالأفانك والمفتريات؟!

أليس هو السبّاق الأوّل في المآثم الجمّة المخزية؟!

أوّل من باع الخمر وشربها من الخلفاء! والخمر وشاربها وبائعها ومشتريها ملعون ملعون.

أوّل من أشاع الفاحشة في الملاء الإسلاميّ! ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

أوّل من أحلّ الربا وأكله! وأحلّ الله البيع وحرم الربا؛ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٢) و آكل الربا وموكله ملعون بلسان النبي ﷺ.

أوّل من أتمّ الصلاة في السفر تقديساً لأحدوثة ابن عمّه!

أوّل من أحدث الأذان في صلاة العيدين!

أوّل من رأى الجمع بين الأختين إحياء لما ذهب إليه عثمان!

أوّل من غير السنّة في الديات وأدخل فيها ما ليس منها!

أوّل من ترك التكبير في الصلوات عند كلّ هويّ وانتصاب وهي سنّة ثابتة!

أوّل من ترك التلبية وأمر به خلافاً لعليّ أمير المؤمنين ﷺ العامل بسنّة الله ورسوله!

أوّل من قدّم الخطبة على الصلاة في العيد لإسماع الناس سبّ عليّ ﷺ! وقد صحّ عن

نبيّ الإسلام: «من سبّ عليّاً فقد سبّه، ومن سبّه فقد سبّ الله».

أوّل من عصى ربّه بترك حدوده وإقامة سنّته! ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ

يُدْخِلُهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ»^(١).

أَوَّلُ مَنْ نَقَضَ حَكْمَ الْعَاهِرِ، وَأَحْيَى طُقُوسَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَخَالَفَ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ
و«الولد للفراش وللعاهر الحجر»!

أَوَّلُ مَنْ تَخَتَّمُ بِالْيَسَارِ! فَأَخَذَ الْمِرَاوِثِيَّةَ^(٢) بِذَلِكَ إِلَى أَنْ نَقَلَ السَّقَّاحَ إِلَى الْيَمِينِ فَبَقِيَ
إِلَى أَيَّامِ الرَّشِيدِ فَنَقَلَهُ إِلَى الْيَسَارِ^(٣).

أَوَّلُ مَنْ سَنَّ سَبَّ عَلِيٍّ ﷺ وَقَتَتْ بِهِ وَجَعَلَهُ سَنَّةَ جَارِيَةٍ فِي خَلْفِهِ الَّذِينَ أَضَاعُوا
الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، وَشَوَّهَ خُطْبُ الْمَنَابِرِ بِذَلِكَ الْحَادِثَ الْمُخْزِي!

أَوَّلُ مَنْ بَغَى عَلَى إِمَامٍ وَقَتَهُ وَحَارِبَهُ وَقَاتَلَهُ وَقَتَلَ أُمَّةً كَبِيرَةً مِنْ صَلَحَاءِ الصَّحَابَةِ
الْبَدْرِيِّينَ وَأَهْلَ بَيْعَةِ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ!

أَوَّلُ مَنْ أَعْطَى الْمَالَ لَوْضِعِ الْحَدِيثِ وَتَحْرِيفِ كِتَابِ اللَّهِ وَكَلِمَتِهِ الطَّيِّبَةِ عَنْ
مَوَاضِعِهَا!

أَوَّلُ مَنْ اشْتَرَطَ الْبَرَاءَةَ مِنْ عَلِيٍّ ﷺ عَلَى مَنْ بَايَعَهُ فِي خِلَافَتِهِ الْغَاشِمَةَ أَوْ فِي مَلَكِهِ
الْعَضُوضَ!

أَوَّلُ مَنْ حُمِلَ إِلَيْهِ رَأْسُ الصَّحَابِيِّ الْعَادِلِ عَمْرٍو بْنِ الْحَقِّ وَأُدِيرَ بِهِ فِي الْبِلَادِ!
أَوَّلُ مَنْ قَتَلَ عَدُولَ الصَّحَابَةِ الْأَوَّلِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ عَيُونِ الْأُمَّةِ
وَعِبَادِهَا وَنَسَاكِهَا لِحُضِّ وَلَئْتِهِمْ سَيِّدِ الْعَتَرَةِ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ أَجْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَبِيِّهِ الْخَاتَمِ ﷺ!
أَوَّلُ مَنْ قَتَلَ نِسَاءَ كُلِّ مَنْ وَالَى أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَذَبَحَ صِبْيَانَهُمْ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ،
وَمَثَّلَ قَتْلَهُمْ وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ، وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ، وَاسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ، وَنَفَاهُمْ عَنْ عُقْرِ
دَوْرِهِمْ، وَأَبَادَهُمْ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ وَمَدْرٍ!

٢- هم خلفاء معاوية من بني مروان بن الحكم.

١- النساء: ١٤.

٣- ربيع الأبرار للزُّعْمَرِيِّ، باب ٧٥ [٢٤/٤].

أول من عبثت به رعيته، وسنَّ العمل بالشهادات المزورة، وسلط رجال الشرِّ والغِيِّ والجور على صلحاء أمة محمد ﷺ!

أول من همَّ بنقل منبر رسول الله ﷺ عن المدينة المشرفة إلى الشام! ولما حرَّك المنبر خسفت الشمس فترك^(١).

أول من بدّل الخلافة الإسلامية إلى شرِّ ملك وسلطة سوء!

أول من ملك وتجرَّب في الإسلام بلبس الحرير والديباج، وشرب في آنية الذهب والفضة، وركب السروج المحلاة بهما!

أول من سمع الغناء وطرب عليه وأعطى ووصل إليه وهو يرى نفسه أمير المؤمنين!

أول من هتك دين الله باستخلاف جروه الفاجر المستهتر التارك للصلاة!

أول من شنَّ الغارة على مدينة الرسول ﷺ حرم أمن الله، وأخاف أهلها، وما رعى حرمة ذلك الجوار المقدس!

إلى جرائم وبوائق تجد الرجل فيها هو السابق الأول إليها^(٢).

أصحيح أن مثل هذا الطاغية تصدر فيه كلمة إطراء من مصدر النبوة؟! أو يأتي عن

نبيِّ العدل والحق والصدق ما يوهم الثناء عليه؟!

لا، لا يمكن ذلك؛ بل نبيُّ العظمة أكبر من يبغض هذا الإنسان وجرائمه، والرجل

أشدَّ أعدائه ﷺ في جاهليته وإسلامه. ولو كان ﷺ ينطق بشيء من ذلك - وحاشاه -

لكان أكبر ترويج للباطل وأهله، وأوضح ترخيص في المعصية، وأبين استهانة بالحق.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل:

سألت أبي عن عليٍّ ومعاوية؛ فقال: أعلم أن عليًّا كان كثير الأعداء، ففتش له

١ - تاريخ ابن كثير ٨: ٤٥ [٤٩/٨]، حوادث سنة ٥٠ هـ.

٢ - راجع أوائل السيوطي؛ وتاريخ الخلفاء له [ص ١٨٧]؛ ومحاضرة الأوائل للسكتواري.

أعداؤه عيباً فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم
لعلي^(١).

وقال الحاكم:

سمعتُ أبا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف يقول: سمعتُ أبي يقول:
سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: لا يصح في فضل معاوية
حديث^(٢).

ولما لم يجد البخاري حديثاً يصح من مناقب معاوية فقال عند عدِّ مناقب الصحابة
من صحيحه: باب ذكر معاوية عليه السلام^(٣)؛ فقال ابن حجر في فتح الباري^(٤):

أشار بهذا إلى ما اختلفوه لمعاوية من الفضائل ممّا لا أصل له. وقد ورد في
فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد،
وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما.

وأما مسلم وابن ماجة فلما لم يريا حديثاً يُعبأ به في فضائل معاوية ضربا عن اسمه
في الصحيح والسنن صفحاً عند عدِّ مناقب الصحابة. والترمذي^(٥) لم يذكر له إلا
حديث: «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به»؛ فقال: «حسنٌ غريب»^(٦). وذكر
حديث: «اللهم اهد به»، وزيفه هو بنفسه لكان عمرو بن واقد الدمشقي، وعمرو أحد
الكذابين^(٧)؛ فالصحيح والسنن خالية عما لفقتهما رواةُ السوء في فضل الرجل.

١ - تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٣٣ [ص ١٨٦]؛ فتح الباري ٧: ٨٣ [١٠٤/٧]؛ الصواعق: ٧٦ [ص ١٢٧].

٢ - اللآلئ المصنوعة ١: ٢٢٠ [٤٢٤/١]؛ فتح الباري ٧: ٨٣ [١٠٤/٧].

٣ - صحيح البخاري [٣/١٣٧٣، باب ٢٨]. ٤ - فتح الباري ٧: ٨٣ [١٠٤/٧].

٥ - سنن الترمذي [٥/٦٤٥، ح ٣٨٤٢، ٣٨٤٣]. ٦ - أنظر ص ٥٥١ من كتابنا هذا.

٧ - أنظر ميزان الاعتدال ٢: ٣٠٢ [٣/٢٩١، ٦٤٦٥].

ودخل الحافظ النسائي صاحب السنن إلى دمشق فسأله أهلها أن يُحدثهم بشيء من فضائل معاوية فقال: «أما يكفي معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل؟!»، فقاموا إليه فجعلوا يطعنون في خُصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع؛ فقال: «أخرجوني إلى مكة»، فأخرجوه وهو عليلٌ فتوفي بمكة مقتولاً شهيداً^(١).

وقال ابن تيمية في منهاجه^(٢):

طائفةٌ وضعوا لمعاوية فضائل ورووا أحاديث عن النبي ﷺ في ذلك كلها كذبٌ.

وقال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه سفر السعادة والعجلوني في كشف الخفاء^(٣):
باب فضائل معاوية ليس فيه حديثٌ صحيح.

وقال العيني في عمدة القاري^(٤):

فإن قلت: قد ورد في فضله يعني معاوية أحاديث كثيرة. قلت: نعم، ولكن ليس فيها حديث صحيح يصحُّ من طرق الإسناد. نصَّ عليه إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما؛ فلذلك قال - يعني البخاري -: باب ذكر معاوية، ولم يقل: فضيلة ولا منقبة.

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة^(٥):

اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضل معاوية حديثٌ.

نعم، إنَّ الغلوَّ في حبِّ الرجل خلق له فضائل مفتراة تبعد جداً عن ساحة النبيِّ

١ - تاريخ ابن كثير ١١: ١٢٤ [١١/١٤٠، حوادث سنة ٣٠٣هـ].

٢ - منهاج السنة ٢: ٢٠٧. ٣ - كشف الخفاء: ٤٢٠ [٢/٤٢٠].

٤ - عمدة القاري [١٦/٢٤٩، رقم ٢٥٤].

٥ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية: [ص ٤٢٣، ح ١٦٢].

الأقدس ﷺ أن ييوح بشيء منها، وإنما يد الافتعال نسجت له على نول ما نسجته لبقية الخلفاء مناقب تندى منها جبهة الإنسانية. وألف محمد بن عبد الواحد أبو عمر غلام ثعلب جزءاً في فضائل هذا الإنسان المحشور رداؤه بالردائل.

قال ابن حجر في لسان الميزان^(١):

إسحاق بن محمد السوسي ذاك الجاهل الذي أتى بالموضوعات السمجة في فضائل معاوية رواها عبيد الله السقطي عنه فهو المتهم بها أو شيخه.

و: سلسلة الكذابين والوضّاعين

ذكر شيخنا العلامة في الغدير^(١) (٧٠٢) ممّن عُرفوا بالوضع والكذب؛ منهم:

١ - أبان بن فيروز أبي عيّاش مولى عبد القيس أبو إسماعيل البصري المتوفّي (١٣٨).

قال شعبة: «لأن يزني الرجل خير من أن يروي عن أبان». وقال: «لأن أشرب من بول حماري أحبُّ إليّ من أن أقول حدّثني أبان». لعلّه حدّث عن أنس بأكثر من ألف وخمسمئة حديث، ما لكثير شيء منها أصل^(٢).

٢ - إبراهيم بن هذبة أبو هذبة البصري.
كذاب خبيث، حدّث بالأباطيل، ووضع على أنس، كان رقاصاً بالبصرة يُدعي إلى العرائس فيرقص لهم، وكان يشرب المسكر، بقي إلى سنة مئتين^(٣).

٣ - أحمد بن الحسن بن أبان المصري.
من كبار شيوخ الطبراني، كان كذاباً دجّالاً، يضع الحديث على الثقات^(٤).
٤ - أحمد بن الخليل النوفلي القُومسيّ، المتوفّي (٣١٠). كذاب، يروي عمّن لم يخلق^(٥).

١ - [راجع الغدير ٣٠١/٥ - ٤٤٦].

٢ - تهذيب التهذيب ١: ٩٩ [٨٦/١].

٣ - تاريخ بغداد ٦: ٢٠١، ميزان الاعتدال [٧١/١]، رقم [٢٤٢].

٤ - ميزان الاعتدال ١: ٤١ [٨٩/١]، رقم [٣٣٠]، تذكرة الموضوعات: ٦٥ و ١٠٨ [ص ٣٦ و ٧٦].

٥ - لسان الميزان ١: ١٦٧ [١٧٧/١]، [٥٤٠]، الجرح والتعديل [٥٠/٢].

٥- أحمد بن محمد بن الصلت بن المغلس أبو العباس الحماني، المتوفى (٣٠٨، ٣٠٢). وضاع، لم يكن في الكذابين أقلّ حياةً منه. صنّف في مناقب أبي حنيفة أحاديث باطلة كلّها موضوعة، وأخرج عن الثقات أخباراً كلّها كذب^(١).

٦- أحمد بن محمد بن عمرو أبو بشر الكندي المروزي، نزيل بغداد، المتوفى (٣٢٣). كان فقيهاً مجوداً في السنّة وفي الردّ على أهل البدع، وكان حافظاً عذب اللسان، ولكنّه كان يضع الأحاديث عن أبيه، عن جدّه، وعن غيرهم، يكذب ويضع الحديث على الثقات، وله من النسخ الموضوعة شيء كثير^(٢). وقال ابن حبان^(٣):

كان ممن يضع المتن ويقلب الأسانيد فاستحقّ الترك، لعلّه قد قلب على الثقات أكثر من عشرة آلاف حديث، كتبتُ أنا منها أكثر من ثلاثة آلاف حديث لم أشك أنه قلبها.

وفي شذرات الذهب^(٤):

هو أحد الوضّاعين الكذابين، مع كونه محدّثاً إماماً في السنّة والردّ على المبتدعة.

٧- أحمد بن محمد بن غالب الباهلي أبو عبدالله، المتوفى (٢٥٧).

غلام الخليل، من كبار الزهاد ببغداد، كذاب وضاع. قال الحافظ ابن عدي^(٥): سمعت أبا عبدالله النهاوندي بحرّان في مجلس أبي عروبة يقول: قلتُ لغلام الخليل: ما هذه الأحاديث الرقائق التي تحدّث بها؟ قال: وضعناها لنرفق بها قلوب العامة.

١- المنظم ٦: ١٥٧ [١٣/١٩٥، رقم ٢١٦٧]؛ ميزان الاعتدال ١: ٦٦ [١/١٤٠، رقم ٥٥٥].

٢- تاريخ بغداد ٥: ٧٤.

٣- كتاب المجروحين [١/١٥٦، وفيه: ابن مصعب بدلاً من: ابن عمرو].

٤- شذرات الذهب ٢: ٢٩٨. ٥- الكامل في ضعفاء الرجل [١/١٩٥، رقم ٣٨].

قال الأميني: والعجب العجّاب أن رجلاً هذه سيرته وهذه ترجمته غلقت بموته أسواق مدينة السلام، وحمل نعشه إلى البصرة ودفن هناك، وبنيت على قبره قبة؛ كما في تاريخ بغداد والمنتظم لابن الجوزي^(١).

٨- أسد بن عمرو أبو المنذر البجلي القاضي - صاحب أبي حنيفة - المتوفى (١٩٠).
كذوبٌ ليس بشيء، كان يسوي الحديث على مذهب أبي حنيفة، هو والريح عندهم سواء^(٢).

٩- إسماعيل بن يحيى التيمي حفيد أبي بكر الصديق.
كذاب لا تحلّ الرواية عنه، ركن من أركان الكذب، يضع الحديث، عامّة ما يرويه بواطيل، كان يكذب على مالك والثوري وغيرهما، يحدث عن الثقات بما لا يتابع عليه^(٣).
١٠- الحسين بن حميد بن ربيع الكوفي الخزّار المتوفى (٢٨٢). كذاب ابن كذاب ابن كذاب^(٤).

١١- حمّاد بن أبي حنيفة - إمام الحنيفة - نعمان بن ثابت الكوفي.
كذبه جرير. وقال لقتيبة: قل له: ما لك وللحديث؟ إنّما دأبك الخصومات^(٥).
١٢- سليمان بن داود البصري أبو أيّوب المعروف بالشاذكوني المتوفى (٢٣٤).
أحد الحفاظ، كذاب، خبيث، كان يضع الحديث في الوقت. وقيل: كان يتعاطى المسكر ويتماجن^(٦).

١- تاريخ بغداد ٥: ٧٩، المنتظم ٥: ٩٥ [١٢/٢٦٥، رقم ١٨٠٦].

٢- تاريخ بغداد ٧: ١٧، ميزان الاعتدال ١: ٩٦ [١/٢٠٦، رقم ٨١٤]؛ لسان الميزان ١: ٣٨٤ [١/٤٢٧، رقم ١٢٠٨].

٣- تاريخ بغداد ٦: ٢٤٩؛ أسنى المطالب: ٢٠٩ [ص ٤٢٤، ح ١٣٧٠]؛ ميزان الاعتدال ١: ١١٧ [١/٢٥٣، رقم ٩٦٥].

٤- تاريخ بغداد ٨: ٣٨، ميزان الاعتدال ٢: ٢٨ [١/٥٣٣، رقم ١٩٩٣].

٥- لسان الميزان ٢: ٣٤٦ [٢/٤٢١، رقم ٢٩٢٩].

٦- تاريخ بغداد ٩: ٤٧، ميزان الاعتدال ١: ٤١٤ [٢/٢٠٥، رقم ٣٤٥١].

٥- أحمد بن محمد بن الصلت بن المغلس أبو العباس الحماني، المتوفى (٣٠٨، ٣٠٢). وضاع، لم يكن في الكذابين أقل حياءً منه. صنّف في مناقب أبي حنيفة أحاديث باطلة كلّها موضوعة، وأخرج عن الثقات أخباراً كلّها كذب^(١).

٦- أحمد بن محمد بن عمرو أبو بشر الكندي المروزي، نزيل بغداد، المتوفى (٣٢٣). كان فقيهاً مجوّداً في السنّة وفي الردّ على أهل البدع، وكان حافظاً عذب اللسان، ولكنّه كان يضع الأحاديث عن أبيه، عن جدّه، وعن غيرهم، يكذب ويضع الحديث على الثقات، وله من النسخ الموضوعة شيء كثير^(٢). وقال ابن حبان^(٣):

كان ممن يضع المتون ويفلّب الأسانيد فاستحقّ الترك، لعله قد قلب على الثقات أكثر من عشرة آلاف حديث، كتبْتُ أنا منها أكثر من ثلاثة آلاف حديث لم أشك أنّه قلبها.

وفي شذرات الذهب^(٤):

هو أحد الرّضاعين الكذابين، مع كونه محدّثاً إماماً في السنّة والردّ على المبتدعة.

٧- أحمد بن محمد بن غالب الباهلي أبو عبدالله، المتوفى (٢٥٧).

غلام الخليل، من كبار الزهّاد ببغداد، كذاب وضاع. قال الحافظ ابن عدي^(٥):

سمعت أبا عبدالله النهاوندي بحرّان في مجلس أبي عروبة يقول: قلتُ لغلام

الخليل: ما هذه الأحاديث الرقائق التي تحدّث بها؟ قال: وضعناها لنرفق بها

قلوب العامة.

١- المنتظم ٦: ١٥٧ [١٣/١٩٥، رقم ٢١٦٧]؛ ميزان الاعتدال ١: ٦٦ [١/١٤٠، رقم ٥٥٥].

٢- تاريخ بغداد ٥: ٧٤.

٣- كتاب المجروحين [١/١٥٦، وفيه: ابن مصعب بدلاً من: ابن عمرو].

٤- شذرات الذهب ٢: ٢٩٨. ٥- الكامل في ضعفاء الرجل [١/١٩٥، رقم ٣٨].

قال الأميني: والعجب العجائب أن رجلاً هذه سيرته وهذه ترجمته غلقت بموته أسواق مدينة السلام، وحمل نعشه إلى البصرة ودفن هناك، وبنيت على قبره قبة؛ كما في تاريخ بغداد والمنتظم لابن الجوزي^(١).

٨- أسد بن عمرو أبو المنذر البجلي القاضي - صاحب أبي حنيفة - المتوفى (١٩٠).
كذوبٌ ليس بشيء، كان يسوي الحديث على مذهب أبي حنيفة، هو والريح عندهم سواء^(٢).

٩- إسماعيل بن يحيى التيمي حفيد أبي بكر الصديق.
كذاب لا تحلّ الرواية عنه، ركن من أركان الكذب، يضع الحديث، عامة ما يرويه بواطيل، كان يكذب على مالك والثوري وغيرهما، يحدث عن الثقات بما لا يتابع عليه^(٣).
١٠- الحسين بن حميد بن ربيع الكوفي الخزّار المتوفى (٢٨٢). كذاب ابن كذاب ابن كذاب^(٤).

١١- حمّاد بن أبي حنيفة - إمام الحنيفة - نعمان بن ثابت الكوفي.
كذبه جرير. وقال لقتيبة: قل له: مالك وللحديث؟ إنما دأبك الخصومات^(٥).
١٢- سليمان بن داود البصري أبو أيوب المعروف بالشاذكوني المتوفى (٢٣٤).
أحد الحفاظ، كذاب، خبيث، كان يضع الحديث في الوقت. وقيل: كان يتعاطى المسكر ويتماجن^(٦).

١- تاريخ بغداد ٥: ٧٩؛ المنتظم ٥: ٩٥ [١٢/٢٦٥، رقم ١٨٠٦].

٢- تاريخ بغداد ٧: ١٧؛ ميزان الاعتدال ١: ٩٦ [١/٢٠٦، رقم ٨١٤]؛ لسان الميزان ١: ٣٨٤ [١/٤٢٧، رقم ١٢٠٨].

٣- تاريخ بغداد ٦: ٢٤٩؛ أسنى المطالب: ٢٠٩ [ص ٤٢٤، ح ١٣٧٠]؛ ميزان الاعتدال ١: ١١٧ [١/٢٥٣، رقم ٩٦٥].

٤- تاريخ بغداد ٨: ٣٨؛ ميزان الاعتدال ٢: ٢٨ [١/٥٣٣، رقم ١٩٩٣].

٥- لسان الميزان ٢: ٣٤٦ [٢/٤٢١، رقم ٢٩٢٩].

٦- تاريخ بغداد ٩: ٤٧؛ ميزان الاعتدال ١: ٤١٤ [٢/٢٠٥، رقم ٣٤٥١].

١٣ - عليّ بن الجهم بن بدر السامي الخراساني ثمّ البغدادي، المقتول سنة (٢٤٩).
 كان أكذب خلق الله، مشهوراً بالنصب، كثير الخطّ على عليّ وأهل البيت. وقيل:
 إنّ كان يلعن أباه لم سمّاه عليّاً.
 قال الأميني: هذا ملخّص القول في ترجمة الرجل؛ فانظر عندئذٍ إلى قول ابن كثير في
 تاريخه^(١) عند ذكره، قال:

أحد الشعراء المشهورين، وأهل الديانة المعترين، وكان فيه تحامل على عليّ
 ابن أبي طالب ﷺ.

فكان تحامله على عليّ ﷺ جعله من أهل الديانة المعترين عند ابن كثير! هكذا
 فليكن ابن كثير، وإلى الله المنتهى.

١٤ - عمر بن صبيح^(٢) الخراساني.

كذاب، كان يضع الحديث، لم يكن له في الدين نظير في البدعة والكذب^(٣).

١٥ - عمرو بن خليف أبو صالح الخناوي^(٤).

قال ابن حبان^(٥): كان يضع الحديث. ومن خزاياه الموضوعه على ابن عبّاس
 قال: قال النبي ﷺ: أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئباً، فقلت: أذنب في الجنة؟ قال: إنّي
 أكلتُ ابن شرطيّ. قال ابن عبّاس: وهذا إنّما أكل ابنه، فلو أكله رُفع في عليّين.

قال الأميني: ليت ابن عبّاس يُفصح عن أنّه لو كان أكل مدير الشرطة أين كان

١ - البداية والنهاية ١١: ٤ [١١/٨، حوادث سنة ٢٤٩ هـ].

٢ - في تهذيب التهذيب وبعض آخر من المصادر: الصبح.

٣ - ميزان الاعتدال ٢: ٢٦٢ [٣/٢٠٦، رقم ٦١٤٧]؛ تذكرة الموضوعات: ٧٧ [ص ٥٤].

٤ - [الظاهر أنّه الخناوي لا الخناوي؛ كذا أورده ابن حبان وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ١٥٣/٥، رقم

١٣١٨، وابن الجوزي في كتاب الضعفاء والمتروكين ٢/٢٢٥، رقم ٢٥٥٧].

٥ - كتاب الجروحين [٢/٨٠].

يُرفع^(١)!

١٦ - عوانة بن الحكم الكوفي المتوفى (١٥٨). كان عثمانياً يضع الأخبار لبني أمية^(٢).

١٧ - نوح بن أبي مريم يزيد أبو عصمة المتوفى (١٧٣). شيخ كذاب، كان يضع الحديث كما يضع معلّى بن هلال، وضع حديث فضائل القرآن الطويل. قال الحاكم: هو الذي وضع أحاديث فضائل القرآن، وأحاديث فضل سور القرآن مئة وأربعة عشر كلّها كذب^(٣).

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

لغت نظر:

هذا غيظ من فيض، ولعلّ القارئ يستكثره أو يستعظمه، ذاهلاً عن أن وضع الحديث والكذب على النبيّ الأعظم، وعلى الثقات من الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان، لا ينافي عند كثير من القوم الزهد والورع واتّصاف الرجل بالتقوى، بل هو شعار الصالحين ويتقرّبون به إلى المولى سبحانه؛ ومن هنا قال يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث^(٥).

وقال القرطبي في التذكار^(٦):

لا النفات لما وضعه الواضعون واختلقه المخلفون من الأحاديث الكاذبة

١ - تذكرة الموضوعات: ٤٦ [ص ٣٣]؛ ميزان الاعتدال ٢: ٢٨٧ [٢٥٨/٣]، رقم ٦٣٦٢.

٢ - لسان الميزان ٤: ٣٨٦ [٤٤٦/٤]، رقم ٦٣٧٥.

٣ - ميزان الاعتدال ٣: ١٨٧ [٢٧٩/٤]، رقم ٩١٤٣؛ أسنى المطالب: ٢٠ و ١١٠ [ص ٤٧ و ٢١٣، ح ٥٦ و ٦٧٥].

٤ - الأعراف: ١٣٩.

٥ - مقدّمة صحيح مسلم [٤٢/١]؛ تاريخ بغداد ٢: ٩٨ [رقم ٤٩٣].

٦ - التذكار: ١٥٥.

والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال ، وقد ارتكبتها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبةً كما زعموا ؛ يدعون الناس إلى فضائل الأعمال .

فكأن الكذب والإفك وقول الزور ليست من الفواحش ، ولم تكن فيها أي منقصة ومغمزة ، ولا تنافي شيئاً من فضائل النفس ، ولا تمس كرامة ذويها .
فهذا حرب بن ميمون ، مجتهد عابد ، وهو أكذب الخلق .
وهذا الهيثم الطائي ، يقوم عامة الليل بالصلاة ، وإذا أصبح يجلس ويكذب .
وهذا الحافظ عبد المغيث الحنبلي ، موصوف بالزهد والثقة والدين والصدق والأمانة والصلاح والاجتهاد واتباع السنة والآثار ، وهو يؤلف من الموضوعات كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية .

وهذا أبو عمر الزاهد ، ألف من الموضوعات كتاباً في فضائل معاوية بن أبي سفيان . فمن هنا ترى كثيراً من الوضّاعين المذكورين بين إمام مقتدى ، وحافظ شهر ، وفقه حجة ، وشيخ في الرواية ، وخطيب بارع ، وكان فريق منهم يتعمّدون الكذب خدمةً لمبدأ ، أو تعظيماً لإمام ، أو تأييداً لمذهب ، ولذلك كثر الافتعال ووقع التضارب في المناقب والمثالب بين رجال المذاهب :

ترى أناساً افتعلوا على رسول الله ﷺ روايات في مناقب أبي حنيفة ؛ مثل رواية : « سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت ، ويكنى أبا حنيفة ، ليُحيين دين الله وسنتي على يديه ^(١) » .

١ - أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٢ : ٢٨٩ [رقم ٧٦٨] من طريق محمد بن يزيد المستملي الكذاب الوضّاع .

وقال : « هو موضوع باطل » .

ورواية: «إِنَّ فِي أُمِّي رجلاً اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة، هو سراج أُمِّي، هو سراج أُمِّي، هو سراج أُمِّي»^(١).

ورواية: «إِنَّ سائر الأنبياء تفتخر بي وأنا أفتخر بأبي حنيفة، وهو رجل تقيّ عند ربيّ، وكأنّه جبل من العلم، وكأنّه نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، فمن أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني». قال ابن الجوزي: «موضوع». وقال العجلوني: «لا يصلح وإن تعدّدت طرقه»^(٢).

ورواية: «إِنَّ آدم افتخر بي، وأنا أفتخر برجل من أُمِّي اسمه نعمان، وكنيته أبو حنيفة، هو سراج أُمِّي». قال العجلوني: «موضوع»^(٣).

ورواية: «لو كان في أمة موسى وعيسى مثل أبي حنيفة لما تهودوا وما تنصّروا»^(٤).
ورواية أبي البخري الكذاب قال: دخل أبو حنيفة على جعفر بن محمد الصادق، فلما نظر إليه جعفر قال: «كأنّي أنظر إليك وأنت تحيي سنّة جدّي ﷺ بعد ما اندرست، وتكون مفزعا لكلّ ملهوف، وغياثا لكلّ مهموم، بك يسلك المتحيرون إذا وقفوا، وتهديهم الواضح من الطريق إذا تحيّرُوا، فلك من الله العون والتوفيق، حتّى يسلك الرّبّانيّون بك الطريق»^(٥).

وقد بلغت مغالاة أمة من الحنفيّة إلى حدّ زعمت أنّه أعلم من رسول الله ﷺ؛ قال عليّ بن جرير: كنتُ في الكوفة فقدمتُ البصرة وبها عبد الله بن المبارك، فقال لي: كيف تركتَ الناس؟ قال: قلتُ: تركتُ بالكوفة قوماً يزعمون أنّ أبا حنيفة أعلم من

١ - أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣: ٣٣٥، وقال: «حديث موضوع».

٢ - المصدر السابق ١: ٣٣.

٣ - كشف الخفاء ١: ٣٣.

٤ - عده العجلوني من الموضوعات، كشف الخفاء ١: ٣٣.

٥ - أخرجه الخطيب الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة ١: ١٩، عن أبي البخري.

رسول الله ﷺ. [قال: كفروا] ^(١). قلت: اتخذوك في الكفر إماماً، قال: فبكي حتى ابتلت لحيتي؛ يعني أنه حدث عنه ^(٢).

وعن فضيل بن عياض قال: إن هؤلاء أشربت قلوبهم حبّ أبي حنيفة، وأفرطوا فيه، حتى لا يرون أن أحداً كان أعلم منه ^(٣).

وهناك قوم قابلوا هؤلاء بالطعن على إمامهم، وشتوا عليه الغارات، وتحاملوا عليه بالوقية فيه، لا يسعنا ذكر جلّ ما وقفنا عليه من ذلك فضلاً عن كلّ، غير أننا نذكر منه النزر اليسير.

قال عبد البر ^(٤):

فممن طعن عليه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح؛

فقال في كتابه في الضعفاء والمتروكين: وقال نعيم عن الفزاري: كنت عند

سفيان بن عيينة فجاء نعي أبي حنيفة، فقال: لعنه الله كان يهدم الإسلام عروة

عروة، وما ولد في الإسلام مولود أشر منه.

وقال ابن الجارود في كتابه في الضعفاء والمتروكين:

النعمان بن ثابت أبو حنيفة، جلّ حديثه وهم قد اختلف في إسلامه.

وروي عن مالك أنه قال في أبي حنيفة نحو ما ذكر سفيان: «إنه شرّ مولود وُلد في

الإسلام، وإنه لو خرج على هذه الأمة بالسيف كان أهون».

وعن يوسف بن أسباط: ردّ أبو حنيفة على رسول الله ﷺ أربعمئة حديث أو أكثر.

وعن مالك أنه قال: «ما ولد في الإسلام مولود أضرّ على أهل الإسلام من

أبي حنيفة».

١- [الزيادة من المصدر]. ٢- تاريخ بغداد ١٣: ٤٤١.

٣- حلية الأولياء ٥: ٣٥٨.

٤- في الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة: ص ١٤٩.

وعن عبدالرحمن بن مهدي: «ما أعلم في الإسلام فتنةً بعد فتنة الدجال أعظم من رأي أبي حنيفة».

وعن عبدالله بن إدريس: «أبو حنيفة ضالّ مضلّ».

وعن ابن أبي شيبة - وذكر أبا حنيفة -: «أراه كان يهوديًا».

وعن أحمد بن حنبل أنّه قال: «كان أبو حنيفة يكذب». وقال: أصحاب أبي حنيفة ينبغي أن لا يروى عنهم شيء»^(١).

وترى آخرين افتعلوا على رسول الله ﷺ رواية: عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً^(٢)، وحملوه على محمد بن إدريس إمام الشافعية.

وزعم المزني أنّه رأى رسول الله ﷺ في المنام فسأله عن الشافعي، فقال: «من أراد محبتي وسنتي فعليه بمحمد بن إدريس الشافعي المطلبّي؛ فإنّه منّي وأنا منه»^(٣).

وقال أحمد بن نصر: رأيتُ النبيّ في منامي فقلتُ: يا رسول الله بمن تأمرنا أن نقندي به من أمتك في عصرنا، ونركن إلى قوله، ونعتقد مذهبه؟ فقال: عليكم بمحمد بن إدريس الشافعي، فإنّه منّي، وإنّ الله قد رضي عنه وعن جميع أصحابه ومن يصحبه ويعتقد مذهبه إلى يوم القيامة. قلتُ له: وبمن؟ قال: بأحمد بن حنبل، فنعم الفقيه الورع الزاهد^(٤).

وتأتى المالكية بالزعمات؛ فتروي ما وضعه بعضهم على رسول الله ﷺ من رواية: يكاد الناس يضربون أكباد الإبل فلا يجدون أعلم من عالم المدينة^(٥)، وطبقوها على مالك بن أنس.

١ - تاريخ بغداد ٧: ١٧.

٢ - قال ابن الحوت في أسنى المطالب: ١٤ [ص ٣٧، ح ٣١]: «خبر لم يصح».

٤ - تاريخ مدينة دمشق ٢: ٤٨ [٣٤١/٥، رقم ١٣٦].

٣ - تاريخ بغداد ٢: ٦٩.

٥ - عده ابن الحوت في أسنى المطالب: ١٤ [ص ٧٣٧، ح ٣١] من الموضوعات. وقال: سمعته من المالكية ولم أراه.

فكانَّ المدينة لم تكن عاصمة الإسلام، ولم يكن هناك عالم يُقصد قبل مالك وبعده.
وكانَّ عائلة النبوة التي جعلها النبي ﷺ قرينة القرآن في الاستخلاف وقال: «إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» لم ترث علم النبي الأعظم. وكانَّ صادق آل محمد - وكلهم صادقون - لم يكن هو المنتجع الوحيد في العلم لأئمة الدنيا في ذلك اليوم، وكانَّ مالكا لم يكن من تلامذته.

فيأتي الرجل^(١) بدعوى الإجماع المجردة من المسلمين، على أنَّ مالكا هو المراد من ذلك الحديث المزور، ذاهلاً عن قول محمد بن عبد الرحمن:

إنَّ أحمد كان أفضل من مالك بن أنس^(٢).

وعن قول أحمد إمام الحنابلة:

كان ابن أبي ذئب أفضل من مالك بن أنس^(٣).

وعن قول عطية بن أسباط:

إنَّ أبا حنيفة أفقه من ملء الأرض مثل مالك^(٤).

وعن قول الشافعي وابن بكير:

إنَّ ليث بن سعيد الفهمي - شيخ الديار المصرية - أفقه من مالك^(٥).

وللهاكيتة حول إمامهم منامات، زعموا رؤية رسول الله ﷺ وثناءه على مالك، يوجد شطر منها في حلية الأولياء^(٦) وغيرها.

وللحنابلة أشواط بعيدة وخطوات واسعة في الدعاية إلى المذهب وإلى إمامهم، فقد

١ - صاحب الديباج المذهب [إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي، المتوفى ٧٩٩].

٢ - تاريخ بغداد ٢: ٢٩٨. ٣ - المصدر السابق ٢: ٢٩٨.

٤ - مناقب أبي حنيفة للشيخ علي القاري، المطبوع مع الجواهر المضية في طبقات الحنفية: ٤٦١.

٥ - خلاصة الخزرجي: ٢٧٥ [٣٧١/٢، رقم ٦٠٠٠]؛ تذكرة الحفاظ ١: ٢٠٨ [٢٢٤/١، رقم ٢١٠].

٦ - حلية الأولياء ٦: ٣١٧.

افتعلوا أطيفاً تصمّ منها المسامع، ويقصر عن مغزاها كلّ غلوّ، وقد أسلفنا يسيراً منها. وبلغ غلوّ الحنابلة في إمامهم إلى حدّ قال المديني: إنّ الله أعزّ هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث: أبو بكر الصديق يوم الرّدة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة^(١). وقال: ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ ما قام به أحمد بن حنبل.

قال الميموني قلتُ له: يا أبا الحسن! ولا أبو بكر الصديق؟ قال: ولا أبو بكر الصديق؛ إنّ أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان وأصحاب^(٢).

ولابن الجوزي في المنتظم^(٣) كلمة ضافية حول تعصّب أبي بكر الخطيب البغدادي - صاحب التاريخ - على مذهب أحمد وأصحابه، إلى أن قذفه بعدم الحياء وقلة الدين. وكان محمّد بن محمّد أبو المظفر البروي المتوفّى (٥٦٧) يتكلّم في الحنابلة، وتعصّب عليهم وبالع في ذمّهم، وقال: لو كان لي أمرٌ لوضعتُ عليهم الجزية، فدسّ الحنابلة عليه سمّاً فمات منه هو وزوجته وولدٌ له صغير^(٤).

نعم، هناك من لم ترحزحه النزعات والأهواء عن الهتاف بالصدق نظراء الفيروز آبادي صاحب القاموس، والعجلوني؛ فقال الأوّل في خاتمة كتابه سفر السعادة^(٥) والثاني في كشف الخفاء^(٦)، باب فضائل أبي حنيفة والشافعي: وذمّهم ليس فيه شيء صحيح، وكلّ ما ذكر من ذلك فهو موضوع ومفترى.

١ - هل خفي على ابن المديني ما أخرجه الحفاظ من الصحيح المكذوب على رسول الله ﷺ قال: أللّهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطّاب خاصّة؟ والصحيح المختلق عليه ﷺ: أللّهم أيّد الدين بعمر؛ فجعل الله دعوة رسول الله ﷺ لعمر، فبني عليه ملك الإسلام وهدم به الأوثان؛ مستدرک الحاكم ٢: ٨٣ [١٨٩/٣، ح ٤٤٨٦].

٢ - تاريخ بغداد ٤: ٤١٨. المنتظم ٨: ٢٦٧ [١٨/١٧٨، رقم ٤٢٦٩].

٣ - المصدر السابق ١٠: ٢٣٩ [١٨/١٩٨، رقم ٤٢٩٢]؛ وانظر شذرات الذهب [٦/٣٧٠]، المعبر [٢/٥٢].

٤ - كشف الخفاء ٢: ٤٢٠. ٥ - سفر السعادة [٢/٢١٦].

وقال ابن درويش الحوت في أسنى المطالب^(١):
لم يرد في أحد من الأئمة بعينه نص لا صحيح ولا ضعيف .

قائمة الموضوعات والمقلوبات

في وسع الباحث أن يتخذ مما ذكر في سلسلة الكذابين من عدد ما وضعوه أو قلبوه قائمة تقرب له الوقوف على حساب الموضوعات والمقلوبات من الأحاديث المبتوثة في طبقات كتب القوم ومسانيدهم، وإن لم يمكنه عرفان جلّها فضلاً عن كلّها؛ إذ لم يكن هناك ديوان لتسجيل الوضّاعين، وضبط ما افتعلوه، وحصر ما لفقوه من موضوع أو مقلوب، والذي يوجد في ترجمة شاذمة قليلة من أولئك الجمّ الغفير إنما هو من لقطات التاريخ، حفظته يد الصدفة لا عن قصدٍ.

ثمّ قال العلامة بعد ذكر قائمة بعض رجال مذكورين في سلسلة الكذابين والوضّاعين: فمجموع ما لا يصحّ من أحاديث هذا الجمع القليل فحسب يقدر بأربعمئة وثمانية آلاف وستمئة وأربعة وثمانين حديثاً (٤٠٨٦٨٤).

ولا يعزب عن الباحث أنّ هذا العدد إنما هو نزر يسير نظراً إلى ما اختلقته أيدي الافتعال الأئيمة المتكثرة، وكان لجلّ الكذابين الوضّاعين - لولا كلّهم - تأليف تحوي شتات ما لفقوه ممّا لا يُحدّد ولا يُقدّر، والتاريخ لم يحفظ لنا شيئاً منها غير الإيعاز إليها في تراجم جمع من مؤلفيها.

ويعرب عن كثرة الموضوعات اختيار أئمة الحديث أخبار تأليفهم الصحاح والمسانيد من أحاديث كثيرة هائلة، والصفح عن ذلك الهوش الهائش. يحتوي صحيح البخاري من الخالص بلا تكرار ألفي حديث وسبعمئة وواحد وستين حديثاً اختاره من

زهراء ستمئة ألف حديث^(١). وفي صحيح مسلم أربعة آلاف حديث أصول دون المكررات صنّفه من ثلاثمئة ألف^(٢).

مشكلة الثقة والثقات:

هذا شأن من لا يوثق به وبحديثه عند القوم، وأمّا من يوصف بالثقة فهناك مشكلة عويصة لا تنحل، وتجعل القارئ في بهيئة؛ فلا يعرف أيُّ مثقّف قطّ ما الثقة وما معناها، وأيُّ ملكة هي، وما يراد منها، وبماذا تتأقّي، وأيُّ خلّة تضادّها وتناقضها؛ فهل معي نقرأ تاريخ جمع نصّ على ثقّتهم؛ نظراء:

١ - زياد بن أبيه؛ صاحب الطائمت والجرائم الموبقة. قال خليفة بن خياط: كان يعدّ من الزهّاد. وقال أحمد بن صالح: لم يكن يُتّهم بالكذب^(٣).

٢ - عمر بن سعد بن أبي وقّاص؛ قاتل الإمام السبط الشهيد. قال العجلي: ثقة^(٤).

٣ - عمران بن حطان؛ رأس الخوارج، صاحب الشعر المعروف في ابن ملجم

المرادي:

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها

إني لأذكره حيناً فأحسبه

أوفي البريّة عند الله ميزاناً^(٥)

وثّقه العجلي^(٦)، وجعله البخاري من رجال صحيحه، وأخرج عنه.

١ - تاريخ بغداد ٨: ٢ [رقم ٤٢٤]؛ إرشاد الساري ٢٨: ١ [٥٠/١]؛ صفة الصفوة ٤: ١٤٣ [١٦٩/٤، رقم ٧١٢].

٢ - المنتظم لابن الجوزي ٥: ٣٢ [١٧١/١٢، رقم ١٦٦٧]؛ طبقات الحفاظ للذهبي ٢: ١٥١ و ١٥٧ [٥٨٩/٢، رقم

٦١٣]؛ شرح صحيح مسلم للنووي ١: ٣٢ [٢١/١].

٣ - تاريخ مدينة دمشق ٥: ٤٠٦ - ٤١٤ [١٦٢/١٩، رقم ٢٣٠٩، وفي مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٨١].

٤ - خلاصة الخرجي: ١٤٠ [٢٧٠/٢، رقم ٥١٦٥].

٦ - تاريخ الثقات [٣٧٣، رقم ١٣٠٠].

٥ - [راجع تلخيص التدير / ٥٧].

٤ - حريز بن عثمان؛ الذي كان يصلي في المسجد ولا يخرج منه حتى يلعن علياً سبعين لعنة كل يوم. قال إسماعيل بن عيَّاش: رافقت حريزاً من مصر إلى مكة فجعل يسبُّ علياً ويلعنه، وقال لي: هذا الذي يرويه الناس أن النبي ﷺ قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» حق، ولكن أخطأ السامع. قلت: فما هو؟ قال: إنما هو: أنت مني بمكان قارون من موسى. قلت: عمّن ترويه؟ قال: سمعتُ الوليد بن عبد الملك يقوله على المنبر^(١). احتجَّ بحديثه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم.

وفي الرياض النضرة^(٢): ثقة ولكن يبغض علياً، أبغضه الله عز وجل.

٥ - الحافظ عبد المغيث الحنبلي؛ يؤلف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية. يأتي بالموضوعات، ويُترجم بالزهد والثقة والدين والصدق والأمانة والصلاح والاجتهاد^(٣).

نعم، ترك شعبة رواية المنهال بن عمرو الأسدي الكوفي لما سمع من بيته صوت قراءة بالتطريب؛ كما قاله ابن أبي حاتم^(٤).

نعم، قال يزيد بن هارون: لا تحلّ الرواية عن أبي يوسف لأنه كان يعطي أموال اليتامى مضاربةً ويجعل الربح لنفسه^(٥).

نعم نعم، ترك البخاري الرواية عن الإمام الصادق جعفر بن محمد. وقال يحيى ابن

١ - تاريخ ابن عساكر ٤: ١١٥ [٣٣٦/١٢]، رقم ١٢٥٤؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ٦/٢٧٨؛ تاريخ الخطيب ٨:

٢٦٨ [رقم ٤٣٦٥]. ٢ - الرياض النضرة ٢: ٢١٦ [١٦٩/٣].

٣ - [سيرة أعلام النبلاء ٢١/١٦٠؛ شذرات الذهب ٦/٤٥٣، حوادث سنة ٥٨٣ هـ].

٤ - الجرح والتعديل [٢٥٧/٨]؛ خلاصة الخرجي: ٣٣٢ [٥٩/٣]، رقم ٧٢٢٣.

٥ - تاريخ بغداد ١٤: ٢٥٨.

سعيد: «في نفسي منه شيء». وقال: «ما كان كذوباً»^(١). ووثّقه^(٢) الشافعي وابن معين وابن أبي خيثمة وأبو حاتم وابن عدي وابن حبان والنسائي وآخرون.
نعم، قال أبو حاتم بن حبان البستي^(٣): «يروى عليُّ بن موسى الرضا - الإمام الطاهر - عن أبيه العجائب كأنّه يهّم ويخطئ»^(٤).
نعم، ضعّف ابن الجوزي الإمام الطاهر الحسن بن عليّ بن محمّد العسكري في الموضوعات^(٥).

﴿قَوْلُ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٦)

١- تهذيب التهذيب ٢: ١٠٣ [٨٨/٢].

٢- [معرفه الرجال ١/ ١١٠، رقم ٥١٤؛ الجرح والتعديل ٢/ ٤٨٧؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ١٣٤، رقم ١٣٣٤]

٣- كتاب الجروحين [١٠٦/٢].

الثقات [١٣١/٦].

٤- الأنساب [٧٤/٣]؛ تهذيب التهذيب ٧: ٣٨٨ [٢٣٨/٧].

٥- لسان الميزان ٢: ٢٤٠ [٢٩٨/٢، رقم ٢٥٣١]. - البقرة: ٧٩.

ز: سلسلة الموضوعات على النبي الأمين ﷺ

يَهْمُنَا هَاهُنَا ذِكْرُ نَمَازِجٍ مِمَّا وَضَعَتْهُ يَدُ أَوْلَئِكَ الْكَذَّابِينَ وَالْوَضَّاعِينَ الْمَذْكُورِينَ ، أَوْ
مَنْ يَشَاكِلُهُمْ فِي الْإِفْتِعَالِ فِي بَابِ الْفَضَائِلِ فَحَسَبَ .

- ١ -

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ
وَرَقَةٍ مِنْهَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، عُمَرُ الْفَارُوقُ ، عِثَانُ
ذَوِ النُّورَيْنِ » .

مِنْ مَوْضُوعَاتِ عَلِيِّ بْنِ جَمِيلٍ الرَّقِّيِّ . أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ ^(١) ، وَقَالَ :
مَوْضُوعٌ ، وَعَلِيُّ بْنُ جَمِيلٍ وَضَّاعٌ .

- ٢ -

عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً : « لَيْلَةَ أُسْرِي بِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِتَفَّاحَةٍ تَعَلَّقَتْ عَنْ
حُورَاءَ ، قَالَتْ : أَنَا لِلْمَقْتُولِ ظِلْمًا عِثَانُ » .
أَخْرَجَهُ الذَّهَبِيُّ فِي مِيزَانِهِ ^(٢) مِنْ طَرِيقِ عَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَدَوِيِّ ^(٣) الْوَضَّاعِ ، وَقَالَ :
« خَبَرٌ مَوْضُوعٌ » .

- ٣ -

عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعاً : « إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ

١ - المعجم الكبير [١١ / ٦٣ ، ح ١١٠٩٣] . ٢ - ميزان الاعتدال ٢ : ٢٠ [٢ / ٣٨٦ ، رقم ٤١٨٢] .

٣ - [في المصدر : العلوي] .

والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً؛ فجعلهم خير أصحابي، وأصحابي كلهم خير».

من موضوعات عبد الله بن صالح كاتب الليث. قال الذهبي في ميزانه^(١):
قد قامت القيامة على عبد الله بن صالح بهذا الخبر.
وقال النسائي: إنه موضوع.

- ٤ -

عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: «لما وُلد أبو بكر في تلك الليلة، أطلع الله على جنة عدن فقال: وعزّتي وجلالي لا أدخلك إلا من أحبّ هذا المولود».
قال الذهبي^(٢):

موضوع آفته أحمد بن عصمة النسابوري.
وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه^(٣) وقال:
إنه باطل، وفي إسناده غير واحد من المجهولين.

- ٥ -

عن أبي هريرة مرفوعاً: «إنّ في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبّ أبا بكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر».

من وضع أبي سعيد الحسن بن عليّ العدوي البصري. أخرجه الخطيب^(٤) وقال:
هذا الحديث وضعه العدوي على كامل بن طلحة.

- ٦ -

عن أنس قال: لما خرج رسول الله ﷺ من الغار، أخذ أبو بكر بغرزه، فنظر

١- ميزان الاعتدال ٢: ٤٧ [٤٤٢/٢، رقم ٤٣٨٣]. ٢- ميزان الاعتدال [١١٩/١، رقم ٤٦٧].

٣- تاريخ بغداد ٣: ٣٠٩. ٤- تاريخ بغداد [٣٨٣/٧، رقم ٣٩١٠].

النبي ﷺ إلى وجهه فقال: «يا أبا بكر ألا أبشرك؟» قال: بلى فذاك أبي وأُمِّي. قال: «إنَّ الله يتجلَّى يوم القيامة للخلائق عامَّةً ويتجلَّى لك خاصَّةً».

من موضوعات محمَّد بن عبد أبي بكر التيمي السمرقندي. قال الخطيب في تاريخه^(١):

هذا الحديث لا أصل له عند ذوي المعرفة بالنقل فيما نعلمه، وقد وضعه محمَّد بن عبد إسناداً ومتناً.

- ٧ -

عن أنس قال: «آخِي^(٢) النبي ﷺ بين كتني أبي بكر وعمر، فقال لهما: أنتما وزيرا في الدنيا والآخرة...».

من موضوعات زكريّا بن دُرَيْد^(٣) الكندي. أخرجه ابن حَبَّان^(٤) وقال: موضوع آفته زكريّا.

- ٨ -

عن أنس مرفوعاً: «إنَّ الله تعالى سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان بن عفان حيّاً، فإذا قُتل جُرِّد ذلك السيف فلم يُغمَد إلى يوم القيامة».

أخرجه ابن عدي^(٥) وقال: موضوع آفته عمرو بن فائد، وشيخه موسى بن سيّار كذاب أيضاً^(٦).

- ٩ -

عن أبي هريرة مرفوعاً: «الأُمْناءُ عند الله ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية».

١ - تاريخ بغداد ٢: ٣٨٨.

٢ - [كذا في اللآلئ المصنوعة ٣٠٧/١، وفي كتاب الجروحين: «أخذ»].

٣ - [كذا في اللآلئ المصنوعة، وفي غيره: «دويد»]. ٤ - كتاب الجروحين [٣١٤/١].

٥ - الكامل في ضعفاء الرجل [١٤٨/٥، رقم ١٣١٢].

٦ - اللآلئ المصنوعة ١: ٦٤ [٣١٦/١].

قال الخطيب والنسائي وابن حبان^(١):

هذا الحديث باطل موضوع .

- ١٠ -

عن واثلة مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ ائْتَمَنَ عَلَى وَحْيِهِ جَبْرِيلَ وَأَنَا وَمَعَاوِيَةُ، وَكَادَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَاوِيَةَ نَبِيًّا مِنْ كَثْرَةِ عِلْمِهِ وَائْتِمَانِهِ عَلَى كَلَامِ رَبِّي، يَغْفِرُ اللَّهُ لِمَعَاوِيَةَ ذُنُوبَهُ، وَوَقَاهُ حِسَابَهُ، وَعَلَّمَهُ كِتَابَهُ، وَجَعَلَهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا وَهَدَى بِهِ». أخرجه ابن عساكر^(٢) عن رجل.

قال الحاكم: سئل أحمد بن عمر الدمشقي - وكان عالماً بحديث الشام - عن هذا الحديث فأنكره جداً.

قال الأميني: أحسب أن رواة السوء أرادوا خطأ من مقام النبوة لا ترفيعاً لمقام معاوية؛ لما نعلمه من البون الشاسع بين مرتبة النبوة التي تعتقد بها المسلمون وبين متبوعاً هذا المقعي على أنقاض مستوى الخلافة^(٣).

- ١١ -

عن أبي هريرة قال: «خرج رسول الله ﷺ متكئاً على علي بن أبي طالب، فاستقبله أبو بكر وعمر، فقال له: يا علي! أتحبُّ هذين الشيخين؟ قال: نعم يا رسول الله! قال: أحبهما تدخل الجنة».

من موضوعات محمد بن عبد الله الأشناني. ذكره الذهبي في ميزانه^(٤) فقال: «حديث باطل بسند صحيح». وذكره ابن الجوزي في الموضوعات^(٥).

١ - كتاب المروحين [١٤٦/١].

٢ - مختصر تاريخ دمشق ٦/٢٥؛ وأورده السيوطي مسنداً في لآليه [٤١٩/١].

٣ - أنظر ص ٦٢ من كتابنا هذا. ٤ - ميزان الاعتدال ١: ٢٤٣ [٥٢٤/١]، رقم [١٩٥٤].

٥ - الموضوعات [٢٢٣/١].

- ١٢ -

عن أبي بن كعب مرفوعاً: «قال جبريل: لو جلستُ معك مثل ما جلس نوح في قومه ما بلغت فضائل عمر. الحديث...». ذكره ابن الجوزي في الموضوعات^(١).

- ١٣ -

عن عبدالله ﷺ مرفوعاً: «أبو بكر تاج الإسلام، وعمر حلّة الإسلام، وعثمان إكليل الإسلام، وعليّ طيب الإسلام». أخرجه الذهبي في الميزان^(٢) فقال: هو كذب.

- ١٤ -

عن أبي هريرة مرفوعاً: «خلقني الله من نوره، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر من نور أبي بكر، وخلق عثمان من نور عمر، وعمر سراج أهل الجنة». قال الذهبي في ميزانه^(٣) في ترجمة أحمد بن يوسف المنبجي: «خبر كذب».

- ١٥ -

عن عليّ ﷺ قال: «أول من يدخل من الأمة الجنة أبو بكر وعمر، وإني لموقوف مع معاوية للحساب».

قال الذهبي^(٤) في ترجمة أصبغ الشيباني: خبر منكر أخرجه ابن الجوزي في الواهيات.

- ١٦ -

مرفوعاً: لو لم أبعث لبُعثت يا عمر!
قال الصّغاني: موضوع^(٥).

٢- ميزان الاعتدال ١: ٣١٠ [١/٦٦١، رقم ٢٥٤٥].

١- الموضوعات [١/٣٢١].

٤- ميزان الاعتدال [١/٢٧١، رقم ١٠١٥].

٣- ميزان الاعتدال [١/١٦٦، رقم ٦٦٩].

٥- كشف الخفاء ٢: ١٦٣.

- ١٧ -

كان ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل شيبه أبي بكر .
عدّه الفيروز آبادي في خاتمة سفر السعادة^(١)، والعجلوني في كشف الخفاء^(٢) من
أشهر المشهورات من الموضوعات ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل .

- ١٨ -

عن ابن عباس مرفوعاً: «أنا مع عمر وعمر معي حيث حللتُ، من أحبه فقد
أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني» .
رواه الذهبي في ميزان الاعتدال^(٣) وقال: «هذا كذب» .

- ١٩ -

عن ابن عباس مرفوعاً: «أبو بكر مني بمنزلة هارون من موسى» .
من موضوعات عليّ بن الحسن الكلبي، أخرجه محمد بن جرير الطبري . قال
الذهبي في ميزانه^(٤): «خبر كذب هو - الكلبي - المتهم به» .

- ٢٠ -

عن أنس قال: لما حضرت وفاة أبي بكر الصديق، سمعتُ عليّ بن أبي طالب يقول:
«المتفرسون في الناس أربعة: امرأتان ورجلان، وعدّ صفرا بنت شعيب، وخديجة بنت
خويلد، وعزيز مصر على عهد يوسف . فقال: وأمّا الرجل الآخر: فأبو بكر الصديق .
لما حضرته الوفاة قال لي: إني تفرّستُ في أن أجعل الأمر من بعدي في عمر بن
الخطّاب . فقلتُ له: إن تجعلها في غيره لن نرضى به . فقال: سررتني والله لأسرّتك في
نفسك بما سمعته من رسول الله ﷺ . فقلتُ: وما هو؟ قال سمعتُ رسول ﷺ يقول: إنّ عليّ

٢ - كشف الخفاء ٢: ٤١٩ .

١ - سفر السعادة [٢/٢١١] .

٣ - المصدر السابق ٢: ١٥٨ [٦٧٥، رقم ٥٢١٨] . ٤ - ميزان الاعتدال ٢: ٢٢٢ [٣/١٢٢، رقم ٥٨١٦] .

الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من عليّ بن أبي طالب . فقال عليّ له : أفلا أسرك في نفسك وفي عمر بما سمعته من رسول الله ؟ فقال : ما هو ؟ فقلت : قال لي : يا عليّ ! لا تكتب جوازاً لمن سبّ أبا بكر وعمر فإنّهما سيّدا كهول أهل الجنّة بعد النبيّين . فلمّا أفضت الخلافة إلى عمر ، قال لي عليّ : يا أنس ! إنّني طالعتُ مجاري القلم من الله تعالى في الكون فلم يكن لي أن أرضي بغير ما جرى في سابق علم الله وإرادته خوفاً من أن يكون منّي اعتراض على الله ، وقد سمعتُ رسول الله يقول : أنا خاتم الأنبياء وأنت يا عليّ خاتم الأولياء .»

أخرجه الخطيب في تاريخه ؛ فقال :

هذا الحديث موضوعٌ من عمل القصاص ، وضعه عمر بن واصل - أو وُضع عليه - والله أعلم ^(١) .

- ٢١ -

عن ابن مسعود مرفوعاً : « ما من مولود إلا وفي سرّته من تربته التي تولّد منها ، فإذا رُدَّ إلى أرذل عمره رُدَّ إلى تربته التي خُلِقَ منها حتّى يُدفن فيها ، وإنّي وأبا بكر وعمر خُلِقنا من تربة واحدة ، وفيها نُدفن .»

أخرجه الخطيب في تاريخه ^(٢) من طريق موسى بن سهل ، عن إسحاق بن الأزرق ، وذكره الذهبي في ميزانه ^(٣) في ترجمة موسى فقال : « خبر باطل رواه عنه نكرة مثله .»

- ٢٢ -

مرفوعاً : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها .»
قال ابن درويش الحوت في أسنى المطالب ^(٤) : « لا ينبغي ذكره في كتب العلم .»

٢ - تاريخ بغداد ٢ : ٣١٣ .

١ - تاريخ بغداد ١٠ : ٣٧٥ - ٣٥٨ .

٣ - ميزان الاعتدال ٣ : ٢١١ [٢٠٦/٤ ، رقم ٨٨٧٣] . ٤ - أسنى المطالب : ٧٣ [ص ١٣٧ ، ح ٣٩١] .

- ٢٣ -

عن أنس مرفوعاً: «سيد كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر، وأنَّ أبا بكر في الجنة مثل الثريا في السماء».

من موضوعات يحيى بن عنبسة؛ وهو ذلك الدجال الوضّاع. ذكر شرطه الأوّل الذهبي في الميزان^(١) وقال: قال يونس بن حبيب: ذكرتُ لعلّي بن المديني محمد بن كثير المصيصي وحديثه هذا، فقال عليّ: كنتُ أشتري أن أرى هذا الشيخ، فالآن لا أحبُّ أن أراه. وروى^(٢) شرطه الأوّل من طريق عبد الرحمن بن مالك بن مغول الكذاب الأفاك الوضّاع.

- ٢٤ -

عن جابر مرفوعاً: «لا يبغض أبا بكر وعمر مؤمن ولا يحبّها منافق». من موضوعات معلّى بن هلال الطحّان. قال أحمد: كلُّ أحاديثه موضوعة. أخرجه الذهبي وقال في تذكرة الحفاظ^(٣): «هذا حديثٌ غير صحيح، ومعلّى متهم بالكذب».

- ٢٥ -

عن عائشة قالت: «كانت ليلتي من رسول الله ﷺ، فلما ضمّني وإيَّاه الفراش نظرتُ إلى السماء فرأيتُ النجوم مشتبكة فقلت: يا رسول الله! في هذه الدنيا رجل له حسنات بعدد نجوم السماء؟ قال: نعم. قلت: من؟ قال: عمر، وإنّه لحسنة من حسنات أبيك».

عدّه الخطيب البغدادي من موضوعات بُريه بن محمد البيّع الكذاب^(٤).

١ - ميزان الاعتدال ٣: ١٢٦ [١٨/٤، رقم ٨١٠٠]. ٢ - المصدر السابق [٥٨٥/٢، رقم ٤٩٤٩].

٣ - تذكرة الحفاظ ٣: ١١٢. ٤ - أنظر تاريخ بغداد ٧: ١٣٥.

هذه نماذج من الموضوعات في المناقب. وهي كثيرة جداً تُعدّ بالآلاف، توجد في الجزء الثاني من كتابنا - رياض الأنس - أضعاف ما ذكر، ممّا لا يوجد شيء منه في الصحاح والمسانيد. وينتهي الإسناد في كثير من ذلك البهرج المزخرف إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. يُعرب ذلك كلّهُ عن صدق ما جاء به عامر بن شراحيل من قوله: أكثر من كُذِبَ عليه من الأمة الإسلامية هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (١).

ويعرف القارئ شأن هذه الأحاديث من كلام الفيروز آبادي صاحب القاموس؛ قال في خاتمة كتابه سفر السعادة (٢):

باب فضائل أبي بكر الصديق عليه السلام أشهر المشهورات من الموضوعات.

وقال:

وباب فضل معاوية ليس فيه حديث صحيح.

وقس على هذا ما اختلقوا على رسول الله ﷺ في غير واحد من رجال الصحابة بأسمائهم وأشخاصهم، وما وضعوا من الأحاديث الكثيرة من المناقب والمثالب في العباس عمّ النبيّ وبنيه عامّة والخلفاء منهم خاصّة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٣).

موضوعات أخرى على النبي ﷺ في مناقب الخلفاء

- ٢٦ -

أخرج البلاذري في الأنساب (٤) عن خلف البزار، عن أبي شهاب الحنّاط (٥)، عن

١ - ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ١: ٧٧ [٨٢/١]. ٢ - سفر السعادة [٢/٢١١ و ٢١٢].

٣ - أنساب الأشراف ٥: ٥ [١٠٥/٦].

٤ - الأنعام: ١٤٤.

٥ - عبد ربّه بن نافع الكناي، ثقة ليس بالقويّ بهمّ في حديثه ويخطئ.

خالد الحذاء البصري، عن أبي قلابة البصري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحمكم أبو بكر، وأشدكم في الدين عمر، وأقروكم أبي، وأصدقكم حياءً عثمان، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضكم زيد بن ثابت، وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح».

قال الأميني: ألا تعجب من أسطورة جاء بها خلف البزار الثقة الأمين العابد الفاضل السكير؟! قال أبو جعفر النفيلي: «كان من أصحاب السنة لولا بليّة كانت فيه: شرب النبيذ».

وذكر خلف عند أحمد - إمام الحنابلة - ف قيل: يا أبا عبد الله إنه يشرب. فقال: قد انتهى إلينا علم هذا عنه، ولكن هو والله عندنا الثقة الأمين شرب أو لم يشرب^(١).
والرواية نفسها شاهد صدق على ما انتهى إلى إمام الحنابلة علمه من خلف البزار، والذين أخذوها منه ورووها عنه إنما أقحمتهم فيها سكرة الهوى لا نشوة السلافة.
ولتقديس ذيل هذا الثقة الأمين عن رجاسة النبيذ جاء الخطيب البغدادي^(٢) بما رواه عن محمد بن أحمد بن رزق، عن محمد بن الحسن بن زياد النقاش، قال: سمعت إدريس بن عبد الكريم الحداد يقول: خلف بن هشام يشرب من الشراب على التأويل، فكان ابن أخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ: ﴿لَيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾^(٣) فقال: يا خال! إذا ميز الله الخبيث من الطيب أين يكون الشراب؟ قال: فنكّس رأسه طويلاً ثم قال: مع الخبيث. قال: فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث؟ قال: يا بني امض إلى المنزل فأصبب كل شيء فيه، وتركه، فأعقبه الله الصوم، فكان يصوم الدهر إلى أن مات.

حبذا هذا التنزيه لو صدقت الأحلام، وهو وإن كان معقولا أحسن من رأي الإمام أحمد من أنه الثقة الأمين شرب أو لم يشرب؛ فإنه رأي تافه لا تساعد البرهنة ولا يوافقه الشرع والعقل والمنطق، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوهُ﴾ (١).

غير أن من المأسوف عليه جداً بطلان إسناده لمكان محمد بن الحسن النقاش؛ فإنه كذبه طلحة بن محمد، ووهاه الدارقطني، ودلّسه أبو بكر. وقال البرقاني: كل حديثه منكر. وإني أشكر من انتهى إليه وضع هذه الأكذوبة على أنه لم يذكر مع القوم مولانا أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام الذي هو أربى من كلهم في جميع الصفات المذكورة؛ فإنه يُرفع عن أن يُذكر في عداده أي أحد، كما أن فضائله أربى من أن تُذكر معها فضيلة. وهاهنا لا تناقش متن الرواية في الأوصاف التي حابت القوم بها، ففعل فيها ما هو مدعوم بالبرهنة:

فيشهد على كون أبي بكر أرحم الأمة: إحراقه الفجاءة (٢)، وغضّه الطرف عن وقعة خالد بن الوليد في بني حنيفة وخزائمه مع مالك بن نويرة وزوجته، وعدم اكترائه لأمر الصديقة فاطمة في دعواها، وكانت له مندوحة عن مجابتهها باسترضاء المسلمين واستنزال كلّ منهم عن حصّته من فدىك إن غاضينا القوم على الفتوى الباطلة والرواية المكذوبة في انقطاع إرث النبوة خلافاً لآيات المواريث المطلقة وإرث الأنبياء خاصة. على أن فاطمة سلام الله عليها وابن عمّها ما كانا يجهلان بما تفرد بنقله أبو بكر وصافقته على قوله سمارته من الساسة لأمر دبر بليل، وأمير المؤمنين عليه السلام أقضى الأمة وباب مدينة علم النبي، والصديقة فاطمة بضعته وما كان يشحّ عليه من إفاضة العلم

١- الحجرات: ٦.

٢- راجع: تاريخ الطبري ٣: ٢٣٤ [٢٦٤/٣، حوادث سنة ١١] [واظفر القدير ٧/ ٢١٢-٢١٣].

ولاسيّا علم الأحكام وعلى الأخصّ ما يتعلّق بها، وهو ﷺ يعلم أنّها سوف تقيم الدعوى على صحابته المتغلبين على فذك وأنها ستُمنع عنها ويحتدم بينها وبينهم الشجار، ويستتبع ذلك انشقاقاً بين الأمة إلى يوم القيامة، فمن مزدلفة إلى بضعة النبوة، ومن جانحة إلى من منعها عن حقّها، فكان من الواجب أن يسبق ﷺ إلى ابنته بتفصيل حكم هذا شأنه قبل أبي بكر.

ألم تكن لأبي بكر مندوحة تصحّ إقطاع فاطمة فداً وردّها إليها حتّى لا يفتح باب السوأة على الأمة؟! كما ردّها عمر إلى ورثة النبيّ الأقدس، وأقطعها عثمان مروان، وأقطعها معاوية مروان وعمر بن عثمان ويزيد بن معاوية على الأثلاث، إلى ما رأى فيها الخلفاء بعدهم من التصرف كتصرف الملّك في أملاكهم.

سل عن صفة أبي بكر هذه فاطمة وهي صديقة يوم خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها: «يا أبت! يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة!!»^(١).

وسلها عنها يوم لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيوها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثمّ أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، وارتجّ المجلس^(٢).

وسلها عنها يوم قالت لأبي بكر: «والله لأدعونّ عليك بعد كلّ صلاة أصلّيها». وسلها عنها يوم ماتت وهي واجدة على أبي بكر، وهي التي طهرها الجليل بآية التطهير، وصحّ عن أبيها قوله ﷺ: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني، يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها».

وقوله: «فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني».

وقوله: «إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها».

وسل عنها أمير المؤمنين وهو الصديق الأكبر يوم قادوه كما يُقاد الجمل المخشوش إلى بيعة عمّ شؤمها الإسلام، وزرعت في قلوب أهلها الآثام، وعنت سلمانها، وطردت مقدادها، ونفت جندبها، وفتقت بطن عمّارها، وحرّفت القرآن، وبدّلت الأحكام، وغيرت المقام، وأباححت الخمس للطلاق، وسلّطت أولاد اللعناء على الفروج والدماء، وخلطت الحلال بالحرام، واستخفّت بالإيمان والإسلام، وهدمت الكعبة، وأغارَت على دار الهجرة يوم الحرّة، وأبرزت بنات المهاجرين والأنصار للنكال والسوأة، وألبستهنّ ثوب العار والفضيحة، ورخصت لأهل الشبهة في قتل أهل بيت الصفوة وإيادة نسله، واستيصال شأفته، وسبي حرمة، وقتل أنصاره، وكسر منبره، وإخفاء دينه، وقطع ذكره. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وسل عنها أمير المؤمنين يوم لاذ بقبر أخيه رسول الله ﷺ وهو يبكي ويقول: «يا بن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»^(١).

إلى غير هذه من دلائل كون أبي بكر أرحم الأئمة.

وأما كون عمر أشدّهم في الدين: فمن جليّة الواضحات: أنّ الشدّة في الدين ليست هي الفظاظة والغلظة فحسب، وإنّما هي التهاك في التمسك بعروتي الكتاب والسنة والعمل بهما والأخذ والقيام بما جاء فيهما من الحدود، وما أكثر ما خالفها الرجل ونبذها وراء ظهره واتّخذ برأيه الشاذّ عنها! ودع عنك ما جهله منها. وما قيمة شدّة بلا علم؟! وما مقدار شدّة مع التنكبّ عن أساسيات الدين، مع الخروج عن طقوس الإسلام، مع التمسك بالأهواء والشهوات؟! راجع نواذر الأثر في علم عمر^(٢)؛ فإنّك تجد هنالك شواهد قويّة على إثبات هذه الصفة فاقرأها وتبصّر.

وأما كون عثمان أصدقهم حياءً: فيكفي دلالةً عليه الجزء الثامن والتاسع من الغدير، وكل صحيفة منها آية من آيات صفته تلك. مضافاً إلى ما سردناه من البحث الخاص في حياته^(١).

وأما الثلاثة الباقون: فلا نطيل البحث عن إثبات ما ذكر لهم، ففيه تضييع للوقت وشغل عما هو أهم من ذلك.

ومن سبر كتابنا هذا عرف أعلم الأمة وأعرضها وأمينها وعلم أنه غيرهم، فلا يدنس ساحة الأمة بأمثال المذكورين، ولا يخاف عليه مما كان يخاف النبي الأقدس ﷺ على أمته كما جاء عنه: «أخاف على أمتي من بعدي ضلالة الأهواء، واتباع الشهوات، والغفلة بعد المعرفة»^(٢).

- ٢٧ -

أخرج البخاري في كتاب المناقب من صحيحه^(٣) باب فضل أبي بكر بعد النبي من طريق عبدالله بن عمر قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان^(٤)».

وأخرج^(٥) ابن داود والطبراني عن ابن عمر: «كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره»^(٥). وفي لفظ البخاري في تاريخه^(٦): «كنا نقول في زمن النبي ﷺ: من يلي هذا الأمر بعد النبي ﷺ؟! فيقال: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت».

١ - راجع ما ذكرناه في ص ٧٩ - ٩٢.

٢ - أسد الغابة ١: ١٠٨ [١/١٢٧، رقم ٢٠٥].

٣ - صحيح البخاري ٥: ٢٤٣ [٣/١٣٣٧، ح ٣٤٥٥].

٤ - مسند أبي داود ٤/٢٠٦، ح ٤٦٢٨؛ المعجم الكبير [١٢/٢٢٠، ح ١٣١٣٢].

٥ - فتح الباري ٧: ١٣ [٧/١٦]؛ طرح التثريب ١: ٨٢.

٦ - تاريخ البخاري: ١/قسم ١/٤٩١.

قال الأميني: هذه الرواية عمدة ما تمسك به القوم فيما وقع من الانتخاب الدستوري في الإسلام، وقد اتخذها المتكلمون حجة لدى البحث عن الإمامة، واتبع أثرهم المحدثون. وسنسط القول^(١)، ونوقف القارئ على جلية الحال ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(٢). والله ولي التوفيق.

- ٢٨ -

أخرج الدارقطني في سننه^(٣) عن إسماعيل بن العباس الورّاق عن عباد بن الوليد أبي بدر، عن الوليد بن الفضل، عن عبد الجبار بن الحجاج الخراساني، عن مكرم بن حكيم، عن سيف بن منير، عن أبي الدرداء قال: «أربع سمعتنّ عن رسول الله ﷺ: لا تكفروا أحداً من أهل قبلي بذنوب وإن عملوا الكبائر، وصلّوا خلف كل إمام، وجاهدوا أو قال: قاتلوا، ولا تقولوا في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ إلا خيراً؛ قولوا: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾»^(٤)»^(٥).

رجال الإسناد:

١ - الوليد بن الفضل المقبري؛ قال ابن حبان^(٦): «يروي الموضوعات، لا يجوز الاحتجاج به بحال».

٢ - عبد الجبار بن الحجاج الخراساني؛ ذكره ابن حجر في لسان الميزان^(٧) وذكر شرطاً من الحديث بالإسناد وقال: «هذا غير محفوظ، وليس في هذا المتن إسناد ثبت»^(٨).

١ - أنظر ما يأتي في ص ٦٨٧ - ٧٠٠ من كتابنا هذا.

٣ - سنن الدارقطني [٥٥/٢].

٢ - الأنفال: ٤٢.

٤ - البقرة: ١٣٤ و ٢٨٦.

٥ - ميزان الاعتدال ٣: ٢٧٣، و ٦: ٢٢٦ [٢/٢٥٨، رقم ٣٦٤١؛ و ٤/٣٤٣، رقم ٩٣٩٤].

٧ - لسان الميزان ٣: ٣٨٧ [٣/٤٧٣، ح ٤٩٠٥].

٦ - كتاب المجروحين [٨٢/٣].

٨ - [في المصدر: «يثبت»].

وضَعفه الدارقطني^(١).

٣ - مكرم بن حكيم الخثعمي؛ قال الذهبي في الميزان: «روى خبراً باطلاً - يعني

هذا الحديث - قال الأزدي: ليس حديثه بشيء»^(٢).

٤ - سيف بن منير؛ قال الذهبي^(٣): «يُجهل». وضعفه الدارقطني^(٤).

- ٢٩ -

أخرج ابن عساكر في تاريخه^(٥) عن ابن عباس مرفوعاً: «إِنَّ أَحَبَّ أَصْهَارِي إِلَيَّ، وَأَعْظَمَهُمْ عِنْدِي مَنْزِلَةً، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْ اللَّهِ وَسِيلَةً، وَأَنْجَحَ أَهْلَ الْجَنَّةِ أَبُو بَكْرٍ. والثاني عمر يعطيه الله قصراً من لؤلؤة ألف فرسخ في ألف فرسخ، قصورها ودورها ومجانها وجهاتها وسررها وأكوابها وطيرها من هذه اللؤلؤة الواحدة، وله الرضا بعد الرضا. والثالث عثمان بن عفان وله في الجنة ما لا أقدر على وصفه، يعطيه الله ثواب عبادة الملائكة أوّلهم وآخرهم. والرابع عليّ بن أبي طالب، بخ بخ من مثل عليّ! وزيري عند^(٦) وأنيسي عند كربتي، وخليفتي في أمّتي، وهو منّي على دعائي. ومن مثل أبي سفيان؟! لم يزل الدين به مؤيداً قبل أن يسلم وبعد ما أسلم، ومن مثل أبي سفيان؟! إذا أقبلت من عند ذي العرش أريد الحساب، فإذا أنا بأبي سفيان معه كأس من ياقوتة حمراء يقول: اشرب يا خليلي، أعار^(٧) بأبي سفيان، وله الرضا بعد الرضا».

قال الأميني: لقد أعرب عن بعض الحقيقة المحافظ ابن عساكر نفسه بقوله: «هذا

حديث منكر».

١ - سنن الدارقطني [٢/٥٥، ح ٢].

٢ - ميزان الاعتدال ٣: ١٩٨ [٤/١٧٧، رقم ٨٧٤٨].

٣ - ميزان الاعتدال ١: ٤٣٩ [٢/٢٥٨، ح ٣٦٤١].

٤ - سنن الدارقطني [٢/٥٥، ح ٢].

٥ - تاريخ مدينة دمشق ٦: ٤٠٥ [٢٣/٤٦٤، رقم ٢٨٤٩، وفي تهذيب تاريخ دمشق ٦/٤٠٧].

٦ - بياض في الأصل.

٧ - [كذا في المصدر].

أي منكر هذا يعدّ أبا سفيان ممن لم يزل الدين به مؤيّداً قبل إسلامه وبعده؟! فكأنه غير رأس المشركين يوم أحد، وغير مجهّز جيش الأحزاب والمجلب على رسول الله ﷺ والرافع عقيرته وهو يرتجز بقوله: أعلّ هبل، أعلّ هبل. فقال رسول الله ﷺ: «ألا تحيّبونه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: «الله أعلى وأجل». فقال أبو سفيان إنّ لنا العزى لا عزى لكم؛ فقال رسول الله: «ألا تحيّبونه؟» فقالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»^(١).

وكأنه ليس من أئمة الكفر الذين نزل فيهم قوله تعالى: «فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّهَوْنَ»^{(٢)(٣)}.

وكأنه غير من أريد بقوله عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»^{(٤)(٥)}.

وكأنه غير المعنى هو وأصحابه بقوله تعالى: «قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَشَاءُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَانَدٌ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ»^{(٦)(٧)}.

وكأنه غير من مشى مع جمع من رجال قريش إلى أبي طالب قائلين له: «إن ابن

١- سيرة ابن هشام ٣: ٤٥ [٩٩/٣]؛ تاريخ ابن عساكر ٦: ٣٩٦ [٤٤٤/٢٣]، رقم ٢٨٤٩؛ وفي مختصر تاريخ دمشق

[٥٤ - ٥٣/١١]؛ عيون الأثر ٢: ١٨ [٤٢٤/١] تفسير القرطبي ٤: ٢٣٤ [١٥١/٤].

٢- التوبة: ١٢.

٣- تفسير الطبري ١٠: ٢٦٢ [مج ٦/ج ١٠/٨٧]؛ تاريخ ابن عساكر ٦: ٣٩٣ [٤٣٨/٢٣]، رقم ٨٤٩؛ وفي مختصر

تاريخ دمشق [٥١/١١]؛ تفسير السيوطي [١٣٦/٤]؛ تفسير الألوسي ١٠: ٥٩.

٤- الأنفال: ٣٦.

٥- تفسير الطبري ٩: ١٥٩ [مج ٦/ج ٩/٢٤٤]؛ تاريخ ابن عساكر ٦: ٣٩٣ [٤٣٨/٢٣]، رقم ٨٤٩؛

وفي مختصر تاريخ دمشق [٥١/١١]؛ الكشف ٢: ١٣ [٢١٩/٢]؛ تفسير الرازي ٤: ٣٧٩ [١٦٠/١٥].

٦- الأنفال: ٣٨.

٧- تفسير النسفي هامش تفسير الخازن ٢: ١٩٣ [١٠٣/٢]؛ تفسير الألوسي ٩: ٢٠٦.

أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضللَّ آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنا، وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه...»^(١).

وكأنّه غير من لعنه رسول الله في سبعة مواطن، عدّها الامام الحسن السبط عليه السلام^(٢).
وكأنّه غير من كان يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزجّ الرمح قائلاً: ذُق عقق^(٣) (٤).

وكأنّه غير من قال لعثمان يوم تسنّم عرش الخلافة: «صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أميّة، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنّة ولا نار»^(٥).

وكأنّه غير من دخل على عثمان بعد ما عمي وقال: ها هنا أحد؟! فقالوا: لا. فقال: «اللهم اجعل الأمر أمر جاهليّة، والملك ملك غاصيّة، واجعل أوتاد الأرض لبني أميّة»^(٦).

وكأنّه غير من عرفه أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب له إلى معاوية بقوله: «منا النبي، ومنكم المكذّب»؛ قال ابن أبي الحديد في شرحه^(٧): «يعني أبا سفيان بن حرب، كان عدوّ رسول الله، والمكذّب له، والمجلب عليه».

وكأنّه غير من جاء فيه قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب له إلى محمد بن أبي بكر: «قد قرأت كتاب الفاجر بن الفاجر معاوية».

١ - سيرة ابن هشام ١: ٢٧٧، ٢: ٢٦ [٢٨٣/١؛ ٥٨/٢].

٢ - راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٠٢ و ١٠٣ [٢٩٠/٦ - ٢٩١، خطبة ٨٢].

٣ - «عقق»: أي يا عقق، يريد: يا عاق. ٤ - السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٤ [٩٩/٣].

٥ - راجع ما مضى في ص ٢٦٠.

٦ - تاريخ مدينة دمشق ٦: ٤٠٧ [٤٧١/٢٣، رقم ٢٨٤٩؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/٦٧] وانظر ص ٢٦١ من

٧ - شرح نهج البلاغة ٣: ٤٢٥ [١٩٦/١٥، كتاب ٢٨].

وكأنه غير من ذكره أمير المؤمنين بقوله في كتاب له إلى ابنه معاوية: «يا بن صخر يا بن اللعين».

والإمام الطاهر عليه السلام في لعنه الرجل اقتفى أثر النبي الأعظم، وقد سمع منه عليه السلام وهو يلعنه في مواطن شتى.

وكأنه غير من قال فيه عمر بن الخطاب: «أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني يا رسول الله أضرب عنقه»^(١).

وكأنه غير من أسلفنا^(٢) ترجمته.

هذا مجمل حال الرجل في العهدين الجاهلي والاسلامي؛ أفبمثله أيّد الدين قبل إسلامه وبعد إسلامه؟! أو مثله يتولّى سقاية رسول الله ﷺ يوم المحشر إذا أقبل من عند ذي العرش؟! وهل مستوى العرش معبأً لمثل أبي سفيان هذا ونظرائه؟! إذن فعلى العرش ومن بفنائهم السلام!

- ٣٠ -

أخرج ابن عساكر من طريق إبراهيم بن محمد بن أحمد القرميسيني، عن أنس بن مالك مرفوعاً: «من أحبّ أن ينظر إلى إبراهيم عليه السلام في خلّته فلينظر إلى أبي بكر في سماحته، ومن أحبّ أن ينظر إلى نوح في شدّته فلينظر إلى عمر بن الخطاب في شجاعته، ومن أحبّ أن ينظر إلى إدريس في رفعة فلينظر إلى عثمان في رحمته، ومن أحبّ أن ينظر إلى يحيى بن زكريّا في جهادته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب في طهارته»^(٣).

١- تاريخ مدينة دمشق ٦: ٣٩٩ [٤٤٩/٢٣]، رقم ٢٨٤٩، وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/٤٢].

٢- في ص ٢٦٠-٢٦٢؛ [وانظر أيضاً تلخيص الغدير/٣١٥-٣١٦].

٣- تاريخ مدينة دمشق ٢: ٢٥١ [١١٢/٧]، رقم ٤٨٠، وفيه: يوسف بن الحسن البغدادي بدلاً من: يونس، وأبي

عن ثابت بدلاً من ابن أبي ثابت، وفي تهذيب تاريخ دمشق ٢/٢٥٤.

قال ابن عساكر:

هذا الحديث شاذ بالمرّة ، وفي إسناده جماعة ممّن أمرهم مجهول لا يُعرف حالهم، فلا يوثق بهم، وهو إلى الوضع أقرب منه إلى الضعف .

لفت نظر:

من عجيب ما نراه في هذه الرواية وأمثالها من الموضوعات في مناقب الثلاثة أو الأربعة تنظيم هذا الصفّ المنضّد كالبنيان المرصوص الذي لا اختلاف فيه؛ فلا يأتي قطّ أولاً إلاّ أبو بكر، وثانياً إلاّ عمر، وثالثاً إلاّ عثمان، ورابعاً إن كان لهم رابع إلاّ عليّ عليه السلام . سبحان الله! فكأنّهم متبانون على هذا الترتيب، فلا يتقدّم أحدٌ أحداً، ولا يتأخّر أحدٌ عن أحد .

فهل هذا حكم القدر يأتي بهم متتابعين؟! أو قضيّة التباني طيلة حياة النبيّ الأقدس ﷺ فلا يقبلون إلاّ بهذا الترتيب؟! أو هو من حكم الطبيعة فلا يختلف ولا يتخلف؟! أو أنّه من ولائد الاتفاق لكنّه لم يتفاوت في أيّ من الموارد؟! أو أنّه من مشتميات الوضّاعين الذين يتحرّون ترتيب الفضيلة هكذا؟! ولعلّ القول بالآخر هو المتعين فحسب .

- ٣١ -

أخرج ابن عساكر في تاريخه^(١) من طريق أبي عمرو الزاهد^(٢)، عن عليّ بن محمّد الصائغ، عن أبيه أنّه قال: «رأيت الحسين وقد وفد على معاوية زائراً، فأتاه في يوم جمعة وهو قائم على المنبر خطيباً، فقال له رجل من القوم: يا أمير المؤمنين ائذن

١ - تاريخ مدينة دمشق ٤: ٣١٢ [١١٣/١٤]، رقم ١٥٦٦، وفي تهذيب تاريخ دمشق دمشق ٤/ ٣١٥].

٢ - [كذا في تهذيب تاريخ دمشق. وفي تاريخ مدينة دمشق، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٥٧، ولسان الميزان ٥/ ٣٠٣، رقم ٧٧٠٧: «أبو عمر الزاهد»].

للحسين يصعد المنبر. فقال له: معاوية: ويلك دعني أفترخ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: سألتك بالله يا أبا عبدالله! أليس أنا ابن بطحاء مكة؟ فقال: إي والذي بعث جدِّي بالحق بشيراً. ثم قال: سألتك بالله يا أبا عبدالله! أليس أنا خال المؤمنين؟! فقال إي والذي بعث جدِّي نبياً. ثم قال: سألتك بالله يا أبا عبدالله أليس أنا كاتب الوحي؟ فقال: إي والذي بعث جدِّي نذيراً. ثم نزل معاوية وصعد الحسين بن عليّ فحمد الله بحامد لم يحمده الأولون والآخرون بمثلها، ثم قال: حدّثني أبي، عن جدِّي، عن جبرئيل، عن الله تعالى، أن تحت قائمة كرسيّ العرش ورقة آسٍ خضراء مكتوب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، يا شيعة آل محمد لا يأتي أحدكم يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله أدخله الله الجنة. فقال له معاوية: سألتك بالله يا أبا عبدالله من شيعة آل محمد؟! فقال: الذين لا يشتمون الشيخين أبا بكر وعمر، ولا يشتمون عثمان، ولا يشتمون أبي، ولا يشتمونك يا معاوية».

قال الأمين: قال ابن عساكر:

هذا حديث منكر، ولا أرى إسناده متصلاً إلى الحسين.

ونحن نقول: إنه كذب صراح وإسناده متفكك العرى واهي الحلقات؛ أمّا أبو عمرو الزاهد فهو الكذاب صاحب الطامّات والبلايا، الذي ألف جزءاً في مناقب معاوية من الموضوعات^(١)، توفي سنة (٣٤٥).

وأمّا شيخه عليّ الصائغ فهو ضعيف جداً، وصفه بهذا الخطيب في تاريخه^(٢)، وضعفه الدارقطني كما في لسان الميزان^(٣).

وأمّا والده فهو مجهول لا يُذكر بشيء، وهو في طبقة من يروي عن مالك المتوفى

سنة (١٧٩).

١- راجع تاريخ بغداد ٢: ٣٥٧؛ لسان الميزان ٥: ٢٦٨ [٤٨٥/٥، رقم ٨١٨٦]؛ [واظن الغدير ٥/٤١٧-٤١٨].

٢- لسان الميزان ٢: ٤٨٩ [٦٠٣/٢، رقم ٣٤٧٨].

٣- تاريخ بغداد ٣: ٢٢٢.

فأين وأنى رأى سيّدنا الحسين ﷺ المستشهد سنة (٦١)؟! وكيف أدرك معاوية الذي هلك سنة (٦٠)؟! وهل كانت الرؤية والإدراك طيف خيال أو يقظة؟! ثم لو صدّقنا الأحلام فإن مقتضى هذه الأسطورة أن لا يكون معاوية من شيعة آل محمد ﷺ الذين يدخلهم الله الجنة؛ لأنّه كان يقنت بلعن عليّ أمير المؤمنين ﷺ وولديه الإمامين سيّدي شباب أهل الجنة، إلى جماعة من الصلحاء الأبرار، وحسبه ذلك مخزاة. وهذا الأمر فيه وفي الطعام من بني أبيه المقتضين أثره وأتباعه المتبعين له على ذلك شرع سواسيه.

ومن مقتضياتها أيضاً خروج مولانا أمير المؤمنين ﷺ عن أولئك الزمرة المرحومة؛ لأنّه كان يقنت باللعن على معاوية وحثالة من زبانيته؛ «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ»^(١).

ولازم هذا التلفيق إخراج من نال من عثمان، فضلاً عمّن أجهز عليه وقتله، عن شيعة آل محمد وهم أعيان الصحابة ووجوه المهاجرين والأنصار العدول كلّهم عند القوم فضلاً عن التشييع فحسب. وهل يجسر على هذا التحامل أحد؟! فقصارى القول: أنّ أصدق كلمة حول هذه المهزأة أنّه حديث زور لا مقيل له من الصّحة ولا يسوغ الاعتماد عليه.

- ٣٢ -

رواية العشرة المبشرة

أخرج أحمد في المسند^(٢) بإسناده عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف: أنّ النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعليّ في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة،

١- الكهف: ٥.

٢- مسند أحمد: ١: ١٩٣ [٣١٦/١، ح ١٦٧٨].

وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

قال الأميني: نحن لا نرى في هذه الراوية أهمية كبرى تدعم للعشرة المبشرة منقبة رابية تخص بهم دون المؤمنين، بعد ما جاء من البشائر الصادقة في الكتاب العزيز لكل من آمن بالله وعمالاً صالحاً، وأنه في الجنة.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٤).

﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾^(٥).

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾^(٦).

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٧).

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٨).

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤِمِّنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٩).

وما أكثر من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ، وقد صحَّ عن الصادع الكريم: «أنَّ

عليّاً وشيعته هم في الجنة»، وبشر ﷺ بذلك عليّاً عليه السلام^(١٠).

٢- التوبة: ١١١.

١- البقرة: ٢٥.

٤- الحج: ١٤.

٣- هود: ٢٣.

٦- نساء: ١٢٤.

٥- السجدة: ١٩.

٨- الطلاق: ١١.

٧- الفتح: ١٧.

١٠- أنظر ما يأتي في ص ٧٧٧-٧٧٩.

٩- التوبة: ٧٢.

وصح عنه ﷺ قوله: «أتاني جبريل فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قلت: يا جبريل وإن سرق وإن زنى؟! قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟! قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟! قال: نعم وإن شرب الخمر»^(١).

وصح عنه ﷺ: «ابشروا وبشروا من وراءكم: أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة»^(٢).

فهؤلاء العشرة المبشرة إن كانوا مؤمنين حقاً آخذين بحجزة الكتاب والسنة فهم من آحاد أهل الجنة لا محالة كبقية من أسلم وجهه لله وهو محسن.

وهناك أناس من الصحابة غير هؤلاء العشرة خصّوا بالبشارة بالجنة وبشروا بلسان النبي الأقدس ﷺ؛ منهم عمار بن ياسر، وقد جاء عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عليه السلام قوله: «بشّره بالجنة حرّمت النار على عمار». وقال عليه السلام: «دم عمار ولحمه حرام على النار تأكله أو تمسه»^(٣).

وصح عنه ﷺ قوله: «أبشروا آل ياسر موعدكم الجنة».

وصح عنه ﷺ: «إن الجنة مشتاق إلى أربعة: علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والمقداد».

وفي رواية: «اشتاق الجنة إلى ثلاثة إلى علي، وعمار، وبلال».

وصح عنه ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^(٤) متفق على صحته.

١- أخرجه أحمد [في مسنده ٢٠٩/٦، ح ٢٠٩٥٥؛ وص ٢٠٣، ح ٢٠٩٢٣]؛ والترمذي [في سننه ٢٧/٥، ح ٢٦٤٤]؛ والنسائي [في عمل اليوم والليلة: ص ٣١٩، ح ١١٢٨].

٢- أخرجه أحمد [٥٤٨/٥، ح ١٩١٠٠] والطبراني من طريق أبي موسى الأشعري.

٣- [المستطرف للأبشيبي ١٣٧/١، تاريخ مدينة دمشق ٦٢٦/١٢؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ٢١٥/١٨، كنز العمال

٧٢١/١١، ح ٣٣٥٢١؛ و ٥٣٩/١٢، ح ٢٧٤١٢].

٤- الصواعق المحرقة [ص ١٩١].

وجاء عنه ﷺ: «الحسن والحسين جدّهما في الجنّة، وأبوهما في الجنّة، وأمّهما في الجنّة، وعمّهما في الجنّة، وعمّتها في الجنّة، وخالاتهما في الجنّة، وهما في الجنّة، ومن أحبّهما في الجنّة»^(١).

وصحّ عنه ﷺ: «إنّ جعفر بن أبي طالب في الجنّة له جناحان يطير بهما حيث شاء»^(٢).

فما هذا المكاء والتصدية، والتصعيد والتصويب حول رواية العشرة المبشرة، وجعلها عنوان كلّ كرامة لأولئك الرجال، واختصاصها بالعناية وإحاقها بأسماء العشرة عند ذكرهم، وقصر البشارة بالجنّة على ذلك الرهط فحسب، والصفح عمّا ثبت في غيرهم من «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»^{(٣)؟}

فلماذا حصر التبشير بالعشرة؟! وعدّ القول به من الاعتقاد اللازم؟! كما ذكره أحمد - إمام الحنابلة - في كتابٍ له إلى مسدّد بن مسرهد: قال:

وأنّ شهد للعشرة أنّهم في الجنّة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة؛ فمن شهد له النبي ﷺ بالجنّة شهدنا له بالجنّة. ولا تتأتّى أن نقول: فلان في الجنّة وفلان في النار إلا العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنّة^(٤).

لماذا هذه كلّها؟! لعلّك تدري لماذا، ونحن لا يفوتنا عرفان ذلك.

١- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير [٣٥/٢-٤٠، ح ٢٥٩٨-٢٦١٨؛ وص ٦٦، ح ٢٦٨١] والمعجم الأوسط [٢٣٨/١، ح ٣٦٨].

٢- المعجم الأوسط [٧/٤٧٣، ح ٦٩٣٢]؛ وراجع مجمع الزوائد ٩: ٢٧٢.

٤- أنظر جلاء العينين: ١١٨.

٣- يونس: ٦٣ و ٦٤.

ولنا حقّ النظر في الرواية من ناحيتي الاسناد والمتن:

أما الإسناد: فإنه كما ترى ينتهي إلى عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد ولا يرويهما غيرهما. وطريق عبد الرحمن ينحصر بعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف تارةً، وعن رسول الله ﷺ أخرى؛ وهذا إسناد باطل لا يتمّ نظراً إلى [سنة] وفاة حميد بن عبد الرحمن؛ فإنه لم يكن صحابياً وإنما هو تابعي لم يدرك عبد الرحمن بن عوف؛ لأنه توفي سنة (١٠٥) ^(١) عن (٧٣) عاماً؛ فهو وليد سنة (٣٢) عام وفاة عبد الرحمن بن عوف أو بعده بسنة؛ ولذلك يرى ابن حجر رواية حميد عن عُمر وعثمان منقطعة قطعاً ^(٢)، وعثمان قد توفي بعد عبد الرحمن بن عوف؛ فالإسناد هذا لا يصحّ.

فيبقى طريق الرواية قصراً على سعيد بن زيد الذي عدّ نفسه من العشرة المبشرة، وقد رواها في الكوفة أيام معاوية كما مرّ النصّ على ذلك في صدر الحديث، ولم تُسمع هي منه إلى ذلك الدور المفعم بالهناث ولا رويت عنه قبل ذلك؛ فهلاً مسائل هذا الصحابي عن سرّ إرجاء روايته هذه إلى عصر معاوية، وعدم ذكره إيّاها في تلکم السنين المتطاولة عهد الخلفاء الراشدين، وكانوا هم وبقية الصحابة في أشدّ الحاجة إلى مثل هذه الرواية لتدعيم الحجّة وحقن الدماء، وحفظ الحرمات في تلکم الأيام الخالية المظلمة بالشقاق والخلاف، فكأنّها أوحيت إلى سعيد بن زيد فحسب يوم تسنّم معاوية عرش الملك العضوض.

وفي ظنيّ الأكبر أنّ سعيد بن زيد لما كان لا يتحمّل من مناوئي عليّ أمير المؤمنين ﷺ الواقعة فيه والتحامل عليه، ويحابه بذلك من كان ولاه معاوية على الكوفة،

١- كما اختاره أحمد، والفلاس، والحري، وابن أبي عاصم، وابن خيّاظ [في الطبقات / ص ٤٢٢، رقم ٢٠٧٥]،

٢- تهذيب التهذيب ٤٦/٣ [٤٠/٣]. وابن سفيان، وابن معين.

وكان قد تقاعس عن بيعة يزيد عندما استخلفه أبوه، وأجاب مروان في ذلك بكلمة قارصة^(١) أخذته الخيفة على نفسه من بوادر معاوية، فاتخذ باختلاقه هذه الرواية ترساً يقيه عن الاتهام بحب علي عليه السلام. وكان المتهم بتلك النزعة يوم ذاك يعاقب بألوان العذاب، ويسجن ويُنكَل به ويُقتل تقيلاً؛ فأرضى خليفة الوقت بالتحاف الجنة لمخالف علي عليه السلام والمتقاعسين عن بيعته والخارجين عليه، وجعل رؤساءهم في صف واحد لا يشاركونهم غيرهم، كأن الجنة خلقت لهم فحسب، ولم يذكر معهم أحداً من موالى علي وشيعته، وفيهم من فيهم من سادات أهل الجنة: كسلمان، وأبي ذر، وعمار، والمقداد؛ فنال بذلك رضى الخليفة، وكان يُعطى لكل باطل مزيّف قناطير مقنطرة من الذهب والفضة.

ولولا الصارم المسلول في البين وكان هو الحاكم الفصل يوم ذاك، لما كان يخفى على أي سعيد وشقي أن متن الرواية يأبى عن قبولها، وأن علياً قط لا يجتمع في الجنة مع من خالفه وناوأه وآذاه، والضدان لا يجتمعان، وسيرة علي عليه السلام غير سيرة أولئك الرهط. وقد تنازل عن الخلافة يوم الشورى حذراً عن اتباع سيرة الشيخين لما اشترط عليه في البيعة وأنكره بملء فيه، وبعدهما وقع ما وقع بينه وبين عثمان، وما ساء قتله ولم يشهد بأنه قتل مظلوماً، وصحّت عنه خطبته الشقشقية، ونادى في الملاء: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال»^(٢). وبعده حاربه الناكثان وقاتلاه وقتلوا دون مناوآته؛ فكيف تجمعهم وعلياً الجنة؟! أنا لا أدري: «أَيَطْمَعُ كُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ» كلاً^(٣).

١ - تاريخ ابن عساكر ٦: ١٢٨ [٨٨/٢١]، رقم ٢٤٧٧؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٩٨.

٢ - راجع ما ذكرناه سابقاً ففيه تفصيل ما أوعزنا إليه هاهنا.

٣ - المعارج: ٣٨ و ٣٩.

نظرة في المتن:

ولنا في متن الرواية نظرات وتأملات ترحزننا عن الإخبات إلى صحتها.
 هل عبد الرحمن بن عوف المعزو إليه الرواية وهو أحد العشرة المبشرة، كان يعتقد بها ويصدقها، ومع ذلك سل سيفه على عليّ يوم الشورى قائلاً: «بايع وإلا تُقتل». وقال لعليّ عليه السلام بعد ما تمخّضت البلاد على عثمان: «إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، إنه قد خالف ما أعطاني». وآلى على نفسه أن لا يكلم عثمان في حياته أبداً. واستعاذ بالله من بيعته. وأوصى أن لا يصلي عليه عثمان. ومات وهو مهاجر إياه. وكان عثمان يقذفه بالنفاق ويعده منافقاً^(١). فهل تتلاءم هذه كلّها مع صحّة تلك الرواية وإذعان الرجلين بها؟!!

وهل أبو بكر وعمر المبشران بالجنة هما اللذان ماتت الصديقة بضعة المصطفى ﷺ وهي وجدى عليهما؟!!

وهل هما اللذان قالت لهما: «إني أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطمتني وما أَرْضيتاني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونكما إليه»؟!!

وهل هما اللذان تقول أمّ السبطين فيها، شاكية نادية، باكية بأعلى صوتها: «يا أبت! يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة»؟!!

وهل هما اللذان نهبا تراث العترة، وحقّ فيهما قول أمير المؤمنين عليه السلام: «صبرتُ وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا»؟!!

وهل أبو بكر هو الذي أوصت فاطمة - سلام الله عليها - أن لا يصلي عليها، وأن لا يحضر جنازتها، فلم يحضرها هو وصاحبه؟!!

١- راجع: أنساب الأشراف ٥: ٥٧ [١٧١/٦ و ١٧٢]؛ العقد الفريد ٢: ٢٥٨ و ٢٦١ و ٢٧٢ [١٠١/٤ و ١٠٨]؛

تاريخ أبي الفداء ١: ١٦٦.

وهل هو الذي قالت له كريمة النبي الأقدس، الطاهرة المطهرة: «لأدعوك عليك في كل صلاة أصليها»؟!

وهل هو الذي كشف عن بيت فاطمة وآذى رسول الله فيها^(١) «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٢)؟! وهل وهل إلى أن ينقطع النفس.

وهل كان عمر يصدق هذه الرواية وكان عنده إمام بها وهو يناشد مع ذلك حذيفة اليماني العالم بأسماء المنافقين ويسأله عن أنه هل هو منهم؟! وهل سَمَّاه رسول الله ﷺ في زمريتهم^(٣)؟!

وهل كان علي يقين من هذه البشارة يوم نهى عن التكني بأبي عيسى أيام خلافته وقال له المغيرة: إن رسول الله ﷺ كنَّاه بها فقال: إن النبي غُفِرَ له وإنا لا ندري ما يفعل بنا، وغير كنيته وكنَّاه أبا عبد الله^(٤)؟! فكيف كان لم يدر ما يفعل به بعد تلکم البشارة إن صدقت؟!

وهل كان هو الذي قاد علياً كالجمل الخشوش إلى بيعة أبي بكر، وهو يقول: بايع وإلا تُقتل؟!

وهل كان هو الذي أنكر أخوة علي مع رسول الله ﷺ يوم ذاك، وهي ثابتة له بالسنة الصحيحة المتسالم عليها؟! كما أنه أنكر من السنة شيئاً كثيراً نبا عن الحصر.

وهل كان هو الذي أوصى بقتل من خالف البيعة يوم الشورى؟! وهو جدّ علیم بأن المخالف الوحيد لذلك الانتخاب المزيّف هو عليّ أمير المؤمنين - دع هذا - أو أحد

١- أنظر ما يأتي في ٦٧٩ - ٦٨٠ من كتابنا هذا. ٢- التوبة: ٦١.

٣- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان [٨٤/١، ح ٧٤]، وابن أبي شيبة في الإيمان [المصنف ٣٩/١١، ح ١٠٤٦٢] كما

في كنز العمال ١: ١٠٣ [٤٠٤/١، ح ١٧٢٨]، [راجع الغدير ٦/٣٣٩ - ٣٤١].

٤- راجع ص ٣٧ من كتابنا هذا.

غيره من العشرة المبشرة؟! «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»^(١).

وهل كان عثمان يخبت إلى صحّة هذه الرواية ويدعن بها، وهو يقول بعد لمغيرة بن شعبة لما كلفه أن يغادر المدينة إلى مكة حينما حوَّص بها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الأمة»، فلن أكون ذلك الرجل^(٢)؟! وكيف كان لم ير علياً أفضل من مروان؟! ومروان ملعون بلسان رسول الله ﷺ وعليّ ﷺ هو المبشّر بالجنة؛ «لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ»^(٣).

وهل طلحة والزبير هما اللذان قتلَا عثمان وألبا عليه وكانا كما قال أمير المؤمنين ﷺ: «أهون سيرهما فيه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف، فأجلبا عليه وضيقا خناقه، وهما يريدان الأمر لأنفسهما، وكانا أوّل من طعن وآخر من أمر، حتّى أراقا دمه»^(٤)؟!

وهل هما اللذان خرجا على إمام الوقت المفروضة عليها طاعته، ونكثا بيعته، وأسعرا عليه نار البغي، وقتلاه وقتلا وهما أبين مصداق لقول رسول الله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»^(٥)؟!

وهل هما اللذان قادا جيوش النكث على قتال سيّد العترة، وأخرجا حبيسة رسول الله ﷺ من عقر دارها، وترأسا الناكثين الذين حثّ رسول الله ﷺ علياً والعدول

١- النساء: ٩٣.

٢- راجع مسند أحمد: ١: ٦٧ [١٠٧/١، ح ٤٨٣]؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٠٩ [ص ١٥١].

٣- الحشر: ٢٠.

٤- راجع نهج البلاغة ٢: ٢ [ص ٣٦٣، كتاب ١]؛ الإمامة والسياسة ١: ٥٨ [٦٣/١].

٥- شرح المقاصد [٢٣٩/٥].

من صحابته على قتالهم، وحضهم على منابذتهم؟!

أفمن آذن نبي العظمة بحربه وقتاله ورآه من واجب الإسلام يعده ﷺ بعد من أهل الجنة؟! «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^(١).

وهل الزبير هذا هو الذي صحَّ عن رسول الله ﷺ قوله له: «تحارب علياً وأنت ظالم»^(٢)؟! فهل المحارب علياً وهو ظالم إياه مثواه الجنة؟! ورسول الله يقول: «أنا حرب لمن حاربه، وسلم لمن سالمه» كما جاء في الصحيح الثابت: «فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»^(٣). وقال له عمر يوم طعن: «أَمَا أَنْتَ يَا زَبِيرُ! فَوَعِقَ لِقْسُ»^(٤) مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوماً إنسان، ويوماً شيطان، ولعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مُدٍّ من شعير، أفرايت إن أفضت إليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطانا؟! ومن يكون يوم تغضب؟ وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت على هذه الصفة»^(٥).

وقال له أيضاً: «أَمَا أَنْتَ يَا زَبِيرُ فَوَاللَّهِ مَا لَانَ قَلْبُكَ يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً، وَمَا زِلْتَ جَلْفًا جَافِيًا»^(٦).

١- المائدة: ٣٣.

٢- [راجع تلخيص الغدير/ ٢٩٣، ففيه: «إِنَّكَ تَقَاتِلُ عَلِيًّا وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ»].

٣- البقرة: ٨٥.

٤- [«الْوَعِقُ»: سَيِّئُ الْخُلُقِ. «الَلْقِسُ»: شَرُّ النَّفْسِ، الْحَرِيصُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ].

٥- شرح ابن أبي الحديد ١: ٦٢ [١/ ١٨٥، خطبة ٣].

٦- شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٧٠ [١٢/ ٢٥٩، خطبة ٢٢٣].

وهل طلحة هذا هو الذي قتل عثمان، وحال بينه وبين الماء، ومنعه عن أن يُدفن في جبانة المسلمين، وقتله مروان أخذاً بثار عثمان، وهما بعدُ من العشرة المبشرة؟! غفرانك اللهم وإليك المصير.

وهل طلحة هذا هو الذي أقام عليّ أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام عليه الحجة يوم الجمل باستنشاده إياه حديث الولاية: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فاعتذر بما اعتذر من نسيانه الحديث، لكنه لم يردع بعد عن غيّه بمناصرة أمير المؤمنين مع بيعته إياه، ولا فوّض الحقّ إلى أهله حتّى أتى عليه سهم مروان فجرّعته منيته، وهو الخارج على إمام وقته؟! أفهل ترى الإمام والخارج عليه كلاهما في الجنة؟!!

وهل طلحة هذا هو الذي نزل فيه قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا»^(١).

نزلت الآية الشريفة لما قال طلحة: أيجبنا محمد عن بنات عمنا، ويتزوج نساءنا من بعدنا؟! فإن حدث به حدث لنزوّجن نساءه من بعده. وقال: إن مات رسول الله ﷺ لتزوّجت عائشة وهي بنت عمّي؛ فبلغ ذلك رسول الله فتأذى به فنزلت^(٢).

وهل سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة كان مدعناً بالرواية وصدقها، وهو القائل لما سُئل عن عثمان، ومن قتله، ومن تولى كبره: إني أخبرك أنّه قُتل بسيف سلّته عائشة، وصقله طلحة، وسمّه ابن أبي طالب، وسكت الزبير وأشار بيده، وأمسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه؟! فهل هذه كلّها تجتمع مع التصديق بتلك الرواية؟! سبحان الذي جمع في جنته الظالم والمظلوم، والقاتل والمقتول، والخليفة والخارجين عليه، إن هي إلاّ اختلاق.

١- الأحزاب: ٥٣.

٢- الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٢٢٨ [١٤٧/١٤]؛ فتح القدير ٤: ٢٩٠ [٢٩٩/٤]؛ تفسير ابن كثير ٣: ٥٠٦؛

تفسير البغوي ٥: ٢٢٥ [٥٤١/٣]؛ تفسير الخازن ٥: ٢٢٥ [٤٧٦/٣]؛ تفسير الألوسي ٢٢: ٧٤.

وهل تُصدَّق في سعد هذه الرواية وهو المتخلف عن بيعة إمام وقته، والمتقاعس عن نصرته بعد ما تمت بيعته، وأجمعت عليها الأمة، وأصفق عليها البدريون والمهاجرون والأنصار، وحقَّت كلمة العذاب على من نزعها من ربقة؟! أفهل نزل في سعد كتاب من الله أخرجته عن محكمات الإسلام وبشّر له بالجنة؟!

وهل يتراءى لك من ثنايا التاريخ وراء صحائف أعمال أبي عبيدة الجراح - حفّار القبور بالمدينة - ما يؤهّله لهذه البشارة؟! ويدعم له ما يستحقّ به للذكر من الفضيلة غير ما قام به يوم السقيفة من دحضه ولاية الله الكبرى، وتركاضه وراء الانتخاب الدستوري، واقتحامه في تلکم البوائق التي عمّ شومها الإسلام، وهذّت قوائم الوثام والسلام، وجرت الولايات على أمة محمد ﷺ حتى اليوم، وهتكت حرمة المصطفى في ظلم ابنته بضعة لحمه وفلذة كبده، واضطهاد خليفته، واهتضام أخيه علم الهدى؟! فكانّها كانت كلّها قربات فأوجبت لابن الجراح الجنة؛ «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»^(١).

- ٣٣ -

قال القرطبي في تفسيره^(٢)؛ قال أبي بن كعب: قرأت على رسول الله ﷺ والعصر، ثمّ قلت: ما تفسيرها يا نبيّ الله؟ قال: «وَالْعَصْرِ» قسم من الله أقسم ربّكم بآخر النهار. «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ»؛ أبو جهل «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا»؛ أبو بكر «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»؛ عمر «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ»؛ عثمان «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»؛ عليّ - رضي الله عنهم أجمعين - وهكذا خطب ابن عباس على

١ - الجانية: ٢١.

٢ - الجامع لأحكام القرآن ٢٠: ١٨٠ [١٢٣/٢٠]؛ وذكره الحبّ الطبري في رياض النضرة ١: ٣٤ [٤٩/١]؛

والشريبي في تفسيره ٤: ٥٦١ [٥٨٥/٤].

المنبر، موقوفاً عليه.

قال الأميني: أيسوغ التقول على الله وعلى رسوله وتحريف الكلم عن مواضعه بمثل هذه المهزأة المرسلّة؟! وهل ينبغي لمؤلف في التفسير أو الحديث أن يسود بها صحيفته أو صحيفة تأليفه؟! وهل لنا في مثل المقام أن نطالبه بالسند وناقش فيه بالإرسال؟! وهلاً ما في متن الرواية ما يغنينا عن البحث عن رجال الإسناد إن كان له إسناد؟! وهل يوجد في صحائف أعمال أولئك الرجال وسيرتهم الثابتة، وفيما حفظه التاريخ الصحيح لهم ما يصدّق هذا التلفيق؟! نعم، نحن على يقين من أن الباحث يجد في غصون كتابنا هذا شواهد كثيرة تتأتّى له بها حصصة الحق. وهل يصدّق ذو مسكة أن يخطب بمثل هذه الأفيفة ابن عباس حبر الأمة، ويدنس بها ساحة قدس صاحب الرسالة الخاتمة؟!!

على أن المأثور عن ابن عباس من طريق ابن مردويه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١) أنه قال: «ذكر علياً وسلمان»^(٢).

ويؤيده قوله الوارد في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٣). قال: نزلت في عليّ يوم بدر، فالذين اجترحوا السيئات: عتبة، وشيبة، والوليد، والذين آمنوا وعملوا الصالحات عليّ^(٤).

وورد^(٥) من طريق ابن عباس قوله: لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَرْزَلَهُمْ خَيْرٌ أَلْبَرِيَّةٍ﴾^(٦). قال ﷺ لعليّ: «هو أنت وشيعتك».

فرواية أبي بن كعب اختلقت تجاه هذه الأخبار التي تساعد العقل والمنطق والاعتبار.

١- العصر: ٣. ٢- الدرّ المنثور ٦: ٣٩٢ [٨/٦٢٢٢].

٣- الجانية: ٢١. ٤- تذكرة السبط: ١١ [ص ١٧]، ومّر في ص ١٢٥.

٥- الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ١٢٢ [ص ١٢١].

٦- البيّنة: ٧.

أبوبكر:

هل صحّ عن النبي الأعظم ﷺ فيه حديث فضيلة؟ وهل صحيح ما رُووه فيه من الثناء الكثير الحافل؟ نحن ها هنا نقف موقف المستشفّ للحقيقة، ولا تنبس في القضاء بينت شقة، غير ما نقله عن أئمة فن الحديث المميزين بين صحيحه وسقيمه، ثمّ نردفه بالاعتبار الذي يساعده.

قال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه سفر السعادة^(١) المطبوع:

خاتمة الكتاب في الإشارة إلى أبواب روي فيها أحاديث وليس منها شيء صحيح، ولم يثبت منها عند جهابذة علماء الحديث شيء. ثمّ عدّ أبواباً إلى أن قال^(٢):

باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أشهر المشهورات من الموضوعات: أنّ الله يتجلّى للناس عامة ولأبي بكر خاصة.

وحديث: ما صبّ الله في صدري شيئاً إلاّ وصبّه في صدر أبي بكر.

وحديث: كان ﷺ إذا اشتاق الجنة قبل شية أبي بكر.

وحديث: أنا وأبو بكر كفرسي رهان.

وحديث: إنّ الله لما اختار الأرواح اختار روح أبي بكر.

وأمثال هذا من المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل.

وذكر السيوطي في اللآلئ المصنوعة^(٣) ثلاثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر ممّا

اتّخذه المؤلّفون في القرون الأخيرة من المتسالم عليه، وأرسلوه إرسال المسلّم بلا أيّ سند أو أيّ مبالاة، وزيّقها وحكم فيها بالوضع وذكر رأي الحفاظ فيها.

٢- المصدر السابق: ٢١١.

١- سفر السعادة ٢: ٢٠٧.

٣- اللآلئ المصنوعة ١: ٢٨٦-٣٠٢.

ويرشدك إلى صحة قول الفيروزآبادي ما أوضحناه سابقاً^(١) من تفنيد مئة منقبة مكذوبة على رسول الله ﷺ مختلفة لأبي بكر ولزبائنه بحكم الأئمة والحفاظ . وكذا ما زيفناه^(٢) من خمس وأربعين رواية موضوعة في الخلافة؛ كل ذلك بقضاء من رجال الفتن نظراء: ابن عدي، الطبراني، ابن حبان، النسائي، الحاكم، الدار قطني، العقيلي، ابن المديني، أبو عمر، الجوزقاني، المحب الطبري، الخطيب البغدادي، ابن الجوزي، أبو زرعة، ابن عساكر، الفيروزآبادي، إسحاق الحنظلي، ابن كثير، ابن القيم، الذهبي، ابن تيمية، ابن أبي الحديد، ابن حجر الهيتمي، ابن حجر العسقلاني، المحافظ المقدسي، السيوطي، الصغاني، الملا علي القاري، العجلوني، ابن درويش الحوت، وغيرهم .

ويشهد لبطان تلكم الروايات الجمّة في فضائل الخليفة الأوّل خلوص الصحاح الستّة والسنن والمسانيد القديمة منها؛ فيرشدنا ذلك إلى أنّ مواليد هذه الروايات متأخّر تاريخها عن عهد أرباب الصحاح، وحسبها ذلك مهانة وضعة. كما أنّ ما في الصحاح من النزر اليسير ولائد متأخرة عن عهد النبي الأعظم ﷺ .

على أنّ الخليفة نفسه لو كان على ثقة من صدور شيء من تلكم الأحاديث ولو يسيراً منها من قائلها ﷺ لما كان يرى مثل أبي عبيدة الجراح حفّار القبور أولى منه بالخلافة، ولما قدّمه على نفسه، ولما ترك الاحتجاج بها يوم كانت حاجته إليه مسيسة، ويوم كان الحوار في أمر الخلافة قائماً على قدمٍ وساق، وطفق كلُّ ذي فضل يُدلي بحججه، وقد احتدم الجدل حتّى كاد أن يكون جلاداً، واستحضرّ الحجاج حتّى عاد لجاجاً، لكنّ الرجل لم يكن عنده حجة ولا لزبائنته إلّا أنّه صاحب رسول الله ﷺ وثاني

١- في ص ٤٧٣ - ٤٨١ من كتابنا هذا؛ [وانظر الغدير ٥/٤٧٦ - ٥٢٧].

٢- في ص ٥٦٥ - ٥٧٦ من كتابنا هذا؛ [وانظر الغدير ٥/٥٣٢ - ٥٦٥].

اثنين إذ هما في الغار، وأنه أكبر القوم سنّاً - وكان أبوه أكبر منه لا محالة - وقد اختارته الجماعة وانعقدت له البيعة بعد هوس وهياج ركوناً إلى أمثال هذه ممّا لا تثبت بها حجة، ولا يخضع لها ذو مسكة، ولا يصلح بها شأن الأمة، ولا يجمع بها شمل، ولا يتم بها الأمر.

ولو كانت الصحابة الأولون يعرفون شيئاً من تلكم الموضوعات الجمّة لما تركوا الاحتجاج به يوم ذاك يوم إخضاع الناس بدلاً عن إشفاق الدعوة بالإرهاب والترعيد.

ولما يقتصر عمر بن الخطّاب يوم السقيفة بقوله: «إنّ أولى الناس بأمر نبيّ الله ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو بكر السباق المسنّ»^(١).

ولما قال سلمان للصحابة: «أصبتُم ذا السنّ منكم ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيّكم»^(٢).

ولما اكتفى عثمان بن عفّان في الدعوة إلى أبي بكر بقوله: «إنّ أبا بكر الصديق أحقّ الناس بها، إنّهُ لصديق وثاني اثنين وصاحب رسول الله ﷺ»^(٣).

ولما تخلف عن بيعته رؤوس المهاجرين والأنصار: علي وإبناه السبطان، والعبّاس وبنوه في بني هاشم، وسعد بن عباد وولده وأسرته. والحبّاب بن المنذر وتابعوه، والزبير، وطلحة، وسلمان، وعمّار، وأبو ذرّ، والمقدّاد، وخالد بن سعيد، وسعد بن

١ - سيرة ابن هشام ٤: ٢٤٠ [٣١١/٤]؛ الرياض النضرة ١: ١٦٢ و ١٦٦ [٢٠٣/٢ و ٢٠٦]؛ تاريخ ابن كثير ٥:

٢٤٧ و ٢٤٨ [٢٦٧/٥ و ٢٦٨]، حوادث سنة ١١هـ [شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦ [٣٨/٦، خطبة ٦٦]؛ السيرة

الحلبية ٣: ٣٨٨ [٣٥٩/٣].

٢ - شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣١؛ ٢: ١٧ [٤٩/٢، خطبة ٢٦؛ ٤٣/٦، خطبة ٦٦].

٣ - أخرجه الأُطرابلسي في فضائل الصحابة كما في كنز العمال ٣: ١٤٠ [٦٥٣/٥، رقم ١٤١٤٢].

أبي وقاص، وعتبة بن أبي لهب، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب، وأبو سفيان بن حرب وغيرهم^(١).

ولما كان مجال لقول محمد بن إسحاق: «كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ»^(٢).

ولما قال عتبة بن أبي لهب يوم ذاك بملاً من مدّعي الفضائل:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرفٌ	عن هاشمٍ ثمّ منهم عن أبي حسنٍ
عن أوّل الناس إيماناً وسابقةً	وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومن	جبريلٌ عونٌ له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به	وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردّكم عنه فنعلمه	ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن ^(٣)

- ٣٤ -

التوسّل بلحية أبي بكر

ذكر الياضي في روض الرياحين^(٤) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنّه قال:

بينما نحن جلوس بالمسجد وإذا نحن برجل أعمى قد دخل علينا وسلّم فرددنا وأجلسناه بين يدي النبي ﷺ فقال: من يقضيني حاجة في حبّ النبي ﷺ؟ فقال

١ - تاريخ يعقوبي ٢: ١٠٣ [١٢٤/٢]؛ الرياض النضرة ١: ١٦٧ [٢٠٧/٢]؛ تاريخ أبي الفداء ١: ١٥٦؛ روضة المناظر لابن شحنة [١٨٩/١]، حوادث سنة ١١ هـ؛ هامش الكامل ٧: ١٦٤؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٤ [٥٦/٢، خطبة ٢٦].

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٨ [٢١/٦، خطبة ٦٦].

٣ - تاريخ يعقوبي ٢: ١٠٣ [١٢٤/٢]؛ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٥٩ [٢٣٢/١٣، خطبة ٢٣٨].

٤ - طبع بمصر في المطبعة السعيدية هامش العرائس للعلبي توجد الرواية في: ص ٤٤٣. ينقل عنه القسطلاني في المواهب [٢٨/٢].

أبو بكر رضي الله عنه : ما حاجتك يا شيخ؟ فقال : إن لي أهلاً ولم يكن عندي ما تقتات به ، وأريد من يدفع لنا شيئاً تقتات به في حب رسول الله ﷺ . قال : فنهض أبو بكر رضي الله عنه وقال : نعم أنا أعطيك ما يقوم بك في حب رسول الله ﷺ . ثم قال : هل من حاجة أخرى؟ فقال : نعم ، إن لي ابنة أريد من يتزوج بها في حياتي حباً في محمد ﷺ . فقال أبو بكر : أنا أتزوج بها في حياتك حباً في رسول الله ﷺ . هل من حاجة أخرى؟ فقال : نعم أريد أن أضع يدي في شية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حباً في محمد ﷺ . فنهض أبو بكر رضي الله عنه ووضع لحيته في يد الأعمى وقال : امسك لحيتي في حب محمد ﷺ . قال : فقبض الأعمى بلحية أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال : يا رب أسألك بحرمة شية أبي بكر إلا رددت عليّ بصري . قال : فردّ الله عليه بصره لوقته : فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ وقال : يا محمد السلام يقرئك السلام ، ويخصّك بالتحية والإكرام ، ويقول لك : وعزّته وجلاله لو أقسم عليّ كلّ أعمى بحرمة شية أبي بكر الصديق لرددت عليه بصره ، وما تركت علي وجه الأرض أعمى ، وهذا كلّ ببركتك وعلوّ قدرك وشأنك عند ربك .

قال الأميني : إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . حقاً إنّ هذا الضرير قد عمي قلبه قبل بصره ، فلم يعقل أنّ القسم بشية رسول الله ﷺ أولى من شية أبي بكر ، فهي مقدّمة قداسة وشرفاً وزلفاً عند الله سبحانه ، وهو ﷺ أكبر من أبي بكر سنّاً وأكثر شية ، فما أعمى الرجل عنها إن كان يريد مقسماً به يبرّ الله سبحانه به قسمه؟! أو أنّه له في شية أبي بكر غاية لم نعرفها؟! ثمّ أين عن هذه الشية عميان أهل السنّة؟! وما أغفلهم عن الوحي المنزل فيها؟! فيقسمون على الله بها فيكشف عن أبصارهم . وما بال الحفاظ وأئمة الحديث أرجأوا نشر هذه الرواية إلى القرن الثامن عهد اليافعي؟! هل بخلوا على عميان الأئمة بمثل هذا النجاح الباهر وفي الوحي المزعوم قوله سبحانه : «وعزّتي وجلالي لو أقسم عليّ كلّ أعمى...»؟! أو أنّهم وجدوا مولد هذا

الحديث بعد عصورهم فلم يشيدوا بذكره؟! أو رأوا فيه غلوّاً فاحشاً بتقديم لحية أبي بكر على شبيهة رسول الله ﷺ فطؤوا عن روايته كشحاً؟! أو عقلوا فيه مهزأة بالله ووحيه وأمينه ونبيّه فضربوا عنه صفحاً؟!!

وللقوم حول شبيهة أبي بكر روايات:

منها: ما أسلفناه^(١) من: أنه ﷺ كان إذا اشتاق إلى الجنة قبل شبيهة أبي بكر. ومرّ أنّها من أشهر المشهورات من الموضوعات، ومن المفتريات المعلوم بطلانها ببديهة العقل؛ كما قاله الفيروز آبادي والعجلوني^(٢). ومنها: ما ذكره العجلوني في كشف الخفاء^(٣) من أنّ لإبراهيم الخليل وأبي بكر الصديق شبيهة في الجنة.

ثمّ قال في المقاصد^(٤) نقلاً عن شيخه ابن حجر:

لم يصحّ أنّ للخليل في الجنة لحية ولا للصديق، ولا أعرف ذلك في شيء من كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المثورة.

ثمّ قال:

وعلى تقدير ثبوت وروده فيظهر لي أنّ الحكمة في ذلك: أمّا في حقّ الخليل فلكونه منزلاً منزلة الوالد للمسلمين؛ لأنّه الذي سمّاهم بالمسلمين وأمروا باتباع ملّته. وأمّا في حقّ الصديق فلاّ أنّه كالوالد الثاني للمسلمين؛ إذ هو الفاتح لهم باب الدخول إلى الإسلام.

قال الأميني: إنّ للأمة المسلمة أباً تنزليّاً روحياً هو أحقّ بالأبوة من الخليل عليه السلام وهو نبيّها الأقدس محمد ﷺ كما ورد عنه ﷺ من قوله: «إنّما أنا لكم كالوالد، أو مثل

١- في ص ٤٧٨ من كتابنا هذا.

٢- كشف الخفاء [٢/٤١٩ الخاتمة].

٣- المصدر السابق ١: ٢٣٣.

٤- المقاصد الحسنة [ص ١٤٤، ح ٢٢٨].

الوالد»^(١). وبها حياتها الحقيقية، وهو الذي يدعوهم لما يحبيهم، ومنه كيانه المستقر، وعزّها الخالد؛ فهو أولى باللحمة من أبيه الخليل وصاحبه أبي بكر.

والعجب كلّ العجب في عدّ أبي بكر أبا ثانياً للأمة لأنّه فتح لها باب الدخول إلى الإسلام، وأنّ الذي فتح باب الإسلام بمصراعيه لدخول الأمم فيه ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، هو رسول الله ﷺ بدعوته الكريمة، وبراهينه الصادقة، ومعاجزه المعلومة، ونواميسه المقدّسة، وخلائقه الرضيّة، ومغازيه الدامية؛ فهو أولى بأن تكون له لحية في الجنّة.

على أنّ الأمة قطّ لم تعرف باباً فتحه الخليفة لها إلى الإسلام، ولم يدر أيّ أحد أنّه متى فتحه؟! وأين فتحه؟! ولماذا فتحه؟! وأيّ باب هو؟!

نعم، لا تخفى على الأمة جمعاء أنّه غلّق باباً عليها وحرّمها من خير أهلها وعلمه ورشده وهداه؛ ألا وهو باب مدينة علم النبيّ مولانا أمير المؤمنين بالنصّ المتواتر، وهو الباب الذي منه يؤتى إلى الله، وإليه يتوجّه الأولياء.

فلولا انتزاع الأمر منه لانتشرت علومه، وزهرت معالمه، وتبلّغت حكمه، وعُمِلَ بأحكامه، فأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم، منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون، لكنّه ﷺ منع عن حقّه فجهلت العباد، وأجدبت البلاد، وصوّحت المرافق، وظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس، وإلى الله المشتكى.

وإن أراد القائل من فتح الباب بدأة الفتوح في أيّام الخليفة، فالخليفة الثاني على ذلك أجدر باللحمة منه؛ لأنّ عمدة الفتوح وقعت في أيّامه.

نعم، إن يكن هناك من يحقّ أن يعدّ للأمة أبا ثانياً تنزيلاً بعد رسول الله ﷺ فهو مولانا أمير المؤمنين ﷺ الذي به كان تمام الدعوة والنجاح في المغازي، وهو نفس النبيّ

١ - تفسير الخازن ٣: ٣١٤ [٢/٢٩٩]؛ تفسير النسي هامش الخازن ٣: ٣١٤ [٢/١١٢].

القدسيّة وخليفته المنصوص عليه؛ ولذلك جاء من طريق أنس بن مالك عنه ﷺ قوله: «حقّ عليّ على هذه الأُمّة كحقّ الوالد على الولد»، ومن طريق عمّار وأبي أيّوب الأنصاري قوله: «حقّ عليّ على كلّ مسلم حقّ الوالد على ولده»^(١).

- ٣٥ -

كرامة دفن أبي بكر

أخرج ابن عساكر في تاريخه^(٢) قال: «روي أنّ أبا بكر ﷺ لما حضرته الوفاة قال لمن حضره: إذا أنا متّ وفرغتم من جهازي فاحملوني حتّى تقفوا بباب البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ فقفوا بالباب وقولوا: السلام عليك يا رسول الله! هذا أبو بكر يستأذن؛ فإن أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقاً بقفل فأدخلوني وادفنوني، وإن لم يفتح الباب فأخرجوني إلى البقيع وادفنوني به. فلما وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وإذا بهاتف يهتف من القبر: أدخلوا الحبيب إلى الحبيب؛ فإنّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق».

وذكره^(٣) الرازي في تفسيره؛ والحلي في السيرة النبويّة.

قال الأميني: أراد رواة هذه الرواية تصحيح عمل القوم في دفن الخليفة في موطن القداسة حجرة النبي ﷺ بعد أن أعيتهم المشكلة وعجزوا عن الجواب؛ فإنّ الحجرة الشريفة إمّا أن تكون باقية على ملكه ﷺ كما هو الحقّ المبين، أو أنّها عادت صدقة يؤول أمرها إلى المسلمين أجمع؟

١ - الرياض النضرة ٢: ١٧٢ [١١٧/٢] نقلاً عن الحاكمي؛ كنوز الدقائق: ٦٤ [١١٩/١] نقلاً عن الديلمي [الفردوس

بمأثور الخطاب ٢/ ١٣٢، ح [٢٦٧٤]؛ مناقب الخوارزمي: ٢٢٤ و ٢٥٤ [٣٠٩-٣١٠، ح ٣٠٦؛ ص ٣٢٠ و ٣٢٧]؛

فرائد السمطين لشيخ الإسلام الحمّوي [٢٩٦/١-٢٩٧، ح ٢٣٤ و ٢٣٥]؛ نزّهة المجالس ٢: ٢١٢.

٢ - تاريخ مدينة دمشق [٤٣٦/٣٠، رقم ٣٣٩٨، وفي مختصر تاريخ دمشق ١٣/ ١٢٥].

٣ - التفسير الكبير ٥: ٣٧٨ [٨٧/٢١]؛ السيرة الحليّة ٣: ٣٩٤ [٣٦٥/٣].

وعلى الأول كان يشترط فيه رضا أولاد وارثته الوحيدة السبطين الإمامين وأخواتهما ولم يستأذن منهم أحدٌ.

وعلى الثاني كان يجب على الخليفة أو على من تولّى الأمر بعده أن يستأذن الجامعة الإسلامية ولم يكن من أيّ منهما شيء من ذلك؛ فبقي الدفن هنالك خارجاً عن ناموس الشريعة.

وإن قيل: إنّه دفن بحقّ ابنته.

فأيّ حقّ لها بعد ما جاء به أبوها من قوله: «إنا معاشر الأنبياء لا نُورث ما تركناه صدقة»؟! صدقة؟!!

على أنّه لم يكن لأُمَّهات المؤمنين إلّا السكنى في حجرهنّ كالمعتدة ولم يكن لهنّ ترتيب آثار الملك على شيء منها^(١).

وعلى فرض الميراث وعلى تقدير الإرث من العقار فإنّ لعائشة تُسع الثمن من حجرتها؛ لأنّه ﷺ توفي عن تسع، ومساحة المحلّ لا يسع تُسعُ ثمنها جثمان إنسان مهما كبرت الحجرة.

على أنّ حقّها كان مشاعاً وليس لها التصرف فيه بغير إذن شريكاتها في الميراث. أراد القوم التفصّي عن هذه المشكلات فكوّنوا ما يستتبع مشكلةً بعد مشكلة وهي: أنّ الخليفة هل قال ما قاله بعهد من النبي ﷺ أو أنّه أحاط علماً بالمغيّب؟

أمّا الثاني فلا أحسب أحداً يدّعي له ذلك بعد ما أحطنا خبراً بكلّ ما قيل في فضائله، وبعد ما أوقفناك على مبلغ علمه في المشهودات، فأين هو عن الغيوب؟ وأمّا الأول فلو كان ذلك لما كان لترديده بين الدفن في الحجرة إن فتح الباب وسقط القفل، وبين الذهاب به إلى البقيع إن لم يكن ذلك [أي معنى]؛ فإنّ ما أخبر به النبي ﷺ لا بدّ أن يكون؛ فلا ترديد فيه.

نعم، من المحتمل أنه ﷺ لم يعهد ذلك لنفس أبي بكر وإنما رواه عنه من لا يثق به الخليفة ولذلك نوّه بما قال بالترديد، أو أنّ الرواية لا صحة لها؛ ولذلك لا تنتشر في الصحاح والمسانيد إلى عهد الحافظ ابن عساكر. وهي على فرض صحتها مكرمة عظيمة وقعت بمشهد الصحابة ومزدحم المهاجرين والأنصار يوم شيعوه إلى مقرّه الأخير، وكان يجب والحالة هذه أن يتواصل الهمّات بها، وبذلك الهمّات المسموع من القبر الشريف منذ ذلك العهد إلى منصرم الدهر، ولم يكن يوم ذاك في الأبصار غشاوة، ولا في الآذان وقر، ولا في الألسنة بكم، لكنّه ويا للأسف لم ينبس أحد عنها ببنت شفة؛ وما ذلك إلّا لأنّ المكرمة لم تقع، والقفل ما سقط، والباب ما انفتح، والهمّات لم يكن. وأدخلوا الحبيب إلى الحبيب فإنّ الحبيب إلى الحبيب مشتاق، مهزأة نشأت من الغلوّ في الفضائل تنبئ عن روح التصوّف في مختلف الرواية.

وإنّما أخرجها ابن عساكر^(١) من طريق أبي طاهر موسى بن محمّد بن عطاء المقدسي عن عبد الجليل المدني عن حبة العرني فقال: «هذا منكر، وأبو الطاهر كذاب، وعبد الجليل مجهول». وفي لسان الميزان^(٢): «خبر باطل».

- ٣٦ -

كلبة من الجنّ مأمورة أن تنهش من سبّ أبا بكر وعمر!

عن أنس بن مالك قال: «كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل إليه رجل من أصحابه وساقاه تشخبان دماً؛ فقال النبي ﷺ: ما هذا؟ قال: يا رسول الله! مررتُ بكلبة فلان المنافق فنهشتني. فقال ﷺ: اجلس. فجلس بين يدي النبي ﷺ فلمّا كان بعد ذلك بساعة إذ أقبل إليه رجل آخر من أصحابه وساقاه تشخبان دماً مثل الأوّل؛ فقال

١- تاريخ مدينة دمشق [٥/٧٥٦-٧٥٧؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١٣/١٢٥].

٢- لسان الميزان ٣: ٣٩١ [٣/٤٧٧، رقم ٤٩١٨].

النبي ﷺ: ما هذا؟ فقال: يا رسول الله! إنني مررت بكلبة فلان المنافق فنهشتني. قال: فنهض النبي ﷺ وقال لأصحابه: هلموا بنا إلى هذه الكلبة نقتلها؛ فقاموا كلهم وحمل كل واحد منهم سيفه فلما أتوها وأرادوا أن يضربوها بالسيوف وقعت الكلبة بين يدي رسول الله ﷺ وقالت بلسان طلق ذلق: لا تقتلني يا رسول الله! فإنني مؤمنة بالله ورسوله. فقال: ما بالك نهشت هذين الرجلين؟ فقالت: يا رسول الله! إنني كلبة من الجن مأمورة أن أنهش من سبّ أبا بكر وعمر. فقال النبي ﷺ: يا هذين أما سمعتما ما تقول الكلبة؟ قالوا: نعم يا رسول الله! إننا تائبان إلى الله عز وجل^(١).

قال الأمين: ما أعظم شأن هذه الكلبة وأثبتها في ميدان البسالة حتى استدعى أمرها أن يتجهز لحربها النبي ﷺ ويحمل عليها أصحابه شاهرين السيوف! فهل هي كلبة أو أسد ضار؟! أو عفرني^(٢) باسل؟! أو حشيد^(٣) لها؟! وأحسب أن الذين نهشتها كانا من هيابة الصحابة؛ فإن شجعانهم ما كانوا يبالون بالضراغم فضلاً عن الكلاب. وأين كانت هذه الكلبة عمّن كان ينال من أبي بكر غير الرجلين في ذلك العهد وبعد العهد النبوي وهلمّ جرّاً؟! فلم تشهد لها نهشة، ولا سمع لها عواء.

فليتبيها صاحب عمدة التحقيق لتحليل هذه المسائل، وذلك بعد الغض عن إسناده

الموهوم،

ثمّ ما أخرس ألسنة أولئك الصحابة الحضور يوم أطلق الله لسان تلك الكلبة الطلقة الذلقة عن بثّ هذه الفضيلة الراية ومثلها تتوفّر الدواعي لنقلها؟! وما أذهل الحفاظ وأئمة الحديث وأرباب السير عن روايتها؟! فلا يجدها الباحث في المسانيد والصحاح

١ - عمدة التحقيق للعبيدي المالكي: ١٠٥ [ص ١٨٢].

٢ - [«العفرني»: الأسد].

٣ - [«الحشيد»: الشجاع الذي لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة].

والفضائل ومعاجم السير وأعلام النبوة ودلائلها، إلى أن بشر بها العبيدي آل الصديق بعد لأي من عمر الدهر وقذف بهذه الأكذوبة أنس بن مالك .

أهكذا تكون المغالاة في الفضائل؟ ... لعلها تكون .

نعم ، لله كلاب مفترسة وأسود ضارية سلّطها الله على أعدائه بدعاء نبيّه الأعظم أو أحد من أولاده الصادقين صلوات الله عليه وعليهم .

منها : كلب سلّطه الله على لهب بن أبي لهب بدعاء النبيّ الأقدس ^(١) .

ومنها : كلب أخذ برأس عتبة بدعاء رسول الله ﷺ ^(٢) .

قال الحلبي في السيرة النبوية ^(٣) :

ووقع مثل ذلك لجعفر الصادق ؛ قيل له : هذا فلان ينشد الناس هجاءكم -

يعني أهل البيت - بالكوفة ؛ فقال لذلك الفائل : «هل علق من قوله بشيء ؟»

قال : نعم . قال : فَأَنْشُدْ . فَأَنْشَدَ :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب

وقسم بعثمان علياً سفاهاً وعثمان خير من علي وأطيب

فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال : «أَللّهُمَّ إِنْ كَانَ كاذِباً فَسلّط عليه كلباً من

كلابك» ؛ فخرج ذلك الرجل فافترسه الأسد . وإنما سمّي الأسد كلباً ؛ لأنّه يشبه

الكلب في أنّه إذا بال رفع رجله .

قال الأمين: الشاعر المفترس هو الحكيم الأعور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني

أميّة بدمشق ، وقصّته هذه من المتسالم عليه ؛ غير أنّ في معجم الأدباء ^(٤) أنّ الداعي على

الرجل هو عبدالله ابن جعفر وأحسبه تصحيف أبي عبد الله جعفر .

١ - أنظر الخصائص الكبرى ١ : ١٤٧ [٢٤٤/١] ؛ دلائل النبوة للبيهقي [٣٣٨/٢] .

٢ - دلائل النبوة [٣٣٩/٢] . ٣ - السيرة الحلبيّة ١ : ٣١٠ [٢٩١/١] .

٤ - معجم الأدباء [٢٤٩/١٠] .

- ٣٧ -

أبو بكر ومنزلته عند الله

عن ابن عباس قال: «كان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار فعطش عطشاً شديداً فشكا إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: إذهب إلى صدر الغار فاشرب. قال أبو بكر: فانطلقت إلى صدر الغار فشربت ماءً أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأذكى رائحة من المسك ثم عدت إلى النبي ﷺ فقال: شربت؟ قلت: نعم. قال: ألا أبشرك يا أبا بكر؟ قلت: بلى يا رسول الله! قال: إن الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر. فقلت: يا رسول الله! ولي عند الله هذه المنزلة؟ فقال النبي ﷺ: نعم وأفضل، والذي بعثني بالحق نبياً لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبياً»^(١).

قال الأميني: كيف تصحّ هذه الرواية وقد ضرب عنها حفاظ الحديث وأئمة التاريخ والسير صفحاً؟! مع ما فيها من نبأ عظيم وكرامة هامة وهي بين أيديهم وهم يهتمون بجمع دلائل النبوة ومعاجز الرسالة، فلم تخرج في أصل، ولم تذكر في سيرة، وإنما ذكرها السيوطي في الخصائص^(٢) فقال: «أخرجه ابن عساكر^(٣) بسند واهٍ».

ولماذا خصّت روايتها بابن عباس وقد ولد في شعب أبي طالب قبل الهجرة بقليل فكان يوم الغار ابن سنة أو سنتين ولم يسندها إلى أحد ولم يكن في الغار غير النبي ﷺ وصاحبه؟! فأين روايتها إياها؟ وأين أولئك الصحابة عنها؟! أيقنّ الحكيم أو حافظ أن يرسل مثل هذه الواهية إرسال المسلم في عدّ الفضائل؟! نعم، للقوم في محبة أبي بكر وصاحبه روايات تشبه بالقصص الخيالية نسجتها يد

٢- الخصائص الكبرى ١: ١٨٧ [٣٠٧/١].

١- الرياض النضرة ١: ٧١ [٩٦/١].

٣- تاريخ مدينة دمشق [١٥٠/٣٠].

الغلو في الفضائل؛ وإليك منها:

١ - عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «لما ولد أبو بكر في تلك الليلة اطلع الله على جنة عدن فقال: وعزتي وجلالي لا أدخلك إلا من أحب هذا المولود». من موضوعات أحمد بن عصمة النيشابوري كما مر^(١).

٢ - عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحبّ أبا بكر وعمر، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر». من طائفات أبي سعيد الحسن بن عليّ البصري كما أسلفنا^(٢).

٣ - عن جابر مرفوعاً: «لا يبغض أبا بكر وعمر مؤمن ولا يحبهما منافق». من موضوعات معلّى الطحان^(٣).

٤ - عن أبي هريرة مرفوعاً: «هذا جبريل يخبرني عن الله: ما أحبّ أبا بكر وعمر إلا مؤمن تقي، ولا أبغضهما إلا منافق شقي»^(٤). من موضوعات إبراهيم الأنصاري^(٥).

- ٣٨ -

الأسباح الخمسة من ذرية آدم

عن أنس بن مالك قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أخبرني جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها في حلقه فعصرتها في فمه فخلقك الله من النقطة الأولى أنت يا محمد، ومن الثانية أبا بكر،

١ - في ص ٤٧٤ من كتابنا هذا. ٢ - في ص ٤٧٨ من الكتاب.

٣ - راجع: ص ٤٨٠ من كتابنا هذا.

٤ - أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤: ٢٨٦ [٢٩/١٤، رقم ١٥٠١].

٥ - قال الخطيب البغدادي في تاريخه ٩: ٣٥٤: «هذا الحديث منكّر جداً ولا أعلم من رواه بهذا الإسناد إلا ضرار بن

سهل...». وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ١: ٤٧٢ [٢/٣٢٧، رقم ٣٩٥٠]: «خبر باطل ولا يُدرى من ذا

الحيوان - ضرار بن سهل -».

ومن الثالثة عمر، ومن الرابعة عثمان، ومن الخامسة علي؛ فقال آدم: من هؤلاء الذين كرمتهم؟ فقال الله تعالى: هؤلاء خمسة أشباح من ذريتك. وقال: هؤلاء أكرم عندي من جميع خلقي. قال: فلما عصى آدم ربه قال: ربّ بجرمة أولئك الأشباح الخمسة الذين فضلتهم إلاّ ثبتّ عليّ فتاب الله عليه»^(١).

قال الأميني: ما أبعد المسافة بين من يجوز توّسل آدم أوّل الأنبياء إلى الله تعالى بأناس عاديين في سياق توّسله بأفضل الرسل وسيد الأوصياء عليهما وآلهما السلام، وبين من ينكر التوّسل لأيّ أحد، بأيّ أحد، ولا يرى لتوّسل آدم بالنبيّ الأعظم ﷺ أيّ قيمة وكرامة؛ فيعتقد الأوّل صحّة مثل هذه الرواية التي حكم السيوطي بأنها كذب موضوع، وارتضاه ابن حجر في نقله عنه كما في كشف الخفاء، وإنّ عدّه في صواعقه من الفضائل؛ فقال في كشف الخفاء^(٢): «قال ابن حجر الهيثمي نقلاً عن السيوطي: كذب موضوع».

ومتن الرواية أوضح شاهد على ذلك؛ غير أنّ المغالاة في الفضائل اختلقتها لمعارضة ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(٣). أخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: «سأل بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ ثبتّ عليّ، فتاب عليه»^(٤).

وهذا الرجل يروى له بسند صحيح توّسل عمر - أحد الأشباح المزعومة - بالعبّاس عمّ النبي ﷺ في الاستسقاء^(٥).

١ - الرياض النضرة ١: ٣٠ [٤٤/١]؛ الصواعق المحرقة: ٥٠ [ص ٨٣] نقلاً عن رياض الحبّ الطبري وقال:

٢ - كشف الخفاء ١: ٢٢٣ [١/٢٤٩، ح ٧٦٢].

«عهدته عليه».

٤ - الدرّ المنثور ١: ٦٠ [١/١٤٧].

٣ - البقرة: ٣٧.

٥ - صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء [١/٣٤٢، ح ٩٦٤].

فهلاً هذا الرجل هو المتوسّل به في حديث الأشباح - المختلق - الواقع في رديف صاحب الرسالة و سيّد الوصيين صلّى الله عليهما وآلهما، وهو ومن معه أكرم خلق الله جميعاً باعتراف ممّن خلقهم وفي خلقه سبحانه الأنبياء وأولوا العزم من الرسل والأوصياء والملائكة والمقرّبون؟!

فهلاً هذا الرجل دعا الله بنفسه؟! وما محلّ توسّله بالعبّاس وهو أكرم عند الله منه ومن أبيه آدم وولده وهلمّ جرّاً؟! أو أنّه وجد استثناء في العبّاس فحسب، فهو أكرم على الله منه ومن كلّ من هو أكرم على الله منه؟!

وكيف يكون المذكورون في الحديث - غير محمّد وصنوه - أكرم على الله من جميع خلقه وفيهم من ذكرناهم من الأنبياء والرسل والأوصياء والأولياء والملائكة؟! وكيف يتوسّل أبو البشر النبيّ المعصوم بمثل أبي بكر وصاحبيه وهم هم وسيرتهم بين يديك؟! وأما الرجل الثاني الذي أربكه التفريط وأسفّ به إلى هوّة الجهل فكالقصيمي الذي قال في الصراع تبعاً لأثر ابن تيميّة في الردّ على هذه المأثرة النبويّة الصحيحة:

والسؤال بحقّ النبيّ أو بحقّ غيره من الأنبياء والصالحين ليس له من القيمة العملية الدينيّة ما يوجب أن يكون عملاً صالحاً مبروراً فضلاً عن أن يكون أداة غفران وعفو تامّ. وماذا في قول القائل: أسألك يا الله بحقّ فلان أو فلانة من عمل صالح يؤهلّ قائله لأن يكون من المغفور لهم؟! وإنما يغفر للمستغفر. وقال: وأما الألفاظ المجردة فلا وزن لها عند الله ولا ينظر إليها فضلاً عن أن تكون عملاً تحطّ به الذنوب والخطايا الثقيلة....

نحن لا نقابل هذا المغفل المستهتر البذي إلاّ بالسلام. حذا في هذيانه هذا حذو شيخه ابن تيميّة. وقد ردّ عليه جمعٌ من أئمّة الحديث وحفاظه بكلمات ضافية تقتصر منها بكلام السبكي؛ قال في شفاء السقام^(١):

قال ابن تيمية : أمّا ما ذكر في قصّة آدم من توّسله فليس له أصل ، ولا نقله أحد من النبي ﷺ بإسناد يصلح للاعتماد عليه ولا الاعتبار ولا الاستشهاد . ثم ادّعى ابن تيمية أنّه كذب وأطال الكلام في ذلك جداً بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرّص . ولو بلغه أنّ الحاكم صحّحه لما قال ذلك . . . وكيف يحلّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع؟! وقد ورد فيه هذا الحديث . وأمّا ما ورد من توّسل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء فذكره المفسّرون واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له . ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بالتوسّل أو الإستعانة أو التشفّع أو التجوّه^(١) . والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه متوسّل بالنبي ﷺ لأنّه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه ، أو مستغيث به ، والمعنى أنّه استغاث الله به على ما يقصده .

وقد أسلفنا الكلام حول الموضوع^(٢) .

- ٣٩ -

أبو بكر خير أهل السموات والأرض

عن أبي هريرة : أنّ رسول الله ﷺ قال : أبو بكر وعمر خير أهل السموات والأرض ، وخير الأوّلين والآخرين ، إلّا النبيّين والمرسلين . ذكره ابن حجر في الصواعق^(٣) نقلاً عن الحاكم وابن عدي^(٤) . وأخرجه الخطيب في تاريخه^(٥) وسكت عمّا في سنده من العلل على عادته الجارية في مناقب الشيخين . وفيه : جبرون بن واقد الإفريقي ، والراوي عنه محمّد بن داود القنطري . قال

٢- أنظر ص ٤٥٤-٤٥٧ من كتابنا هذا .

١- [«التجوّه» : التوسل بالجاء] .

٤- الكامل في ضعفاء الرجل [٢/١٨٠ ، رقم ٣٦٨] .

٣- الصواعق المحرقة : ٤٥ [ص ٧٦] .

٥- تاريخ البغدادى : ٥ : ٢٥٣ .

الذهبي في الميزان^(١):

جبرون متهم ، فإنه روى بقلّة حياء عن سفيان . وروى عنه محمد بن داود القنطري ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « أبو بكر وعمر خير الأولين » . الحديث تفرد به وبألذي قبله وهما موضوعان .

قال الأميني: أنا لا أدري بماذا فضّلا على الملائكة المقرّبين المعصومين من أهل السموات وفيهم سيّدهم أمين الوحي جبرئيل؟! أبعلمهما المتدفّق؟! وقد عرفت مبلغها منه . أم بالعصمة عن الخطايا والذنوب؟! وأنت لا تقول بها .

- ٤٠ -

أبو بكر في كفة الميزان

أخرج الحكيم الترمذي كما في مرقاة الوصول^(٢) قال: حدّثنا رزق الله بن موسى الباجي البصري، قال: حدّثنا مؤمل بن إسماعيل - العدوي البصري - قال: حدّثنا حماد بن سلمة، قال: حدّثنا سعيد بن جهمان البصري عن سفينة مولى أمّ سلمة، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى الصبح أقبل على أصحابه فقال: أيّكم رأى الليلة رؤيا؟ قال: فصلّى ذات يوم الصبح ثمّ أقبل على أصحابه فقال: أيّكم رأى الليلة رؤيا؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله! رأيتُ كأنّ ميزاناً أدلي من السماء فوضعت في كفة الميزان ووضع أبو بكر في كفة أخرى فرجحت بأبي بكر فرفعت . وتُرك أبو بكر فجيء بعمر فوضع في الكفة الأخرى فوزن بأبي بكر فرجح أبو بكر بعمر . ورفع أبو بكر وتُرك عمر مكانه ، فجيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى فرجح عمر بعثمان . ورفع عمر وتُرك عثمان مكانه فجيء بعليّ فوضع في الكفة الأخرى فرجح عثمان بعليّ ورفع الميزان . فتغيّر وجه رسول الله ﷺ ثمّ قال: خلافة نبوة ثلاثين عاماً ثمّ تكون ملكاً^(٣) .

١ - ميزان الاعتدال [٣٨٧/١ ، رقم ١٤٣٥] . ٢ - مرقاة الوصول: ١١٢ .

٣ - مرّ الجواب عن هذه الرواية في ص ٦٥ - ٦٧ من كتابنا هذا .

- ٤١ -

خطبة النبي ﷺ في فضل الخليفة

أخرج البخاري^(١) في المناقب باب قول النبي: سدّوا الأبواب إلّا باب أبي بكر، وباب الهجرة من طريق أبي سعيد الخدري قال: «خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: إنّ الله خيرّ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيرّ فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: إنّ آمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربّي لاتّخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودّته، لا يبقين في المسجد باب إلّا سدّ إلّا باب أبي بكر».

قلت: راجع ص ٢٩٥ - ٣٠٠ من كتاب تلخيص الغدير تردد وثوقاً بما تضمّنته هذه الرواية من أكذوبة حديث الأبواب وسدّها، وما لابن تيميّة هنالك من مكاء وتصديّة. وأمّا بقية الحديث: فمما فيه قول أبي سعيد: «وكان أبو بكر أعلمنا»: لم يخصّ هذا العلم بأبي بكر وإنّما تحمّله كلّ من سمعه ﷺ ووعى أقواله في حجة الوداع الذي كان يقول فيها: «يوشك أن أدعى فأجيب»، إلى ما يقارب ذلك ممّا هو سيأتي^(٢).

وهب أن العلم بذلك كان مقصوراً على الخليفة لكنّه أيّ علم هذا يباهي به؟! أهو حلّ عويصة من الفقه؟! أو بيان مشكلة من الفلسفة؟! أو شرح غوامض من علوم الدين؟! أو كشف مخبّأ من أسرار الكون؟!!

لم يكن في هذا العلم شيء من ذلك كلّ وإنّما هو على فرض الصحّة تنبّه منه إلى أنّه ﷺ يريد نفسه، ولعلّه سمعه قبل ذلك فتذكّره عندئذٍ. وقد يأتي^(٣) البحث عن علميّة الرجل بما لا مزيد عليه.

١ - صحيح البخاري ٥: ٢٤٢، ٦: ٤٤ [١٣٣٧/٣] ح ٣٤٥٤، ص ١٤١٧ ح ٣٦٩١.

٢ - في ص ٦٥١ - ٦٦١ من كتابنا هذا.

٣ - في ص ٥٧٩ من كتابنا هذا.

وأما قوله: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ»: فَأَيُّ مَنْ لَأَيُّ أَحَدٍ فِي صَحْبَتِهِ ﷺ وإِنْفَاقَ مَالِهِ فِي دَعْوَتِهِ؟! «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا»^(١). «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا»^(٢).

وكانت لرسول الله المنة على البشر عامة بالدعوة والهداية والتهديب، وإن صاحبه أحدٌ وناصره فلنفسه نظر ولها نصح: «يَمُتُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(٣). «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»^(٤).

على أَنَّ مَنَّةَ الْمَالِ لِأَبِي بَكْرٍ سَالِبَةٌ بَانْتِفَاءَ الْمَوْضُوعِ^(٥). وقصة الخلّة في ذيل الرواية سنوقفك عليها^(٦) وأنها موضوعة.

وقبل هذه كلّها ما في رجال سند الرواة من الآفة؛ لمكان إسماعيل بن عبدالله أبي عبدالله بن أبي أويس ابن أخت مالك ونسيبه والراوي عنه. قال ابن أبي خيثمة: «صدوق ضعيف العقل ليس بذلك؛ يعني أنّه لا يحسن الحديث ولا يعرف أن يؤدّيه أو يقرأ من غير كتابه».

وقال ابن معين^(٧): «هو وأبوه يسرقان الحديث».

وقال ابن عدي^(٨): روى عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد.

قال الأميني: هذه الرواية التي رواها عن خاله من تلك الغرائب.

١ - فصلت: ٤٦. ٢ - الإسراء: ٧.

٣ - الحجرات: ١٧. ٤ - آل عمران: ١٦٤.

٥ - [أنظر تلخيص الغدير/ ٧٦١-٧٦٧]. ٦ - في ص ٧٥٠-٧٥٤ من كتابنا هذا.

٧ - معرفة الرجال [٦٥/١، رقم ١٢١]. ٨ - الكامل في ضعفاء الرجال [٣٢٣/١، رقم ١٥١].

وقال العقيلي في الضعفاء^(١) عن يحيى بن معين أنّه قال: «ابن أبي أويس لا يسوى فلسين^(٢)».

وذكره الإسماعيلي في المدخل فقال: «كان ينسب في الخفّة والطيش إلى ما أكره ذكره». أليس من الجزاف وقول الزور، قول النووي في مقدّمة شرح صحيح مسلم^(٣): «إتفق العلماء رحمهم الله على أن أصحّ الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم»؟!

أكتابٌ هذا حديثه وهذه ترجمة رجال إسناده وهو أخفّ ما فيه من الطامّات يصلح أن يكون أصحّ الكتب بعد القرآن؟! كبرت كلمة تخرج من أفواههم. ولو كان هذا شأن الأصحّ المتفق عليه فما قيمة غيره في سوق الاعتبار؟!

عمر:

- ٤٢ -

عمر اقرأ الصحابة وأفقههم!

عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أمرت أن أقرأ القرآن على عمر»^(٤). وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه قال: «كان عمر أتقانا للربّ، وأقرأنا الكتاب الله»^(٥). وذكر المحبّ الطبري نقلاً عن عليّ بن حرب الطائي من طريق ابن مسعود أنّه قال لزيد بن وهب: «اقرأ بما أقرأكه عمر؛ إنّ عمر أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله»^(٦).

١ - الضعفاء الكبير [٨٧/١، رقم ١٠٠].

٢ - [في الضعفاء الكبير: «يسوى فلساً»، وفي تهذيب التهذيب: «يسوى فلسين»].

٣ - شرح صحيح مسلم [١٤/١].

٤ - ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٥٨ [١٤٢/١، الأصل ٤٣].

٥ - المستدرک على الصحيحين ٣: ٨٦ [٩٢/٣، ح ٤٤٩٨].

٦ - الرياض النضرة ٢: ٨ [٢٧٤/٢].

هذه مراسيل مقطوعة عن الإسناد. وأحسب أن بطلان هذه الروايات في غنى عن إبطال إسنادها؛ فإنَّ العناية الإلهية لو شملت الخليفة بحيث أمر نبيه ﷺ بقراءة القرآن عليه، لا بدَّ وأن تشمله بالتمكّن من تلقّيه وضبطه وحفظه وفقهه والوقوف على مغازيه والعمل به، وأن يكون أقرأ كما في رواية الحاكم، أو أعلم وأفقه كما في رواية الطائي؛ إذن فما تلکم الجهود المتعبة في تعلّم سورة البقرة فحسب طيلة اثنتي عشر سنة^(١)؟! وما هاتيك الأحكام الشاذّة عن موارد من القرآن الكريم؟!

١ - كحكمه للجنب الفاقد للماء بترك الصلاة؛ ذاهلاً عن قوله تعالى في سورة النساء^(٢)، وفي سورة المائدة^(٣).

٢ - وحكمه على امرأة ولدت لستة أشهر بالرجم، ونصب عينه الآية الكريمة: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٥).

٣ - ونهيه عن المغالاة في مهور النساء وبين يديه قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾^(٦).

٤ - وجهله بمعنى الأبّ وهو يتلو: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾^(٧).

٥ - وحسبانه أن الحجر الأسعد لا يضرّ ولا ينفع جهلاً بمغزى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ...﴾^(٨).

٦ - ونهيه عن الطيبات في الحياة الدنيا تمسكاً بقوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُم طَيِّبَاتِكُمْ فِى

١ - أنظر تفسير القرطبي ١: ٣٤ [٣٠/١]؛ سيرة عمر لابن الجوزي: ١٦٥ [ص ١٧١]؛ شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١١

[١٢/٦٦، خطبة ٢٢٣]؛ الدرّ المشور ١: ٢١ [٥٤/١]؛ [وراجع تلخيص الغدير/ ٥٦٨ - ٥٦٩].

٢ - النساء: ٤٣. ٣ - المائدة: ٦.

٤ - الأحقاف: ١٥. ٥ - البقرة: ٢٣٣.

٦ - النساء: ٢٠. ٧ - النازعات: ٣٣.

٨ - الأعراف: ١٧٢.

حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا»^(١) ذاهلاً عما قبله، غير ملتفت إلى الآية الأخرى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...»^(٢).

٧- وجهله بمعاريض الكلم المتخذة من الكتاب.

٨- وأمره برجم الزانية المضطرة، وفي الذكر الحكيم: «فَتَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»^(٣).

٩- وتجسسه عن صوت ارتاب به، فتسلق الحائط ودخل البيت ولم يسلم، غير مكترث لآيات ثلاث: «وَلَا تَجَسَّسُوا»^(٤)، «وَأْتُوا الْيُتُوثَ مِنْ أَبْوَابِهَا»^(٥)، «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا»^(٦).

١٠- وجهله بالكلالة، وبمسمع منه آية الصيف.

١١- وقوله بتعذيب الميت ببكاء الحي كأنه لم يقرأ قوله تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^(٧).

١٢- وقوله الشاذ في الطلاق قصوراً منه عن فهم قوله تعالى: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ»^(٨).

١٣- ونهيه عن متعة الحج وهو يتلو قوله تعالى: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ»^(٩).

١٤- وتحريمه متعة النساء ذهولاً منه عن قوله تعالى: «فَمَا اسْتَنْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...»^(١٠).

تجد تفاصيل هذه الجمل في نواذر الأثر من كتابنا هذا.

وهناك موارد كثيرة من القرآن، لم يهتد إليها، وتجد جملة منها في طيات كتابنا هذا.

٢- الأعراف: ٣٢.

٤- الحجرات: ١٢.

٦- النور: ٦١.

٨- البقرة: ٢٢٩.

١٠- النساء: ٢٤.

١- الأحقاف: ٢٠.

٣- البقرة: ١٧٣.

٥- البقرة: ١٨٩.

٧- الأنعام: ١٦٤.

٩- البقرة: ١٩٦.

فهل من السائع في شريعة الحجى أن يكون الأقرأ والأعلم والأفقه بهذه المثابة من الابتعاد عن الآي الشريفة، ومراميها الكريمة؟! ولو كان كما زعموه فما قوله في خطبته الصحيحة الثابتة له بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات: «من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد ابن ثابت»^(١)؟

- ٤٣ -

تسمية عمر بأمير المؤمنين!

قال الواقدي: «حدثنا أبو حمزة^(٢) يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم، عن أبي عمرو قال: قلت لعائشة: من سمي عمر الفاروق أمير المؤمنين؟ قالت: النبي ﷺ قال: أمير المؤمنين هو»^(٣).

قال الأميني: كان أبو حمزة قاصاً يقصّ، فراقه أن يكذب على رسول الله ﷺ وعلى حليلته أم المؤمنين، لإرضاء مستمعيه بافتعال منقبة لعمر ذاهلاً عن أن التاريخ يكذبه ويكشف عن سواته ولو بعد حين.

قال السيوطي في شرح شواهد المغني^(٤):

روينا بسند صحيح أن لبید بن ربيعة وعدي بن حاتم هما اللذان سميا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين حين قدما عليه من العراق.

وأخرج الطبري في تاريخه^(٥) بالإسناد عن حسان الكوفي قال: «لما ولي عمر قيل:

١ - راجع المستدرک علی الصحیحین ٣: ٢٧١ و ٢٧٢ [٣/٣٠٥، ح ٥١٨٧؛ و ٣٠٦، ح ٥١٩١].

٢ - كذا في تاريخ ابن كثير، والصحیح: «أبو حمزة»، بفتح المهملة بينهما معجمة ساكنة.

٣ - البداية والنهاية ٧: ١٣٧ [٧/١٥٤، حوادث سنة ٢٣ هـ].

٤ - شرح شواهد المغني: ٥٧ [١/١٥٥، رقم ٥٩]. ٥ - تاريخ الأمم والملوك ٥: ٢٢ [٤/٢٠٨].

يا خليفة خليفة رسول الله؛ فقال عمر رضي الله عنه : هذا أمر يطول، كل ما جاء خليفة قالوا: يا خليفة خليفة خليفة رسول الله، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم؛ فسُمي أمير المؤمنين». وقال ابن خلدون في مقدمة تاريخه^(١):

اتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين؛ فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به.

فصرح رواية الطبري أن عمر هو الذي رأى هذه التسمية.

نعم، إن الذي سمّاه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين هو مولانا علي رضي الله عنه :

أخرج الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار من طريق ابن عباس في حديث: قال رسول الله ﷺ : «يا أم سلمة! اشهدي واسمعي هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين»^(٢).

وأخرج الطبراني في معجمه^(٣) من طريق عبد الله بن عليم الجهني مرفوعاً: «إن الله عز وجل أوحى إلي في علي ثلاثة أشياء ليلة أسرى بي: أنه سيّد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين».

وتعضد هذه الأحاديث وتؤكدّها عدّة أحاديث:

منها: ما أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء من طريق ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «ما أنزل الله آية فيها يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي رأسها وأميرها»^(٤). ومنها: ما أخرجه الخطيب والحاكم وصحّحه من طريق جابر بن عبد الله، قال:

١- مقدمة ابن خلدون: ٢٢٧ [٢٨٣/١]، فصل ٣٢.

٢- يأتي الحديث بتمامه في ص ٧٣٢ من كتابنا هذا. ٣- المعجم الصغير [٨٨/٢].

٤- راجع حلية الأولياء ١: ٦٤ [رقم ٤]؛ الرياض النظرة ٢: ٢٠٦ [٣/١٥٨]؛ كفاية الكنجي: ٥٤ [ص ١٤٠]، باب ٣١؛ تذكرة السبط: ٨ [ص ١٣]؛ درر السطين لجمال الدين الزرندي [ص ٨٩]؛ الصواعق لابن حجر: ٧٦ [ص ١٢٧]؛ كنز العمال ٦: ٢٩١ [١١/٦٠٤]، ح ٣٢٩٢٠؛ تاريخ الخلفاء: ١١٥ [ص ١٦٠].

سمعتُ رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو آخذٌ بيد عليٍّ يقول: «هذا أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصورٌ من نصره، مخذولٌ من خذله»^(١).
ومنها: ما أخرجه ابن عدي في كامله^(٢) من طريق عليٍّ: إن النبي ﷺ قال: «عليٌّ يعسوب^(٣) المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين».
وفي رواية: «يعسوب الظلمة». وفي رواية «يعسوب الكفار»^(٤).
وقال الدميري: «ومن هنا قيل لأمر المؤمنين عليٌّ كرم الله وجهه: أمير النحل».

- ٤٤ -

قرطاس في كفن عمر

إنَّ الحسن والحسين دخلا على عمر بن الخطاب وهو مشغول، ثمَّ انتبه لهما فقام فقبلهما ووهب لكل واحد منهما ألفاً، فرجعا فأخبرا أباهما فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: عمر نور الإسلام في الدنيا وسراج أهل الجنة في الجنة. فرجعا إلى عمر فحدثاه فاستدعى دواة وقرطاساً وكتب: حدثني سيّد شباب أهل الجنة عن أبيهما عن رسول الله ﷺ أنّه قال كذا وكذا؛ فأوصى أن يجعل في كفنه ففعل ذلك، فأصبحوا وإذا القرطاس على القبر وفيه: صدق الحسن والحسين وصدق رسول الله!

قال الأميني: بلغ هذه القصّة الخياليّة من الخرافة حدّاً ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات؛ كما في تحذير الخواصّ للسيوطي^(٥) فقال:

والعجب من هذا الذي بلغت به الوقاحة إلى أن يصنّف مثل هذا وماكفاه حتّى

١- تاريخ الخطيب البغدادي ٢: ٣٧٧ [رقم ٨٨٧] و ٤: ٢١٩ [رقم ١٩١٥]؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٢٩ [٣/ ١٤٠].

ح ٤٦٤٤. ٢- الكامل في ضعفاء الرجال [٥/ ٢٤٤، رقم ١٣٨٩].

٣- «اليعسوب»: الأمير، الرئيس.

٤- ذكره الدميري في حياة الحيوان ٢: ٤١٢ [٢/ ٤٤١]؛ وابن حجر في الصواعق المحرقة: ٧٥ [ص ١٢٥].

٥- تحذير الخواصّ: ٥٣ [ص ٢٠٧].

عرضه على أكابر الفقهاء فكتبوا عليه تصويب هذا التصنيف .

قاتل الله الغلو في الفضائل ؛ فإنه شوّه سمعة أكابر الفقهاء ، كما سوّد صحيفة التاريخ ، وقبّح وجه التأليف .

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾^(١) .

عثمان :

- ٤٥ -

أخرج ابن ماجة في سننه^(٢) ، عن أبي مروان محمد بن عثمان الأموي العثماني ، عن أبيه عثمان بن خالد حفيد عثمان بن عفّان ، عن عبدالرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه - مولى عائشة بنت عثمان - عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « لكلّ نبيّ رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفّان » .

رجال الاسناد :

١ - أبو مروان ؛ قال صالح الأسدي : « يروي عن أبيه المناكير » . وقال ابن حبان : « يخطئ ويخالف »^(٣) .

٢ - عثمان بن خالد ؛ قال البخاري : « عنده مناكير » . وقال النسائي : « ليس بثقة » . وقال ابن عدي : « أحاديثه كلّها غير محفوظة »^(٤) .

٣ - عبدالرحمن بن أبي الزناد ؛ قال يحيى بن معين^(٥) : « ليس ممّن يحتجّ به أصحاب »

١ - طه : ٩٩ و ١٠٠ . ٢ - سنن ابن ماجة ١ : ٥٣ [٤٠ / ١] ح ١٠٩ .

٣ - الثقات [٩٤ / ٩] ؛ تهذيب التهذيب ٩ : ٣٣٦ [٢٩٩ / ٩] .

٤ - التاريخ الكبير [٢٢٠ / ٦] ، رقم ٢٢٢١ ؛ الكامل في ضعفاء الرجال [١٧٥ / ٥] ، رقم ١٣٣٥ .

٥ - التاريخ [٢٥٨ / ٣] ، رقم ١٢١١ .

الحديث، ليس بشيء». وقال النسائي^(١): «لا يُحتجّ بحديثه».

وبعد ذلك كلّه فإنّي أستغرب هذه الرفاقة وأنّ الرجل بماذا اختصّ بها وحصل عليها من دون الصحابة المقدّمين ذوي الفضائل والمآثر، وفي مقدّمهم صنوه ﷺ أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه وهو نفسه في الذكر الحكيم، وأخوه المخصوص به في حديث المواقاة المعربة عن المجانسة بينهما في نفسيّات، وهو الذابّ الوحيد عنه في حروبه ومغازيه، ومثله الأعلى في العصمة والقداسة بصرح آية التطهير، وباب مدينة علمه في الحديث المتواتر.

فماذا اختصّ عثمان بهذه الرفاقة دون عليّ أمير المؤمنين، المشاكلته مع صاحب الرسالة العظمى في النسب أو الحسب في العلم والتقوى والملكات الفاضلة؟! أو لا تبايعه ما جاء به ﷺ من كتاب أو سنة؟

وأنت متى استشففت ما تلوناه في هذا الكتاب من موارد الخليفة ومصادره، وأخذه وردّه، وأفعاله وتروكه، تعلم مبهوّاً من كلّ هاتيك الفضائل وتجد من المستحيل ما أثبتته له هذه الرواية الواهية بإسنادها الساقط، تعالى نبيّ العظمة عن ذلك علوّاً كبيراً.

ولست أدري لماذا ردّ الله دعاء نبيّه الأعظم في أبي بكر الوارد فيما أخرجه ابن عدي^(٢) من طريق الزبير بن العوام قال: قال رسول الله ﷺ: «اللّهم إنك جعلت أبا بكر رفيقي في الغار فاجعله رفيقي في الجنّة»^(٣).

نعم، هذا كحديث ابن ماجة هما سواسية في البطلان، في إسناده محمّد بن الوليد القلانسي البغدادي، كذاب يضع الحديث^(٤)، ومصعب بن سعيد يحدث عن الثقات

١- كتاب الضعفاء والمتروكون [ص ١٦٠، رقم ٣٨٧].

٢- الكامل في ضعفاء الرجال [٢٨٦/٦، رقم ١٧٧١].

٣- لسان الميزان ٥: ٤١٨ [٥/٤٧٣، رقم ٨١٦٠]. ٤- ميزان الاعتدال ٣: ١٤٥ [٤/٥٩، رقم ٨٢٩٣].

بالمناكير ويصحّف^(١)، وكان مدلساً لا يدري ما يقول، وعيسى بن يونس مجهول لا يعرف^(٢).

- ٤٦ -

أخرج^(٣) أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر في تاريخه، والحاكم في المستدرک من طريق شيبان بن فروخ، عن طلحة بن زيد الدمشقي، عن عبيدة^(٤) بن حسان، عن عطاء الكيخاراني، عن جابر بن عبدالله قال: «بينما نحن في بيت ابن حشفة في نفر من المهاجرين فيهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، فقال رسول الله ﷺ: لينهض كل رجل منكم إلى كفته، فنهض النبي ﷺ إلى عثمان فاعتنقه، وقال: أنت وليي في الدنيا والآخرة».

صحّحه الحاكم وعقّبه الذهبي في تلخيصه وقال: «قلت: بل ضعيف؛ فيه طلحة ابن زيد، وهو واهٍ عن عبيدة بن حسان شُوخ مقلّ عن عطاء».

وقال السيوطي في اللآلئ^(٥): «موضوع، طلحة لا يحتجّ به، وعبيدة يروي الموضوعات عن الثقات».

وذكره^(٦) المحبّ الطبري في رياضة النظرة، وابن كثير في تاريخه ساكتين عما في إسناده من الغمز، شأنهما في فضائل من يحبّانه ويواليانه.

١- لسان الميزان [٥١/٦، رقم ٨٤٠٤]. ٢- المصدر السابق [٤٧٤/٤، رقم ٦٤٦٠].

٣- مسند أبي يعلى [٤٤/٤، ح ٢٠٥١]؛ تاريخ مدينة دمشق ٧: ٦٥ [٢٥/٢٥، رقم ٢٩٧٨]؛ وفي مختصر تاريخ دمشق [١٨٤/١١]؛ المستدرک على الصحيحين ٣: ٩٧ [١٠٤/٣، ح ٤٥٣٦ وكذا في تلخيصه].

٤- في النسخة هاهنا وفيها يأتي: «عبيد»، والصحيح ما ذكرناه.

٥- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١: ٣١٧.

٦- الرياض النظرة ٢: ١٠١ [٢٧/٣]؛ البداية والنهاية ٧: ٢١٢ [٢٣٩/٧، حوادث سنة ٣٥ هـ].

والغربة في هذه المائلة والولاية المنبعثة عنها في الدنيا والآخرة ليست بأقل من الرفاقة التي أسلفنا القول فيها قبيل هذا. وإن من المؤسف جداً المقارنة بين رسول العظمة وبين من لم يقم الصحابة الأولون - العدول كلهم فيما يرتأون - له وزناً ولا رأوا لحياته قيمة، ولا حسبوا لتسليم عرش الخلافة مؤهلاً، فلم يزل ممقوتاً عندهم حتى كبت به بطنته، وأجهز عليه عمله كما قاله مولانا أمير المؤمنين، ولم يفتأ الصحابة مصرّين على مقتته حتى أوردوه حياض المنية، ولم تبرح أعماله مؤكدة لعقائد الملأ الديني في همزه ولمزه حتى وقع من الأمر ما وقع.

ولا يسع قطّ لعارف عرفان وجه المكافأة بين نبي العظمة وبين عثمان؛ فإنها إن كانت من ناحية النسب فأني هي؟! هذا من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وذلك من شجرة ملعونة في القرآن.

وإن كانت من حيث الحسب ففرق بينهما فيه بُعد المشرقين ولا حرج؛ هذا حسيب، وذلك مُقَشَّب^(١) الحسب؟!

وإن كانت من جهة الملكات الفاضلة والنفسيات الكريمة فالمشاكلة منتفية وهما طرفا نقيض؛ هذا ناصح الجيب، واري الزند^(٢) لعلّ خلق عظيم، والآخر يحمل منها بين جنبيه ما عرفناك حديثه.

ونحن إن أخذنا ما جاء به القوم من قضايا الملكات فالبون بينهما شاسع أيضاً؛ فالنبي الأقدس مثلاً عندهم كما مرّ كان يكشف في الملأ عن ركبتيه وعن فخذه وعمّا هو بينهما وبين سرّته ولم يكن يبالي، وعثمان إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه^(٣).

١ - «المقشَّب»: المزوج الحسب باللؤم.

٢ - رجل «ناصح الجيب» أي صادق أمين، نقي القلب لا غش فيه. ويقال: «واري الزند» في المبالغة في الكرم

والخصال الحمودة.

٣ - كما مرّ في حديث الحسن: ص ٨٩ من كتابنا هذا.

وإن فرضت المشاكلة من جانب الأخذ بالدين والعمل بما فيه من أفعال أو تروك،
فالتباين بينهما ظاهرٌ وأيّ تباين؛ «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا
لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا»^(١)؛ هذا رسول التوحيد أسلم وجهه لله وهو محسن، يعبد ربّه
مخلصاً له الدين تحت راية لا إله إلا الله، وقرط أذنه قوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ»^(٢)،
وورد لسانه: «وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ»^(٣).

وأما عثمان فهو أسير هوى مروان ومعاوية وسعيد ومن شاكلهم من أبناء بيته،
يسير مع ميولهم وشهواتهم، حتّى قال مولانا أمير المؤمنين: «ما رضيت من مروان
ولا رضي منك، إلا بتحويلك عن دينك وعقلك، وإنّ مثلك مثل جمل الطعينة سار حيث
يُسار به»^(٤). قدم ربّه وقد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، كسب سيئة وأحاطت به
خطيئته.

إيه إيه يا نبيّ العظمة أنزلك الدهر ثمّ أنزلك حتّى جعلك كُفو عثمان بعد ما اختارك
ربّك واصطفاك من بريّته وجعلك لسان صدق نبياً؛ هذا جزاؤك من أمتك جزاء سنّار
«وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»^(٥).

لفت نظر:

وضعت يد الأمانة الخائنة على ودائع الاسلام المقدّس هذه الرواية تجاه ما صحّ
عن النبيّ الأقدس في صنوه الطاهر أمير المؤمنين في حديث طويل عن ابن عبّاس من
قوله ﷺ لعليّ عليه السلام: «أنت وليّ في الدنيا والآخرة».
أخرجه أحمد في مسنده^(٦) بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقات^(٧).

٢- الأنعام: ٩١.

١- الزمر: ٢٩.

٤- راجع تاريخ ابن كثير ٧: ١٧٢ [١٩٣/٧]، حوادث سنة ٣٥.

٣- هود: ٨٨.

٦- مسند أحمد ١: ٢٣١ [٥٤٤/١] ح ٣٠٥٢.

٥- الشعراء: ٢٢٧.

٧- مسند أحمد [٦٠٦/٥] ح ١٩٤٢٦.

وأخرجه جمع من الحفاظ وذكره غير واحد من المؤلفين؛ ومنهم^(١):

- ١- الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي، المتوفى (٣٠٣)، في الخصائص.
- ٢- الحافظ أبو القاسم الطبراني، المتوفى (٣٦٠)، كما في الفرائد والجمع وغيرهما.
- ٣- الحافظ أبو عبد الله الحاكم، المتوفى (٤٠٥)، في المستدرک وصححه.
- ٤- الحافظ أبو بكر البيهقي، المتوفى (٤٥٨)، كما في المناقب للخوارزمي.
- ٥- الحافظ أبو القاسم بن عساكر، المتوفى (٥٧١)، في الأربعين الطوال والموافقات.
- ٦- الحافظ المحب الطبري، المتوفى (٦٩٤)، في الرياض النضرة وذخائر العقبى.
- ٧- الحافظ ابن كثير الدمشقي، المتوفى (٧٧٤)، في البداية والنهاية.
- ٨- الحافظ ابن حجر العسقلاني، المتوفى (٨٥٢)، في الإصابة.

- ٤٧ -

أخرج ابن سعد في الطبقات^(٢)، عن محمد بن عمرو، عن عمرو بن عبد الله بن عنبسة بن عمرو بن عثمان، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن ابن لبيرة، قال: «إنَّ عثمان بن عفان لما حُصر أشرف عليهم من كوة في الطمار فقال: أفيكم طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أنشدك الله هل تعلم أنَّه لما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين نفسه؟ فقال طلحة: اللهم نعم. فقل طلحة في ذلك، فقال: نشدني، وأمر رأيتَه ألا أشهد به؟». وفيه: أنَّ ابن لبيرة لم يشهد حصر عثمان ولم يرو عن صحابي؛ فالرواية مرسلة، وابن سعد جدِّ علم بأنَّ مثل هذه المفتعلة لا يخفى بطلانها على أيِّ أحد سواء أرسلها أو أسندها.

١- خصائص أمير المؤمنين: ٧ [ص ٤٥، ح ٢٣]؛ المعجم الكبير [١٢/٧٧، ح ١٢٥٩٢]؛ المستدرک على الصحيحين ٣: ١٣٢ [١٤٥/٣، ح ٤٦٥٥]؛ المناقب [١٢٥: ح ١٤٠]؛ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر، الطبعة المحققة [رقم ٢٤٩-٢٥١]؛ وفي مختصر تاريخ دمشق [٣٢٩/١٧]؛ الرياض النضرة ٢: ٢٠٣ [١٥٢/٣]؛ ذخائر العقبى: ٨٧؛ البداية والنهاية [٣٧٤/٧]؛ حوادث سنة ٤٠ هـ؛ الإصابة ٢: ٥٠٩.

٢- الطبقات الكبرى ٣: ٤٧، طبع ليدن [٦٨/٣].

وهلّا يعلم مفتعل هذه الأضحوة أنّ أئمة الحديث وحفاظه ورجال التاريخ أصفقت على أنّ رسول الله ﷺ لم يتخذ لنفسه أخاً يوم المواجهة بين المهاجرين والأنصار إلا ابن عمّه عليّ بن أبي طالب؟!

وهذا الذي يقتضيه الاعتبار بعد ما نصّ الكتاب العزيز على أنّ عليّاً سلام الله عليه نفس النبيّ الأقدس، وأنهما من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنّ ولاية عليّ مقرونة بولاية الله ورسوله.

وبعد ما ثبت أنّه سلام الله عليه صنو النبيّ الأعظم في الفضائل، وشاكلته في النفسانيّات، ورديفه في الملكات الفاضلة، ونظيره من أمّته كما جاء عنه ﷺ^(١).

وهو منه ﷺ بمنزلة رأسه من بدنه نصّاً منه ﷺ^(٢).

وهو منه ﷺ بمنزلته من ربّه كما ورد عن أبي بكر مرفوعاً^(٣).

وهما من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى كما روي عنه ﷺ^(٤).

وهو الذي ثبت فيه قوله ﷺ: «أنت منّي وأنا منك»^(٥).

وهو الذي أنزله ﷺ من نفسه بمنزلة هارون من موسى ولم يستثن له ممّا اختصّه الله

به إلا النبوة^(٦).

١- الرياض النضرة ٢: ١٦٤ [١٠٧/٣].

٢- تاريخ الخطيب البغدادي ٧: ١٢ [رقم ٣٤٧٥]؛ الرياض النضرة ٢: ١٦٢ [١٠٥/٣]؛ مصباح الظلام للدمياطي

٣- الرياض النضرة ٢: ١٦٣ [١٠٦/٣].

٢: ٥٦ [١٣٥/٢].

٤- أنظر كفاية الطالب: ١٧٨ [ص ٣١٧، باب ٨٧].

٥- صحيح البخاري، كتاب المناقب ٥: ٢١٩ [١٣٥٧/٣، باب ٩]؛ مسند أحمد ٥: ٢٠٤ و ٢٥٦ [٢٦٥/٦].

ح ٢١٢٧٠؛ وص ٤٨٩، ح ٢٢٥٠٣؛ صحيح الترمذي في المناقب ٢: ٢١٣ [٥٩٣/٥، ح ٣٧١٦]؛ خصائص

النسائي: ٢٠ و ٢٤ و ٣٦ [ص ٨٦-٨٧، ح ٦٨-٧٠؛ وفي السنن الكبرى ٥/١٢٧، ح ٨٤٥٥؛ وص ١٤٨،

ح ٨٥٢٣؛ وص ١٦٩، ح ٨٥٧٩].

٦- حديث المنزلة أخرجه أئمة الحديث بطرق صحيحة في الصحاح والمسانيد؛ أنظر ص ٧٤٩ من كتابنا هذا.

لقد نأدّي^(١) البحث عن حديث المؤاخاة حقّه ونذكر هنالك خمسين^(٢) حديثاً ممّا وقفنا عليه من أحاديث الإخاء الثابت بين النبي الأعظم وأخيه أمير المؤمنين. وقد صحّ عنه ﷺ قوله: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» من طريق عمر وأنس وابن أبي أوفى وابن عباس ومحدوج بن زيد الذهلي وجابر بن عبدالله وعامر بن ربيعة وأبي ذر وغيرهم. إنّما فدحت هذه المأثرة أهل الأهواء كبقية مآثر الإمام صلوات الله عليه فوضعوا تجاهها أكذوبة [تارة]^(٣) في أبي بكر وأنه هو أخو رسول الله ﷺ^(٤)، وأخرى في عثمان وأنّ رسول الله ﷺ أخى بينه وبين نفسه، وثالثة في عليّ ﷺ وأنّ النبي ﷺ أخى بينه وبين عثمان^(٥).

ورواة السوء يعلمون أنّ رسول الله ﷺ أخى بين أبي بكر وبين عمر في المؤاخاة الأولى بمكة^(٦)، وبينه وبين خارجة بن زيد الأنصاري في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بالمدينة^(٧)، وأخى بين عثمان وبين عبدالرحمن بن عوف في المؤاخاة بمكة^(٨).

١- في ص ٧٥٠ - ٧٥٤ من كتابنا هذا.

٢- [ذكر العلامة الأميني في الغدير ١٦٤/٢ - ١٨١ خمسين حديثاً، ونحن نختار منها خمسة].

٣- [من الطبعة الأولى].

٤- راجع: ص ٧٥٠ من كتابنا هذا؛ والإصابة ١: ٣٥٧ [رقم ١٨٩] وضعفه.

٥- الرياض النضرة ١: ١٧ [٤٣/١].

٦- راجع: تاريخ ابن عساكر ٦: ٩٠ [٩٤/٣٠، رقم ٣٢٩٨؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ٥٧/١٣]؛ أسد الغابة ٢: ٢٢١

[٢/ ٢٧٧، رقم ١٨٢٢]؛ عيون الأثر ١: ١٩٩ [١/ ٢٦٤]؛ الرياض النضرة ١: ١٥ و ١٧ [١/ ٢٣ و ٢٤]؛

فتح الباري ٧: ٢١٧ [٧/ ٢٧١].

٧- راجع: سيرة ابن هشام ١: ١٢٤ [٢/ ١٥١]؛ تاريخ ابن كثير ٣: ٢٢٦ [٣/ ٢٧٧، حوادث السنة الأولى من الهجرة]؛

عيون الأثر ١: ٢٠١ [١/ ٢٦٦]؛ الرياض النضرة ١: ١٦ [١/ ٢٣]؛ فتح الباري ٧: ٢١٦ و ٢١٨ [٧/ ٢٧١].

٨- راجع: تاريخ ابن عساكر ٦: ٩٠ [٣٥/ ٢٥٤، رقم ٣٩١١؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١٤/ ٣٤٧]؛ عيون الأثر ١:

١٩٩ [١/ ٢٦٤]؛ الرياض النضرة ١: ١٥ و ١٧ [١/ ٢٣ و ٢٤]؛ فتح الباري ٧: ٢١٨ [٧/ ٢٧١].

وبينه وبين أوس بن ثابت يوم المواجهة بالمدينة^(١).

فعثمان قطّ لا ينشد بالمكذوب، وطلحة لا يدّعي رؤية ما لم يره، ولا يشهد بخلاف ما شاهده وعائنه، إن كانا من عدول الصحابة صدقاً، ومن المبشرين بالجنة حقاً. وأنت تعرف حكم هذه الدعاوي من الصحيح الثابت عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: «أنا عبدالله وأخو رسوله لا يقولها أحد غيري إلاّ كذاب». قال ابن كثير في تاريخه^(٢): «وقد جاء من غير وجه». وقال ابن حجر: «رويناه من وجوه»^(٣). وكان قول أمير المؤمنين هذا أخذاً بما قال له رسول الله ﷺ من قوله: «أنت أخي وأنا أخوك فإن ناكرك أحد - وفي لفظ: فإن حاجك أحد - فقل: أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يدّعيها بعدك إلاّ كذاب».

وأول من فتح باب التجري بمصراعيه على هذه الفضيلة الراية هو عمر بن الخطاب يوم قادوا صاحب الفضيلة إلى البيعة كما يُقَادُ الجمل الخشوش، وقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟!»، قالوا: إذن والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك. قال: «إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله». قال عمر: أمّا عبدالله فنعم وأما أخو رسوله فلا.

أنا لست أخدش العواطف بالإعراب عن حكم إنكار عمر الأخوة الثابتة بتلكم النصوص الصريحة الأكيدة وقد سمعها هو من الصّادع الكريم في ذلك اليوم المشهود، غير أنّي جدّ عليم بأنّ حجاج مولانا أمير المؤمنين كان أخذاً بما مرّ قبيل هذا عن رسول الله ﷺ من قوله: «فإن ناكرك أحد فقل: أنا عبدالله وأخو رسول الله». وهل قرع هذا سمع عمر أيضاً وجابهه مع ذلك بالشدة في النكير عليه؟! أنا لا أدري: «فإن جاءوك

١ - راجع: سيرة ابن هشام ٥: ١٢٥ [١٥١/٢]؛ تاريخ ابن كثير ٣: ٢٢٧ [٢٧٨/٣]، حوادث السنة الأولى للهجرة؛

عيون الأثر ١: ٢٠١ [٢٦٦/١]؛ الرياض النضرة ١: ١٦ [٢٣/١].

٢ - البداية والنهاية ٧: ٣٣٥ [٣٧١/٧]، حوادث سنة ٤٠ هـ.

٣ - تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٧ [٢٩٦/٧]، راجع ص ٧٥٠ - ٧٥٤ من كتابنا هذا.

فَاخُكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَخُكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»^(١).

- ٤٨ -

أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه^(٢)، من طريق الحسين بن حميد بن موسى العكّي، قال: حدّثنا حمّاد بن المبارك البغدادي [قال: حدّثنا عبدالله ابن ميمون البغدادي]^(٣) قال: حدّثنا إسماعيل بن أميّة عن ابن جريج، عن عطاء، عن جابر، قال: «ما صعد النبي ﷺ المنبر قطّ إلّا قال: عثمان في الجنة».

قال الذهبي في الميزان: «خبر غير صحيح»^(٤).

قال الأميني: ألا تعجب من الخطيب يذكر مثل هذه السفسطة بهذا الإسناد الوعر ولم ينسب ببنت شفة؟! ولم يُعرب عن حال رجاله؟! عاداته في فضائل كلّ من أعماء حبه وأصمّه. وأنت تجد نقضه وإبرامه، وجرحه وتعديله، وتصويبه وتصعيده في مناقب آل الله صلوات الله عليهم.

أيخفى على مثل الخطيب قول مسلمة بن قاسم في الحسين العكّي: «إنّه مجهول»؟! أم لا يهّمه وجود حمّاد بن المبارك في الإسناد وهو المجهول الذي لا يُعرف^(٥)؟! أم عزب عنه قول البخاري^(٦) في عبدالله بن ميمون: «إنّه ذاهب الحديث». وقول النسائي^(٧): «إنّه ضعيف».

أم لا يروق الخطيب الجرح في إسماعيل بن أميّة العبشمي الأمويّ وهو ابن عمّ عثمان، وقد جاء بالرواية مختلفة في ابن عمّه الخليفة؟!.

١- المائدة: ٤٢.

٢- تاريخ بغداد ٨: ١٥٧.

٣- [من المصدر].

٤- ميزان الاعتدال ١: ٢٨١ [١/٥٩٩، رقم ٢٢٦٨].

٥- ميزان الاعتدال ١: ٢٨١ [١/٥٣٣، رقم ١٩٩٤]؛ لسان الميزان ٢: ٣٥٣ [٢/٤٢٩، رقم ٢٩٥٠].

٦- التاريخ الكبير [٥/٢٠٦، رقم ٦٥٣].

٧- كتاب الضعفاء والمتروكين [ص ١٥٠، رقم ٣٥٣].

نعم، هذه كلّها بين يدي الخطيب، غير أنّ الغلوّ في الفضائل أبكمه فيكم^(١).
ولو كان لهذا الخيال مقيل من الصّحّة لاستدعى أن يكون ما اختلق فيه من كون
عثمان في الجنّة أهمّ ما صدع به رسول الله ﷺ من المعارف والأحكام والحكم؛ فإنّا لم نجد
ولا وجد واجد شيئاً منها يهتم به ﷺ له هذا الاهتمام ويصدع به على كلّ منبر صعد، نعم
كان يكرّر بعض ما يصدع به في عدّة مقامات للكشف عن أهمّيّته غير أنّها ممّا تعدّه
الأنامل، حتّى إنّ الصلاة التي هي عماد الدين لم يكرّرها هذا التكرار المملّ.
وليت شعري هل كون عثمان في الجنّة من أصول الدين وأسس الإسلام التي لا تتمّ الشريعة
إلاّ بها، فطفق ﷺ يبالغ في تبليغه هذه المبالغة في كلّ حين؟! فهل هو حكم شرعي؟! أو حكمة
بالغة؟! أو ملكة فاضلة؟! أو ناموس إلهيّ يستحقّ هذا التأكيد والإصرار؟!
ثمّ لو كان عثمان من المؤمنين لكفاه تبشير الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة
الجمّة لهم بالجنّة، فما الحاجة إلى هذا التهالك في تخصيصه بالذكر تهالكاً لم يشاهد له نظيرٌ
في شيء ممّا بلغه ﷺ عن ربّه؟!
على أنّه لو كان ﷺ مرتكباً ذلك لوجب أن يسمعه منه جميع الصحابة حتّى من
حظي بالإصاخة إلى قبيله ولو مرّة واحدة طليعة حياته، ووجب أن يتواتر الحديث
منه ﷺ فلا يختصّ بعزوه المختلق جابر، ولم يك يسنده عنه أناس دجالون. وإنّ من أهمّ
تلکم المنابر منبر يوم الغدير وقد حضره مئة ألف أو يزيدون، فهل سمع أحد من أحدهم
من الأعالى والساقّة يحدث أنّه ﷺ هتف عليه بأنّ عثمان في الجنّة؟! وهذه خطب النبيّ
الأعظم هل تجد في شيء منها عمّا تقوّلوه حسيساً أو تسمع منه ركزاً؟! وهل هؤلاء
الصحابة البالغون مئات الألوف الذين سمعوا هذا المقال ووعوه تركوه وراء ظهورهم
يوم الدار؟! يوم قالوا له: والله أحلّ الله دمك^(٢)، يوم كتبوا إليه يدعونه إلى التوبة

وحاجّوه وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه^(١)، يوم سلّم عليهم فما سمع أحداً من الناس يردّ عليه، وكان فيهم من عمّد الصحابة من فيهم^(٢)، يوم رفعت أمتهم عقيرتها وهي تقول: اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر، إلى أيام قصصنا عليك حوادثها.

أو أنّهم كلّهم نسوه فنالوا من الرجل ما نالوا؟! وهل حصل لهم مُذكّر من عند أنفسهم فلم يوافقوه على السماع؟ أو لم يعيروا له أذناً مُصغية؟ هذا وهم عدولٌ.

وإنّ ممّن سمع بطبع الحال هاتيك الكلمة نفسُ عثمان؛ فلماذا كان يخاف من القفول إلى مكّة حذار أن يكون هو الذي سمع فيه عن رسول الله ﷺ ما ورد^(٣) من: أنّه يُلحد بمكّة رجل عليه عذاب نصف أهل الأرض؟

- ٤٩ -

أخرج ابن عدي^(٤) من طريق عمّار بن هارون أبي ياسر المستملي^(٥) عن إسحاق ابن إبراهيم المستملي عن أبي وائل عن حذيفة: «أن رسول الله ﷺ بعث إلى عثمان يستعينه في غزاة غزاها، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يديه فجعل يقلّبها بين يديه ويدعو له: غفر الله لك يا عثمان! ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها».

ذكره ابن كثير في تاريخه^(٦) ساكناً عمّا في إسناده من العلل عاداته في فضائل من

١ - [راجع تلخيص الغدير/ ٩١٤].

٢ - راجع أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٧٦ [١٩٥/٦]؛ تاريخ الخميس ٢: ٢٦٠.

٣ - أنظر مسند أحمد ١: ٦٧ [١٠٧/١، ح ٤٨٣]. ٤ - الكامل في ضعفاء الرجال [٣٤٠/١]، رقم ١٦٩.

٥ - في تاريخ ابن كثير [٢٣٨/٧]، حوادث سنة ٣٥هـ: «عمار بن ياسر المستملي»، والصحيح ما ذكرناه.

٦ - البداية والنهاية ٧: ٢١٢ [٢٣٨/٧]، حوادث سنة ٣٥هـ.

غمرة حبه. وأورده ابن حجر في فتح الباري^(١) فقال: «سند ضعيف جداً». وقال^(٢):
«سنده واه».

قال الأمين: لو لم يكن في إسناده هذه الأذوبة المرسلة إلا محمد بن القاسم الذي كان عثمانياً كما قاله العجلي^(٣) لكفاه وهذا؛ أخفى على ابن كثير المحتج بها قول النسائي^(٤) في محمد بن القاسم: «إنه ليس بثقة كذبه أحمد»؟! أم قول الترمذي: «تكلم فيه أحمد وضعفه»؟! أم قول أبي حاتم^(٥): «ليس بقوي لا يعجبني حديثه»؟! أم قول أبي داود: «إنه غير ثقة ولا مأمون، أحاديثه موضوعة»؟!

وهذا كافٍ في وهن السند وبطلانه، وإن غضضنا الطرف عن بقية ما فيه من الشاميين أعداء الحق وأضداد العترة الطاهرة صلوات الله عليهم، وما فيه من الإرسال الموهن للرواية.

ودع عنك ما في متنه مما يضاد الأصول المسلمة من الترخيص في المعصية مما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فهو يوجب التجري على المعاصي فيما يستقبل الرجل من الأيام. وأي إنسان غير معصوم يقال له: إن كل ما سوف ترتكبه من المآثم مغفور لك، فلا تحدوه شهواته إلى توهين اقترافها، واستسهال ركوبها؟! والشهوة غريزة في الإنسان تقوده إلى مهاوي الهلكة كل حين، والمعصوم من عصمه الله تعالى.
نعم، حقاً يقال: إن سيرة عثمان تُصدّق هذه الرواية؛ فإنها لا تشبه إلا سيرة من رُخص بالمآثم، وأُذن في اقتحام الطامات والموبقات، وبشّر بغفران هناته وعثراته، فكان غير مكترث لمغبة فعالة، ولا مبالٍ بمعرة مقالة.

٢- المصدر السابق ٧: ٤٣ [٥٤/٧].

١- فتح الباري ٥: ٣١٥ [٤٠٨/٥].

٤- كتاب الضعفاء والمترولين [ص ٢٢١، رقم ٥٧٢].

٣- تاريخ الثقات [ص ٤١١، رقم ١٤٩١].

٥- الجرح والتعديل [ص ٦٥/٨، رقم ٢٩٥].

وهب أن الحسنات يذهبن السيئات من غير حقوق الناس والكبائر المخرجة عن الدين التي سلفت من الإنسان، ولكن أي عمل بار في الشريعة - ولا أقول من أعمال عثمان فحسب - يُبيح للمكلف السيئات فيما يأتي من عمره إلى يوم القيامة ويبشّره بالمغفرة فيها جمعاء؟! وليس في ميزان الأعمال ما هو أرجح من الإيمان ومع ذلك فهو غير ممتاز عما سواه بمغفرة ما يأتي به صاحبه في المستقبل، وإنما يحب ما قبله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾^(١)، وإلا لبطلت المواعيد والعقوبات المتوجهة خطابها إلى المؤمنين أجمع.

وإنّا لم نجد في أعمال عثمان عملاً بارّاً يستدعي هذه المغالاة الخارجة عن أصول الإسلام؛ غير ما أنفقه على جيش العسرة إن صحّ من ذلك شيء، وما خسره على بئر رومة. وجيش العسرة أنفق عليه غيره ما هو أكثر ممّا أنفقه هو^(٢)، وما أكثر من حفر الآبار وكري الأنهار وسبل مياهها للمسلمين؛ فلو كان عمل عثمان هذا يستدعي المغفرة إلى يوم القيامة لوجب أن يُغفر لأولئك الأقوام والأمم ذنوبهم إلى ما بعد القيامة بفئام وفئام، لكن المحظوظ ساعدت عثمان ولم تساعدهم. فتبصّر واعجب!

وهل علمت الصحابة بهذا الغفران ثمّ نعموا عليه ما كان ينجم منه من هنات بعد هنات فلم يغفروها له مخالفين لله ولرسوله ﷺ وهم عدول؟! أو أنّهم سمعوا هذه الأفيكة ثمّ أودعوها في محفظة الأباطيل؟!

غير أنّ ظنّي بها أنّ ميلادها بعد واقعة الدار وأنها كانت في أصلاب الوضّاعين عند المحصارين، وفي حشّ كوكب، وفي مقبرة اليهود، ولم تلدها بعد أمّها العاقر، حتّى فُسِح المجال لاستيلادها على أيدي قوالب عهد معاوية فما بعد.

١- محمّد: ٢.

٢- فمن أولئك الجهّزين العباس بن عبد المطلب فإنّه حمل مالا يقال إنّه تسعون ألفاً؛ أنظر إمتاع المقرئ: ٤٤٦.

- ٥٠ -

أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء^(١)، من طريق إبراهيم بن سعدان، عن بكر بن بكار البصري، عن عيسى بن المسيب، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: «اشترى عثمان بن عفان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين ببيع الخلق: حين حفر بئر رومة، وحين جهّز جيش العسرة».

رجال الإسناد:

١- بكر بن بكار أبو عمرو البصري؛ قال ابن أبي حاتم^(٢): «ضعيف الحديث، سيئ الحفظ، له تخليط». وقال ابن معين^(٣): «ليس بشيء».

٢- عيسى بن المسيب؛ قال يحيى والنسائي والدارقطني^(٤): «ضعيف»^(٥).

والباحث جدّ عليم بأن الصحابة لم تكن على يقين من هذا البيع المزعوم وإلا لما تجمّهروا على مقت الرجل وخذلانه، ولم يكن عثمان نفسه على ثقة بذلك أيضاً وإلا لما كان حذيراً من أن يكون هو الملحد بمكة الذي عليه نصف عذاب أهل الأرض.

- ٥١ -

أخرج الخطيب في تاريخه^(٦)، من طريق أحمد بن محمد بن المغلس الحماي، عن أبي سهل الفضل بن أبي طالب، عن عبد الكريم بن روح البزاز، عن أبيه روح ابن عنبسة ابن سعيد بن أبي عياش الأموي مولا هم البصري عن أبيه عنبسة^(٧)، عن جدّته - لأبيه

١- حلية الأولياء ١: ٥٨. ٢- الجرح والتعديل [٣/٧٠، رقم ٣١٨].

٣- التاريخ [٤/٢٠٩، رقم ٣٩٩٧].

٤- التاريخ [٣/٣٤٢، رقم ١٦٥٧]؛ كتاب الضعفاء والمتروكين [ص ١٧٦، رقم ٤٤٥]؛ الضعفاء والمتروكون

٥- لسان الميزان ٤: ٤٠٥ [٤/٤٦٨، رقم ٦٤٤٥]. [ص ٣١٧، رقم ٤١٧].

٦- تاريخ بغداد ١٢: ٣٦٤.

٧- في النسخة: «عن أبيه عن عنبسة»، والصحيح ما ذكرناه.

— أم عياش وكانت أمة لرقية بنت رسول الله ﷺ قالت: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ما زوجتُ عثمانَ أمَّ كلثوم إلا بوحي من السماء».

قال الأميني: لا تعجب من إخراج الخطيب هذا الحديث المرمع وسكوته عن علله؛ فإنه أسير صابته إلى هوى آل أمية. وقد أعمته عن آراء رجال الجرح والتعديل في أحمد بن محمد، وأنسته ما ذكره هو في ترجمة الرجل؛ قال ابن عدي^(١): «ما رأيت في الكذابين أقلَّ حياء منه». وقال ابن قانع: «ليس بثقة».

وقال الدارقطني^(٢): «مناقب أبي حنيفة موضوعة كلّها وضعها أحمد بن المغلس الحماني قرأته غير مرّة».

وفي الإسناد: عبد الكريم بن روح أبو سعيد البصري؛ قال أبو حاتم^(٣): «مجهول». وقال ابن حبان^(٤): «يخطئ ويخالف».

نعم، أنا لا أشكّ في أن كلّ ما فعله النبي ﷺ أو لهج به إنما هو عن وحي منزل من السماء فإنه لا ينطق على الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ غير أن المصلحة في الإيحاء تخلف باختلاف الموارد، فليس كلّ صلة منه ﷺ أو برّ تدلّ على فضيلة في الموصول أم المبرور؛ فإنها قد تكون لإتمام الحجة عليه، كما أنّها في المقام لإيقاف الملاء الديني على أن العداء المحتدم في صدور العبسميين على بني هاشم لا يزيحه أيّ عطف وصلة؛ فإنه لا برّ أوصل من المصاهرة ولا سيّما ببضعة النبوة.

لكن هل قدر ذلك زوج أمّ كلثوم؟! أو أنّه اقترف ليلة وفاتها^(٥) ولم يكثرث للانقطاع عن شرف النبوة؟! حتّى أهانه رسول العظمة بملاً من الأشهاد، وحرّم عليه الدخول في قبرها وهو في الظاهر أولى الناس بها بعد أبيها!

١- الكامل في ضعفاء الرجال [١/١٩٩، رقم ٤٤]. ٢- الضعفاء والمتروكون [ص ١٢٣، رقم ٥٩].

٣- الجرح والتعديل [٦/٦١، رقم ٣٢٥]. ٤- الثقات [٨/٤٢٣].

٥- راجع صحيح البخاري [١/٤٣٢، ح ١٢٢٥، ص ٤٥٠، ح ١٢٧٧].

ولعلّ كلّ صهر أو مواصلة وقع بين بني هاشم والأمويين كان من هذا الباب؛ حاول الهاشميون وفي مقدّمهم مشرّفهم ﷺ تخفيض نائرة الإحن وتصفية القلوب من الضغائن. لكن هل حصلوا على الغاية المتوخاة؟! أو انكفأوا على حدّ قول القائل:

لقد نفختُ في جذى مشبوبةٍ وقد ضربتُ في حديد باردٍ

ولولا هذه المصاهرة وأمثالها لطالت الألسنة على الهاشميين لسبق المهاجرة والقطيعة بين الفريقين، وحملوا كلّ ما وقع بينهما على تلکم السوابق، لكنّ الفئة الصالحة رُوّاد الإصلاح درأوا عن أنفسهم هاتيك الشبه بضرائب هذه المواصلات، وعرّفوا الناس أنّ العقارب لُسب من ذاتها، فلا يُجدي معها أيّ لين وزلفة.

ولعلّك ها هنا تجد الميزة بين الصهرين: مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصاحب سيّدتنا أمّ كلثوم، وتعلم سيرة الإمام مع الصديقة الطاهرة حتّى قضت نحبها وهي عنه راضية، كما أنّه فارقها وهو عنها راضٍ، وغادر رسول الله ﷺ الدنيا وهو راضٍ عنهما.

وانظر إلى آخر يوميهما؛ هذا يقترب ليلة وفاة أمّ كلثوم ما لا يرضي الله ورسوله ولا يهّمه فراقها ولا يشغله الهمّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبي ﷺ عن المقارفة.

وذلك يندب الصديقة الطاهرة ويطيل بكاءه عليها وهو يقول: «السلام عليك يا رسول الله! عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك. قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورقّ عنها تجلّدي، إلّا أنّ لي في التأسّي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، فقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، أمّا حزني فسَرَمَدٌ، وأمّا ليلي فَمُسَهَّدٌ، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وسُتَبُّكَ ابنتك بتضاfer أمتك على هضمها، فأخفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخلُ منك الذكر، والسلام عليكما، سلام مُودّع لا قال ولا سَمٍ، فإن أنصرف فلا عن

ملازمة^(١)، وإن أقيم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين». ثم تمثّل عند قبرها فقال:
 لكلّ اجتماع من خليلين فرقة^(٢) وكلّ الذي دون الممات قليل
 وإن افتقادي واحداً بعد واحد^(٣) دليل على أن لا يدوم خليل^(٤)

معاوية:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:

سألت أبي عن عليّ ومعاوية؛ فقال: أعلم أنّ عليّاً كان كثير الأعداء، ففتش له
 أعداؤه عيباً فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم
 لعليّ^(٤).

وقال الحاكم:

سمعتُ أبا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف يقول: سمعتُ أبي يقول:
 سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: لا يصحّ في فضل معاوية
 حديث^(٥).

ولمّا لم يجد البخاري حديثاً يصحّ من مناقب معاوية فقال عند عدّ مناقب الصحابة
 من صحيحه: باب ذكر معاوية عليه السلام^(٦)؛ فقال ابن حجر في فتح الباري^(٧):

أشار بهذا إلى ما اختلفوه لمعاوية من الفضائل ممّا لا أصل له. وقد ورد في
 فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصحّ من طريق الإسناد،
 وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما.

١ - [كذا في المصدر، وفي نهج البلاغة/ ٣٢٠، خطبة ٢٠٢: «ملالة»؛ وهو الأنسب بالسياق].

٢ - وفي لفظ: «وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد».

٣ - راجع أعلام النساء ٣: ١٢٢٢ [١٣١/٤].

٤ - تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٣٣ [ص ١٨٦]؛ فتح الباري ٧: ٨٣ [١٠٤/٧]؛ الصواعق: ٧٦ [ص ١٢٧].

٥ - اللآلئ المصنوعة ١: ٢٢٠ [٤٢٤/١]؛ فتح الباري ٧: ٨٣ [١٠٤/٧].

٦ - صحيح البخاري [١٣٧٣/٣، باب ٢٨].

٧ - فتح الباري ٧: ٨٣ [١٠٤/٧].

وأما مسلم وابن ماجه فلما لم يريا حديثاً يُعبأ به في فضائل معاوية ضربا عن اسمه في الصحيح والسنن صفحاً عند عدِّ مناقب الصحابة. والترمذي^(١) لم يذكر له إلا حديث: «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهدي به»^(٢)؛ فقال: «حسنٌ غريب». وذكر حديث: «اللهم اهد به»، وزيفه هو بنفسه لمكان عمرو بن واقد الدمشقي، وعمرو أحد الكذابين^(٣)؛ فالصحيح والسنن خالية عما لفقتهما رواة السوء في فضل الرجل.

ودخل المحافظ النسائي صاحب السنن إلى دمشق فسأله أهلها أن يُحدثهم بشيء من فضائل معاوية فقال: «أما يكفي معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل؟!»: فقاموا إليه فجعلوا يطعنون في خصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع؛ فقال: «أخرجوني إلى مكة»: فأخرجوه وهو عليلٌ فتوفي بمكة مقتولاً شهيداً^(٤).

وقال ابن تيمية في منهاجه^(٥):

طائفة وضعوا معاوية فضائل ورووا أحاديث عن النبي ﷺ في ذلك كلها كذب.

وقال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه سفر السعادة والعجلوني في كشف الخفاء^(٦):

باب فضائل معاوية ليس فيه حديثٌ صحيح.

وقال العيني في عمدة القاري^(٧):

فإن قلت: قد ورد في فضله يعني معاوية أحاديث كثيرة. قلت: نعم، ولكن

ليس فيها حديث صحيح يصحُّ من طرق الإسناد. نصَّ عليه إسحاق بن راهويه

١- سنن الترمذي [٣٨٤٣، ٣٨٤٢ ح، ٦٤٥/٥].

٢- [الوقوف على بطلانه أنظر تلخيص الغدير/ ١١٦٨-١١٧١].

٣- أنظر ميزان الاعتدال ٢: ٣٠٢ [٢٩١/٣، ٦٤٦٥].

٤- تاريخ ابن كثير ١١: ١٢٤ [١١/١٤٠، حوادث سنة ٣٠٣هـ].

٥- كشف الخفاء: ٤٢٠ [٤٢٠/٢].

٥- منهاج السنة ٢: ٢٠٧.

٧- عمدة القاري [٢٤٩/١٦، رقم ٢٥٤].

والنسائي وغيرهما؛ فلذلك قال - يعني البخاري - : باب ذكر معاوية، ولم يقل : فضيلة ولا منقبة .

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة^(١) :

اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضل معاوية حديث .

نعم، إنَّ الغلوَّ في حبِّ الرجل خلق له فضائل مفتراة تبعد جداً عن ساحة النبيِّ الأقدس ﷺ أن ييوح بشيء منها، وإنما يد الافتعال نسجت له على نول ما نسجته لبقية الخلفاء مناقب تندى منها جبهة الإنسانية . وألف محمد بن عبد الواحد أبو عمر غلام ثعلب جزءاً في فضائل هذا الإنسان المحشور رداؤه بالردائل .

قال ابن حجر في لسان الميزان^(٢) :

إسحاق بن محمد السوسي ذاك الجاهل الذي أتى بالموضوعات السمجة في

فضائل معاوية رواها عبيد الله السقطي عنه فهو المتهم بها أو شيخه .

فنحن نجمع هاهنا شتات جملة من تلكم الأكاذيب التي خلقتها أو اختلقتها يد الوضع الأئيمة في مناقب الرجل ممّا مرّ الإيعاز إليه، وما لم نذكره بعدد، ونجعلها بين يدي القارئ النابه الحرّ، وله القضاء بالحقّ، والله المستعان؛ ألا وهي :

- ٥٢ -

عن جابر : «إنَّ رسول الله ﷺ استشار جبريل في استكتاب معاوية فقال : استكتبه فإنّه أمين»^(٣) .

- ٥٣ -

عن أنس مرفوعاً : «الأمناء سبعة : اللوح والقلم وإسرافيل وميكائيل وجبريل

١ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية : [ص ٤٢٣، ح ١٦٢] .

٢ - لسان الميزان ١ : ٣٧٤ [١/٤١٦، رقم ١١٦٥] .

٣ - أخرجه ابن عساكر في تاريخه [مختصر تاريخ دمشق ٤٠٣/٢٤] وزيفه ابن كثير في البداية والنهاية ٥ : ٣٥٤ [٢٧٦/٥، حوادث سنة ١١ هـ] .

ومحمد ومعاوية»^(١).

- ٥٤ -

عن واثلة مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ ائْتَمَنَ عَلَى وَحْيِهِ جَبْرِيلَ وَأَنَا وَمَعَاوِيَةُ، وَكَادَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَاوِيَةَ نَبِيًّا مِنْ كَثْرَةِ عِلْمِهِ وَائْتِمَانِهِ عَلَى كَلَامِ رَبِّي، يَغْفِرُ اللَّهُ لِمَعَاوِيَةَ ذُنُوبَهُ، وَوَقَاهُ حِسَابَهُ، وَعَلَّمَهُ كِتَابَهُ، وَجَعَلَهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا وَهَدَى بِهِ»^(٢).

- ٥٥ -

عن سعد: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمَعَاوِيَةَ: «إِنَّهُ يُحْشَرُ وَعَلَيْهِ حَلَّةٌ مِنْ نُورٍ ظَاهِرُهَا مِنَ الرَّحْمَةِ، وَبَاطِنُهَا مِنَ الرِّضَا، يَفْتَخِرُ بِهَا فِي الْجَمْعِ لِكِتَابَةِ الْوَحْيِ»^(٣).

- ٥٦ -

عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: «الآن يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنة، فطلع معاوية فقال: أَنْتَ يَا مَعَاوِيَةَ مَنِّي وَأَنَا مِنْكَ، لَتَزَاحِمَنِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ وَأُشَارُ بِإِصْبَعِيهِ»^(٤).

- ٥٧ -

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ^(٥) عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَبَارَكِ الصُّورِيِّ عَنْ صَدْقَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ عَنْ وَحْشِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كَانَ مَعَاوِيَةُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مَعَاوِيَةُ! مَا يَلْنِي مِنْكَ؟! قَالَ: بَطْنِي. قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ امْلَأْهُ عِلْمًا وَحِلْمًا».

قال الأُمِينِي: لو كان لهذه الرواية اعتبارٌ ولو قليلاً عند البخاري لأخرجه في صحيحه، ولم يجعل باب ذكر معاوية خالياً من كل فضيلة ومنقبة، وهو يعلم أنَّ معاوية

١ - ذكره ابن كثير في تاريخه ٨: ١٢٠ [١٢٨/٨] فقال: «لا يصح من جميع وجوهه».

٢ - راجع ما مرَّ في ص ٦٢ - ٦٥.

٣ - ذكره الذهبي من أباطيل محمد بن الحسن الكذاب الدجال، [ميزان الاعتدال ٣: ٥١٦، رقم ٧٣٩٠].

٤ - ميزان الاعتدال ٢: ١٣٣ [٦٢٣/٢]، رقم ٥٠٨٥.

٥ - التاريخ الكبير للبخاري: ٤، قسم ٢، ص ١٨٠. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٣: ٢٦٨ [٣٣١/٤]، رقم ٩٣٣٩.

بكله فارغ عن العلم والحلم فكيف يصدّقها من يعرف الرجل بالجهل والغضب المرددين؟! ولو كان رسول الله ﷺ دعا على رجل بأن يخلو بطنه من العلم والحلم فهل كان هو غير بطن معاوية؟! أيّ عمل الرجل في ورده وصدره ينبئ عن الخلتين؟! وأي فرق فيهما بين جاهليته الممقوتة وبين إسلامه المظلم؟!

فإذا سألت عبادة بن الصامت - الصحابي العظيم - عن علمه فعلى الخير سقطت يقول لك: «إنّ أمّه هند أعلم منه^(١)».

وإذا سألت شريكاً عن حلمه فسمع منه قوله: «ليس بحليم من سفه الحقّ وقاتل عليّاً^(٢)». وتقول أمّ المؤمنين عائشة: «أين كان حلمه حين قتل حُجراً وأصحابه؟! ويلّ له من حُجر وأصحابه».

وقال شريك حين ذكر معاوية عنده بالحلم: «هل كان معاوية إلّا معدن السفه؟! والله لقد أتاه قتل أمير المؤمنين وكان متكئاً فاستوى جالساً ثمّ قال: يا جارية غنّيني فاليوم قرّرت عيني». فأنشأت تقول:

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ	فلا قرّرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وأفضلهم ومن ركب السفينا

فرفع معاوية عموداً كان بين يديه فضرب راسها ونثر دماغها. أين كان حلمه ذلك اليوم^(٣)؟

١ - تاريخ ابن عساكر ٧: ٢١٠ [١٩٥/٢٦]، رقم ٣٠٧١؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/٣٠٦.

٢ - تاريخ ابن كثير ٨: ١٣٠ [١٣٩/٨]، حوادث سنة ٦٠ هـ.

٣ - هذه القضية ذكرها الراغب في محاضراته المخطوطة الموجودة، وهكذا نقلت عنها في تشييد المطاعن في ٢: ٤٠٩، غير أن يد الطبع الأمانة حرّفتها من الكتاب مع أحاديث ترجع إلى معاوية. راجع ٢: ٢١٤ من المحاضرات وقابلها بالمخطوطة منها.

والذي جاء في بطن معاوية من الحديث المتسالم عليه إنما هو أنه ﷺ دعا عليه وقال: «لا أشبع الله بطنه». وأما غيره فحديث إفاك لا يؤبه به.

- ٥٨ -

عن خارجة بن زيد عن أبيه مرفوعاً: «يا أمّ حبيبة! لله أشدّ حباً لمعاوية منك كأني أراه على رفارف الجنة»^(١). قال الذهبي:
خبرٌ باطل اتهم بوضعه محمد بن رجاء.

- ٥٩ -

أخرج العقيلي^(٢) من طريق بشر بن بشار السمسار، عن عبدالله بن بكّار المقرئ من ولد أبي موسى الأشعري، عن أبيه عن جدّه، عن أبي موسى ﷺ، قال: «دخل النبي ﷺ على أمّ حبيبة ورأس معاوية في حجرها فقال لها: أتحيينه؟ قالت: ومالي لا أحبّ أخي؟ قال: فإنّ الله ورسوله يحبّانه».
قال العقيلي: «عبدالله بن بكّار مجهول النسب وروايته غير محفوظة». وقال الذهبي في الميزان: «غير صحيح»^(٣).

- ٦٠ -

أخرج أحمد^(٤) ومسلم والحاكم وغيرهم من طريق ابن عباس، قال: كنتُ ألعبُ مع الغلمان فإذا رسول الله ﷺ قد جاء فقلتُ: ما جاء إلّا إليّ، فاخبتأت على باب فجاءني فخطاني خطاة أو خطاتين^(٥) ثمّ قال: «اذهب فادعُ لي معاوية». قال: فذهبتُ فدعوته له فقيل: إنّهُ يأكل. فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: إنّهُ يأكل؛ فقال: «اذهب

١ - ميزان الاعتدال ٣: ٥٦ [٥٤٥/٣، رقم ٧٥١٧]. ٢ - الضعفاء الكبير [٢٣٧/٢، رقم ٧٨٩].

٣ - ميزان الاعتدال ٢: ٢٦ [٣٩٨/٢، رقم ٤٢٢٩]؛ لسان الميزان ٣: ٢٦٣ [٣٢٨/٣، رقم ٤٥٠٢].

٤ - مسند أحمد [٥٥١/١، رقم ٣٠٩٤].

٥ - [في صحيح مسلم ومسند أحمد: «فخطاني خطاة»؛ والخطأ هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين].

فادعه». فأتيته الثانية فقل: إنه يأكل فأخبرته. فقال في الثالثة: «لا أشبع الله بطنه». قال: فما شبع بعدها^{(١)(٢)}.

- ٦١ -

عن أنس مرفوعاً: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، ومعاوية حلقتها». زيفه صاحب المقاصد، وابن حجر في الفتاوى الحديثية، والعجلوني في كشف الحفاء^(٣).

وأكبر ظني أنّ مختلف هذه المخرافات لا يبتغي إلا الاستهزاء بما جاء عن النبي الأعظم من الفضائل في رجال لهم الكفاءة لها وحيّاً من الله العزيز. ولا يذهب على أيّ جاهل أن ابن هند لا يُقدّس ساحة رجاسته ألف تمحل، واختلاق ألف حديث مثل هذه، وهو بعد معاوية، وهو بعد ابن هند، وهو بعد هو هو.

توجد جملة ضافية من الآراء والأقوال الساقطة والأحلام الخيالية التافهة في الثناء على ابن هند في تاريخ ابن كثير^(٤)، وتطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوّه بثلث معاوية بن أبي سفيان لابن حجر الهيتمي^(٥)، وغيرهما.

﴿قَوْلُ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَنِلُ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٦)

١ - صحيح مسلم ٨: ٢٧ [٥/١٧٢، ح ٩٦ - ٩٧، كتاب البرّ والصلة والآداب]؛ تاريخ ابن كثير ٨: ١١٩ [٨/١٢٧].

٢ - أنظر ما مرّ في ص ٩٥ - ١٠٢ من كتابنا هذا.

٣ - المقاصد الحسنة [ص ١٢٤، ح ١٨٩]؛ الفتاوى الحديثية: ١٩٧ [ص ٢٦٩]؛ كشف الحفاء ١: ٢٠٤.

٤ - البداية والنهاية ٨: ١٣٩ و ١٤٠ [٨/١٤٣ - ١٥٠، حوادث سنة ٦٠ هـ].

٥ - طبع في هامش الصواعق الموقدة لد [ص ٩ - ٢٨].

٦ - البقرة: ٧٩.

موضوعات أخرى على النبي ﷺ

- ٦٢ -

النبي يفتخر بأبي حنيفة!

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن سائر الأنبياء تفتخر بي، وأنا افتخر بأبي حنيفة، وهو رجل تقيّ عند ربّي، وكأنّه جبل من العلم، وكأنّه نبيّ من أنبياء بني إسرائيل؛ فمن أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني».

وعنه ﷺ: «إنّ آدم افتخر بي، وأنا أفتخر برجل من أمّتي اسمه نعيّمان، وكنيته أبو حنيفة، هو سراج أمّتي».

أسلفنا^(١) الروايتين مع جملة ممّا اختلقته يد الغلوّ في الفضائل لأبي حنيفة وذكرنا هنالك أنّ أمة من الحنيفة بلغت مغالاتها فيه حدّاً ذهب إلى أعلميته من رسول الله ﷺ في القضاء.

وذكر الحريفيش في الروض الفائق^(٢):

إنّ من ورع أبي حنيفة رضي الله عنه أنّ شاة سرق في عهده فلم يأكل لحم شاة مدّة تعيش الشاة فيها.

والنبيّ مفخرة العالمين جميعاً رضي الله عنه وفي أمّته من باهى به الله كمولانا أمير المؤمنين رضي الله عنه ليلة مبينه على فراش رسول الله ﷺ!

أم لكون الرجل أعلم من رسول الله ﷺ بالقضاء؟! أنا لا أدري من أين جاء أبو حنيفة بهذا العلم والفقه؟! أهو فقه إسلاميّ والنبي ﷺ مستقاه ومنبثق أنواره؟! أم هو ممّا اتّخذه من غير المسلمين من رجال كابل أو بابل أو ترمذ^(٣)؟! فأحرّ به أن

٢- الروض الفائق: ٢١٥.

١- أنظر ما أسلفناه في ص ٤٦٣.

٣- يعاّر إلى محدّد أبي حنيفة؛ قال الحافظ أبو نعيم الفضل بن دكين وغيره: أصله من كابل. وقال أبو عبد الرحمن المقرئ: إنّه من أهل بابل. وقال الحارث بن إدريس: أصله من ترمذ.

يُضرب عرض الجدار. وأيُّ حاجة للمسلمين إلى فقه غيرهم وقد أنعم الله عليهم بقضاء الإسلام وفقهه وفيها القول الحاسم وفصل الخطاب.

أم لورع الرجل الموصول بفقهه الناجع في قصّة الشاة المسروقة الذي لا يصادفه عليه فيه أيُّ فقيه متورّع، وقد أباح الإسلام أكل لحم الشياه في جميع الأحيان، وفي كلّها أفرادٌ منها مسروقةٌ في الحواضر الإسلامية وأوساطها، لكن هذا الفقيه لا يعرف عدم تنجّز الحكم في الشبهات إذا كانت غير محصورة خارجاً أكثر أطرافها من محلّ الابتلاء. ولعلّه كان يعلم ذلك لكن عمله هذا من حيّله التي هو أخبر بها عن نفسه؛ قال أبو عاصم النبيل: «رأيت أبا حنيفة في المسجد الحرام يفتي، وقد اجتمع الناس عليه وآذوه. فقال: ما هاهنا أحدٌ يأتينا بشرطيّ؟ فقلتُ: يا أبا حنيفة تريد شرطياً؟ قال: نعم. فقلتُ: اقرأ عليّ هذه الأحاديث التي معي؛ فقرأها فقمْتُ عنه ووقفتُ بحذاءه. فقال لي: أين الشرطيّ؟ فقلتُ له: إنّما قلتُ: تريد. لم أقل لك: أجيء به. فقال: أنظروا أنا أحتال للناس منذ كذا وكذا وقد احتال عليّ هذا الصبيُّ»^(١).

ولعلّ رأيه في الشاة ممّا يوقف القارئ على سرّ عدم دخول آرائه مدينة الرسول ﷺ؛ قال محمّد بن مسلمة المدني وقيل له: إنّ رأي أبي حنيفة دخل هذه الأمصار كلّها ولم يدخل المدينة. قال: لأنّ رسول الله ﷺ قال: على كلّ ثقب من أثقابها ملكٌ يمنع الدّجال من دخولها، وكلام هذا من كلام الدّجالين؛ فمن ثمّ لم يدخلها^(٢).

وفي فقه أبي حنيفة شدوؤٌ تقصر عنها قصّة الشاة، قد خالف فيها السنّة الثابتة حتّى قال وكيع بن الجراح^(٣): «وجدتُ أبا حنيفة خالف مائتي حديث عن رسول الله ﷺ»^(٤).

١- أخبار الظراف لابن الجوزي: ١٠٣ [ص ١٥٧]. ٢- أخبار الظراف لابن الجوزي: ٣٥ [ص ٤٥-٤٦].

٣- أبو سفيان الكوفي الحافظ كان ثقة حافظاً متقناً مأموناً عالياً رفيع القدر كثير الحديث وكان يفتي، توفي سنة مئة وست وتسعين [تهذيب التهذيب ١١/١١٤].

٤- الانتقاء لابن عبد البر - صاحب الاستيعاب -: ١٥٠.

غير أنَّ عبدالله بن داود الحريبي المغالي في حبِّ إمامه يقول: «ينبغي للناس أن يدعوا في صلاتهم لأبي حنيفة لحفظه الفقه والسنن عليهم^(١)».

وقال صاحب مفتاح السعادة^(٢):

سمعت من أثق به يروي عن بعض الكتب أنَّ ثابتاً - والد أبي حنيفة - توفي وتزوج أمَّ الإمام أبي حنيفة رحمه الله الإمام جعفر الصادق ، وكان أبو حنيفة رحمه الله صغيراً ، وتربَّى في حجر جعفر الصادق ، وأخذ علومه منه ، وهذه إن ثبتت فمنقبة عظيمة لأبي حنيفة .

عقَّبه الحسن النعماني في تعليق المفتاح فقال :

كيف يتَّجه أنَّ الإمام كان صغيراً وتربَّى في حجر الإمام الصادق ؛ لأنَّ جعفر الصادق توفي سنة ثمان وأربعين ومئة عن ثمان وستين سنة ، والإمام أبو حنيفة توفي سنة خمسين ومئة وولد على قول الأكثر^(٣) سنة ثمانين ؛ فتكون سنة ولادتهما واحدة ، وبين وفاتيهما سنتان ، فثبت أنَّهما من الأقران لا أنَّ الإمام صغيرٌ ، والإمام جعفر الصادق كبيرٌ .

وفي غضون ما ألفه الموقِّ بن أحمد ، والحافظ الكردي في مناقب أبي حنيفة ، وما ذكره بعض الحنفيَّة في معاجم التراجم لدى ترجمته خرافات وسفاسف جمَّة تُشوِّه سمعة الإسلام المقدَّس ، ولا يسوِّغه العقل والمنطق إن لم يشفعهما الغلو في الفضائل . ومن أعجب ما رأيتُ ما ذكره الإمام أبو الحسين الهمداني في آخر خزانة المفتين من :
أنَّ الإمام أبو حنيفة لما حجَّ حجة الوداع أعطى لسدنة الكعبة مالا عظيماً حتَّى

١ - تاريخ ابن كثير ١٠: ١٠٧ [١١٤/١٠] ، حوادث سنة ١٥٠ هـ .

٢ - مفتاح السعادة ٢: ٧٠ [١٨١/٢] .

٣ - وقال بعض : «إنَّه ولد سنة إحدى وستين» [وفيات الأعيان ٤١٢/٥ وصحَّ القول الأوَّل] .

أخلوا له البيت ، فدخل وشرع للصلاة ، وافتتح القراءة كما هو دأبه على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن ، ثم ركع ، وقام في الثانية على رجله اليسرى حتى ختم القرآن . ثم قال : إلهي عرفتك حق المعرفة لكن ما قمتُ بكمال الطاعة ، فهب نقصان الخدمة بكمال المعرفة . فنودي من زاوية البيت : عرفت فأحسنّت المعرفة ، وخدمت فأخلصت الخدمة ، غفرنا لك ولمن أتبعك ، ولمن كان على مذهبك إلى قيام الساعة^(١) .

قال الأميني: ليت شعري أيّ كمية من الزمن استوعبها الإمام حتى ختم الكتاب العزيز في ركعتيه ، وقد أخلى له البيت في يوم من أيّام الموسم والناس عندئذٍ مزدلفون حول البيت ، يتحرّون التبرّك بالدخول فيه؟!

وكيف وسع السدنة منع أولئك الجماهير عن قصدهم ، وكبح رغباتهم الأكيدة طيلة تلك البرهة الطويلة؟!

ثمّ ما هذا الدأب من الإمام على قراءة نصف القرآن الأوّل على رجله اليمنى ، ونصفه الآخر على رجله اليسرى؟! أهو حكمٌ متّخذٌ من كتاب؟! أم سنة متّبعة صدع بها النبي الأعظم؟! أم بدعة لم نسمعها من غير الإمام؟! وهل في الألعاب الرياضية المجعولة لحفظ الصّحة والإبقاء على قوّة البدن ونشاطه مثل ذلك؟! أنا لا أدري .

ثمّ كيف وسعت الإمام تلك الدعوى الباهظة العظيمة أمام ربّ العالمين سبحانه ، وهو الواقف على السرائر والضمائر؟! وما أجراه على دعوى لم يدّعها نبيّ من الأنبياء حتى خاتمهم ﷺ وعليهم ، على سعة معرفتهم؟! ولا شك أنّ معرفته ﷺ أوسع ، وقد أغرق فيها نزعا ، ومع ذلك لم يؤثر عنه ﷺ تقمّم الإمام في مناجات أو دعاء . ولا يصدر مثل هذا إلّا عن إنسان معجب بنفسه ، مغترّ بعلمه ، غير عارف بالله حق المعرفة .

والمغفل صاحب الرواية يحسب أن الإمام ادّعاها في عالم الشهود فصّدقه عليها هاتف عالم الغيب، وليس هذا الهتاف المنسوج بيد الاختلاق الأثيمة إلاّ دعايةً على الإمام وعلى مذهبه الذي هو أئفه المذاهب الإسلامية فقهاً. ولو كانت الأمة تصدّق هذه البشارة لمعتنقي ذلك المذهب، وتراها من ربّ البيت لا من الأساطير المزوّرة، لوجب عليها أن يكونوا حنفيّين جمعاء، غير أن الأمة لا تصفق على صحّتها، رضي بذلك الإمام أم لم يرض.

وأعجب من هذا ما ذكره العلامة البرزنجي قال:

ذهب بعض الحنيفة إلى أن كلّاً من عيسى والمهدي يقلّدان مذهب الإمام أبي حنيفة عليه السلام... وحكى الشيخ عليّ القاري عن بعضهم أنّه قال: إعلم أن الله قد خصّ أبا حنيفة بالشرعية والكرامة. ومن كراماته: أنّ الخضر عليه السلام كان يجيء إليه كلّ يوم وقت الصبح ويتعلّم منه أحكام الشريعة إلى خمس سنين، فلما توفيّ أبو حنيفة ناجى الخضر ربّه قال: إلهي إن كان لي عندك منزلة فاذن لأبي حنيفة حتّى يعلمني من القبر على حسب عادته حتّى أعلم شرع محمد صلى الله عليه وآله على الكمال لتحصل لي الطريقة والحقيقة؛ فنودي: أن اذهب إلى قبره وتعلّم منه ما شئت. فجاء الخضر وتعلّم منه ما شاء كذلك إلى خمس وعشرين سنة أخرى حتّى أتمّ الدلائل والأقاويل... (١).

اقرأ وابك على أمة محمد المرحومة بأيّ أناس بُليت، وبأيّ خلق منيت؟! ما حيلة الجاهل الغرّ وما ينجيه من هذه السخائف والأساطير (٢)؟!

١ - الإشاعة لأشراط الساعة، تأليف السيد محمد البرزنجي المدني: ٢٢١-٢٢٥ [٢٣٦-٢٣٩].

٢ - الكتب المؤلفة في فضائل أبي حنيفة حوت بين دفتيها لدة هذه الترهات والأكاذيب المزخرفة وما أكثرها! ولو لم يكن الباطل الذي لا أصل له مأخوذاً به فيها إذا لم تلق منها باقية.

- ٦٣ -

إمام المالكية يرى النبي ﷺ كل ليلة!

ذكر الحريفيش في الروض الفائق^(١) قال: «قال المثنى بن سعيد القصير: سمعت مالكا - إمام المالكية - يقول: ما بت ليلة إلا رأيت النبي ﷺ فيها».

قال الأميني: هل يكذب الإمام في دعواه التي لا تعلم إلا من قبله؟! أو يرمى ابن سعيد بالإفك وإن كان قصيراً؟! أو يُعاتب الحريفيش في نقله وإن كان مصغراً؟

وللإمام مالك موقف خطر مع الملكين العظيمين: منكر ونكير، لا يقل عن موقف الإمام أحمد معهما؛ ذكره الشعراني في الميزان^(٢) قال: «لما مات شيخنا شيخ الإسلام الشيخ ناصر الدين اللقاني رآه بعض الصالحين في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: لما أجلسني المملكان في القبر ليسألاني أتاهم الإمام مالك فقال: مثل هذا يحتاج إلى سؤال في إيمانه بالله ورسوله؟ تنحياً عنه، فتنحياً عني».

قال الأميني: ألا من معبر يعبر هذه الأحلام؟! ولعل كل فرد من المعبرين يقول: أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين، وإن اتخذها الحفاظ كأصل مسلم استندوا إليها عند المغالاة في الفضائل. كأن الملكين لم يكن عندهما عرفان بمن يحتاج إلى سؤال في إيمانه، ولم يكن هنالك ناموس مطرد من المولى سبحانه يتبعانه، أعوذ بالله من ضؤولة العقل.

- ٦٤ -

قدم النبي ﷺ على رقية عبد القادر!

قال الشيخ السيّد عبد القادر الكيلاني^(٣):

٢ - الميزان ١: ٤٦.

١ - الروض الفائق: ٢٧٠.

٣ - تفرج الخاطر في ترجمة عبد القادر: ٥ و ١٢، طبعة مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، سنة (١٣٣٩).

لَمَّا عُرِجَ بِجَدِّي ﷺ لَيْلَةَ الْمَرْصَادِ ، وَبَلَغَ سَدْرَةَ الْمُنْتَهَى بِفِي جَبْرِيلَ الْأَمِينِ ﷺ
 مُتَخَلِّفًا وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ دَنَوْتُ أَنْمَلَةَ لَا حَتَرْتُ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحِي إِلَيْهِ
 فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ، لَا اسْتِفَادَنِي مِنْ سَيِّدِ الْأَنَامِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ،
 فَتَشَرَّفْتُ بِهِ ، وَاسْتَحْصَلْتُ عَلَى النِّعْمَةِ الْعَظْمَى وَالْوَرَاثَةِ وَالْخِلَافَةِ الْكُبْرَى ،
 وَحَضَرْتُ وَأَوْجَدْتُ بِمَنْزِلَةِ الْبَرَقِ حَتَّى رَكِبَ عَلَيَّ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَنَانِي
 يَدُهُ حَتَّى وَصَلَ ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى وَقَالَ لِي : يَا وَلَدِي وَحْدَقَةَ عَيْنِي
 قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبَتِكَ ، وَقَدَمَاكَ عَلَى رِقَابِ كُلِّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى .

- ٦٥ -

السيوطي رأى النبي ﷺ يقظة!

قال ابن العماد في شذرات الذهب^(١):

ذكر الشيخ عبد القادر الشاذلي في كتاب ترجمته : أَنَّ جلال الدين السيوطي كان
 يقول : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْظَةً ، فَقَالَ لِي : يَا شَيْخَ الْحَدِيثِ ! فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ
 اللَّهِ أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقُلْتُ : مَنْ غَيْرَ عَذَابٍ يَسْبِقُ ؟ فَقَالَ : لَكَ ذَلِكَ .
 وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ : قُلْتُ لَهُ : كَمْ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْظَةً ؟ فَقَالَ : بَضْعًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً .
 قَالَ الْأَمِينِي : لَا يَحِلُّ هَذِهِ الْمَشْكَلَةُ إِلَّا رَأْيَ آخِرِ لَهُ ﷺ يَقْظَةً كَمَا رَأَاهُ السِّيُوطِيُّ ،
 فَيَسْأَلُهُ عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَى ، فَيُخْبِرُهُ أَنَّ السِّيُوطِي كَذَبَ عَلَيْهِ ﷺ بَضْعًا وَسَبْعِينَ كَذْبَةً .
 أَوْ يُوافي رَجُلًا مِنَ الْمُتَنَعِّمِينَ فِي الْجَنَّةِ فَيَسْأَلُهُ عَنْ مُبَوِّأِ السِّيُوطِي مِنْهَا فيقول : أَنَا قَطٌّ
 مَا رَأَيْتُهُ .

وأما إذ لم يتأتَّيّا فإنّا نحيل الحكم في هذه القصّة إلى العقل السليم لا إلى الغلاة في الفضائل.

هذه رؤية القوم النبيّ يقظة. وأما رؤيتهم في المنام فتربو على المثات^(١).

١- أنظر حلية الأولياء ١٠: ٣٤٣، ونيل الابتهاج: ٢٢٢.

سلسلة الموضوعات في الخلافة فحسب

أهمُّ موضوع لعبت به أيدي الهوى، وعبثت به العواطف المضلّة، هو موضوع الخلافة في السنّة والحديث. وضع القوم فيها أحاديث مكذوبة على الله وعلى أمين وحيه ونبيّه الطاهر ﷺ، عالمين بأنّها آثار مفتعلة تضادّ مبادئ الإسلام عند جميع فرقته وإليك نماذج من تلكم المخازي:

١ - عن عائشة قالت: «أول حجر حمّله النبي ﷺ لبناء المسجد، ثمّ حمل أبو بكر حجراً آخر، ثمّ حمل عمر، ثمّ حمل عثمان حجراً آخر. فقلت: يا رسول الله! ألا ترى إلى هؤلاء كيف يساعدونك؟ فقال: يا عائشة! هؤلاء الخلفاء من بعدي». أخرجه الحاكم في المستدرك^(١) وقال: صحيح وإنما اشتهر بإسنادٍ واهٍ من رواية محمّد بن الفضل بن عطية؛ فلذلك هجر.

٢ - عن عبد الله بن عمر قال: «قال رسول الله ﷺ: يا بلال أذن في الناس: أنّ الخليفة بعدي أبو بكر، يا بلال ناد في الناس: أنّ الخليفة بعد أبي بكر عمر، يا بلال ناد في الناس: أنّ الخليفة من بعد عمر عثمان، يا بلال امض أبى الله إلّا ذلك - ثلاث مرّات -». أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة، والخطيب في تاريخه^(٢) من دون أيّ غمز فيه، وابن عساكر في تاريخ الشام^(٣)، ورواه الذهبي بإسناد الدارقطني وعمر وابن شاهين في

١ - المستدرك على الصحيحين ٣: ٩٧ [١٠٣/٣، ح ٤٥٣٣].

٢ - تاريخ بغداد ٧: ٤٢٩.

٣ - تاريخ مدينة دمشق [١٧٤/٣٩، رقم ٤٦١٩؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١٦/١٤٤].

ميزانه^(١) فقال: «هذا موضوع».

٣- عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: قال: «لَمَّا عُرِجَ بِي قُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي عَلِيّاً. قَالَ: فَارْتَجَّتِ السَّمَاوَاتُ، وَهَتَفَ بِي الْمَلَائِكَةُ: يَا مُحَمَّدُ! اقْرَأْ: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢)، وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ».

من موضوعات يوسف بن جعفر الخوارزمي. ذكره الذهبي في ميزانه^(٣) وقال:

ذكر ابن الجوزي، أن هذا من وضع يوسف.

قال الأميني: إني مسائل مفتعل هذا الرواية وأعضاده من حفاظ الحديث - الأمناء على ودائع العلم والدين - بعد الفراغ عن أن أمر الخلافة لا يستقرُّ في أحد إلا بتعيين المولى سبحانه ومشيعته، «وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»، «وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»، وقد شاء أبا بكر، أين يكون محلّ دعاء النبي ﷺ في أن يجعلها في عليٍّ عليه السلام من قبل أن يعلم مستقرّه عند الله تعالى؟! فكان من واجبه أن يسأله عن محلّه عنده، لا أن يطلب منه طلبه ترجّح لها السماوات والملائكة، وما ذلك إلا لكونه منكراً من الطلب، نجلّ نبينا عن الإسفاف إلى هذه الضعة.

وكيف خفي عليه ﷺ من يستأهل الخلافة من أمته ويختار لها من يأبى الله والسماوات ومن فيها والمؤمنون له ذلك؟! نعوذ بالله من السفاسف.

ثمّ ما بال النبي الأعظم يتأخّر علمه بذلك عن علم الملائكة والسماوات والحاجة له ولأمته، وخطاب التبليغ متوجّه إليه، والتكليف بالخضوع متوجّه إلى أمته؟! ولم يكن جميع الملائكة والسماوات حملة الوحي إلى النبي ﷺ حتّى يتقدّم علمهم على علمه^(٤).

١- ميزان الاعتدال ١: ٢٨٧ [١٥٠/٢]، رقم ٢٢٢٣. وفيه: «عمر بن شاهين».

٢- الإنسان: ٣٠. ٣- ميزان الاعتدال ٣: ٢٢٩ [٤٦٣/٤]، رقم ٩٨٦٠.

٤- هذا على سبيل المباشرة والجدل، وإنّ لنا في علمه ﷺ بالوحي خطة أخرى، مع الاعتراف بنزول جبريل في كلّ واقعة للإذن في التبليغ ولتنبيت قلوب الأمة.

وما الذي دعاه ﷺ إلى ذلك التأكيد وتكرار المسألة مرةً بعد أخرى، وقد أبي الله أن يجيبها وشاء خلاف تلك الدعوة؟!

إلى أسئلة أخرى؛ وهي مشكلات لا أحسب أن يجد كل من يعتمد على هذه الرواية إلى حلها سبيلاً. أف تَفّ لمؤلف يذكر مثل هذه الأفكة ويرأها لطيفة^(١)، ولا يرى أنها غريباً^(٢)، ويقول: يُعْتَضَدُ بالأحاديث الصحيحة^(٣). اللهم إليك المشتكى.

٤- عن جابر مرفوعاً: «أبو بكر وزيري والقائم في أمتي من بعدي، وعمر حبيبي ينطق على لساني، وعثمان مني، وعليّ أخي وصاحب لوائي». وفي كنز العمال^(٤) عن أنس: «أبو بكر وزيري يقوم مقامي، وعمر ينطق بلساني، وأنا من عثمان وعثمان مني».

من موضوعات كادح بن رحمة الكذاب. ذكره الذهبي في ميزانه^(٥) من طريق كادح، وقال: قال ابن عدي^(٦): «عامّة أحاديثه غير محفوظة».

٥- أخرج الحاكم^(٧) عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ائتني بدواة وكتب لك كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً. ثم قال: يا أبا الله والمؤمنون إلا أبا بكر. ٦- عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإنّي أخاف أن يتمني متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر^(٨).

أخرجه^(٩) مسلم وأحمد وغيره من طرق عنها، وفي بعضها: قال لي رسول الله ﷺ

١- راجع نزهة المجالس ٢: ١٨٦. ٢- [أي يرى هذه الأفكة حديثاً غريباً].

٣- راجع الرياض النضرة ١: ١٥٠ [١٨٨/١]. ٤- كنز العمال ٦: ١٦٠ [٦٢٨/١١]، ح ٦٣٠٣٣.

٥- ميزان الاعتدال [٣/٣٩٩، رقم ٦٩٢٧]. ٦- الكامل في ضعفاء الرجال [٦/٨٢، رقم ١٦١٦].

٧- مستدرک الحاكم [٣/٥٤٢، ح ٦٠١٦]. ٨- كنز العمال ٦: ١٣٩ [١١/٥٥٠، ح ٣٢٥٨٣].

٩- صحيح مسلم [٥/١٠، ح ١١، كتاب فضائل الصحابة: مسند أحمد ٧/١٥٣، ح ٢٤٢٣٠]؛ الصواعق المحرقة:

في مرضه الذي مات فيه: ادعي لي عبدالرحمن بن أبي بكر، أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه أحد. ثم قال: دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر.

٧ - عن عائشة مرفوعاً: «لقد هممتُ أن أرسل إلى أبي بكر وابنه (أراد به عبدالرحمن) وأعهد (أي: أوصي أبا بكر بالخلافة بعدي)، أن يقول القائلون (أي: كراهة أن يقول قائل: أنا أحقُّ منه بالخلافة) أو يتمنى المؤمنون (أي: أو يتمنى أحد أن يكون الخليفة غيره) ثم قلتُ: يأبى الله ويدفع المؤمنون (يعني تركت الإيصاء اعتماداً على أن الله تعالى يأبى عن كون غيره خليفة، وأن يدفع المؤمنون غيره) أو: يدفع الله ويأبى المؤمنون».

أخرجه الصغاني في مشارق الأنوار عن البخاري^(١)، وفي هامشه: لم نجده في صحيح البخاري فليراجع. وشرحه ابن الملك بما جعلناه بين القوسين في شرحه. وذكره ابن حزم في الفصل^(٢) فقال:

فهذا نصٌ جليٌّ على استخلافه - عليه الصلاة والسلام - أبابكر على ولاية الأمة بعده.

هذه صورة ممسوخة من حديث الكنف والدواة والمروي بأسانيد جمّة في الصحاح والمسانيد، وفي مقدّمها الصحيحان. حوّلوه إلى هذه الصورة لما رأوا الصورة الصحيحة من الحديث لا تتمّ بصالحهم، لكنّها الرزيّة كلّ الرزيّة كما قاله ابن عباس في الصحيح؛ فإنّ رسول الله ﷺ منع في وقته عن كتابة ما رآه من الإيصاء بما لا ترضى الأمة بعده، وكثر هناك اللغط، ورُمي ﷺ بما لا يوصف به، أو قال قائلهم: إنّ الرجل لهجر، أو: إنّ الرجل غلبه الوجع. وبعد وفاته ﷺ قلبوا ذلك التاريخ الصحيح إلى هذا المفتعل وراء أمر دبر بليل.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة^(١):

وضعه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه : «أشتوني بدواة وبياض
أكتب لكم ما لا تضلّون بعده أبداً» فاختلفوا عنده ، وقال قوم منهم : لقد غلبه
الوجع ، حسبنا كتاب الله .

قال الأميني: لا تخلو هذه الاستعاذة^(٢) إمّا أن تكون في حيّز الإخبار عن عدم
الاختلاف، أو في مقام النهي عنه.

وعلى الأوّل : يلزم منه الكذب؛ لوقوع الاختلاف - وأيّ اختلاف - بالضرورة من
أمير المؤمنين وبني هاشم ومن التفّ بهم من صدور الصحابة، ومن سيّد الخرج سعد
بن عباد وبقيّة الأنصار. وإن أخضعت الظروف والأحوال أولئك المتخلفين عن البيعة
للخلافة المنتخبة بعد برهة، فقد كان في القلوب ما فيها إلى آخر أعمارهم، وفي قلوب
شيعتهم وأتباعهم إلى يوم لقاء الله، وكان لأمر المؤمنين ﷺ وآله وشيعته في كلّ فجوة
من الوقت وفرصة من الزمن نبرات وتنهّدات، ينبئ فيها عن الحقّ المغتصب والخليفة
المهتضم.

وعلى الثاني : يلزم تفسيق أمة كبيرة من أعيان الصحابة؛ لمخالفتهم نهى النبي ﷺ بما
شجر بينهم وبين القوم من الخلاف المستعاذ منه بالله في أمر الخلافة، وهذا لا يلتئم مع
حكمهم بعدالة الصحابة أجمعين، إلّا أن يخصّوها بغير أمير المؤمنين ومن انضوى إليه،
وكلّ هذا يؤدّي إلى بطلان الرواية.

وهلّمّ معي إلى أمّ المؤمنين الراوية لها نسائلها عن أنّها لم تنبس يوم التنازع عمّا
روته بنت شفة، فتجابه من ينازع أباه بنصّ الرسول الأمين وأخرت البيان عن وقت

١ - شرح نهج البلاغة ٣: ١٧ [٤٩/١١، الخطبة ٢٠٣].

٢ - في قوله ﷺ : «معاذ الله أن يختلف المؤمنون».

الحاجة؟! ولعلّها تجيب بأنّها لم تسمع قطّ من بعلمها الكريم شيئاً ممّا ألصق بها، لكن رواية السوء بعد وفاتها لم ترع لها كرامة فصعدت وصوّبت. وشاهد هذا الجواب ما سيوافيك عنها بطريق صحيح ما ينافي الاستخلاف.

﴿وَلَيْنِ أَتَيْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾^(١).

غثيثة التزوير

هذه ماثورات القوم في حجرهم الأساسي الذي عليه ابتنوا ما علّوه من هيكل الإفك، وما شادوه وأشادوا بذكره من بنيّة الزور، وقد عرفت شهادة الأعلام بأنّها أساطير موضوعة لا مقل لها من الصحة.

ويساعد ذلك الاعتبار أنّ البرهنة الوحيدة عند القوم في باب الخلافة هو الإجماع والانتخاب فحسب، ولم تجد منهم أيّ شاذّ يعتمد على النصّ فيها، وتراهم بسطوا القول حول إبطال النصّ وتصحيح الاختيار وأحكامه.

قال المخضري في المحاضرات^(٢):

الأصل في انتخاب الخليفة رضا الأمة، فمن ذلك يستمدّ قوّته، هكذا رأى المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ، فقد انتخبوا أبا بكر الصديق إختياراً منهم لا استناداً إلى نصّ أو أمرٍ من صاحب الشريعة ﷺ، وبعد أن انتخبوه بايعوه، ومعنى ذلك عاهدوه على السمع والطاعة فيما فيه رضا الله سبحانه، كما أنّه عاهدهم على العمل فيهم بأحكام الدين من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهذا التعاهد المتبادل بين الخليفة والأمة هو معنى البيعة تشبيهاً له بفعل البائع والمشتري، فإنّهما كانا يتصافحان بالأيدي عند إجراء عقد البيع.

١- الرعد: ٢٧.

٢- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية - : ٤٦ [ص ٤١].

فمن هذه البيعة تكون قوّة الخليفة الحقيقيّة ، وكانوا يرون الوفاء بها من أُلزم ما يوجبه الدين وتحتّمه الشريعة .

وقد سنّ أبو بكر رضي الله عنه طريقةً أخرى في انتخاب الخليفة ؛ وهي أن يختار هو من يخلفه ويعاهده الجمهور على السمع والطاعة ، وقد وافق الجمهور الإسلاميّ على هذه الطريقة ، ورأى أنّ هذا ممّا تجب الطاعة فيه وذلك العمل هو ولاية العهد .

فمن هنا يتجلّى أنّ تاريخ ولادة هذه المرويّات بعد انعقاد البيعة واستقرار الخلافة لمن تقمّصها ؛ ولذلك لم ينبس أحدٌ منهم يوم السقيفة ولا بعده بشيء من ذلك على ما احتدم هنالك من الحوار والتنازع والحجاج .

وهناك أحاديث جمّة صحيحة - عند القوم - تضادّها وتكذبها ؛ مثل :

١ - ما صحّ عن أبي بكر أنّه قال في مرضه الذي توفّي فيه : «وددتُ أنّي سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحدٌ، ووددتُ أنّي كنتُ سألتُه هل للأصّار في هذا الأمر نصيب ^(١)؟» .

فلو كان أبو بكر سمع النصّ على خلافته من رسول الله ، كما هو صريح بعض تلكم المنقولات ، لما كان مجال لتقيّنه هذا إلّا أن يكون قد غلبه الوجد ، أو أنّه كان هجرأً من القول كما احتملوه في حديث الكتف والدواة .

٢ - وما أخرجه مالك عن عائشة قالت : «لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه دعا عمر فقال : إنّني مستخلفك على أصحاب رسول الله يا عمر ! وكتب إلى أمراء الأجناد : وليت عليكم عمر ، ولم آل نفسي ولا المسلمين إلّا خيراً» ^(٢) .

١ - تاريخ الطبري ٤ : ٥٣ [٤٣١/٣] ؛ العقد الفريد ٢ : ٢٥٤ [٩٣/٤] .

٢ - تيسير الوصول للحافظ ابن الديبع ١ : ٤٨ [٥٧/٢] .

فإن كان هناك نصٌّ على خلافة عمر، فما معنى نسبة أبي بكر الاستخلاف والتولية إلى نفسه؟!

٣ - ثمَّ إن صحَّتْ تلکم النصوص وكانت الخلافة عهداً من الله سبحانه فما الذي سوَّغ لأبي بكر قوله: «إني وليُّ هذا الأمر وأنا له كاره، والله لوددتُ أن بعضكم كفانيه»^(١).

كيف كان يكره أمراً جعله الله له، وجاء به جبريل، وأخبر به النبي الطاهر؟! ثمَّ كيف كان يودُّ أن يكفيه غيره؟! وقد حيل بين النبي وبين أمله مهما سأله الله لعلَّ، ولم يجعل الله لمشیئة نبيِّه في الأمر قيمة، وأبى إلا أبا بكر.

٤ - وما المسوَّغ لأبي بكر في استقالته الخلافة من الناس، وقوله مرّة بعد أخرى: «أقبلوني أقبلوني لست بخيركم»^(٢)، وقوله: «لا حاجة لي في بيعتكم أقبلوني بيعتي»^(٣). فكيف كان يرى للناس في إقالته اختياراً، ولردّه ما شاء الله وعهده لنبيِّه مساغاً؟!

٥ - وكيف كان عمر يرى الأمر شورى بين المسلمين، ويقول: «من بايع أميراً من غير مشورة المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه تغرّة أن يقتل»^(٤)؟!

٦ - وما الذي أقعد عليّاً أمير المؤمنين عن بيعة عثمان يوم الشورى بعد ما بايعه عبد الرحمن بن عوف وزملاؤه؟! وكان عليّ قائماً فقعد، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك، ولم يكن مع أحد يومئذٍ سيف غيره؛ فيقال: إنَّ عليّاً خرج مغضباً، فلحقه أصحاب الشورى وقالوا: بايع وإلا جاهدناك؛ فأقبل معهم حتّى بايع عثمان^(٥).

١ - صفة الصفوة ١: ٩٩ [١/٢٦٠، رقم ٢].

٢ - الصواعق المحرقة: ٣٠ [ص ٥١].

٣ - الإمامة والسياسة ١: ١٤ [١/٢٠].

٤ - مسند أحمد ١: ٥٦ [١/٩١، ح ٣٩٣]؛ البداية والنهاية ٥: ٢٤٦ [٥/٢٦٧، حوادث سنة ١١ هـ].

٥ - الأنساب للبلاذري ٥: ٢٢.

قال الطبري في تاريخه^(١):

جعل الناس يبايعونه وتلكاً عليّ ؛ فقال عبدالرحمن : «فَمَنْ نَكَّ فَإِنَّمَا يَنْكُكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا»^(٢) فرجع عليّ يشقّ الناس حتّى بايع وهو يقول : خدعة وأيّما خدعة .
وفي الإمامة والسياسة^(٣):

قال عبد الرحمن : لا تجعل يا عليّ سبيلاً إلى نفسك ، فإنّه السيف لا غيره .
وفي صحيح البخاري^(٤):

لا يجعلنّ عليّ نفسك سبيلاً .

قال الأميني: كان قتل المتزلف عن البيعة في ذلك الموقف وصيّة من عمر بن الخطاب ؛ كما أخرج الطبري في تاريخه^(٥).

«أَنْمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَتَكُونُونَ»^(٦)

ما هذه الدمدمة والهمهمة؟

ليست هذه الروايات إلّا جلبةً وصخباً تجاه الحقيقة الراهنة ، ووجه الخلافة الحقّة الثابتة بالنصوص الصريحة الصحيحة لأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قد صدع بها النبيّ الأمين وحيّاً من الله العزيز من يوم بدء الدعوة إلى آخر نفس لفظه .
إن هي إلّا اللغط والشغب دون أمر ليس لخلق الله فيه أيّ خيرة ، وقد نصّ النبيّ الأعظم في بدء دعوته على أنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ؛ وذلك يوم عرض

١- تاريخ الأمم والملوك ٥ : ٤١ [٢٣٨/٤] ، حوادث سنة ٢٣ هـ .

٢- الفتح : ١٠ .
٣- الإمامة والسياسة ١ : ٢٥ [٣١/١] .

٤- صحيح البخاري ١ : ٢٠٨ [٢٦٣٥/٦] ، ح [٦٧٨١] .

٥- تاريخ الأمم والملوك ٥ : ٣٥ [٢٢٩/٤] ، حوادث سنة ٢٢ هـ .

٦- النجم : ٥٩ و ٦٠ .

نفسه ﷺ على بني عامر بن صعصعة ودعاهم إلى الله؛ فقال له قائلهم: رأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «إنَّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء»^(١).

هل يجد الباحث سبيلاً لنجاته عن هذه الورطات المدهمة؟ وهل يُرجى له الفوز من تلكم السلاسل وقد صفّته من حيث لا يشعر؟ أيّ مصدر وثيق يحقّ أن يثق به الرجل؟ وعلى أيّ كتاب أو على أيّ سنّة حريّ بأن يحيل أمره؟ أليست الكتب مشحونة بتلكم الأكاذيب المفتعلة المنصوص على وضعها؟ أليست تلكم المئات من ألوف الأحاديث المكذوبة مبثوثة في طيّات التأليف والصحف؟

ما حيلة الرجل وهو يرى المؤلّفين بين من يذكرها مرسلًا إيّاها إرسال المسلّم، وبين من يخرجها بالإسناد ويردّفها بما يموّه على الحقّ ممّا يعرب عن قوّتها؟ أو يرويها غير مشفّع بما فيها من الغمزة متناً أو إسناداً؟ كلّ ذلك في مقام سرد الفضائل، أو إثبات الدعاوي الفارغة في المذاهب.

ثمّ ما حيلته، وهو يشاهد وراء أولئك الأوضاع من المؤلّفين أفاك القرن الرابع عشر - القصيمي - رافعاً عقيرته بقوله: «ليس في رجال الحديث من أهل السنّة من هو مثمّ بالوضع والكذابة»^(٢)!

فما ذنب الجاهل المسكين - والحالة هذه - في عدم عرفان الحقّ؟! وما الذي يعرفه صحيح السنّة من سقيمها؟ وأيّ يد تنجيه من عادية التقوّل والتزوير؟ وهل من مصلح يحمل بين جنبيه عاطفة دينيّة صادقة ينقذه عن ورطات القالة وغمرات الدجل؟

نعم، «وَكُنْتُمْ لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُّؤَعِّظَةٌ وَتَنْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ»^(٣). «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ

١ - سيرة ابن هشام ١: ٣٣ [٦٦/٢]؛ السيرة الحلبية ٢: ٣.

٢ - الصراع ١: ٨٥.

٣ - الأعراف: ١٤٥.

عَنْ بَيْتَةٍ وَيَخِينُ مَنْ حَى عَنْ بَيْتَةٍ»^(١).

«وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَضَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»^(٢). «وَأَنبَأْنَاهُمْ بَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا أَخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَا يَبِئْسَ لِمَن يَكْفُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»^(٣).

«فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ»^(٤). «وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ»^(٥).

حكم الوضاعين

قال المحافظ جلال الدين السيوطي في تحذير الخواص^(٦): «فائدة: لا أعلم شيئاً من الكبائر قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه، إلا الكذب على رسول الله ﷺ...».

حكم الحفاظ

لتلكم الموضوعات المبهرجة

يتبين حكم مخرّجي تلكم الروايات المكذوبة على نبيّ العظمة في الكتب والمعاجم من أئمة الحديث وحفاظه، ومن رجال السير والتاريخ - خلفاً وسلفاً - ممّا أخرجهم الخطيب وصحّحه ابن الجوزي من قول رسول الله ﷺ: «من روى عني حديثاً وهو يرى أنّه كذب، فهو أحد الكذابين»^(٧).

٢- الأعراف: ٥٢.

١- الأنفال: ٤٢.

٤- طه: ١٦.

٣- الجاثية: ١٧ و ١٨.

٦- تحذير الخواص: ٢١ [ص ١٢٥].

٥- طه: ٤٧.

٧- تاريخ بغداد ٤: ١٦١ [رقم ١٨٣٧]، المنتظم ٨: ٢٦٨ [١٦/١٣٣، رقم ٣٤٠٧].

والله يقول: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾^(١).

أفترى أولئك الحفاظ والمؤرخين عالمين بحقيقة تلكم الأكاذيب المفتعلة؟
قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

أم تراهم جاهلين بها؟ وما لهم بذلك من علم فكذبوا صمّاً وعمياناً، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾^(٣). ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُمُونَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَتُنُونُ﴾^(٤). ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥). ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٦).

١- الحاقة: ٤٤ - ٤٩.

٢- هود: ١٨.

٣- المجادلة: ١٨.

٤- البقرة: ٧٨.

٥- الأنعام: ١٤٤.

٦- البقرة: ٧٩.

ح: رحلته ﷺ وما جرى على أهل بيته ﷺ بعد رحلته

- ١ -

حجة الوداع

أجمع رسول الله ﷺ الخروج إلى الحج في سنة عشر من مهاجره، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتون به في حجته تلك التي يُقال^(١) عليها: حجة الوداع، وحجة الإسلام، وحجة البلاغ، وحجة الكمال، وحجة التمام^(٢). ولم يحج غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله؛ فخرج ﷺ من المدينة مغتسلاً متدهناً مترجلاً متجرداً في ثوبين صحرابين^(٣): إزار، ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليالٍ أو ست بقين من ذي القعدة. وأخرج معه نساءه كلهن في الهوادج، وسار معه أهل بيته، وعامه المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب وأفناء^(٤) الناس^(٥).

وعند خروجه ﷺ أصاب الناس بالمدينة جُدريٌّ - بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما - أو حصبة منعت كثيراً من الناس من الحج معه ﷺ، ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها

١ - [الظاهر أنه ﷺ ضمن «قال» معنى «يطلق» فعذاه به «على»].

٢ - الذي نظنه - وظن الألمعي يقين - أن الوجه في تسمية حجة الوداع بالبلاغ هو نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ [المائدة: ٦٧]؛ كما أن الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول قوله سبحانه: ﴿أَتُومُّ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

٣ - «صُحار»: مدينة عمان أو قصبه عمان مما يلي الجبل، و«توأم» قصبته مما يلي الساحل؛ أنظر معجم البلدان ٣/٣٩٣.

٤ - «أفناء»: واحدة فنو أي أخلاط. ورجل من أفناء القبائل أي لا يُدرى من أي قبيلة هو.

٥ - الطبقات لابن سعد: ٣: ٢٢٥ [١٧٣/٢]؛ إمتاع المقيزي: ٥١٠؛ إرشاد الساري ٦: ٤٢٩ [٤٢٦/٩].

إلا الله تعالى؛ وقد يقال: خرج معه تسعون ألفاً، ويقال: أكثر من ذلك. وهذه عدّة من خرج معه. وأمّا الذين حجّوا معه فأكثر من ذلك؛ كالمقيمين بمكة، والذين أتوا من اليمن مع عليٍّ أمير المؤمنين وأبي موسى^(١).

فلما قضى مناسكه، وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات، وصل إلى غدير خمّ من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيّين والمصريّين والعراقيّين، وذلك يوم الخميس^(٢) الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...»^(٣)، وأمره أن يقيم عليّاً علماً للناس، ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كلّ أحد.

وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرات^(٤) خمسٍ متقاربات دوحاتٍ عظام أن لا ينزل تحتهنّ أحد، حتّى إذا أخذ القوم منازلهم، فقمّ ما تحتهنّ، حتّى إذا نودي بالصلاة - صلاة الظهر - عمد إليهنّ، فصلّى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدة الرمضاء، وظلّل لرسول الله بثوبٍ على شجرة سَمُرَةٍ من الشمس.

فلما انصرف ﷺ من صلاته، قام خطيباً وسط القوم^(٥) على أقتاب الإبل^(٦)، وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال:

«الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن

١- السيرة الحلبية ٣: ٢٨٣ [٢٥٧/٣]؛ سيرة أحمد زيني دحلان ٣: ٣ [١٤٣/٢]؛ تاريخ الخلفاء لابن الجوزي في

الجزء الرابع؛ تذكرة خواصّ الأمة: ١٨ [ص ٣٠]؛ دائرة المعارف لفريد وجدي ٣: ٥٤٢.

٢- هو المنصوص عليه في لفظ البراء بن عازب وبعض آخر من رواية حديث الغدير.

٣- المائدة: ٦٧.

٤- «سمرات» جمع سَمُرَةٍ: شجرة الطلح.

٥- أنظر مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ٩: ١٠٦. ٦- ثمار القلوب: ٥١ [ص ٦٣٦، رقم ١٠٦٨].

سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، الَّذِي لَا هَادِيَ لِمَنْ أَضَلَّ^(١)، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ نَبَّأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ: أَنَّهُ لَمْ يُعَمَّرْ نَبِيٌّ إِلَّا مِثْلَ نَصْفِ عُمَرِ الَّذِي قَبْلَهُ. وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أَدْعَى فَأُجِيبُ، وَإِنِّي مُسْئِلٌ، وَأَنْتُمْ مُسْئِلُونَ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟». قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَنَصَحْتَ وَجَهَدْتَ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا.

قال: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ وَنَارَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؟». قالوا: بَلَى نَشْهَدُ بِذَلِكَ.

قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

ثمَّ قال: «أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا تَسْتَمْعُونَ؟»^(٢).

قالوا: بَلَى.

قال: «فَإِنِّي فَرَطُ^(٣) عَلَى الْحَوْضِ وَأَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنْ غُرِضَ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَبُصْرَى^(٤)، فِيهِ أَقْدَاحُ عَدَدِ النُّجُومِ مِنْ فِضَّةٍ، فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلِفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ^(٥)».

فَنَادَى مُنَادٍ: وَمَا الثَّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: «الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتَابُ اللَّهِ طَرَفٌ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ لَا تَضَلُّوا، وَالْآخِرُ الْأَصْغَرُ عَتْرَتِي. وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ؛ فَسَأَلْتُ ذَلِكَ لِهَما رَبِّي؛ فَلَا تَقْدَمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهَا فَتَهْلِكُوا».

١ - [في الأصل: «ضلّ» والصحيح ما أثبتناه]. ٢ - [في بعض النسخ: «ألا تسمعون؟ قالوا: نعم»].

٣ - [الْفَرَطُ]: الْمُتَقَدِّمُ قَوْمَهُ إِلَى الْمَاءِ، وَيَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ].

٤ - «صَنْعَاءُ»: عَاصِمَةُ الْيَمَنِ الْيَوْمَ. وَ«بُصْرَى»: قَصَبَةُ كُورَةِ حُورَانَ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ.

٥ - «الثَّقَلَانِ» - بَفَتْحِ الْمُلْتَمَةِ وَالْمُنْتَاةِ -: كُلُّ شَيْءٍ خَطِيرٌ نَفِيسٌ.

ثم أخذ بيد عليّ فرفعها حتى رُوي بياض آباطهما وعرفه القومُ أجمعون؛ فقال:
«أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؛ فمن كنت مولاه فعليّ مولاه». يقولها ثلاث مرّات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرّات.
ثمّ قال: «اللّهمّ والٍ من والاه، وعادٍ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه وانصُر من نصره، واخذُل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار. ألا فليبلغ الشاهدُ الغائب».

ثمّ لم يتفرّقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...»؛ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالي، والولاية لعليّ من بعدي».

ثمّ طَفِقَ القوم يهتفون أمير المؤمنين ﷺ وممن هنّاه في مُقدّم الصحابة الشيخان: أبوبكر وعمر؛ كلُّ يقول: بخّ بخّ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عباس: وجبت - والله - في أعناق القوم.

هذا مجمل القول في واقعة الغدير، وقد أصفقت الأُمّة على هذا. وليست في العالم كلّه واقعة إسلاميّة غديرية غيرها. ولو أطلق يومه فلا ينصرف إلّا إليه. وإن قيل محله فهو هذا المحلّ المعروف على أُمم^(١) من الجُحفة.

ولم يعرف أحدٌ من البَحّاثَة والمُتَقَبِّين سواه؛ نعم، شدّ عنهم الدكتور ملحم إبراهيم الأسود في تعليقه على ديوان أبي تمام؛ فإنّه قال: «هي واقعة حرب معروفة!». ولا أجد لذي لبّ مُنتدحاً عن معرفة يوم الغدير، لا سيّما وبين يديه كتب الحديث والسير

ومدونات التاريخ والأدب، كلُّ يومٍ إليه بسبَّابته، ويوعز إليه ببنانه، كلُّ يُلْمَسُ يدي القارئ حقيقة يوم الغدير، فلا يدع له ذكراً خالياً منه، ولا مخيلة تعدوه، ولا أضالع إلا وقد انحنت عليه، فكأنه وهو يتلقَّى خبره بعد لأيٍ من الدهر يرنو إليه من كشب، ويستشفُّ أمره على أمم^(١). ولعلَّ الواقف على كتابنا هذا من البدء إلى الغاية يجد فيه نماذج مما قلناه.

إذاً فهل ممّي وأعجب من الدكتور ملحم إبراهيم الأسود شارح ديوان شاعرنا المترجم حيث يقول عند قوله:

ويوم الغدير استوضح الحقَّ أهلهُ
بضحياء لا فيها حجابٌ ولا سترُ
: «يوم الغدير واقعة حرب معروفة».

وذكر بعده في قوله:

يُمْدُ بضبعيه ويعلم أنه
وليٌّ ومولاكم فهل لكم خبرُ
ما يكشف عن أنها كانت من المغازي النبويّة: قال^(٢):

يُمْدُ بضبعيه: يساعده وينصره. والهاء راجعة إلى الإمام عليٍّ؛ أي: كان رسول الله ﷺ ينصره ويعلم أنه وليٌّ، كان العَصْد والمساعد الوحيد للنبي ﷺ في الغدير، والرسول نفسه كان ينصره عالماً أنه سيكون وليّاً على شعبه بعده وخليفةً له، وهذه هي الحقيقة، فهل تعلمون؟

ألا مسائل هذا الرجل عن مصدر هذه الفتوى المجردة؟ أهل وجد هاتيك الغزوة في شيء من السير النبويّة؟ أو نصّ عليها أحدٌ من أئمة التاريخ؟ أم أن تلك الحرب الزبون^(٣) وحدها قد توسّع بنقلها المتوسّعون من نقلة الحديث؟
دع ذلك كله. هل وجد قصّاصاً يقصّها؟ أو شاعراً يصوّرُها بخياله؟

٢- شرح ديوان أبي تمام: ٣٨١.

١- [«الأمم»: القرب].

٣- [«حرب زبون»: أي شديدة تصدم الناس].

وإنك لتجد الكاتب عيًّا عن جواب هذه الأسئلة. لكنّه حبّذت له بواعثه أن يستر حقيقة الغدير بذيل أمانته، وهو يحسب أنّه لا يقف على ذلك التعليق إلاّ الدهماء، وأنّ البخّاءة يمرّون عليه كراماً. لكنّ المحافظة على حقيقة دينيّة أولى من التحفّظ على اعتبار هذا الكاتب الذي يكتب ولا يبالي بما يكتب، ويرى الكذب حقيقة راهنة.

على أنّ الشعر نفسه يأبى أن يكون المراد به واقعة حرب دامية؛ فإنّ الشاعر بعد أن عدّ مواقف أمير المؤمنين ﷺ في الغزوات النبويّة، وذكر منها غزاة أحد وبدر وحُنين والنضير وخيبر والخنديق وختمها بقوله:

مشاهدٌ كان الله كاشفَ كربها وفارجهُ والأمر ملتبسٌ إمراً

أخذ في ذكر منقبة ناء بها اللسان دون السيف والسنان فقال: «ويوم الغدير...». وأنت ترى أنّه يوعز إلى قصّة فيها قيامٌ ودعوة وإعلامٌ وبيانٌ ومجاهرةٌ بإثبات الحقّ لأهله.

العناية بحديث الغدير

كان للمولى سبحانه مزيد عناية بإشهار هذا الحديث؛ لتداوله الألسن وتلوّكه أشداق الرواة، حتّى يكون حجّة قائمة لحامية دينه الإمام المقتدى صلوات الله عليه؛ ولذلك أنجز الأمر بالتبليغ في حين مزدحم الجماهير عند مُنصرف نبيّه ﷺ من الحجّ الأكبر؛ فنهض بالدعوة، وكراديس الناس وزُرّافاتهم من مختلف الديار محفّّة به؛ فردّ المتقدّم، وجعجع بالمتأخّر، وأسمع الجميع^(١)، وأمر بتبليغ الشاهد الغائب؛ ليكونوا كلّهم

١ - روى النسائي في إحدى طرق حديث الغدير عن زيد بن أرقم في الخصائص: ٢١ [ص ٩٦، ح ٧٩؛ والسنن الكبرى ١٣٠/٥، ح ٨٤٦٤]. وفيه: «قال أبو الطفيل: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: [نعم] وأنه ما كان في الدوحات أحد إلّا رآه بعينه، وسمعه بأذنيه».

وصحّحه الذهبي كما في تاريخ ابن كثير الشامي ٢٠٨: ٥ [٢٢٨/٥، حوادث سنة ١٠ هـ].

وفي مناقب الخوارزمي في أحد أحاديث الغدير ص ٩٤: «ينادي رسول الله بأعلى صوته».

وقال ابن الجوزي في المناقب: «كان معه ﷺ من الصحابة ومن الأعراب ومن يسكن حول مكّة والمدينة مئة وعشرون ألفاً، وهم الذين شهدوا معه حجّة الوداع، وسمعوا منه هذه المقالة».

رواة هذا الحديث، وهم يربون على مئة ألفٍ.

ولم يكتفِ - سبحانه - بذلك كله حتى أنزل في أمره الآيات الكريمة تُتلى مع مرّ الجديدين بُكرةً وعَشِيًّا؛ ليكون المسلمون على ذُكُرٍ من هذه القضية في كلِّ حين، وليعرفوا رُشدَهم والمرجع الذي يجب عليهم أن يأخذوا عنه معالم دينهم.

ولم يزل مثل هذه العناية لنبيِّنا الأعظم ﷺ حيث استنقر أمم الناس للحجّ في سنته تلك، فالتحقوا به ثُباً ثُباً، وكراديس، وهو ﷺ يعلم أنه سوف يبلغهم في منتهى سفره نبأً عظيماً، يُقام به صرح الدين، ويشاد علائقه، وتسود به أُمته الأمم، ويدبُّ ملكها بين المشرق والمغرب، لو عقلتُ صالحها، وأبصرتُ طريق رُشدِها^(١).

ولكن ولهذا الغاية بعينها لم يبرح أئمة الدين - سلام الله عليهم - يهتفون بهذه الواقعة، ويحتجّون بها لإمامة سلفهم الطاهر، كما لم يفتأ أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - بنفسه يحتجّ بها طيلة حياته الكريمة، ويستند السامعين لها من الصحابة الحضور في حجة الوداع في المنتديات ومجتمعات لفائف الناس؛ كلٌّ ذلك لتبقى غُضَّةً طريّةً بالرغم من تعاوُر الحُقب والأعوام.

ولذلك أمروا شيعتهم بالتعيّد في يوم الغدير والاجتماع وتبادل التهاني والبشائر؛ إعادةً لجِدَّةِ هاتيك الواقعة العظيمة.

وللإمامية مجتمع باهر يوم الغدير عند المرقد العلويّ الأقدس، يضمُّ إليه رجالات القبائل ووجوه البلاد من الدانين والقاصين؛ إشادةً بهذا الذكر الكريم.

١- أخرج أحمد في مسنده ١: ١٠٩ [١٧٥/١، ح ٨٦١] عن زيد بن يسيع، عن عليّ، عن النبي ﷺ في حديث: «وإن

تؤمّروا عليّاً ﷺ - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً، يأخذ بكم الطريق المستقيم».

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه ١١: ٤٧ [رقم ٥٧٢٨] بإسناده عن حذيفة في حديث - حُرّف صدره، وزيد

عليه - عن النبي ﷺ: «وإن وليتموها - الخلافة - عليّاً وجدّته هادياً مهدياً، يسلك بكم على الطريق المستقيم».

وفي رواية أبي داود: «إن تستخلفوه (عليّاً) - ولن تفعلوا ذلك - يسلك بكم الطريق، وتجدوه هادياً مهدياً».

وفي لفظ آخر: «وإن تؤمّروا عليّاً - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً، يأخذ بكم الطريق المستقيم».

ويروون عن أئمة دينهم ألفاظ زيارة مُطَنَّبَةٌ^(١)، فيها تعدادُ أعلام الإمامة، وحجج الخلافة الدامغة من كتاب وسنة، وتبسُّط في رواية حديث الغدير.

ولبوم الغدير وظائف من صوم وصلاة ودعاء فيها هتاف بذكره، تقوم بها الشيعة في أمصارها وحواضرها وأوساطها والقرى والرساتيق^(٢).

وأما كتب الإمامية في الحديث والتفسير والتاريخ وعلم الكلام، فضع يدك على أيِّ منها تجده مفعماً بإثبات قصّة الغدير والاحتجاج بمؤدّاتها.

ولا أحسب أن أهل السنة يتأخرون بكثير عن الإمامية في إثبات هذا الحديث، والبخوع لصحّته، والركون إليه، والتصحيح له، والإذعان بتواتره^(٣)؛ أللهم إلا شذاذاً تنكّبت عن الطريقة، وحدث بهم العصيّة العمياء إلى رمي القول على عواهنه، وهؤلاء لا يمثّلون من جامعة العلماء إلا أنفسهم.

رواية حديث الغدير من الصحابة

قد ذكر شيخنا الأميني رحمه الله في الغدير^(٤) (١١٠) من أعظم الصحابة. ثم قال في الختام^(٥)؛ وطبع الحال يستدعي أن تكون رواية الحديث أضعاف المذكورين؛ لأن السامعين الوعاة له كانوا مئة ألف أو يزيدون، وبقضاء الطبيعة أنّهم حدّثوا به عند مرجعهم إلى أوطانهم، شأن كلّ مسافر يُنبئ عن الأحداث الغريبة التي شاهدها في

١ - [أنظر بحار الأنوار ٣٥٩/٩٧، ح ٦].

٢ - [«الرساتيق»: فارسي معرب، جمع رستاق، وهي السواد].

٣ - رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من ثلث وسبعين طريقاً، والجزري المقرئ من ثمانين طريقاً، وابن عقدة من مئة وخمس طرق، وأبوسعيد السجستاني من مئة وعشرين طريقاً، وأبوبكر الجعفي من مئة وخمس وعشرين طريقاً. وفي تعليق هداية العقول: ص ٣٠ عن الأمير محمد اليمني - أحد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر - : «أنّ له مئة وخمسين طريقاً».

٤ - [الغدير ٤١/١ - ١٤٤].

٥ - [الغدير ١/١٤٤].

سفره؛ منهم:

- ١ - أبوهريرة الدوسي، المتوفى (٥٧، ٥٨، ٥٩) وهو ابن ثمان وسبعين عاماً^(١).
 - ٢ - أسماء بنت عميس الخثعمية؛ روى عنها ابن عقدة بالإسناد في كتاب الولاية.
 - ٣ - أم سلمة زوجة النبي الطاهر ﷺ^(٢).
 - ٤ - أم هاني بنت أبي طالب سلام الله عليهما^(٣).
 - ٥ - أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي، خادم النبي ﷺ، المتوفى (٩٣)^(٤).
 - ٦ - جابر بن عبد الله الأنصاري، المتوفى بالمدينة (٧٣، ٧٤، ٧٨) وهو ابن (٩٤) عاماً^(٥).
 - ٧ - أبو ذرّ جندب بن جنادة الغفاري، المتوفى (٣١)^(٦).
 - ٨ - حسان بن ثابت؛ أحد شعراء الغدير في القرن الأول، فراجع هناك شعره وترجمته.
 - ٩ - الإمام المجتبي الحسن السبط صلوات الله عليه.
- روى حديثه ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية، والجعابي في النخب، وعده

١ - أنظر تهذيب الكمال [٤٨٤/٢٠، رقم ٤٠٨٩]؛ تهذيب التهذيب ٧: ٣٣٧ [٢٩٦/٧]؛ المناقب للخوارزمي: ١٢٠

[ص ١٥٦، ح ١٨٤]؛ الدرّ المشور ٢: ٢٥٩ [١٩/٣]؛ تاريخ مدينة دمشق [٢٣٤/١٢]؛ تاريخ الخلفاء: ١١٤

[ص ١٥٨]؛ كنز العمال ٦: ١٥٤ [٦٠٩/١١، ح ٣٢٩٥٠؛ و ١٥٧/١٣، ح ٣٦٤٨٦].

٢ - جواهر العقدين [الورقة ١٧٤]؛ ينابيع المودة: ٤٠ [٣٨/١، باب ٤].

٣ - جواهر العقدين [الورقة ١٧٤]؛ ينابيع المودة: ٤٠ [٣٨/١، باب ٤].

٤ - المعارف: ٢٩١ [ص ٥٨٠]؛ مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي [٤٨/١]؛ تاريخ الخلفاء: ١١٤ [ص ١٥٨]؛

كنز العمال ٦: ١٥٤ و ٤٠٣ [٦٠٩/١١، ح ٣٢٩٥٠؛ و ١٥٧/١٣، ح ٣٦٤٨٦].

٥ - الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٤٧٣ [القسم الثالث/ ١٠٩٩، رقم ١٨٥٥]؛ كنز العمال ٦: ٣٩٨ [١٣٧/١٣، ح

٣٦٤٣٠ و ٣٦٤٣٣].

٦ - فرائد السمطين: الباب الثامن والخمسين [٣١٥/١، ح ٢٥٠]؛ مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخطيب الخوارزمي

[٤٨/١].

الخوارزمي من رواية حديث الغدير^(١).

١٠- الإمام السبط الحسين الشهيد سلام الله عليه^(٢).

١١- الزبير بن العوام القرشي، المقتول سنة (٣٦).

وهو أحد العشرة المبشرة الذين عدّهم الحافظ ابن المغازلي^(٣) من رواية الغدير، وعدّه الجزري الشافعي من رواية حديث الغدير في أسنى المطالب^(٤).

١٢- أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، المتوفى (٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨)^(٥).

١٣- أبو عبدالله سلمان الفارسي المتوفى (٣٦، ٣٧) عن عمر يقدر بثلاثئة سنة^(٦).

١٤- عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة، زوجة النبي ﷺ.

أخرج الحديث عنها ابن عقدة في حديث الولاية.

١٥- العباس بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي ﷺ، توفي (٣٢)^(٧).

١٦- عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، المتوفى (٨٠).

أخرج الحديث عنه ابن عقدة. واحتج على معاوية بحديث الغدير^(٨).

١٧- عبدالله بن عباس، المتوفى (٦٨)^(٩).

١٨- أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، المتوفى (٧٢، ٧٣)^(١٠).

١- [وعده الذهبي في كتاب الغدير، ح ١٢١، والصالحاني، والشهاب الإيجي في توضيح الدلائل / ق ١٩٧/ب من

الصحابة الذين روي عنهم حديث الغدير]. ٢- مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي [٤٨/١].

٣- مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام [ص ٢٧، ح ٣٩]. ٤- أسنى المطالب: ٣ [ص ٤٨].

٥- خصائص أمير المؤمنين للحافظ النسائي: ٣ [ص ٢٨، ح ٩]؛ وفي السنن الكبرى [١٠٧/٥، ح ٨٣٩٧].

٦- فرائد السططين: الباب الثامن والخمسين [١/٣١٥، ح ٢٥٠].

٧- أسنى المطالب: ٣ [ص ٤٨]. ٨- أنظر كتاب سليم بن قيس [٢/٨٣٤، ح ٤٢].

٩- خصائص أمير المؤمنين للحافظ النسائي: ٧ [ص ٤٧، ح ٢٤]؛ وفي السنن الكبرى [١١٢/٥، ح ٨٤٠٥].

١٠- جامع الأحاديث [٧/٣٦٩، ح ٢٣٠٠٣]؛ تاريخ الخلفاء: ١١٤ [ص ١٥٨]؛ كنز العمال ٦: ١٥٤ [١١/٦٠٩،

١٩ - أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي، المتوفى (٣٢، ٣٣)، والمدفون بالبقيع^(١).

٢٠ - عثمان بن عفان، المتوفى (٣٥).

هو أحد العشرة المبشرة الذين عدّهم ابن المغازلي^(٢) من المئة الرواة لحديث الغدير بطرقه.

٢١ - أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه^(٣). شعره ﷺ في الغدير مشهور، رواه الثقات^(٤). واحتجّ عليه يومى الشورى والجمل بحديث الغدير، واستنشد به يوم الرحبة^(٥).

٢٢ - عمر بن الخطاب، المقتول (٢٣) (٦).

٢٣ - عمرو بن العاص^(٧).

أحد شعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الأول. واحتجّ برؤد - رجل من همدان - عليه بحديث الغدير، واعترف به^(٨).

٢٤ - الصديقة فاطمة بنت النبي الأعظم ﷺ^(٩).

٢٥ - فاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب.

روى الحديث عنها ابن عقدة، والمنصور الرازي في كتاب الغدير.

١ - الدر المنثور ٢: ٢٩٨ [١١٧/٣]؛ فتح القدير [٦٠/٢]؛ روح المعاني ٢: ٣٤٨ [١٩٣/٦].

٢ - مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٧، ح ٣٩. ٣ - مسند أحمد ١: ١٥٢ [٢٤٦/١] ح ١٣١٣.

٤ - [أنظر تلخيص الغدير/ ١١٣ - ١١٥]. ٥ - [أنظر تلخيص الغدير/ ١٨ و ٢٠ و ٢١].

٦ - مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام [ص ٢٢، ح ٣١]؛ الرياض النضرة لمحبّ الدين الطبري ٢: ١٦١ [١١٣/٢]. ١١٤ و ٢٠٤/٤.

٧ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٩٣ [٩٧/١]؛ المناقب للخوارزمي: ١٢٦ [ص ١٩٩، ح ٢٤٠].

٨ - أنظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٩٣ [٩٧/١].

٩ - أسنى المطالب [ص ٥٠]؛ مودة القربى لعليّ بن شهاب الدين الهمداني؛ المودة الخامسة.

رواة حديث الغدير من التابعين

قد ذكر شيخنا الأميني رحمه الله في الغدير^(١) (٨٤) من التابعين؛ منهم:

١ - أبو القاسم أصبغ بن نباتة - بضمّ النون - التميمي، الكوفي^(٢).

تابعي ثقة؛ قاله العجلي^(٣) وابن معين.

٢ - سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، العدوي، المدني.

ترجمه الذهبي في تذكرته^(٤) وقال: «إنه الفقيه الحجة أحد من جمع بين العلم والعمل

والزهد والشرف».

وفي التقريب^(٥): «أحد الفقهاء السبعة، كان ثبناً عابداً يُشَبَّهُ بأبيه في الهدى

والسمت، من كبار الثلاثة، مات في آخر سنة (١٠٦) على الصحيح».

٣ - عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي، المتوفى (١٠١)^(٦).

٤ - عمر بن علي أمير المؤمنين.

في التقريب^(٧): «ثقة من الثالثة. مات في زمن الوليد، وقيل قبل ذلك».

٥ - محمد بن عمر بن علي أمير المؤمنين، توفى في خلافة عمر بن عبدالعزيز، ويقال:

سنة (١٠٠).

وثقه ابن حبان^(٨). وقال ابن حجر^(٩): «صدوق من السادسة، مات بعد

١ - [راجع الغدير ١/١٤٥ - ١٦٦].

٢ - أنظر أسد الغابة ٣: ٣٠٧؛ ٥: ٢٠٥ [٣/٤٦٩، رقم ٣٣٤١].

٣ - تاريخ الثقات: ٧١، رقم ١٠٩. ٤ - تذكرة الحفاظ ١: ٧٧ [١/٨٨، رقم ٧٧].

٥ - تقريب التهذيب [١/٢٨٠، رقم ١١، حرف السين].

٦ - أنظر حلية الأولياء لأبي نعيم ٥: ٣٦٤؛ وتاريخ مدينة دمشق ٥: ٣٢٠ [٦/٢٥١].

٧ - تقريب التهذيب: ٢٨١ [٢/٦١، رقم ٤٩٠، حرف العين].

٨ - الثقات [٥/٣٤١]. ٩ - تقريب التهذيب [٢/١٩٤، رقم ٥٦٢، حرف الميم].

الثلاثين»^(١).

٦ - معروف بن خربوذ، بضم الموحدة آخره ذال معجمة^(٢). وثقه ابن حبان^(٣).

طبقات الرواة من العلماء

قد ذكر شيخنا الأمين^(٤) في الغدير^(٥) (٣٦٠) من علماء القرون المتتابعة من القرن الثاني إلى القرن الرابع عشر الذين ذكروا هذا الحديث بأسانيد ماثورة في غضون الكتب؛ فمنهم:

١ - إمام الشافعية أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى (٢٠٤).

روى حديث الغدير^(٥)، كما في نهاية ابن الأثير^(٦).

٢ - محمد بن كثير، أبو عبدالله العبدى، البصري. أخو سليمان بن كثير، وكان أكبر

منه بخمسين سنة.

قال ابن حبان^(٧): «ثقة فاضل، مات (٢٢٣) عن مئة سنة».

٣ - إمام الحنابلة أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفى (٢٤١).

أخرج حديث الغدير بطرق كثيرة صحيحة في المسند والمناقب.

٤ - الحافظ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى (٢٥٦).

صاحب الصحيح الدائر السائر، أحد الصحاح الستة. ذكره في تاريخه^(٨).

١ - [في طبقات ابن سعد/ القسم المتتم ٢٤٩، رقم ١٣٦: وقد أدرك أول خلافة أبي العباس..... وكانت خلافته

بين سنتي ١٣٢ - ١٣٦ هـ].

٢ - ضبط الخزرجي في الخلاصة [٤٤/٣، رقم ٧١٠٧] بفتح المعجمة والمهملة والمشددة والذال المهملة.

٤ - [راجع الغدير ١٦٧/١ - ٣١١].

٣ - الثقات ٥: ٤٣٩.

٥ - أنظر مناقب الشافعي للبيهقي [٣٣٧/١].

٦ - النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٢٤٦ [٢٢٨/٥].

٨ - تاريخ البخاري ١: قسم ١، ص ٣٧٥.

٧ - الثقات [٧٧/٩].

٥- الحافظ محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذيّ، المتوفّى (٢٧٩).

أحد الأئمة الستة أصحاب الصحاح، غنيٌّ عن كلّ توثيق.

٦- الحافظ أحمد بن يحيى البلاذريّ، المتوفّى (٢٧٩).

اعتمد عليه وعلى كتابه أئمة الإسلام في النقل عنه وعن تأليفه منذ عصره حتّى اليوم. أخرج في أنساب الأشراف^(١).

٧- الحافظ عبدالله بن أحمد بن حنبل، أبو عبدالرحمن الشيبانيّ، المتوفّى (٢٩٠).

أطراه الخطيب في تاريخه^(٢) بالثقة والثبت والفهم.

وقال الذهبي في تذكرته^(٣):

ما زلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون لعبدالله بمعرفة الرجال ومعرفة علل الحديث

والأسماء والمواظبة على الطلب، حتّى أفرط بعضهم وقدمه على أبيه - إمام

الحنابلة - في الكثرة والمعرفة.

٨- الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائيّ، صاحب السنن، المتوفّى

(٣٠٣)، وله (٨٨) عاماً.

حكى الذهبي في تذكرته^(٤) عن الدارقطني أنّه قال: «كان النسائيّ أفقه مشايخ

مصر في عصره، وأعلمهم بالحديث».

أخرج حديث الغدير في سننه وخصائصه بطرق كثيرة جُلّها صحيح، رجاله ثقات.

٩- الحافظ محمد بن جرير الطبريّ، أبو جعفر، صاحب التفسير والتاريخ

السائرين، المتوفّى (٣١٠).

ذكره الذهبي في تذكرته^(٥)، وأثنى عليه بالإمامة والزهد والرفض للدنيا. أفرد

١- أنساب الأشراف [١١٢-١٠٨/٢]. ٢- تاريخ بغداد ٩: ٣٧٥.

٣- تذكرة الحفاظ ١: ٢٣٧ [٢/٦٦٥، رقم ٦٨٥]. ٤- تذكرة الحفاظ ٢: ٢٦٨ [٢/٦٩٨، رقم ٧١٩].

٥- تذكرة الحفاظ ١: ٢٧٧-٢٨٣ [٢/٧١٠، رقم ٧٢٨].

كتاباً في الغدير .

١٠ - أبو عمر أحمد بن عبد ربّه القرطبيّ، المتوفّى (٣٢٨).

ترجمه ابن خلّكان في تاريخه^(١) وقال :

كان من العلماء المكثّرين من المحفوظات والاطّلاع على أخبار الناس ،

وصنّف كتابه العقد ، وهو من الكتب الممتعة .

قال في العقد الفريد^(٢) :

أسلم عليّ وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو أوّل من شهد أن لا إله إلا الله .

وأنّ محمّداً رسول الله ، وقال النّبّيّ - عليه الصلاة والسلام - : « من كنت مولاه

فعليّ مولاه ، أللّهم وإل من والاه ، وعاد من عاداه » .

١١ - الحافظ عليّ بن عمر بن أحمد الدارقطنيّ، المتوفّى (٣٨٥).

توجد ترجمته في كثير من معاجم التراجم والتاريخ . قال الخطيب في تاريخه^(٣) :

كان فريد عصره ، وقريع دهره ، ونسيح وحده ، وإمام وقته ، انتهى إليه علم الأثر

والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة ، مع الصدق والأمانة

والفقه والعدالة وقبول الشهادة وصحّة الاعتقاد وسلامة المذهب ،

والاضطلاع بعلوم سوى علم الحديث .

١٢ - المتكلّم القاضي محمّد بن الطيّب بن محمّد ، أبوبكر الباقلاني ، المتوفّى (٤٠٣) ،

من أهل البصرة ، سكن بغداد ، من أكثر الناس كلاماً وتصنيفاً في الكلام . وثقّه الخطيب

في تاريخه^(٤) ، وأثنى عليه .

١٣ - أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبيّ ، النيسابوريّ ، المفسّر المشهور ،

١ - وفيات الأعيان ١ : ٣٤ [١١٠ / ١] ، رقم ٤٦ . ٢ - العقد الفريد ٢ : ٢٧٥ [١٢٢ / ٤] .

٣ - تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤ . ٤ - تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ .

المتوفى (٤٢٧، ٤٣٧). ترجمه ابن خلكان في تاريخه^(١)، وقال:

كان أوحده زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير.

١٤- الحافظ أحمد بن الحسين بن عليّ، أبو بكر البيهقيّ، المتوفى (٤٥٨) عن (٧٤) سنة.

ترجمه جُلّ أرباب معاجم التراجم والتاريخ. قال ابن الأثير في الكامل^(٢):

كان إماماً في الحديث والفقّه على مذهب الشافعيّ، وله فيه مصنّفات أحدها السنن الكبير - عشر مجلّدات - وغيره من التصانيف الحسن، كان عفيفاً زاهداً.

١٥- الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ النمريّ، القرطبيّ،

المولود (٣٦٨)، والمتوفى (٤٦٣) صاحب الاستيعاب. له بسطة كبيرة في علم النسب والأخبار^(٣).

١٦- أبو الحسن عليّ بن محمّد الجلابي، الشافعيّ، المعروف بابن المغازلي، المتوفى

(٤٨٣).

كتابه المناقب^(٤) يعرب عن تطلّعه في الحديث وفنونه.

١٧- الحافظ أبو حامد محمّد بن محمّد الطوسيّ، الغزاليّ، الشهير بحجّة الإسلام،

المتوفى (٥٠٥).

توجد ترجمته والثناء عليه في طيّات معاجم التراجم^(٥).

١- وفيات الأعيان ١: ٢٢ [٧٩/١، رقم ٣١].

٢- الكامل في التاريخ ١٠: ٢٠ [٢٣٨/٦، حوادث سنة ٤٥٨ هـ].

٣- أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٣: ٣٢٤ [١١٢٨/٣، رقم ١٠١٣].

٤- [كتابه مناقب عليّ عليه السلام ذكره الذهبي في معرفة قراء الكبار ٥٦٦/٢. وقد عقد في المناقب ص ١٦ باباً عنوانه: باب

قوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فأخرجه فيه عن تسعة من الصحابة من ١٧ طريقاً من رقم ٢٣-٣٩].

٥- ترجمه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٤: ١٠١-١٨٢ [١٩١/٦، رقم ٦٩٤].

١٨- أبو القاسم جارا لله محمود بن عمر الزمخشري^(١)، المتوفى (٥٣٨). ترجمه ابن خلّكان في تاريخه^(٢) وقال:

الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع تُشدُّ إليه الرحال في فنونه.

١٩- أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم الشهرستاني، الشافعي، المتكلم على مذهب الأشعري، المتوفى (٥٤٨).

قال ابن خلّكان^(٣): «كان إماماً مبرزاً فقيهاً متكلماً». وترجمه السبكي في طبقاته^(٤)، وأثنى عليه وعلى كتابه الملل والنحل. ذكر حديث الغدير في الملل والنحل.

٢٠- أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي، الشافعي، المتوفى (٦٠٦)، صاحب التفسير الكبير الشهير.

ترجمه ابن خلّكان في تاريخه^(٥) وقال:

فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل.

٢١- المحافظ أحمد بن عبدالله فقيه الحرم، محب الدين أبو العباس الطبري، المكي، الشافعي، المتوفى (٦٩٤). ترجمه السبكي في طبقاته^(٦)، وأثنى عليه.

أخرج حديث الغدير في كتابيه: الرياض النضرة، وذخائر العقبى بعدة طرق.

٢٢- المحافظ أحمد بن علي بن محمد، أبو الفضل العسقلاني، المصري، الشافعي، المعروف

١- «زمخشري» - بفتح أوله وثانيه ثم السكون -: قرية من قرى خوارزم كبيرة [معجم البلدان ٣/١٤٧].

٢- وفيات الأعيان ٢: ١٩٧ [٥/١٦٨، رقم ٧١١]. ٣- وفيات الأعيان [٤/٢٧٣، رقم ٦١١].

٤- طبقات الشافعية الكبرى ٤: ٧٨ [٦/١٢٨، رقم ٦٥٣].

٥- وفيات الأعيان ٢: ٤٨ [٤/٢٤٨، رقم ٦٠٠]. ٦- طبقات الشافعية الكبرى ٥: ٩ [٨/١٨، رقم ١٠٤٦].

بابن حجر، المولود (٧٧٣) والمتوفى (٨٢٥)، صاحب الإصابة وتهذيب التهذيب^(١).
 ٢٣- المحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين المصري، السيوطي^(٢)،
 الشافعي، المتوفى سنة (٩١١). ترجمه عبد الحّي في شذراته^(٣). وأثنى عليه وأكثر، وذكر
 تأليفه وقال: «إنه رأى النبي ﷺ بضعا وسبعين مرةً يقظةً». وحكى له كرامة طيّ
 الأرض. وذكره ابن العيدروس في النور السافر^(٤)، وأثنى عليه، وذكر بعض كراماته
 وتأليفه.

٢٤- المحافظ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عليّ بن حجر الهيثمي، السعدي،
 الأنصاري، الشافعي، المولود (٩٠٩) والمتوفى بمكة المكرمة (٩٧٤). بسط القول في
 ترجمته ابن العيدروس في النور السافر^(٥).

٢٥- السيّد محمود بن عبدالله الحسيني، الألوسي، شهاب الدين أبو النّاء البغدادي،
 الشافعي، المولود بالكرخ (١٢١٧) والمتوفى (١٢٧٠).
 أحد نوابغ العراق وأعلامها، الطائر الصيت في الآفاق، المتضلع في الفنون، المشارك
 في العلوم، من أسرة عراقية شهيرة عريقة في العلم والأدب، له تأليف قيّمة كثيرة
 لا يُستهان بعدتها^(٦).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٧).

- ١- بسط القول في ترجمته السخاوي في ضوئه اللامع ٢: ٢٦-٤٠، وذكر مشايخه وتأليفه وأطراه. وأطنب في الثناء
 عليه عبد الحّي في شذرات الذهب ٧: ٢٧٠-٢٧٣ [٣٩٥/٩]، حوادث سنة ٨٥٢هـ.
- ٢- نسبة إلى أسيوط، مدينة في غربي النيل من نواحي الصعيد [معجم البلدان ١/١٩٣].
- ٣- شذرات الذهب ٨: ٥١-٥٥ [٧٤/١٠]، حوادث سنة ٩١١هـ.
- ٤- النور السافر ٥٤-٥٧ [ص ٥١-٥٤]، حوادث سنة ٩١١هـ.
- ٥- النور السافر: ٢٨٧-٢٩٢ [ص ٢٥٨-٢٦٣]، حوادث سنة ٩٧٤هـ؛ وانظر البدر الطالع ١: ١٠٩.
- ٦- توجد ترجمته في أعلام العراق: ٢١؛ ومشاهير العراق ٢: ١٩٨.
- ٧- سورة ق: ٣٧.

المؤلفون في حديث الغدير

بلغ اهتمام العلماء بهذا الحديث إلى غاية غير قريبة، فلم يُقنعهم إخراجهم بأسانيد مبثوثة خلال الكتب حتى أفردته جماعة بالتأليف؛ فدوّنوا ما انتهى إليهم من أسانيده، وضبطوا ما صحّ لديهم من طريقه؛ كل ذلك حرصاً على كلاءة متنه من الدثور، وعن تطرّق يد التحريف إليه؛ فمنهم:

١ - أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبريّ، الآمليّ، المولود (٢٢٤) والمتوفّى (٣١٠).

له كتاب الولاية في طرق حديث الغدير، رواه فيه من نيف وسبعين طريقاً.

قال الحموي في معجم الأدباء في ترجمة الطبري:

له كتاب فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام تكلم في أوّله بصحّة الأخبار الواردة في غدير خمّ ثمّ تلاه بالفضائل ولم يتمّ^(١).

وقال:

وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعدّه وأطرّحه^(٢).

٢ - أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمدانيّ، الحافظ المعروف بابن عقدة، المتوفّى (٣٣٣).

له كتاب الولاية في طرق حديث الغدير، رواه بمئة وخمس طرق. أكثر النقل عنه ابن الأثير في أسد الغابة، وابن حجر في الإصابة.

وأنهاها شيخنا العلامة عليه السلام في الغدير^(٣) إلى (٢٦) تأليفاً، وقال في الختام: وهناك تأليف أخرى تخصّ هذا الموضوع يأتي ذكرها في صلاة الغدير إن شاء الله.

﴿... إِنَّهَا تَذِكْرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾^(٤).

٢ - المدرك السابق: ٨٤.

١ - معجم الأدباء ١٨: ٨٠.

٤ - عبس: ١١ - ١٣.

٢ - [راجع الغدير ١/ ٣١٣ - ٣٢٥].

الغدير في الكتاب العزيز

سلف الإيعاز^(١) منّا إلى أنّ الله سبحانه شاء أن يبقى حديث الغدير غرضاً طرياً لا يُبليه المَلَوَانِ^(٢)، ولا يأتي جدّته مرُّ الحقب والأعوام؛ فأنزل حوله آيات ناصعة البيان، تُرثله الأُمّة صباحاً ومساءً؛ فكأنه سبحانه في كلّ ترتيلة لآيٍ منها يلفت نظر القارئ، وينكت في قلبه، أو ينقر في أذنه ما يجب عليه أن يدين الله تعالى به في باب خلافته الكبرى.

- ١ -

آية التبليغ

فمن الآيات الكريمة قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٣).

نزلت هذه الآية الشريفة يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع (١٠ هـ) لما بلغ النبي الأعظم ﷺ غدير خم، فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النهار، فقال:

يا محمد! إنّ الله يُقرئك السلام، ويقول لك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في عليٍّ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾.

وكان أوائل القوم - وهم مئة ألف أو يزيدون - قريباً من الجحفة فأمره أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان، وأن يُقيم عليّاً عليه السلام علماً للناس، ويبلّغهم ما أنزل الله فيه، وأخبره بأن الله عزّ وجلّ قد عصمه من الناس.

وما ذكرناه من المتسالم عليه عند أصحابنا الإماميّة، غير أنّنا نحتج في المقام

٢ - [المَلَوَانِ]: الليل والنهار.

١ - أنظر ماضى في ص ٥٨٢ - ٥٨٤.

٣ - المائدة: ٦٧.

بأحاديث أهل السنة في ذلك. أنهاها شيخنا الأميني رحمته الله في الغدير^(١) إلى (٣٠) حديثاً منها:

١ - الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى (٣١٠).

أخرج بإسناده - في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير - عن زيد بن أرقم، قال: لما نزل النبي ﷺ بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع، وكان في وقت الضحى وحر شديد، أمر بالدوحات فقمّت، ونادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب بالغة، ثم قال:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ إِلَيَّ: ﴿بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كل أبيض وأسود: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَالْإِمَامَ بَعْدِي. فسألت جبرئيل أن يستعني لي ربي؛ لعلمي بقلّة المتّقين، وكثرة المؤذنين لي، واللائمين لكثرة ملازمتي لعليّ، وشدة إقبالي عليه، حتّى سمّوني أذنّاً؛ فقال تعالى ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾^(٢).

ولو شئت أن أسميهم وأدلّ عليهم لفعلت، ولكني بسترهم قد تكرّمت، فلم يرض الله إلاّ بتبليغي فيه.

فاعلموا معاشر الناس ذلك؛ فإنّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً وفرض طاعته على كلّ أحد، ماضٍ حكمه، جائز قوله، ملعونٌ من خالفه، مرحومٌ من صدّقه، اسمعوا وأطيعوا؛ فإنّ الله مولاكم وعليّ إمامكم. ثمّ الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة. لا حلال إلاّ ما أحلّه الله ورسوله، ولا حرام إلاّ ما حرّم الله ورسوله وهم؛ فما من علم إلاّ وقد أحصاه الله فيّ، ونقلته إليه، فلا تضلّوا عنه، ولا تستنكفوا منه؛ فهو الذي يهدي إلى الحقّ^(٣) ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره، ولن يغفر له، حتماً على الله أن

٢ - التوبة: ٦١.

١ - أنظر الغدير ١/ ٤٢٤ - ٤٢٨.

٣ - [قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْخَيْرِ أَحَقُّ أَنْ يُسَبِّحَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْذَى﴾، يونس: ٣٥].

يفعل ذلك أن يعذبه عذاباً نكراً أبداً الأبدين، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي عن جبرئيل عن الله، فلتنظر نفس ما قدمت لغد^(١).
 إفهموا محكم القرآن، ولا تتبعوا مُتشابهه، ولن يفسر ذلك لكم إلا من أنا آخذ بيده
 وشائل بعضه ومعلمكم: أن من كنت مولاه فهذا - فعلي - مولاه، وموالاته من الله
 عز وجل أنزلها علي.

ألا وقد أديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أو ضحت، لا تحل إمرة
 المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركة النبي ﷺ وقال:

معاشر الناس هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخلفتي على من آمن بي وعلى
 تفسير كتاب ربي - وفي رواية -: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه والعن من أنكره،
 واغضب على من جحد حقه. اللهم إنك أنزلت عند تبين ذلك في علي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
 لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٢) بإمامته، فمن لم يأتهم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة، فأولئك
 حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون.

إن إبليس أخرج آدم ﷺ من الجنة، مع كونه صفوة الله، بالحسد؛ فلا تحسدوا فتحبط
 أعمالكم وتزل أقدامكم. في علي نزلت سورة ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ^(٣).

معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَطْمِئِنَّ وَجُوهًا
 فَنَرَدُّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾^(٤). النور من الله في، ثم في علي، ثم
 في النسل منه إلى القائم المهدي.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، الحشر: ١٨.

٢ - المائدة: ٣.

٣ - في الدر المنثور ٦: ٣٩٢ [٨ / ٦٢٢] من طريق ابن مردويه عن ابن عباس: «أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ نَزَلَ فِي عَلِيٍّ وَسَلْمَانَ».

٤ - النساء: ٤٧.

معاشر الناس سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون، وإن الله وأنا بريئان منهم، إنهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً، فعندها يُفرغ لكم أيها الثقلان، و﴿يُزَسَّلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظُ مِّنْ نَّارٍ وَنَعَاسٌ فَلَا تَنُصِرَانِ﴾^(١)...».

٢ - الحافظ الحاكم الحسكاني، أبو القاسم، المتوفى بعد (٤٩٠) (٢).

٣ - الحافظ أبو القاسم بن عساكر، الشافعي، المتوفى (٥٧١) (٣).

٤ - أبو عبدالله فخر الدين الرازي، الشافعي، المتوفى (٦٠٦) (٤).

٥ - جلال الدين السيوطي، الشافعي، المتوفى (٩١١) (٥).

٦ - القاضي الشوكاني، المتوفى (١٢٥٠) في تفسيره فتح القدير (٦).

٧ - السيّد شهاب الدين الآلوسي، الشافعي البغدادي، المتوفى (١٢٧٠) (٧).

٨ - الشيخ سليمان القندوزي، الحنفي، المتوفى (١٢٩٣) (٨).

٩ - الشيخ محمد عبده المصري، المتوفى (١٣٢٣) (٩).

القول الفصل

ذكر المتوسّعون في النقل وجوهاً آخرَ لزوالها. وأوّل من عرفناه ممّن ذكرها الطبري في تفسيره^(١٠)، ثمّ تبعه من تأخّر عنه، وأنهاها الفخر الرازي^(١١) إلى تسعة أوجه، وعاشرها ما ذكرناه في هذا الكتاب.

٢ - شواهد التنزيل [٢٥٥/١ ح ٢٤٩].

١ - الرحمن: ٣٥.

٤ - التفسير الكبير ٣: ٦٣٦ [٤٩/١٢].

٣ - تاريخ مدينة دمشق [٢٣٧/١٢].

٦ - فتح القدير ٢: ٥٧ [٦٠/٢].

٥ - الدرّ المشثور ٢: ٢٩٨ [١١٦/٣].

٨ - ينابيع المودة: ١٢٠ [١١٩/١ باب ٣٩].

٧ - روح المعاني ٢: ٣٤٨ [١٩٢/٦].

١٠ - جامع البيان: مج ٤: ج ٦: ٣٠٧.

٩ - تفسير المنار ٦: ٤٦٣.

١١ - التفسير الكبير ٣: ٦٣٥ [٤٩/١٢].

وما حشده الرازي في تفسيره^(١) من الوجوه العشرة - وجعل نصّ الغدير عاشرها - فهي مراسيل مقطوعة عن الإسناد غير معلومة القائل؛ ولذا عُزي جميعها في تفسير نظام الدين النيسابوري^(٢) إلى القيل، وجعل ما رُوي في نصّ الولاية أوّل الوجوه، وأسنده إلى ابن عباس والبراء بن عازب وأبي سعيد الخدريّ ومحمد بن عليّ عليه السلام. والطبريّ الذي هو أقدم وأعرف بهذه الشؤون أهملها رأساً. وهو وإن لم يذكر حديث الولاية - أيضاً - لكنّه أفرد له كتاباً أخرجه فيه بنيف وسبعين طريقاً. فهي غير صالحة للاعتماد عليها، ولا ناهضة لمجابهة الأحاديث المعتبرة.

ذيل في المقام:

قال القرطبي في تفسيره^(٣) في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»:

فَبَحَّ اللَّهُ الرّواض حيث قالوا: إِنَّهُ ﷺ كَتَمَ شَيْئاً مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ كَانَ بِالنَّاسِ حَاجَةٌ إِلَيْهِ .

وزاد القسطلاني في إرشاد الساري^(٤) ضغثاً على إِبالة فقال:

قالت الشيعة: إِنَّهُ قد كَتَمَ أَشْيَاءَ على سبيل التَّقِيَّةِ .

وليتها أوعزا إلى مصدر هذه الفِريّة على الشيعة. والشيعة لم تجرؤ قطّ على قُدس صاحب الرسالة بإسناد كتمان ما يجب عليه تبليغه إليه ﷺ إلا أن يكون للتبليغ ظرف معيّن؛ فما كان يسبق الوحي الإلهيّ بتقديم المظاهرة به قبل ميعاده.

اللَّهُمَّ إِنْ كَانَا - الرجلان - يُعِينَانِ النظر في أقاويل أصحابهم المقولة في الآية الكريمة

١ - المدرك السابق . ٢ - غرائب القرآن [١٩٤/٦].

٣ - الجامع لأحكام القرآن ٦: ٢٤٢ [١٥٧/٦].

٤ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٧: ١٠١ [٢١٠/١٠].

من الوجوه العشرة التي ذكرها الرازي لوقفنا على قائل ما قذفا الشيعة به؛ فإن منهم من يقول: إن الآية نزلت في الجهاد؛ فإنه ﷺ كان يُمسك أحياناً من حث المنافقين على الجهاد. وآخر منهم يقول: إنها نزلت لما سكت النبي عن عيب آلهة الوثنيين!. وثالث يقول: كتم آية التخيير عن أزواجه؛ وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ...﴾^(١)؛ فلم يعرضها عليهن خوفاً من اختيارهن الدنيا. فنزول الآية على هذه الوجوه ينبي عن قعود النبي عما أرسل إليه! حاشا نبي العظمة والقداسة.

﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾^(٢).

- ٢ -

إكمال الدين بالولاية

ومن الآيات النازلة يوم الغدير في أمير المؤمنين ﷺ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣). أصفقت الإمامية عن بكرة أبيهم على نزول هذه الآية الكريمة حول نص الغدير بعد إصحار النبي ﷺ بولاية مولانا أمير المؤمنين ﷺ بألفاظ دُرِّيَّة صريحة، تتضمن نصاً جلياً عرفته الصحابة وفهمته العرب، فاحتجَّ به من بلغه الخبر. وصافق الإمامية على ذلك كثيرون من علماء التفسير وأئمة الحديث وحفظة الآثار من أهل السنة. وهو الذي يساعده الاعتبار ويؤكد النقل الثابت في تفسير الرازي^(٤) عن أصحاب الآثار:

أنه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ لم يُعمر بعد نزولها إلا أحداً وثمانين يوماً، أو اثنين وثمانين.

٢- الحاقة: ٤٨ - ٤٩.

١- الأحزاب: ٢٨.

٤- التفسير الكبير ٣: ٥٢٣ [١١/١٣٩].

٣- المائدة: ٣.

وذكر المؤرخون منهم^(١): أن وفاته ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول. وكان فيه تسامحاً بزيادة يوم واحد على الاثنين وثمانين يوماً بعد إخراج يومي الغدير والوفاة. وعلى أيّ فهو أقرب إلى الحقيقة من كون نزولها يوم عرفة؛ كما جاء في صحيح البخاري ومسلم^(٢) وغيرهما؛ لزيادة الأيام حينئذٍ.

على أن ذلك معتضدٌ بنصوصٍ كثيرة لا يحصى عن الخضوع لمفادها؛ فإلى الملتقى:

١- الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى (٣١٠).

روى في كتاب الولاية بإسناده عن زيد بن أرقم نزول الآية الكريمة يوم غدير خم في أمير المؤمنين ﷺ في الحديث الذي مرّ^(٣).

٢- الحافظ ابن مردويه الاصفهاني، المتوفى (٤١٠).

روى من طريق أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري: أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم حين قال لعليّ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه».

ثم رواه عن أبي هريرة، وفيه: أنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة؛ يعني مرجعه ﷺ من حجة الوداع^(٤).

٣- الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، المتوفى (٤٣٠)^(٥).

٤- الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني، المتوفى بعد (٤٩٠)^(٦).

٥- الحافظ أبو القاسم بن عساكر الشافعي، الدمشقي، المتوفى (٥٧١)^(٧).

١- راجع تاريخ الكامل ٢: ١٣٤ [٩/٢]، حوادث سنة ١١ هـ؛ وتاريخ ابن كثير ٦: ٣٣٢ [البداية والنهاية ٦/٣٦٥،

حوادث سنة ١١ هـ] وعده مشهوراً؛ والسيرة الحليّة ٣: ٣٨٢ [٣/٣٥٣].

٢- صحيح البخاري [٤/١٦٠٠، ح ٤١٤٥]؛ صحيح مسلم [٥/٥١٧، ح ٣، كتاب التفسير].

٣- في ص ٥٩٧-٥٩٩ من كتابنا هذا. ٤- تفسير ابن كثير ٢: ١٤.

٥- أنظر كتابه ما نزل من القرآن في عليّ [ص ٥٦]. ٦- شواهد التنزيل [١/٢٠١، ح ٢١١].

٧- الدر المنثور ٢: ٢٥٩ [٣/١٩].

٦ - أخطب الخطباء الخوارزمي، المتوفى (٥٦٨) (١).

٧ - جلال الدين السيوطي، الشافعي، المتوفى (٩١١) (٢).

وغيرهم ممن صرحوا بنزول الآية يوم الغدير في ولاية علي بن أبي طالب (٣).
وبعد هذا كله، فإن تعجب فعجب قول الآلوسي في روح المعاني (٤):

أخرج الشيعة عن أبي سعيد الخدري أن هذه الآية نزلت بعد أن قال النبي ﷺ
لعليّ - كرم الله وجهه - في غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». فلما نزلت
قال ﷺ: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برساني،
وولاية عليّ - كرم الله تعالى وجهه - بعدي». ولا يخفى أن هذا من مفترياتهم،
وركاكة الخبر شاهد على ذلك في مبتدأ الأمر.

ونحن لا نحتمل أن الآلوسي لم يقف على طرق الحديث ورواته حتى حداه الجهل
الشائن إلى عزو الرواية إلى الشيعة فحسب، لكن بواعثه دعت إلى التويه والجلبه أمام
تلك الحقيقة الراهنة، وهو لا يحسب أن وراءه من يناقشه الحساب بعد الاطلاع على
كتب أهل السنة ورواياتهم.

ألا مسائل هذا الرجل عن تخصيصه الرواية بالشيعة، وقد رواها من أئمة الحديث
وقادة التفسير وحمله التاريخ من غيرهم؟!

ثم عن حصره إسناد الحديث بأبي سعيد، وقد رواها أبو هريرة وجابر ابن عبد الله
ومجاهد والإمامان الباقر والصادق عليه السلام له؟!

ثم عن الركاكة التي حسبها في الحديث، وجعلها شاهداً على كونه من مفتريات

١ - المناقب: ٨٠ و ٩٤ [ص ١٣٥، ح ١٥٢ وص ١٥٦، ح ١٨٤].

٢ - الدرّ المشثور ٢: ٢٥٩ [١٩/٣].

٣ - كالمخطيب البغدادي في تاريخه ٨: ٢٠٩؛ وابن المغازلي الشافعي في كتابه مناقب علي بن أبي طالب [ص ١٨،

٤ - روح المعاني ٢: ٢٤٩ [٦١/٦].

الشيعة: أهى في لفظه؟ ولا يعدوه أن يكن لِدَّةَ سائر الأحاديث المروية، وهو خالٍ عن أيّ تعقيد، أو ضعف في الأسلوب، أو تكلف في البيان، أو تنافر في التركيب، جارٍ على مجاري العربية المحضة.

أو في معناه؟ وليس فيه منها شيء.

غير أن يقول الآلوسي: إنّ ما يُروى في فضل أمير المؤمنين ﷺ وما يُسند إليه من فضائل كلّها ركيكة؛ لأنّها في فضله؛ وهذا هو النصب المُسِفُّ بصاحبه إلى هُوّة الهلكة.

﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذَكُّرٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١).

- ٣ -

العذاب الواقع

ومن الآيات النازلة بعد نصّ الغدير قوله تعالى من سورة المعارج:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾^(٢).

وقد أذعنت له الشيعة، وجاء مثبتاً في كتب التفسير والحديث لمن لا يُستهان بهم من علماء أهل السنة.

ذكر شيخنا العلامة في الغدير تسعة وعشرين من علماء أهل السنة؛ منها:

١- الحافظ أبو عبيد الهروي، المتوفى بمكة (٢٢٣، ٢٢٤).

روى في تفسيره غريب القرآن قال: «لما بلغ رسول الله ﷺ في غدير خُمّ ما بلغ، وشاع ذلك في البلاد أتى جابر^(٣) بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي فقال:

١- المدثر: ٥٤-٥٦.

٢- المعارج: ١-٣.

٣- في رواية الثعلبي التي أصفق العلماء على نقلها أسمته: «الحارث بن النعمان الفهري». ولا يبعد صحة ما في هذه الرواية من كونه جابر بن النضر؛ حيث إنّ جابراً قتل أمير المؤمنين ﷺ والده النضر صبراً بأمر من رسول الله، لما أسر يوم بدر الكبرى، وكانت الناس - يومئذٍ - حديثي عهد بالكفر، ومن جرّاء ذلك كانت البغضاء محتدمة بينهم على الأوتار الجاهلية.

يا محمد! أمرتنا من الله نشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وبالصلاة، والصوم، الحج، والزكاة، فقبلنا منك، ثم لم ترضَ بذلك حتى رفعت بضيع ابن عمك ففضّلته علينا، وقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فهذا شيء منك، أم من الله؟ فقال رسول الله: «والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله».

فولى جابر يريد راحلته، وهو يقول: أَللّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر، فسقط على هامته، وخرج من دبره، وقتله، وأنزل الله تعالى: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...».

٢- أبو بكر يحيى القرطبي^(١)، المتوفى (٥٦٧).

«وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أَمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاسُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢).

نظرة في الحديث

لم نجد من قريبٍ أو مناوئٍ غمزاً فيه أو وقيةً في نقله، مهما وجدوا رجال إسناده ثقات فأخبتوا إليه، عدا ما يؤثر عن ابن تيمية^(٣) في منهاج السنة^(٤) فقد ذكر وجوهاً في إبطال الحديث كشف بها عن سوءه، كما هو عادته في كلّ مسألة تفرّد بالتحذلق فيها عند مناوأة فرق المسلمين، ونحن نذكرها مختصرةً ونجيب عنها:

الوجه الأول: أن قصّة الغدير كانت في مرتجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع،

٢- العنكبوت: ١٨.

١- الجامع لأحكام القرآن [١٨١/١٨].

٣- ابن تيمية الدائب على إنكار الضروريات، والمتجرى على الوقية في المسلمين، وعلى تكفيرهم وتضليلهم؛ ولذلك عاد غرضاً لنبال الجرح من فطاحل علماء أهل السنة منذ ظهرت بخاريقه وإلى هذا اليوم. وحسبك قول الشوكاني في البدر الطالع ٢: ٢٦٠ [رقم ٥١٥]: «صرّح محمد البخاري الحنفي - المتوفى (٨٤١) - بتهديه ثم تكفيره، ثم صار يصرّح في مجلسه: أن من أطلق القول على ابن تيمية أنه شيخ الإسلام، فهو بهذا الإطلاق كافر».

٤- منهاج السنة ٤: ١٣.

وقد أجمع الناس على هذا، وفي الحديث: أنها لما شاعت في البلاد جاءه الحارث وهو بالأبطح بمكة، وطبع الحال يقتضي أن يكون ذلك بالمدينة؛ فالمفتعل للرواية كان يجهل تاريخ قصة الغدير.

الجواب:

أولاً: في رواية الحلبي في السيرة^(١)، وسبط ابن الجوزي في التذكرة^(٢)، والشيخ محمد صدر العالم في معارج العلى: أن مجيئ السائل كان في المسجد - إن أريد منه مسجد المدينة - ونص الحلبي على أنه كان بالمدينة؛ لكن ابن تيمية عزب عنه ذلك كله، فطفق يهملج في تفنيد الرواية بصورة جزمية.

ثانياً: فإن مغاضاة الرجل عن الحقائق اللغوية، أو عصبية العمياء التي أسدلت بينه وبينها ستور العمى، ورطته في هذه الغمرة، فحسب اختصاص الأبطح بحوالي مكة. ولو كان يراجع كتب الحديث ومعاجم اللغة والبلدان، والأدب^(٣) لوجد فيها نصوص أربابها بأن الأبطح: كل مسيل فيه دقاق الحصى، وقولهم في الإشارة إلى بعض مصاديقه: ومنه بطحاء مكة. وعرف أنه يطلق على كل مسيل يكون بتلك الصفة، وليس جِجراً على أطراف البلاد وأكناف المفاوز أن تكون فيها أباطح.

الوجه الثاني: أن سورة المعارج مكية باتفاق أهل العلم، فيكون نزولها قبل واقعة الغدير بعشر سنين، أو أكثر من ذلك.

١- السيرة الحلبية [٢/٢٧٤].

٢- تذكرة الخواص [ص ٣٠].

٣- أنظر صحيح البخاري ١: ١٨١ [٢/٥٥٦، ح ١٤٥٩]؛ و ١: ١٧٥ [١/١٨٣، ح ٤٧٠]؛ صحيح مسلم ١: ٣٨٢

[٣/١٥٤، ح ٤٣٠ و ٤٣٢، كتاب الحج]؛ و ١: ٣٨٢ [٢/١٥٥، ح ٤٢٣، كتاب الحج]؛ و ٢: ٢١٣ و ٢١٥ و

٢٢٢ [معجم البلدان ١/٤٤٤ و ٤٤٦ و ٤٥٠]؛ لسان العرب ٣: ٢٣٦ [١/٤٢٨]؛ الصحاح للجوهري

[١/٣٥٦]؛ شرح ديوان أمير المؤمنين عليه السلام للمبيني: [ص ١٩٧]؛ ديوان الشريف الرضي: ١٩١ و ١٩٤ و

١٩٨ و ٢٠٥ [١/٢٤٧ و ٢٥٠ و ٢٥٥ و ٢٥٦].

الجواب:

إنّ المتيقّن من معقد الإجماع المذكور هو نزول مجموع السورة مكياً، لا جميع آياتها؛ فيمكن أن يكون خصوص هذه الآية مدنيّاً كما في كثير من السور.

الوجه الثالث: أنّها نزلت بسبب ما قاله المشركون بمكّة، ولم ينزل عليهم العذاب هناك لوجود النبي ﷺ بينهم؛ لقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١).

الجواب:

لا ملازمة بين عدم نزول العذاب في مكّة على المشركين، وبين عدم نزوله هاهنا على الرجل؛ فإنّ أفعال المولى سبحانه تختلف باختلاف وجوه الحكمة؛ فكان في سابق علمه إسلام جماعة من أولئك بعد حين، أو وجود مسلمين في أصلابهم، فلو أبادهم بالعذاب النازل لأهمّلت الغاية المتوخّاة من بعث الرسول ﷺ.

ولمّا لم ير سبحانه ذلك الوجه في هذا المنتكس على عقبه عن دين الهدى بقليله ذلك، ولم يكن ليُبدّل مؤمناً - كما عرف ذلك نوح عليه السلام من قومه؛ فقال: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٢) - قطع جرثومة فسادهم بما تمناه من العذاب الواقع.

ووجود الرسول ﷺ رحمةٌ تذكّر العذاب عن الأمة، إلّا أنّ تمام الرحمة أن يكون فيها مكتسح للعراقيل أمام السير في لاجب الطريق المهيع؛ ولذلك قمّ سبحانه ذلك الجذم^(٣) الخبيث، للخلاف عمّا أبرمه النبي الأعظم في أمر الخلافة، كما أنّه في حروبه ومغازيه كان يحتاج أصول الغيّ بسيفه الصارم، وكان يدعو على من شاهد عتوه، ويشس من إيمانه، فتُجاب دعوته:

١ - الأنفال: ٣٣. [ويمكن القول إنّ الآية في عصاة المسلمين، وأمّا من ارتدّ عن الإسلام وكذب النبي ﷺ وطلب

العذاب من الله تحديّاً واستخفافاً فعلى الله أن يعجل عليه نقمته].

٢ - نوح: ٢٧.

٣ - [«جذم الشيء»: أصله].

أخرج مسلم في صحيحه^(١) بالإسناد عن ابن مسعود: أن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطؤوا عن الإسلام، قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»؛ فأصابهم سنة فحصت كل شيء، حتى أكلوا الجيف والميتة حتى إن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع؛ فذلك قوله: «يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ»^(٢). ورواه البخاري^(٣).

وفي الإصابة^(٤) أخرج البيهقي^(٥) من طريق مالك بن دينار: حدثني هند بن خديجة زوج النبي ﷺ: مرّ النبي ﷺ بالحكم [الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبي مروان]، فجعل الحكم يغمز النبي ﷺ بإصبعه فالتفت فرآه، فقال: «اللهم اجعله وزغاً»، فزحف مكانه.

الوجه الرابع: أنه لو صحّ ذلك لكان آية كآية أصحاب الفيل، ومثلها تتوفّر الدواعي لنقله. ولما وجدنا المصنّفين في العلم من أرباب المسانيد والصحاح والفضائل والتفسير والسير ونحوها قد أهملوه رأساً - فلا يروى إلا بهذا الإسناد المنكر - فعلم أنه كذب باطل.

الجواب:

إنّ قياس هذه - التي هي حادثة فردية لا تُحدث في المجتمع فراغاً كبيراً يؤبه له، وورائها أغراض مستهدفة تحاول إسدال ستور الإنساء عليها، كما أسدلوها على نصّ الغدير نفسه - بواقعة أصحاب الفيل - تلك الحادثة العظيمة التي عداها في الإرهاصات النبوية، وفيها تدمير أمة كبيرة يشاهد العالم كلّ فراغها الحادث، وإنقاذ أمة هي أرقى الأمم، والإبقاء عليها وعلى مقدّساتها، وبيتها الذي هو مطاف الأمم، ومقصد الحجيج،

١ - صحيح مسلم ٢: ٤٦٨ [٣٤٢/٥] ح ٣٩، كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

٢ - الدخان: ١٠. ٣ - صحيح البخاري ٢: ١٢٥ [١٧٣٠/٤] ح ٤٤١٦.

٤ - الإصابة ١: ٣٤٦. ٥ - دلائل النبوة [٢٤٠/٦].

وهو يومئذٍ أكبر مظهر من مظاهر الصقع الربوبيّ - في توقّر الدواعي لنقلها مجازفةً ظاهرة؛ فإنّ من حكم الضرورة أنّ الدواعي في الأولى دونها في الثانية. كما تجد هذا الفرق لائحاً بين معاجز النبي ﷺ؛ فمنها ما لم يُنقل إلّا بأخبار آحاد، ومنها ما تجاوز حدّ التواتر، ومنها ما هو المتسالم عليه بين المسلمين بلا اعتناء بسنده، وما ذلك إلّا لاختلاف موارد العظمة فيها أو المقارنات المحتقّة بها.

وأما ما ادّعاه ابن تيميّة من إهمال طبقات المصنّفين لها فهو مجازفة أخرى؛ لما أسلفناه من رواية المصنّفين لها من أئمة العلم وحملّة التفسير، وحفّاظ الحديث، ونقله التاريخ الذين تضمّنت المعاجم فضائلهم الجمّة، وتعاقب من العلماء إطراؤهم.

وإلى الغاية لم نعرف المشار إليه في قوله: «بهذا الإسناد المنكر»؛ فإنّه لا ينتهي إلّا إلى حذيفة بن اليمان الصحابيّ العظيم^(١)، وسفيان بن عيينة المعروف بإمامته في العلم والحديث والتفسير وثقته في الرواية^(٢).

لكن ابن تيميّة استنكر السند، وناقش في المتن؛ لأنّ شيئاً من ذلك لا يلائم دعارة خطّته.

الوجه الخامس: أنّ المعلوم من هذا الحديث أنّ حارثاً المذكور كان مسلماً باعترافه بالمبادئ الخمسة الاسلاميّة، ومن المعلوم بالضرورة أنّ أحداً من المسلمين لم يصبه عذابٌ على العهد النبويّ.

الجواب:

إنّ الحديث كما أثبت إسلام الحارث فكذلك أثبت ردّته برده قول النبي ﷺ وتشكيكه فيما أخبر به عن الله تعالى، والعذاب لم يأت على حين إسلامه، وإنّما جاء بعد

١ - أنظر صحيح مسلم [٤١١/٥، ح ٢٤، كتاب الفتن]، التفرّب لابن حجر: ٨٢ [١/١٥٦، رقم ١٨٣]؛ تهذيب

التهذيب [١٩٣/٢].

٢ - تذكرة الحفّاظ ١: ١٦١، رقم ٢٤٩، وفيات الأعيان [٢/٣٩١، رقم ٢٦٧].

الكفر والإرتداد؛ فإنه بعد سماعه الحديث شك في نبوة النبي ﷺ.

على أن في المسلمين من شملته العقوبة لما تجرؤوا على قدس صاحب الرسالة كما مر حديثه في جواب الوجه الثالث. وروى مسلم في صحيحه^(١) عن سلمة بن الأكوع: أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بشماله، فقال: «كُلْ يمينك».

قال: لا أستطيع. قال: «لا استطعت». قال: فما رفعها إلى فيه بعد.

الوجه السادس: أن الحارث بن النعمان غير معروف في الصحابة، ولم يذكره ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن مندة وأبونعيم الأصبهاني وأبوموسى في تآليف الفوها في أسماء الصحابة؛ فلم نتحقق وجوده.

الجواب:

إن معاجم الصحابة غير كافية لاستيفاء أسمائهم؛ فكل مؤلف من أربابها جمع ما وسعته حيطته، وأحاط به اطلاعه، ثم جاء المتأخر عنه فاستدرك على من قبله بما أوقفه السير في غضون الكتب وتضاعيف الآثار^(٢)؛ فالنافي لشخص لم يجد اسمه في كتب هذا شأنها، خارج عن ميزان النصفه، ومتحايذ عن نواميس البحث.

على أن من المحتمل قريباً أن مؤلفي معاجم الصحابة أهملوا ذكره لردته الأخيرة.

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ»^(٣).

حديث التهنة

أخرج الإمام الطبري محمد بن جرير في كتاب الولاية حديثاً بإسناده عن زيد بن أرقم، وفي آخره: فقال ﷺ:

«معاشر الناس قولوا: أعطيناك على ذلك عهداً عن أنفسنا، وميثاقاً بالسننتنا،

١ - صحيح مسلم [٢٥٩/٤، ح ١٠٧، كتاب الأشربة].

٢ - أظن الإصابة [٢/١ - ٤].

٣ - لقمان: ٢٠.

وصفقةً بأيدينا، نؤديه إلى أولادنا وأهالينا، لا نبغي بذلك بدلاً، وأنت شهيدٌ علينا، وكفى بالله شهيداً.

قولوا ما قلتُ لكم، وسلّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، قولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١)؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ صَوْتٍ وَخَائِنَةَ كُلِّ نَفْسٍ ﴿فَمَنْ تَكَبَّ فِتْنًا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢). قولوا ما يُرضي الله عنكم ف﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾^(٣).

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا. وكان أول من صافق النبي ﷺ وعليّاً: أبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس إلى أن صلى الظهرين في وقت واحد، وامتدّ ذلك إلى أن صلى العشاءين في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافحة ثلاثاً. وقال المؤرّخ ابن خاوند شاه^(٤) المتوفى (٩٠٣) في روضة الصفا^(٥) بعد ذكر حديث الغدير ما ترجمته:

«ثمّ جلس رسول الله في خيمة تختصّ به، وأمر أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أن يجلس في خيمة أخرى، وأمر إطباق الناس بأن يهتئوا عليّاً في خيمته. ولما فرغ الناس عن التهنئة له أمر رسول الله أمّهات المؤمنين بأن يسرنّ إليه ويهتئنّه ففعلن. وممنّ هنّاء من الصحابة عمر بن الخطّاب؛ فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات».

٢- الفتح: ١٠.

١- الأعراف: ٤٣.

٣- الزمر: ٧.

٤- تاريخ روضة الصفا: الجزء الثاني من مج ١: ١٧٣ [٥٤١/٢].

٥- ينقل عنه عبدالرحمن الدهلوي في مرآة الأسرار وغيره معتمدين عليه.

وخصوص حديث تهنئة الشيخين رواه من أئمة الحديث والتفسير والتاريخ من رجال السنة كثير لا يستهان بعدتهم بين راوٍ مرسلًا له إرسال المسلم، وبين راوٍ إياه بمسانيد صحاح رجال ثقات تنتهي إلى غير واحد من الصحابة؛ كابن عباس، وأبي هريرة، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم.

ذكر شيخنا العلامة ﷺ في الغدير^(١) (٦٠) ممن رووه؛ منهم:

- ١ - إمام الحنابلة أحمد بن حنبل، المتوفى (٢٤١) (٢).
- ٢ - الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى (٣١٠)، في تفسيره^(٣).
- ٣ - حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، المتوفى (٥٠٥) (٤).
- ٤ - وأبو الفتح الأشعري الشهرستاني، المتوفى (٥٤٨) (٥).
- ٥ - فخر الدين الرازي الشافعي، المتوفى (٦٠٦) (٦).
- ٦ - جلال الدين السيوطي، المتوفى (٩١١) (٧).

عودُ إلى البدء

إنَّ هذه التهنئة المشفوعة بأمر من مصدر النبوة، والمصافقة بالبيعة المذكورة، مع ابتهاج النبي بها بقوله: «الحمد لله الذي فضّلنا على جميع العالمين»، على ما عرفته من نزول الآية الكريمة في هذا اليوم المشهود الناصّة بإكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ بما وقع فيه.

وقد عرف ذلك طارقُ بن شهاب الكتّابيُّ الذي حضر مجلس عمر بن الخطّاب

١ - [راجع الغدير ١/٥١٠-٥٢٧].

٢ - مسند أحمد ٤: ٢٨١ [٥/٣٥٥، ح ١٨٠١١].

٣ - تفسير الطبري ٣: ٤٢٨.

٤ - سرّ العالمين: ٩ [ص ٢١].

٥ - الملل والنحل المطبوع في هامش الفصل لابن حزم ١: ٢٢٠ [الملل والنحل ١/١٤٥].

٦ - التفسير الكبير ٣: ٦٣٦ [١٢/٤٩].

٧ - رواه في جمع الجوامع كما في كنز العمال ٦: ٢٩٧ [١٣/١٣٣، ح ٣٦٤٢٠].

فقال: «لو نزلت فينا هذه الآية^(١) لآخذنا يوم نزولها عيداً»^(٢)، ولم ينكرها عليه أحد من الحضور، وصدر من عمر ما يشبه التقرير لكلامه.

كلُّ هذه لا محالة قد أكسب هذا اليوم منعة وبذخاً ورفعةً وشموخاً، سرَّ موقعها صاحب الرسالة الخاتمة وأئمة الهدى ومن اقتصَّ أثرهم من المؤمنين؛ وهذا هو الذي نعنيه من التعييد به.

وقد نوّه به رسول الله فيما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في القرن الثالث، بإسناده عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال:

«قال رسول الله ﷺ: «يوم غدیر خُمّ أفضل أعياد أُمّتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره بنصب أخي عليّ بن أبي طالب علماً لأُمّتي بهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتمّ على أُمّتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً»». واقتفى أثر النبيّ الأعظم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام نفسه فاتّخذ عيداً، وخطب فيه سنة اتّفق فيها الجمعة والغدير، ومن خطبته قوله:

«إنّ الله عزّ وجلّ جمع لكم - معشر المؤمنين - في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين... عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكُم، وبالبرّ بإخوانكم، والشكر لله عزّ وجلّ على ما منحكم. واجمعوا يجمع الله شملكم. وتبارّوا يصل ألفتكم. وتهاذوا نعمة الله كما منّاكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله أو بعده إلّا في مثله. والبرّ فيه يُثمر المال ويزيد في العمر. والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه. وهبّوا لإخوانكم وعيالكُم عن فضله بالجهد من وجودكم، وبما تناله القدرة

١ - يعني قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

٢ - أخرجه الأئمة الخمسة: مسلم [في صحيحه ٥/٥١٧، ح ٣، كتاب التفسير]؛ ومالك، والبخاري، والترمذي [في

سننه ٥/٢٣٣، ح ٣٠٤٣ و ٣٠٤٤]؛ والنسائي [في سننه ٢/٤٢٠، ح ٣٩٩٧].

من استطاعتكم، وأظهروا البشر فيما بينكم والسرور في ملاقاتكم...»^(١).

وعرفه أئمة العترة الطاهرة - صلوات الله عليهم - فسَمَّوه عيداً، وأمروا بذلك عامة المسلمين، ونشروا فضل اليوم ومثوبة من عمل البرّ فيه؛ ففي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي^(٢) في سورة المائدة، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة؟ قال: فقال لي: «نعم، أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأنزل على نبيّه محمّد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾...».

وفي الكافي لثقة الإسلام الكليني^(٣) عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك، للمسلمين عيد غير العيدين؟ قال: «نعم يا حسن! أعظمها وأشرفها».

قلت: وأي يوم هو؟ قال: «يوم نصب أمير المؤمنين عليه السلام علماً للناس». قلت: جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه؟

قال: «تصوم يا حسن! وتكثر الصلاة على محمّد وآله، وتبرأ إلى الله ممّن ظلمهم؛ فإنّ الأنبياء - صلوات الله عليهم - كانت تأمر الأوصياء باليوم الذي كان يُقام فيه الوصي أن يتّخذ عيداً».

قال: قلت: فما لمن صامه؟ قال: «صيام ستّين شهراً»^(٤).

وبإسناده عن الحسين بن الحسن الحسيني، عن محمّد بن موسى الهمداني، عن عليّ ابن حسان الواسطي، عن عليّ بن الحسين العبدي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

١ - ذكرها شيخ الطائفة بإسناده في مصباح المتجّد: ٥٢٤ [ص ٦٩٨].

٢ - تفسير فرات الكوفي [ص ١١٧، ح ١٢٣]. ٣ - الكافي ١: ٢٠٣ [٤/١٤٨، ح ١].

٤ - [أنظر تلخيص الغدير/ ٩٤-٩٦].

«صيام يوم غدیر خُمّ يعدل عند الله في كلّ عام مئة حجة ومئة عمرة مبرورات متقبّلات، وهو عيد الله الأكبر...».

ما عشت أراك الدهر عجباً

قال النويري والمقريري: إنّ هذا العيد ابتدعه معزّ الدولة عليّ بن بويه سنة (٣٥٢). قال الأوّل في نهاية الأرب في فنون الأدب^(١) في ذكر الأعياد الإسلاميّة:

وعيد ابتدعته الشيعة، وسمّوه عيد الغدير. وسبب اتّخاذهم له مؤاخاة النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب يوم غدیر خُمّ. واليوم الذي ابتدعوا فيه هذا العيد هو الثامن عشر من ذي الحجة، لأنّ المؤاخاة كانت فيه في سنة عشر من الهجرة، وهي حجة الوداع. وهم يُحيون ليلتها بالصلاة، ويُصلّون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال، وشعارهم فيه لبس الجديد وعقّ الرقاب وبرّ الأجانب والذباح.

وأوّل من أحدثه معزّ الدولة أبو الحسن عليّ بن بويه على ما نذكره إن شاء الله في أخباره في سنة (٣٥٢). ولمّا ابتدع الشيعة هذا العيد واتّخذوه من سنّهم عمل عوامّ السنّة يوم سرور نظير عيد الشيعة في سنة (٣١٩)، وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيّام، وقالوا: هذا يوم دخول رسول الله ﷺ الغار هو وأبو بكر الصديق، وأظهروا في هذا اليوم الزينة ونصب القباب وإيقاد النيران. وقال المقريري في الخطط^(٢):

عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً، ولا عمله أحد من سالف الأئمة المقتدى بهم؛ وأوّل ما عرف في الإسلام بالعراق أيّام معزّ الدولة عليّ بن بويه، فإنّه أحدثه سنة (٣٥٢) فاتّخذته الشيعة من حينئذٍ عيداً.

وما عساني أن أقول في بحّثة يكتب عن تاريخ الشيعة قبل أن يقف على حقيقته، أو أنّه عرف نفس الأمر فنسيها عند الكتابة، أو أغضى عنها لأمرٍ دُبّر بلبيل، أو أنّه يقول ولا يعلم ما يقول، أو أنّه ما يبالي بما يقول.

أوليس المسعودي المتوفى (٣٤٦) يقول في التنبيه والاشراف^(١): «وولّد عليّ ﷺ وشيعته يعظّمون هذا اليوم»؟ أوليس الكليني الراوي لحديث عيد الغدير في الكافي^(٢) توفي سنة (٣٢٩)؟

وقبله فرات بن إبراهيم الكوفي المفسّر الراوي لحديثه الآخر في تفسيره^(٣) - الموجود عندنا - الذي هو في طبقة مشايخ ثقة الإسلام الكليني المذكور؛ فالكتب هذه ألّفت قبل ما ذكرناه - النويري والمقرئزي - من التاريخ (٣٥٢).

أوليس الفيّاض بن محمّد بن عمر الطوسي قد أخبر به سنة (٢٥٩)، وذكر أنّه شاهد الإمام الرضا ﷺ المتوفى سنة (٢٠٣) يعيّد في هذا اليوم، ويذكر فضله وقدمه، ويروي ذلك عن آبائه عن أمير المؤمنين ﷺ؟

والإمام الصادق ﷺ المتوفى سنة (١٤٨) قد علّم أصحابه بذلك كلّهم، وأخبرهم بما جرت عليه سنن الأنبياء من اتّخاذ يوم نصبوا فيه خلفاءهم عيداً، كما جرت به العادة عند الملوك والأمراء من التعييد في أيّام تستّموا فيها عرش الملك. وقد أمر أئمة الدين ﷺ في عصورهم القديمة شيعتهم بأعمال برّية ودعوات مخصوصة بهذا اليوم وأعمال وطاعات خاصّة به.

هذه حقيقة عيد الغدير، لكنّ الرجلين أرادا طعنًا بالشيعة، فأنكرا ذلك السلف الصالح، وصوّراه بدعة معزّوة إلى مُعزّ الدولة.

﴿فَرَقَعَ الْحَقُّ وَيَطْلَ مَا كَانُوا يَغْمَلُونَ * فَعَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾^(٤).

١ - التنبيه والاشراف: ٢٢١. ٢ - الكافي [١٤٩/٤، ح ٣].

٣ - تفسير فرات الكوفي [ص ١١٧، ح ١٢٣]. ٤ - الأعراف: ١١٨ - ١١٩.

التتويج يوم الغدير

ولما عرفت من تعيين صاحب الخلافة الكبرى للملوكة الإسلامية ونيله ولاية العهد النبوي، كان من الحريّ تتويجه بما هو شارة الملوك، وسمّة الأمراء. ولما كانت التيجان المكلّلة بالذهب المرصّعة بالجواهر من شناشن ملوك الفرس، ولم يكن للعرب منها بدلٌ إلّا العمام، فكان لا يلبسها إلّا العظماء والأشراف منهم؛ ولذلك جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «العمائم تيجان العرب». رواه القضاعي والديلمي، وصحّحه السيوطي في الجامع الصغير^(١)، وأورده ابن الأثير في النهاية^(٢).

فعلى هذا الأساس عمّمه رسول الله ﷺ هذا اليوم بهيئة خاصة تُعرب عن العظمة والجلال، وتوجّه بيده الكريمه بعمامته - السحاب - في ذلك المُحتشد العظيم. وفيه تلويحٌ أن المتوج بها مقيّض - بالفتح - لإمرة كإمرته ﷺ غير أنّه مبلغٌ عنه وقائمٌ مقامه من بعده.

روى في كنز العمال^(٣) عن عليّ، قال:

«عمّني رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ بعمامة، فسدها خلفي».

وفي لفظٍ: «فسدل طرفها على منكبي». ثمّ قال: «إنّ الله أمّدي يوم بدر وحنين

بملائكة يعتمّون هذه العمّة». وقال «إنّ العمامة حازمة بين الكفر والإيمان».

وعن المحافظ الديلمي عن ابن عباس قال: لما عمّم رسول الله ﷺ عليّاً

بالسحاب^(٤)، قال له: «يا عليّ العمام تيجان العرب»^(٥).

١- الجامع الصغير ٢: ١٥٥ [١٩٣/٢، ح ٥٧٢٣]. ٢- النهاية في غريب الحديث والأثر [١٩٩/١].

٣- كنز العمال ٨: ٦٠ [٤٨٢/١٥، ح ٤١٩٠٩]؛ وانظر أيضاً الرياض النضرة ٣: ١٧؛ وفرائد السطّين ١: ٧٥؛

الباب ١٢، ح ٤١؛ والفصول المهمة: ٤١.

٤- قال ابن الأثير في النهاية ٢: ١٦٠ [٣٤٥/٢]: «كان اسم عمامة النبي ﷺ السحاب».

٥- الفردوس بمأثور الخطاب [٧٨/٣، ح ٤٢٤٦].

فائدة: قال أبو الحسين الملطي^(١) في التنبيه والرد^(٢):

قولهم - يعني الروافض - : عليّ في السحاب ، فإنما ذلك قول النبي ﷺ لعليّ :
أقبل ، وهو معتمّ بعمامة للنبي ﷺ كانت تدعى السحاب ، فقال ﷺ : « قد أقبل
عليّ في السحاب » ؛ يعني في تلك العمامة التي تسمى السحاب ؛ فتأولوه
هؤلاء على غير تأويله .

وقال الحلبي في السيرة^(٣):

كان له ﷺ عمامة تسمى السحاب كساها عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه -
فكان ربّما طلع عليه عليّ - كرم الله وجهه - فيقول ﷺ : « أتاكم عليّ في
السحاب » ، يعني عمامته التي وهبها له ﷺ .

قال الأمين: هذا معنى ما يُعزى إلى الشيعة من قولهم: إنّ عليّاً في السحاب،
ولم يؤوِّله أيُّ أحد منهم قطُّ من أوّل يومهم على غير تأويله، كما حسبه الملطي، وإنّما
أوّل الناس افتراءً علينا، والله من ورائهم حسيب .

فيوم التتويج هذا أسعد يوم في الإسلام، وأعظم عيد لموالي أمير المؤمنين عليه السلام كما أنّه
مثار حنق وأحقاد لمن ناوأه من النواصب .

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَافِرَةٌ * نَزْهِقَةٌ فَتَرَةٌ ﴾^(٤) .

كلمات حول سند الحديث

للحفاظ الآثبات والأعلام الفطاحل

لم نندفع إلى عقد هذا البحث بدافع الحاجة إلى إثبات صحّة الحديث ، ولا دعانا إليه
الإعواز إلى إثبات تواتره ؛ فإنّ ذات الحديث وجوهريّتها القائمة بنفسها في غنى عن أيّ

١ - محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي ، المتوفى (٣٧٧) .

٢ - التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع : ٢٦ [ص ١٩] .

٣ - السيرة الحلبية ٢ : ٣٦٩ [٣/٣٤١] .

٤ - عبس : ٣٨ - ٤١ .

تحويل في ذلك.

ومن ذا الذي يسعه إنكار صحته، ورجال كثير من أسانيده رجال الصحيحين؟! وأي معاند يمكنه ردُّ تواتره اللفظي في الجملة والمعنوي في تفاصيله والإجمالي في جملة من شؤونه، وقد شهد به القريب والبعيد، ورواه القاصي والداني، وأثبتته أكثر المؤلفين في الحديث والتاريخ والتفسير والكلام، وأفردته بالتأليف آخرون؟! وشيخنا العلامة رحمته في الغدير^(١) ذكر (٤٣) ممن قال بصحة هذا الحديث وتواتره؛ منهم:

١- الحافظ أبو عيسى الترمذي، المتوفى (٢٧٩).

قال في صحيحه^(٢) بعد ذكر الحديث: «هذا حديث حسن صحيح».

٢- الحافظ ابن عبد البرّ القرطبي، المتوفى (٤٦٣).

قال في الاستيعاب^(٣) بعد ذكر حديث المؤاخاة وحديثي الراية والغدير: «هذه كلّها آثارٌ ثابتة».

٣- الفقيه أبو الحسن بن المغازلي، الشافعي، المتوفى (٤٨٣).

قال في كتابه المناقب^(٤) بعد روايته الحديث عن شيخه أبي القاسم الفضل بن محمد

الأصبهاني:-

قال أبو القاسم: هذا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وقد رواه نحو مئة

نفس منهم العشرة المبشّرة، وهو حديثٌ ثابتٌ لا أعرف له علة، تفرد عليٌّ

بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد.

٤- حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، المتوفى (٥٠٥).

٢- سنن الترمذي ٢: ٢٩٨ [٥/٥١٩، ح ٣٧١٣].

١- [راجع الغدير ١/٥٤٣-٥٧٢].

٣- الاستيعاب ٢: ٣٧٣ [القسم الثالث/١٠٩٨-١١٠٠، رقم ١٨٥٥].

٤- مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام [ص ٢٧، ح ٣٩].

قال في سرّ العالمين^(١):

أسفرت الحجة وجهها ، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم
غدير خم باتفاق الجميع ، وهو يقول : «من كنت مولاه فعليّ مولاه» ، فقال
عمر : بخ بخ

٥- ابن أبي الحديد المعتزليّ، المتوفى (٦٥٥).

عدّه في شرح نهج البلاغة^(٢) من الأخبار العامة الشائعة من فضائل أمير المؤمنين .
٦- الحافظ ابن حجر العسقلانيّ، المتوفى (٨٥٢).

قال في فتح الباري^(٣):

وأما حديث : «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنسائي ،
وهو كثير الطرق جداً ، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد ، وكثير من
أسانيدھا صحاح وحسان . وقد روينا عن الإمام أحمد قال : ما بلغنا عن أحد
من الصحابة ما بلغنا عن عليّ بن أبي طالب .

٧- الحافظ جلال الدين السيوطيّ، الشافعيّ، المتوفى (٩١١).

قال : «إنّه حديث متواتر» . وحكاه عنه غير واحد ممّن تأخّر عنه .

٨- الحافظ شهاب الدين بن حجر الهيتميّ، المكيّ، المتوفى (٩٧٤)^(٤).

٩- السيّد محمود الآلوسيّ، البغداديّ، المتوفى (١٢٧٠)^(٥).

«وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ
فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ»^(٦).

١- سرّ العالمين: ٩ [ص ٢١].
٢- شرح نهج البلاغة ٢: ٤٤٩ [٩/١٦٦، خطبة ١٥٤].

٣- فتح الباري ٧: ٦١ [٧/٧٤].

٤- الصواعق المحرقة: ٢٥ و ٧٣ [ص ٤٢ و ٤٣ و ١٢٣]؛ شرح متن الهمزية في مدح خير البرية: ٢٢١ [ص ٢٤٥].

٥- روح المعاني ٢: ٢٤٩ [٦/٦١].
٦- الأنعام: ١١٥ و ١١٦.

محاكمة حول سند الحديث

﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾^(١)

هناك أمة من فطاحل العلماء حكموا بتواتر الحديث، وشنعوا على من أنكر ذلك. ولقد علمت أن من رواه من الصحابة في ما وقفنا على روايته مئة و عشرة صحابي؛ فلن تجد فيما يؤثر عن رسول الله ﷺ حديثاً يبلغ هذا المبلغ من الثبوت واليقين والتواتر. وقد أفرد شمس الدين الجزري رسالة في إثبات تواتره، ونسب منكره إلى الجهل. فهو كما عن الفقيه ضياء الدين المقبلي: «إن لم يكن معلوماً فإني في الدين معلوم». وعن البدخشي: «حديث صحيح مشهور، ولم يتكلم في صحته إلا متعصبٌ جاحد لا اعتبار بقوله»^(٢).

لكن بين ثنايا العصبية ومن وراء ربوات الأحقاد خثالة حدا بهم الانحياز عن مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - إلى تعكير هذا الصفو وإقلاق تلك الطمأنينة بكلّ جلبة ولغط.

فمن منكر صحة صدور الحديث^(٣)؛ معللاً بأن علياً كان باليمن، وما كان مع رسول الله في حجته تلك.

إلى آخر ينكر صحة صدر الحديث^(٤) ويقول: لم يروه أكثر من رواه.

إلى ثالث يضعف ذيله^(٥) ويقول: لا ريب أنه كذب.

ورابع يطعن في أصله، ويعتبر الدعاء الملحق به^(٦)، ويقول: لم يخرج غير أحمد إلا

الجزء الأخير من قوله ﷺ: «اللهم وال من والاه...».

٢- نُزُل الأبرار: ٢١ [ص ٥٤].

١- المائدة: ٤٩.

٣- حكاية الطحاوي [مشكل الآثار ٣٠٨/٢] وغيره عن بعض وأجابوا عنه.

٤- التفتازاني في المقاصد: ٢٩٠ [٢٧٤/٥] وقلده بعض من تأخر عنه.

٦- محمد محسن الكشميري في نجات المؤمنين.

٥- ابن تيمية في منهاج السنة ٤: ٨٥.

وقد عرفت تواتر الجميع والاتفاق على صحته ونصوص العلماء على اعتبار هذه كلها، غير آبهين بكل ما هناك من الصخب واللغب؛ فالإجماع قد سبق المهملجين ولحقهم، حتى لم يبق لهم في مستوى الاعتبار مقيلاً.

وهناك من يقول: تارة: إنه لم يروه علماءنا^(١). وأخرى: إنه لا يصح من طريق الثقات^(٢). وقلده بعض مقلدي المتأخرين، وقال: «لم يذكره الثقات من المحدثين^(٣)». وهو بنفسه يقول بتواتره في موضع آخر من كتابه. ونحن لا نقابل البادي والتابع إلا بالسلام، كما أمرنا الله سبحانه بذلك^(٤).

وأنا لا أدري أن قصر الباع لم يدع البادي يعرف علماء أصحابه، أو أن يقف على الصحاح والمسانيد، أو أنه لا يقول بثقة كل أولئك الأعلام!

فإن كان لا يدري فتلك مصيبة وإن كان يدري فالمصيبة أعظم وفي القوم من يلوك بين أشداقه: أنه ما أخرجه إلا أحمد في مسنده^(٥)، وهو مشتمل على الصحيح والضعيف.

فكأنه لم يقف على تأليف غير مسند أحمد، أو أنه لم يوقفه السير على الأسانيد الجمّة الصحيحة والقويّة في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها.

وكأنه لم يطّلع على ما أفردته الأعلام بالتأليف حول أحمد ومسنده، أو لم يطرق سمعه ما يقوله السبكي في طبقاته^(٦) من أنه ألف - أحمد - مسنده، وهو أصل من أصول هذه الأمة.

١ - قاله ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة.

٢ - حكاه عن ابن حزم [الفصل ٤/١٤٨] ابن تيمية في منهاج السنة ٤: ٨٦.

٣ - الهروي سبط ميرزا مخدوم بن عبد الباقي في السهام الناقبة.

٤ - في محكم كتابه بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، [الفرقان: ٦٣].

٥ - قاله محمد محسن الكشميري في نجاة المؤمنين. ٦ - طبقات الشافعية ١: ٢٠١ [٢/٢٧، رقم ٧].

قال الإمام الحافظ أبو موسى المديني الأصبهاني الشافعي، المتوفى (٥٨١):

مسند الإمام أحمد أصل كبير ومرجع وثيق لأصحاب الحديث، انتقي من أحاديث كثيرة ومسموعات وافرة، فجعل إماماً ومعتمداً، وعند التنازع ملجأً ومستنداً.

وهذا الحافظ السيوطي يقول في ديباجة جمع الجوامع كما في كنز العمال^(١):

وكل ما في مسند أحمد فهو مقبول، فإنَّ الضعيف الذي فيه يقرب من الحسن.

وجاء آخر يقول^(٢): «نقل - حديث الغدير - في غير الكتب الصحاح».

ذاهلاً عن أنَّ الحديث أخرجه الترمذي في صحيحه، وابن ماجه في سننه،

والدارقطني بعدة طرق، وضياء الدين المقدسي في المختارة و... .

وبهذا تعرف: قيمة قول من قدح في صحته^(٣) بعدم رواية الشيخين في صحيحهما.

وجاء آخر^(٤) يصححه ويثبت حسنه وينقل اتفاق جمهور أهل السنة عليه. ويقول:

«وكم حديث صحيح ما أخرجه الشيخان».

ونحن نقول: حتّى إنَّ الحاكم النيسابوري استدرك عليها كتاباً ضخماً لا يقلُّ عن

الصحيحين في الحجم، وصافقه على كثير ممّا أخرجه الذهبيّ في الملخص، وتجد في

تراجم العلماء مستدركات أخرى على الصحيحين.

وهذا الحاكم النيسابوري يقول في المستدرك^(٥):

لم يحكما - يعني البخاري ومسلم - ولا واحدٌ منهما بأنّه لم يصحّ من الحديث

غير ما أخرجاه.

٢ - حسام الدين السهارنبوري في مرافض الروافض.

١ - كنز العمال ١: ٣ [١٠/١].

٣ - القاضي عضد الإيجي في المواقف [ص ٤٠٥]؛ والتفتازاني في شرح المقاصد [٢٧٤/٥].

٤ - الشيخ محمود بن محمد الشبخاني، القادري، المدنيّ في الصراط السويّ في مناقب آل النبي.

٥ - المستدرك على الصحيحين ١: ٢ [٤١/١].

وأنا أستعين الله على إخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتجّ بمثلها الشيخان - رضي الله عنهما - أو أحدهما .

قال البخاري :

ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صحّ ، وتركت من الصحيح لحال الطول .

وقال مسلم :

ليس كلّ صحيح وضعته هنا ، إنما وضعت هنا ما أجمعوا عليه .

فعدم إخراج البخاري ومسلم هذا الحديث المتفق على صحّته وتواتره والحال هذه لا يكون قدحاً في الحديث إن لم يكن نقصاً في الكتاين ومؤلفيهما .

وغير خافٍ على النابه البصير: أنّ البادي بخلاف الإجماع في ردّ الحديث هو ابن حزم الأندلسي^(١)، وهو يقول: إنّ الأمة لا تجتمع على خطأ .

ثمّ تبعه في ذلك ابن تيميّة، وجعل قوله مدرك قدحه في الحديث . ولم يجد غمزة فيه غيره بيد أنّه زاد عليه قوله: «نقل عن البخاري وإبراهيم الحرّاني وطائفة من أهل العلم بالحديث أنّهم طعنوا فيه وضعّفوه» . ذاهلاً عن قوله في منهاج السنّة^(٢):

إنّ قصّة الغدير كانت في مرتجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ، وقد أجمع

الناس على هذا .

ثمّ قلّدهما من راقه الانحياز عن الحقّ الثابت من نظراء التفتازاني والقاضي الإيجي والقوشجي والسيد الجرجاني ، وزادوا ضعفاً على إباله ؛ فلم يكتفوا في ردّ الحديث بعدم إخراج الصحيحين ، ولم يقفوا على فرية ابن تيميّة في عزوه الطعن إلى البخاري والحرّاني ، أو ما راقتهم النسبة إلى البخاري والحرّاني لمكان ضعف الناقل - ابن تيميّة - عندهم ، فقالوا بإرسال المسلّم: قد طعن فيه ابن أبي داود وأبو حاتم السجستاني .

١ - [للقوف على الرأي العام فيه راجع تلخيص الغدير / ٥٦ - ٦٥] .

٢ - منهاج السنّة ٤ : ١٣ .

ثمَّ جاء ابن حجر فزاد على أبي داود والسجستاني قوله: «وغيرهم». إلى أن جاد الدهرُ بالهروي، فزحزح السجستاني، ووضع في محله الواقدي وابن خزيمة؛ فقال في السهام الثاقبة:

قدح في صحّة الحديث كثيرٌ من أئمة الحديث؛ كأبي داود، والواقدي، وابن خزيمة، وغيرهم من الثقات.

لا أدري ما أجراًهم على الرحمن «وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى»^(١)؟ وما عساني أن أقول في بحّثة يذكر هذه النسب المفتعلة على أئمة الحديث وحفاظ السنّة في كتابه؟

ألا مسائل هؤلاء عن مصدر هذه النقول والإضافات؟ أفي مؤلف وجدوها؟ فما هو؟ وأين هو؟ ولم لم يسمّوه؟ أم عن المشايخ رويوها؟ فلم لم يسندوها؟ ألا مسائل هؤلاء كيف خفي طعن مثل البخاري وقرنائه في الحديث على ذلك الجَم الغفير من الحفاظ والأعلام ومهّرة الفنّ في القرون الأولى إلى القرن السابع والثامن قرن ابن تيميّة ومقلّديه؟! فلم يَفْه به أحد، ولا يوجد منه أثر في أيّ تأليف ومسند، أو أنّهم أوقفهم السير عليه، ولكنهم لم يروا في سوق الحقّ له قيمة، فضربوا عنه صفحاً؟! وبعد هذا كلّه فأين تجد مقيل القول بإنكار تواتره من مستوى الحقيقة؟ والقول بأنّ الشيعة اتّفقوا على اعتبار التواتر فيما يُستدلّ به على الإمامة، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بحديث الغدير وهو من الآحاد^(٢)؟

يقول الرجل ذلك وهو يرى الحديث متواتراً لرواية ثمانية صحابة^(٣)، وأنّ في القوم

١- طه: ٦١.

٢- الفتازاني في المقاصد: ٢٩٠ [٢٧٢/٥]؛ وابن حجر في الصواعق: ٢٥ [ص ٤٢]؛ ومقلّديهما.

٣- راجع الصواعق: ١٣ [ص ٢٣].

من يرى الحديث متواتراً لرواية أربعة من الصحابة له، ويقول: لا تحلّ مخالفته^(١)، ويجزم بتواتر حديث «الأئمة من قریش»^(٢)، ويقول: رواه أنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، ومعاوية، وروى عنه جابر بن عبدالله، وجابر بن سمرة، وعبادة بن الصامت. هذه نظريّتهم المشهورة في تحديد التواتر، لكنهم إذا وقفوا على حديث الغدير اتخذوا له حداً أعلى لم تبلغه رواية مئة وعشرة صحابي أو أكثر بالغاً ما بلغ. ومن غرائب اليوم: ما جاء به أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام^(٣): من أنّه يرويه الشيعة عن البراء بن عازب.

وأنت تعلم أنّ نصيب رواية البراء - من إخراج علماء أهل السنة - أوفر من كثير من روايات الصحابة؛ لأنّه أخرجها ما يربو على الأربعين رجلاً من فطاحل علمائهم؛ وفيهم مثل أحمد وابن ماجه والترمذي والنسائي وابن أبي شيبة ونظرائهم، وجملة من أسانيدھا صحيحة رجالها كلّهم ثقات^(٤)؛ لكن أحمد أمين راقه أن تكون الرواية معزّوة إلى الشيعة فحسب، إسقاطاً للاحتجاج بها. وليس هذا ببدعٍ من تقولاته في صحائف إسلامه صباحاً وضحيّاً وظهراً.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا * فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(٥).

مفاد حديث الغدير

لعلّ إلى هنا لم يبق مسلك للشكّ في صدور الحديث عن المصدر النبويّ المقدّس. وأمّا دلّالته على إمامة مولانا أمير المؤمنين ﷺ فإنّا مهما شككنا في شيء، فلا نشكّ في أنّ

١ - قال ابن حزم في المحلى [٦/٩، مسألة ١٥١١] في مسألة عدم جواز بيع الماء: «فهؤلاء أربعة من الصحابة - رضي

الله عنهم -: فهو نقل تواتر لا تحلّ مخالفته». ٢ - راجع الفصل ٤: ٨٩.

٣ - ظهر الإسلام: تعليق ص ١٩٤. ٤ - [أنظر الغدير ١/٤٩ - ٥٢].

٥ - الكهف: ٥ - ٦.

لفظة «المولى» سواء كانت نصّاً في المعنى الذي نحاوله بالوضع اللغويّ أو مجملاً في مفادها لاشتراكها بين معاني جمّة، وسواء كانت عريّة عن القرائن لإثبات ما ندّعيه من معنى الإمامة أو محتققة بها، فإنّها في المقام لا تدلّ إلّا على ذلك؛ لفهم من وعاه من الحضور في ذلك المُحتشد العظيم، ومن بلغه النّبأ بعد حين ممّن يحتجّ بقوله في اللغة من غير نكير بينهم، وتتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشعراء ورجالات الأدب حتّى عصرنا الحاضر، وذلك حجة قاطعة في المعنى المراد.

وفي الطليعة من هؤلاء: مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث كتب إلى معاوية في جواب كتاب له من أبيات^(١) ما نصّه:

وأوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدير خمّ

ومنهم: حسّان بن ثابت الحاضر مشهد الغدير، وقد استأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن ينظم

الحديث في أبياتٍ؛ منها قوله:

فقال له: قم يا عليّ فإني رَضِيْتُكَ من بعدي إماماً وهادياً

ومن أولئك: الصحابيّ العظيم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الذي يقول:

وعليّ إمامنا وإمام لسوانا أتى به التنزيلُ

يوم قال النبيّ: من كنت مولا هُ فهذا مولا خطب جليلُ

ومن القوم: محمّد بن عبد الله الحميري القائل:

تناسوا نصبه في يوم خمّ من الباري ومن خير الأنام

ومنهم: عمرو بن العاص الصحابيّ القائل:

وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مُخصّصة في علي

وفي يوم خمّ رقى منبرا وبلغ والصحب لم ترحل

فأمنحه إمرة المؤمنين من الله مستخلف المنحل
وفي كفّه كفّه مُعلنًا يُنادي بأمر العزيز العلي
وقال فمن كنت مولى له عليّ له اليوم نِعَم الولي

ومن أولئك: كميث بن زيد الأسدي الشهيد (١٢٦)؛ حيث يقول:

ويوم الدوح دوح غدير خُم أبان له الولاية لو أطيعا
ولكنّ الرجال تباعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعاً

ومنهم: السيّد إسماعيل الحميري المتوفى (١٧٩) في شعره الكثير:

ومنهم: العبدي الكوفي من شعراء القرن الثاني في بابئته الكبيرة:

ومنهم: شيخ العربيّة والأدب أبو تمام المتوفى (٢٣١) في رأيته:

وتبع هؤلاء جماعة من بواق^(١) العلم والعربيّة الذين لا يعدّون مواقع اللغة، ولا يجهلون وضع الألفاظ، ولا يتحرّون إلاّ الصّحة في تراكيبهم وشعرهم؛ كدعبل الخزاعي، والحِماني الكوفي، والأمير أبي فراس، وعلم الهدى المرتضى، والسيّد الشريف الرضيّ، والحسين بن الحجاج، وابن الروميّ، وكشاجم، والصنوبري، والمفجّع، والصاحب بن عبّاد، والناشئ الصغير، والتنوخي، والزاهي، وأبي العلاء البروي، والجوهري، وابن علويّة، وابن حمّاد، وابن طباطبا، وأبي الفرج، ومهيار، والصولي النيلي، والفنّجكردي... إلى غيرهم من أساطين الأدب وأعلام اللغة، ولم يزل أثرهم مقتصاً في القرون المتتابعة إلى يومنا هذا. وليس في وسع الباحث أن يحكم بخطأ هؤلاء جميعاً وهم مصادره في اللغة، ومراجع الأُمّة في الأدب.

وهناك زرافات من الناس فهموا من اللفظ هذا المعنى وإن لم يُعربوا عنه بقريض، لكنّهم أبدوه في صريح كلماتهم، أو أنّه ظهر من لوائح خطابهم. ومن أولئك الشيخان

وقد أتيا أمير المؤمنين عليه السلام مهتئين ومبايعين وهما يقولان: أمسيّت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة ^(١).

عرف القارئ الكريم أنّ الملووية المستعظمة عند العرب - الذين لم يكونوا يتنازلون بالخضوع لكل أحد - ليست هي المحبة والنصرة ولا شيئاً من معاني الكلمة، وإنما هي الرئاسة الكبرى التي كانوا يستصعبون حمل نيرها إلا بموجب يخضعهم لها. وهي التي استوضحها أمير المؤمنين عليه السلام للملأ باستفهام، فكان من جواب القوم: أنهم فهموها من نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا المعنى غير خافٍ حتّى على المخدّرات في الحجال؛ نقل الزمخشري في ربيع الأبرار عن دارميّة المجونيّة التي سأها معاوية عن سبب حبّها لأمر المؤمنين عليهم السلام وبغضها له، أنّها احتجّت عليه بأشياء منها: أنّ رسول الله عقد له الولاية بمشهد منه يوم غدير خمّ، وأسندت بغضها له إلى أنّه قاتل من هو أولى بالأمر منه وطلب ما ليس له، ولم يُنكره عليها معاوية ^(٢).

وقبل هذه كلّها مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام واحتجاجه به يوم الرحبة ^(٣).

نظرة في معاني المولى

ذكر علماء اللغة من معاني المولى السيّد غير المالك والمعتق، كما ذكروا من معاني الوليّ الأمير والسلطان، مع إطباقهم على اتّحاد معنى الوليّ والمولى. وكلّ من المعنيين لا يبارح معنى الأولويّة بالأمر؛ فالأمير أولى من الرعيّة في تخطيط الأنظمة الراجعة إلى جامعهم، وبإجراء الطقوس المتكفّلة لتهديب أفرادهم، وكبح عادية كلّ منهم عن

١ - مرّ في ص ٦١٠ حديث التهنة بأسانيدِهِ وتفصيلِهِ.

٢ - أنظر ربيع الأبرار للزمخشري ٥٩٩/٢، وبلاغات النساء: ٧٢ [ص ١٠٥].

٣ - [أنظر تلخيص الغدير / ٢٠].

الآخر. وكذلك السيّد أولى ممّن يسوده بالتصرّف في شؤونهم. وتختلف دائرة هذين الوصفين سعةً وضيقاً باختلاف مقادير الإمارة والسيادة؛ فهي في والي المدينة أوسع منها في رؤساء الدواوين، وأوسع من ذلك في ولاية الأقطار، ويفوّق الجميع ما في الملوك والسلاطين، ومنتهى السعة في نبيّ مبعوث على العالم كلّه وخليفةٍ يخلفه على ما جاء به من نواميس وطقوس.

ونحن إذا غاضينا القوم على مجيء «الأولى» بالشيء من معاني «المولى» فلا نغاضهم على مجيئه بهذين المعنيين، وأنّه لا ينطبق في الحديث إلّا على أرق المعاني وأوسع الدوائر، بعد أن علمنا أنّ شيئاً من معاني «المولى» المنتهية إلى سبعة وعشرين معنىً لا يمكن إرادته في الحديث إلّا ما يطابقها من المعاني؛ ألا وهي:

- ١- الربّ. ٢- العمّ. ٣- ابن العمّ. ٤- الابن. ٥- ابن الأخت. ٦- المعتق. ٧- المعتق.
- ٨- العبد. ٩- المالك^(١). ١٠- التابع. ١١- المنعم عليه. ١٢- الشريك. ١٣- الحليف.
- ١٤- الصاحب. ١٥- الجار. ١٦- النزيل. ١٧- الصهر. ١٨- القريب. ١٩- المنعم.
- ٢٠- العقيد. ٢١- الولي. ٢٢- الأولى بالشيء. ٢٣- السيّد غير المالك والمعتق.
- ٢٤- المحبّ. ٢٥- الناصر. ٢٦- المتصرّف في الأمر. ٢٧- المتولّي في الأمر.

فالمعنى الأول: يلزم من إرادته الكفر؛ إذ لا ربّ للعالمين سوى الله.

وأما الثاني والثالث إلى الرابع عشر: فيلزم من إرادة شيء منها في الحديث الكذب.

وأما الصاحب والجار والنزيل والصهر والقريب: سواء أريد منه قُربى الرحم أو

قرب المكان فلا يمكن إرادة شيء من هذه المعاني لسخافتها. لا سيما في ذلك المحتشد

الرهيب في أثناء المسير، ورمضاء الهجير، وقد أمر ﷺ بحبس المقدّم في السير، ومنع

١- في صحيح البخاري ٧: ٥٧ [١٦٧١/٤]: «المليك». وقال القسطلاني في شرح الصحيح ٧: ٧٧ [١٦٠/١٠]:

«المولى المليك؛ لأنّه يلي أمور الناس».

التالي منه في محلّ ليس بمنزل له .

وعلى تقدير إرادة شيء منها فأى فضيلة فيها لأمر المؤمنين ﷺ حتى يُبَخِّخَ^(١) ويُهَنِّأَها .

وأما المنعِم: فلا ملازمة في أن يكون كلُّ من أنعم عليه رسول الله ﷺ يكون أمير المؤمنين ﷺ مُنْعِماً عليه أيضاً بل من الضروريّ خلافه .

إلا أن يراد: أن من كان النبي ﷺ منعماً عليه بالدين والهدى والتهذيب والإرشاد والعزة في الدنيا والنجاة في الآخرة فعليّ ﷺ منعمٌ عليه بذلك كلّهُ؛ لأنّه القائم مقامه، والصادق عنه، وحافظ شرعه، ومبلِّغ دينه، ولذلك أكمل الله به الدين، وأتمّ النعمة بذلك اهتاف المبين؛ فهو - حينئذٍ - لا يبارح معنى الإمامة الذي نتحرّاه .

وأما العقيد: فلا بدّ أن يراد به المعاقدة والمعاهدة مع بعض القبائل للمهادنة أو النصر فلا معنى لكون أمير المؤمنين ﷺ كذلك إلاّ أنّه تبعٌ له في كلّ أفعاله وتروكه؛ فيساوقه حينئذٍ المسلمون أجمع، ولا معنى لتخصيصه بالذكر مع ذلك الاهتمام الموصوف .

المُحِبُّ والناصر

على فرض إرادة هذين المعنيين لا يخلو إمّا أن يُراد بالكلام حتّ الناس على محبّته ونصرته بما أنّه من المؤمنين به والذاتين عنه، أو أمرُهُ ﷺ بمحبّتهم ونصرتهم. وعلى كلّ فالجملة إمّا إخباريّة أو إنشائيّة .

فالاختمال الأوّل: وهو الإخبار بوجوب حبّه على المؤمنين فمّا لا طائل تحته، وليس بأمر مجهول عندهم لم يسبقه التبليغ حتّى يؤمر به في تلك الساعة ويناط التواني عنه بعدم تبليغ شيء من الرسالة كما في نصّ الذكر الحكيم، فيحبس له الجماهير، ويعقد له ذلك المنتدى الرهيب، في موقف حرج لا قرار به، ثمّ يكمل به الدين، وتتمّ به النعمة،

١ - [أي يقال له: يخ بخ].

ويرضي الربّ، كأنّه قد أتى بشيء جديد، وشرّع ما لم يكن وما لا يعلمه المسلمون، ثمّ يهنّئه من هنّاه بأصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، مؤذناً بحدوث أمر عظيم فيه لم يعلمه القائل قبل ذلك الحين؛ كيف، وهم يتلون في آناء الليل وأطراف النهار قوله سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١)؟ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢) مشعراً بلزوم التوادد بينهم كما يكون بين الأخوين؟! نُجَلّ نبينا الأعظم عن تبليغ تافه مثله، وتُقَدّس إلهنا الحكيم عن عبث يشبهه.

والثاني: وهو إنشاء وجوب حبّه ونصرته بقوله ذلك، وهو لا يقلُّ عن المحتمل الأوّل في التفاهة؛ فإنّه لم يكن هناك أمرٌ لم يُنشأ وحكمٌ لم يُشرّع حتّى يحتاج إلى بيانه الإنشائيّ.

على أنّ حقّ المقام على هذين الوجهين أن يقول ﷺ: من كان مولاي فهو مولى عليّ أي محبّه وناصره.

فهذان الاحتمالان خارجان عن مفاد اللفظ. ولعلّ سبط ابن الجوزي نظر إلى هذا المعنى، وقال في تذكرته^(٣): «لم يجز حمل لفظ المولى في هذا الحديث على الناصر».

على أنّ وجوب المحبّة والمناصرة على هذين الوجهين غير مختصّ بأمر المؤمنين ﷺ وإنّما هو شرع سواء بين المسلمين أجمع؛ فما وجه تخصيصه به والاهتمام بأمره؟! وإن أريد محبة أو نصرة مخصوصة له تربو على درجة الرعيّة كوجوب المتابعة، وامتنال الأوامر، والتسليم له، فهو معنى الحجّية والإمامة، لا سيّما بعد مقارنتها بما هو مثلها في النبي ﷺ بقوله: «من كنت مولاه»، والتفكيك بينهما في سياق واحد إبطال للكلام.

والثالث : وهو إخباره بوجوب حبّهم أو نصرتهم عليه، فكان الواجب - عندئذٍ - إخباره ﷺ علياً والتأكيد عليه بذلك، لا إلقاء القول به على السامعين.

وكذلك إنشاء الوجوب عليه وهو المحتمل الرابع ؛ فكان ﷺ في غنى عن ذلك الاهتمام وإلقاء الخطبة واستسماع الناس والمناشدة في التبليغ، إلّا أن يريد جلب عواطف الملائمة وتشديد حبّهم له ﷺ إذا علموا أنّه محبّهم أو ناصرهم ليتّبعوه، ولا يخالفوا له أمراً، ولا يردّوا له قولاً.

وبتصديره ﷺ الكلام بقوله : «من كنت مولاه» نعلم أنّه على هذا التقدير لا يريد من المحبة أو النصرة إلّا ما هو على الحدّ الذي فيه ﷺ منها؛ فإنّ حبّه ونصرته لأُمّته ليس كمثلهما في أفراد المؤمنين، وإنّما هو ﷺ يحبُّ أُمّته فينصرهم، بما أنّه زعيم دينهم ودنياهم، ومالك أمرهم وكألى حوزتهم، وحافظ كيانه، وأولى بهم من أنفسهم، فإنّه لو لم يفعل بهم ذلك لأجفلتهم الذئاب العادية، وانتأشتهم^(١) الوحوش الكواسر، ومُدّت إليهم الأيدي من كلّ صوب وحَدب، فن غارات تُشنّ، وأموال تُباح، ونفوس تُزهق، وحُرّمات تُهتك، فينتقض غرض المولى من بثّ الدعوة، وبسط أديم الدين، ورفع كلمة الله العليا، بتفرّق هاتيك الجامعة؛ فمن كان في المحبة والنصرة على هذا الحدّ فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله، والمعنى على هذا الفرض لا يحتمل غير ما قلناه.

المعاني التي يمكن إرادتها من الحديث

لم يبقَ من المعاني إلّا الولي، والأولى بالشيء، والسيد - غير قسيميه : المالك والمُعْتَق - والمتصرّف في الأمر ومتولّيه.

أمّا الولي: فيجب أن يراد منه خصوص ما يراد في «الأولى» لعدم صحّة بقية المعاني كما عرّفناكه.

وأما السيد^(١) بالمعنى المذكور: فلا يبارح معنى الأولى بالشيء؛ لأنه المتقدم على غيره، لا سيما في كلمة يصف بها النبي ﷺ نفسه، ثم ابن عمه على حذو ذلك؛ فمن المستحيل حمله على سيادة حصل عليها السائد بالتغلب والظلم، وإنما هي سيادة دينية عامة يجب اتباعها على المسودين أجمع.

وكذلك المتصرف في الأمر: ذكره الرازي في تفسيره^(٢) عن القفال عند قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾^(٣)؛ فلا يمكن في المقام إلا أن يُراد به المتصرف الذي قيضه الله سبحانه لأن يُتبع، فيحدو البشر إلى سنن النجاح فهو أولى من غيره بأئحاء التصرف في الجامعة الإنسانية؛ فليس هو إلا نبياً مبعوثاً، أو إماماً مفترض الطاعة منصوصاً به من قبله بأمر إلهي لا يبارحه في أقواله وأفعاله، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤).

وكذلك متولي الأمر: الذي عدّه من معاني المولى أبو العباس المبرّد^(٥) والقرطبي في تفسيره^(٦) في قوله تعالى في آل عمران^(٧) ﴿بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ﴾، وابن الأثير في النهاية^(٨)، والزبيدي في تاج العروس^(٩)، وابن منظور في لسان العرب^(١٠)....

فهذا المعنى لا يبارح أيضاً معنى الأولى، لا سيما بمعناه الذي يصف به صاحب الرسالة ﷺ نفسه على تقدير إرادته.

١ - عدّه من معاني المولى جمع كثير من أئمة التفسير والحديث واللغة، لا يستهان بعديهم.

٢ - التفسير الكبير ٦: ٢١٠ [٧٤/٢٣].

٢ - الحج: ٧٨.

٤ - النجم: ٣ و ٤.

٦ - الجامع لأحكام القرآن ٤: ٢٣٢ [ج ٢ / ٤ / ١٤٩].

٧ - آل عمران: ١٥٠.

٨ - النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٢٤٦ [٢٢٩/٥].

٩ - تاج العروس ١٠: ٣٩٨.

١٠ - لسان العرب: [٤٠١/١٥].

على أنَّ الذي نرتِّبه في خصوص المقام - بعد الخوض في غمار اللغة، ومجاميع الأدب، وجوامع العربية -: أنَّ الحقيقة من معاني المولى ليس إلاَّ الأولى بالشيء، وهو الجامع لها تيك المعاني جمعاء، وما خوذ في كلِّ منها بنوعٍ من العناية، ولم يطلق لفظ المولى على شيء منها إلاَّ بمناسبة هذا المعنى:

١ - فالربُّ سبحانه هو أولى بخلقه من أيِّ قاهر عليهم؛ خلق العالمين كما شاءت حكمته، ويتصرَّف بمشيئته.

٢ - والعمُّ أولى الناس بكلاءة ابن أخيه والحنان عليه، وهو القائم مقام والده الذي كان أولى به.

٣ - وابن العمِّ أولى بالاتِّحاد والمعاوضة مع ابن عمِّه لأنَّهما غصنا شجرة واحدة.

٤ - والابن أولى الناس بالطاعة لأبيه والخضوع له؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾^(١).

٥ - وابن الأخت أيضاً أولى الناس بالخضوع لحاله الذي هو شقيق أمِّه.

٦ - والمعتق - بالكسر - أولى بالتفضُّل على من أعتقه من غيره.

٧ - والمعتق - بالفتح - أولى بأن يعرف جميل من أعتقه عليه، ويشكره بالخضوع

بالطاعة.

٨ - والعبد أيضاً أولى بالانقياد لمولاه من غيره، وهو واجبه الذي نيطت سعادته به.

٩ - والمالك أولى بكلاءة ممالكه وأمرهم والتصرُّف فيهم بما دون حدِّ الظلم.

١٠ - والتابع أولى بمناصرة متبوعه ممَّن لا يتبعه.

١١ - والمنعم عليه أولى بشكر مُنعمه من غيره.

١٢ - والشريك أولى برعاية حقوق الشركة وحفظ صاحبه عن الإضرار.

١٣- والأمر في الحليف واضح؛ فهو أولى بالنهوض بحفظ من حاله ودفع عادية الجور عنه.

١٤- وكذلك صاحب أولى بأن يؤدّي حقوق الصحبة من غيره.

١٥- كما أن الجار أولى بالقيام بحفظ حقوق الجوار كلّها من البعداء.

١٦- ومثلها النزيل، فهو أولى بتقدير من آوى إليهم ولجأ إلى ساحتهم وأمن في

جوارهم.

١٧- والصهر أولى بأن يرعى حقوق من صاهره، فشدّ بهم أزره، وقوّى أمره،

وفي الحديث: «الآباء ثلاثة: أبٌ ولدك، وأبٌ زوجك، وأبٌ علمك»^(١).

١٨- واعطف عليها القريب الذي هو أولى بأمر القريين منه والدفاع عنهم

والسعي وراء صالحهم.

١٩- والمنعم أولى بالفضل على من أنعم عليه، وأن يُتبع الحسنة بالحسنة.

٢٠- والعقيد كالحليف في أولوية المناصرة له مع عاقده.

٢١ و ٢٢- ومثلها المحبّ والناصر؛ فإنّ كلّاً منهما أولى بالدفاع عمّن أحبّه، أو

التزم بنصرته.

٢٣- وقد عرفت الحال في الولي.

٢٤- والسيد.

٢٥- والمتصرّف في الأمر.

٢٦- والمتولّي له.

إذن فليس للمولى إلا معنى واحد وهو الأولى بالشيء وتختلف هذه الأولوية بحسب الاستعمال في كلّ من موارد؛ فالاشتراك معنوي، وهو أولى من الاشتراك اللفظي المستدعي لأوضاع كثيرة غير معلومة بنصّ ثابت، والمنفيّة بالأصل المحكم.

ويكشف عن كون المعنى المقصود «الأولى» هو المتبادر من المولى إذا أطلق؛ كما يأتي بيانه عن بعضٍ في الكلمات حول مفاد ما رواه مسلم بإسناده في صحيحه^(١) عن رسول الله ﷺ: «لا يقل العبد لسيده مولاي»، وزاد في حديث أبي معاوية: «فإن مولاكم الله». وأخرجه غير واحد من أئمة الحديث في تأليفهم.

القرائن المعينة متصلة ومنفصلة

إلى هنا لم يبقَ للباحث ملتحذ عن البخوغ لمجيء «المولى» بمعنى الأولى بالشيء. وإن تنازلنا إلى أنه أحد معانيه، وأنه من المشترك اللفظي، فإنَّ للحديث قرائن متصلة وأخرى منفصلة تنفي إرادة غيره؛ فإليك البيان:

القريينة الأولى: مقدمة الحديث؛ وهي قوله ﷺ: «ألسْتُ أولى بكم من أنفسكم»، أو ما يؤدي مؤداه من ألفاظ متقاربة. ثم فرّع على ذلك قوله: «فمن كنت مولاه فعليّ مولا». وقد رواها الكثيرون من علماء الفريقين؛ فمن حفاظ أهل السنة وأئمتهم:

- | | | |
|-------------------|--------------|--------------|
| ١ - أحمد بن حنبل. | ٣ - النسائي. | ٥ - الترمذي. |
| ٢ - ابن ماجه. | ٤ - الطبري. | ٦ - السيوطي. |

فهذه المقدمة من الصحيح الثابت الذي لا محيد عن الاعتراف به؛ فلو كان ﷺ يريد في كلامه غير المعنى الذي صرح به في المقدمة لعاد لفظه - ونجّله عن كل سقطة - محلول العرى، مختزلاً بعضه عن بعض، وكان في معزل عن البلاغة وهو أفصح البلغاء، وأبلغ من نطق بالضاد؛ فلا مساغ في الإذعان بارتباط أجزاء كلامه، وهو الحق في كل قول يلفظه عن وحي يوحى إلا أن نقول باتّحاد المعنى في المقدمة وذيلها.

ويزيدك وضوحاً وبياناً ما في التذكرة لسبط ابن الجوزي الحنفي^(٢)؛ فإنه بعد عدّ

١ - صحيح مسلم: ١٩٧ [٤/٤٣٦، ح ١٤، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها].

٢ - تذكرة الخواص: ٢٠ [ص ٣٢].

معاني عشرة للمولى وجعل عاشرها الأولى، قال:

والمراد من الحديث: الطاعة المخصوصة؛ فتعين الوجه العاشر وهو الأولى.

ومعناه: من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به.

القرينة الثانية: ذيل الحديث؛ وهو قوله ﷺ: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». وفي جملة من طرقه بزيادة قوله: «وانصر من نصره، واخذل من خذله» أو ما يؤدّي مؤداه. وقد أسلفنا^(١) ذكر الجواهر الراوين له. وفي وسع الباحث أن يقرب كونه قرينة للمدعى بوجوه لا تلتئم إلا مع معنى الأولوية الملازمة للإمامة:

أحدها: أنه ﷺ لما صدع بما خوّل الله سبحانه وصيّيه من المقام الشاخص بالرئاسة العامة على الأمة جمعاء، والإمامة المطلقة من بعده، كان يعلم بطبع الحال أن تمام هذا الأمر بتوفر الجنود والأعوان وطاعة أصحاب الولايات والعمال مع علمه بأن في الملأ من يحسده، كما ورد في الكتاب العزيز^(٢)، وفيهم من يحقد عليه، وفي زمر المنافقين من يضمّر له العدا لأوتار جاهليّة، وستكون من بعده هنات تجلبها النهمة والشره من أرباب المطامع لطلب الولايات والتفضيل في العطاء، ولا يدع الحقّ عليّاً ﷺ أن يسعفهم بمبتغاهم؛ لعدم الحنكة والجدارة فيهم فيقبلون عليه ظهر الجنّ، وقد أخبر ﷺ بحمل الحال بقوله: «إن تؤمّروا عليّاً - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً»^(٣). وفي لفظ: «إن تستخلفوا عليّاً - وما أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً»^(٤).

فطفق ﷺ يدعو لمن والاه ونصره، وعلى من عاداه وخذله؛ ليتمّ له أمر الخلافة،

١ - في ص ٦١٨ و ٦٢٠ من كتابنا هذا.

٢ - في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]. أخرج ابن المغازلي في المناقب [ص ٢٦٧، ح ٣١٤]، وابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٢٣٦ [٧/٢٢٠، خطبة ١٠٨]، والحضرمي الشافعي في الرشفة: ٢٧: أنها نزلت في عليّ وما خصّ به من العلم.

٣ - [مسند أحمد ١/١٠٩].
٤ - [كنز العمال ١١/٦٣٠، ح ٣٣٠٧٢].

وليعلم الناس أنَّ موالاته مجلبة لموالاة الله سبحانه، وأنَّ عداؤه وخذلانه مدعاة لغضب الله وسخطه، فيزدلف إلى الحقِّ وأهله. ومثل هذا الدعاء بلفظ العام لا يكون إلا في من هذا شأنه؛ ولذلك إنَّ أفراد المؤمنين الذين أوجب الله محبة بعضهم لبعض لم يؤثر فيهم هذا القول؛ فإنَّ منافرة بعضهم لبعض جزئيات لا تبلغ هذا المبلغ، وإنما يحصل مثله فيما إذا كان المدعو له دعامة الدين، وعلم الإسلام، وإمام الأمة، وبالتثبيط عنه يكون فتًى في عضد الحقِّ وانحلالٌ لُغرى الإسلام.

ثانيها: أنَّ هذا الدعاء - بعمومه الأفراديِّ بالموصول، والأزمانيِّ والأحواليِّ بحذف المتعلِّق - يدلُّ على عصمة الإمام (عليه السلام)؛ لإفادته وجوب موالاته ونصرته والانحياز عن العدا له وخذلانه على كلِّ أحد في كلِّ حين وعلى كلِّ حال، وذلك يوجب أن يكون (عليه السلام) في كلِّ تلك الأحوال على صفة لا تصدر منه معصية، ولا يقول إلا الحقَّ، ولا يعمل إلا به، ولا يكون إلا معه؛ لأنَّه لو صدر منه شيء من المعصية لوجب الإنكار عليه ونصب العدا له؛ لعمله المنكر والتخذييل عنه؛ فحيث لم يستثنِ (عليه السلام) من لفظه العام شيئاً من أطواره وأزمانه علمنا أنَّه لم يكن (عليه السلام) في كلِّ تلك المدد والأطوار إلا على الصفة التي ذكرناها. وصاحب هذه الصفة يجب أن يكون إماماً لقبح أن يؤمَّه من هو دونه على ما هو المقرَّر في محلّه، وإذا كان إماماً فهو أولى بالناس منهم بأنفسهم.

القرينة الثالثة: قوله (عليه السلام): «يا أيُّها الناس بِمَ تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله. قال: ثمَّ مَه؟ قالوا: وأنَّ محمداً عبده ورسوله. قال: فمن وليُّكم؟ قالوا: الله ورسوله مولانا. ثمَّ ضرب بيده إلى عضد عليٍّ، فأقامه، فقال: من يكن الله ورسوله مولاه فإنَّ هذا مولاه...». هذا لفظ جرير (١).

١ - جرير عبدالله بن جابر البجلي، المتوفى (٥١، ٥٤). توجد روايته الحديث في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي

١٠٦: ٩ نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني [٢/ ٣٧٥، ح ٢٥٠٥].

فإن وقوع الولاية في سياق الشهادة بالتوحيد والرسالة وسردها عقيب الملوية المطلقة لله سبحانه ورسوله من بعده لا يمكن إلا أن يُراد بها معنى الإمامة الملازمة للأولوية على الناس منهم بأنفسهم.

القرينة الرابعة: قوله: ﷺ عقيب لفظ الحديث: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالي، والولاية لعلّي بن أبي طالب».

فأي معنى تراه يكمل به الدين، ويتمّ النعمة، ويرضي الربّ في عداد الرسالة غير الإمامة التي بها تمام أمرها وكمال نشرها وتوطيد دعائها؟ إذن فالناهض بذلك العبء المقدّس أولى الناس منهم بأنفسهم.

القرينة الخامسة: قوله ﷺ قبل بيان الولاية: «كأنّي دُعيتُ فأجبتُ»، أو: «أنّه يُوشِكُ أن أدعى فأجيب»، أو: «ألا وإنّي أوشك أن أفارقكم»، أو: «يوشِكُ أن يأتي رسول ربّي فأجيب»، وقد تكرر ذكره عند حفاظ الحديث كما مرّ^(١).

وهو يُعطينا علماً بأنّه ﷺ كان قد بقي من تبليغه مهمّة يُحاذر أن يدركه الأجل قبل الإشادة بها، ولولا الهتاف بها بقي ما بلغه مُخَدَجاً، ولم يذكر ﷺ بعد هذا الاهتمام إلا ولاية أمير المؤمنين وولاية عترته الطاهرة الذين يُقدّمهم هو - صلوات الله عليه - كما في نقل مسلم^(٢)، فهل من الجائز أن تكون تلك المهمة المنطبقة على هذه الولاية إلا معنى الإمامة المصرّح بها في غير واحد من الصحاح؟ وهل صاحبها إلا أولى الناس بأنفسهم؟

١ - أنظر ص ٥٧٩ من كتابنا هذا. وراجع: أسد الغابة لابن الأثير ٦: ١٣٦، رقم ٥٩٤٠؛ البداية والنهاية لابن كثير

٥: ٢٠٩، و٧: ٣٤٨ [٢٣١/٥]، حوادث سنة ١٠ هـ، ٧/٣٨٥، حوادث سنة ٤٠ هـ؛ مسند أحمد [٥/٥٠١،

ح ١٨٨٣٨]؛ المعجم الكبير للطبراني [٥/١٦٦، ح ٤٩٧١].

٢ - صحيح مسلم [٥/٢٥، ح ٣٦، كتاب فضائل الصحابة].

القرينة السادسة: قوله ﷺ بعد بيان الولاية لعليٍّ عليه السلام:

«هتُّوني هتُّوني إنَّ الله تعالى خصَّني بالنبوة، وخصَّ أهل بيتي بالإمامة»^(١)؛
فصرح العبارة هو الإمامة المخصوصة بأهل بيته الذين سيدهم والمقدّم فيهم هو
أمير المؤمنين عليه السلام، وكان هو المراد في الوقت الحاضر.

ثمّ نفس التهنئة والبيعة والمصافقة والاحتفال بها واتّصالها ثلاثة أيّام - كما مرّت
هذه كلّها -^(٢) لا تلائم غير معنى الخلافة والألوّية؛ ولذلك ترى الشيخين أبا بكر وعمر
لقيا أمير المؤمنين فهنّأه بالولاية. وفيها بيان لمعنى المولى الذي لهج به ﷺ؛ فلا يكون
المتحلّي به إلّا أولى الناس منهم بأنفسهم.

القرينة السابعة: قوله ﷺ بعد بيان الولاية: «فليبلغ الشاهد الغائب»^(٣).

أو تحسب أنّه ﷺ يؤكّد هذا التأكيد في تبليغ الغائبين أمراً علمه كلّ فرد منهم
بالكتاب والسنة من الموالاتة والمحبة والنصرة بين أفراد المسلمين مشفوعاً بذلك الاهتمام
والحرص على بيانه؟! لا أحسب أنّ ضؤولة الرأي يُسفّ بك إلى هذه الخطّة. لكنك
ولا شكّ تقول: إنّه ﷺ لم يُرد إلّا مهمّة لم تُتّح الفرص لتبليغها ولا عرفته الجماهير ممّن
لم يشهدوا ذلك المجتمع، وما هي إلّا مهمّة الإمامة التي بها كمال الدين، وتمام النعمة،
ورضا الربّ، وما فهمه الملاء الحضور من لفظه ﷺ إلّا تلك. ولم يؤثر له ﷺ لفظ آخر في
ذلك المشهد يليق أن يكون أمره بالتبليغ له، وتلك المهمّة لا تساوق إلّا معنى الأولى من
معاني المولى.

القرينة الثامنة: قوله ﷺ بعد بيان الولاية في لفظ أبي سعيد الخدري وجابر^(٤): «الله

١ - رواه الحافظ أبو سعيد الخركوشي النيسابوري، المتوفى (٤٠٧) في تأليفه شرف المصطفى.

٢ - أنظر ما مضى في ص ٦١٠.

٣ - أنظر يتابع المودة: ٤٨٢ (٣/١٥٠، باب ٩٠).

٤ - أنظر منازل من القرآن في عليٍّ عليه السلام للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، المتوفى (٤٣٠) [ص ٥٦]، والمناقب

للخوارزمي، المتوفى (٥٦٨): ٨٠ [ص ١٣٥، ح ١٥٢].

أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالي، والولاية لعليّ من بعدي». وفي لفظ وهب^(١): «إنّه وليكم بعدي». وفي لفظ عليّ^(٢): «وليّ كلّ مؤمن بعدي».

وكذلك ما أخرجه^(٣) الترمذي، وأحمد، والمحاكم، والنسائي، وابن أبي شيبه والطبري، وكثيرون آخرون من الحفاظ بطرق صحيحة من قوله ﷺ:

«إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»، وفي آخر: «هو وليكم بعدي». وما أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء^(٤) وآخرون^(٥) بإسناد صحيح من قوله ﷺ: «من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليقتد بالأئمة من بعدي؛ فإنهم عترتي خلّقوا من طينتي...».

فإنّ هذه التعابير تعطينا خبراً بأنّ الولاية الثابتة لأمير المؤمنين ﷺ مرتبة تساوق ما ثبت لصاحب الرسالة مع حفظ التفاوت بين المرتبتين بالأوّلوية والأولوية، سواء أريد من لفظ «بعدي» البعدية الزمانيّة أو البعدية في الرتبة؛ فلا يمكن أن يراد إذن من المولى إلّا الأولوية على الناس في جميع شؤونهم؛ إذ في إرادة معنى النصرة والمحبة من المولى بهذا القيد ينقلب الحديث ويعدّ منقصة دون مفخرة.

القرينة التاسعة: قوله ﷺ بعد إبلاغ الولاية:

«اللهم أنت شهيد عليهم أنّي قد بلغت ونصحت»؛ فالإشهاد على الأمة بالبلاغ والنصح يستدعي أن يكون ما بلغه ﷺ ذلك اليوم أمراً جديداً لم يكن قد بلغه قبل.

١- راجع المعجم الكبير للطبراني [١٣٥/٢٢].

٢- أنظر فرائد السطيين ١: ٣١٢، ح ٢٥٠؛ وكتاب سليم بن قيس ٢: ٦٣٦، ح ١١.

٣- سنن الترمذي [٥٩٠/٥، ح ٣٧١٢]؛ مسند أحمد [٤٨٩/٦، ح ٢٢٥٠٣]؛ المستدرک علی الصحیحین [٣/١٤٤، ح ٤٦٥٢]؛ السنن الكبرى [٤٥/٥، ح ٨١٤٦]؛ وفي خصائص أمير المؤمنين ﷺ [ص ١٠٩، ح ٨٩]؛ مصنف ابن أبي شيبة [٧٩/١٢، ح ١٢١٧٠].

٤- حلية الأولياء ١: ٨٦.

٥- المستدرک علی الصحیحین [٣/١٣٩، ح ٤٦٤٢].

مضافاً إلى أن بقية معاني المولى العامة بين أفراد المسلمين من الحبّ والنصرة لا تُتصوّر فيها أيّ حاجة إلى الإشهاد على الأئمة في عليّ خاصة، إلّا أن تكون فيه على الحدّ الذي بيّناه.

القرينة العاشرة: قوله ﷺ قبل بيان الحديث (١):

«إنّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري، وظننت أنّ الناس مُكذِّبِي فأوعدني لأبلغها أو ليعذّبني».

وورد (٢) بلفظ: «إنّ الله بعثني برسالة، فضقتُ بها ذُرْعاً، وعرفت أنّ الناس مُكذِّبِي، فوعدني لأبلغنّ، أو ليعذّبني».

وبلفظ (٣): «إني راجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق ومكذّبيهم فأوعدني لأبلغها أو ليعذّبني». هذه كلّها تنمّ عن نبأ عظيم كان يخشى في بثّه بوادر أهل النفاق وتكذيبهم؛ فالذي كان يحاذره ﷺ ويتحقّق به القول بأنّه حابّي ابن عمّه يستدعي أن يكون أمراً يخصّ أمير المؤمنين، لا شيئاً يشاركه فيه المسلمون أجمع من النصرّة والمحبة، وما هو إلّا الأولويّة بالأمر وما جرى مجراها من المعاني.

القرينة الحادية عشرة: جاء في أسانيد متكرّرة التعبير عن موقف يوم الغدير بلفظ النصب؛ فورد (٤) عن عمر بن الخطّاب: نصب رسول الله عليّاً علماً.

وعن عليّ عليه السلام: «أمر الله نبيّه أن ينصبني للناس...» (٥).

وعن الإمام الحسين السبط (٦): «أتعلمون أنّ رسول الله نصبه يوم غدير خُم».

١ - أنظر فرائد السمطين ١: ٣١٢، ح ٢٥٠؛ وكتاب سليم بن قيس [٢/٦٣٦، ح ١١].

٢ - الدرّ المنتور ٢: ٢٩٨ [٣/١١٦].

٣ - فرائد السمطين ١: ٣١٢، ح ٢٥٠؛ وكتاب سليم بن قيس [٢/٦٣٦، ح ١١].

٤ - مودة القربى شهاب الدين الهمداني: المودة الخامسة؛ وينابيع المودة للشيخ القندوزي الحلي: ٢٤٩ [٢/٧٣].

باب ٥٦.

٥ - أنظر فرائد السمطين ١: ٣١٢، ح ٢٥٠؛ وكتاب سليم بن قيس ٢: ٦٣٦، ح ١١.

٦ - أنظر كتاب سليم بن قيس [٢/٧٨٨، ح ٢٦].

فإنّ هذا اللفظ يعطينا خبراً بإيجاد مرتبة للإمام ﷺ في ذلك اليوم لم تكن تُعرف له من قبل غير المحبة والنصرة المعلومتين لكلّ أحد، والثابتين لأيّ فرد من أفراد المسلمين، على ما ثبت من أطراد استعماله في جعل الحكومات وتقرير الولايات؛ فيقال: نصب السلطان زيداً والياً على القارّة الفلانيّة، ولا يقال: نصبه رعيّة له أو محبباً أو ناصراً أو محبوباً أو منصوراً به على زنة ما يتساوى به أفراد المجتمع الذين هم تحت سيطرة ذلك السلطان.

مضافاً إلى مجيء هذا اللفظ في غير واحد من الطرق مقروناً بلفظ الولاية أو متلوّاً بكونه للناس أو للأمة.

وبذلك كلّ تعرف: أنّ المرتبة المثبتة له هي الحاكميّة المطلقة على الأمة جمعاء، وهي معنى الإمامة الملازمة للألويّة المدّعاء في معنى المولى.

القرينة الثانية عشرة: ما ورد^(١) من قول ابن عبّاس بعد ذكره الحديث: «فوجب لله في رقاب القوم» في لفظ. و «في أعناق القوم» في آخر؛ فهو يُعطي ثبوت معنى جديد مستفاد من الحديث غير ما عرفه المسلمون قبل ذلك وثبت لكلّ فرد منهم، وأكّد ذلك باليمين وهو معنى عظيم يلزم الرقاب، ويأخذ بالأعناق لدة الإقرار بالرسالة، لم يساو الإمام ﷺ فيه غيره، وليس هو إلّا الخلافة التي امتاز بها من بين المجتمع الإسلاميّ، ولا يبارحه معنى الألويّة.

القرينة الثالثة عشرة: ما أخرجه شيخ الإسلام الحمّوي في فرائد السمطين^(٢) عن أبي هريرة قال:

«لما رجع رسول الله عن حجّة الوداع نزلت آية: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾.

١- راجع كتاب الولاية للحافظ السجستاني، الذي أفرد في حديث الغدير، وكشف الغمّة: ٤٩ [١/٣٢٤].

٢- فرائد السمطين [١/٧٧، ح ٤٤، باب ١٣].

ولما سمع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَفَصِّحُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ اطمان قلبه.

إلى أن قال بعد ذكر الحديث: «وهذه آخر فريضة أوجب الله على عباده، فلما بلغ رسول الله ﷺ نزل قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾».

يُعطينا هذا اللفظ خبراً بأن رسول الله ﷺ صدع في كلمته هذه بفريضة لم يسبقها التبليغ، ولا يجوز أن يكون ذلك معنى المحبة والنصرة لسبق التعريف بهما منذ دهر كتاباً وسنة؛ فلم يبق إلا أن يكون معنى الإمامة الذي أخرج أمره حتى تكتسح عنه العراقيل، وتمرن النفوس بالخضوع لكل وحي يوحى، فلا تتمرد عن مثلها من عظمة تجفل عنها النفوس الجاححة، وهي الملائة لمعنى الأولى.

القرينة الرابعة عشرة: ورد^(١) في حديث زيد بن أرقم بطرقه الكثيرة:

«إِنَّ خَتَنًا لَهُ سَأَلَهُ عَنْ حَدِيثِ غَدِيرِ خَمٍّ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ فِيكُمْ مَا فِيكُمْ.

فَقُلْتُ لَهُ: لَيْسَ عَلَيْكَ مَنِّي بَأْسٌ. فَقَالَ: نَعَمْ، كُنَّا بِالْجُحْفَةِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ...».

وعن عبد الله بن العلاء^(٢) أَنَّهُ قَالَ لِلزَّهْرِيِّ لَمَّا حَدَّثَهُ بِحَدِيثِ الْغَدِيرِ: «لَا تَحَدَّثْ

بِهَذَا بِالشَّامِ وَأَنْتَ تَسْمَعُ مَلَأَ أذْنِيكَ سَبَّ عَلِيٍّ!». فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ عِنْدِي مِنْ فُضَائِلِ عَلِيٍّ

مَا لَوْ تَحَدَّثْتُ [بِهَا] لَقُتِلْتُ!!

فإن الظاهر من هذه كلها أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ النَّاسِ لِلْحَدِيثِ مَعْنَى لَا يَأْمَنُ مَعَهُ رَاوِيهِ مِنْ

أَنْ يَصِيبَهُ سُوءٌ أَوْلَدَتْهُ الْعَدَاوَةُ لِلْوَصِيِّ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - فِي الْعِرَاقِ وَفِي الشَّامِ؛ وَلِذَلِكَ

إِنَّ زَيْدًا أَتَقَى خَتَنَهُ الْعِرَاقِيَّ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا فِي الْعِرَاقِيِّينَ مِنَ النِّفَاقِ وَالشَّقَاقِ يَوْمَ ذَاكَ، فَلَمْ

يُبْدِ بِسَرِّهِ حَتَّى أَمِنَ مِنْ بَوَادِرِهِ، فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ. وَلَيْسَ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى

حِينَئِذٍ هُوَ ذَلِكَ الْمُبْتَذِلُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَعْنَى يَنْوَأُ بَعِيْثُهُ الْإِمَامَ ﷺ بِمُفْرَدِهِ، فَيُفْضَلُ

بِذَلِكَ عَلَى مَنْ سِوَاهُ، وَهُوَ مَعْنَى الْخِلَافَةِ الْمُتَّحِدَةِ مَعَ الْأُولَوِيَّةِ الْمُرَادَةِ.

٢ - أسد الغابة لابن الأثير ١: ٣٠٨ [١/٣٦٤، رقم ٨١٢].

١ - مسند أحمد ٤: ٣٦٨ [٥/٤٩٤، ح ١٨٧٩٣].

القرينة الخامسة عشرة: احتجاج أمير المؤمنين ﷺ بالحديث يوم الرحبة^(١) بعد أن آلت إليه الخلافة ردّاً على من نازعه فيها وإفحام القوم به لما شهدوا، فأَيَّ حجة له في المنازعة بالخلافة في المعنى الذي لا يلزم الأولوية على الناس من الحبّ والنصرة؟

القرينة السادسة عشرة: ^(٢) في حديث الركبان: أن قوماً منهم أبو أيوب الأنصاري سلّموا على أمير المؤمنين ﷺ بقولهم: السلام عليك يا مولانا. فقال ﷺ: «كيف أكون مولاكم وأنتم رهط من العرب؟».

فقالوا: إنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». فأنّت جدّ عليم بأن أمير المؤمنين لم يتعجّب أو لم يُرد كشف الحقيقة للملأ الحضور لمعنى مبذول هو شرع سواء بين أفراد المسلمين - وهو أن يكون معنى قولهم: السلام عليك يا محبّنا أو ناصرنا - لا سيّما بعد تعليل ذلك بقوله: «وأنتم رهط من العرب». فما كانت النفوس العربيّة تستنكف من معنى المحبة والنصرة بين أفراد جامعتهما، وإنّما كانت تستكبر أن يخصّ واحدٌ منهم بالمولوية عليهم بالمعنى الذي نحاوله، فلا ترضخ له إلّا بقوة قاهرة عامّتهم، أو نصّ إلهيّ يلزم المسلمين منهم، وما ذلك إلّا معنى الأولى المرادف للإمامة، والولاية المطلقة التي استحقّ ﷺ خبرها منهم، فأجابوه باستنادهم في ذلك إلى حديث الغدير.

القرينة السابعة عشرة: قد ^(٣) أصابت دعوة مولانا أمير المؤمنين ﷺ أناساً كتموا شهادتهم بحديث الغدير في يومي مناشدة الرحبة والركبان، فأصابهم العمى والبرص، والتعرّب بعد الهجرة، أو آفة أخرى، وكانوا من الملأ الحضور في مشهد يوم الغدير.

٢ - [أنظر تلخيص الغدير / ٢٢].

١ - [أنظر تلخيص الغدير / ٢٠ و ٢١].

٣ - [أنظر تلخيص الغدير / ٢٣].

فهل يجد الباحث مساعاً لاحتال وقوع هاتيك النقم على القوم، وتشديد الإمام عليه السلام بالدعاء عليهم لمحض كتمانهم معنى النصرة والحبّ العامّين بين أفراد المجتمع الدينيّ، فكان من الواجب إذن أن تصيب كثيراً من المسلمين الذين تشاحنوا، وتلاكموا، وقاتلوا، فقمّوا جذوم^(١) تينك الصفتين، وقلعوا جذورهما، فضلاً عن كتمان ثبوتها بينهما؛ لكنّ المنقّب لا يرى إلّا أنّهم وُسّموا بِشِيعَةِ العار، وأصابتهم الدعوة بكتانهم نبأً عظيماً يختصّ به هذا المولى العظيم - صلوات الله عليه - وما هو إلّا ما أصفقت عليه النصوص، وتراكت القرائن من إمامته وأولويّته على الناس منهم بأنفسهم.

ثمّ إنّ نفس كتمانهم للشهادة لا تكون لأمر عاديّ هو شرع سواء بينه وبين غيره، وإنّما الواجب أن تكون فيه فضيلة يختصّ بها، فكأنّهم لم يُرقّهم أن يتبجّع الإمام بها، فكتموها، لكن الدعوة الصالحة فضحتهم بإظهار الحقّ، وأبقت عليهم مثلبة لائحة على جبهاتهم وجنوبهم وعيونهم ما داموا أحياء، ثمّ تضمّنتها طيّات الكتب فعادت تلوكها الأُشداق، وتتناقلها الألسن حتّى يرث الله الأرض ومن عليها.

القرينة الثامنة عشرة: أخرج^(٢) الحافظ ابن السمان عن عمر وقد جاءه أعرابيان يختصمان، فقال لعلّيّ: اقض بينهما. فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟! فوثب إليه عمر وأخذ بتليبيه وقال: ويحك ما تدري من هذا؟ هذا مولاي ومولى كلّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن.

وعنه وقد نازعه رجل في مسألة، فقال: بيني وبينك هذا الجالس، وأشار إلى عليّ ابن أبي طالب. فقال الرجل: هذا الأبطن؟! فنهض عمر عن مجلسه، وأخذ بتليبيه حتّى شاله من الأرض، ثمّ قال أتدري من صغّرت؟! هذا مولاي ومولى كلّ مسلم.

١ - [جمع جذم، وهو الأصل].

٢ - أنظر الرياض النضرة ٢: ١٧٠ [١١٥/٢]؛ ذخائر العقبى للمحبّ الطبري: ٦٨، والصواعق: ١٠٧ [ص ١٧٩].

فإنَّ المولوية الثابتة لأمير المؤمنين التي اعترف بها عمر على نفسه وعلى كل مؤمن زينة ما اعترف به يوم غدير خمٍّ، وشفع ذلك بنبي الإيمان عمّن لا يكون الوصي مولاه، أي لم يعترف له بالمولوية، أو لم يكن هو مولى له أي محبّاً أو ناصراً ولكن على حدّ ينفي عنه الإيمان إن انتفى عنه ذلك الحبّ والنصرة، لا ترتبط^(١) إلّا مع ثبوت الخلافة له؛ فإنّ الحبّ والنصرة العاديين المندوب إليها بين عامّة المسلمين لا ينفي بانتفائه الإيمان، ولا يمكن القول بذلك نظراً إلى ما شجر من الخلاف والتباغض بين الصحابة والتابعين حتّى آل في بعض الموارد إلى التشاتم، والتلاكم، وإلى المقاتلة، والمناضلة، وكان بعضها بمشهد من النبي ﷺ فلم ينف عنهم الإيمان، ولا غمز القائلون بعدالة الصحابة أجمع في أحد منهم بذلك؛ فلم يبق إلّا أن تكون الولاية التي هذه صفتها معناها الإمامة الملازمة للأولوية المقصودة، سواء أوعز عمر بكلمته هذه إلى حديث الغدير كما تومي إليه رواية الحافظ محبّ الدين الطبري لها في ذيل أحاديث الغدير، أو أنّه أرسلها حقيقة راهنة ثابتة عنده من شتّى النواحي.

«هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ»^(٢)

الأحاديث المُفسّرة لمعنى المولى والولاية

وقبل هذه القرائن كلّها تفسير رسول الله ﷺ نفسه معنى لفظه وبعده مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حذو القذة بالقذة.

أخرج القرشيّ عليّ بن حميد في شمس الأخبار^(٣)، نقلاً عن سلوة العارفين - للموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجانيّ، والد المرشد بالله - بإسناده عن النبي ﷺ أنّه

١ - [الجملة الفعلية خبر لـ «إنّ» في قوله السابق أوّل الفقرة: «فإنّ المولوية...»].

٢ - آل عمران: ١٢٨.

٣ - مسند شمس الأخبار: ٣٨ [١/١٠٢]، باب ٧، نقلاً عن الأنوار وأمالى المؤيد.

لَمَّا سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «مَنْ كُنْتُ مُوَلَّاهُ فَعَلِيٌّ مُوَلَّاهُ»، قَالَ:

«اللَّهُ مُوَلَّاي؛ أَوْلَى بِي مِنْ نَفْسِي لَا أَمْرَ لِي مَعَهُ، وَأَنَا مُوَلَّى الْمُؤْمِنِينَ؛ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَا أَمْرَ لَهُمْ مَعِي، وَمَنْ كُنْتُ مُوَلَّاهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ لَا أَمْرَ لَهُ مَعِي، فَعَلِيٌّ مُوَلَّاهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ لَا أَمْرَ لَهُ مَعَهُ».

وَفِي حَدِيثٍ احْتِجَاجُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ^(١) قَوْلُهُ: يَا مُعَاوِيَةُ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسُلَيْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَالْمُقَدَّادُ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَهُوَ يَقُولُ:

«أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ فَقُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ: أَلَيْسَ أَزْوَاجِي أُمَّهَاتُكُمْ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ: مَنْ كُنْتُ مُوَلَّاهُ فَعَلِيٌّ مُوَلَّاهُ، أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ»، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ وَالِّ مِنْ وَالَاهِ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهِ، أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَعِيَ أَمْرٌ، وَعَلِيٌّ مِنْ بَعْدِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَعَهُ أَمْرٌ...». إِلَى أَنْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:

وَنَبِيِّنَا ﷺ قَدْ نَصَبَ لِأُمَّتِهِ أَفْضَلَ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ وَخَيْرَهُمْ بِغَدِيرِ خُثَمٍ وَفِي غَيْرِ مَوْطِنٍ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَأَنَّهُ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنَّهُ كُلُّ مَنْ كَانَ هُوَ وَلِيُّهُ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ، وَمَنْ كَانَ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ فَعَلِيٌّ أَوْلَى بِهِ، وَأَنَّهُ خَلِيفَتُهُ فِيهِمْ وَوَصِيِّهِ. الْحَدِيثُ.

وَفِيمَا أَخْرَجَهُ^(٢) شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْحَمَوِيُّ فِي حَدِيثِ احْتِجَاجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ أَيَّامَ عُمَانَ قَوْلُهُ: «ثُمَّ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

١ - أَنْظَرُ كِتَابَ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ [٨٣٤/٢، ح ٤٢].
٢ - أَنْظَرُ فَرَائِدَ السَّمْطَيْنِ ١: ٣١٢، ح ٢٥٠.

مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: قم يا علي! فقمْتُ، فقال: من كنتُ مولاهُ فعليُّ مولاهُ، اللَّهُمَّ والٍ من والاهُ، وعادٍ من عاداهُ.

فقام سلمان، فقال: يا رسول الله! ولأءِ كماذا؟ قال: ولأءِ كَوِلاي؛ من كنتُ أولى به من نفسه فعليُّ أولى به من نفسه».

وقال الإمام الحافظ الواحدي بعد ذكر حديث الغدير:

هذه الولاية التي أثبتها النبي ﷺ لعليٍّ مسؤولٌ عنها يوم القيامة؛ رُوي في قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ﴾^(١) أي عن ولاية عليٍّ عليه السلام والمعنى: أنهم يُسألون هل والوه حقَّ الموالاتة كما أوصاهم النبي ﷺ أم أضاعوها وأهملوها فنكون عليهم المطالبة والتبعة^(٢)؟

ومرَّ^(٣) عن عمر بن الخطاب نفي الإيمان عمَّن لا يكون أمير المؤمنين مولاهُ. وقال الآلوسي في تفسيره^(٤) في قوله تعالى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ﴾ بعد عدِّ الأقوال فيها: وأولى هذه الأقوال أنَّ السؤال عن العقائد والأعمال، ورأس ذلك لا إله إلا الله، ومن أجلَّ ولاية عليٍّ كرم الله تعالى وجهه.

ولا أحسبُ أنَّ ضميرك الحرَّ يحكم بلاءمة هذه كلّها مع معنى أجنبيٍّ عن الخلافة والأولوية على الناس من أنفسهم، ويراه مع ذلك أصلاً من أصول الدين، وينفي الإيمان بانتفائه، ولا يرى صحّة عمل عاملٍ إلا به.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٥)

١- الصافات: ٢٤.

٢- أنظر فرائد السمطين للحمّوني [١/٧٩، ح ٤٧]؛ نظم درر السمطين للجمال الدين الزرندي [ص ١٠٩]؛ الصواعق

المرقّة: ٨٩ [ص ١٤٩].

٣- في ص ٦٤٧ من كتابنا هذا.

٥- الأنعام: ١٢٦.

٤- روح المعاني ٢٣: ٧٤ [٨٠/٢٣].

- ٢ -

إنكار عمر موته ﷺ

أول مظهر من مظاهر علم الخليفة عند الباقلاني من المتقدمين كما في تمهيده^(١)، وعند السيّد أحمد زيني دحلان من المتأخرين كما في سيرته هامش الحليّة^(٢)، هو إعلامه الناس بموت رسول الله ﷺ وحجابه عمر بن الخطاب بقول العزيز الحكيم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(٣).

ما أذهل الرجلين عن أنّ الأمر لم يعضل على أيّ امرئ من الصحابة، وحاشاهم عن أن يكون هذا مبلغ علمهم، وقد كان حملة القرآن الكريم بأسرهم على علم من موته ﷺ أخذاً بما أجرى الله بين البشر من الطبيعة المطردة و﴿قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾^(٤). ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾^(٥). ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِدُّونَ﴾^(٦).

وتسكاً بالقرآن العظيم، ونصوصه ﷺ الكثيرة عليه في مواقف لا تحصى، أحفلها حجة الوداع؛ ومن هنا سُميت تلك الحجة بحجة الوداع.

ولم يكن إنكار عمر موته ﷺ لجهله بذلك، وقد قرأ عمرو بن زائدة عليه وعلى الصحابة في مسجد رسول الله ﷺ الآية المذكورة قبل تلاوة أبي بكر إياها وأشفعها بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٧)^(٨) فضرب الرجل عنها وعن قارئها صفحاً، وعمرو بن

٢ - السيرة النبوية ٣: ٣٧٦ [٢/٣٠٦].

١ - التمهيد للباقلاني: ١٩١.

٤ - الأنعام: ٢.

٣ - آل عمران: ١٤٤.

٦ - يونس: ٤٩.

٥ - آل عمران: ١٤٥.

٧ - الزمر: ٣٠.

٨ - راجع تاريخ ابن كثير ٥: ٢٤٣ [٥/٢٦٢ - ٢٦٣، حوادث سنة ١١هـ]؛ شرح المواهب للزرقاني ٨: ٢٨١.

زائدة صحابي عظيم استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته^(١).
وإنما كان إنكاره ذلك وإرهابه الناس لسياسة مدبرة؛ وذلك صرف فكرة الشعب
عن الفحص عن الخليفة إلى أن يحضر أبو بكر وكان غائباً بالسُّنْح^(٢) خارج المدينة^(٣)،
وكان الأمر دُبر بليل.

ألا ترى أن غير واحد من أعلام القوم قد اعتذروا عن إنكار عمر موته ﷺ بغير
الجهل؛ فمنهم من قال: إن ذلك كان لتشوش البال، واضطراب الحال، والذهول عن
جليات الأحوال^(٤).

ومنهم من اعتذر بقوله: خبل عمر في وفاة النبي ﷺ فجعل يقول: إنه والله ما مات
ولكنه ذهب إلى ربه^(٥).

- ٣ -

غصب فدك برواية مجعولة

المظهر الثاني: ومن الأدلة الواضحة عند ابن حجر على أن الخليفة أعلم الصحابة
على الإطلاق ما روى في الصواعق^(٦) عن عائشة مرسلًا أنها قالت: «لما توفي رسول
الله ﷺ... قالوا: أين ندفن رسول الله ﷺ؟ فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً؛ فقال
أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات
فيه. واختلفوا في ميراثه؛ فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً؛ فقال أبو بكر: سمعتُ

١ - الإصابة ٢: ٥٢٣.

٢ - [«السُّنْح»: إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر؛ معجم البلدان ٣/ ٢٥٦].

٣ - تاريخ الطبري ٣: ١٩٧ [٣/ ٢٠٠، حوادث سنة ١ هـ]؛ طبقات ابن سعد، طبع مصر رقم التسلسل: ٧٨٦

[٢/ ٢٦٥]؛ تفسير القرطبي ٤: ٢٢٣ [٤/ ١٤٣]؛ عيون الأثر ٢: ٣٣٩ [٢/ ٤٣٣].

٤ - شرح المقاصد للتفتاراني ٢: ٢٩٤ [٥/ ٢٨٢]. - عيون الأثر لابن سيد الناس ٢: ٣٣٩ [٢/ ٤٣٣].

٦ - الصواعق المحرقة: ١٩ [ص ٣٤].

رسول الله ﷺ يقول: إنا معشر الأنبياء لا نُورَث، ما تركنا صدقة».

قال الأميني: غاية ما في هذه المرسلة عن عائشة أن أبا بكر روى حديثين عن رسول الله ﷺ شذت روايتهما عن الحضور في ذينك الموقفين؛ فإن يكن بهما أبو بكر أعلم الصحابة على الإطلاق حتى من لم يحضرهما ولو بنحو من التهجم والرجم بالغيب، فكيف بمن روى آلافاً مؤلفة من الأحاديث شذت عن أبي بكر روايتهما جمعاء أو رواية أكثرها؟! ومع ذلك لا يُعدّ أحدٌ منهم أعلم الصحابة أو أعلم من أبي بكر على الأقلّ. أليس هو صاحب نادرة الأبّ والكلالة والجذّ والمجدّتين إلى نوادر أخرى؟! أليس هو الآخذ بالسنة الشريفة من نظراء المغيرة بن شعبة ومحمّد بن مسلمة وعبدالرحمن بن سهيل إلى أناس آخرين عاديّين؟!

كأنّ ابن حجر يقيس الناس إلى نفسه ويحسبهم ولائذ حَجَرَ لا يعقلون شيئاً وهم يسمعون. ألا يقول الرجل ما الذي فهمه الصحابة من هتاف رسول الله ﷺ يوم هتف بقوله:

- ١ - «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»^(١).
- ٢ - وقوله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»^(٢).
- ٣ - وقوله ﷺ: «ما بين حجرتي إلى منبري روضة من رياض الجنة»^(٣).
- ٤ - وقوله ﷺ: «ما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة»^(٤).
- ٥ - وقوله ﷺ: «من سرّه أن يصليّ في روضة من رياض الجنة فليصلّ بين قبري

١ - مسند أحمد [٤٧٢/٣، ح ١١٢١٦].

٢ - صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب فضل ما بين القبر والمنبر، وكتاب الحجّ [٣٩٩/١، ح ١١٣٧ و ١١٣٨] و [١٧٨٩، ح ٦٦٧/٢].

٣ - مسند أحمد [٣٥٢/٣، ح ١٠٥٢٥]؛ كنز العمال [٢٦٠/١٢، ح ٣٤٩٤٨].

٤ - إرشاد الساري ٤: ٤١٣ [٤٢٩/٤، ح ١٨٨٨]؛ وفاء الوفا: ٣-٣ [٤٢٧/٢].

ومنبري»^(١).

وقال ابن أبي الحديد في شرحه^(٢):

قلت : كيف اختلفوا في موضع دفنه وقد قال لهم : «فضعوني على سريري في بني هذا على شفير قبري»^(٣) . وهذا تصريح بأنه دفن في البيت الذي جمعهم فيه وهو بيت عائشة .

أيرى ابن حجر أنّ الصحابة بعد تلکم الأحاديث كانوا غير عارفين تلك الروضة المقدسة التي أنبأهم بها نبيهم الأقدس، وأمرهم بالصلاة عليها؟! أو يراهم أنهم عرفوا القبر والمنبر وما بينهما من الروضة، ووقفوا على حدودها من كَثَب أخذاً منه ﷺ، ثم اختلفوا في المدفن الشريف، فباح به أبو بكر فأصبح بذلك أعلمهم على الإطلاق؟!!

على أنه لو صحّت رواية الدفن لوجب أن يبوح بها رسول الله ﷺ لمن أوصاه بغسله ودفنه^(٤)، لمن ولي غسله وكفنه وإجناحه^(٥)، لمن يعلم أنه يباشر دفنه ويولي إجناحه^(٦) في منتصف الليل من دون حضور غير أهله كما سيأتي^(٧)، لا الذي يغيب عن ذلك المشهد، وغلبت على أجفانه عند ذاك سنة الكرى، وتعيين المدفن من أهم ما يوصى به عند كل أحد فضلاً عن سيّد البشر.

المظهر الثالث: أمّا رواية الإرث، فسرعان ما ناقض ابن حجر^(٨) فيها نفسه؛ فتراه

١ - كنز العمال ٦: ٢٥٤ [٢٦٠/١٢، ح ٣٤٩٥٠]. ٢ - شرح نهج البلاغة ٣: ١٩٣ [٣٩/١٣، خطبة ٢٣٠].

٣ - الطبقات الكبرى [٢٥٧/٢]؛ المستدرک علی الصحیحین [٦٢/٢، ح ٣٤٩٩].

٤ - طبقات ابن سعد رقم التسلسل: ٧٩٨ و ٨٠١ [٢٧٨/٢ و ٢٨٠ - ٢٨١]؛ الخصائص الكبرى ٢: ٢٧٦ و ٢٧٧

[٤٨٢/٢ و ٤٨٣]. ٥ - طبقات ابن سعد: ٧٩٨ [٢٧٨/٢].

٦ - [يقال: «أجنّه» أي ستره، والمراد دفنه ﷺ]. ٧ - في ٦٧٧ من كتابنا هذا.

٨ - الصواعق: ١٩ و ٢١ [٣٤ و ٣٩].

يحسب هاهنا في صفحة (١٩): أنها مختصة بأبي بكر، وهي من الأدلة الواضحة على أعلميته. وهو يعتقد في صفحة (٢١): أنه رواها عليّ والعبّاس وعثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد وأمّهات المؤمنين وقال: كلّهم كانوا يعلمون أن النبي ﷺ قال ذلك، وأنّ أبا بكر إنّما انفرد باستحضاره أولاً ثمّ استحضره الباقيون.

ما هذا التهافت بين كلامي الرجل؟! وما أذهله أخيراً عما جاء به أولاً؟! وهل الأعلمية مترسّحة من محض الاستحضار أولاً؟! أو السبق إلى التهافت به؟! وكلّ منهما كما ترى لا يفيد مزية إلا في الحفظ دون العلم.

ثمّ لو كان رسول الله ﷺ قال ذلك لوجب أن يفشيه إلى آله وذويه الذين يدّعون الوراثة منه ليقطع معاذيرهم في ذلك بالتمسك بعمومات الإرث من آي القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ فلا يكون هناك صخب وحوار تتعقّبهما محن وإحن، ولا تموت بضعته الطاهرة وهي واجدة على أصحاب أبيها^(١)، ويكون ذلك كلّه مثاراً للبغضاء والعداء في الأجيال المتعاقبة بين أشياع كلّ من الفريقين، وقد بُعث هو ﷺ لكسح تلك المعرّات وعقد الإخاء بين الأمم والأفراد.

ألم يكن ﷺ على بصيرة ممّا يحدث بعده من الفتن الناشئة من عدم إيقاف أهله وذويه على هذا الحكم المختصّ به ﷺ المخصّص لشرعة الإرث؟!!

حاشاه وعنده علم المنايا والبلايا والقضايا والفتن والملاحم.

وهل ترى أنّ دعوى الصديق الأكبر أمير المؤمنين وحليلته الصديقة الكبرى صلوات الله عليهما وآلهما على أبي بكر ما استولت عليه يده ممّا تركه النبي ﷺ من ماله كانت بعد علم وتصديق منها بتلك السنة المزعومة صفحاً منها عنها لاقتناء حطام الدنيا؟! أو كانت عن جهل منها بما جاء به أبو بكر؟!!

نحن نقدر ساحتها - أخذاً بالكتاب والسنة - عن علم بسنة ثابتة والصفح عنها، وعن جهل يربكها في الميزان.

ولماذا يصدق أبو بكر في دعواه الشاذة عن الكتاب والسنة، فيما لا يعلم إلا من قبل ورثته ﷺ ووصيه الذي هتف ﷺ به وبوصايته من بدء دعوته في الأندية والمجتمعات^(١)، ولم تكن أذن واعية لدعوى الصديقة وزوجها الطاهر بكون فذك نحلة لها من رسول الله ﷺ وهي لا تعلم إلا من قبلها؟!!

قال مالك بن جعونة عن أبيه أنه قال: قالت فاطمة لأبي بكر: «إن رسول الله ﷺ جعل لي فذك فأعطني إياها». وشهد لها علي بن أبي طالب: فسأها شاهداً آخر: فشهدت لها أم أمين. فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين. وانصرفت^(٢). ثم مِمَّ كان غضب الصديقة الطاهرة سلام الله عليها - وهي التي جاء فيها عن أبيها الأقدس: «إن الله يرضى لرضاها وينضب لغضبها»^(٣) - أمن حكم صدع به والدها؟! «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^(٤) وحاشاها.

أم لأن ذلك الحكم البات رواه عنه صديق أمين يريد بث حكم الشريعة وتنفيذه وهي مصدقة له؟! نحاشي ساحة البضعة الطاهرة بنص آية التطهير عن هذه الخزية.

فلم يبق إلا شق ثالث وهو أنها كانت تتهم الراوي، أو تعتقد خلافاً في الرواية، وتراه حكماً خلاف الكتاب والسنة. وهذا الذي دعاها إلى أن لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها^(٥) ونساء قومها تطأ ذيولها،

١ - أنظر ص ٧٢٢ - ٧٢٤ من كتابنا هذا. ٢ - فتوح البلدان للبلاذري: ٣٨ [ص ٤٤].

٣ - مستدرک الحاكم ٣: ١٥٤ [١٦٧/٣، ح ٤٧٣٠]، وصححه: ذخائر العقبى: ٣٩، تذكرة السبط: ١٧٥

[ص ٢١٠]، مقتل الخوارزمي ١: ٥٢؛ كفاية الطالب: ٢١٩ [ص ٣٦٤، باب ٩٩]؛ الصواعق: ١٠٥ [ص ١٧٥]؛

وراجع ص ٧٥٧ - ٧٥٨ من كتابنا هذا. ٤ - النجم: ٣ و ٤.

٥ - [الحفدة]: الأعوان والخدم.

ما تخرم مشيئتها مشيئة رسول الله، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثم أتت أجهش لها القوم بالبكاء، وارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله عزّ وجلّ والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ. ثم قالت ما قالت وفيما قالت: «أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾»^(١)؟ يا بن أبي قحافة! أترث أباك ولا أترث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً؛ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعمة الحكم الله، والزعيم محمد، والوعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون».

وهذا الذي تركها غضبي على من خالفها وتدعو عليه بعد كل صلاة حتى لفظت نفسها الأخيرة صلى الله عليها كما سيوافيك^(٢) تفصيله.

وهل هذا الحكم مطرد بين الأنبياء جميعاً؟ أو أنه من خاصّة نبيّنا ﷺ؟ والأوّل ينقضه الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾^(٣).

وقوله سبحانه عن زكريّا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٤).

ومن المعلوم أنّ حقيقة الميراث انتقال ملك الموروث إلى ورثته بعد موته بحكم المولى سبحانه؛ فحمل الآية الكريمة على العلم والنبوة كما فعله القوم خلاف الظاهر؛ لأنّ النبوة والعلم لا يورثان، والنبوة تابعة للمصلحة العامة، مقدرة لأهلها من أوّل يومها عند بارئها، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ولا مدخل للنسب فيها كما لا أثر للدعاء والمسألة في اختيار الله تعالى أحداً من عباده نبيّاً، والعلم موقوف على من يتعرّض له ويتعلّمه.

٢- في ص ٦٦٧-٦٧٥ من كتابنا هذا.

١- المائة: ٥٠.

٤- مريم: ٥ و ٦.

٣- النمل: ١٦.

على أن زكريّا عليه السلام إنما سأل ولياً من ولده يحجب مواليه - كما هو صريح الآية - من بني عمّه وعصبته من الميراث، وذلك لا يليق إلا بالمال، ولا معنى لحجب الموالي عن النبوة والعلم.

ثم إن اشتراطه عليه السلام في وليه الوارث كونه رضيعاً بقوله: «وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيّاً»^(١) لا يليق بالنبوة؛ إذا العصمة والقداسة في النفسيات والملكات لا تفارق الأنبياء؛ فلا محصل عندئذٍ لمسألته ذلك. نعم، يتم هذا في المال ومن يرثه؛ فإن وارثه قد يكون رضيعاً وقد لا يكون.

وأما كون الحكم من خاصّة رسول الله ﷺ فالقول به يستلزم تخصيص عموم أي الإرث؛ مثل قوله تعالى: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَزْوَاجِكُمْ لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ»^(٢).

وقوله سبحانه: «وَأُزْلُوا الْأَزْوَاجَ بَعْضُهُمْ أَزْلَىٰ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^(٣).

وقوله العزيز: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَإِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ»^(٤).

ولا يسوغ تخصيص الكتاب إلا بدليل ثابت مقطوع عليه، لا بالخبر الواحد الذي لم يصحّ الأخذ بعموم ظاهره؛ لمخالفته ما ثبت من سيرة الأنبياء الماضين صلوات الله على نبيّنا وآله وعليهم.

لا بالخبر الواحد الذي لم يخبث إليه صدّيقة الأئمة وصدّيقها الذي ورث علم نبيّها الأقدس، وعدّه المولى سبحانه في الكتاب نفساً لنبيّه صلى الله عليها وآلهما.

لا بالخبر الواحد الذي جرّ على الأئمة كلّ هذه الحن والإحن، وفتح عليها باب العداء المحتدم بمصراعيه، وأجّج فيها نيران البغضاء والشحناء في قرونها الخالية، وشقّ عصا المسلمين من أوّل يومهم، وأقلق من بينهم السلام والوئام وتوحيد الكلمة. جزى

١- مريم: ٦.

٢- النساء: ١١.

٣- الأنفال: ٧٥.

٤- البقرة: ١٨٠.

الله محدّثه عن الأُمّة خيراً.

ثمّ إن كان أبو بكر على ثقة من حديثه فلمَ ناقضه بكتاب كتبه لفاطمة الصديقة سلام الله عليها، بفدك؟! غير أنّ عمر بن الخطّاب دخل عليه فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبتُه لفاطمة بميراثها من أبيها. فقال: ممّاذا تُتفق على المسلمين، وقد حاربتك العرب كما ترى؟ ثمّ أخذ عمر الكتاب فشقه^(١).

﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَتَّقُهُونَ حَدِيثًا﴾^(٢).

التمسك بالأفانك:

والعجب العجاب قول ابن حجر في الصواعق^(٣):

لا يقال: بل عليّ أعلم من أبي بكر للخبر الآتي في فضائله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

لأنّا نقول: سيأتي أنّ ذلك الحديث مطعون فيه. وعلى تسليم صحّته أو حسنه فأبو بكر محرابها. ورواية فمن أراد العلم فليأتِ الباب لا تقتضي الأعلميّة. فقد يكون غير الأعلم يقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرغ للناس بخلاف الأعلم. على أنّ تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس: «أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها. وعليّ بابها» فهذه صريحة في أنّ أبا بكر أعلمهم. وحينئذٍ فالأمر يقصد الباب إنّما هو لنحو ما قلناه لا لزيادة شرفه على ما قبله؛ لما هو معلوم ضرورة أنّ كلّاً من الأساس والحيطان والسقف أعلى عن الباب.

قال الأميني: إنّ الطعن في حديث «أنا مدينة العلم» لم يصدر إلّا من ابن الجوزي

١- السيرة الحليّة لابن الجوزي ٣: ٣٩١ [٣/٣٦٢].

٢- الصواعق المحرقة: ٢٠ [ص ٣٤].

٣- النساء: ٧٨.

ومن يشاكله من رماة القول على عواهنه. وستعرف^(١) نصوص العلماء على صحة الحديث، واعتبار قوم حسنه، وتقرير آخرين ما صدر ممن تقدمهم إلى ذينك الوجهين وتزييف ما ارتآه ابن الجوزي.

وأما ما ذكره من رواية الفردوس فلا يختلف اثنان في ضعفها وضعف ما يقاربها في اللفظ مما تدرج نحتة في الأزمنة المتأخرة تجاه ما يثبتته هتاف النبي الأعظم من فضيلة العلم الراقية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

وابن حجر نفسه من أولئك الذين زيّفوه وحكموا عليه بالضعف كما في كتابه الفتاوى الحديثية^(٢)؛ فقال:

حديث ضعيف، ومعاوية حلقها فهو ضعيف أيضاً.

فأذهله لحاجه في حجاجه عن حكمه ذاك، ورأى ما حكم عليه بالضعف نصّاً في أعلمية أبي بكر.

وقال السيّد محمد درويش الحوت في أسنى المطالب^(٣):

أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها؛ وذلك لا ينبغي ذكره في

كتب العلم لاسيما مثل ابن حجر الهيثمي؛ ذكر ذلك في الصواعق^(٤) والزواجر

وهو غير جيّد من مثله.

فلم يبق إذن مجال للمناقشة بالتعبير بالباب لمولانا صلوات الله عليه وبالأساس والمحيطان والسقف والحلقة لغيره. وقد عزب عنه أنه ﷺ يريد أن السبب الوحيد للاستفادة من علوم النبوة هو خليفته مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما أن المدخل الوحيد للمدينة بابها؛ فهو معنى كنائي جيء به لإفادة ما ذكرناه.

٢ - الفتاوى الحديثية: ١٩٧ [ص ٢٦٩].

١ - في ص ٧٢٨ - ٧٣٣ من كتابنا هذا.

٤ - الصواعق المحرقة: [ص ٣٤].

٣ - أسنى المطالب: ٧٣ [١٣٧، ح ٣٩١].

ثم إن من الواضح أن المراد من التعبير بالباب ليس الولوج والخروج فحسب وإنما هو الاستفادة والأخذ، ولا يتم هذا إلا أن يكون عنده كل علم النبوة الذي أراد ﷺ سوق الأمة إليه، وحصر الطريق إلى ذلك بمن عبّر عنه بالباب تأكيداً للحصر ثم زاد في التأكيد بقوله: «فن أراد المدينة فليأت الباب».

فعليّ أمير المؤمنين هو الباب المبتلى به الناس، ومن عنده كل علم النبوة وكل ما يحتاج إليه البشر من فقه أو عظة أو خلق أو حكم أو حزم أو عزم؛ فهو أعلم الناس لا محالة؛ فذلك الإنسان هو عدل الكتاب العزيز وهما الثقلان خليفتا النبي الأقدس لا يتفرقان حتى يردا عليه الحوض؛ «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» (١).

شجاعة الخليفة

لم يؤثر عن الخليفة قبل الإسلام مشهد يدل على فروسيته، كما أنه لم نجد له في مغازي النبي ﷺ مع كثرتها وشهوده فيها موقفاً يشهد له بالبسالة، أو وقفة تخلد له الذكر في التاريخ، أو خطوة قصيرة في ميادين تلك الحروب الدامية تُعرب عن شيء من هذا الجانب الهام، غير ما كان في واقعة خيبر من فراره عن مناظلة مرحب اليهودي كصاحبه عمر بن الخطاب.

قال عليّ وابن عباس: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خيبر فرجع منهزماً ومن معه، فلما كان من الغد بعث عمر فرجع منهزماً يُجِبُّ أصحابه ويُجِبُّه أصحابه (٢).
ويُعرب عن فرارهما يوم ذاك قول رسول الله ﷺ بعد ما فرأ: «لأُعْطِينَ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرار».

١- الكهف: ٢٩.

٢- أخرجه الطبراني والبرّار؛ كما في مجمع الزوائد ٩: ١٢٤. ذكر انهزام الرجلين القاضي عضد الدين الإيجي في المواقف [ص ٤١٠]؛ وأقرّه شراحه كما في شرح المواقف للجرجاني ٣: ٢٧٦ [٢٦٩/٨].

وفي لفظ: «كرّار غير فرّار». وفي لفظ: «والذي كرّم وجه محمّد لأعطينها رجلاً لا يفرّ». وفي لفظ: «لأدفعنّ إلى رجل لن يرجع حتّى يفتح الله له». وفي لفظ: «لا يولّي الدبر»^(١). نعم، يراه ابن حزم في كتاب المفاضلة بين الصحابة^(٢) ومن لفّ لفّه أشجع الصحابة على الإطلاق ونحتوا له حديثاً على أمير المؤمنين أنّه قال: «أخبروني من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت. قال: أمّا إنّي ما بارزتُ أحداً إلّا انتصفتُ منه ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم؛ فمن؟ قال: أبو بكر؛ إنّه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلاّ يهوي إليه أحدٌ من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلّا أبا بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله لا يهوي إليه أحد إلّا هوى إليه؛ فهو أشجع الناس...»^(٣).

ليت القوم لم يحذفوا سند هذه الأثارة المفتعلة وكانوا يروونها بالإسناد حتّى نعرّف الملاء العلميّ بالذي اختلقها. وحسبنا أنّ الحافظ الهيثمي ذكرها بلا إسناد في مجمع الزوائد^(٤) وضعّفه وقال: «فيه من لم أعرفه».

وتكذّبها صحيحة ابن إسحاق قال: «كان رسول الله ﷺ يوم بدر في العريش وسعد بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشّح السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرّة العدو»^(٥).

١- صحيح البخاري ٦: ١٩١ [١٣٥٧/٣] ح ٣٤٩٨ و ٣٤٩٩؛ صحيح مسلم ٢: ٣٢٤ [٨٧/٤] ح ١٣٢، كتاب الجهاد والسير؛ طبقات ابن سعد: ٦١٨ و ٦٣٠ رقم التسلسل طبع مصر [١١٠/٢ - ١١١]؛ مسند أحمد ١: ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٥٣ و ٣٥٨ [٣٠٢/١] ح ١٦١١ و ٣٩١/٣ ح ١٠٧٣٨ و ٤٥٥/٦ ح ٢٢٣١٤ و ٤٩٢، ح ٢٢٥٢٢؛ خصائص النسائي: ٤ - ٨ [ص ٤٢، ح ١٧]؛ سيرة ابن هشام ٣: ٣٨٦ [٢٤٩/٢]؛ مستدرک الحاكم ٣: ١٠٩ [١١٧/٣] ح ٤٥٧٥. ٢- الفصل [١٤٣/٤].

٣- الرياض النضرة ١: ٩٢ [١٢٠/١]؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٥ [ص ٣٤].

٤- مجمع الزوائد ٩: ٤٦. ٥- عيون الأثر لابن سيّد الناس ١: ٢٥٨ [٣٢٦/١].

ثم إن حراسة النبي ﷺ لم تكن تنحصر بيوم بدر ولا بأبي بكر بل في كل موقف من موافقه ﷺ كان يتعهد أحد من الصحابة بحراسته؛ فكانت الحراسة لسعد بن معاذ ليلة بدر، وفي يومه لأبي بكر على ما ذكره الحلبي في السيرة^(١)، ولحمّد بن مسلمة يوم أحد...^(٢). وكانت هذه السيرة في الحراسة مستمرة إلى أن نزل قوله تعالى في حجة الوداع: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣) فترك الحرس^(٤)؛ فأبو بكر رديف أولئك الحرس بعد تسليم ما جاء في حراسته.

ولو صدق النبأ وكانت يوم بدر لأبي بكر تلك الأهمية الكبرى لكان هو أولى وأحقّ بنزول القرآن فيه يوم ذاك دون عليّ وحمزة وعبيدة لما نزل فيهم ذلك اليوم: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^{(٥)(٦)}.

ولو صحّت المزعومة لما خصّ عليّ وحمزة وعبيدة بقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^{(٧)(٨)}.

ولما نزل في عليّ أمير المؤمنين قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِتَضَرُّهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٩).

ولما ورد فيها ما ورد عن النبي الأعظم^(١٠).

ولما خصّ لمولانا عليّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ

١- السيرة الحلبيّة ٣: ٣٥٣ [٣/٣٢٧].

٢- عيون الأثر ٢: ٣١٦ [٢/٤٠٢]؛ السيرة الحلبيّة ٣: ٣٥٤ [٣/٣٢٧].

٣- المائدة: ٦٧.

٤- مستدرک الحاكم ٢: ٣١٣ [٢/٣٤٢، ح ٣٢٢١]؛ تفسير القرطبي ٦: ٢٤٤ [٦/١٥٨].

٥- الحج: ١٩.

٦- صحيح البخاري ٦: ٩٨، كتاب التفسير [٤/١٧٦٩، ح ٤٤٦٧]؛ صحيح مسلم ٢: ٥٥٠ [٥/٥٢٨، ح ٣٤].

٧- الأحزاب: ٢٣.

كتاب التفسير].

٨- الصواعق المحرقة: ٨٠ [١٣٤]؛ [وراجع تلخيص الغدير/١٢٢].

٩- [أنظر تلخيص الغدير/١٢٠-١٢٢].

٩- الأنفال: ٦٢.

الله^(١)؛ كما ذكره القرطبي في تفسيره^(٢).

وكان حقاً على رضوان منادي الله يوم بدر بقوله :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

أن ينوّه باسم أبي بكر وبسيفه المشهور على رأس رسول الله ﷺ^(٣).

ثم هل تنحصر مغازي النبي الأعظم وحروبه الدامية ببدر؟! وهل العريش كان في البدر فحسب دون سائر الغزوات؟! وهل سيّد العريش النبي الأعظم كان يلزم عريشه ولم يحضر قطّ في ميادين القتال؟! أو كان ينزل بالمعارك ويستخلف صاحبه على العريش؟!.

ما أعوز النبي الأعظم يوم خيبر مجاهداً كرّاراً غير فرّار لا يوليّ الدبر، وكان معه الخليفة الأشجع؟! أكان فرّاراً غير كرّار؟!.

أكان الأشجع في العريش لما ملأ الفضاء نداءً جبرئيل :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ

أكان الأشجع في العريش يوم حنين؟! لما حمى الوطيس وفرّ الناس عن النبي ﷺ ولم يبق معه إلا أربعة؛ ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: عليّ ابن أبي طالب والعبّاس وهما بين يديه، وأبوسفيان بن الحارث أخذ بالعنان، وابن مسعود من جانبه الأيسر، ولا يقبل أحد من المشركين جهته ﷺ إلا قُتِلَ^(٤)؟!.

أكان الأشجع في العريش يوم قال ﷺ: «لضربة عليّ خير من عبادة الثقلين». وفي

لفظ: «قتل عليّ لعمر وأفضل من عبادة الثقلين». وفي لفظ: «لمبارزة عليّ لعمر وبن ودّ

١- البقرة: ٢٠٧.

٢- الجامع لأحكام القرآن ٣: ١٦.

٣- [راجع تلخيص الغدير/ ١٢٦-١٢٧].

٤- السيرة الحلبية ٣: ١٢٣ [١٠٩/٣].

أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»^(١)؟!

الغريق يتشبّث بكلّ حشيش:

أعيت القوم شجاعة الخليفة، وأضلّتهم عن المذاهب، وجعلتهم في الرّونة^(٢)، وأركبتهم على الزحلوقة تسفّ بهم تارةً وتعلّيم أخرى، فلم يجدو مهيعاً يوصلهم إلى ما يرومون من إثباتها له مهما وجدوا غضون التاريخ خاليةً عن كلّ عين وأثر يسعهم الركون إليه في الحجاج لها، فتشبّثوا بالتفلسف فيها؛ فهذا يبني فلسفة العريش، والآخر ينسج نسج العناكيب ويعدّ ثباته في موت رسول الله ﷺ وعدم تضعّعه في تلك الهائلة دليلاً على كمال شجاعته.

قال القرطبي في تفسيره^(٣) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾^(٤)؛ هذه الآية أدلّ دليل على شجاعة الصديق وجرأته؛ فإنّ الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ؛ فظهرت عنده شجاعته وعلمه. وقال الناس: لم يمت رسول الله ﷺ منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى عليّ، واضطرب الأمر فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالشّح^(٥).

١- مستدرك الحاكم ٣: ٣٢ [٣/٣٤ ح ٤٣٢٧]؛ المواقف للقاضي الإيجي ٣: ٢٧٦ [ص ٤١٢]؛ كنز العمال ٦: ١٥٨
[١١/٦٢٣ ح ٣٢٠٣٥]؛ السيرة الحلبية ٢: ٢٤٩ [٢/٣٢٠] وهناك كلمة ردّ على ابن تيمية في ردّه على هذا الحديث؛ هداية الرّتاب في فضائل الأصحاب: ١٤٨.
٢- الجامع لأحكام القرآن ٤: ٢٢٢ [٤/١٤٣].

٣- [الرّونة]: الشّدّة].

٤- آل عمران: ١٤٤.

٥- بضمّ أوّله وسكون النون وقد تضمّ: موضع خارج المدينة بينها وبين منزل النبيّ ميل [في معجم البلدان ٣/ ٢٦٥: أنّها إحدى محالّ المدينة].

قال الأمين: يوهم القرطبي أن في كتاب الله العزيز ما يدل على شجاعة الخليفة وعلمه، وليس فيما جاء به أكثر من أنه استدلّ بالآية الشريفة يوم ذاك على موت رسول الله ﷺ؛ فأَيُّ صلة لها إلى شجاعة الرجل؟! وأيِّ قِسم فيها من أنحاء الدلالة الثلاثة فضلاً عن أن تكون أدلّ دليل؟! فإن يكن هناك شيء من الدلالة - وأين وأنى - فهو في ثبات جأشه وتمسّكه بالآية الكريمة لا في الآية نفسها.

ثم كيف خفي على الرجل وعلى من تبعه الفرق بين ملكتي الشجاعة والقسوة؟! وأن هذا النسج الذي أوهن من بيت العنكبوت إنما نسجته يد السياسة لدفع مشكلات هناك؛ فخبّلوا عمر بن الخطّاب - وحاشاه الخبل - تصحيحاً لإنكاره موت رسول الله ﷺ وأنه كان من ذلك القلق كما مرّ^(١)، وأقعدوا عليّاً لإيهام العذر في تخلّفه عن البيعة، وأخرسوا عثمان لأنّه لم ينبس في ذلك الموقف بينت شفة.

على أن ما جاء به القرطبي من ميزان الشجاعة يستلزم كون الخليفة أشجع من رسول الله ﷺ أيضاً؛ إذ لم يرو عن أبي بكر في رزية النبي الأعظم أكثر من أنه كشف عن وجه النبي وقبّله وهو يبكي وقال: طُبْتُ حَيّاً وَمَيِّتاً^(٢). وقد فعل ﷺ أكثر وأكثر من هذا في موت عثمان بن مظعون؛ فإنه ﷺ إنكبّ عليه ثلاث مرّات مرّة بعد أخرى وقبّله باكباً عليه وعيناه نذر فان والدموع تسيل على وجنتيه وله شهيق^(٣)، وشتّان بين عثمان بن مظعون وبين سيّد البشر روح الخليفة وعلة العوالم كلّها، وشتّان بين المصيّبتين.

كما يستدعي مقياس الرجل كون عمر بن الخطّاب أشجع من النبي الأقدس؛ لحزنه العظيم في موت زينب وبكائه عليها، وعمر كان يوم ذاك يضرب النسوة الباكيات

١ - في ص ٦٥١ من كتابنا هذا.

٢ - صحيح البخاري ٦: ٢٨١ [٤/١٦١٨، ح ٤١٨٧] كتاب المغازي؛ سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٤ [٤/٣٠٦].

٣ - سنن البيهقي ٣: ٧٠٤، حلية الأولياء ١: ١٠٥، الاستيعاب ٢: ٤٩٥ [القسم الثالث/١٠٥٥، رقم ١٧٧٩].

عليها بالسوط - كما مر^(١) - فضلاً عن عدم تأثره بتلك الرزية .

وقبل هذه كلها ما ذكره أعلام القوم في موت أبي بكر من طريق ابن عمر من قوله : « كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ ؛ ما زال جسمه يجري حتى مات » . وفي لفظ القرماني : « ما زال جسمه ينقص حتى مات »^(٢) .

كأن هذا الحديث عذب عن القرطبي والحلي ، فأخذاً بهذا مشفوعاً بكلامها المذكور في شجاعة أبي بكر يكون هو شاكلة عبد الله بن أنيس في موتها كمداً على رسول الله ﷺ ، ولم ينبئ قطّ خبير بموت أحد من الصحابة غيرهما بموته ﷺ ؛ وهذا دليل على ضعف قلبها عند حلول المصائب ؛ فهما أجبن الصحابة على الإطلاق إذا وزنا بميزان القرطبي وفيه عين .

ووراء هذه المغالاة في شجاعة الخليفة وعدّه أشجع الصحابة ما عزاه القوم إلى ابن مسعود من أنه قال : « أول من أظهر الإسلام بسيفه محمد ﷺ وأبو بكر والزبير ابن العوام رضي الله عنهما »^(٣) . وما يُعزى إلى رسول الله ﷺ من أنه قال : « لولا أبو بكر الصديق لذهب الإسلام »^(٤) .

قال الأمينني : لقد كانت على الأبصار غشاوة عن رؤية هذا السيف الذي كان بيد الخليفة !

وأنا لا أدري بأيّ خصلة في الخليفة نيّط بقاء الإسلام ؛ أبشجاعته هذه ؟ أم بعلمه الذي عرفت كميته ؟ أم بماذا ؟ ! فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر .
ولو كان الخليفة حلیم قريش أو كان يرث النبيّ الأعظم شيئاً من خلقه العظيم ، لما توقّيت بضعته الطاهرة سلام الله عليها وهي واجدة عليه من جرّاء ما تلقت منه من

١ - في ص ١٥٥ من كتابنا هذا .

٢ - راجع المستدرك على الصحيحين ٣ : ٦٣ [٦٦/٢ ، ح ٤٤١٠] ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٥٥ [ص ٧٦] .

٣ - نور الأبصار للشبلنجي : ٥٤ [ص ١١٣] .

٤ - نزّهة المجالس للصفوري ٢ : ١٨٢ .

غلظة وعنف في كشف بيتها الذي تمنى تركه عند وفاته ولم يكن يأمر بقتال من فيه^(١)، إلى هنات وهنات.

أخرج البخاري في باب فرض الخمس^(٢)، عن عائشة: «أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها، ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نُورث، ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت».

وأخرج في الغزوات باب غزوة خيبر^(٣)، عن عائشة قالت: «إن فاطمة... إلى أن قالت: فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرت فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبو بكر، وصلى عليها».

ولأَيِّ الأمور تُدفن ليلاً
بَضْعَةُ المصطفى وَيُعْفَى ثراها
بلغت من موجدتها أنها أوصت بأن تُدفن ليلاً، وأن لا يدخل عليها أحد، ولا يصلي عليها أبو بكر؛ فدفنت ليلاً ولم يشعر بها أبو بكر، وصلى عليها عليّ وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس^(٤).

وقال الواقدي كما في السيرة الحلبية^(٥): «ثبت عندنا أن عليّاً - كرم الله وجهه - دفنها رضي الله عنهما ليلاً وصلى عليها ومعه العباس والفضل ولم يعلموا بها أحداً».

١- راجع ص ٦٧٩ من كتابنا هذا. ٢- صحيح البخاري ٥: ٥ [١١٢٦/٣، ح ٢٩٢٦].

٣- صحيح البخاري ٦: ١٩٦ [١٥٤٩/٤، ح ٣٩٩٨]. ويوجد الحديث في صحيح مسلم ٢: ٧٢ [٢٩/٤، ح ٥٢]؛ مسند أحمد ١: ٦ و ٩ [١٣/١، ح ٢٦؛ ص ١٨، ح ٥٦].

٤- طبقات ابن سعد ٨: ٢٩ - ٣٠؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٦٣ [١٧٨/٣، ح ٤٧٦٤ و ٤٧٦٩]؛ مقتل الخوارزمي ١: ٨٣.

٥- السيرة الحلبية ٣: ٣٩٠ [٣٦١/٣].

وقال ابن حجر في الإصابة^(١)، والزرقاني في شرح المواهب^(٢): «روى الواقدي من طريق الشعبي قال: صلى أبو بكر على فاطمة؛ وهذا فيه ضعف وانقطاع. وقد روى بعض المتروكين عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه نحوه ووهاه الدارقطني وابن عدي^(٣). وقد روى البخاري عن عائشة: أنها لما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبو بكر وصلى عليها».

قال الأميني: حديث مالك عن جعفر بن محمد - الإمام الصادق - عن أبيه، عن جدّه، لفظه: «توفيت فاطمة ليلاً، فجاء أبو بكر وعمر وجماعة كثيرة. فقال أبو بكر لعليّ: تقدّم فصلّ. قال: لا والله لا تقدّم وأنت خليفة رسول الله، فتقدّم أبو بكر فصلّى أربعاً». إنّه من موضوعات عبد الله بن محمد القدامي المصيصي كما عدّه الذهبي في الميزان^(٤) من مصائبه.

ومن جرّاء تلك الموجدّة منعت عن أن تدخلها يوم ذاك عائشة كريمة أبي بكر فضلاً عن أبيها. فجاءت تدخل فنعتها أسماء فقالت: لا تدخلني. فشكت إلى أبي بكر وقالت: هذه الخثعميّة تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ. فوقف أبو بكر على الباب وقال: يا أسماء! ما حملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ، وقد صنعت لها هودج العروس؟ قالت: هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد، وأمرتني أن أصنع لها ذلك^(٥).

٢ - شرح المواهب ٣: ٢٠٧.

١ - الإصابة ٤: ٣٧٩.

٣ - الكامل في ضعفاء الرجال [٢٥٨/٤، رقم ١٠٩٢].

٤ - ميزان الاعتدال ٢: ٧٠ [٤٨٨/٢، رقم ٤٥٤٤].

٥ - راجع الاستيعاب ٢: ٧٧٢ [القسم الرابع/ ١٨٩٧ - ١٨٩٨، رقم ٤٠٥٧]؛ أسد الغابة ٥: ٥٢٤ [٢٢٦/٧، رقم

٧١٧٥]؛ تاريخ الخميس ١: ٣١٣ [٢٧٧/١]؛ كنز العمال ٧: ١١٤ [١٣/٦٨٦، ح ٣٧٧٥٦]؛ أعلام النساء

٣: ١٢٢١ [١٣١/٤].

إعتذار الخليفة إلى الصديقة:

هذه المذكورات كلها وبعض سواها تكذب ما اختلقته رماة القول على عواهنه من رواية الشعبي أنه قال: «جاء أبو بكر إلى فاطمة وقد اشتد مرضها فاستأذن عليها فقال لها علي: هذا أبو بكر على الباب يستأذن فإن شئت أن تأذني له؟ قالت: أوذاك أحب إليك؟ قال: نعم؛ فدخل فاعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه».

وعن الأوزاعي قال: «بلغني أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ غضبت على أبي بكر فخرج أبو بكر حتى قام على بابها في يوم حارٍّ، ثم قال: لا أبرح مكاني حتى ترضى عني بنت رسول الله ﷺ فدخل عليها عليٌّ فأقسم عليها لترضى، فرضيت»^(١).

ما قيمة هذه الرواية تجاه تلكم الصحاح؟! ولا يوجد لها أثر في أي أصل من أصول الحديث ومسانيد الحفاظ، وقد بلغت إلى الأوزاعي المتوفى (١٥٧) وأرسل بها الشعبي المتوفى (١٠٤، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠) ولا يعرف من بلغها، ومن أتى بها، ومن أوحاها إلى الرجلين.

نعم، تساعد نصوص الصحاح ما أتى به ابن قتيبة؛ قال: «إن عمر قال لأبي بكر رضي الله عنهما: انطلق بنا إلى فاطمة؛ فإننا قد أغضبناها؛ فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا عليّاً فكلما، فأدخلها عليها، فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلمّا عليها، فلم تردّ عليها السلام. فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إن قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددتُ يوم مات أبوك أني متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ إلا أني سمعتُ أباك رسول الله ﷺ يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة. فقالت: «أرايتكما إن حدّثتكما حديثاً عن

رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟». فقالا: نعم. فقالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول: رضا فاطمة من رضي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أَرْضَى فاطمة فقد أَرْضَانِي، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟!». قالوا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ. قالت: «فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتاني وما أَرْضِيتاني، ولئن لقيتُ النبيَّ لأشكوَنَّكما إليه». فقال أبو بكر: أنا عائدٌ بالله تعالى من سخطه وسخطكِ يا فاطمة! ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: «والله لأدعونَّ عليك في كلِّ صلاة أُصَلِّيها»، ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه، فقال لهم: يبيتُ كلُّ رجلٍ منكم^(١) معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتُموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقبلوني بيعتي^(٢).

نظرة في كلمة قارصة:

لا يسعنا أن نفوه في الدفاع عن الخليفة بما قال ابن كثير في تاريخه^(٣) من:
أنَّ فاطمة حصل لها - وهي امرأة من البشر ليست بواجبة العصمة - عتب وتغضب، ولم تكلم الصديق حتى ماتت.
وقال^(٤):

وهي امرأة من بنات آدم تأسف كما يأسفون، وليست بواجبة العصمة، مع وجود نص رسول الله ﷺ ومخالفة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.
أنِّي لنا السرف والمجازفة في القول بمثل هذا تجاه آية التطهير في كتاب الله العزيز النازلة فيها وفي أبيها وبعليها وبنيتها؟!

١ - [ما بين المعقوفين أثبتناه من المصدر].

٢ - الإمامة والسياسة ١: ١٤ [٢٠/١]، أعلام النساء ٣: ٢١٤ [١٢٣/٤ - ١٢٤].

٣ - البداية والنهاية ٥: ٢٤٩ [٢٧٠/٥]، ٣١٠ حوادث سنة ١١ هـ.

٤ - المصدر السابق: ٢٨٩.

أَنِّي لَنَا بِذَلِكَ وَبَيْنَ يَدَيْنَا هَتَافُ النَّبِيِّ الْأَقْدَسِ ﷺ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي».

وفي لفظة: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا، وَيَغْضَبُنِي مَا أَغْضَبَهَا».

وفي لفظة: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا، وَيَبْطِئُنِي مَا يَبْطِئُهَا».

وفي لفظة: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا، وَيَنْصِبُنِي مَا أَنْصِبُهَا»؛ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ^(١): «أَيُّ يَتَعَبُنِي مَا أَتَعَبُهَا».

وفي لفظة: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِينُنِي مَا رَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا».

وفي لفظة: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَسْعَفُنِي مَا يَسْعَفُهَا»؛ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ^(٢): «أَيُّ يَنَالُنِي مَا يَنَالُهَا، وَيَلْمُّ بِي مَا يَلْمُّ بِهَا».

وفي لفظة: «فَاطِمَةُ شَجَنَةٌ مِنِّي يَبْطِئُنِي مَا يَبْطِئُهَا، وَيَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا».

وفي لفظة: «فَاطِمَةُ مَضْغَةٌ مِنِّي فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي».

وفي لفظة: «فَاطِمَةُ مَضْغَةٌ مِنِّي يَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا، وَيَبْطِئُنِي مَا يَبْطِئُهَا».

وفي لفظة: «فَاطِمَةُ مَضْغَةٌ مِنِّي يَسْرُّنِي مَا يَسْرُّهَا».

أَخْرَجَهَا عَلَى اخْتِلَافِ أَلْفَاظِهَا أَئِمَّةُ الصَّحَاحِ السَّتَّةِ، وَعِدَّةُ أُخْرَى مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ فِي السَّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ وَالْمَعَاجِمِ.

ذَكَرَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ ﷺ فِي الْغَدِيرِ^(٣) (٥٩) مِمَّنْ رَوَاهَا؛ وَإِلَيْكَ جُمْلَةٌ مِنْهُمْ:

١- ابْنُ أَبِي مَلِيكَةَ، الْمُتَوَفَّى (١١٧)؛ كَمَا فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَابْنِ مَاجَةَ وَأَبِي دَاوُدَ وَأَحْمَدَ وَالْحَاكِمَ^(٤).

١- تاج العروس [٤٨٥/١]. ٢- تاج العروس ٦: ١٣٩.

٣- [أنظر الغدير ٧/ ٣١١-٣١٨].

٤- صحيح البخاري [١٣٧٤/٣]، ح ٣٥٥٦؛ صحيح مسلم [٥٣/٥-٥٤]، ح ٩٣ و ٩٤، كتاب فضائل الصحابة؛

سنن ابن ماجه [٦٤٣/١-٦٤٤]، ح ١٩٩٨؛ سنن أبي داود [٢٢٦/٢]، ح ٢٠٧١؛ مسند أحمد [٤٣٠/٥]، ح

١٨٤٤٧؛ مستدرک الحاكم [١٧٣/٣]، ح ٤٧٥١.

٢ - عمرو بن دينار المكي، المتوفى (١٢٥، ١٢٦)؛ كما في صحيح البخاري ومسلم^(١).

٣ - إمام الحنابلة أحمد المتوفى (٢٤١)، في مسنده^(٢).

٤ - الحافظ البخاري أبو عبدالله، المتوفى (٢٥٦)، في صحيحه في المناقب^(٣).

٥ - الحافظ أبو عبدالله ابن ماجة، المتوفى (٢٧٢)، في سننه^(٤).

٦ - الحافظ أبو داود السجستاني، المتوفى (٢٧٥)، في سننه^(٥).

٧ - الحافظ أبو عبدالرحمن النسائي، المتوفى (٣٠٣)، في خصائصه^(٦).

٨ - أبو القاسم السهيلي، المتوفى (٥٨١)، في الروض الأنف^(٧).

وقال:

إنَّ أبا لبابة رفاعه بن عبدالمندر ربط نفسه في توبته ، وإنَّ فاطمة أرادت حلّه حين نزلت توبته فقال : قد أقسمتُ ألا يحلّني إلّا رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «إنَّ فاطمة مضغة مني» ؛ فصلّى الله عليه وعلى فاطمة ؛ فهذا حديثٌ يدلّ على أنَّ من سبّها فقد كفر ، ومن صلّى عليها فقد صلّى على أبيها ﷺ .

٩ - ابن أبي الحديد المعتزلي، المتوفى (٥٨٦)، في شرح النهج^(٨).

١٠ - الحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى (٩١١)، في الجامع الصغير والكبير^(٩).

١ - صحيح البخاري [١٣٧٤/٣، ح ٣٥٥٦]؛ صحيح مسلم [٥/٥٤، ح ٩٤، كتاب فضائل الصحابة].

٢ - مسند أحمد ٤: ٣٢٣ و ٣٢٨ [٥/٤٢٣، ح ١٨٤٢٨، وص ٤٣٠، ح ١٨٤٤٧].

٣ - صحيح البخاري [١٣٧٤/٣، ح ٣٥٥٦]. ٤ - سنن ابن ماجة ١: ٢١٦ [١/٦٤٣، ح ١٩٩٨].

٥ - سنن أبي داود ١: ٢٢٤ [٢/٢٢٦، ح ٢٠٧١].

٦ - السنن الكبرى [٥/١٤٧، ح ٨٥١٨ - ٨٥٢٢]؛ كتاب الخصائص: ٣٥.

٧ - الروض الأنف ٢: ١٩٦ [٢/٤٣٠]. ٨ - شرح نهج البلاغة ٢: ٤٥٨ [٩/١٩٣، خطبة ١٥٦].

٩ - جامع الأحاديث [٥/٢٥٨، ح ١٤٧٢٤ و ١٤٧٢٥].

١١ - زين الدين المناوي، المتوفى (١٠٣١، ١٠٣٥)، في كنوز الدقائق^(١).
وقال في شرح الجامع الصغير^(٢):

استدلّ به السهيلي على أنّ من سبّها كفر، لأنّه يغضبه، وأنها أفضل من الشيخين. قال الشريف السهمودي: ومعلوم أنّ أولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه؛ ومن ثمّ لما رأت أمّ الفضل في النوم أنّ بضعة منه وضعت في حجرها أولها رسول الله ﷺ بأن تلد فاطمة غلاماً فيوضع في حجرها؛ فولدت الحسن فوضع في حجرها؛ فكلّ من يشاهد الآن من ذريّتها بضعة من تلك البضعة، وإن تعدّدت الوسائط. ومن تأمل ذلك انبعث من قلبه داعي الإجلال لهم وتجنّب بغضهم على أيّ حال كانوا عليه.

قال ابن حجر: وفيه تحريم أذى من يتأذى المصطفى ﷺ بتأذيه؛ فكلّ من وقع منه في حقّ فاطمة شيء فتأذّت به، فالنبي ﷺ يتأذى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها؛ ولهذا عرف بالاستقراء معالجة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ.

ثمّ أنّي لنا القول بمقال ابن كثير وملء الأسماع قول رسول الله ﷺ: «فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ فمن آذاها فقد آذاني»^(٣). وقوله: «إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها». أو: «إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» قاله لفاطمة^(٤)!

هذه مطلقات تشمل جميع موجبات الرضا والغضب من الصديقة - سلام الله عليها - حتّى المباحات شأن أبيها الأقدس كما فهمه القسطلاني والحمزاوي في شرح البخاري؛

١ - كنوز الدقائق: ٩٦ [٢٤/٢]. ٢ - شرح الجامع الصغير ٤: ٤٢١.

٣ - راجع ص ٧٥٦ من كتابنا هذا.

٤ - راجع المعجم الكبير [١٠٨/١، ح ١٨٢]؛ المستدرک على الصحيحين ٣: ١٥٤ [١٦٧/٣، ح ٤٧٣٠] وصحّحه؛

تذكرة الخواصّ: ١٧٥ [ص ٣١٠] كنز العمال ٧: ١١١ [١٣/٦٧٤، ح ٣٧٧٢٥] و....

وذلك يكشف عن أنها - صلوات الله عليها - لا ترضى إلا لما فيه مرضاة المولى سبحانه، ولا تغضب إلا على ما يغضبه، حتى أنها لو رضيت أو غضبت على أمر مباح فإن هناك جهة شرعية تدخله في الراجحات، أو يجعله من المكروهات؛ فلن تجد منها في أي من الرضا والغضب جهة نفسية أو صبغة شهوية؛ وذلك معنى العصمة التي نفاها المتحذلق - ابن كثير - بعد أن تصامم أو تعامى عن دلالة آية التطهير النازلة فيها وفي أبيها وبعلمها وبنيتها: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»^(١).

- ٤ -

حديث السقيفة

ليس من العسير الشديد عرفان حدود أي فرد شئت من الصحابة؛ إذ التاريخ - مع ما فيه من الخطب والخلط - فيه رمز من الحقيقة، لا يختلط للناقد البصير زُبدته بخائره، وصحيحه بسقيمه، ويسع له أن يستخرج المحض بالمحض، يتخذ منه دروس الحقائق، ويعرف به حدود الرجال، ومقاييس السلف، ومقادير الأمم الغابرة.

ومن اللازم المحتوم علينا النظرة في تراجم الشخصيات البارزة من رجال الإسلام سلفاً وخلفاً بعين الإكبار دون عين رمصة، ولا سيما من عُرف منهم بالخلافة الراشدة بين الملأ الديني ولو بالانتخاب الدستوري الذي ليس له أي قيمة وكرامة في سوق الاعتبار وميزان العدل: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ»^(٢). «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»^(٣). «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ يَغْدُو»^(٤). «وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٥). «وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّهُمْ مُشْتَرِكٌ»^(٦).

٢ - القصص: ٦٨.

١ - الأحزاب: ٣٣.

٤ - الروم: ٤.

٣ - الأحزاب: ٣٦.

٦ - القمر: ٣.

٥ - الأنعام: ١٢٧.

فصاحب النبي الأعظم في الغار، والمهاجر الوحيد معه في الرعي الأول من المهاجرين السابقين يهّنا إكباره وإعظامه، ويُعدُّ من الجنايات الفاحشة بخس حقه، والتقصير في تحديد نفسيّاته، والخروج عن قضاء العدل فيها، والنزول على حكم العاطفة.

ونحن لا نحوم حول موضوع الخلافة وأنها كيف تمّت؟ كيف صارت؟ كيف قامت؟ كيف دامت؟ وأن الآراء فيها هل كانت حرّة؟ ووصايا المشرّع الأعظم هل كانت متّبعة؟ أو كانت للأهواء والشهوات يوم ذاك حكومة جبّارة هي تبطش وتقبض، وهي ترفع وتخفض، وهي ترتق وتفتق، وهي تنقض وتبرم، وهي تحلّ وتعقد؟

لا يهّنا البحث عن هذه كلّها بعد ما سمعت أذن الدنيا حديث السقيفة مجتمع الثويلة، وقُرّطت نبأ تلك الصاخة الكبرى، والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار؛ «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ»^(١).

ما عساني أن أقول؟! والتاريخ بين يدي الباحث يدرسه بأن كلّ رجل من سواد الناس يوم ذاك كان يرى الفوز والسلامة لنفسه في عدم التحزّب بأحد من تلكم الأحزاب المتكثّرة، وترك الاقتحام في تلك الثورات النائرة، وكانت الخواطر تهدّده بالقتل مهما أبدى الشقاق، أو التحيّر إلى فئة دون فئة، بعد ما رأت عيناه فرند الصارم المسلول، وسمعت أذناه نداء محزّ^(٢) يتوعّد بالقتل كلّ قائل بموت رسول الله، ويقول: «لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله إلّا ضربته بسيفي». أو يقول: من قال: «إنّه مات علوت رأسه بسيفي، وإنما ارتفع إلى السماء»^(٣).

١- الواقعة: ١- ٣.

٢- «المحزّ»: الرجل الغليظ الكلام.

٣- تاريخ الطبري ٣: ١٩٨ [٢٠١/٣]، حوادث سنة ١١ هـ؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٨ [٤٠/٢]، خطبة ٢٦؛

تاريخ ابن كثير ٥: ٢٤٢ [٢٦٣/٥]، حوادث سنة ١١ هـ؛ تاريخ أبي الفداء ١: ١٥٦.

يصيح من قالَ نفسُ المصطفى قُبِضَتْ عَلاَتُ هَامَتِه بالسيف أبريها^(١)
 بعد ما تشازرت الأُمَّة وتلاكمت وتكالمت وقام الشيخان يعرض كلُّ منهما البيعة
 لصاحبه قبل أخذ الرأي عن أيِّ أحد، كأنَّ الأمر دَبَّر بليلى؛ فيقول هذا صاحبه: «أبسط
 يدك فلا بايعك»، ويقول آخر: «بل أنت». وكلُّ منهما يريد أن يفتح يد صاحبه
 ويبايعه، ومعهما أبو عبيدة الجراح حَقَّار القبور بالمدينة^(٢) يدعو الناس إليهما^(٣).
 والوصيُّ الأقدس والعترَةُ الهادية وبنو هاشم أُلْهَاهُم النَّبِيُّ الأعظم وهو مسجَّى بين
 يديهم وقد أغلق دونه الباب أهله^(٤)، وخَلَّى أصحابُه ﷺ بينه وبين أهله فَوَلُّوا^(٥)
 إجنانه^(٦) ومكث ثلاثة أيَّام لا يُدْفَن^(٧) أو من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء أو ليلته^(٨)؛
 فدَفَنه أهله ولم يله إلا أقاربه^(٩) دفنوه في الليل أو في آخره^(١٠)، ولم يعلم به القوم إلا بعد

١ - من أبيات القصيدة العمريَّة لحافظ إبراهيم [ديوان حافظ إبراهيم ٨١/١] شاعر النيل.

٢ - لم يكن إلا حَقَّاراً مَكْتِياً يحفر القبور بالمدينة، وكان فيها حَقَّاران ليس إلا وهما أبو عبيدة وأبو طلحة.

٣ - تاريخ الطبري ٣: ١٩٩ [٢٠٣/٣، حوادث سنة ١١ هـ].

٤ - سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٦ [٣٠٧/٤]؛ الرياض النضرة ١: ١٦٣ [٢٠٢/١].

٥ - «ولوا إجنانه»: تولَّوا دفنه.

٦ - طبقات ابن سعد: ٨٢١؛ طبع ليدن ج ٢ من القسم الثاني: ٧٦ [٣٠١/٢].

٧ - تاريخ ابن كثير ٥: ٢٧١ [٢٩٢/٥، حوادث سنة ١١ هـ]؛ تاريخ أبي الفداء ١: ١٥٢.

٨ - طبقات ابن سعد طبع ليدن ٢: ٥٨ و ٧٩ [٢٧٣/٢ و ٣٠٥]؛ سيرة ابن هشام ٤: ٣٤٣ و ٣٤٤ [٣١٤/٤]؛ مسند

أحمد ٦: ٢٧٤ [٣٠٩/٧، ح ٢٥٨١٧]؛ سنن ابن ماجه ١: ٤٩٩ [٥٢١/١، ح ١٦٢٨]؛ تاريخ أبي الفداء ١:

١٥٢ وقال: الأصح دفنه ليلة الأربعاء؛ تاريخ ابن كثير ٥: ٢٧١ [٢٩١/٥، حوادث سنة ١١ هـ] وقال: «هو

المشهور عن الجمهور». وقال: «الصحيح أنه دفن ليلة الأربعاء».

٩ - طبقات ابن سعد: ٨٢٤؛ طبع ليدن ج ٢ من القسم الثاني: ٧٨ [٣٠٤/٢].

١٠ - سنن ابن ماجه ١: ٤٩٩ [٥٢١/١، ح ١٦٢٨]؛ مسند أحمد ٦: ٢٧٤ [٣٩٠/٧، ح ٢٥٨١٧].

سماع صريف المساحي وهم في بيوتهم من جوف الليل^(١) ولم يشهد الشيخان دفنه ﷺ^(٢).

بعد ما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر وقد نبر حتى أزيد شذقاءه^(٣).

بعد ما قرعت سمعه عقيرة صحابيٍّ بدرِّيٍّ عظيم - الحباب بن المنذر - وقد انتضى سيفه على أبي بكر ويقول: «والله لا يردُّ عليَّ أحدٌ ما أقول إلاَّ حطمت أنفه بالسيف، أنا جُدَيْلُهَا المحكَّك^(٤) وعذيقها المرجَّب، أنا أبو شبل في عرينة الأسد يُعزى إلى الأسد». فيقال عليه: إذن يقتلك الله. فيقول: بل إِيَّاكَ يقتل. أو: بل أراك تقتل^(٥)؛ فأخذ ووُطِيَّ في بطنه، ودُسَّ في فيه التراب^(٦).

بعد ما بصر مقداداً ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره. أو نظر إلى الحباب ابن المنذر وهو يحطِّم أنفه، وتُضرب يده.

- ١ - الطبقات لابن سعد: ٨٢٤؛ طبع ليدن ج ٢ من القسم الثاني: ٧٨ [٣٠٤/٢]؛ مسند أحمد ٦: ٢٧٤ [٣٩٠/٧]، ح [٢٥٨١٧]؛ سيرة ابن هشام ٤: ٣٤٤ [٣١٤/٤]؛ تاريخ ابن كثير ٥: ٢٧٠ [٢٩١/٥]، حوادث سنة ١١ هـ.
- ٢ - أخرجه ابن أبي شيبة [في المصنّف ١٤/٥٦٨، ح ١٨٨٩٢] كما في كنز العمال ٣: ١٤٠ [٦٥٢/٥]، ح [١٤١٣٩].
- ٣ - طبقات ابن سعد: ٧٨٧؛ طبع ليدن، ج ٢ من القسم الثاني: ٥٢ [٢٦٧/٢]؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٣ [٥٦/٢]، خطبة ٢٦.

٤ - «الجدل» بالكسر والفتح: أصل الشجرة، والعود الذي ينصب للإبل الجرباء لتحتك به فتستشني به؛ فالقول مَثَلٌ يضرب لمن يستشني برأيه ويعتمد عليه، والتصغير للتعظيم [أنظر مجمع الأمثال ١/٥٢، رقم ١٢٥]. وكذلك: «عذيقها المرجَّب». و«العذق»: النخلة يحملها. و«الترجيب»: أن تدعم الشجرة إذ أكثر حملها لئلا تنكسر أغصانها.

- ٥ - صحيح البخاري ١٠: ٤٥ [٢٥٠٦/٦]؛ مسند أحمد ١: ٥٦ [٩٠/١]؛ سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٩ [٣١٠/٤]؛ تاريخ الطبري ٣: ٢٠٩ و ٢١٠ [٢٢٠/٢] و ٢٢٣، حوادث سنة ١١ هـ؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٨ [٣٨/٢]، خطبة ٢٦؛ ٢: ٤ [٩/٦]، خطبة ٦٦.
- ٦ - شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٦ [٤٠/٦]، خطبة ٦٦.

أو إلى اللاتذنين بدار النبوة، مأمن الأمة، وبيت شرفها، بيت فاطمة وعليٍّ سلام الله عليهما وقد لحقهم الإرهاب والترعيد^(١)، وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال له: «إن أبوا فقاتلهم»؛ فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار، فلقينته فاطمة فقالت: «يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟». قال: «نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة^(٢)».

بعد ما رأى هجوم رجال الحزب السياسي دار أهل الوحي وكشف بيت فاطمة^(٣)، وقد علت عقيرة قائدهم بعد ما دعا بالحطب: «والله لتحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة»، أو «لأحرقنّها على من فيها». فيقال للرجل: إن فيها فاطمة؛ فيقول: وإن^(٤)! بعد قول ابن شحنة: إن عمر جاء إلى بيت عليٍّ ليحرقه على من فيه فلقينته فاطمة فقال: ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة^(٥).

بعدما سمع أنة وحنة من حزينة كئيبة - بضعة المصطفى - وقد خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها: «يا أبت يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟»^(٦).

- ١ - تاريخ الطبري ٣: ٢١٠ [٢٢٣/٣]، حوادث سنة ١١ هـ؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ٥٨ [١٧٤/١]، خطبة ٣.
- ٢ - العقد الفريد ٢: ٢٥٠ [٨٧/٤]؛ تاريخ أبي الفداء ١: ١٥٦، أعلام النساء ٣: ١٢٠٧ [١١٤/٤].
- ٣ - الأموال لأبي عبيد: ١٣١ [ص ١٧٤، ح ٢٥٣]، الإمامة والسياسة لابن الذهب ١: ١٨ [١٩/١]؛ تاريخ الطبري ٤: ٥٢ [٢٢٢/٣]، حوادث سنة ١١ هـ؛ مروج الذهب ١: ٤١٤ [١٣٧/٢]؛ العقد الفريد ٢: ٢٥٤ [٩٣/٤]؛ تاريخ يعقوبي ٢: ١٠٥ [٣١٧/٢].
- ٤ - تاريخ الطبري ٣: ١٩٨ [٢٠٢/٣]، حوادث سنة ١١ هـ؛ الإمامة والسياسة ١: ١٣ [١٩/١]؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٤، و ٢: ١٩ [٥٦/٢]، خطبة ٢٦؛ و ٤٨/٦، خطبة ٦٦؛ أعلام النساء ٣: ١٢٠٥ [١١٤/٤].
- ٥ - تاريخ ابن شحنة، هامش الكامل ٧: ١٦٤ [روضة المناظر ١/١٨٩]، حوادث سنة ١١ هـ.
- ٦ - الإمامة والسياسة ١: ١٣ [٢٠ / ١]؛ أعلام النساء ٣: ١٢٠٦ [١١٥/٤]؛ الإمام عليّ لعبد الفتاح عبد المقصود ١: ٢٢٥ [بج ١/١ ج ١/١٩١].

بعدما رآها وهي تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميات تنادي: «يا أبا بكر! ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله»^(١).

بعدما شاهد هيكل القداسة والعظمة - أمير المؤمنين - يُقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل الخشوش^(٢)، ويُدفع ويُساق سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون، ويُقال له: بايع. فيقول: «إن أنا لم أفعل فمه؟». فيقال: إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك. فيقول: «إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله»^(٣).

بعدما رأى صنو المصطفى علياً لاذ بقبر رسول الله ﷺ وهو يصيح ويبكي ويقول: يا «ابن أمّ إنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَتَّكِلُونِي»^{(٤)(٥)}.

بعد نداء أبي عبيدة الجراح لعليّ عليه السلام يوم سيق إلى البيعة: «يا بن عمّ! إنك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمر، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشدّ احتمالاً واضطلاعاً به؛ فسلم لأبي بكر هذا الأمر؛ فإنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليفٌ وبه حقيقٌ في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك»^(٦).

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبب بقولهم: «لا نبايع إلا علياً».

بعد قول أبي بكر للأنصار: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم

١- شرح نهج البلاغة ١: ١٣٤، ٢: ١٩ [٥٧/٢، خطبة ٢٦؛ و ٤٩/٦، خطبة ٦٦].

٢- العقد الفريد ٢: ٢٨٥ [١٣٧/٤]؛ صبح الأعشى ١: ٢٢٨ [٢٧٣/١]؛ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٧ [٧٤/١٥]، كتاب ٩.

٣- الإمامة والسياسة ١: ١٣ [٢٠/١]؛ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٨ و ١٩ [٤٩/٦، خطبة ٦٦]؛ أعلام النساء ٣: ١٢٠٦ [١١٥/٤].

٤- الأعراف: ١٥٠.

٥- الإمامة والسياسة ١: ١٤ [٢٠/١].

٦- الإمامة والسياسة ١: ١٣ [١٨/١]؛ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥ [١٢/٦، خطبة ٦٦].

نصفان كشقُّ الأبلمة - يعني الخوصة -»^(١).

مدّت لها الأوسُ كفاً كي تناو لها فددت الخزرجُ الأيدي تباريها
وظنَّ كلُّ فريق أن صاحبهم أولى بها وأقى الشحاء آتيا^(٢)
وما عساني أن قول في تلك الخلافة بعد ما رآها أبو بكر وعمر بن الخطاب فلتة
كفلتة الجاهليّة وقى الله شرّها^{(٣)؟}!

بعد ما حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة^(٤).

بعد قوله يوم السقيفة: «من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعه له ولا بيعه
للذي بايعه تغرّة أن يقتلا»^(٥).

بعد قوله لابن عباس: «لقد كان عليٌّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر»^(٦).
بعد قوله: «إنا والله ما فعلناه عن عداوة ولكن استصغرناه، وحسبنا أن لا يجتمع
عليه العرب وقريش لما قد وترها».

بعد قول ابن عباس له في جوابه: «كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها فلم
يستصغره، أفستصغره أنت وصاحبك»^{(٧)؟}

١ - صحيح البخاري، في مناقب أبي بكر [٣/١٣٤١، ح ٣٤٦٧]؛ البيان والنبين ١: ١٨١ [٣/١٩٩]؛ عيون

الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٣٤ [مج ١/٥ - ٢٣٣ - ٢٣٤].

٢ - من أبيات القصيدة العُمريّة لحافظ إبراهيم شاعر النيل [أنظر ديوان حافظ إبراهيم ١/٨١].

٣ - التمهيد للباقلاني: ١٩٦؛ شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩ [٦/٤٧، خطبة ٦٦].

٤ - التمهيد للباقلاني: ١٩٦؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٣ و ١٢٤ [٢/٢٦، خطبة ٢٦]؛ الصواعق لابن حجر: ٢١ [ص ٣٦].

٥ - صحيح البخاري ١٠: ٤٤ [٦/٢٥٠٧، ح ٦٤٤٢]؛ باب رجم الحبلى من الزنا؛ مستند أحمد ١: ٥٦ [١/٩١، ح ٣٩٢]؛

سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٨ [٤/٣٠٩]؛ نهاية ابن الأثير ٣: ١٧٥ [٣/٣٥٦]؛ تيسير الوصول ٢: ٤٥ [٢/٥٤، ح ٤]؛

شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٨ [٢/٤٠، خطبة ٢٦]؛ تاريخ ابن كثير ٥: ٢٤٦ [٥/٢٦٧، حوادث سنة ١١ هـ].

٦ - شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٢ [٢/٥٧، خطبة ٢٦]؛ ٢: ٢٠ [٦/٥٠، خطبة ٦٦].

٧ - كنز العمال ٦: ٣٩١ [١٣/١٠٩، ح ٣٦٣٥٧].

بعد قول عمر لابن عباس: «يا بن عباس ما أظنُّ صاحبك إلا مظلوماً». وقول ابن عباس له: «والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر»^(١).

بعد قول أبي السبطين أمير المؤمنين: «أنا عبدالله وأخو رسول الله، أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أبايكم وأنتم أولى بالبيعة لي». فيقول عمر: لست متروكاً حتى تباع. فيقول علي: «احلب يا عمر حلباً لك شطره»^(٢).

بعدما خرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة. فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فيقول عليّ كرم الله وجهه: «أفكنتُ أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع سلطانه؟! فقالت فاطمة: «ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيهم وطالبهم»^(٣).

بعد قوله ﷺ: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أن محلي منها محلُّ القطب من الرحي، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلتُ دونها ثوباً، وطويتُ عنها كشحاً، وطَفِفتُ أرزتي بين أن أصول بيدي جذاً، أو أصبر على طخية عمياء، يَهْرُمُ فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكْدَحُ فيها مؤمن حتى يلقي ربّه، فرأيتُ أن السبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تُراثي نهباً، حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده.

١- شرح نهج البلاغة ٦: ٤٥ خطبة ٦٦.

٢- الإمامة والسياسة ١: ١٢ [١٨/١]؛ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥ [١١/٦]، خطبة ٦٦.

٣- الإمامة والسياسة ١: ١٢ [١٩/١]؛ شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣١؛ ٢: ٥ [٤٧/٢]، خطبة ٢٦؛ و١٣/٦، خطبة ٦٦.

(ثمّ تمثّل بقول الأعشى):

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ
فيا عجباً يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّراً ضرّعياً،
فصيرها في حوزة خَشْنَاء يَغْلُظُ^(١) كلمها، وَيَخْشُنُ مَسْهَا، ويكثر العثار فيها والاعتذار
منها، فصاحبها كراكب الصَّعْبَةِ، إنْ أَشْنَقَ لها خَرَمَ، وإنْ أَسْلَسَ لها تَقَحَّم، فَنِيَّ النَّاسِ -
لَعَمْرُ اللَّهِ - بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وتَلَوْنٍ واعتراضٍ، فصبرتُ على طول المدّة، وشدّة المحنة حتّى
إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم فيا لله وللشورى، متى اعترَضَ
الريبُ فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرتُ أُقَرَّنُ إلى هذه النظائر، لكنّي أسفقتُ إذْ أَسْفُوا،
وطُرْتُ إذا طاروا، فَصَغَى رجلٌ منهم لِضِغْنِهِ، وَمَالَ الْآخِرُ لِصِهْرِهِ مع هَنٍ وَهَنٍ، إلى أن
قام ثالث القوم نافجاً حِضْنِيهِ بين نَيْبِلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وقام معه بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ
خَضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ، إلى أنْ انْتَكَتْ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ...».

كلمتنا حول هذه الخطبة:

هذه الخطبة تسمّى بالشَّقَشَقِيَّة. وقد كثر الكلام حولها فأثبتها مَهْرَةُ الْفَرَسِ من
الفريقين ورأوها من خطب مولانا أمير المؤمنين الثابتة الَّتِي لَا مَغْمَزَ فِيهَا؛ فَلَا يُسْمَعُ إِذَنْ
قَوْلُ الْجَاهِلِ بِأَنَّهَا من كلام الشريف الرضي، وقد رواها غير واحد في القرون الأولى
قبل أنْ تنعقد للرضي نطفته، كما جاءت بإسناد معاصريه والمتأخّرين عنه من غير
طريقه.

ذكر شيخنا العلامة رحمته في الغدير^(٢) (٢٨) منهم؛ وإليك أُمَّة من أولئك:

١ - [في بعض نسخ نهج البلاغة: «كَلَامُهَا» بالضم: الأرض الغليظة. والكلم بمعنى الجرح. كَأَنَّهُ عليه السلام يقول: خسوتها

تجرح جرحاً غليظاً؛ أنظر شرح الشيخ محمد عبده على نهج البلاغة: ٢٣].

٢ - [الغدير ٧/ ١١٠ - ١١٥].

- ١- أبو جعفر دعلج الخزاعي، المتوفى (٢٤٦)؛ رواها بإسناده عن ابن عباس كما في أمالي شيخ الطائفة^(١)، ورواها عنه أخوه أبو الحسن عليّ.
- ٢- أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي، المتوفى (٢٧٤، ٢٨٠)؛ كما في علل الشرائع^(٢).
- ٣- أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة، المتوفى (٣٠٣)؛ كما في الفرقة الناجية للشيخ إبراهيم القطيني، والبحار للعلامة المجلسي^(٣).
- ٤- أبو القاسم البلخي أحد مشايخ المعتزلة، المتوفى (٣١٧)؛ كما في شرح ابن أبي الحديد^(٤).
- ٥- أبو جعفر ابن قبة تلميذ أبي القاسم البلخي المذكور؛ رواها في كتابه الإنصاف؛ كما في شرح ابن أبي الحديد^(٥)، وشرح ابن ميثم^(٦).
- ٦- القاضي عبد الجبار المعتزلي، المتوفى (٤١٥)؛ ذكر في كتابه المغني^(٧) تأويل بعض جمل الخطبة ومنع دلالتها على الطعن في خلافة من تقدّم على أمير المؤمنين من دون أيّ إيعاز إلى الغمز في إسناده.
- ٧- أبو الخير مصدّق بن شبيب الصلحي النحوي، المتوفى (٦٠٥)؛ قرأها على أبي محمد بن الخشاب وقال:

لما قرأت هذه الخطبة على شيخي أبي محمد ابن الخشاب ووصلت إلى قول ابن عباس: ما أسفت على شيء قطّ كأسفي على هذا الكلام. قال: لو كنت حاضراً لقلت لابن عباس: وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئاً لم يقله في هذه الخطبة؟! فإنه ماترك لا الأولين ولا الآخرين. قال مصدّق - وكانت فيه دعاة -:

١- أمالي الطوسي: ٢٣٧ [ص ٣٧٢-٣٧٤، ح ٨٠٣].
 ٢- علل الشرائع [١/١٨١، ح ١٢].
 ٣- بحار الأنوار ٨: ١٦١ [٨/١٥٥، الطبعة الحجرية].
 ٤- شرح نهج البلاغة ١: ٦٩ [١/٢٠٥، خطبة ٣].
 ٥- شرح نهج البلاغة ١: ٦٩ [١/٢٠٦، خطبة ٣].
 ٦- شرح نهج البلاغة لابن ميثم [١/٢٥٢، خطبة ٣].
 ٧- المغني [ص ٢٩٥].

فقلتُ له : يا سيدي ! فلعلها منحولةٌ إليه . فقال : لا والله إنّي أعرفُ أنّها من كلامه كما أعرفُ أنّك مصدّق . قال فقلتُ : إنّ الناس ينسبونها إلى الشريف الرضي . فقال : لا والله ، ومن أين للرضي هذا الكلام وهذا الأسلوب ، فقد رأينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه . ثم قال : والله لقد وقفتُ على هذه الخطبة في كتب صُنّفت قبل أن يخلق الرضي بمائتي سنة ، ولقد وجدتُها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمد والد الرضي ^(١) .

٨- عزّ الدين ابن أبي الحديد المعتزلي ، المتوفى (٦٥٥) ؛ قال في شرح النهج ^(٢) :

قلتُ : وقد وجدتُ أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة

ثمّ ما عساني أن أقول بعد ما يعرّب شاعر النيل ^(٣) اليوم ، ويؤجّج النيران الخامدة ويُجدّد تلکم الجنايات المنسيّة - لاها الله لا تُنسى مع الأبد - ويعدّها ثناء على السلف ، ويرفع عقيرته بعد مضيّ قرون على تلکم المعرّات ، ويتبّهج ويتبجّح بقوله في القصيدة العمرية تحت عنوان : عمر وعليّ :

وقولةٍ عليٍّ قالها عُمرُ أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرّقتُ دارك لا أبقِ عليك بها إن لم تبايعُ وبنّتُ المصطفى فيها
ما كان غيرُ أبي حفصٍ يفوه بها أمام فارسٍ عدنانٍ وحامياها

١- شرح نهج البلاغة لابن ميثم [١ / ٢٥٢ ، خطبة ٣] ؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٦٩ [١ / ٢٠٥] .

٢- شرح نهج البلاغة ١ : ٦٩ [١ / ٢٠٥-٢٠٦ ، خطبة ٣] .

٣- محمّد حافظ إبراهيم ، المتوفى سنة : ١٩٣٣ م ، ١٣٥١ هـ .

ماذا أقول بعد ما تحتفل الأمة المصرية في حفلة جامعة في أوائل سنة (١٩١٨) بإنشاد هذه القصيدة العمرية التي تتضمن ما ذكر من الأبيات؟! وتشرها الجرائد في أرجاء العالم. ويأتي رجال مصر نظراء أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري^(١)، وعلي الجارم، وعلي أمين^(٢)، و خليل مطران^(٣)، ومصطفى الدمياطي بك^(٤)، وغيرهم^(٥) ويعتنون بنشر ديوان هذا شعره، وبتقدير شاعر هذا شعوره، ويחדشون العواطف في هذه الأزمة، في هذا اليوم العصب، ويعكرون بهذه النعرات الطائفة صفو السلام الوئام في جامعة الإسلام، ويشتمون بها شمل المسلمين، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وتراهم يجددون طبع ديوان الشاعر وقصيدته العمرية خاصة مرة بعد أخرى، ويعلق عليها شارحها الدمياطي قوله في البيت الثاني:

المراد أن علياً لا يعصمه من عمر سكنى بنت المصطفى في هذه الدار.

وقال^(٦):

وفي رواية لابن جرير الطبري قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلاً

١ - ضبط وصحح وشرح هؤلاء الثلاثة الديوان طبعة سنة «١٩٣٧ م» بدار الكتب في جزأين، والأبيات المذكورة توجد فيها ١: ٨٢.

٢ - هما ومعهما ثالث التزموا تصحيح الديوان في طبعة أخرى.

٣ - له مقدمة لديوان الحافظ في طبعة مكتبة الهلال سنة «١٩٣٥ م، ١٣٥٣ هـ» والأبيات فيها: ص ١٨٤، غير أن الشطر الثاني من البيت الثاني محرف: «إن لم تبالغ وبنت المصطفى فيها».

٤ - شارح القصيدة العمرية طبع بطبعة السعادة في مصر في «٩٠» صفحة. توجد الأبيات فيه مشروحة: ص ٣٨.

٥ - في عدة طبعات أخرى. ٦ - في ص ٣٩ من الشرح.

بالسيف فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه . فإن كان زياد هذا هو الحنظلي أبو معشر الكوفي فهو موثق . والظاهر أنَّ حافظاً رحمه الله عول على هذه الرواية .

وتراهم بالغوا في الثناء على الشاعر وقصيدته هذه كأنَّه جاء للأمة بعلم جمٍّ، أو رأي صالح جديد، أو ألقى لعمر بفضيلة رابية تسرُّ بها الأمة ونبيها المقدَّس . فبشرى بل بشريان لنبيِّ الأعظم بأنَّ بضعته الصديقة لم تكن لها أيَّ حرمة وكرامة عند من يلهج بهذا القول، ولم يكن سكنها في دار طهر الله أهلها، يعصمهم منه ومن حرق الدار عليهم . فزه زهٍ بانتخابٍ هذا شأنه، وبخٍ بخٍ ببيعةٍ تمَّت بذلك الإرهاب، وقضت بتلك الوصمات .

- ٥ -

عمدة ما تمسك به القوم فيما وقع من الانتخاب الدستوري

أخرج البخاري في كتاب المناقب من صحيحه^(١) باب فضل أبي بكر بعد النبي من طريق عبد الله بن عمر قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثمَّ عمر بن الخطَّاب، ثمَّ عثمان بن عفَّان^(٢)» .

وأخرج^(٢) ابن داود والطبراني عن ابن عمر: «كنا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره»^(٣) .

وفي لفظ البخاري في تاريخه^(٤): «كنا نقول في زمن النبي ﷺ: من يلي هذا الأمر

١ - صحيح بخاري ٥: ٢٤٣ [١٣٣٧/٣، ح ٣٤٥٥] .

٢ - مسند أبي داود [٢٠٦/٤، ح ٤٦٢٨]، المعجم الكبير [٢٢٠/١٢، ح ١٣١٣٢] .

٣ - فتح الباري ٧: ١٣ [١٦/٧]، طرح التريث ١: ٨٢ .

٤ - تاريخ البخاري: ١/ قسم ١/ ٤٩١ .

بعد النبي ﷺ؟! فيقال: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت».

قال الأمين: هذه الرواية عمدة ما تمسك به القوم فيما وقع من الانتخاب الدستوري في الإسلام، وقد اتخذها المتكلمون حجة لدى البحث عن الإمامة، واتبع أثرهم المحدثون. ولهم عند إخراجها تصويب وتصعيد، وتبجح وابتهاج، وجاء كثيرون وقد أطنبوا وأسهبوا في القول لدى شرحها، وجعلوها كحجر أساسي علوا عليها أمر الخلافة الراشدة، واحتجوا بها على صحة البيعة التي عم شؤمها الإسلام، وحقت بهنات ووصمات وشئتت شمل المسلمين، وفئت في عضد الدين، وفصمت عراه، وجرت الويلات على أمة محمد حتى اليوم؛ فلنا عندئذ أن نبسط القول، ونوقف القارئ على جليلة الحال ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيَّةٍ وَرَخِيٍّ مَنْ حَى عَنْ بَيَّةٍ﴾^(١). والله وليّ التوفيق.

كان عبدالله بن عمر على العهد النبوي الذي ادعى أنه كان يُخَيَّر فيه فيختار، في إبان شبيبته حتى أنه كان لم يبلغ الحلم في جملة من سنيه؛ ولذلك ردّه رسول الله ﷺ عن الجهاد يوم بدر وأحد واستصغره، وأجاز له يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة كما ثبت في الصحيح^(٢).

وهو على جميع الأقوال في ولادته، وهجرته، ووفاته لم يكن مجاوزاً العشرين يوم وفاة رسول الله ﷺ، وهو في مثل هذا السن لا يُخَيَّر عادة في التفاضل بين مشيخة الصحابة ووجوه الأمة، ولا يُتخذ حكماً يُمضى رأيه في الخيرة؛ لأن الحكم الفاصل في مثل هذا يستدعي ممارسة طويلة، ووقوفاً على تجارب متتابعة مقرونة بعقلية ناضجة، وتميز بين مقتضيات الفضيلة، وعرفان لنفسيات الرجال وقوة في النفس لا يتمايل الهوى، وابن عمر كان يفقد كل هذه لما ذكرناه من صغر سنّه يوم ذاك المانع عن كل

١- الأنفال: ٤٢.

٢- صحيح البخاري ٦: ٧٤ [٢/ ٤٨، ح ٢٥٢١]؛ تاريخ الطبري ٢: ٢٩٦ [٢/ ٤٧٧]؛ عيون الأثر ٢: ٦ و ٧

[٤١٠/١]؛ فتح الباري ٧: ٢٣٢ [٧/ ٣٩٣].

ما ذكرناه، وروايته هذه أقوى شاهد على فقدانه تلکم الملكات الفاضلة.

قال أبو غسان الدوري: «كنت عند علي بن الجعد فذكروا عنده حديث ابن عمر: «كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ فنقول: خير هذه الأمة بعد النبي أبو بكر و عمر وعثمان، فيبلغ النبي ﷺ فلا ينكر»؛ فقال علي بن الجعد: انظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأته يقول: كنا نفاضل»^(١).

ومن عرف ابن عمر وقرأ صحيفة تاريخه السوداء عرفه بضؤولة الرأي، واتّباع الهوى، وبفقدانه كلّ تلکم الخلال^(٢) يوم بلغ أشده وكبر سنّه فضلاً عن عنفوان شبابه. وسيوافيك نزر من آرائه السخيفة.

دع ابن عمر ومن لفّ لقه يختار وينقول: «وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ»^(٣). «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»^(٤).

ودع البخاري ومن حذا حذوه يصحّح الباطل، ولا يعرف الحيّ من اللي^(٥)، واسمع لغواهم ولا تخف طغواهم: «وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ»^(٦). «قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى»^(٧).

قال أبو عمر في الاستيعاب^(٨) في ترجمة علي ﷺ:

من قال بحديث ابن عمر: كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت - يعني فلا نفاضل - وهو الذي أنكر ابن معين وتكلّم فيه بكلام

١ - تاريخ الخطيب ١١: ٣٦٣ [رقم ٦٢١٥].

٢ - [جمع خلّة، وهي الخلّة فالخلال أي الخصال].

٣ - الأحزاب: ٣٦.

٤ - قصص: ٦٨.

٥ - [يقال: لا يعرف الحيّ من اللي أي: لا يعرف الحق من الباطل].

٦ - طه: ٤٧.

٧ - المؤمنون: ٧١.

٨ - الاستيعاب ٢: ٤٦٧ [القسم الثالث / ١١١٦، رقم ١٨٥٥].

غليظ ، لأنّ القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر : أن عليّاً أفضل الناس بعد عثمان رضي الله عنه ، وهذا ممّا لم يختلفوا فيه ، وإنّما اختلفوا في تفضيل عليٍّ و عثمان . واختلف السلف أيضاً في تفضيل عليٍّ وأبي بكر . وفي إجماع الجميع أنّ الذي وصفنا دليل على أنّ حديث ابن عمر وهمّ وغلط ، وأنّه لا يصحّ معناه وإن كان إسناده صحيحاً .

وقال ابن حجر ^(١) بعد ذكر محصل كلام أبي عمر هذا :

وتعقّب أيضاً بأنّه لا يلزم من سكوتهم إذ ذلك عن تفضيله ، عدم تفضيله على الدوام ، وبأنّ الإجماع المذكور إنّما حدث بعد الزمن الذي قيّده ابن عمر ، فيخرج حديثه عن أن يكون غلطاً .

عزب عن ابن حجر ومن تعقّب أبا عمر : أنّ الإجماع الحادث المذكور لم يكن إلّا لتلك السوابق التي كان يحوزها مولانا أمير المؤمنين يوم سكت ابن عمر عن اختياره ولم تكن لها جدّة ، وإنّما هي التي أثني عليها الكتاب والسنة ؛ فيلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله بعد الثلاثة عدم تفضيله على الدوام ؛ فإن كان مدار الإجماع على اختياره رضي الله عنه يوم اختاروه ، هو ملكاته ونفسيّاته وسبقه في الفضائل والفواضل المفصّلة في الكتاب والسنة ، فهي لا تفارقه رضي الله عنه وهو المختار بها على الكلّ في أدوار حياته يوم فارق النبي ﷺ الدنيا ، وهلمّ جرّاً .

وإن كان المدار غير ذلك من الشيخوخة والكبر وأمثالهما فذلك شيء لا نعرفه ، ولا نفضّله رضي الله عنه على غيره بهذه التافهات التي هي شرك القوم اقتنصت بها بسطاء أمة محمد ﷺ يوم بيعة أبي بكر حتى اليوم .

وليت من تعقّب ابن عبد البرّ إن لم يكن يأخذ بكلّ ما جاء في عليٍّ أمير المؤمنين من

الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة كان يأخذ بما جاء به قومه عن أنس فحسب ثم يحكم فيما جاء به ابن عمر؛ قال أنس: قال رسول الله ﷺ: «إن الله افترض عليكم حبّ أبي بكر، وعمر، و عثمان، وعليّ، كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحجّ؛ فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحجّ»^(١)»^(٢).

وشتان بين رأي ابن عمر وبين قول أبيه في عليّ ﷺ: «هذا مولاي ومولى كلّ مؤمن، من لم يكن مولاه فليس بمؤمن»^(٣).

ولعلّ القوم سترأ على عوار اختيار ابن عمر، وتخلصاً من نقد أبي عمر المذكور، اختلقوا من طريق جعدبة^(٤) بن يحيى عن العلاء بن البشير العبشمي، عن ابن أبي أويس، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر أنّه قال: «كنا على عهد رسول الله ﷺ نفاضل فنقول: أبو بكر، وعمر، و عثمان، وعليّ».

واختلقوا من طريق محمّد أبي البلاط^(٥) عن زهد بن أبي عتاب، عن ابن عمر أيضاً: قال: كنا نقول في زمن النبيّ ﷺ: «يلي الأمر بعده أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ عليّ، ثمّ نسكت».

ولعلّ الواقف على ما ذكرنا يعلم ويُدعّن بأنّ اختيار ابن عمر ومن رأى رأيه باطل في غاية السخافة.

ولو كان معظم الصحابة لم يعدل بأبي بكر أحداً في زمن نبيّهم فما الذي زحزحهم

١- أثبتنا في محلّه أنّ هذه المنقبة لا تصحّ في غير عليّ ﷺ، وهي فيمن سواه تخالف الكتاب والسنة والعقل والمنطق.

٢- الرياض النضرة ١: ٢٩ [٤٣/١].

٣- راجع ما مضى: في ص ٦٤٧.

٤- جعدبة: متروك يروي عن العلاء من أكبر، والعلاء ضعيفٌ حديثه غير صحيح؛ راجع لسان الميزان ٢: ٤١٠-٤١١: ١٨٢.

[١٣٤/٢، رقم ١٩٤٩، ٢١٢/٤، رقم ٥٦٨٦].

٥- لا يعرف، لا يدري رجال الجرح والتعديل من هو؛ لسان الميزان ٥: ٩٦ [١٠٩/٥، رقم ٧١٠٧].

عن رأيهم ذلك يوم السقيفة؟! وما الذي أرجأهم عن بيعته؟! ومن أين أتاهم ذلك الخلاف الفاحش الذي جرّ الأسواء على الأمة حتى اليوم؟!

إنّ عيون الصحابة من المهاجرين والأنصار لما لم تكن تجد لأبي بكر يوم تقمّص الخلافة فضيلة يستحقّ بها الخلافة، وتدعم بها الحجّة على الناس في بيعته، تقاعست وتقاعدت عنها وما مدّت إليها منهم يدٌ، ولم تكن لهم فيها قدمٌ، وما بايعه يومها الأوّل إلاّ رجلان أو أربعة، أو خمسة، ثمّ حدث الأمة إليها الدعوة المشفوعة بالإرهاب والترعيب، وما كان في أفواه الدعاة إليها إلاّ الترهيب بالقتل والضرب والحرق، أو قولهم: «إنّ أبا بكر السبّاق المسنّ، صاحب رسول الله في الغار».

وكانت هذه غاية جهدهم في عدّ فضائل أبي بكر؛ قال ابن حجر في فتح الباري^(١):

وهي - فضيلة كونه ثاني اثنين في الغار - أعظم فضائله التي استحقّ بها أن

يكون الخليفة من بعد النبي ﷺ ؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب : إنّ أبا بكر

صاحب رسول الله ، ثاني اثنين ؛ فإنّه أولى المسلمين بأمرهم .

ألا مسائل ابن حجر عن أنّ صحبة يومين في الغار التي تُتصوّر على أنحاء، وللقول فيها مجال واسع، صحبة ما أمكنت الرجل من أن يصف صاحبه لما جاءه اليهود وقالوا: صف لنا صاحبك؛ فقال: معشر اليهود لقد كنتُ معه في الغار كما صبيّ هاتين، ولقد صعدتُ معه جبل حراء وأنّ خنصري لفي خنصره، ولكنّ الحديث عنه ﷺ شديد، وهذا عليّ ابن أبي طالب؛ فأتوا عليّاً فقالوا: يا أبا الحسن صف لنا ابن عمّك، فوصفه. الحديث^(٢).

كيف استحقّ الرجل بمثل هذه الصحبة الخلافة وصار بذلك أولى الناس بأمرهم؟! وأما صحبة عليّ عليه السلام إتياءه منذ نعومة أظفاره إلى آخر نفس لفظه ﷺ حتى عاد منه كالظلّ

من ذيه، وعُدَّ نفسه في الكتاب العزيز، وقرنت ولايته بولاية الله وولاية نبيه وجعلت مودته أجر الرسالة، فلم تستوجب استحقاقه بها الخلافة والأولوية بأمر الناس بعد قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»! إن هذا شيء عجاب!

وإني لست أدري أن هذه المفاضلة المتسالم عليها بين الصحابة في حياة رسول الله ﷺ لماذا نسيها أولئك العدول بموته ﷺ؟!

ولماذا لم يُصفقوا على ذلك الاختيار الذي كان يسمعه رسول الله ﷺ فلا ينكره؟! ووقع الخلاف والتشاح والتلاكم والتشاتم والنزاع، حتى كاد أن يقتل صنو النبي الأعظم في تلك المعمة، ورأت بضعته الصديقة ما رأت، ووقعت وصمات لا تنسى طيلة حياة الدنيا، وأرجئ دفن رسول الله ﷺ ثلاثاً، وكانت الصحابة بم عزل عنه ﷺ وعن إجنانه^(١)، وما حضر الشيخان دفنه.

قال النووي في شرح صحيح مسلم^(٢):

كان عذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحاً؛ لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين، وخافوا من تأخيرها حصول خلاف ونزاع تترتب عليه مفسد عظيمة؛ ولهذا أخرّوا دفن النبي ﷺ، حتى عقدوا البيعة لكونها كانت أهم الأمور كي لا يقع نزاع في مدفنه، أو كفنه، أو غسله، أو الصلاة عليه. أو غير ذلك.

ثم لو كان الأمر كما زعم ابن عمر من الاختيار فتقديم أبي بكر يوم السقيفة الرجلين: عمر وأبا عبيدة على نفسه وقوله: «بايعوا أحد الرجلين»، أو قوله: «قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: فبايعوا أيهما شئتم»، لماذا؟!

١ - [يقال: أجنّه في قبره، أي: دفنه].

٢ - [شرح صحيح مسلم ٧٨/١٢] في كتاب الجهاد، باب قول النبي ﷺ: لا تورت ما تركنا فهو صدقة، عند قول علي ﷺ لأبي بكر: «لكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نحن نرى لنا حقاً لقرايتنا من رسول الله».

ولماذا قول أبي بكر لأبي عبيدة الجراح حفّار القبور: «هلمّ أبايعك فإنّ رسول الله ﷺ يقول: إنّك أمين هذه الأمة»؟! (١).

ولماذا قول أبي بكر في خطبة له: «أما والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارها»؟!

أو قوله: «ألا وإنّما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني»؟!
أو قوله: «إني وليت عليكم ولست بخيركم»؟! أو قوله: «أقبلوني أقبلوني لست بخيركم»؟! (٢).

ولماذا ورم أنف كلّ الصحابة يوم اختيار أبي بكر عمر بن الخطاب للأمر بعده، وأراد كلّ منهم أن يكون الأمر له دونه (٣)؟!

ولماذا جابه طلحة بن عبيد الله - أحد العشرة المبشرة - أبا بكر يوم استخلف عمر فقال طلحة: «ما تقول لرّبك وقد وليت عليها فظاً غليظاً»؟!

ولماذا ندم أبو بكر في أخريات أيامه عن خلافته قائلاً: «وددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً»؟! (٤).

وما الذي دعا عمر بن الخطاب إلى قوله لابن عباس: «أما والله يا بني عبد المطلب، لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر»؟! (٥).

ولماذا بدأ عبد الرحمن بن عوف بعليّ ﷺ أولاً للبيعة وقدمه على عثمان يوم الشوري، غير أنّه اشترط عليه - صلوات الله عليه - القيام بسيرة الشيخين، فلم يقبله

١ - تاريخ مدينة دمشق ٧: ١٦٠ [٤٦٣/٢٥، رقم ٣٠٥١، وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢٦٩].

٢ - [راجع تلخيص الغدير/ ٦٥٥]. ٣ - راجع تاريخ الطبري ٤: ٥٢ [٤٢٩/٣].

٤ - أخرجه أبو عبيد في الأموال: ١٣١ [ص ١٧٤، ح ٣٥٣]؛ والطبري في تاريخه ٤: ٥٢ [٤٢٩/٣، حوادث سنة ١٣هـ].

٥ - ذكره الراغب في محاضرات الأدباء ٢: ٢١٣ [مج ٢/ ج ٤٧٨/٤].

وقبله عثمان فبايعه على ذلك^(١)؟

ولماذا قال معاوية: «إنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف؛ لأنهم أهل رسول الله ﷺ؛ فلما مضى رسول الله ﷺ ولّى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك والخلافة».

ولماذا قال العباس عم النبي ﷺ يوم قبض النبي ﷺ: «أبسط يدك فلنبايعك»^(٢)؟

وأين يقع قول عليّ أمير المؤمنين ﷺ على صهوة المنبر: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرحي» إلى آخر الخطبة الشقشقية، إلى كلمات أخرى له تضادّ هذه المفاضلة.

وشتان بين اختيار ابن عمر وبين ما جاء عن ابن أبي مليكة قال: قيل لعائشة: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟! قالت: أبو بكر. قيل لها: ثمّ من؟! قالت: عمر. فقيل لها: ثمّ من؟! قالت: أبو عبيدة وانتهت إلى هذه^(٣).

وأين كان ابن عمر عن أناس كانوا يفضلون بلال الحبشي على أبي بكر حتّى قال: كيف تفضلوني عليه وإنما أنا حسنة من حسناته؟!^(٤)

وأنت ترى من جرّاء ذلك الاختيار الباطل الذي جاء به ابن عمر أن تدهورت السياسة فصار الانتخاب نصّاً، وانقلبت الديمقراطية - إن كانت - إلى دكتاتورية محضة رضيت الأمة أم غضبت.

ثمّ عاد الأمر شورى ويا لله وللشورى! وسيف عبد الرحمن بن عوف هو العامل الوحيد يوم ذاك. إلى أن أصبح ملكاً عضوضاً، ووصلت النوبة إلى الطلقاء وأبناء

١ - مسند أحمد ١: ٧٥ [١/١٢٠، ح ٥٥٨]؛ تهيد الباقلاني: ٢٠٩؛ تاريخ الطبري ٥: ٤٠ [٤/٢٣٨]؛ تاريخ الخلفاء

للسيوطي: ١٠٤ [ص ١٤٤]؛ الصواعق: ٦٣ [ص ١٠٦]؛ فتح الباري ١٢: ١٦٨ [١٣/١٩٧].

٢ - تاريخ ابن عساكر ٧: ٢٤٥ [٢٦/٣٥٣، رقم ٣١٠٦، وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/٣٤٧].

٣ - صحيح مسلم ٧: ١١٠ [٥/٩، ح ٩، كتاب فضائل الصحابة]؛ تاريخ ابن عساكر ٧: ١٦١ [٢٥/٤٧٢، رقم ٣٠٥١].

٤ - تاريخ ابن عساكر ٣: ٣١٤ [١٠/٤٥٧، رقم ٩٧٤، وفي مختصر تاريخ دمشق ٥/٢٦٧].

الطلاق، إلى رجال العيث والفساد، إلى أبناء الخمر والفجور، إلى أن تمكّن معاوية الخمر والربا من استخلاف يزيد العرة والشره قائلاً؛ من أحقّ منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟! وما أظنّ قوماً بمنتهين حتى تصيهم بوائق تجتث أصولهم، وقد أُنذرت إن أغنت النذر^(١).

لم يكن لأعيان الأمة، ووجوه الصحابة، وصلحاء الملة، وخيرة الناس في أمر تلكم الأدوار القائمة حلّ ولا عقد، بل كانوا مضطهدين مقهورين مبتزين يرون حكم الله مبدلاً، وكتابه منبوذاً، وفرائضه محرّفة عن جهات أشراعه، وسنن نبيّه متروكة.

سبحانك اللهم ما أجراهم على الرحمن وانتهاك حرمة النبي وكتابه باختيار يضاده نداء القرآن الكريم: ﴿كِتَابٌ نُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢)!

باختيار كذبه ما جاء عن النبي الأقدس ﷺ من النصوص على اختيار الله علياً وإنه أحد الخيرتين، وأنه خير البشر بعده ﷺ، وأنه أحبّ الناس إلى الله وإليه ﷺ، وأنه منه بمنزلته من ربه، وأنه منه بمنزلة الرأس من جسده، وأنه منه بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده، وأنّ لحمه ولحمه ودمه ودمه والحقّ معه، وأنّ طاعته طاعته ومعصيته معصيته، وأنه سلم لمن ساله، وحرب لمن حاربه^(٣) وأنه ممسوس في ذات الله^(٤) إلى نصوص كثيرة تضادّ اختيار ابن عمر ومن شاكلة في تمّني الحديث.

أليست هذه الأحاديث إلى أمثالها المعدودة بالمئات إنكاراً من رسول الله ﷺ

١ - الكامل لابن الأثير ٣: ٢١٧ [٢/ ٥١١، حوادث سنة ٥٦ هـ].

٢ - فصلت: ٣. ٣ - كلّ هذه الأحاديث مرّت سابقاً.

٤ - حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ١: ٦٨ [رقم ٤] [كعب بن عجرة عن أبيه قال النبي ﷺ: «لا تسبوا علياً فإنّه ممسوس في ذات الله»؛ أي يمسّه الأذى والشدة في رضاء الله تعالى وقربه، أو هو لشدة حبه لله وأتباعه لرضاء كأنّه ممسوس أي مجنون. ويحتمل أن يكون المراد بالممسوس المخلوط والممزوج مجازاً؛ أي خالط حبه تعالى لحمه ودمه؛ أنظر بحار الأنوار ٣٩/ ٣١٣. ورجل ممسوس أي مجنون؛ كما أنّ المجنون لا يبالي ما يقال فيه فهو طائفة لا يبالي ما يقال فيه في ذات الله تعالى؛ أنظر الإمام العليّ لأحمد الرحمان الهمداني: ١٣١. ونُقل: «علي ممسوس بذات الله»، وأيضاً: «علي ممسوس من ذات الله»].

لقولهم - إن كان هناك قول - : إذا ذهب أبو بكر وعمر وعثمان استوى الناس؟! أليست أي المباهلة والتطهير والولاية وأضرابها إلى ثلاثئة آية النازلة في عليؑ (١) تضاد ذلك القول القارص؟!

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ (٢). ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣). ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (٤). ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ (٥). ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ (٦). ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٧). ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ (٨). ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٩). ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ (١٠). ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (١١). ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١٢).

ما هذا الاختيار؟ وكيف يتم؟ ولم؟ وبم؟

هل تدري ما الذي دعا ابن عمر إلى رمي القول على عواهنه؟ إلى رمي الصحابة بعزوه المخلوق، ونسبة هذا الاختيار المبير إليهم وأنهم تركوا المفاضلة بعد الثلاثة، وأنهم قالوا: ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. وقالوا: كنا نقول: إذا ذهب أبو بكر

١ - تاريخ الخطيب ٦: ٢٢١ [رقم ٣٢٧٥]، السيرة الحلبية ٢: ٢٣٠ [٢/٢٠٧].

٣ - الزمر: ٩.

٢ - الرعد: ١٦.

٥ - هود: ٢٤.

٤ - السجدة: ١٨.

٧ - الملك: ٢٢.

٦ - محمد: ١٤.

٩ - النساء: ٩٥.

٨ - المائدة: ١٠٠.

١١ - غافر: ٥٨.

١٠ - الحشر: ٢٠.

١٢ - محمد: ٢٤.

وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبي ﷺ ذلك فلا ينكره؟
 أم هل تدري بماذا تُتصوّر المفاضلة والخيرة؟! وبِمَ تتم؟! وأنّى تصحّ؟! بعد ثبوت
 ما جاء في الصحاح والمسانيد مرفوعاً من أنّ عليّاً عليه السلام كان أعظمهم حلماً، وأحسنهم
 خلقاً، وأكثرهم علماً، وأعلمهم بالكتاب والسنة، وأقدمهم سلماً، وأولهم صلاة من
 رسول الله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأخشنهم في ذات الله، وأقسمهم
 بالسوية، وأعدّهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزية، وأفضلهم في
 القضاء، وأولهم وارداً على الحوض، وأعظمهم عناءً، وأحبّهم إلى الله ورسوله،
 وأخصّهم عنده منزلة، وأقربهم قرابة، وأولاهم بهم من أنفسهم كما كان رسول الله ﷺ،
 وأقربهم عهداً به ﷺ^(١)، وجبريل ينادي: لا فتى إلّا عليّ لا سيف إلّا ذو الفقار^(٢)؛ فهل
 يبقى هنالك موضوع للمفاضلة بعد هذه كلّها حتّى يخير فيه الصبيّ ابن عمر أو غيره،
 فيختارون على عليّ غيره؟! غفرانك اللهم وإليك المصير.
 قال الجاحظ:

لا يُعلم رجل في الأرض متى ذكر السبق في الإسلام والتقدّم فيه، ومتى ذكرت
 النجدة والذبّ عن الإسلام، ومتى ذكر الفقه في الدين، ومتى ذكر الزهد في
 الأموال التي تتناجز الناس عليها، ومتى ذكر الإعطاء في الماعون، كان مذكوراً
 في هذه الخصال كلّها إلّا عليّ عليه السلام^(٣).

لست أدري كيف ترك المخيّرون أصحاب محمّد بعد الثلاثة لا تفاضل بينهم؟! وبماذا
 استوى الناس وفيهم العشرة المبشرة؟! وفيهم من رآه رسول الله ﷺ شبيهه عيسى في
 أمّته هدياً وبرّاً ونسكاً وزهداً وصدقاً وجداً وخلقاً وخلقاً^(٤)؟!

١ - مرّت هذه الأحاديث كلّها بمصادرها في طيّاب الأجزاء الماضية.

٢ - راجع الجزء الثاني: ٥٤ - ٥٦ الطبعة الأولى، و ٥٩ - ٦١ الطبعة الثانية.

٣ - ثمار القلوب: ٦٧ [ص ٨٧، رقم ١٢٤].
 ٤ - هو سيّدنا أبودر؛ راجع ص ٢٧٦ - ٢٧٩ من كتابنا هذا.

وفيه من كان ﷺ يراه جلدة ما بين عينيه وأنفه، طيباً مطيباً، قد ملئ إيماناً إلى مشاشه، يدور مع الحق أينما دار^{(١)؟}!

وفيه من رآه ﷺ أثقل في الميزان من أحد، ويراه رجال الصحابة: أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمد ﷺ^{(٢)؟}!

وفيه من قرّبه ﷺ وأدناه وعلمه علم ما كان وما يكون^{(٣)؟}!

وفيه من جاء فيه عن النبي ﷺ قوله: «من أراد أن ينظر إلى رجل نُور قلبه فليَنظر إلى سلمان». وقوله: «إن الله عزّ وجلّ يحبّ من أصحابي أربعة، أخبرني أنّه يحبّهم، وأمرني أن أحبّهم: عليّ، أبوذر، سلمان، المقداد». وصحّ فيه قوله: «سلمان منّا أهل البيت». وقال عليّ أمير المؤمنين: «سلمان رجلٌ منّا أهل البيت، أدرك علم الأولين والآخرين، من لكم بلقان الحكيم كان بحراً لا ينزف»^{(٤)؟}!

إلى أناس آخرين يُعدّون في الرعيّل الأوّل من رجالات الفضائل والفواضل من أمة محمد ﷺ؛ فهل كان ابن عمر يعرف هؤلاء الرجال ومبلغهم من العظمة وما ورد فيهم عن النبيّ الأقدس من جمل الثناء عليهم ثمّ يساوي بينهم وبين من عداهم نظراء أبناء هند والناطقة والزرقاء؟!

فإن كان لا يدري فتلك مصيبةٌ وإن كان يدري فالمصيبة أعظم
نعم، لا يرضى ابن عمر أن يكون عليّ أمير المؤمنين أفضل من أحد من أصحاب محمد ﷺ حتّى بعد عثمان وليد بيت أميّة، قتل الصحابة العدول ومخذوهم! ولا يروقه أن يحكم بالمفاضلة بينه ﷺ وبين ابن هند وإن كان عالياً من المسرفين، يسمع آيات الله تُتلى عليه ثمّ يُصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها، كأنّ في أذنيه قرأ! ولا بينه وبين ابن النابغة

١ - هو سيّدنا عمار بن ياسر؛ راجع ص ٣١٦ من الكتاب.

٢ - هو سيّدنا ابن مسعود؛ راجع ص ٣٠٩ من الكتاب. ٣ - هو سيّدنا حذيفة بن اليمان.

٤ - تاريخ ابن عساکر ٦: ١٩٨ - ٢٠٣ [٢١/٤٠٨ - ٤٢٢، رقم ٢٥٩٩، وفي مختصر تاريخ دمشق ١٠/٤٠ - ٤٥].

الأبتر ابن الأبتر! ولا بينه وبين مغيرة بن شعبة أزنى ثقيف! ولا بينه وبين أبناء أمية أثمار الشجرة الملعونة في القرآن، من وزغ طريد، إلى لعين مثله، إلى فاسق مستهتر، إلى فاحش متفحش! ولا بينه وبين سلسلة الخمارين رجال الخمر والفجور في الجاهلية أو الإسلام؛ نظراء:

أبي عبيدة بن الجراح^(١)، أبي بن كعب^(٢)، أنس بن مالك^(٣)، حسان بن ثابت^(٤)، سعد بن أبي وقاص^(٥)، ضرار بن الخطاب^(٦)، عبد الرحمن بن عمر^(٧)، عمرو بن العاص^(٨)، معاذ بن جبل^(٩)، نعيم بن مسعود الأشجعي^(١٠)، وليد بن عتبة أخ عثمان لأمه^(١١).

لم أر مثله حقاً أضيعاً

في الصراط المستقيم للبياضي العاملي^(١٢):

أنه روى ابن الكميت: أنه رأى النبي ﷺ في النوم فقال: أنشدني قصيدة أليك العينية، فلما وصل إلى قوله:

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا
بكي بكاءً شديداً، وقال: صدق أبوك رحمه الله، إي والله لم أر مثله حقاً أضيعاً.

١- مسند أحمد ٣: ١٨١ [٢٥/٤، ح ١٢٤٥٨]؛ شرح صحيح مسلم للنووي ٨: ٢٢٣ [صحيح مسلم ٢٣١/٤، ح ٩، كتاب الأشربة].

٢- مسند أحمد ٣: ١٨١ [٢٥/٤، ح ١٢٤٥٨]؛ سنن البيهقي ٨: ٢٨٦.

٣- [أنظر تلخيص الغدير/١٢٨]. ٤- الجامع لأحكام القرآن ٣: ٥٦ [٣٩/٢].

٥- سنن البيهقي ٨: ٢٨٥.

٦- تهذيب تاريخ دمشق ٧: ١٣٣ [٣٠٣/٢٥، رقم ٣٠٣٠؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/٢٢٤].

٧- المعارف لابن قتيبة [ص ١٨٨]. ٨- [أنظر تلخيص الغدير/١٣٧ - ١٤٤].

٩- شرح صحيح مسلم للنووي ٨: ٢٢٣، هامش [صحيح مسلم ٢٣١/٤، ح ٧، كتاب الأشربة].

١٠- الإمتاع للمقرئزي: ١١٢. ١١- أنظر ص ٢٥٧ - ٢٥٩ من كتابنا هذا.

١٢- الصراط المستقيم [٣١٠/١].

ط - حول زيارة النبي ﷺ

زيارة مشاهد العترة الطاهرة

الدعاء عندها ، الصلاة فيها ، التوسل والتبرك بها

قد جرت السيرة المطردة من صدر الإسلام منذ عصر الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان على زيارة قبور ضمنت في كنفها نبياً مرسلأً، أو إماماً طاهراً، أو ولياً صالحاً أو عظيماً من عظماء الدين، وفي مقدمها قبر النبي الأقدس ﷺ.

وكانت الصلاة لديها، والدعاء عندها، والتبرك والتوسل بها، والتقرب إلى الله، وابتغاء الزلفة لديه بإتيان تلك المشاهد من المتسالم عليه بين فرق المسلمين، من دون أي نكير من آحادهم، وأي غميرة من أحد منهم على اختلاف مذاهبهم.

حتى ولد الدهر ابن تيمية الحراني فجاء كالمغمور مستهتراً يهذي ولا يبالي؛ فتره^(١)، وأنكر تلك السنة الجارية سنة الله التي لا تبدل لها، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، وخالف هاتيك السيرة المتبعة وشذ عن تلكم الآداب الإسلامية الحميدة، وشدد النكير عليها بلسانٍ بذيء، وبيانٍ تافه، ووجوهٍ خارجة عن نطاق العقل السليم، بعيداً عن أدب العلم، أدب الدين، أدب الكتابة، أدب العقّة، وأفتى بحرمة شد الرحال لزيارة النبي ﷺ، وعدّ السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة؛ فخالقه أعلام عصره ورجالات قومه فقابلوه بالطعن والردّ الشديد، فأفرد هذا بالوقعة عليه تأليفاً

١ - [من التره والتره، وهو الباطل].

حافلاً^(١)، وجاء ذلك يزيّف آراءه ومعتقداته في طيّ تأليفه القيّمة^(٢)، وهناك ثالثٌ يترجمه بعُجره وبُجره، ويعرّفه للملاّ بيدعه وضلالاته.

وقد أصدر الشاميّون فتياً، وكتبَ عليها البرهان ابن الفركاخ الفزاري نحو أربعين سطراً بأشياء، إلى أن قال بتكفيره.

ووافقه على ذلك الشهاب بن جهبل، وكتب تحت خطّه كذلك المالكي.

ثمّ عرضت الفتيا لقاضي القضاة الشافعيّة بمصر البدر ابن جماعة فكتب على ظاهر الفتوى: الحمد لله، هذا المنقول باطنها جوابٌ عن السؤال عن قوله: إنّ زيارة الأنبياء والصالحين بدعةٌ، وما ذكره من نحو ذلك ومن أنّه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء، باطلٌ مردودٌ عليه، وقد نقل جماعةٌ من العلماء أنّ زيارة النبي ﷺ فضيلةٌ وسنةٌ مجمعٌ عليها، وهذا المفتي المذكور - يعني ابن تيميّة - ينبغي أن يُزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء، ويُمنع من الفتاوى الغريبة، ويُحبس إذا لم يمتنع من ذلك، ويُشهر أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به.

وكتبه محمّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي.

وكذلك يقول محمّد بن الجريري الأنصاري الحنفي: لكن يُحبس الآن جزماً مطلقاً.

١- «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» لتقيّ الدين السبكي، و«الدرة المضية في الردّ على ابن تيميّة» للسبكي أيضاً؛ و«المقالة المرضيّة» لقاضي قضاة المالكيّة تقيّ الدين أبي عبد الله الأخنائي؛ و«نجم المهتدي ورجم المقتدي» للفخر ابن المعلم القرشي؛ و«دفع الشبه» لتقيّ الدين الحصني؛ و«التحفة المختارة في الردّ على منكر الزيارة» لتاج الدين الفاكهاني المتوفّى (٨٣٤)؛ وتأليف أبي عبد الله محمّد بن عبد المجيد الفاسي المتوفّى (١٢٢٩).

٢- «الصواعق الإلهيّة في الردّ على الوهابيّة» للشيخ سليمان بن عبد الوهاب في الردّ على أخيه محمّد بن عبد الوهاب النجدي؛ و«الفتاوى الحديثيّة» لابن حجر؛ و«المواهب اللدنيّة» للسقطلاني؛ و«شرح المواهب» للزرقاني؛ وكتب أخرى كثيرة.

وكذلك يقول محمد بن أبي بكر المالكي: ويبالغ في زجره حسبما تندفع تلك المفسدة وغيرها من المفاسد.

وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي^(١).

وهؤلاء الأربعة هم قضاة قضاة المذاهب الأربعة بمصر أيام تلك الفتنة في سنة (٧٢٦) (٢).

فمن هنا أبادوا عليه ما أبدعته يده الأثيمة من المخاريق التافهة والآراء المحدثّة الشاذّة عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ونودي عليه بدمشق: من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله^(٣).

وحذا حذو ابن تيمية القيصمي صاحب الصراع واتّخذ وتيرته واتّبع هواه، فجاء في القرن العشرين كشيخه يمّوه، ويدجّل، ويتسدّج^(٤).
قال في الصراع^(٥):

وبهذا الغلوّ الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمتهم، وبهذا التأليه الذي سمعت منهم لعلّي وولده، عبدوا القبور وأصحاب القبور، وأشادوا المشاهد، وأتوها من كلّ مكانٍ سحيق وفجّ عميق، وقدموا لها النذور والهدايا والقرايين، وأراقوا فوقها الدماء والدموع، ورفعوا لها خالص الخضوع والخشوع، وأخلصوا لها ذلك وخصّوها به دون الله ربّ الموحدّين.

١- راجع دفع الشبهة: ٤٥-٤٧.

٢- راجع تكملة السيف الصقيل للشيخ محمد زاهد الكوثري: ١٥٥.

٣- الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١: ١٤٧. ٤- [«التسدّج»: الكذب و تقول الأباطيل].

٥- الصراع ١: ٥٤.

وقال^(١):

الأشياء المشروعة كالصلاة والسلام على الرسول الكريم لا فرق فيها بين القرب والنأي ، فإنّها حاصلة في الحالتين ، وأمّا مشاهدة القبر الشريف نفسه ، ومشاهدة الأحجار نفسها ، فلا فضل فيها ولا ثواب بلا خلاف بين علماء الإسلام ، بل إنّ مشاهدته ﷺ حينما كان حيّاً لا فضل لها بذاتها ، وإنّما الفضل في الإيمان به والتعلّم منه والافتداء به والنهج منهجه ومناصرته . وبالإجمال إنّ أحداً من الناس لن يستطيع أن يثبت لزيارة القبر الشريف فضلاً ما ، وهذا واضحٌ من سيرة المسلمين الأوّلين . . . إلى آخر خرافاته ومخاريقه .

والقارئ جدّ عليم بأنّ هذه اللهجة القارصة ليست من شأن من أسلم وجهه لله وهو محسن ، وآمن بالنبيّ الطاهر ، واعتنق بما جاء به من كتاب وسنة ، ولا تسوّغها مكارم الأخلاق ومبادئ الإنسانيّة ، ولا يحبّها أدب الإسلام المقدّس ؛ أيحوز لمسلم أن يُسوّي بين مشاهدة الأحجار وبين رؤية النبيّ ﷺ في حال حياته؟!

أيسوغ له أن لا يرى لزيارته حيّاً وميتاً قيمة ولا كرامةً ، ولا يعتبر لها فضلاً ما ، وينعق بذلك في الملأ الدينيّ؟! أليس من السيرة المطّردة بين البشر أنّ كلّ ملّة من الملل تستعظم زيارة كبرائها وزعمائها ، وتراها فضلاً وشرفاً وتعدّها للزائر مفخرةً ومحمّدةً ، وتكثر إليها رغبات أفرادها لما يرون فيها من الكرامة ، وقد جرت على هذه سيرة العقلاء من الملل والنحل ، وعليه تصافقت الأجيال في أدوار الدنيا ، وكان يقدرّ الناس - سلفاً وخلفاً - أعلام الدين بالزيارة والتبرّك بهم؟!

وشتان بين هذا الرأي للقصيمي الفاسد وبين قول الشيخ تقيّ الدين السبكي في

الشفاء^(٢):

إنَّ من المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرُّك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالأنبياء والمرسلين؟! ومن ادَّعى أنَّ قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطئه فيه ، وفيه حطٌّ لدرجة النبي ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين ، وذلك كفر متيقن ؛ فإنَّ من حطَّ رتبة النبي ﷺ عمّا يجب له فقد كفر .

الحث على زيارة النبي ﷺ

أخرج أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد أحاديث جمّة في زيارة قبر النبي الأعظم ﷺ ونحن نذكر شرطاً منها :

- ١ -

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً : «من زار قبري وجبت له شفاعتي» .
أخرجه أئمة من الحفاظ وأئمة الحديث ؛ منهم :

- ١ - الحافظ أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطني ، المتوفّى (٣٨٥) ، في سننه^(١) .
- ٢ - أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي ، المتوفّى (٤٥٠) ، في الأحكام السلطانيّة^(٢) .
- ٣ - الحافظ أبو بكر البيهقي ، المتوفّى (٤٥٨) ، في السنن^(٣) وغيره .
- ٤ - الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، المتوفّى (٩١١) ، في الجامع الكبير كما في ترتيبه^(٤) .

٥ - عدّة من فقهاء المذاهب الأربعة في مصر اليوم في الفقه على المذاهب الأربعة^(٥) .

- ٢ -

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً : «من حجّ فزار قبري بعد وفاي كان كمن زارني في

٢ - الأحكام السلطانيّة : ١٥٠ [١٠٩/٢] .

١ - سنن الدارقطني [٢٧٨/٢] ح ١٩٤ .

٤ - كنز العمال ٨ : ٩٩ [٦٥١/١٥] ح ٤٢٥٨٣ .

٣ - السنن الكبرى [٢٤٥/٥] .

٥ - الفقه على المذاهب الأربعة ١ : ٥٩٠ [٧١١/١] .

حياتي». وفي غير واحد من طرقه زيادة: «وصحبنى».

أخرجه جمع من الحفاظ؛ منهم^(١):

- ١- الحافظ أبو القاسم الطبراني، المتوفى (٣٦٠).
- ٢- الحافظ أبو الحسن الدارقطني، المتوفى (٣٨٥)، في سننه وغيرها.
- ٣- الحافظ أبو بكر البيهقي، المتوفى (٤٥٨)، في سننه.
- ٤- الحافظ ابن عساكر الدمشقي، المتوفى (٥٧١)، في تاريخه.
- ٥- الحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى (٩١١)، في الجامع الكبير كما في ترتيبه.

- ٣ -

عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «من حجَّ البيت ولم يزرني فقد جفاني».

أخرجه جمع؛ منهم^(٢):

- ١- الحافظ الدارقطني، المتوفى (٣٨٥)، في كتابه أحاديث مالك التي ليست في الموطأ.

- ٢- تقي الدين السبكي، المتوفى (٧٥٦)، من غير طريق، في شفاء السقام. وردَّ حكم ابن الجوزي على الحديث بالوضع.

- ٣- السيّد المرتضى الزبيدي الحنفي، المتوفى (١٢٠٥)، في تاج العروس.

- ٤- الشيخ محمد الشوكاني، المتوفى (١٢٥٠)، في نيل الأوطار.

«فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِتُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا»^(٣).

«فَبَيَّ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِتُونَ»^(٤).

١- المعجم الكبير [٣١٠/١٢، ح ١٣٤٩٧]؛ سنن الدارقطني [٢٧٨/٢، ح ١٩٢]؛ سنن البيهقي ٥: ٢٤٦؛ مختصر

تاريخ دمشق ٢: ٦-٤؛ كنز العمال ٨: ٩٩ [٦٥١/١٥].

٢- شفاء السقام ٢٢ [ص ٢٧]؛ تاج العروس ١٠: ٧٤؛ نيل الأوطار ٤: ٣٢٥ [١٠٨/٥].

٤- الأعراف: ١٨٥.

٣- الكهف: ٦.

كلمات أعلام المذاهب الأربعة

حول زيارة النبي ﷺ

١ - قال أقضي القضاة أبو الحسن الماوردي المتوفى (٤٥٠) في الأحكام السلطانية^(١):

فإذا عاد - وليُّ الحاج - سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ ليجتمع لهم بين حج بيت الله عز وجل وزيارة قبر رسول الله ، رعايةً لحرمة وقياماً بحقوق طاعته ، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة ، وعبادات الحجيج المستحسنة .

٢ - قال القاضي عياض المالكي المتوفى (٥٤٤) في الشفاء^(٢):

وزيارة قبره ﷺ سنة مجمع عليها ، وفضيلة مرغّب فيها .
ثم ذكر عدة من أحاديث الباب ؛ فقال :

قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه : ومما لم يزل من شأن من حجّ الميزور^(٣) بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ ، والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطن قدميه والعمود الذي استند إليه ومنزل جبريل بالوحي فيه عليه ، ومن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين ، والاعتبار بذلك كله .

٣ - قال ابن هبيرة المتوفى (٥٦٠) في كتاب اتفاق الأئمة :

اتَّفَق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى على أنَّ زيارة النبي ﷺ مستحبة . المدخل لأبن الحاج (٢٥٦/١) .

٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى [١٩٤/٢] .

١ - الأحكام السلطانية : ١٠٥ [١٠٩/٢] .

٣ - قيل : بكسر الميم وسكون الزاء وفتح الواو ، مصدر ميمي بمعنى الزيارة ؛ شرح الشفا للخفاجي [٥١٥/٣] .

٤ - ألف الشيخ تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى (٧٥٦) كتاباً حافلاً في زيارة النبي الأعظم في (١٨٧) صحيفة، وأسماه شفاء السقام في زيارة خير الأنام رداً على ابن تيمية، وذكر كثيراً من أحاديث الباب، ثم جعل باباً في نصوص العلماء من المذاهب الأربعة على استحبابها، وأن ذلك مجمع عليه بين المسلمين.

٥ - وقال قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفي المصري المتوفى (١٠٦٩) في شرح الشفا^(١):

واعلم أنَّ هذا الحديث^(٢) هو الذي دعا ابن تيمية ومن معه كابن القيم إلى مقالته الشيعة التي كفروا بها، وصنّف فيها السبكي مصنفًا مستقلًا، وهي منعه من زيارة قبر النبي ﷺ وشدّ الرحال إليه.

فتوهم أنه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها؛ فإنّها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل، سامحه الله تعالى.

وأما قوله ﷺ: «لا تتخذوا فبري عبداً»، فقيل: كره الاجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة. وقيل: المراد لا تزوره في العام مرة فقط بل أكثروا الزيارة له^(٣).

٦ - قال فقهاء المذاهب الأربعة المصريين في الفقه على المذاهب الأربعة^(٤):

زيارة قبر النبي ﷺ أفضل المندوبات، وقد ورد فيها أحاديث.

«وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ»^(٥).

١ - نسيم الرياض في شرح الشفا ٣: ٥٦٦ [٥١٤/٣].

٢ - حديث شدّ الرحال إلى المساجد.

٣ - هذا المعنى ذكره غير واحد من أعلام القوم.

٤ - الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٥٩ [٧١١/١].

٥ - الحج: ٢٤.

أدب الزائر عند الجمهور:

نذكر نصّ بعض ما وقفنا عليه من المصادر^(١):

١ - إخلاص النية وخلوص الطوية؛ فإنما الأعمال بالنيات؛ فينوي التقرب إلى الله تعالى بزيارة رسول الله ﷺ، ويستحب أن ينوي مع ذلك التقرب بالمسافرة إلى مسجده ﷺ وشد الرحال إليه والصلاة فيه. قاله ابن الصلاح والنووي^(٢) من الشافعية، ونقله شيخ الحنفية الكمال بن الهمام عن مشايخهم.

٢ - أن يكون دائم الأشواق إلى زيارة الحبيب الشفيق.

٣ - الإكثار في المسير من الصلاة والتسليم على النبي ﷺ، بل يستغرق أوقات فراغه في ذلك من القربات.

٤ - الغسل لدخول المدينة المنورة من بئر الحرة أو غيرها، والتطيّب ولبس الزائر أحسن ثيابه.

٥ - لزوم الخشوع والخضوع لما شاهد القبة مستحضراً عظمتها، يثّل في نفسه مواقع أقدام رسول الله، فلا يضع قدمه عليه إلّا مع الهيبة والسكينة والوقار.

٦ - الأفضل أن يدخل الزائر إلى الحضرة الشريفة من باب جبرئيل، وجرت عادة القادمين من ناحية باب السلام بالدخول.

٧ - يقف بالباب لحظة لطيفة كما يقف المستأذن في الدخول على العطاء؛ قاله الفاكهي في حسن الأدب^(٣)، والشيخ عبد المعطي السقا في الإرشادات السنّية^(٤).

١ - أفرد جمال الدين عبد الله الفاكهي المكي الشافعي المتوفى (٩٧٢) آداب زيارة النبي ﷺ بالتأليف، وسماه: «حسن التوسّل في آداب زيارة أفضل الرسل». جمع فيه أربعة وتسعين أدباً من آداب الزائر، وقد صفحنا عن كثير منها لكون أدب المسافر لا يختص بالزيارة. طبع في هامش الإتحاف للشبراوي بمصر سنة ١٣١٨ [ص ٢٩].

٢ - حسن الأدب: ٥٦.

٣ - شرح صحيح مسلم [١٦٨/٩].

٤ - الإرشادات السنّية: ٢٦.

٨- لا يرفع في الزيارة صوته ولا يخفيه بل يقتصد ، وخفض الصوت عنده صلى الله عليه وآله وسلم عليه أدب للجميع . أخرج القاضي عياض^(١) بإسناده عن ابن حميد قال :
 «ناظر أبو جعفر - أمير المؤمنين - مالكا في مسجد رسول الله ﷺ ؛ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين ! لا ترفع صوتك في هذا المسجد ؛ فإن الله تعالى أدب قوماً فقال : ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾^(٢) ، ومدح قوماً فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ...﴾^(٣) ، وذم قوماً فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾^(٤) ، وإن حرمة مبيتاً كحرمة حيّاً ؛ فاستكان لها أبو جعفر وقال : يا أبا عبد الله ! أستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟

فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ﷺ إلى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ...﴾^(٥) .

زيارة النبي الأقدس ﷺ

٩- إنفق أعلام المذاهب الأربعة^(٦) على هذه الزيارة :

السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنك رسول الله ، فقد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت في أمر الله حتى قبض الله روحك حميداً محموداً ، فجزاك الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء ، وصلى عليك أفضل الصلاة وأزكاها ، وأتمّ التحية وأنماها ، اللهم اجعل نبينا يوم القيامة أقرب النبيين إليك ، واسقنا من كأسه ، وارزقنا من شفاعته ، واجعلنا من رفقاءه يوم القيامة ، اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بقبر نبينا ﷺ ، وارزقنا العود إليه ، يا ذا الجلال والإكرام .

١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى [٩٢/٢] .

٢- الحجرات : ٢ .

٣- الحجرات : ٣ .

٤- الحجرات : ٤ .

٥- النساء : ٦٤ .

٦- في الفقه على المذاهب الأربعة ١ : ٥٩١ [٧١٣/١] .

الدعاء عند رأس النبي ﷺ:

١٠ - يقف عند رأسه الشريف ويقول:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾^(١) وقد جئناك سامعين قولك، طائعين أمرك، مستشفعين بنبيك، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إِنَّكَ رؤوف رحيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ويدعو بما يحضره من الدعاء. ذكره الشرنبلالي الحنفي في مراقي الفلاح^(٢) وغيره في غيرها.

الصلاة على النبي الطاهر ﷺ:

١١ - أخرج البخاري بإسناده مرفوعاً: «من صلى عليَّ عند قبري وكَّلَ الله به ملكاً يبلغني، وكفى أمر دنياه وآخرته، وكنتُ له شفيعاً - أو شهيداً - يوم القيامة»^(٣).

التوسُّل والاستشفاع بقبره الشريف ﷺ:

١٢ - ثمَّ يرجع الزائر إلى موقفه الأوَّل قبالة وجه رسول الله ﷺ، فيتوسَّل به في حقِّ نفسه، ويستشفع إلى ربِّه سبحانه وتعالى، ويكثر الاستغفار والتضرُّع بعد قوله: يا خير الرسل إنَّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ وإني جئتُك مستغفراً من ذنوبي متشفعاً بك إلى ربِّي.

وهناك جماعة من الحفاظ وأعلام أهل السنَّة بسطوا القول في التوسُّل وقالوا: إنَّ

٢ - مراقي الفلاح: ١٥٢.

١ - النساء: ٦٤.

٣ - ذكره الخطيب الشربيني في المغني ١: ٤٩٤ [٥١٢/١].

التوسّل بالنبيّ جازئ في كلّ حال قبل خلقه وبعده، في مدّة حياته في الدنيا وبعده موته، في مدّة البرزخ وبعده البعث في عرصات القيامة والجنّة، وجعلوه على ثلاثة أنواع:

١ - طلب الحاجة من الله تعالى به أو بجاهه أو لبركته؛ فقالوا: إنّ التوسّل بهذا المعنى جازئ في جميع الأحوال المذكورة.

٢ - التوسّل به بمعنى طلب الدعاء منه؛ وحكموا بأنّ ذلك جازئ في الأحوال كلّها.

٣ - الطلب من النبيّ ﷺ ذلك الأمر المقصود، بمعنى أنّه ﷺ قادر على التسبّب فيه بسؤاله ربّه وشفاعته إليه؛ فيعود إلى النوع الثاني في المعنى؛ غير أنّ العبارة مختلفة. وقال السبكي في شفاء السقام^(١):

والآثار في ذلك كثيرة أيضاً... فلا عليك في تسميته توسّلاً، أو تشفعاً، أو

استغاثة، أو تجوّهاً، أو توجّهاً؛ لأنّ المعنى في جميع ذلك سواء.

التبرّك بالقبر الشريف بالتزام وتمريغٍ وتقبيل:

١٣ - لم نجد في المقام قولاً بالحرمة لأحد من أعلام المذاهب الأربعة ممّن لهم ولا رأاهم قيمة في المجتمع. وإنّما القائل بالنهي عنه من أولئك يراه تنزيهاً لا تحريماً؛ ويقول بالكراهة مستنداً إلى زعم أنّ الدنو من القبر الشريف يخالف حسن الأدب، ويحسب أنّ البعد منه أليق به. وليس من شأن الفقيه النابه أن يفتي في دين الله بمثل هذه الاعتبارات التي لا تُبنى على أساس، وتختلف باختلاف الأنظار والآراء.

نعم، هناك أناس^(٢) شدّت عن شرعة الحقّ وحكموا بالحرمة، قولاً بلا دليل، وتحكماً بلا برهان، ورأياً بلا بيّنة، وهم معروفون في الملأ بالشذوذ، لا يُعابهم وبآرائهم.

فها نحن تقدّم بين يدي القارئ ما يوقفه على الحقيقة، ويُريه صواب الرأي:

١ - شفاء السقام [ص ١٧٥].

٢ - هم ابن تيميّة ومن لفّ لفّه.

١- أخرج المحافظ ابن عساكر في التحفة، من طريق طاهر بن يحيى الحسيني، قال: حدثني أبي، عن جدِّي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليٍّ عليه السلام قال: «لما رُمِس رسول الله ﷺ، جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره عليه السلام وأخذت قبضةً من تراب القبر ووضعت على عينيها، وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شَمَّ تربةَ أحمدٍ أن لا يشمَّ مدى الزمانِ غواليها
صُبَّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنَّها صُبَّتْ على الأيامِ عُدنَ لياليا^(١)

٢- عن داود بن أبي صالح قال: «أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه - جبهته - على القبر، فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا أبو أيوب الأنصاري؛ فقال: نعم إنِّي لم آتِ الحجر، إنما جئتُ رسول الله ﷺ، ولم آتِ الحجر، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله»^(٢).

قال الأميني: إنَّ هذا الحديث يعطينا خبراً بأنَّ المنع عن التوسُّل بالقبور الطاهرة إنما هو من بدع الأمويين وضلالاتهم منذ عهد الصحابة، ولم تسمع أذن الدنيا قطُّ صحابياً يُنكر ذلك غير وليد بيت أمية مروان الغاشم.

نعم، الثور يحمي أنفه بروقه^(٣). نعم، بعلَّة الورشان يأكلُ رُطبَ المشان^(٤). نعم، لبني أمية عامَّة ولمروان خاصَّة ضغينة على رسول الله ﷺ منذ يوم لم يُبقِ عليه السلام في الأسرة الأموية

١- أنظر الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزي [ص ٨١٩، ح ١٥٣٨]؛ أعلام النساء لعمر رضا كحالة ٣: ١٢٠٥ [١١٣/٤].

٢- أنظر المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥١٥ [٤/٥٦٠، ح ٨٥٧١] وصحَّحه هو والذهبي في تلخيصه.

٣- «روق الثور»: قرئه.

٤- مثل يضرب لمن يُظهر شيئاً، والمراد منه شيء آخر. «الورشان»: طائر أخفَّ من الحمام. «المشان»: نوع من التمر؛

لسان العرب: [٢٧١/١٥].

حرمة إلا هتكها، ولا ناموساً إلا مزّقه، ولا ركناً إلا أباده؛ وذلك بوقيته ﷺ فيهم وهو ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(١)؛ فقد صحَّ عنه ﷺ قوله: «إذا بلغت بنو أمية أربعين اتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً». وصحَّ عنه ﷺ قوله: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولا».

وصحَّ عنه ﷺ قوله: «إني أريت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة». قال: فما رُوي النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي. وصحَّ عنه ﷺ قوله: لما استأذن الحكم بن أبي العاص عليه -: «عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يَشْرُفُونَ في الدنيا ويضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يُعْطُونَ في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق». وصحَّ عنه ﷺ قوله لما أُدخل عليه مروان بن الحكم: «هو الوزغ بن الوزغ، الملعون ابن الملعون».

وصحَّ^(٢) عن عائشة قوها: إنَّ رسول الله ﷺ قال: لعن الله أبا مروان، ومروان في صلبه؛ فمروان فضض^(٣) من لعنة الله عزَّ وجلَّ. وفي لفظ الفائق: فأنت فظاظة لعنة الله ولعنة رسوله^(٤).

فلا يحقُّ لمسلم أن يحذو حذو تلك الأمة الملعونة ويقول بقولهم ويتّخذ برأيهم، ويتّبع إثر أولئك الرجال الذين اتّخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، وكتاب الله حولاً.

١- النجم: ٣-٥.

٢- راجع المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٨١ [٥/٥٢٨، ح ٨٤٨٣]؛ الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢: ٣٢٥ [٤/١٠٢].

٣- [«الْفَضْضُ»: كل ما انقطع من شيء أو تفرّق. والمراد أنّه قطعة من لعنة الله وطائفة منها].

٤- قال الزمخشري: افتظظت الكرش إذا اعتصرت ماءها؛ كأنه عصارة قدرة من اللعنة.

٣- قال العزّبن جماعة الحموي الشافعي المتوفى (٨١٩)، في كتاب العلل والسؤالات لعبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية أبي عليّ بن الصوف عنه، قال عبدالله: سألتُ أبي عن الرجل يمَسُّ منبر رسول الله ﷺ ويتبرّك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى. قال: لا بأس به^(١).

٤- قال القاضي عياض المالكي في الشفاء^(٢) بعد كلام طويل في تعظيم قبر النبي ﷺ:

وجدير بمواطن عُمِّرت بالوحي والتزليل، وتردّد بها جبرئيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجّت عرصاتُها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على سيّد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة نبيّه ما انتشر... أن تُعظّم^(٣) عرصاتُها، وتنسّم نفحاتها، وتُقبّل ربوعها وجدرانها.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾^(٤).

وداع الحرم الأقدس:

١٤- ثمّ إذا فرغ الزائر من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة، فالمستحبُّ أن يأتي القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودّع رسول الله ﷺ ويسأل الله عزّ وجلّ أن يرزقه العودة إليه، ويسأل السلامة في سفره و....

القول في الزيارة:

١- عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً: قال ﷺ: «أتاني جبريل فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم». قالت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال:

٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى [١٣١/٢ - ١٣٤].

١- أنظر وفاء الوفا ٢: ٤٤٣ [١٤٠٤/٤].

٣- «أن» وما بعدها في تأويل مصدر على أنّه مبتدأ مؤخر للخبر المتقدّم: «جدير» في أوّل الكلام.

٤- الأنعام: ٩٠.

«قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(١).

٢- قال الفيروز آبادي - صاحب القاموس - في سفر السعادة^(٢):

ومن العادات النبوية زيارة القبور والدعاء والاستغفار، ومثل هذه الزيارة مستحب.

هناك ألفاظ كثيرة في زيارة القبور، نقلت عن الأئمة وأعلام المذاهب الأربعة، تُنبئنا عن أنّ الزائر في وسعه أن يزور الميت ويدعو له بأيّ لفظٍ شاء وأراد، وله سرد ما يروقه من مناقبه وفضائله، وذكر ما يوجّه إليه عطف المولى سبحانه ويستوجب له رحمته، والألفاظ المذكورة في زيارة النبي الأقدس ﷺ تثبت ما نرتثيه.

١ - صحيح مسلم [٣٦٣/٢، ح ١٠٣، كتاب الجنائز].

٢ - سفر السعادة: ٥٧ [١٨٣/١].

ى: كلماته ﷺ

أومأ رسول الله ﷺ بإصبعه إلى فيه وقال: «أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق»^(١).

وصاياه ﷺ في أهل بيته ﷺ

١- هو ﷺ مخلف آل عليّ بقوله الصحيح الثابت المتواتر المتسالم عليه، المروي عن بضع وعشرين صحابياً، كما في الصواعق^(٢): «إني تاركٌ - أو مخلفٌ - فيكم الثقلين - أو الخليفين - ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

٢- عن ابن عباس في حديث عن النبي ﷺ: «لو أن رجلاً صَفَنَ^(٣) بين الركن والمقام فصلّى وصام، ثمّ لقي الله وهو مُبَغِضٌ لأهل بيت محمد دخل النار». أخرجه الحاكم في المستدرك^(٤).

٣- أخرج ابن عدي^(٥) والديلمي كما في الصواعق^(٦) عن رسول الله ﷺ قال: «أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي».

٢- الصواعق المحرقة: ١٢٦ [ص ٢٢٨].

١- سنن الدارمي ١: ١٢٥.

٣- «صَفَنَ الرجل»: صفّ بين قدميه.

٤- المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٩ [١٦١/٣، ح ٤٧١٢، وكذا في تلخيصه].

٥- الكامل في ضعفاء الرجال [٣٠٢/٦، رقم ١٧٩١].

٦- الصواعق المحرقة: ١١١ [ص ١٨٧].

٤- أخرج الحفّاظ^(١) عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة».

هذا لفظه عند العامة. وأمّا عند مشايخنا فهو: «خلق الناس من أشجارٍ شتّى وخُلِقْتُ أنا وعليّ بن أبي طالب من شجرة واحدة، فما قولكم في شجرة أنا أصلها، وفاطمة فرعها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وشيعتنا أوراقها؟ فن تعلق بغصن من أغصانها ساقته إلى الجنة، ومن تركها هوى في النار»^(٢).

٥- كان ﷺ إذا أصبح أتى باب عليّ وفاطمة وهو يقول: «يرحمكم الله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»^(٣).

٦- قال النبي ﷺ: «من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي؛ فإنهم عترتي خلّقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي؛ فويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنا لهم الله شفاعتي»^(٤).

٧- وقال ﷺ: «إنّما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»^(٥).

١- الحاكم في المستدرک ٣: ١٦٠ [٣/ ١٧٤، ح ٤٧٥٥]؛ وابن عساکر في تاريخه ٤: ٣١٨ [٥/ ٤٣]؛ وفي مختصر

تاريخ دمشق ١٢٣/ ٧؛ ومحبّ الدين في الرياض ٢/ ٢٥٣؛ وابن الصبّاغ في الفصول: ١١ [ص ٢٥].

٢- [أنظر بشارة المصطفى لشيعه المرتضى لمحمد بن عليّ الطبري: ٧٦].

٣- [أنظر شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢: ٧٦- ٨٢؛ وتاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٣٧].

٤- أخرجه أبو نعيم في الحلية ١: ٨٦ [رقم ٤]؛ والطبراني [في المعجم الكبير ٥/ ١٩٤، ح ٥٠٦٧]؛ والرافعي كما في

ترتيب جمع الجوامع ٦: ٢١٧ [كنز العمال ١٢/ ١٠٣، ح ٣٤١٩٨].

٥- أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٢: ٩١ [رقم ٦٥٠٧]؛ والحاكم في المستدرک ٣: ١٥١ [٣/ ١٦٣، ح

٤٧٢٠] وصحّحه.

٨ - وقال ﷺ: «وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أنّه لا يعذبهم»^(١).

٩ - عن أبي بكر الصديق قال: رأيتُ رسول الله ﷺ خيمَ خيمة وهو متكئ على قوس عربيّة، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: «معشر المسلمين! أنا سلمٌ لمن سالمَ أهل الخيمة، حربٌ لمن حاربهم، وليٌّ لمن والاهم، لا يحبّهم إلّا سعيد المجدّ طيّب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقيّ المجدّ رديء المولد»^(٢).

وقد نظم هذه الأثارة كثير من الشعراء قديماً وحديثاً، يضيق المجال بذكر شعرهم؛ ومنه قول صاحب بن عبّاد^(٣):

بحبّ عليّ تزولُ الشكوكُ	وتصفو النفوسُ ويزكو النجار
فهما رأيتَ محبّاً له	فثمّ العلاءُ وثمّ الفخار
ومهما رأيتَ بغيضاً له	ففي أصله نسبٌ مستعار
فهدّ على نَصبه عذره	فحيطانُ دارِ أبيه قصارُ

وقال أيضاً:

حبُّ عليّ بن أبي طالب	فرضٌ على الشاهدِ والغائبِ
وأُمٌّ من نابذه عاهرٌ	تبذلُ للنازلِ والراكبِ

١٠ - حديث طحن الرحا بلا مدير؛ أخرجه الحفّاظ بلفظ أبي ذرّ الغفاري، قال: أرسله رسول الله ﷺ ينادي عليّاً، فرأى رحىً تطحن في بيته وليس معها أحد، فأخبر

١ - أخرجه الحاكم في المستدرک ٣: ١٥٠ [١٦٣/٣، ح ٤٧١٨]، وجمع آخرون نظراء الحافظ السيوطي [الجامع

الصغير للسيوطي ٧١٦/٢، ح ٩٦٢٣، كنز العمال ٩٦/١٢، ح ٣٤١٥٦].

٢ - الرياض النضرة للحافظ محبّ الدين الطبري ٢: ١٨٩ [١٣٦/٢].

٣ - ديوان صاحب بن عبّاد: ٩٥.

النبي ﷺ بذلك فقال: «يا أبا ذر، أما علمت أن الله ملائكة سيّاحين في الأرض قد وُكِّلوا بمعاونة آل محمد ﷺ»^(١).

١١ - عن عباد بن صهيب قال: كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ فذكر السيّد فدعا له فقال: «حدّثني أبي عن أبيه عليّ بن الحسين أن محبّي آل محمد ﷺ لا يموتون إلّا تائبين وإنّه قد تاب»^(٢).

١٢ - أربعون حديثاً في عليّ ﷺ وأهل بيته ﷺ^(٣).

وصاياه ﷺ في عليّ أمير المؤمنين ﷺ

١ - قال رسول الله ﷺ في حديث: «اشتقّ الله تعالى لنا من أسمائه أسماء: فالله عزّ وجلّ محمودٌ وأنا محمد، والله الأعلى وأخي عليّ»^(٤).

٢ - أخرج شيخ الإسلام الحمّوي في فرائد السمطين^(٥) في الباب الثامن عشر عن رسول الله ﷺ أنّه قال لعليّ: «يا عليّ! إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وإنّه أوحى إليّ أن أزوّجك فاطمة على خمس الأرض، فهي صداقها؛ فمن مشى على الأرض وهو لكم مُبغضٌ فالأرض حرامٌ عليه أن يمشي عليها».

٣ - إنّ الله تعالى هو زوّج فاطمة عليّاً، وكان وليّ أمرها، وخطب فيه الأمين جبرئيل ﷺ؛ كما ورد عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس! هذا عليّ بن أبي طالب أنتم تزعمون أنّي أنا زوّجته ابنتي فاطمة، ولقد خطبها إليّ أشرف

١ - الرياض النضرة ٢: ٢٢٣ [١٧٧/٣]؛ الصواعق المحرقة: ١٠٥ [١٧٦]؛ إسعاف الراغبين: ١٥٨، أعجب ما رأيت

١: ٨، الإمام عليّ للشيخ محمّد رضا: ١٨. ٢ - أخبار السيّد الحميري [ص ١٦٤].

٣ - راجع ما مرّ في ص ٣٨٤ - ٣٨٨ من كتابنا هذا.

٤ - فرائد السمطين لشيخ الإسلام الحمّوي [١/٤١، ح ٥].

٥ - فرائد السمطين [١/٩٥، ح ٦٤].

قريش فلم أجب، كل ذلك أتوقع الخبر من السماء حتى جاءني جبرئيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فقال: يا محمد! العليُّ الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع الروحانيُّين والكرويين في وادٍ يُقال له: الأفحيح تحت شجرة طوبى، وزوج فاطمة علياً، وأمرني، فكنت الخاطب، والله تعالى الوليُّ»^(١).

٤ - حديث النثار المروي عن بلال بن حماسة قال: «طلع علينا رسول الله ﷺ ذات يوم متبسماً ضاحكاً ووجهه مسرورٌ كدائرة القمر، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟

قال: بشارة أتتني من ربِّي في أخي وابن عمِّي بأنَّ الله زوج علياً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزَّ شجرة طوبى فحملت رِقاعاً - يعني صِكاكاً - بعدد محبِّي أهل البيت، وأنشأ تحتها ملائكة من نور ودفع إلى كلِّ ملك صِكاكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة في الخلايق، فلا يبقى مُحِبٌّ لأهل البيت إلَّا دفعت له صِكاكاً فيه فكاكه من النار، فصار أخي وابن عمِّي وابنتي فُكَّاك رِقَاب رجال ونساء أُمّتي من النار». أخرجه^(٢) الخطيب في تاريخه، وابن الأثير في أسد الغابة، وابن حجر في الصواعق.

٥ - هو أوَّل رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لما اطَّلَعَ عليهم؟! كما أخبر به ﷺ لفاطمة بقوله: «إنَّ الله اطَّلَعَ على أهل الأرض فاختر منهم أباك فبعثه نبياً، ثمَّ اطَّلَعَ الثانية فاختر بعلك، فأوحى إليّ، فأنكحته واتَّخذته وصياً»^(٣).

١ - أنظر كفاية الطالب: ١٦٤ [ص ٣٠٠، باب ٧٩].

٢ - تاريخ الخطيب ٤: ٢١٠؛ أسد الغابة ١: ٢٠٦ [٢٤٢/١، رقم ٤٩٢]؛ الصواعق المحرقة: ١٠٣ [ص ١٧٣].

٣ - أخرجه الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري [المعجم الكبير ٤/ ١٧١، ح ٤٠٤٦] كما في إكمال كنز العمال ٦: ١٥٣ [١١/ ٦٠٤، ح ٣٢٩٢٣]؛ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٥ عن علي الهلالي.

وبقوله ﷺ: «إِنَّ الله اختار من أهل الأرض رجلين: أحدهما أبوك والآخر زوجك»^(١).

٦- قال ﷺ: «أولكم وارداً - وروداً - عليّ الحوض أولكم إسلاماً، عليّ بن أبي طالب». أخرجه^(٢) الحاكم في المستدرک وصحّحه؛ والخطيب البغدادي في تاريخه؛ ويوجد في الاستيعاب؛ وشرح ابن أبي الحديد.

٧- قال ﷺ لفاطمة: «زوّجتك خير أمتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حليماً، وأولهم إسلاماً»^(٣).

٨- أخذ ﷺ بيد عليّ، فقال: «إِنَّ هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصفحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر»^(٤).

٩- إِنَّ أبا بكر وعمر خطبا فاطمة فردّهما رسول الله ﷺ وقال: «لم أوامر بذلك». فخطبها عليّ فزوّجه إياها، وقال لها: «زوّجتك أقدم الأئمة إسلاماً». روى هذا الحديث جماعة من الصحابة، منهم: أسماء بنت عميس، وأمّ أيمن، وابن عبّاس، وجابر بن عبد الله^(٥).

١٠- حديث بدء الدعوة: أخرجه غير واحد من الأئمة وحفاظ الحديث من الفريقين في الصحاح والمسانيد، ومرّر عليه آخرون منهم ممن يُعتدّ بقوله وتفكيره مخبتين له من دون أيّ غمزٍ في الإسناد أو توقّف في متنه.

١- المواقف للإيجي: ٨ [ص ٤١٠].

٢- المستدرک على الصحيحين ٣: ١٣٦ [١٤٧/٢، ح ٤٦٦٢]؛ تاريخ البغدادي ٢: ٨١. الاستيعاب ٢: ٤٥٧.

[القسم الثالث/ ١٠٩١، رقم ١٨٥٥]؛ شرح نهج البلاغة ٣: ٢٥٨ [٢٢٩/١٣، خطبة ٢٣٨].

٣- أنظر كنز العمال ٦: ٣٩٨ [٦٠٥/١١، ح ٣٢٩٢٦].

٤- أنظر تاريخ مدينة دمشق [١٣٠/١٢]؛ كنز العمال ٦: ٥٦ [٦١٦/١١، ح ٣٢٩٩٠].

٥- شرح نهج البلاغة ٣: ٢٥٧ [٢٢٨/١٣، خطبة ٢٣٨].

وتلقاه المؤرخون من الأمة الإسلامية وغيرها بالقبول، وأُرسل في صحيفة التاريخ إرسال المسلم، وجاء منظوماً في أسلاك الشعر والقريض.

لفظ الحديث: أخرج الطبري في تاريخه^(١) بإسناده عن علي بن أبي طالب قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي! إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضيقتُ بذلك ذرعاً، وعرفتُ أنني متى أبادئهم بهذا الأمر أَرَّ منهم ما أكره، فصمتُ عليه حتى جاء جبريل فقال: يا محمد! إنك إلا تفعل ما تؤمر به يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ. فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجلاً شاة واملاً لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به.

فعلتُ ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب... فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعتُ لهم فجئتُ به، فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حذيةً من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصُحفَة ثم قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيمُّ الله الذي نفس عليّ بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم. ثم قال: اسقي القوم؛ فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتى رَووا منه جميعاً، وأيمُّ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدَره أبو لهب إلى الكلام، فقال، لَقَدْ مَّا سَحَرَكُم صَاحِبُكُمْ. فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال: الغد يا علي! إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن أكلهم، فعُدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إليّ.

قال: ففعلتُ ثمَّ جمعتهم ثمَّ دعاني بالطعام فقرَّبته لهم؛ ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتَّى ما لهم بشيء، حاجة. ثمَّ قال: اسقهم؛ فجئتهم بذلك العُس فشربوا حتَّى رؤوا منه جميعاً.

ثمَّ تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب! إنِّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممَّا قد جئتكم به، إنِّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأئكم يوازرنِّي على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلتُ - وإنِّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً -: أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه؛ فأخذ برقبتي ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. ورجال السند كلُّهم ثقاتٌ إلَّا أبا مريم عبدالغفار بن القاسم، فقد ضعَّفه القوم وليس ذلك إلَّا لتشيعه. فقد أثنى عليه ابن عقدة وأطراه وبالع في مدحه كما في لسان الميزان^(١). وأسند إليه وروى عنه الحفاظ الستة وهم أساتذة الحديث، وأئمة الأثر، والمراجع في الجرح والتعديل، والرفض والاحتجاج. ولم يقذف أحدٌ منهم الحديث بضعف أو غمز لمكان أبي مريم في إسناده، واحتجَّوا به في دلائل النبوة والخصائص النبوية.

وليس من العجيب ما هملج به ابن تيمية من الحكم بوضع الحديث؛ فهو ذلك المتعصّب العنيد، وإنَّ من عاداته إنكار المسلّمات، ورفض الضروريات، وتحكّماته معروفة، وعرف منه المنقّبون أنَّ مدار عدم صحّة الحديث عنده هو تضمّنه فضائل العترة الطاهرة.

١١ و ١٢ - حديث الغدير وحديث التهنئة^(١).

١٣ - حديث أم سلمة، قالت لعائشة أم المؤمنين في بدء واقعة الجمل:
أذكرُكِ كنتُ أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له، وكان عليُّ يتعاهد نعلي رسول
الله ﷺ فيخصفها ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنُقبَت له نعلٌ فأخذها يومئذٍ يخصفها وقعد
في ظلِّ سمرة. وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يُحدِّثانه
فيما أرادا، ثمَّ قالَا: يا رسول الله! إنَّا لا ندري قَدْر ما تصحبنا فلو أعلمتنا مَنْ يُستخلف
علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً.

فقال لهما: «أما إنِّي قد أرى مكانه ولو فعلتُ لتفرَّقتم عنه كما تفرَّقَت بنو إسرائيل
عن هارون بن عمران». فسكتا ثمَّ خرجا. فلما خرجنا إلى رسول الله ﷺ قلتُ له
وكنتُ أجراً عليه منَّا: من كنتَ يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: «خاصف النعل».
فنزلنا فلم نرَ أحداً إلَّا عليّاً. فقلتُ: يا رسول الله ما أرى إلَّا عليّاً. فقال: «هو ذاك».
فقالَت عائشة: نعم أذكرُ ذلك. فقالَت: فأبى خروجَ تخرجين بعد هذا؟ فقالَت: إنما
أخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأجر إن شاء الله.
فقالَت: أنتِ ورأيك.

١٤ - أخرج أبو نعيم في ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين^(٢)، والنطنزي في
الخصائص العلوية عن شعبة بن الحكم، عن ابن عباس قال: أخذ النبي ﷺ - ونحن بمكة
- بيدي وييد عليٍّ فصعد بنا إلى ثبير، ثمَّ صلى بنا أربع ركعات، ثمَّ رفع رأسه إلى السماء
فقال:

«اللَّهُمَّ إِنَّ موسى بن عمران سألَكَ وأنا مُحَمَّد نبيُّكَ أسألك أن تشرح لي صدري،
وتيسِّر لي أمري، وتحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي عليٍّ

١ - أنظر ما مرَّ في ص ٥٧٧ - ٦٥٠ من كتابنا هذا. ٢ - ما نزل من القرآن في عليٍّ [ص ١٣٨، ح ٣٧].

ابن أبي طالب أخي، اشدد به أزرِي وأشركه في أمري».

قال ابن عباس: فسمعتُ منادياً ينادي: يا أحمد قد أوتيت ما سألت.

١٥- أخرج محمد بن جرير الطبري بإسناده عن أنس: قال:

إن رسول الله ﷺ ركب يوماً إلى جبل كداء؛ فقال: «يا أنس! خذ البغلة وانطلق إلى موضع كذا تجد علياً جالساً يسبح بالحصى فاقرأه مني السلام واحمله على البغلة وائت به إليّ».

فقال: فلما ذهبتُ وجدتُ علياً كذلك فقلتُ: إن رسول الله يدعوكم. فلما أتى رسول الله قال له: «اجلس فإن هذا موضعٌ جلس فيه سبعون نبياً مرسلأً، ما جلس فيه من الأنبياء أحدٌ إلا وأنا خيرٌ منه وقد جلس مع كلِّ نبيٍّ أخٌ له ما جلس من الإخوة أحدٌ إلا وأنت خيرٌ منه». قال: فرأيتُ غمامة بيضاء وقد أظلمتها فجعلنا يأكلان منه عنقود عنب، وقال: «كل يا أخي فهذه هديّةٌ من الله إليّ ثم إليك». ثم شربا ثم ارتفعت الغمامة. ثم قال: «يا أنس! والذي خلق ما يشاء، لقد أكل من الغمامة ثلاثمئة وثلاثة عشر نبياً وثلاثمئة وثلاثة عشر وصياً، ما فيهم نبيٌّ أكرم على الله مني ولا وصيٌّ أكرم على الله من عليّ».

١٦- أخرج الخوارزمي في المناقب^(١) عن النبي ﷺ أنه قال لعليّ: «يا عليّ! لو أن عبداً عبد الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوحٌ في قومه، وكان له مثل أحدٍ ذهباً فأنفقهُ في سبيل الله، ومُدّ في عمره حتّى حجَّ ألف عام على قدميه، ثم قُتِل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يُوالِك يا عليّ! لم يشم رائحة الجنّة ولم يدخلها».

١٧- أخرج الحافظ السمان في أماليه بإسناده عن رسول الله ﷺ: «لو أن عبداً عبد الله سبعة آلاف سنة، وهو عمر الدنيا، ثم أتى الله عزّ وجلّ يبغض عليّ بن أبي طالب

جاحداً لحقه ناكثاً لولا يته لآتعى الله خيرَه وجدَعَ أنفه»^(١).

١٨ - صحَّ عن النبي ﷺ قوله: «من أحبَّ علياً فقد أحبَّني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»^(٢).
وأخبر ﷺ عن جبرئيل أنه أخبره بأن: «السعيد كلُّ السعيد من أحبَّ علياً في حياتي وبعد مماتي، ألا وإنَّ الشقيَّ كلَّ الشقيَّ من أبغض علياً في حياتي وبعد مماتي»^(٣).
وصحَّ عن النبي ﷺ قوله: «من أحبَّ علياً فقد أحبَّني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»^(٤).

١٩ - أخرج الحافظ الحسن بن علي العدوي، قال: حدَّثنا أحمد بن عبدة الضبي، عن أبي عيينة، عن ابن الزبير، عن جابر قال: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نعرض أولادنا على حبِّ علي بن أبي طالب». ورجاله رجال الصحيحين كلَّهم ثقات.
وعن أبي بكر الصديق قال: رأيتُ رسول الله ﷺ خيمَ خيمة وهو متكئ على قوس عربيَّة، وفي الخيمة عليُّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: «معشر المسلمين! أنا سلمٌ لمن سالمَ أهلَ الخيمة، حربٌ لمن حاربهم، وليٌّ لمن والاهم، لا يحبُّهم إلَّا سعيد الجدِّ طيب المولد، ولا يبغضهم إلَّا شقيُّ الجدِّ رديء المولد»^(٥).

١ - ذكره القرشي في شمس الأخبار: ٤٠ [مسند شمس الأخبار ١: ١٠٧].

٢ - الاستيعاب ٢: ٤٦١ [القسم الثالث: ص ١١٠١، رقم ١٨٥٥]؛ ذخائر العقبى: ٦٥؛ الإصابة ٣: ١٠٣ [٥٤٢/٢].
رقم ٥٨٦٦؛ نزهة المجالس ٢: ٢٠٧.

٣ - الرياض النضرة ٣: ٢١٥ [١٦٧/٣]؛ الفصول المهمة: ١٢٤ [ص ١٢٣]؛ مجمع الزوائد ٩: ١٣٢؛ كنز العمال ٦: ٤٠٠ [١٣/١٤٥، ح ٣٦٤٥٨]؛ نزهة المجالس ٢: ٢٠٧.

٤ - الاستيعاب ٢: ٤٦١ [القسم الثالث: ص ١١٠١، رقم ١٨٥٥]؛ ذخائر العقبى: ٦٥؛ الإصابة ٣: ١٠٣ [٥٤٢/٢].
رقم ٥٨٦٦؛ نزهة المجالس ٢: ٢٠٧.

٥ - الرياض النضرة للحافظ محبِّ الدين الطبري ٢: ١٨٩ [١٣٦/٣].

٢٠- ما ورد في علم عليّ أمير المؤمنين بالكتاب والسنة:

أخرج الحفاظ عن النبي ﷺ في حديث فاطمة عليها السلام: «زوّجتك خير أهلي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حليماً، وأولهم إسلاماً».

وفي حديث آخر: «أعلم أمتي من بعدي عليّ بن أبي طالب».

وفي ثالث: «أعلم الناس بالله وبالناس».

وفي حديث: «يا عليّ لك سبع خصال»، وعدّ منها: «وأعلمهم بالقضية»^(١).

وأخرج محبّ الدين الطبري في رياضته^(٢) عن عائشة: «أنّه أعلم الناس بالسنة».

وفي كفاية الكنجي^(٣) عن أبي أمامة، عنه عليه السلام: «أعلم أمتي بالسنة والقضاء بعدي

عليّ بن أبي طالب».

وأخرج الخوارزمي في المناقب^(٤) عن سلمان، عن النبي ﷺ: «أعلم أمتي من بعدي

عليّ بن أبي طالب».

وأخرج الحفاظ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمتُ

فيم نزلت وعلى من نزلت، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً»^(٥).

وعن النبي ﷺ: «قُسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي عليّ تسعة أجزاء، والناس

جزءاً واحداً»^(٦).

وقال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

أخرجه جمع كثير من الحفاظ وأئمة الحديث. ذكر شيخنا العلامة رحمته في الغدير (١٤٣)

١- حلية الأولياء ١: ٦٦ [رقم ٤]؛ كنز العمال ٦: ١٥٣ و ١٥٦ و ٣٩٨ [١١/٦٠٥]، ح ٣٢٩٢٦؛ وص ٦١٧، ح

٢- الرياض النضرة ٢: ١٩٣ [١٤١/٣].

٣- كفاية الطالب: ١٩٠ [٣٢٢، باب ٩٤].

٤- المناقب: ٤٩ [ص ٨٢، ح ٦٧].

٥- حلية الأولياء ١: ٦٧ [رقم ٤]؛ كنز العمال ٦: ٣٩٦ [١٢/١٢٨]، ح ٣٦٤٠٤.

٦- حلية الأولياء ١: ٦٥ [رقم ٤].

ممن رووا هذه الرواية، توجد كلمات كثير منهم حول الحديث في الجزء الخامس من عبقات الأنوار لسيّدنا العَلَم الحجة المجاهد الأكبر السيّد مير حامد حسين الموسوي الكهنوي المتوفّى (١٣٠٦)؛ منهم:

- ١- إمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفّى (٢٤١)؛ أخرجه في المناقب^(١).
- ٢- المحافظ أبو عيسى محمّد الترمذي المتوفّى (٢٧٩)، في جامعه الصحيح^(٢).
- ٣- المحافظ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفّى (٣١٠)، في تهذيب الآثار^(٣) وصحّحه، حكاه عنه غير واحد من أعلام القوم.
- ٤- أبو القاسم الزمخشري المتوفّى (٥٣٨)؛ سَمّى في الفائق^(٤) باب مدينة العلم.
- ٥- المحافظ أبو عبد الله محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفّى (٦٥٨)؛ أخرجه في الكفاية^(٥)، وقال بعد إخراجه بعدّة طرق:

قلت : هذا حديث حسن عال ... ومع هذا فقد قال العلماء من الصحابة والتابعين وأهل بيته بتفضيل عليّ ﷺ وزيادة علمه وغازاته ، وحّدّة فهمه ، ووفور حكمته ، وحسن قضاياه ، وصحّة فتواه . وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من علماء الصحابة يشاورونه في الأحكام ويأخذون بقوله في النقض والإبرام ، اعترافاً منهم بعلمه ، ووفور فضله ، ورجاحة عقله ، وصحّة حكمه . وليس هذا الحديث في حقّه بكثير ؛ لأنّ رتبته عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من عباده أجلّ وأعلى من ذلك .

١- فضائل عليّ [ص ١٣٨، ح ٢٠٣].
 ٢- سنن الترمذي [ص ٥٩٦/٥، ح ٣٧٢٣، بلفظ: «أنا دار الحكمة...»، وانظر أيضاً جامع الأصول ٩/٤٧٣، ح ٦٤٨٩].
 ٣- تهذيب الآثار [ص ١٠٥، رقم ١٧٣ من مسند عليّ ﷺ].
 ٤- الفائق ١: ٢٨ [٣٦/٢].
 ٥- كفاية الطالب: ٩٨-١٠٢ [ص ٢٢٠ و ٢٢٢ و ٢٢٣، باب ٥٨].

- ٦ - شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ الشهير بابن حجر العسقلاني، المتوفى (٨٥٢)؛ ذكره في تهذيب التهذيب^(١). وقال في لسان الميزان^(٢)؛
- هذا الحديث له طرق كثيرة في مستدرک الحاكم^(٣)، أقلّ أحوالها أن يكون للحديث أصل؛ فلا ينبغي أن يطلق القول عليه بالوضع.
- ٧ - المحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين السيوطي، المتوفى (٩١١)؛ ذكره في الجامع الصغير^(٤)، وفي غير واحد من تأليفه وحسنه في كثير منها ثمّ حكم بصحّته في جمع الجوامع كما في ترتيبه^(٥).
- ٨ - شهاب الدين أحمد بن محمّد ابن حجر الهيتمي المكي، المتوفى (٩٧٤)؛ ذكره في الصواعق^(٦).

لفظ الحديث

- ١ - عن الحرث وعاصم، عن عليّ عليه السلام مرفوعاً: «إنّ الله خلقني وعليّاً من شجرة أنا أصلها، وعليّ فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعه ورقها، فهل يخرج من الطيّب إلّا الطيّب؟ وأنا مدينة العلم وعليّ بابها؛ فمن أراد المدينة فليأتها من بابها».
- وفي لفظ حذيفة عن عليّ عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها».
- وفي لفظ آخر له عليه السلام: «أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنّه يصل إلى المدينة إلّا من قبل الباب».

١ - تهذيب التهذيب ٧: ٢٢٧ [٢٩٦/٧]. ٢ - لسان الميزان [١٥٥/٢، رقم ٢٠٣٤].

٣ - المستدرک على الصحيحين [١٣٧/٣، ح ٤٦٣٧ و ٤٦٣٨؛ ص ١٣٨، ح ٤٦٣٩].

٤ - الجامع الصغير ١: ٣٧٤ [٤١٥/١، ح ٢٧٠٥].

٥ - كنز العمال ٦: ٤٠١ [١٤٨/١٣، ح ٣٦٤٦٣ و ٣٦٤٦٤].

٦ - الصواعق المحرقة: ٧٣ [ص ١٢٢].

وفي لفظ له ﷺ: «أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنه يدخل المدينة بغير الباب، قال الله عز وجل: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾»^(١).

٢- عن ابن عباس: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابي - الباب -». وفي لفظ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: «يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها، ولن تؤتي المدينة إلا من قبل الباب».

٣- عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي يقول: «هذا أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله». ثم مدّ بها صوته فقال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد البيت فليأت الباب». وفي لفظ له: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب».

وهناك أحاديث أخرى أخرجها الأعلام في تأليفهم القيمة تعاضد صحة هذا الحديث منها:

١- «أنا دار الحكمة وعلي بابها»^(٢).

٢- «أنا دار العلم وعلي بابها»^(٣).

٣- «أنا ميزان العلم وعلي كفتاه»^(٤).

٤- «أنا ميزان الحكمة وعلي لسانه»^(٥).

١- البقرة: ١٨٩.

٢- أخرجه الترمذي في جامعه الصحيح ٢: ٢١٤ [٥/٥٩٦، ح ٣٧٢٣]، وجمع تربو عدتهم على ستين من الحفاظ وأئمة الحديث.

٣- أخرجه البغوي في مصابيح السنة كما ذكره الطبري في ذخائر العقبى: ٧٧، وآخرون.

٤- أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار [١/٤٤، ح ١٠٧] مسنداً عن ابن عباس مرفوعاً، وتبعه جمع ونقلوه عنه كالعجلوني في كشف الخفاء ١: ٢٠٤ [ح ٦١٨] وغيره.

٥- ذكره الغزالي في الرسالة العقلية، وحكاها عنه الميذي في شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين [ص ٣].

- ٥ - «أنا المدينة وأنت الباب، ولا يؤتى المدينة إلا من بابها»^(١).
- ٦ - في حديث: «فهو باب مدينة علمي»^(٢).
- ٧ - «عليّ أخي ومنيّ وأنا من عليّ فهو باب علمي ووصيّتي».
- ٨ - «عليّ باب علمي ومبيّن لأمتي ما أرسلت به من بعدي»^(٣).
- ٩ - «أنت باب علمي». قاله ﷺ لعلّي ﷺ في حديث أخرجه: الخرکوشي، وأبو نعيم، والديلمي، والخوارزمي، وأبو العلاء الهمداني وأبو حامد الصالحات، وأبو عبدالله الكنجي، والسيد شهاب الدين صاحب توضيح الدلائل، والقندوزي.
- ١٠ - «يا أمّ سلمة اشهدي واسمعي هذا عليّ أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وعيبة علمي - وعاء علمي - وبابي الذي أوتي منه».
- أخرجه أبو نعيم، والخوارزمي في المناقب^(٤)، والرافعي في التدوين^(٥)، والكنجي في المناقب^(٦)، والحمّوي في فرائد السمطين^(٧) و....
- وقال الشيخ محمد الحنفي في حاشية شرح العزيزي^(٨):
- حديث العيبة أي وعاء علمي الحافظ له ؛ فإنّه مدينة العلم ؛ ولذا كانت الصحابة تحتاج إليه في تلك المشكلات ، ولذا كان يسأله سيّدنا معاوية في

١ - أخرجه العاصمي أبو محمد في كتابه زين الفتى في شرح سورة هل أتي .

٢ - أخرجه الفقيه ابن المغازلي [في مناقب عليّ بن أبي طالب / ٥٠، ح ٧٣]، وأبو المؤيد الخوارزمي [في المناقب / ١٢٩، ح ١٤٣]، وذكره القندوزي في الينابيع: ٧١ [٦٩/١، باب ١٤].

٣ - كنز العمال ٦: ١٥٦ [١١ / ٦١٤، ح ٣٢٩٨١]؛ والقول الجلي في فضائل عليّ للسيوطي، جعله الحديث الثامن والثلاثين من الكتاب.

٤ - المناقب [ص ١٤٢، ح ١٦٣].

٥ - التدوين في أخبار قروين [٨٩/١].

٦ - كفاية الطالب [ص ١٩٨، باب ٤٨].

٧ - فرائد السمطين [١٥٠/١، ح ١١٣، باب ٢٩].

٨ - حاشية الحفني على شرح الجامع الصغير ٢: ٤١٧ [٤٥٨/٢].

زمن الواقعة عن المشكلات فيجيبه فتقول له جماعته : مالك تجيب عدونا؟!
 فيقول : أما يكفيكم أنه يحتاج إلينا؟!
 ووقع له فكُ مشكلات مع سيدنا عمر؛ فقال : ما أبقاني الله إلى أن أدرك قوماً
 ليس فيهم أبو الحسن
 وقال المناوي في فيض القدير^(١) :

«عليّ عيبة علمي» أي مظنة استقصاحي وخاصّتي ، وموضع سرّي ، ومعدن
 نفائسي . «والعيبة» ما يحرز الرجل فيه نفائسه .
 قال ابن دريد^(٢) : وهذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل به في
 إرادة اختصاصه بأموره الباطنة التي لا يطلع عليها أحد غيره ؛ وذلك غاية في
 مدح عليّ ، وقد كانت ضمائر أعدائه منظوية على اعتقاد تعظيمه .
 وفي شرح الهمزية^(٣) :

إنّ معاوية كان يرسل يسأل عليّاً عن المشكلات فيجيبه ؛ فقال أحد بنيهِ :
 تجيب عدوك؟ قال : أما يكفينا أن احتاجنا وسألنا؟ .

١١ - «أنا مدينة الفقه وعليّ بابها» ؛ ذكره أبو المظفر سبط ابن الجوزي في التذكرة^(٤) .

٢١ - روي في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥) من

طريق المحافظ أبي نعيم وابن مردويه وابن عساكر^(٦) وآخرين كثيرين عن جابر وابن
 عباس ؛ أي كونوا مع عليّ بن أبي طالب . ورواه الكنجي الشافعي في الكفاية^(٧) ؛

٢ - جمهرة اللغة [٣٦٩/١] .

١ - فيض القدير ٤ : ٣٥٦ .

٤ - تذكرة الخواصّ : ٢٩ [ص ٤٨] .

٣ - شرح الهمزية [ص ١٩٢] .

٥ - التوبة : ١١٩ .

٦ - تاريخ مدينة دمشق [٣٠٧/١٢] . وفي ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ - الطبعة المحققة - : [رقم ٩٣٠] .

٧ - كفاية الطالب : ١١١ [ص ٢٣٦ ، باب ٦٢] .

والمحافظ السيوطي في الدر المنثور^(١).

٢٢ - ورد في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أَزَلَّكَ الْمُتَتَّبِعُونَ﴾^(٢) أنها نزلت

في عليٍّ عليه السلام.

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: «أنها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار الذي ذكر في يس، وعلي بن أبي طالب. وكل رجل منهم سابق أمته، وعلي أفضلهم».

وفي لفظ ابن أبي حاتم: يوشع بن نون بدل حزقيل.

ورواه المحافظ السيوطي في الدر المنثور؛ وابن حجر في الصواعق؛ وسبط ابن

الجوزي في التذكرة^(٣).

٢٣ - توجد في الكتب والمعاجم أحاديث وكلمات ضافية حول قوله تعالى: ﴿قُلْ

لَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(٤) لا يسعنا بسط المقال فيها، غير أننا نقتصر^(٥) بجملة منها:

١ - أخرج أحمد في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن

مردويه، والواحدي، والثعلبي، وأبو نعيم، والبغوي في تفسيره، وابن المغازلي في

المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من

قربتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما»^(٦).

١ - الدر المنثور ٣: ٢٩٠ [٣١٦/٤]. ٢ - الواقعة: ١٠ - ١١.

٣ - الدر المنثور ٦: ١٥٤ [٦/٨]؛ الصواعق المحرقة: ٧٤ [ص ١٢٥]؛ تذكرة الخواص: ١١ [ص ١٧].

٤ - الشورى: ٢٣.

٥ - [الظاهر أنه ينبغي ضمن «نقتصر» معنى «نكتفي» فعده بالباء].

٦ - مناقب علي [ص ١٨٧، ح ٢٦٣]؛ المعجم الكبير [٣٥١/١١، ح ١٢٢٥٩]؛ الكشف والبيان [الورقة ٤٦،

سورة الشورى: آية ٢٣]؛ مناقب علي بن أبي طالب [ص ٣٠٧ - ٣٠٩، ح ٣٥٢].

٢- أخرج المحافظ الطبري وابن عساكر^(١) والمحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل^(٢) بعدة طرق عن أبي أمانة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى وَخَلَقَنِي مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَنَا أَصْلُهَا وَعَلِيٌّ فَرْعُهَا وَفَاطِمَةُ لِقَاحُهَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثَمَرُهَا؛ فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغَصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا نَجَا وَمَنْ زَاغَ عَنْهَا هَوَى. وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبْدَ اللَّهِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ لَمْ يُدْرِكْ صَحْبَتَنَا كَبَّهَ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِيهِ فِي النَّارِ». ثُمَّ تَلَا: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى». وذكره الكنجي في الكفاية^(٣).

٣- أخرج أحمد^(٤) وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ» قال: «المودة لآل محمد».

٤- عن أبي الطفيل قال: خطبنا الحسن بن علي بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين علياً عليه السلام خاتم الأوصياء ووصي الأنبياء وأمين الصديقين والشهداء ثم قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يَدْرِكُهُ الْآخِرُونَ. لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِيهِ الرَّايَةَ فَيَقَاتِلُ جَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ فَمَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَلَقَدْ قَبَضَهُ اللَّهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا وَصِيُّ مُوسَى وَعُجِرَ بِرُوحِهِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي عُجِرَ فِيهَا بِرُوحِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا الْفَرَقَانَ، وَاللَّهُ مَا تَرَكَ ذَهَباً وَلَا فِضَّةً، وَمَا فِي بَيْتِ مَالِهِ إِلَّا سَبْعُمِئَةٌ وَخَمْسُونَ دِرْهَماً فَضَلَّتْ مِنْ عَطَائِهِ أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا خَادِماً لَأُمَّ كُلْثُومٍ.

١- تاريخ مدينة دمشق [١٤٣/١٢]؛ وفي ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام [رقم ١٧٨ و ١٧٩].

٢- شواهد التنزيل [٢/٢٠٣، ح ٨٢٧].
٣- كفاية الطالب: ١٧٨ [ص ٣١٧، باب ٨٧].

٤- فضائل الصحابة [٢/٦٦٩، ح ١١٤١].

ثمَّ قال: من عَرَفني فقد عَرَفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد. ثمَّ تلا هذه الآية قول يوسف: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(١). ثمَّ أخذ في كتاب الله. ثمَّ قال: أنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، أنا ابن النبي، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عزّ وجلّ مودّتهم وولايتهم؛ فقال فيما أنزل على محمّد: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾...».

أخرجه^(٢) البزار والطبراني في الكبير؛ وأبو الفرج في مقاتل الطالبين؛ وابن أبي الحديد في شرح النهج؛ وابن حجر في الصواعق. قال ابن حجر في الصواعق^(٣):

أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أنّ النبي ﷺ قال: «وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مسؤولون عن ولاية عليٍّ». وكأنّ هذا هو مراد الواحد بقوله: رُوي في قوله تعالى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٤) أي عن ولاية عليٍّ وأهل البيت؛ لأنّ الله أمر نبيّه ﷺ أن يعرف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى. والمعنى أنّهم يُسألون: هل وألّوهم حقّ الموالاتة كما أوصاهم النبي ﷺ أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعية؟

١ - يوسف: ٣٨.

٢ - المعجم الكبير [٣/ ٧٩ - ٨٠، ح ٢٧١٧ - ٢٧٢٥]؛ المعجم الأوسط [٢/ ٨٨٨، ح ١٢٧٦]؛ مقاتل الطالبين [ص ٦٢]؛ شرح نهج البلاغة ٤: ١١ [١٦/ ٣٠، خطبة ٣١]؛ الفصول المهمة [ص ١٥٨ - ١٥٩]؛ كفاية الطالب [ص ٩٣، باب ١١]؛ السنن الكبرى [٥/ ١١٢، ح ٨٤٠٨]؛ الصواعق المحرقة ١٠١ و ١٣٦ [ص ١٧٠ و ٢٢٨].

٤ - الصافات: ٢٤.

٣ - الصواعق المحرقة: ٨٩ [ص ١٤٩].

٢٤ - أخرج الثعلبي في الكشف والبيان^(١) في قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال مسلم بن حيان: سمعتُ أبا بريدة يقول: «صراط محمد وآله».

وأخرج الحمّوثي في الفرائد^(٢) بإسناده عن أصبغ بن نباتة عن عليّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾^(٣) قال: «الصراط ولايتنا أهل البيت». وأخرج الخوارزمي في المناقب: «الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة؛ فأما صراط الدنيا فهو عليّ بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة فهو جسر جهنم. من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة».

ويوضح معنى هذا الحديث ما أخرجه ابن عدي^(٤) والديلمي كما في الصواعق^(٥) عن رسول الله ﷺ قال: «أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي».

٢٥ - قال محب الدين الطبري في رياضته^(٦):

إنّ رسول الله ﷺ سمّاه صديقاً... قال الخجندي: وكان يُلقَّب ببعسوب الأمة وبالصديق الأكبر.

وهناك أخبار كثيرة نذكر بعضها:

١ - أخرج ابن النجار وأحمد في المناقب^(٧) عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «الصدّيقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب آل ياسين، وعليّ بن أبي طالب».

٢ - عن رسول الله ﷺ: «إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهو أوّل من يصفحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرّق بين الحقّ والباطل، وهذا

٢ - فرائد السطين [٢/٣٠٠، ح ٥٥٦].

١ - الكشف والبيان [الورقة ٩، سورة الحمد: ٦].

٤ - الكامل في ضعفاء الرجال [٦/٣٠٢، رقم ١٧٩١].

٣ - المؤمنون: ٧٤.

٦ - الرياض النضرة [٣/٩٤ و ٩٥].

٥ - الصواعق المحرقة: ١١١ [ص ١٨٧].

٧ - مناقب عليّ [ص ١٣١، ح ١٩٤].

يعسوب المؤمنين».

أخرجه^(١) الطبراني عن سلمان وأبي ذرّ؛ والحافظ الكنجي في الكفاية من طريق الحافظ ابن عساكر، وفي آخره «وهو بابي الذي أوتي منه وهو خليفتي من بعدي». وذكره باللفظ الأوّل المتقي الهندي في إكمال كنز العمال.

٣- عن النبي ﷺ قال: «قال لي ربّي عزّ وجلّ ليلة أُسري بي: من خلّقت على أمتك يا محمّد؟ قال: قلت: يا ربّ أنت أعلم.

قال: يا محمّد انتجبتك^(٢) برسالتِي، واصطفيتك لنفسِي، وأنت نبّي وخيرتي من خلقي، ثمّ الصديق الأكبر الطاهر المطهر الذي خلّقه من طينتك وجعلته وزيرك وأبا سبطيك السيّدين الشهيدين الطاهرين المطهرين سيّدَي شباب أهل الجنّة وزوجته خير نساء العالمين. أنت شجرةٌ وعليّ أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها، خلّقتها من طينة عليّين وخلّقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف ما ازدادوا لكم إلّا حبّاً. قلت: يا ربّ ومن الصديق الأكبر؟

قال أخوك عليّ بن أبي طالب». أخرجه القرشي في شمس الأخبار^(٣).

٤- عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «أنا عبدالله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقوها بعدي إلّا كذاب مُفترٍ، لقد صلّيت قبل الناس سبع سنين».

أخرجه ابن أبي شعبة بسند صحيح؛ والنسائي في الخصائص بسند رجاله ثقات؛ وابن ماجّة في سننه بسند صحيح^(٤).

١- المعجم الكبير [٢٦٩/٦، ح ٦١٨٤]؛ كفاية الطالب: ٧٩ [ص ١٨٧، باب ٤٤]؛ تاريخ مدينة دمشق [١٣٠/١٢]؛

كنز العمال ٦: ٥٦ [١١/٦١٦، ح ٣٢٩٩٠]. ٢- [في المصدر: إنّي اجتيتك].

٣- مسند شمس الأخبار: ٣٣ [١/٨٩].

٤- المصنّف [١٢/٦٥، ح ١٢١٣٣]؛ خصائص أمير المؤمنين: ٣ [ص ٢٥، ح ٧]؛ وفي السنن الكبرى [٥/١٠٧،

ح ٨٣٩٥]؛ سنن ابن ماجّة ١: ٥٧ [١/٤٤، ح ١٢٠].

٢٦- أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه^(١) عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «ليلة عُرِج بي إلى السماء رأيتُ على باب الجنة مكتوباً لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ حبيب الله، والحسن الحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، على مبغضهم لعنة الله». ورواه الخطيب الخوارزمي في مناقبه^(٢).

٢٧- أخرج ابن عدي في كامله^(٣) من طريق عليّ: إن النبي ﷺ قال: «عليّ يعسوب^(٤) المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين».

وفي رواية: «يعسوب الظلمة». وفي رواية «يعسوب الكفار»^(٥).

وقال الدميري: «ومن هنا قيل لأمر المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: أمير النحل».

٢٨- سقاية الحوض - الكوثر - يوم القيامة بيد عليّ أمير المؤمنين، يسقي منه محبيه ومواليه ويذود عنه المنافقين والكفار.

وورد في ذلك أحاديث في الصحاح والمسانيد ونحن نذكر بعضها:

١- أخرج الطبراني^(٦) بإسناد رجاله ثقات عن أبي سعيد الخدري قال:

قال النبي ﷺ: «يا عليّ! معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض».

٢- أخرج شاذان الفضيلي بإسناده عن أمير المؤمنين قال:

قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ! سألتُ ربّي عزّ وجلّ فيك خمس خصال فأعطاني.

٢- المناقب: ٢٤٠ [ص ٣٠٢، ح ٢٩٧].

١- تاريخ البغدادي ١: ٢٥٩.

٣- الكامل في ضعفاء الرجال [٥/٢٤٤، رقم ١٣٨٩]. ٤- «اليعسوب»: الأمير، الرئيس.

٥- ذكره الدميري في حياة الحيوان ٢: ٤١٢ [٢/٤٤١]؛ وابن حجر في الصواعق المحرقة: ٧٥ [ص ١٢٥].

٦- المعجم الصغير [٢/٨٩]. وانظر الذخير: ٩١، الرياض النضرة ٢: ٢١١ [٢/١٦٣]؛ مجمع الروائد ٩: ١٣٥.

الصواعق المحرقة: ١٠٤ [ص ١٧٤]؛ الرياض النضرة ٢: ٢٠٣ [٣/١٥٢-١٥٣]؛ كنز العمال ٦: ٤٠٣ [١٣/١٠٤].

١٥٤، ح ٣٦٤٧٩].

أما الأولى : فَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ تَنْشِقَّ عَنِّي الْأَرْضَ وَأَنْفُضَ التَّرَابَ عَنْ رَأْسِي وَأَنْتَ مَعِي ، فَأَعْطَانِي .

وأما الثانية : فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَوْقِفَنِي عِنْدَ كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَأَنْتَ مَعِي ، فَأَعْطَانِي .

وأما الثالثة : فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَكَ حَامِلَ لَوَائِي وَهُوَ لَوَاءُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ عَلَيْهِ الْمَفْلُحُونَ وَالْفَائِزُونَ بِالْجَنَّةِ ، فَأَعْطَانِي .

وأما الرابعة : فَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ تَسْقِي أُمَّتِي مِنْ حَوْضِي ، فَأَعْطَانِي .

وأما الخامسة : فَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَكَ قَائِدَ أُمَّتِي إِلَى الْجَنَّةِ ، فَأَعْطَانِي ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنْ بِهِ عَلَيَّ .

وتجده في المناقب للخطيب الخوارزمي ؛ وفرائد السمطين في الباب الثامن عشر ؛ وكنز العمال^(١) .

٢٩- أخرج المحافظ ابن السَّمان في الموافقة عن قيس بن حازم ، قال :

التقى أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب فتبسم أبو بكر في وجه علي ، فقال له : مالك تبسمت ؟ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا يجوز أحدُ الصراط إلا من كتب له عليُّ الجواز » .

وذكر في الرياض النضرة^(٢) ؛ والصواعق ؛ وإسعاف الراغبين .

وأخرج القاضي عياض في الشفاء^(٣) عن النبي ﷺ أنه قال :

« معرفة آل محمد براءة من النار ، وحبُّ آل محمد جوازٌ على الصراط ، والولاية لآل محمد أمانٌ من العذاب » .

١- المناقب : ٢٠٣ [ص ٢٩٣ ، ح ٢٨٠] ؛ فرائد السمطين [١ / ١٠٦ ، ح ٧٥] ؛ كنز العمال ٦ : ٤٠٢ [١٣ / ١٥٢ ، ح ٣٦٤٧٦] .

٢- الرياض النضرة ٢ : ١٧٧ و ٢٤٤ [٣ / ١٢٢ و ٢٠٣] ؛ الصواعق المحرقة : ٧٥ [ص ١٢٦] ؛ إسعاف الراغبين : ١٦١ .

٣- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى [٢ / ١٠٥] .

ويوجد في الصواعق؛ والإتحاف؛ ورشفة الصادي^(١).

٣٠- قال ﷺ في حديث الطير المشويّ، الصحيح المرويّ في الصحاح والمسانيد:

«اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي»؛ فأتاه عليّ^(٢).

٣١- قال النبي ﷺ: «عليّ خير أمّي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حليماً»^(٣)؟

وقال ﷺ: «عليّ خير من أتركه بعدي»^(٤)؟

وقال ﷺ: «خير رجالكم عليّ بن أبي طالب، وخير نسائك فاطمة بنت

محمد»^(٥)؟

وقال ﷺ: «عليّ خير البشر فمن أبي فقد كفر»^(٦)؟

وقال ﷺ: «من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر»^(٧)؟

٣٢- قال ﷺ في حديث الراية المتفق عليه: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه الله

ورسوله، ويحبّ الله ورسوله»؟

وقال رسول الله ﷺ بعد ما فرّا: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله،

ويحبّ الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرّار».

وفي لفظ: «كرّار غير فرّار». وفي لفظ: «والذي كرّم وجه محمد لأعطينّها رجلاً لا يفرّ».

١- الصواعق المحرقة: ١٣٩ [ص ٢٣٢]؛ الإتحاف: ١٥، رشفة الصادي: ٤٥٩.

٢- [راجع سنن الترمذي ٥ / ٣٠٠، ح ٣٨٠٧؛ مجمع الزوائد ٩ / ١٢٦، كنز العمال ١٣ / ١٦٦، ح ٣٦٥٠٧].

٣- الطبري، الخطيب، الدولابي [الذريعة الطاهرة / ٩٣، رقم ٨٣]؛ كما في كنز العمال ٦: ١٥٣ و ٣٩٢ و ٣٩٨.

[١١ / ٦٠٥، ح ٣٢٩٢٦؛ ١٣ / ١١٤، ح ٣٦٣٧٠؛ ص ١٣٥، ح ٣٦٤٢٣].

٤- مواقف الإيجي ٣: ٢٧٦ [ص ٤٠٩]؛ مجمع الزوائد ٩: ١١٣.

٥- تاريخ بغداد للخطيب ٤: ٣٩٢ [رقم ٢٢٨٠].

٦- تاريخ الخطيب عن جابر [٧ / ٤٢١، رقم ٣٩٨٤]؛ كنوز الحقائق هامش الجامع الصغير ٢: ١٦، كنز العمال ٦: ١٥٩.

[١١ / ٦٢٥، ح ٣٣٠٤٥].

٧- تاريخ الخطيب البغدادي ٣: ١٩٢ [رقم ١٢٣٤]؛ كنز العمال ٦: ١٥٩ [١١ / ٦٢٥، ح ٣٣٠٤٦].

وفي لفظ: «لأدفعنَّ إلى رجل لن يرجع حتَّى يفتح الله له». وفي لفظ: «لا يولِّي الدبر»^(١).

٣٣ - قال ﷺ: «إنَّ الله اختار من أهل الأرض رجلين: أحدهما أبوك والآخر زوجك»^(٢). ذكره الحاكم في المستدرك^(٣) وصحَّحه.

٣٤ - قال رسول الله ﷺ: «عليٌّ مع الحقِّ، والحقُّ معه يدور حيث دار، ولن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض».

أخرجه جمعٌ من الحفاظ والأعلام؛ منهم:

الخطيب في التاريخ؛ والحافظ ابن مردويه في المناقب؛ والسمعاني في فضائل الصحابة؛ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة؛ والزنجشيري في ربيع الأبرار^(٤).

٣٥ - حديث الأئمة: أخرج أئمة الحنابلة أحمد عن عبد الرزاق بإسناده المذكور بلفظ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنَّته، وإلى محمد في تمامه وكمالهِ، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل». فتناول الناس فإذا هم بعليٍّ بن أبي طالب كأنَّما ينقلع من صَبَب، وينحطُّ من جبل.

وأخرج الحافظ أحمد بن محمد العاصمي في كتابه «زين الفتى في شرح سورة هل أتى» بإسناده من طريق الحافظ عبيد الله بن موسى العبسي عن أبي الحمراء قال: قال

١ - صحيح البخاري ٦: ١٩١ [١٣٥٧/٣] ح ٣٤٩٨ و ٣٤٩٩؛ صحيح مسلم ٢: ٣٢٤ [٨٧/٤] ح ١٢٢، كتاب الجهاد والسير؛ طبقات ابن سعد: ٦١٨ و ٦٣٠ رقم التسلسل طبع مصر [١١٠/٢ - ١١١]؛ مسند أحمد ١: ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٥٣ و ٣٥٨ [٣٠٢/١] ح ١٦١١ و ٣٩١/٣ ح ١٠٧٣٨ و ٤٥٥/٦ ح ٢٢٣١٤ و ٤٩٢، ح ٢٢٥٢٢؛ خصائص النسائي: ٤ - ٨ [ص ٤٢، ح ١٧]؛ سيرة ابن هشام ٣: ٢٨٦ [٣٤٩/٣]؛ مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩ [١١٧/٣] ح ٤٥٧٥. ٢ - المواقف للإيجي: ٨ [ص ٤١٠].

٣ - المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٩ [١٤٠/٣] ح ٤٦٤٥.

٤ - تاريخ بغداد ١٤: ٣٢، الإمامة والسياسة ١: ٦٨ [٧٣/١]؛ ربيع الأبرار [٨٢٨/١].

رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في بطشه، فليُنظر إلى عليّ بن أبي طالب». وبإسناد آخر من طريق المحافظ العبسي أيضاً، وزاد: «وإلى يحيى بن زكريّا في زهده».

٣٦- سمى رسول الله ﷺ عليّاً أمير المؤمنين بذي القرنين؛ فقال عليّ رؤوس الأَشهاد: «يا أيّها الناس أوصيكم بحبّ ذي قرنيها أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب؛ فإنّه لا يحبّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني»^(١).

وقال ﷺ لعليّ ﷺ: «إنّ لك في الجنّة بيتاً - ويروى: كنزاً - وأنت لذو قرنيها». وقال شراح الحديث: أي ذو طرفي الجنّة وملكها الأعظم تسلك ملك جميع الجنّة كما سلك ذو القرنين جميع الأرض. أو ذو قرني الأُمّة فأضمرت وإن لم يتقدّم ذكرها؛ كقوله تعالى: «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ»^(٢)؛ أراد الشمس ولا ذكر لها. قال أبو عبيد: وأنا أختار هذا التفسير الأخير على الأوّل.

قالوا: ويروى عن عليّ ﷺ؛ وذلك أنّه ذكر ذا القرنين فقال: «دعا قومه إلى عبادة الله تعالى فضربوه على قرنيه ضربتين وفيكم مثله». فترى أنّه أراد نفسه، يعني: أدعو إلى الحقّ حتّى يُضرب رأسي ضربتين يكون فيهما قتلي. أو ذو جبليها الحسن والحسين - سبطي الرسول - رضي الله عنهما؛ روي ذلك عن ثعلب.

أو ذو شجنتين في قرني رأسه إحداها من عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق، والثانية

١- الرياض النضرة ٢: ٢١٤ [١٦٦/٣]؛ تذكرة السبط: ١٧ [ص ٢٨]؛ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٥١ [٩/١٧٢].

٢- سورة ص: ٢٢.

خطبة ١٥٤].

من ابن ملجم لعنه الله . قال أبو عبيد : وهذا أصح ما قيل ^(١) .

٢٧ - حديث تكنية رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ﷺ بأبي تراب . هذا التكني إنما كامن في غزوة العشيرة الواقعة في جمادى الأولى أو الثانية أو فيها من السنة الثانية الهجرية ، حين وجد رسول الله ﷺ علياً أمير المؤمنين وعمّاراً نائمين في دقعاء ^(٢) من التراب فأيقظهما وحرّك علياً ؛ فقال : «قم يا أبا تراب ! ألا أخبرك بأشقى الناس ؟ رجلين : أحيمر ^(٣) ثمود عاقر الناقة ، والذي يضربك على هذه - يعني قرنه - فيخضب هذه منها - يعني لحيته - » .

وهذا الحديث صحيح السند ممّا استدرك به الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وصحّحه الهيثمي .

أخرجه ^(٤) إمام الحنابلة في مسنده ؛ والحاكم في المستدرک ؛ والطبري في تاريخه ؛ وابن هشام في السيرة النبوية ؛ وابن كثير في تاريخه و....

٢٨ - حديث البراءة : من مناقب مولانا أمير المؤمنين ﷺ حديث البراءة وتبليغها ؛ وذلك أنّ رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى مكة بآيات من صدر سورة البراءة ليقراها على أهلها ، فجاء جبرئيل من عند الله العزيز فقال : «لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك» ؛ فبعث رسول الله ﷺ علياً على ناقته العضباء أو الجدعاء أثره فقال : «أدرّكه

١ - نوادر الأصول للحكيم الترمذي : ٣٠٧ [١٨٧/٢ ، الأصل ٢٤١] ؛ مستدرک الحاكم ٣ : ١٢٣ [١٣٣/٢ ، ح ٤٦٢٣] ؛ الرياض النضرة ٢ : ٢١٠ [١٦١/٣] ؛ النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٧٨ [٥١/٤] ؛ لسان العرب ١٧ : ٢١٠ [١٣٦/١١] ؛ كنز العمال ١ : ٢٥٤ [٢/٤٥٦ - ٤٥٧ ، ح ٤٤٩١ - ٤٤٩٣] .

٢ - «الدقعاء» : التراب اللين .

٣ - «أحيمر» : لقب قدار بن سالف عاقر ناقته صالح ؛ الرياض النضرة [٩٥/٣] .

٤ - مسند أحمد ٤ : ٢٦٣ و ٢٦٤ [٣٢٦/٥ ، ح ١٧٨٥٧ ، ص ٣٢٧ ، ح ١٧٨٦٢] ؛ المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٤٠

[٣/١٥١ ، ح ٤٦٧٩] ؛ تاريخ الأمم والملوك ٢ : ٢٦١ [٢/٤٠٨ ، حوادث سنة ٢ هـ] ؛ السيرة النبوية ٢ : ٢٣٦

[٢/٢٤٩] ؛ البداية والنهاية ٣ : ٢٤٧ [٣/٣٠٣ ، حوادث سنة ٢ هـ] .

فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه واذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم؛ فلحقه علي ﷺ في العرج أو في ذي الحليفة أو في ضجنان أو المحفة وأخذ الكتاب منه، وحجَّ وبلغ وأذن. هذه الآثار أخرجها كثير من أئمة الحديث وحفاظه بعدة طرق صحيحة يتأتى التواتر بأقل منها عند جمع من القوم.

ذكر شيخنا العلامة ﷺ في الغدير^(١) (٧٣) ممن أخرجها؛ وإليك أئمة منهم:

- ١- الحافظ أبو محمد عبدالله الدارمي، صاحب السنن، المتوفى (٢٥٥)
 - ٢- الحافظ أبو عبدالله بن ماجة القزويني، صاحب السنن، المتوفى (٢٧٣)
 - ٣- الحافظ أبو عيسى الترمذي، صاحب الصحيح، المتوفى (٢٧٩)
 - ٤- الحافظ أبو عبدالرحمن أحمد النسائي، صاحب السنن، المتوفى (٣٠٣)
 - ٥- الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى (٣١٠)
 - ٦- الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، صاحب السنن المتوفى (٤٥٨)
 - ٧- الحافظ أبو القاسم جارا الله الزمخشري الشافعي، المتوفى (٥٣٨)
 - ٨- أبو عبدالله يحيى القرطبي، صاحب التفسير الكبير، المتوفى (٥٦٧)
 - ٩- عز الدين بن أبي الحديد المعتزلي، المتوفى (٦٥٥)
 - ١٠- الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي، المتوفى (٩١١)
- تنتهي أسانيد هؤلاء الأعلام في مأثرة أذان البراءة وتبليغها إلى جمع من الصحابة الأولين.

ذكر شيخنا العلامة ﷺ في الغدير^(٢) (١٣) من الصحابة؛ منهم:

- ١- علي أمير المؤمنين، من طريق زيد بن شيع، قال ﷺ: «لما نزلت عشر آيات من براءة علي النبي ﷺ دعا أبا بكر ﷺ ليقراها على أهل مكة، ثم دعاني فقال لي: أدرك

أبا بكر فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم؛ فلحقته بالمحفة فأخذت الكتاب منه. ورجع أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك». أخرجه ^(١) عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، والحافظ أبو الشيخ، وابن مردويه. وحكاه عنهم السيوطي في الدر المنثور، وكنز العمال، والشوكاني في تفسيره. ويوجد في تفسير المنار و....

٢- أبو بكر بن أبي قحافة: قال: إن النبي ﷺ بعثه براءة إلى أهل مكة: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله، فسار ثلاثاً. ثم قال لعلي: «الحق، فرد عليّ أبا بكر وبلغها أنت». قال: ففعل فلما قدم على النبيّ أبو بكر بكى، فقال: يا رسول الله! حدث في شيء؟ قال: «ما حدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني».

أخرجه ^(٢) أحمد في مسنده، وابن كثير في تاريخه.

٣- ابن عباس.

أخرجه ^(٣) الترمذي في جامعه، والبيهقي في سننه و....

٤- جابر بن عبد الله الأنصاري.

أخرجه ^(٤) الدارمي في سننه، والنسائي في الخصائص و....

١- زوائد المسند: ٣٥٣، ح ١٤٦؛ الدر المنثور ٢: ٢٠٩ [١٢٢/٤]؛ كنز العمال ١: ٢٤٧ [٤٢٢/٢]، ح ٤٤٠٠؛ فتح

الغدير ٢: ٣١٩ [٣٣٤/٢]؛ تفسير المنار ١٠: ١٥٧.

٢- مسند أحمد ١: ٣ [٧/١]، ح ٤؛ البداية والنهاية ٧: ٣٥٧ [٣٩٤/٧]، حوادث سنة ٤٠ هـ.

٣- سنن الترمذي ٢: ١٣٥ [٢٥٧/٥]، ح ٣٠٩١؛ السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢٢٤-٢٢٥.

٤- السنن الكبرى ٢: ٦٧ [١٢٩/٥]، ح ٨٤٦٣؛ خصائص أمير المؤمنين: ٢٠ [ص ٩٣، ح ٧٨].

المتخلص من سرد هذه الأحاديث هو تواتر معنوي أو إجمالي لوقوع أصل القصة من استرداد الآي من أبي بكر وتشريف أمير المؤمنين ﷺ بتبليغها ونزول الوحي المبين بآته لا يبلغ عنه ﷺ إلا هو أو رجل منه. وفي القصة إيعاز إلى أن من لا يستصلحه الوحي المبين لتبليغ عدّة آيات من الكتاب كيف يأتونه على التعليم بالدين كله، وتبليغ الأحكام والمصالح كلها؟!

٣٩- جاء من طريق أنس بن مالك عنه ﷺ قوله: «حقّ عليّ على هذه الأمة كحقّ الوالد على الولد»، ومن طريق عمّار وأبي أيوب الأنصاري قوله: «حقّ عليّ على كلّ مسلم حقّ الوالد على ولده»^(١).

٤٠- كعب بن عجرة عن أبيه قال النبي ﷺ: «لا تسبّوا عليّاً فإنه ممسوس في ذات الله». [أي يمسه الأذى والشدة في رضا الله تعالى وقربه. أو هو لشدة حبه لله وأتباعه لرضاه كأنه ممسوس أي مجنون. ويحتمل أن يكون المراد بالممسوس المخلوط والممزوج مجازاً؛ أي خالط حبه تعالى لحمه ودمه^(٢). ورجل ممسوس أي مجنون؛ كما أن المجنون لا يبالي ما يقال فيه وهو ﷺ لا يبالي ما يقال فيه في ذات الله تعالى^(٣). ونُقل: «عليّ ممسوس بذات الله»، وأيضاً: «عليّ ممسوس من ذات الله»^(٤).

٤١- أخرج الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه^(٥) عن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ حافِظي عليّ بن أبي طالب ليفخران عليّ سائر الحفظة لكينونتهما مع عليّ بن أبي طالب؛ وذلك أنّهما لم يصعدا إلى الله تعالى بعمل يسخطه».

١- الرياض النضرة ٢: ١٧٢ [١١٧/٣] نقلاً عن الحاكمي؛ كنوز الدقائق: ٦٤ [١١٩/١] نقلاً عن الديلمي [الفردوس

بمأثور الخطاب ٢/ ١٣٢، ح ٢٦٧٤]؛ مناقب الخوارزمي: ٢٢٤ و ٢٥٤ [٣٠٩-٣١٠، ح ٣٠٦، ص ٣٢٠ و ٣٢٧]؛

فرائد السمطين لشيخ الإسلام الحنوي [٢٩٦/١-٢٩٧، ح ٢٣٤ و ٢٣٥]؛ نزهة المجالس ٢: ٢١٢.

٢- [أنظر الإمام العليّ لأحمد الرحمانيّ الحمديّ/ ١٣١].

٣- [أنظر بحار الأنوار ٣٩/ ٣١٣].

٤- [حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ٦٨/ ١، رقم ٤].

٥- تاريخ البغدادي ١٤: ٤٩.

قال العبدى الكوفى:

٤٢ - حديث الحافظ المتقن الكبير الثقة يزيد بن هارون، عن حميد الطويل الثقة،

عن أنس بن مالك، قال:

قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أُسْرِيَّ بي إلى السماء، فإذا أنا بمَلَكٍ جالسٍ على منبرٍ من نورٍ والملائكة تُحْدِقُ به. فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟ قال: أدنُ منه وسلِّم عليه. فدنوتُ منه وسلِّمتُ عليه، فإذا أنا بأخي وابن عمِّي عليٍّ بن أبي طالب.

فقلتُ: يا جبرئيل سبقني عليٌّ إلى السماء الرابعة؟ فقال لي: يا محمَّد لا، ولكنَّ الملائكة شَكَّتْ حُبَّها لعلِّي، فخلق الله تعالى هذا الملك من نورٍ على صورة عليٍّ، فالملائكة تزوره في كلِّ ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرَّة، يسبِّحون الله ويقدِّسونه ويهدون ثوابه لمُحِبِّ عليٍّ».

أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية^(١) وقال:

هذا حديثٌ حسنٌ عالٍ لم نكتبه إلا من هذا الوجه.

٤٣ - رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قال لعلِّي: «يا أبا الحسن كلِّم الشمس فإنَّها

تكلِّمك». قال عليٌّ عليه السلام: «السلام عليك أيُّها العبد المطيع لله ورسوله».

فقالت الشمس: وعليك السلام يا أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ

المجَّلين، يا عليُّ أنت وشيعتك في الجنة، يا عليُّ أوَّل من تنشقُّ عنه الأرض محمَّد ثمَّ

أنت، وأوَّل من يُحيا محمَّد ثمَّ أنت، وأوَّل من يُكسى محمَّد ثمَّ أنت.

فسجد عليٌّ عليه السلام لله تعالى وعيناه تذرَّفان بالدموع، فانكبَّ عليه النبيُّ فقال: «يا

أخي وحبیبي إرفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات».

أخرجه شيخ الإسلام الحمَّوئي في فرائد السمطين^(٢)؛ والخوارزمي في المناقب^(٣)؛

٢ - فرائد السمطين [١/ ١٨٥، ح ١٤٧].

١ - كفاية الطالب: ٥١ [١٣٢، باب ٢٦].

٣ - المناقب: ٦٨ [١١٣، ح ١٢٣].

والقندوزي في الينايع^(١).

٤٤ - عن أنس بن مالك مرفوعاً: «إن الجنة تشتاقي إلى أربعة: علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والمقداد». وفي لفظ الترمذي والحاكم وابن عساكر: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان».

وفي لفظ لابن عساكر: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: إلى علي وعمار وبلال»^(٢).

٤٥ - حديث المنزلة: فقد نطق به رسول الله ﷺ في موارد عديدة؛ منها غزاة تبوك^(٣). وقد حضرها وجوه الصحابة وأعيانهم، وكلهم علموا بهاتيك الفضيلة الراقية؛ فالاعتذار عن معاوية بأنه لم يحضرها لإشراكه يومئذٍ مدفوع بما قلناه في واقعة خيبر. ومن جملة موارد يوم غدير خم الذي حضره معاوية وسمعه هو ومئة ألف أو يزيدون، لكنه لم يعه بدليل أنه ما آمن به، فحارب علياً ﷺ بعده، وعاداه، وأمر بلعنه محادة منه لله ولرسوله. وعقيرة رسول الله المرفوعة بقوله ﷺ في علي: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» بعدُ ترن في أذن الدنيا. ومن موارد: يوم المؤاخاة كما أخرجه أحمد^(٤) بإسناده عن محدوج بن زيد الباهلي؛ قال: «أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فبكى علي ﷺ فقال رسول الله: ما يبكيك. فقال: لم تواخ بيني وبين أحد. فقال: إنما ادّخرتك لنفسك ثم قال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى»^(٥).

١ - ينايع المودة: ١٤٠ [١/١٤٠، باب ٤٩].

٢ - المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٧ [٣/١٤٨، ح ٤٦٦٦]؛ سنن الترمذي [٥/٦٢٦، ح ٢٧٩٧]، تاريخ مدينة

دمشق ٣: ٣٠٦، ٦: ١٩٨ و ١٩٩ [١٠/٤٥١، رقم ١٩٧٤ و ٢١/٤١١ - ٤١١، رقم ٢٥٩٩].

٤ - مناقب علي [ص ١٩٧، ح ٢٥٧].

٣ - [أظفر تلخيص الغدير/ ٢٩٤ - ٢٩٨].

٥ - [راجع تلخيص الغدير/ ٢٦١ - ٢٦٥].

ومنها: يوم كان رسول الله ﷺ في دار أم سلمة، إذ أقبل عليّ ﷺ يريد الدخول على النبي ﷺ، فقال: يا أم سلمة هل تعرفين هذا؟! قالت: نعم. فقال: «هذا عليّ سيط لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وحديث المنزلة قد جاء من طريق معاوية، رواه في حياة عليّ ﷺ فيما أخرجه أحمد في مناقبه من طريق أبي حازم، كما في الرياض النضرة^(١).

٤٦- أخوته ﷺ لعليّ ﷺ.

قال ابن حزم:

قال رسول الله ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي؛ وهذا الذي لا يصحُّ غيره. وأما أخوة عليّ فلا تصحُّ إلا مع سهل بن حنيف^(٢).

الجواب: أنا لا أروم الكلام حول حديث رآه صحيحاً، ولا أناقش في صدوره، ولا أزيقه بما زيف عمر بن الخطاب حديث الكتف والدواة؛ إذ هذا لدة ذاك صدرا في مرض وفاته ﷺ كما في الصحيحين^(٣).

ولا أقول بما قال ابن أبي الحديد في شرحه^(٤) من: أنه موضوع وضعته البكرية في مقابلة حديث الإخاء.

وأنا لا أبسط القول في مفاده بما يستفاد من كلام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث^(٥) من: أن الأخوة هناك منزلة بالأخوة الإسلامية العامة الثابتة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٦) نظير ما ورد عنه ﷺ من قوله لعمر: يا أخي^(٧)، ولزيد: أنت

١- الرياض النضرة ٢: ١٩٥ [١٤٢/٣]. ٢- الفصل [١٤٧/٤].

٣- صحيح البخاري [١٦١٢/٤، ح ٤١٦٨ و ٤١٦٩]، صحيح مسلم [٤٥٥/٣، ح ٢٢، كتاب الوصية].

٤- شرح نهج البلاغة ٣: ١٧ [٤٩/١١، خطبة ٢٠٣].

٥- تأويل مختلف الحديث: ٥١ [ص ٦٣]. ٦- الحجرات: ١٠.

٧- الرياض النضرة ٢: ٦ [٢٧٢/٢].

أخونا^(١)، ولأسامة: يا أخي^(٢).

وإنما يفسر تلك الأخوة لفظ البخاري^(٣)، ومسلم^(٤) والترمذي^(٥): «لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته».

كما أن الخلّة المنتفية فيه هي الخلّة بالمعنى الخاص، لا الخلّة العامة الثابتة بقوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٦).

فلم تكن هي تلك الأخوة بالمعنى الخاص التي تمت يومي المُواخاة^(٧) بوحي من الله العزيز، وكانت على أساس المشاكلة والمماثلة بين كل اثنين في الدرجات النفسية؛ كما اعترف به غير واحد من الأعلام. ووقعت المُواخاة فيهما بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين أبي بن كعب وابن مسعود، وبين معاذ وثوبان، وبين أبي طلحة وبلال، وبين عمار وحذيفة، وبين أبي الدرداء وسلمان، وبين سعد بن أبي وقاص وصهيب، وبين أبي ذرّ والمقداد بن عمرو، وبين أبي أيوب الأنصاري وعبدالله بن سلام، وبين أسامة وهند - حجام النبي - وبين معاوية والحباب المجاشعي، وبين فاطمة بنت النبي وأم سلمة، وبين عائشة وامرأة أبي أيوب^(٨).

وأخر ﷺ علياً لنفسه قائلاً له: «والذي بعثني بالحق، ما أخرجتُك إلا لنفسي، أنت

١- خصائص النسائي: ١٩ [ص ٢٠٥، ح ١٩٤؛ وفي السنن الكبرى ١٦٩/٥، ح ٨٥٧٩].

٢- تاريخ ابن عساكر ٦: ٩ [٦٢٣/٦؛ وفي مختصر تاريخ دمشق ١٣٩/٩].

٣- صحيح البخاري [١٣٣٨/٣، ح ٣٤٥٧]. ٤- صحيح مسلم [٨/٥، ح ٣، كتاب فضائل الصحابة].

٥- سنن الترمذي [٥٦٩/٥، ح ٣٦٦١]. ٦- الزخرف: ٦٧.

٧- وقعت المُواخاة مرتين: إحداها قبل الهجرة، وأخرى بعدها بخمسة أشهر كما يأتي.

٨- سيرة ابن هشام [١٠٨/٢، ١٠٩]، تاريخ ابن عساكر ٦: ٩٠، ٢٠٠ [١٣٦/١٢]، وفي ترجمة الإمام علي بن

أبي طالب عليه السلام - الطبعة المحققة -: [رقم ١٤٦]، أسد الغابة ٢: ٢٢١ [٢٧٧/٢، رقم ١٨٢٢]، مطالب السؤول: ١٨٨.

إرشاد الساري للقسطلاني ٦: ٢٢٧ [٤٦٧/٨]، شرح المواهب ١: ٣٧٣.

أخي ووارثي، أنت أخي ورفيقي، أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(١).
بل أقول عجباً للصلافة التي تحذو الإنسان لأن يقول: لا يصحّ غير حديث حسبه
صحيحاً، ويجهل مفاده أو يعلم ويحبّ أن يغري الأمة بالجهل. ثمّ يعطف على حديث
اعترفت به الأمة جمعاء، وجاء مثبتاً في الصحاح والمسانيد ويراه باطلاً.

أهكذا حبّ الشيء يعمي ويصمّ؟! أهكذا خلق الإنسان ظلوماً جهولاً؟!
هذه الأخوة بالمعنى الخاصّ الثابتة لأمر المؤمنين ممّا يختصّ به ﷺ ولا يدّعيها بعده
إلاّ كذاب، على ما ورد في الصحيح كما يأتي. وكانت مطّردة بين الصحابة كلقب يعرف
به، تداولته الأندية، وحوته المحاورات، ووقع الحجاج به، وتضمّنه الشعر السائر، ولو
ذهبنا إلى جمع شوارد هذا الباب لجاء منه كتاب ضخّم، غير أنّنا نختار منها نبذاً:

١ - أخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فأخى بين أبي بكر وعمر، وفلان وفلان،
فجاءه عليّ عليه السلام فقال: «أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد». فقال رسول
الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». ينتهي سند هذا الحديث إلى:

أمير المؤمنين عليّ، عمر بن الخطّاب، أنس بن مالك، زيد بن أبي أوفى، عبدالله بن
أبي أوفى، ابن عبّاس، مخدوج بن زيد، جابر بن عبدالله، أبي ذرّ الغفاري، عامر بن
ربيعة، عبدالله بن عمر، أبي أمامة، زيد بن أرقم، سعيد بن المسيّب^(٢).

راجع^(٣): جامع الترمذي؛ مصابيح البغوي؛ مستدرک الحاكم؛ الاستيعاب؛ وعدّ

١ - مناقب عليّ لأحمد بن حنبل [ص ٩٤، ح ١٤١]؛ الرياض النضرة ٢: ٢٠٩ [١٦٠/٣]؛ تاريخ مدينة دمشق ٦:

٢٠١ [١٣٦/١٢]؛ لكن فيهم هكذا: «والذي بعثني بالحقّ ما أخرتك إلاّ لنفسي وأنت منّي بمنزلة هارون من
موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي».

٢ - هذا الحديث بوحدته متواتر على رأي ابن حزم في التواتر.

٣ - سنن الترمذي ٢: ٢١٣ [٥/٥٩٥، ح ٣٧٢٠]؛ مصابيح السنة ٢: ١٩٩ [١٧٣/٤، ح ٤٧٦٩]؛ المستدرک على

الصحيحين ٣: ١٤ [١٦/٣، ح ٤٢٨٩]؛ الاستيعاب ٢: ٤٦٠ [القسم الثالث/١٠٩٨، رقم ١٨٥٥]؛ تيسير

الوصول ٣: ٢٧١ [٣/٣١٥، ح ٢]؛ مشكاة المصابيح ٥: ٥٦٩ [٣/٣٥٦، ح ٦٠٩٣]؛ الرياض النضرة ٢: ١٦٧

[١١١/٢]؛ الصواعق المحرقة [ص ١٢٢]؛ تاريخ الخلفاء [ص ١٥٩].

حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة؛ تيسير الوصول؛ مشكاة المصابيح - هامش المرقاة -؛ الرياض النضرة؛ وقال^(١)؛

ومن أدل دليل على عظم منزلة علي من رسول الله ﷺ صنيعة في المؤاخاة؛ فإنه ﷺ جعل يضم الشكل إلى الشكل يؤلف بينهما، إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر، وأدّخر علياً لنفسه، وخصّه بذلك، فبالها مفخرة وفضيلة.

وقال الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في كتاب الإمام علي بن أبي طالب^(٢)؛

ولئن كان أبو بكر من نبي الله وزيره الصادق، فإنّ علياً كان منه الظلّ اللاصق، لم ينأ عنه ولم يبعد. آخى بين صحبه الخارجين من ديارهم معه وبين أصحاب البلدة الذين آووا؛ فتخيّر أن يكون علي أخاه في دين. لم يؤاخ أبا بكر، ولم يؤاخ عمر، ولم يؤاخ حمزة - أسده وأسد الله - ولكنه اصطفى لهذه الأخوة المعنوية بعد أخوة الدم فتاه الريب؛ فآثره على كلّ حبيب بعيد وقريب.

وقد أصفقت هذه المصادر كلّها أنّه ﷺ آخى بين أبي بكر وعمر، وليس فيها من

مزعمة ابن حزم عين ولا أثر.

٢ - جابر بن عبد الله وسعيد بن المسيّب، قالوا: إنّ رسول الله ﷺ آخى بين

أصحابه، فبقي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعلي، فأخى بين أبي بكر وعمر، وقال لعلي: «أنت أخي وأنا أخوك، فإن ناكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله، لا يدّعيها بعدك إلا كذاب».

مناقب أحمد؛ تاريخ ابن عساكر؛ كفاية الكنجي؛ تذكرة السبط وصحّحه، وردّ على

جدّه في تضعيفه سنده؛ المرقاة في شرح المشكاة^(٣).

٢ - الإمام علي بن أبي طالب: ٧٣.

١ - الرياض النضرة ٢: ٢١٢ [١٦٤/٣].

٣ - مناقب علي لأحمد بن حنبل [ص ٧٨، ح ١١٧]؛ تاريخ مدينة دمشق [١٣٦/١٢]؛ كفاية الطالب: ٨٢، ٨٣ [ص

١٩٤، باب ٤٧]؛ تذكرة الخواص: ١٤ [ص ٢٢]؛ المرقاة في شرح المشكاة ٥: ٥٦٩ [١٠/٤٦٥، ح ٦٠٩٣].

٣ - جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «مكتوب على باب الجنة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ أخو رسول الله، قبل أن تخلق السماوات والأرض بألفي عام».

مناقب أحمد؛ تاريخ الخطيب؛ الرياض النضرة؛ تذكرة السبط؛ مناقب الخوارزمي؛ كنز العمال عن ابن عساكر^(١).

٤ - قال رسول الله ﷺ في حديث: «اشتقَّ الله تعالى لنا من أسمائه أسماء: فالله عزَّ وجلَّ محمودٌ وأنا محمد، والله الأعلى وأخي عليّ».

أخرجه شيخ الإسلام الحموي في فرائده في الباب الثاني^(٢) من طريق أبي نعيم والنطنزي.

٥ - إنَّ عليّاً كَرَّمَ الله وجهه أتى به إلى أبي بكر وهو يقول: «أنا عبدالله وأخو رسول الله». فقيل له: بايع أبا بكر. فقال: «أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي»^(٣).

٤٧ - هو أحبُّ الرجال إلى رسول الله ﷺ

قال ﷺ لعائشة: «إنَّ عليّاً أحبُّ الرجال إليّ، وأكرمهم عليّ، فاعرفي له حقَّه وأكرمي مثواه»^{(٤)؟}

وقال ﷺ: «أحبُّ الناس إليّ من الرجال عليٌّ»^{(٥)؟}

١ - مناقب عليٍّ لأحمد بن حنبل [ص ١٨٢، ح ٢٥٤]؛ الرياض النضرة ٢: ١٦٨ [١١٢/٣]؛ تذكرة الخواص: ١٤ [ص ٢٢]؛ المناقب: ٨٧ [١٤٤، ح ١٦٨]؛ كنز العمال ٦: ٣٩٩ [١١/٦٢٤، ح ٤٣٠٤٤]؛ تاريخ مدينة دمشق [١٣٩/١٢].

٢ - فرائد السمطين [٤١/١، ح ٥].

٣ - الإمامة والسياسة: ١٢ و ١٣ [١٨/١].

٤ - أخرجه الحافظ الحندي كما في الرياض ٢: ١٦١ [١٠٤/٣]؛ وذخائر العقبى: ٦٢.

٥ - وفي لفظ: «أحبُّ أهلي»؛ من حديث أسامة.

قالت عائشة: والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من عليّ، ولا في الأرض امرأة كانت أحبّ إليه من امرأته^(١)؟

وقال بريدة وأبيّ: أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ من النساء فاطمة، ومن الرجال عليّ^(٢)؟

وقال حديث جُميع بن عمير: دخلتُ مع عمّتي علي عائشة، فسألتُ: أيّ الناس أحبّ إلى رسول الله؟ قالت: فاطمة. فقليل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوّماً قوّماً^(٣)؟

٤٨ - قال ﷺ: «عليٌّ منّي بمنزلة الرأس (رأسي) من بدني (أو جسدي)»^(٤)؟

وقال ﷺ: «عليٌّ منّي بمنزلة من ربيّ»^(٥)؟

٤٩ - قال ﷺ لعليّ: «أنا منك وأنت منّي. أو: أنت منّي وأنا منك»^(٦)؟

وقال ﷺ: «عليٌّ منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»^(٧)؟ وقال ﷺ في حديث

البعث بسورة البراءة المجمع على صحّته: «لا يذهب بها إلّا رجل منّي وأنا منه»^(٨)؟

١ - مستدرک الحاكم ٣: ١٥٤ [١٦٧/٣، ح ٤٧٣١] وصحّحه: العقد الفريد ٢: ٢٧٥ [١٢٣/٤].

٢ - خصائص النسائي: ٢٩ [خصائص أمير المؤمنين / ١٢٨، ح ١١٣؛ وفي السنن الكبرى ٥ / ١٤٠، ح ٨٤٩٨؛

مستدرک الحاكم ٣: ١٥٥ [١٦٨/٣، ح ٤٧٣٥، وكذا في تلخيصه] صحّحه هو والذهبي؛ جامع الترمذي ٢: ٢٢٧

[٦٥٥/٥، ح ٢٨٦٨].

٣ - جامع الترمذي ٢: ٢٢٧ [٦٥٨/٥، ح ٣٨٧٤] طبع الهند؛ مستدرک الحاكم ٣: ١٥٧ [١٦٧/٣، ح ٤٧٣١].

٤ - تاريخ الخطيب ٧: ١٢ [رقم ٣٤٧٥]؛ الرياض النضرة ٢: ١٦٢ [١٠٥/٣]؛ الصواعق: ٧٥ [ص ١٢٥].

٥ - الرياض النضرة ٢: ١٦٣ [١٠٦/٣]؛ السيرة الحلبية ٣: ٣٩١ [٣٦٢/٣].

٦ - مسند أحمد ٥: ٢٠٤ [٢٦٥/٦، ح ٢١٢٧٠]؛ خصائص النسائي ٣٦ و ٥١ [خصائص أمير المؤمنين: ٨٧، ح ١٧٠

ص ١٤٩، ح ١٣٨؛ وفي السنن الكبرى ٥/١٢٧، ح ٨٤٥٥].

٧ - مسند أحمد ٥: ٣٥٦ [٤٨٩/٦، ح ٢٢٥٠٣].

٨ - خصائص النسائي: ٨ [خصائص أمير المؤمنين / ٤٩، ح ٢٤؛ وفي السنن الكبرى ٥/١١٣، ح ٨٤٠٩].

- ٥٠- قال ﷺ: «لحمك لحمي، ودمك دمي، والحق معك»^(١)؟
- ٥١- قال ﷺ: «ما من نبيٍّ إلَّا وله نظير في أمته، وعليُّ نظيري»^(٢)؟
- ٥٢- صحَّح الحاكم وأخرجه الطبراني عن أمِّ سلمة، قالت: كان رسول الله إذا أغضب، لم يجترئ أحدٌ أن يكلمه غير عليٍّ^(٣)؟
- ٥٣- عن النبي ﷺ قال لعليٍّ عليه السلام: «أشبهت خلقي وخلُقي وأنت من شجرتي التي أنا منها»^(٤).
- ٥٤- قال ﷺ: «سيكون بعدي قوم يقاتلون عليًّا، على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلمه، ليس وراء ذلك شيء».

وصاياهم ﷺ في فاطمة عليها السلام

- ١- رضى فاطمة رضى رسول الله ﷺ وغضبها غضبه.
- قال ﷺ وهو آخذ بيدها: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعةٌ مني، هي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني»^(٥).
- وقال ﷺ: «فاطمة بضعةٌ مني، يربني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»^(٦).
- وقال ﷺ: «فاطمة بضعةٌ مني، فمن أغضبها فقد أغضبني»^(٧).

١- المحاسن والمساوي ١: ٣١ [ص ٤٤]؛ كفاية الطالب: ١٣٥ [ص ٢٦٥، باب ٦٢].

٢- الرياض النضرة ٢: ١٦٤ [١٠٨/٢].

٣- مستدرک الحاكم ٣: ١٣٠ [١٤١/٢، ح ٤٦٧٤]؛ الصواعق: ٧٣ [ص ١٢٣]؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١١٦ [ص ١٦١].

٤- تاريخ بغداد للخطيب ١١: ١٧١ [رقم ٥٨٧٠].

٥- الفصول المهمة: ١٥٠ [ص ١٤٤]؛ نزهة المجالس ٢: ٢٢٨؛ نور الأبصار: ٤٥ [ص ٩٦].

٦- صحاح البخاري [٢٠٠٤/٥، ح ٤٩٣٢]؛ ومسلم [٥٣/٥، ح ٩٣] كتاب فضائل الصحابة؛ والترمذي [٦٥٥/٥، ح ٢٨٦٧]؛ ومسنّد أحمد ٤: ٣٢٨ [٤٣٠/٥، ح ١٨٤٤٧].

٧- صحيح البخاري [١٣٦١/٣، ح ٣٥١٠]؛ خصائص النسائي: ٣٥ [خصائص أمير المؤمنين / ١٤٧، ح ١٣٥، وفي السنن الكبرى ٥/٩٧، ح ٨٣٧١، كتاب المناقب].

وقال ﷺ: «فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها»^(١).

وفي لفظة: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، ويغضبي ما أغضبها».

وفي لفظة: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها»؛ في تاج

العروس^(٢): «أي يتعني ما أتعبها».

وفي لفظة: «فاطمة بضعة مني يسعفني ما يسعفها»؛ في تاج العروس^(٣): «أي ينالني

ما ينالها، ويلمّ بي ما يلّمّ بها».

وفي لفظة: «فاطمة شجنة مني يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها».

وفي لفظة: «فاطمة مضغة مني فمن آذاها فقد آذاني».

وفي لفظة: «فاطمة مضغة مني يقبضني ما قبضها، ويبسطني ما بسطها».

وفي لفظة: «فاطمة مضغة مني يسرّني ما يسرّها».

أخرجها على اختلاف ألفاظها أئمة الصحاح الستة، وعدة أخرى من رجال

الحديث في السنن والمسانيد والمعاجم.

ذكر شيخنا العلامة ﷺ في الغدير^(٤) (٥٩) ممن رواها؛ وإليك جملة منهم:

١ - ابن أبي مليكة، المتوفى (١١٧)؛ كما في رواية البخاري ومسلم وابن ماجه

وأبي داود وأحمد والحاكم^(٥).

١ - مسند أحمد ٤: ٣٢٣ و ٣٢٢ [٤٢٣/٥، ح ١٨٤٢٨، ص ٤٣٥، ح ١٨٤٥١]؛ الصواعق: ١١٢ [ص ١٨٨].

٢ - تاج العروس [٤٨٥/١].

٣ - تاج العروس ٦: ١٣٩.

٤ - أنظر الغدير ٣١١/٧ - ٣١٨؛ وتلخيص الغدير ٧٠٤ - ٧٠٥.

٥ - صحيح البخاري [١٣٧٤/٣، ح ٣٥٥٦]؛ صحيح مسلم [٥٣/٥ - ٥٤، ح ٩٣ و ٩٤، كتاب فضائل الصحابة]؛

سنن ابن ماجه [٦٤٣/١ - ٦٤٤، ح ١٩٩٨]؛ سنن أبي داود [٢٢٦/٢، ح ٢٠٧١]؛ مسند أحمد [٤٣٠/٥، ح

١٨٤٤٧]؛ مستدرک الحاكم [١٧٣/٢، ح ٤٧٥١].

٢- عمرو بن دينار المكي، المتوفى (١٢٥، ١٢٦)؛ كما في صحيح البخاري ومسلم^(١).

٣- إمام الحنابلة أحمد المتوفى (٢٤١)، في مسنده^(٢).

٤- الحافظ البخاري أبو عبد الله، المتوفى (٢٥٦)، في صحيحه في المناقب^(٣).

٥- الحافظ أبو عبد الله ابن ماجه، المتوفى (٢٧٢)، في سننه^(٤).

٦- الحافظ أبو داود السجستاني، المتوفى (٢٧٥)، في سننه^(٥).

٧- الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي، المتوفى (٣٠٣)، في خصائصه^(٦).

٨- أبو القاسم السهيلي، المتوفى (٥٨١)، في الروض الأنف^(٧).

وقال:

إِنَّ أبا لبابة رفاعه بن عبد المنذر ربط نفسه في توبته ، وإنَّ فاطمة أرادت حله حين نزلت توبته فقال : قد أقسمتُ ألاَّ يحلني إلا رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ فاطمة مضغة مني» ؛ فصلى الله عليه وعلى فاطمة ؛ فهذا حديث يدل على أنَّ من سبها فقد كفر ، ومن صلى عليها فقد صلى على أبيها ﷺ .

٩- ابن أبي الحديد المعتزلي، المتوفى (٥٨٦)، في شرح النهج^(٨).

١٠- الحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى (٩١١)، في الجامع الصغير والكبير^(٩).

١- صحيح البخاري [١٣٧٤/٢، ح ٣٥٥٦]؛ صحيح مسلم [٥٤/٥، ح ٩٤، كتاب فضائل الصحابة].

٢- مسند أحمد ٤: ٣٢٣ و ٣٢٨ [٤٢٣/٥، ح ١٨٤٢٨؛ وص ٤٣٠، ح ١٨٤٤٧].

٣- صحيح البخاري [١٣٧٤/٢، ح ٣٥٥٦]. ٤- سنن ابن ماجه ١: ٢١٦ [٦٤٣/١، ح ١٩٩٨].

٥- سنن أبي داود ١: ٣٢٤ [٢٢٦/٢، ح ٢٠٧١].

٦- السنن الكبرى [١٤٧/٥، ح ٨٥١٨-٨٥٢٢]؛ كتاب الخصائص: ٣٥.

٧- الروض الأنف ٢: ١٩٦ [٤٣٠/٢]. ٨- شرح نهج البلاغة ٢: ٤٥٨ [١٩٣/٩، خطبة ١٥٦].

٩- جامع الأحاديث [٢٥٨/٥، ح ١٤٧٢٤ و ١٤٧٢٥].

١١- زين الدين المناوي، المتوفى (١٠٣١، ١٠٣٥)، في كنوز الدقائق^(١).

٢- حديث جُميع بن عمير، قال: دخلتُ مع عمّتي على عائشة، فسألتُ: أيّ الناس أحبّ إلى رسول الله؟ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوّماً قوّماً^(٢)؟

وكان لم يزل يقول: «فاطمة أحبّ الناس إليّ».

ويقول: «أحبّ الناس إليّ من النساء فاطمة».

ويقول: «أحبّ أهلي إليّ فاطمة».

وكان عمر يقول لفاطمة: والله ما رأيتُ أحداً أحبّ إلى رسول الله منك^(٣).

٣- قال ﷺ لفاطمة: «إنّ الله اطّلع على أهل الأرض فاختر منهم أباك فبعثه نبياً، ثمّ اطّلع الثانية فاختر بعلك، فأوحى إليّ، فأنكحته واتّخذته وصيّاً»^(٤).
وبقوله ﷺ: «إنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين: أحدهما أبوك والآخر زوجك»^(٥).

٤- كان ﷺ إذا أصبح أتى باب عليّ وفاطمة وهو يقول: «يرحمكم الله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»^(٦).

٥- سمّى النبي ﷺ بنتها فاطمة بالصديقة، فيما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة عن

١- كنوز الدقائق: ٩٦ [٢٤/٢].

٢- جامع الترمذي ٢: ٢٢٧ [٦٥٨/٥، ح ٣٨٧٤] طبع الهند، مستدرك الحاكم ٣: ١٥٧ [١٦٧/٣، ح ٤٧٣١].

٣- مستدرك الحاكم ٣: ١٥٠ [١٦٨/٣، ح ٤٧٣٦].

٤- أخرجه الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري [المعجم الكبير ٤/١٧١، ح ٤٠٤٦] كما في إكمال كنز العمال ٦: ١٥٣.

[١١/٦٠٤، ح ٣٢٩٢٣]؛ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٥ عن عليّ الهلالي.

٦- مرّ في ص ٧١٨ من كتابنا هذا.

٥- المواقف للإيجي: ٨ [ص ٤١٠].

رسول الله ﷺ أنه قال لعلي: «أوتيت ثلاثاً لم يؤتتهن أحدٌ ولا أنا: أوتيت صهرًا مثلي ولم أوت أنا [مثلك]»^(١). وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة. وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلها، ولكنكم مني وأنا منكم»^(٢).

٦- إنَّ الله تعالى هو زوج فاطمة علياً، وكان ولي أمرها، وخطب فيه الأمين جبرئيل عليه السلام؛ كما ورد عن جابر بن سمرّة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس! هذا عليُّ بن أبي طالب أنتم تزعمون أنني أنا زوجتُه ابنتي فاطمة، ولقد خطبها إليَّ أشرف قريش فلم أُجب؛ كلُّ ذلك أتوقع الخبر من السماء حتى جاءني جبرئيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فقال: يا محمد! العليُّ الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع الروحانيّين والكرّويّين في وادٍ يُقال له: الأفّيح تحت شجرة طُوبى، وزوج فاطمة علياً، وأمرني، فكنت المخاطب، والله تعالى الولي»^(٣).

٧- أخرج شيخ الإسلام الحمّوي في فرائد السمطين^(٤) في الباب الثامن عشر عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي: «يا عليُّ! إنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وإنَّه أوحى إليَّ أن أزوّجك فاطمة على خمس الأرض، فهي صداقها؛ فمن مشى على الأرض وهو لكم مُبغضٌ فالأرض حرامٌ عليه أن يمشي عليها».

٨- حديث النشار المروي عن بلال بن حمّامة قال: «طلع علينا رسول الله ﷺ ذات يوم متبسّماً ضاحكاً ووجهه مسرورٌ كدّارة القمر، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟

١- [في الأصل: «مثلي»، وصوّبناه من المصدر]. ٢- أنظر الرياض النضرة ٢: ٢٠٢ [١٥٢/٣].

٣- أنظر كفاية الطالب: ١٦٤ [ص ٣٠٠، باب ٧٩]. ٤- فرائد السمطين [١/٩٥، ح ٦٤].

قال: بِشَارَةٍ أَتَنِي مِنْ رَبِّي فِي أَخِي وَابْنِ عَمِّي بِأَنَّ اللَّهَ زَوْجٌ عَلِيًّا مِنْ فَاطِمَةَ، وَأَمْرٌ رِضْوَانٍ خَازِنِ الْجَنَانِ فَهَزَّ شَجَرَةً طَوْبَى فَحَمَلَتْ رِقَاعاً - يَعْنِي صِكَاكاً - بَعْدَ مَحَبِّي أَهْلَ الْبَيْتِ، وَأَنْشَأَ تَحْتَهَا مَلَائِكَةٌ مِنْ نُورٍ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ مَلِكٍ صِكَاكاً، فَإِذَا اسْتَوَتْ الْقِيَامَةُ بِأَهْلِهَا نَادَتْ الْمَلَائِكَةُ فِي الْخَلَائِقِ، فَلَا يَبْقَى مُحِبٌّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ إِلَّا دَفَعَتْ لَهُ صِكَاكاً فِيهِ فَكَأْكُهُ مِنَ النَّارِ، فَصَارَ أَخِي وَابْنُ عَمِّي وَابْنَتِي فُكَّاكٌ رِقَابِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ أُمَمِي مِنَ النَّارِ». أخرجُه ^(١) الخطيب في تاريخه، وابن الأثير في أسد الغابة، وابن حجر في الصواعق.

٩- عن النبي ﷺ: «فَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ كُلَّمَا اشْتَقَتْ إِلَى الْجَنَّةِ قَبَّلَتْهَا».

١٠- أخرج المحافظ الدمشقي بإسناده عن عليٍّ عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ لفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا فَاطِمَةُ تَدْرِينَ لِمَ سَمَّيْتَ فَاطِمَةَ؟ قال عليٌّ عليه السلام لَمْ سَمَّيْتُ؟ قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَطَمَهَا وَذَرَّيَّتَهَا عَنِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وقد رواه الإمام علي بن موسى الرضا في مسنده ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ فَطَمَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ وَوَلَدَهَا وَمَنْ أَحَبَّهُمْ مِنَ النَّارِ» ^(٢).

كلماته ﷺ في بني أمية

١- دخل زيد بن أرقم على معاوية، فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير، فلما رأى ذلك زيد، جاء حتى رمى بنفسه بينهما؛ فقال له عمرو بن العاص: أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا غُرُورَةَ وَأَنْتَ مَعَهُ فَرَأَوْكَمَا مَجْتَمِعَيْنِ، فَنَظَرَ إِلَيْكُمَا نَظْرًا

١- تاريخ الخطيب ٤: ٢١٠؛ أسد الغابة ١: ٢٠٦ [٢٤٢/١، رقم ٤٩٢]؛ الصواعق المحرقة: ١٠٣ [ص ١٧٣].

٢- مسند الإمام الرضا [١٤٣/١، ح ١٨٥]؛ عمدة التحقيق للعبيدي المالكي المطبوع في هامش روض الرياحين

لليافعي: ١٥ [ص ٢٦].

شديداً، ثم رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث، كل ذلك يديم النظر إليكما، فقال في اليوم الثالث: «إذا رأيتم معاوية وعمر بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما، فإنهما لن يجتمعا على خير».

كذا أخرجه ابن مزاحم في كتاب صفين^(١). وانظر العقد الفريد لابن عبد ربّه^(٢).
 ٢ - قال ﷺ: «إذا بلغت بنو أمية أربعين اتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً».

وصحّ عنه ﷺ قوله: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً».

وصحّ عنه ﷺ قوله: «إنّي أريت في منامي كأنّ بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة». قال: فما رؤي النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتّى توفي.

وصحّ عنه ﷺ قوله - لما استأذن الحكم بن أبي العاص عليه -: «عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلّا المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرّفون في الدنيا ويضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يُعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق».

وصحّ عنه ﷺ قوله لما أدخل عليه مروان بن الحكم: «هو الوزغ بن الوزغ، الملعون ابن الملعون».

وصحّ عن عائشة قوّلها: إنّ رسول الله ﷺ قال: لعن الله أبا مروان، ومروان في صلبه؛ فمروان فضض^(٣) من لعنة الله عزّ وجلّ.

٣ - أخرج الحاكم في المستدرك^(٤) من طريق عبد الرحمن بن عوف وصحّحه أنّه قال: كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلّا أتي به إلى النبي ﷺ [فدعا له] فأدخل عليه

١ - وقعة صفين: ١١٢ [ص ٢١٨].

٢ - العقد الفريد ٢: ٢٩٠ [٤/١٤٥].

٣ - «الفضض»: كلّ ما انقطع من شيء أو تفرّق. والمراد أنّه قطعة من لعنة الله وطائفة منها.

٤ - المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٧٩ [٤/٥٢٦] ح ٨٤٧٧ وما بين المعقوفين منه]. وذكره الدميري في حياة الحيوان

٢: ٣٩٩ [٢/٤٢٢]؛ وابن حجر في الصواعق: ١٠٨ [ص ١٨١]؛ والحلي في السيرة ١: ٣٣٧ [١/٣١٧].

مروان بن الحكم فقال: «هو الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون».

ولعل معاوية أشار إليه بقوله لمروان: «يا بن الوزغ لست هناك»^(١).

وأخرج ابن النجيب من طريق جبير بن مطعم قال: كنا مع رسول الله ﷺ فرَّ

الحكم بن أبي العاص فقال النبي ﷺ: «ويل لأمتي مما في صلب هذا»^(٢).

٤ - كنا نرتئي أن معاوية في غني عن إفاضة القول في مخاريقه؛ لما عرفته الأمة من

نفسيته الموبوءة، وأعماله الوبيلة، وجرائمه الموبقة الجمّة، ورذائله الكثيرة، ونسبه

الموصوم، وأصله اللئيم، ومحتده الدني. وأن من يضع فيه المدائح تتدى جبهته عن

سردها لمثله؛ غير أننا وجدنا الأمل قد أكدى، والظن قد أخفق، وأن القحّة والصلف

لم يدعا لأولئك الوضّاعين حدّاً يقفون عليه؛ فحاولنا أن نذكر يسيراً من معرّفاته

لإيقاف الباحث على حقيقة الحال فيما عزوه إليه من الشاء، غير مكترئين لهلجة ابن

كثير، والهتاف الذي سمعه بعض السلف على جبل بالشام - ولعلّ الهتاف هو الشيطان -:

«من أبغض معاوية سحبته الزبانية إلى جهنّم الحامية، يرمى به في الحامية الهاوية».

ولامعتين برأي سعيد بن المسيّب: «من مات محبّاً لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وشهد

للعشرة بالجنة، وترحم على معاوية، كان حقّاً على الله أن لا يناقشه الحساب»^(٣).

ولا بأضغاث أحلام جاءت عن عمر بن عبد العزيز، وفيها قول معاوية: «غفر لي

وربّ الكعبة».

ولا عابئين بقول أحمد: «ما لهم ولمعاوية؟! نسأل الله العافية».

فلا نقيم أيّ وزن لأمثال هذه السفاسف من آراء مجرّدة، أو ركون إلى خيال، أو

١ - فيما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٥٦: ٢ [١٥٥/٦]، خطبة ٧٢.

٢ - أسد الغابة ٢: ٣٤ [٣٧/٢]، رقم ١٢١٧؛ الإصابة ١: ٣٤٦ [رقم ١٧٨١]؛ السيرة الحلبية ١: ٢٣٧ [٣١٧/١].

كنز العمال ٦: ٤٠ [١٦٧/١١]، ح ٣١٠٦٦.

٣ - تاريخ ابن كثير ٨: ١٣٩ و ١٤٠ [١٤٨/٨]، حوادث سنة ٦٠ هـ.

احتجاج بهاتف مجهول، أو جنوح إلى طيف حالم تجاه ما يؤثر عن رسول الله ﷺ في الرجل، وما جاء فيه من الكلم القيمة للسلف الصالح الناظرين إلى أعماله من كذب، العارفين بعُجره وبُجره، الواقفين على إعلانه وإسراره، الناقدين لمخازيه، المتبصرين في أمره، الخبيرين بنواياه في جاهليته وإسلامه؛ وإليك نبذة منها:

١ - عن علي بن الأقر، عن عبدالله بن عمر، قال: خرج رسول الله من فجّ فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب، ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله قال: «اللهم العن القائد والسائق والراكب». قلنا: أنت سمعت رسول الله ﷺ قال: نعم، وإلا فصمتا أذناي كما عميتا عيناي^(١).

وفي تاريخ الطبري^(٢): قد رأى ﷺ أبا سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به، ويزيد ابنه يسوق به قال: «لعن الله القائد والراكب والسائق».

وإلى هذا الحديث أشار الإمام السبط فيما يخاطب به معاوية بقوله: «أنشدك الله يا معاوية! أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله ﷺ فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق؟»^(٣).

وإليه أشار محمد بن أبي بكر في كتاب كتبه إلى معاوية بقوله: «وأنت اللعين ابن اللعين»^(٤).

٢ - أخرج^(٥) أحمد في المسند، وأبو يعلى، ونصر بن مزاحم في كتاب صفين من

١ - كتاب صفين: ٢٤٧، طبعة مصر [ص ٢٢٠].

٢ - تاريخ الأمم والملوك: ١١: ٣٥٧ [٥٨/١٠]، حوادث سنة ٢٤٨ هـ.

٣ - أنظر تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ٢٠٠ و ٢٠١ [ص ١١٥]؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٠٢ [٢٨٨/٦]، خطبة ٨٣.

٤ - أنظر مروج الذهب ٢: ٥٩ [٢٠/٣]؛ وقعة صفين: ١٣٢ [ص ١١٨]؛ شرح نهج البلاغة ١: ٢٨٣ [١٨٨/٣]، كتاب ٤٦؛ جمهرة الرسائل ١: ٥٤٢.

٥ - مسند أحمد ٤: ٤٢١ [٥٨٠ / ٥]، ح ١٩٢٨١؛ مسند أبي يعلى [١٣ / ٤٢٩]، ح ٧٤٣٦؛ وقعة صفين: ٢٤٦، طبعة مصر [ص ٢١٩]؛ المعجم الكبير [٣٢/١١]، ح ١٠٩٧٠.

طريق أبي برزة الأسلمي، والطبراني في الكبير من طريق ابن عباس: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يحيب الآخر، وهو يقول:

يزال^(١) حوارِيّ تلوحُ عظامه زوى الحرب عنه أن يحنّ فيقبرا
وفي لفظ ابن عباس:

ولا يزال جوادي تلوح عظامه

فقال النبي ﷺ «انظروا من هما؟». قال: فقالوا: معاوية وعمر بن العاصي؛ فرفع رسول الله يديه فقال: «اللهم اركسهما ركساً، ودعّهما إلى النار دعاً». وفي لفظ ابن عباس: «اللهم اركسهما في الفتنة ركساً».

قال الأميني: لما لم يجد القوم غمراً في إسناد هذا الحديث، وكان ذلك عزيزاً على من يتولّى معاوية، فحذف أحمد الإسمين وجعل مكانها فلاناً وفلاناً.

٣ - إن رسول الله ﷺ قال: «يطلع من هذا الفجّ رجلٌ من أمتي يحشر على غير ملّتي»؛ فطلع معاوية^(٢).

٤ - عن أبي ذر الغفاري قال لمعاوية: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول وقد مررتُ به: «اللهم عنه ولا تشبعه إلا بالتراب»^(٣).

٥ - عن أبي ذر الغفاري قال لمعاوية: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إست معاوية في النار»؛ فضحك معاوية وأمر بحبسه^(٤).

٦ - أخرج نصر بن مزاحم في كتاب صفّين، وابن عدي^(٥)، والعقيلي، والخطيب، والمناوي من طريق أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود مرفوعاً: «إذا رأيت معاوية

١ - [أي ما يزال؛ قال في اللسان: «زلت أفعل، أي ما زلت»].

٢ - تاريخ الطبري ١١: ٣٥٧ [٥٨/١]، حوادث سنة ٢٨٤ هـ.

٣ - أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [٢٥٥/٨، خطبة ١٣٠].

٤ - الكامل في ضعفاء الرجال [١٤٦/٢، رقم ٣٤٣].

٥ - المصدر السابق.

على منبري فاقتلوه». وفي لفظٍ: «يخطب على منبري فاضربوا عنقه». وللقوم تجاه حديث: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه» تصويب وتصعيد و جلبة ولغظ. رواه أناس بالموحدة مع زيادة؛ أخرجه الخطيب بإسناده عن جابر مرفوعاً: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه؛ فإنه أمين مأمون». قال الخطيب: لم أكتب هذا الحديث إلا من هذا الوجه، ورجال إسناده ما بين محمد ابن إسحاق وأبي الزبير كلهم مجهولون^(١).

وزيادة (فإنه أمين مأمون) أقوى شاهد على بطلان الرواية واختلاقها، وقد فصلنا القول في أمانة الرجل^(٢).

وجاء آخر وهو جاهلٌ بتحريف من روى: «فاقتلوه» بالموحدة، أو أنه لم يرقه ذلك التحريف، فوضع روايةً في أن معاوية غير معاوية بن أبي سفيان؛ أخرج الحافظ ابن عساكر^(٣) بإسناده، عن أبي بكر بن أبي داود لما روى حديث «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»: هذا معاوية بن تابوت رأس المنافقين، وكان حلف أن يبول ويتغوط على منبره، وليس هو معاوية بن أبي سفيان.

قال السيوطي في اللآلي^(٤) بعد ذكر الرواية:

قال المؤلف: وهذا يحتاج إلى نقل، ومن نقل هذا؟ قلت: قال ابن عساكر: هذا تأويل بعيد والله أعلم.

قال الأميني: هل عندك خبر بتاريخ معاوية بن تابوت؟ وأنه أي ابن بي هو؟ ومتى ولدته أم الدنيا؟ وأنى ولد؟ وأين ولد؟ ومن رآه؟ ومن سمع منه؟ ومن الذي أوحى خبره إلى أبي بكر بن أبي داود؟ وهل هو برّ يمينه أو حنثها؟ وهل رآه أصحاب

١ - كذا نجده في المطبوع من تاريخ بغداد [٢٥٩/١، رقم ٨٨].

٢ - أنظر ما أسلفناه في ص ٦٢ - ٦٥، وص ٩٢. ٣ - مختصر تاريخ دمشق [٤٦/٢٥].

٤ - اللآلي ١: ٤٢٥.

النبي ﷺ على منبره وقتلوه؟! أو لم يُرَ حتى اليوم، ولن يُرى قط إلى آخر الأبد؟! ونظير هذا التأويل قد جاء في حديث فاطمة بنت قيس: قالت لرسول الله ﷺ: إن معاوية وأبا جهم خطباني؛ فقال النبي ﷺ: «معاوية صعلوك لا مال له». حكى الرافعي أنه ليس هو معاوية بن أبي سفيان الذي ولي الخلافة، بل هو آخر^(١). نعم، هكذا أوله الرافعي حباً لابن هند؛ غير أن النووي قال:

وهذا غلط صريح؛ فقد وقع في صحيح مسلم في هذا الحديث: معاوية بن أبي سفيان.

قال الأميني: عرّفه^(٢) مسلم بابن أبي سفيان في صحيحه، وأبو داود في السنن، والنسائي في سننه، والطيالسي في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرى. فالتأويل بغير معاوية بن أبي سفيان غلط صريح؛ كما قاله النووي^(٣). ولابني كثير وحجر في تزيف حديث «فاقتلوه» خطّة أخرى؛ قال ابن كثير في تاريخه^(٤):

هذا الحديث كذب بلا شك، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك؛ لأنهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم. وقال ابن حجر في تطهير الجنان^(٥):

يلزم على فرض صحته نقيصة سائر الصحابة إن بلغهم ذلك الحديث، أو نقيصة

١- الإصابة ٣: ٤٩٨.

٢- صحيح مسلم ٤: ١٩٥ [٣/٢٩١، ح ٣٦ كتاب الطلاق]، سنن أبي داود ١: ٣٥٩ [٢/٢٨٥، ح ٢٢٨٤]، السنن الكبرى ٦: ٢٠٨ [٣/٢٧٤، ح ٥٣٥٢]، مسند الطيالسي: ٢٢٨، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٤٧١.

٣- شرح صحيح مسلم [٩٨/١٠].

٤- البداية والنهاية ٨: ١٣٣ [٨/١٤١، حوادث سنة ٦٠ هـ].

٥- هامش الصواعق المحرقة: ٦٠ [ص ٢٩].

من بلغه منهم وكتمه ؛ لأنّ مثل هذا يجب تبليغه للأمة حتّى يعملوا به . على أنّه لو كتّمه لم يبلغ التابعين حتّى نفلوه لمن بعدهم ، وهكذا ؛ فلم يبق إلا القسم الأوّل وهو أن يبلغهم فلا يعملون به . وهو لا يتصوّر شرعاً ؛ إذ لو جاز عليهم ذلك جاز عليهم كتّم بعض القرآن أو رفض العمل به ، وكلّ ذلك محال شرعاً ، لا سيّما مع قوله ﷺ : « تركتكم على الواضحة البيضاء ... » .

ما أحسن ظنّ هؤلاء القوم بالصحابة ! وما أجمله لو كان يساعده المنطق ! لو لم يخالفه التاريخ الصحيح ، أو الثابت المسلّم من سيرة الصحابة ، أو ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله التي تلقّتها الأمة بالقبول ، ورواها أئمة الحديث في الصحاح والمسانيد^(١) . وهل عمِل الصحابة أو عيونهم بأمره ﷺ في قتل ذي النُدَيّة بعد ما عرفه إيّاهم بشخصه ، وأنبأهم بهواجسه المكفّرة ، واعترف الرجل بها ؟! أو خالفوه وضيّعوا أمره ونبدوه وراء ظهورهم وهو بين ظهرانيهم ؟! (٢)

وهل عملوا بما صحّ وثبت عندهم من قوله ﷺ : « إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منها » ؟! أو قوله : « من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان » ؟! أو قوله : « فإن جاء آخر ينازعه - الإمام - فاضربوا عنقه الآخر » ؟! إلى صحاح أخرى (٣) .

١ - [راجع تلخيص الغدير / ٣٣٠] .

٢ - راجع حلية الأولياء : ٣١٧ : ٣ : ٢٢٧ [رقم ٢٤٥] . ذو النُدَيّة رأس الفتنة يوم النهروان قتله الإمام علي عليه السلام يوم ذاك كما في صحيح مسلم [٤٤٣/٢] ، ح ١٥٦ ، كتاب الزكاة . قال الثعالبي في ثمار القلوب : ٢٣٢ [ص ٢٩٠ ، رقم ٤٣٧] : « ذو النُدَيّة شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علّمهم الضلال ، وكان النبي ﷺ أمر بقتله وهو في الصلاة ، فكعّ عنه أبو بكر وعمر ، فلما قصده علي لم يره . فقال له النبي ﷺ : « أما إنك لو قتلته مكان أوّل فتنة وآخرها » . ولما كان يوم نهروان وُجد بين القتلى ، فقال علي عليه السلام : ائتوني بيده المخدجة ، فأُتي بها فأمر بنصبها » .

٣ - [راجع تلخيص الغدير / ٩٩٣ - ٩٩٤] .

٧- جاء من طريق زيد بن أرقم وعبادة بن الصامت مرفوعاً: «إذا رأيتم معاوية وعمر بن العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما؛ فإنّهما لن يجتمعا على خير»^(١).

كلمات أخرى له ﷺ

١- قال ﷺ: «إنّما مثله كمثّل الساعة لا يأتاكم إلّا بغتة».

دعا للكميت له أبو جعفر الباقر عليه السلام في مواقف شتّى في مثل أيّام التشريق بمنى وغيرها، متوجّهاً إلى الكعبة بالاسترحام والاستغفار له غير مرّة، ويقول: «لا تزال مؤيِّداً بروح القدس» تارةً أخرى.

ومن دعائه عليه السلام له في أيّام البيض ما رواه الشيخ الأقدم أبو القاسم الخزّاز القمي في كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر^(٢) بإسناده عن الكميت، أنّه قال: دخلتُ على سيّدي أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر، فقلت: يا ابن رسول الله! إنّني قد قلت فيكم أياتاً، أفتأذن لي في إنشادها؟ فقال: «[إنّها]^(٣) أيّام البيض». قلت: فهو فيكم خاصّة. قال: «هات». فأنشأت أقول:

أضحكني الدهرُ وأبكاني والدهرُ ذو صرفٍ وألوانٍ
لتسعةٍ بالطفِّ قد غُودروا صاوراً جميعاً رهنَ أكفانٍ
فبكى عليه السلام، وبكى أبو عبد الله عليه السلام، وسمعتُ جاريةً تبكي من وراء الحباء.
فلما بلغت إلى قولي:

وسنةٌ لا يُتجارى بهم بنو عقيلٍ خيرُ فرسانٍ
ثمّ عليّ الخيرِ مولاهم ذكرهم هيجَ أحزاني
فبكى، ثمّ قال عليه السلام: «ما من رجل ذكرنا أو ذكرنا عنده يخرج من عينيه ماءً ولو مثل

١- راجع وقعة صفّين لابن مزاحم: ١١٢ [ص ٢١٨]، العقد الفريد لابن عبد ربّه ٢: ٢٩٠ [٤/١٤٥].

٣- [ما بين المعقوفين أنبتناه من المصدر].

٢- كفاية الأثر [ص ٢٤٨].

جناح البعوضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة، وجعل ذلك الدمع حجاباً بينه وبين النار». فلما بلغت إلى قولي:

من كان مسروراً بما مسكم أو شامتاً يوماً من الآن
فقد ذللت بعد عزّ فا أدفع ضياءً حين يغشاني
أخذ بيدي ثم قال: «اللهم اغفر للكيت ما تقدّم من ذنبه وما تأخر». فلما بلغت إلى قولي:

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديكم الثاني
قال: «سريعاً إن شاء الله سريعاً». ثم قال: «يا أبا المستهل إن قائمنا هو التاسع من ولد الحسين؛ لأن الأئمة بعد رسول الله اثنا عشر، الثاني عشر هو القائم». قلت: يا سيدي فمن هؤلاء الاثنا عشر؟ قال: «أولهم علي بن أبي طالب، وبعده الحسن والحسين، وبعده الحسين علي بن الحسين، وبعده أنا، ثم بعدي هذا، ووضع يده على كتف جعفر». قلت: فمن بعد هذا؟

قال: «ابنه موسى، وبعده موسى ابنه علي، وبعده علي ابنه محمد، وبعده محمد ابنه علي، وبعده علي ابنه الحسن، وهو أبو القائم الذي يخرج فيملاً الدينار قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويشفي صدور شيعتنا».

قلت: فمتى يخرج يا ابن رسول الله؟ قال: «لقد سئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: إنما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة».

وأخرج شيخ الإسلام أبو إسحاق الحموي المتوفى (٧٢٢) عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعي:

قال: أنشدت قصيدة لمولاي عليّ الرضا عليه السلام:

مدارس آيات خلّت من تلاوة ومنزل وحي مقفّر العرصات

قال لي الرضا: «أفلا ألحق البيتين بقصيدتك؟». قلت: بلى يا ابن رسول الله!

فقال:

وقبر بطويس يا لها من مصيبةٍ أَلَحَّتْ بِهَا الْأَحْشَاءُ بِالزُّفَرَاتِ
إِلَى الْحَشْرِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ قَائِمًا يَفْرُجُ عَنَّا الْهَمَّ وَالْكَرْبَاتِ^(١)
قال دعبل: ثُمَّ قَرَأْتُ بَاقِيَ الْقَصِيدَةِ فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِي:

خُرُوجُ إِمَامٍ لَا مُحَالَةَ وَاقِعٌ يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ
بَكَى الرِّضَا بِكَاءٍ شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ: «يَا دَعْبَلُ نَطَقَ رُوحُ الْقُدُّسِ بِلِسَانِكَ، أَنْتَ عَرَفْتَ مِنْ
هَذَا الْإِمَامِ؟» قُلْتُ: لَا، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ خُرُوجَ إِمَامٍ مِنْكُمْ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا
وَعَدْلًا.

فقال: «إِنَّ الْإِمَامَ بَعْدِي ابْنِي مُحَمَّدٌ، وَبَعْدَ مُحَمَّدَ ابْنِهِ عَلِيٌّ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ ابْنُهُ
الْحَسَنُ، وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنُهُ الْحَبَّةُ الْقَائِمُ، وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ فِي غَيْبَتِهِ، الْمُطَاعُ فِي
ظَهْرِهِ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا. وَأَمَّا مَنْ يَقُومُ فَاخْبَارًا
عَنِ الْوَقْتِ. لَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ آبَائِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَثَلُهُ كَمَثَلِ السَّاعَةِ
لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بِغَنَةٍ».

٢- وقال رسول الله ﷺ للحسين السبط: «يُخْرَجُ مِنْ صُلْبِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ،
يَتَخَطَّى هُوَ وَأَصْحَابُهُ رِقَابَ النَّاسِ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٢).
وقال ﷺ فيه: «إِنَّهُ يُخْرَجُ وَيُقْتَلُ بِالْكُوفَةِ، وَيُصَلَّبُ بِالْكِنَاسَةِ، يُخْرَجُ مِنْ قَبْرِهِ
نَبْشًا، وَتُفْتَحُ لِرُوحِهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتَبْتَهِجُ بِهِ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٣).

١- ألحقها الإمام عليه السلام بعد قول دعبل:

وقبر ببغداد لنفسي زكيّة
تضمّنها الرحمن في العرُفاتِ

٢- عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق في الباب ٢٥ [١/٢٢٦، ح ٢]، وكفاية الأثر [ص ٣٠٤].

٣- عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق [١/٢٢٧، ح ٤].

٣- قال ﷺ: «سيكون أمراء بعدي يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون»^(١).

وقال ﷺ: «من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين»^(٢).
وفي تهديد الباقلاني^(٣): «من تقدّم على قوم من المسلمين وهو يرى أن فيهم من هو أفضل منه خان الله ورسوله والمسلمين».

كيف يتولّى الأمر من يجد في الرعية من هو أعلم منه؟! وأين هو ومن ولّاه الأمر من قول النبي الأعظم ﷺ: «من تولّى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسوله فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين»^(٤)؟! «فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا»^(٥)؟

٤- صدق رسول الله ﷺ في قوله: «آفة الدين ثلاثة: فقيه فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل»^(٦).

كذا أخرجه ابن مزاحم في كتاب صفين^(٧). وانظر العقد الفريد لابن عبد ربّه^(٨).

٥- قد صحّ عنه قوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٩).
وقوله ﷺ: «المؤمن لا يكون لئالاً»^(١٠).

١- مسند أحمد ١: ٤٥٦ [٤١/٢، ح ٤٣٥٠]. ٢- سنن البيهقي ١٠: ١١٨؛ مجمع الزوائد ٥: ٢١١.

٣- تهديد الباقلاني: ١٩٠. ٤- مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ٥: ٢١١.

٥- النساء: ٧٨. ٦- كنز العمال ٥: ٢١٢ [١٠/١٨٣، ح ٢٨٩٥٤].

٧- وقعة صفين: ١١٢ [ص ٢١٨]. ٨- العقد الفريد ٢: ٢٩٠ [٤/١٤٥].

٩- أخرجه البخاري [في الصحيح ١/١٣، ح ١٠]؛ ومسلم [في الصحيح ١/٩٦، ح ٤١ كتاب الإيمان]؛ وأحمد [في

مسنده ٢/٣٩٦، ح ٦٧٦٧]؛ والترمذي [في السنن ٤/٥٧٠، ح ٢٥٠٤].

١٠- مستدرک الحاكم ١: ١٢ و ٤٧ [١/٥٧، ح ٢٩؛ وص ١١٠، ح ١٤٥].

وقوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق»^(١).

وقوله ﷺ: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»^(٢).

وقوله ﷺ: «من ذكر امرأ بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه»^(٣).

٦- قال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «اكتب عني في الغضب والرضا، فوالذي بعثني بالحق نبياً ما يخرج منه إلا حق»، وأشار إلى لسانه^(٤)؟

وقال عبد الله بن عمرو: أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟! فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: «اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق»^(٥).

٧- ينهى ﷺ أصحابه عن لعن كل شيء حتى الدواب والبهائم والديك والبرغوث والريح؟! وكان يقول: «من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه»^(٦). وقال لرجل كان يسير معه فلعن بعيره: «يا عبد الله! لا تسر معنا على بعير ملعون»^(٧). وكان ﷺ يبالغ في الأمر ويحذر الناس عنه حتى قال سلمة بن الأكوع: كنا إذا رأينا الرجل يلعن

١- متفق عليه؛ أخرجه: البخاري [في صحيحه ١/ ٢٧، ح ٤٨] ومسلم [في صحيحه ١/ ١١٤، ح ١١٦، كتاب الايمان] والترمذي [في السنن ٤/ ٣١١، ح ١٩٨٣] والنسائي [في السنن الكبرى ٢/ ٣١٣، ح ٣٥٦٧-٣٥٧٨] وابن ماجه [في السنن ٢/ ١٢٩٩، ح ٣٩٣٩-٣٩٤١] والطبري [في المعجم الكبير ١/ ١٤٥، ح ٣٢٥]، والحاكم، والدارقطني.

٢- صحيح مسلم ٨: ٢٤ [١/ ١٦٨، ح ٨٧].

٣- الترغيب والترهيب ٣: ١٩٧ [٣/ ٥١٥، ح ٣٢]، رواه الطبراني بإسناد جيد.

٤- إحياء العلوم ٣: ١٦٧ [٣/ ١٦٤]؛ أخرجه أبو داود [في مسنده ٣: ٣١٨، ح ٣٦٤٦].

٥- سنن الدارمي ١: ١٢٥.

٦- الترغيب والترهيب ٣: ١٩٧ وصححه [٣/ ٤٧٤-٤٧٥، ح ٢١-٢٦].

٧- الترغيب والترهيب ٣: ١٩٦ فقال: «إسناده جيد» [٣/ ٤٧٤، ح ١٩].

أخاه رأينا أن قد أتى باباً من الكبائر^(١).

٨- في المتواتر: «من قتل دون أهله فهو شهيد»^(٢). وفي الصحيحة: «من قتل دون مظلّمته فهو شهيد»^(٣).

٩- هتف النبي الأعظم ﷺ في خطبة له يوم الحج الأكبر في ذلك المحتشد الرحيب بقوله:

«أيّها الناس إنّما المؤمنون إخوة، ولا يحلّ لامرئٍ مال أخيه إلّا عن طيب نفس منه... أيّها الناس إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربيّ على عجميّ فضل إلّا بالتقوى...»^(٤).

وفي لفظ أحمد^(٥): «ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا أسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلّا بالتقوى».

قال الهيثمي^(٦): رجاله رجال الصحيح.

١٠- نصب عين الكلّ تعليمات النبي الأقدس، وتقديره الشخصيات المحلّة بالفضائل من مختلف العناصر بمثل قوله: «سلمان منّا أهل البيت»^(٧). وقوله: «لو كان العلم بالثريّا لتناوله ناس من أبناء فارس»^(٨) إلى الكثير الطيّب من أمثاله.

١- الترغيب والترهيب ٣: ١٩٥ قال: «سنّد جيّد» [٤٧٢/٣، ح ١٥].

٢- مسند أحمد ١: ١٩١ [٣١١/١، ح ١٦٥٥]. نصّ على تواتره المناوي في الفيض القدير ٦: ١٩٥ [ح ٨٩١٧].

٣- أخرجه النسائي [في السنن الكبرى ٢/ ٣١١، ح ٣٥٥٩]؛ والضياء المقدسي كما في الجامع الصغير [٢/ ٦٣١، ح ٨٩١٨] وصحّحه السيوطي؛ راجع الفيض القدير ٦: ١٩٥ [ح ٨٩١٨].

٤- البيان والتبيين ٢: ٢٥ [٢٣/٢]؛ العقد الفريد ٢: ٨٥ [٢٣٨/٣]؛ تاريخ يعقوبي ٢: ٩١ [١١١/٢].

٥- مسند أحمد [٦/ ٥٧٠، ح ٢٢٩٧٨]. ٦- مجمع الزوائد ٣: ٢٦٦.

٧- مستدرک الحاكم ٣: ٥٩٨ [٣/ ٦٩١، ح ٦٥٣٩].

٨- مسند أحمد ٢: ٤٢٠ و ٤٢٢ [٣/ ١٤٩، ح ٩١٥٣؛ و ١٥٣، ح ٩١٧٧]. وأخرجه ابن قانع بإسناده بلفظ:

«لو كان الدين متعلّقاً بالثريّا لتناوله قوم من أبناء فارس»؛ الإصابة ٣: ٤٥٩ [رقم ٨٢١١].

١١ - قال النبي الأمين ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»^(١).

وقال ﷺ: «من قاتل تحت راية عمية يغضب للعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتله جاهلية»^(٢).

١٢ - عن أبي هريرة، عنه ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(٣).

١٣ - عن عبدالله بن عمرو بن العاص، مرفوعاً: «إن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلافاً ثلاثة: سأل الله عز وجل حكماً يصادف حكمه، فأوتيته. وسأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأوتيته. وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه»^(٤).

١٤ - ليس لأي أحد أن يحمي نفسه حمى فيمنع الناس عنه؛ فقال ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلاً والماء والنار».

وقال ﷺ: «من منع فضل الماء لينع به فضل الكلاً منعه الله فضله يوم القيامة»^(٥). نعم كان في الجاهلية يحمي الشريف منهم ما يروقه من قطع الأرض لمواشيه وإبله خاصة فلا يشاركه فيه أحد وإن شاركهم هو في مراتعهم، وكان هذا من مظاهر التجبر

١ - سنن أبي داود ٢: ٣٣٢ [٤/٣٣٢، ح ٥١٢١]. ٢ - سنن البيهقي ٨: ١٥٦.

٣ - مسند أحمد ٢: ٢٣٨ و ٢٧٨ [٢/٤٧٣، ح ٧٢٠٨؛ وص ٥٤٢، ح ٧٦٧٨]؛ صحيح البخاري [١/٣٩٨، ح ١١٣٢]؛

صحيح مسلم [٣/١٨٣، ح ٥١١ و ٥١٣، كتاب الحج].

٤ - سنن ابن ماجه ١: ٤٣٠ [١/٤٥٢، ح ١٤٠٨]؛ السنن الكبرى ٢: ٣٤ [١/٢٥٦، ح ٧٧٢].

٥ - توجد هذه الأحاديث في صحيح البخاري ٣: ١١٠ [٢/٨٣٠، ح ٢٢٢٦ و ٢٢٢٧]؛ سنن أبي داود ٢: ١٠١.

[٣/٢٧٧ و ٢٧٨، ح ٣٤٧٣ و ٣٤٧٧]، سنن ابن ماجه ٢: ٩٤ [٢/٨٢٨، ح ٢٤٧٨].

السائد عندئذٍ؛ فاكسح رسول الله ﷺ ذلك فيما اكتسحه من عادات الطواغيت وتقاليد الجبابة فقال ﷺ: «لا حمى إلا لله ولرسوله»^(١).

١٥ - قال رسول الله ﷺ: «لَعْنُ الخمر وشاربها، وساقبها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وعاصرها، ومعتصرها، وآكل ثمنها»^(٢).

وقال ﷺ: «ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقرّ في أهله الخبث»^(٣).

وقال ﷺ: «إنّ عند الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال». قالوا: يا رسول الله! وما طينة الخبال؟! قال: «عرق أهل النار. أو: عصارة أهل النار»^(٤).

١٦ - قد تواترت السنّة الشريفة في حرمة الربا وبلغت حدّاً لا يسع لأيّ مسلم ولو كان قروياً أن يدّعي الجهل به؛ منها:

١ - جاء من غير طريق أنّ رسول الله ﷺ لعن آكل الربا، ومؤكله، وشاهديه، وكاتبه^(٥).

٢ - أخرج الحاكم^(٦) بإسناد صحيح، عن أبي هريرة مرفوعاً: «أربعة، حقّ على الله

١ - صحيح البخاري ٣: ١١٣ [٢/ ٨٣٥، ح ٢٢٤١]؛ الأموال لأبي عبيد: ٢٩٤ [ص ٣٧٢، ح ٧٢٨]؛ كتاب الأمّ للشافعي ٣: ٢٠٧ [٤/ ٤٧] وفي الأخيرين تفصيلٌ ضافٍ حول المسألة.

٢ - سنن أبي داود ٢: ١٦١ [٣/ ٣٢٦، ح ٣٦٧٤]؛ سنن ابن ماجه ٢: ١٧٤ [٢/ ١١٢٢، ح ٣٣٨٠ و ٣٣٨١]؛ جامع الترمذي ١: ١٦٧ [٣/ ٥٨٩، ح ١٢٩٥].

٣ - أخرجه أحمد [في مسنده ٢/ ١٨١، ح ٥٣٤٩]؛ والنسائي [في سننه ٢/ ٤٢، ح ٢٣٤٣].

٤ - راجع الترغيب والترهيب ٣: ١٠١ - ١١٠ [٣/ ٢٤٨ - ٢٦٧]؛ وانظر السنن الكبرى للنسائي ٤/ ١٨٦، ح ٦٨١٨؛ والمعجم الأوسط للطبراني ١/ ٢٢٦، رقم ٣٤٣.

٥ - صحيح مسلم ٥: ٥٠ [٣/ ٤٠٧، ح ١٠٥ و ١٠٦]؛ سنن أبي داود ٢: ٨٣ [٢/ ٢٤٤، ح ٣٣٣٣].

٦ - المستدرک علی الصحیحین [٢/ ٤٣، ح ٢٢٦٠].

أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاقق لوالديه».

٣ - أخرج البزار^(١) بإسناد صحيح مرفوعاً: «الربا بضع وسبعون باباً، والشرك مثل ذلك».

٤ - أخرج البيهقي^(٢) بإسناد لا بأس به من طريق أبي هريرة مرفوعاً: «الربا سبعون باباً، أدناها كالذي يقع على أمه».

٥ - أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي^(٣) من طريق أنس بن مالك، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال: «إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل».

هذه جملة من أحاديث الباب جمعها وغيرها الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب^(٤).

١٧ - جاء عن النبي الأقدس ﷺ: «أخاف على أمتي من بعدي ضلالة الأهواء، واتباع الشهوات، والغفلة بعد المعرفة»^(٥).

وصاياه ﷺ في شيعة علي ﷺ

قال ابن عبد ربّه المالكي المتوفى ٣٢٨ في كتابه العقد الفريد^(٦):

الرافضة يهود هذه الأمة، يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية!

الجواب: قد يحسب القارئ لأول وهلة أنّه كتاب أدب لا كتاب مذهب، فيرى فيه

١ - مسند البزار (البحر الزخار) [٣١٨/٥، ح ١٩٣٥].

٢ - شعب الإيمان [٣٩٤/٤، ح ٥٥٢٠].

٣ - شعب الإيمان [٣٩٥/٤، ح ٥٥٢٣].

٤ - الترغيب والترهيب ٢: ٢٤٧ - ٢٥١ [٣/٢ - ١٤].

٥ - أسد الغابة ١: ١٠٨ [١٢٧/١، رقم ٢٠٥].

٦ - العقد الفريد ١: ٢٦٩ [١٠٤/٢].

نوعاً من النزاهة، غير أنه متى أنهى سيره إلى مناسبات المذهب تجد مؤلفه ذلك المهوس الممهلج، ذلك الأفاك الأثيم.

كيف يرتضي القارئ هذه الكلمة القارصة؟! وبين يديه القرآن المجيد وفيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَزَلَّتْ عَنْهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(١).

وقد ثبت فيها عن النبي ﷺ قوله لعلّي: «هم أنت وشيعتك»^(٢). وكيف يرتضيها وهو يقرأ في الحديث قول الرسول الأمين ﷺ لعلّي: «أنت وشيعتك في الجنة»؟! تاريخ بغداد^(٣).

وقوله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دُعي الناس بأسمائهم وأسماء أمهاتهم إلا هذا - يعني علياً - وشيعته؛ فإنهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحة ولادتهم»^(٤).

وقوله ﷺ لعلّي: «يا علي! إن الله قد غفر لك، ولذريّتك، ولولدك ولأهلك، وشيعتك، ولحبيّ شيعتك»^(٥).

وقوله ﷺ: «إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين»^(٦). وقوله ﷺ: «أنت أوّل داخل الجنة من أمّتي، وأنّ شيعتك على منابر من نور، مسرورون مبيضة وجوههم حولي، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنة جيراناً»^(٧).

وقوله ﷺ: «أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن وسائر ذلك في سائر الجنة»^(٨).

١ - البيّنة: ٧.

٢ - راجع جامع البيان ١٤٦: ٣٠ [بج ١٥/ج ٢٠/٢٦٤]: المناقب للخوارزمي: ٦٦ [ص ١١١، ح ١٢٠، ص ٢٦٥، ح ٢٤٧].

٣ - تاريخ بغداد ١٢: ٢٨٩. ٤ - مروج الذهب ٢: ٥١ [٧/٣].

٥ - الصواعق: ٩٦ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٦١ و ٢٣٢ و ٢٣٥.

٦ - نهاية ابن الأثير ٣: ٢٧٦ [١٠٦/٤].

٧ - مجمع الزوائد ٩: ١٣١، كفاية الطالب: ١٣٥ [ص ٢٦٥، باب ٦٢].

٨ - راجع المستدرك للحاكم ٣: ١٦٠ [١٧٤/٢، ح ٤٧٥٥]؛ تاريخ ابن عساكر ٤: ٣١٨ [٤٣/٥].

وقوله ﷺ: «إِنَّ هَذَا - يعني علياً - وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»^(١).

وقوله ﷺ في خطبة له: «أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَبْغَضْنَا - أهل البيت - حَشَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَهُودِيًّا مُثْلَ لِي أُمَّتِي فِي الطِّينِ فَرَّبِّي أَصْحَابَ الرِّايَاتِ فَاسْتَغْفِرْتَ لِعَلِيٍّ وَشِيعَتِهِ»^(٢).

وقوله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأُمَّتِي، مِنْ أَحَبِّ أَهْلِ بَيْتِي، وَهُمْ شِيعَتِي»^(٣).

الفرية على الشيعة

قال ابن عبد ربّه:

اليهود تبغض جبرئيل وتقول: هو عدوُّنا من الملائكة، وكذلك الرافضة تقول:

غلط جبرئيل في الوحي إلى محمد بترك علي بن أبي طالب!

الجواب: لعلَّ الرجل يحسب في أحلامه الطائشة أنّه يحدث عن أُمَّة بائدة قد أكل عليها الدهر وشرب، فلم يبق لها من يدافع عن شرفها، وما كان يحسب أنّ المستقبل الكشاف سوف يُقيِّض من يُسأله قائلاً: كيف يعادي جبرئيل من يتلو في كتابه المقدّس قوله تعالى: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ»^(٤)؟ ومتى خالج شيعياً الشكُّ في نبوة محمد ﷺ؟! أو هجس في خلد أيّ منهم نبوة أمير المؤمنين عليّ ﷺ؟ حتّى يحكم بغلط جبريل وهو يقرأ آناء الليل وأطراف النهار قوله تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ»^(٥)؟

وقوله تعالى: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ»^(٦).

١- راجع المناقب للخوارزمي ٦٦ [ص ١١١، ح ١٢٠، ص ٢٦٥، ح ٢٤٧]؛ وتذكرة السبط: ٣١ [ص ٥٤].

٢- تاريخ الخطيب ٢: ١٤٦.

٣- مجمع الزوائد ٩: ١٧٢.

٤- آل عمران: ١٤٤.

٥- البقرة: ٩٨.

٦- الأحزاب: ٤٠.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٣).

وكيف يرى شيعي أن جبريل قد غلط في الوحي وهو يتشهد بالرسالة في كل فريضة ونافلة، وفي الأذان والإقامة، وفي دعوات كثيرة مأثورة عن أئمتهم عليهم السلام؟! وتشهد بذلك كله مؤلفاتهم في الفقه، والحديث، والكلام، والعقائد، والملل والنحل.

وهل من الممكن أن تزعم الشيعة - على هذه الفرية - إن الله سبحانه أمضى ذلك الغلط لمجرد اشتباه جبريل وهو يريد أن يبعث أمير المؤمنين؟! وهل يقول بهذا معتوه دهش، أو بربري عزبت عنه العلوم والمعارف كلها فضلاً عن الشيعة، وهم هم؟! ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يَقُومُ لَيْكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(٤).

والعجب كل العجب أنه يكتب كاتب «مصر اليوم وعالمها»، رداً على الشيعة ويسلقهم بهذا التافه الخرافي.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾^(٥).

٢ - الفتح: ٢٩.

٤ - النساء: ٧٨.

١ - محمد: ٢.

٣ - الصف: ٦.

٥ - طه: ١٦.

الفهارست

١- فهرس المحتوى

٢- مصادر التحقيق

فهرس المحتوى

الف : فضله ﷺ :

- ١- «لولا محمد ما خلقت الجنة والنار. ٢٥
- عن ابن عباس : «أوحى الله إلى عيسى : يا عيسى آمن بمحمد... لولا محمد ما خلقت الجنة والنار...» ٢٦
- قال رسول الله : «لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسالك بحق محمد لما غفرت لي...» ٢٦
- كتبنا هذا المختصر لإيقاف القاري على بطلان ما لابن تيمية من جلبية ولغط، حتى يكون على بصيرة من فضل النبي ﷺ. ٢٦
- ٢- عن أبي هريره عن النبي ﷺ : «لما خلق الله تعالى آدم... قال : هولاء خمسة من أولادك لولاهم ما خلقتك...» ٢٧
- ٣- الإشارة إلى الأخبار الصحيحة الواردة في أن الصلاة على أهل البيت ﷺ مأمور بها في الصلاة. ٢٧
- قال ابن هجر : «الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية [وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ]...» ٢٧-٢٨
- النهى عن الصلاة البتراء وهي أن تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد. ٢٨
- ٤- قال رسول الله ﷺ : «مكتوب على باب الجنة : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي أخو رسول الله ، قبل أن تخلق السماوات والأرض بألني عام». ٢٨
- ٥- قال رسول الله ﷺ : «اشتق الله تعالى لنا من أسمائه أسماء : فالله عز وجل محمود وأنا محمد ، والله الأعلى وأخي علي». ٢٩
- ٦- عن النبي ﷺ ، أنه قال لعلي : «يا علي! أول من تنشق عنه الأرض محمد ثم أنت ، وأول من يحيى محمد ثم أنت...» ٢٩

٧- المعراج:

- عن رسول الله ﷺ: «قال لي ربي عز وجل ليلة أُسري بي: من خلّفت على أمّتك يا محمّد؟» ٢٩
- وعنه ﷺ في حديث المعراج: «الملائكة شكّت حبّها عليّ، فخلق الله تعالى هذا الملك من نور على صورة عليّ، فالملائكة تزوره...» ٣٠
- ٨- روايات حول شفاعته ﷺ ٣١
- ٩- شأني رسول الله ﷺ هو الأبتَر بنصّ الذكر الحميد: «إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» ٣٢
- العاص بن وائل كان أحد شأني رسول الله ﷺ لما مات ولده إبراهيم ٣٢

ب: زواجه ﷺ

- أتى ميمون في حديثه بأمرين كلاهما باطل: إسلام أبي بكر زمن بحيرا، واختلافه في زواج رسول الله خديجة ٣٤
- ليس من الجائز أن يكون الوسيط في قران رجلٍ عظيم كمحمّد وامرأة من بيت مجد وسؤدد ورئاسة كخديجة، شابٌ حدث ٣٤

ج: استحباب التسمية باسم النبي الأعظم ﷺ

- إجتهد الخليفة في الأسماء والكنى: ٣٧
- ١- إنَّ عمر بن الخطّاب ضرب ابناً له تكنّى أبا عيسى ٣٧
- ٢- كتب عمر: لا تسمّوا أحداً باسم نبيّ، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم المسّمين بمحمّد ٣٧
- ٣- سمع عمر رجلاً ينادي رجلاً: يا ذا القرنين. قال: أفرغتم من أسما الأنبياء فارتفعتُم إلى أسماء الملائكة؟! ٣٧-٣٨
- تكشف هذه الروايات عن موارد من الجهل ٣٨
- روايات حول تسمية الأولاد باسم «محمّد» وأسماء الأنبياء ٣٨-٤٠

- سمى رسول الله علياً أمير المؤمنين بذى القرنين؛ فقال: «يا أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرنيها
أخي وابن عمي علي بن أبي طالب؛ فإنه لا يحبّه إلا مؤمن و...». ٤١
قال ﷺ: «إنّ لك في الجنة بيتاً وأنت لذو قرنيها». ومعنى هذه الرواية. ٤١
لم سمي عليّ بذى القرنين؟ ٤١
في صحيح البخاري: «أنّ جبر، وميك، وسراف: عبد، وإيل: الله». ٤٢
ورد: «إنّ أحبّ الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن». ٤٢

د: كلمات وروايات تستلزم خطأ من مقام النبوة

١ - نعرات الجاهلية الأولى

- في القوم من آلف وسخف؛ فكان الجهل لم يمت بعد وقد مات أبوجهل، ولهب الضلال لم يخمد بعد
وقد اتقد أبولهب في درك الجحيم. ٤٣

نقد إميل درمنغم مؤلف كتاب «كتاب محمد»:

- ١ - كلمات فلاسفة أروبا في وصف محمد ﷺ والقرآن والإسلام. ٤٤
٢ - تعصب الرجل وتشزّر، وشزر إلى الإسلام وكتابه ونبيّه. ٤٤
٣ - يعبر عن النبيّ الأعظم ﷺ بالبدويّ الحمس! ٤٦
٤ - تسافل الشرق أو انحطاط العرب: نقد على من ترجم هذه التآليف الفارغة عن أدب
الدين. ٤٦
٥ - نقد على الأستاذ فلسطين محمد عادل زعير في ترجمته. ٤٧
٦ - المترجم راقه ما في الكتاب من الأكاذيب والخاريق المعربة عن النزعات والأهواء الأموية. ٤٨
٧ - ترهاته في فاطمة ﷺ وعلي ﷺ. ٤٩
٨ - كل ما في الكتاب من الأقوال المختلقة والنسب المفتعلة إن هي إلا كلم الطائش تخالف التاريخ
الصحيح. ٥٠
٩ - أحاديث وكلمات في فاطمة ﷺ وعلي ﷺ: ٥٠-٥٧

- عن النبي ﷺ: «فاطمة حوراء إنسيّة، كلّما اشتقتُ إلى الجنة قبّلتها». ٥٠
- عن النبي ﷺ: «فاطمة هي الزهرة». ٥١
- عن خديجة رضي الله عنها: «كانت فاطمة تُحدّث في بطن أمّها، ولما ولدت وقعت حين وقعت على الأرض ساجدةً، رافعةً إصبعها». ٥١
- عن عائشة: «ما رأيتُ أحداً أشبه سمّاً ودلاًّ وهدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة. وكانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبّلها ورَحّبَ بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه». ٥١
- جاء في جمال علي رضي الله عنه: «أنّه كان حسن الوجه كأنّه قمر ليلة البدر، وكان عنقه يريق فضّة، ضحوك السنّ، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم». ٥٢
- عن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «أشبهتَ خلقي وخلقي وأنت من شجرتي التي أنا منها». ٥٣
- قال النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضائك». ٥٣
- وقال رضي الله عنه: «هي قلبي وروحي الذي بين جنبيّ فمن آذاها فقد آذاني». ٥٤
- وقال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني». ٥٤
- يأخذ النبي ﷺ بيد علي رضي الله عنه في الملأ الصحابي ويقول: «إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهذا أوّل من يصافحني يوم القيامة». ٥٤
- عن النبي ﷺ يخاطب أصحابه بقوله: «أوّلکم وارداً عليّ الحوض، أوّلکم إسلاماً: عليّ بن أبي طالب». ٥٤
- في حديث الطير المشويّ: «اللهم انتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي». ٥٥
- قال رضي الله عنه لعائشة: «إنّ عليّاً أحبّ الرجال إليّ، وأكرمهم عليّ، فاعرفي له حقّه وأكرمي مشواه». ٥٥
- قال رضي الله عنه: «أحبّ الناس إليّ من الرجال عليّ». ٥٥
- قال رضي الله عنه: «عليّ خير من أتركه بعدي». ٥٥
- قال رضي الله عنه: «عليّ خير البشر فمن أبي فقد كفر». ٥٥
- قال رضي الله عنه: «من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر». ٥٥

- قال ﷺ: في حديث الراية المتفق عليه: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله»..... ٥٥
- قال ﷺ: «عليّ مني بمنزلة الرأس من بدني»..... ٥٥
- قال ﷺ: «عليّ مني وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»..... ٥٦
- قال ﷺ: في حديث البعث بسورة البراءة: «لا يذهب بها إلّا رجل مني وأنا منه»..... ٥٦
- قال ﷺ: «لحمك لحمي، ودمك دمي، والحقّ معك»..... ٥٦
- قال ﷺ: «ما من نبيّ إلّا وله نظير في أمّته، وعليّ نظيري»..... ٥٦
- عن أمّ سلمة قالت: «كان رسول الله إذا أغضب، لم يجترئ أحدٌ أن يكلمه غير عليّ»..... ٥٦
- عن عائشة قالت: «والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله من عليّ، ولا في الأرض امرأة كانت أحبّ إليه من امرأته»..... ٥٦
- عن بريدة وأبيّ: «أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ من النساء فاطمة، ومن الرجال عليّ»..... ٥٧
- في حديث جميع بن عمير، قال: دخلتُ مع عمّتي على عائشة، فسألتُ: أيّ الناس أحبّ إلى رسول الله؟ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوّماً قوّماً..... ٥٧
- قال ﷺ لفاطمة: «إنّ الله اطّلع على أهل الأرض فاختر منهم أباك فبعثه نبياً، ثمّ اطّلع الثانية فاختر بعلك، فأوحى إليّ، فأنكحته واتّخذته وصيّاً»..... ٥٧
- قال ﷺ: «إنّ الله اختار من أهل الأرض رجلين: أحدهما أبوك والآخر زوجك»..... ٥٧
- ١٠ - نقد كلمة الرجل: «كان صهرا للنبيّ الأمويّان - عثمان الكريّم وأبو العاصي - أكثر مداراة للنبيّ ﷺ من عليّ»..... ٥٧
- حسبك في مداراة عثمان الكريّم حديث أنس عن رسول الله لما شهد دفن رقيّة ابنته وقعد على قبرها، ودمعت عيناه فقال: «أيّكم لم يقارف الليلة أهله؟» فقال أبو طلحة: أنا؛ فأمره أن ينزل في قبرها..... ٥٧
- قال ابن بطّال: أراد النبيّ ﷺ أن يحرم عثمان النزول في قبرها؛ لأنّه قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه ولم يشغله الهمّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبيّ ﷺ عن المقارفة..... ٥٨

ما عساني أن أقول في أبي العاص الذي كان على شركه إلى عام الحديبية، وأسر مع المشركين مرتين، وفرّق الإسلام بينه وبين زوجته زينب بنت النبي ﷺ ست سنين، وهاجرت مسلمة وتركته لشركه، ولم ترد قطّ بعد إسلامه كلمة تُعرب عن صلته مع النبي ﷺ ومداراته له، فضلاً عن مقايسته بعلي! ٥٨

١١ - اتهم الرجل نبي الإسلام ﷺ بعدم العمل على سعادة ابنته، ويقذف علياً بالتآلم من ذلك ٥٨

١٢ - كان ﷺ إذا أصبح أتى باب علي وفاطمة وهو يقول: «يرحمكم الله إنما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» ٥٨

قال ﷺ: «فاطمة أحب الناس إلي» ٥٨

كان عمر يقول لفاطمة: «ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله منك» ٥٨

١٣ - ما أقبح الرجل في تقوله على النبي ﷺ بعده لعلي غير قوام بجليل الأعمال! .. ٥٨-٥٩

١٤ - أسوأ من ذلك كله عدّ الرجل أزواج النبي ﷺ عدوّات علي وفاطمة ٥٩

١٥ - كيف يروق المترجم عدّ عائشة عدوّ لفاطمة وهي كانت تقبل رأس فاطمة وتقول: يا

ليتني شعرة في رأسك؟! ٥٩

١٦ - عن النبي ﷺ: «من أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني...» ٥٩

أخبر ﷺ عن جبرئيل أنه أخبره بأن: «السعيد كلّ السعيد من أحبّ علياً في حياتي وبعد

مماتي، وإنّ الشقي كلّ الشقي من أبغض علياً في حياتي وبعد مماتي» ٦٠

قال ﷺ في عترته: «لا يحبّهم إلّا سعيد الجدّ طيّب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقيّ الجدّ رديء

الولادة» ٦٠

ورد من طريق الثقات: «أنّ علياً لا يبغضه أحد قطّ إلّا وقد شارك إبليس أباه في رحم أمّه» ٦٠

عن عبادة الصامت قال: «كنّا نبور أولادنا بحبّ علي بن أبي طالب...» ٦٠

٢ - اتّهام نبي الإسلام ﷺ بعدم العمل على سعادة ابنته

اتّهم مؤلف كتاب حياة محمّد نبي الإسلام ﷺ بعدم العمل على سعادة ابنته الطاهرة المطهّرة ٦١

٣ - عدم سلامة نبى العظمة ﷺ من لدغ لسان ابن حزم

سيد الأنبياء هو ولد كافر وكافرة!!

قال في الأحكام: «قد غاب عنهم أن سيد الأنبياء هو ولد كافر وكافرة» ٦١
وقال العاصمي: «إن النبي ﷺ في كثرة ما أنعم الله تعالى إحسانه إليه لم يرزقه إسلام أبويه...»! ... ٦٢

٤ - الحط من مقام النبوة والترفع لمقام معاوية!

مرفوعاً: «إن الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا ومعاوية، وكاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه...» ٦٢
رواة السوء أرادوا خطأ من مقام النبوة لا ترفيعاً لمقام معاوية. ٦٢-٦٣
بين مرتبة النبوة وبين متبوا معاوية بون شاسع. ٦٣
نسائل القوم عن الذي أوجب له هذا المقام الشاخ: أهو أصله الزاكي تلك الشجرة الملعونة في القرآن ولسان نبى؟ أم فرعه الغاشم الظلوم؟ أم... أم... ٦٣
وهل يؤمن على القرآن وهو لا يعمل بأية منه ولا يقيم حدوده؟! ٦٤
هل علمه المتكثر الذي كاد به أن يبعث نبياً كان يدعوه إلى عداء العترة الطاهرة؟! ٦٤
زه بهذه النبوة التي يكاد أن يكون مثل هذا الرجل حاملاً لأعبائها. ٦٤

٥ - تغير وجهه ﷺ مما قدره المولى سبحانه!

تغير وجهه ﷺ مما قدره المولى سبحانه ينافي عصمته ويضاد مقامه السامي ٦٥

٦ - الشيطان يخاف من عمر وما يخاف رسول الله ﷺ!!

النبي يروقه النظر إلى الراقصات والاستماع لأهازيجهن وشهود المعازف!!

جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله! إني كنت نذرت إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغني. فقال رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا...!! ٦٧-٦٨
لقد عزب عن المساكين أن ما تحروه من إثبات فضيلة للخليفة الثاني يجلب الفضائح إلى ساحة النبوة تقدست عنها. ٦٩

- ٦٩ الآيات الدالة على تحريم الغناء .
- ٧٠ الغناء والمعازف في السنة .
- ٧١ الغناء في المذاهب الأربعة .
- ٧٢ نظرة في الأحاديث المعنونة .
- ٧٢ ما هذا الشيطان الذي يَفَرِّقُ من عمر وما كان يخاف رسول الله؟!
- ألا تعجب من رسول الله ﷺ والمحبة تلعب في مسجده الشريف بأشرف بقاع الدنيا وتزفن وتغني وهو ﷺ وحليلته ينظران إليها، وعمر ينهاهن، ويقول النبي ﷺ : دعهن يا عمر؟!
- ٧٢ قال ﷺ : «من سمع رجلاً نشد ضالة في المسجد فليقل : لا ردّها الله عليك ؛ فإن المساجد لم تبن لهذا»
- ٧٣ أحاديث أخرى في لزوم احترام المساجد .
- ٧٣ طامة من الزركشي في الإجابة الذي عدّ فيها من خصائص عايشة : «أنّ رسول الله ﷺ كان يتبع رضاها كلعبها باللعب، ووقوفه في وجهها تنظر إلى الحبشة يلعبون. واستنبط العلماء من ذلك أحكاماً كثيرة فما أعظم بركتها!»
- ٧٤ رأي عمر في الغناء .
- ٧٥ قال الشوكاني : «قد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين ؛ فمن الصحابة : عمر» .
- ٧٥-٧٦ يعرب عن جليلة الحال حديث خوات بن جبير الصحابي .
- ٧٦ قد تروى هذه المنقبة الموهومة لعثمان .

٧ - حظ من مقام الرسالة لأجل أموي ساقط!

إنّه ﷺ بشرٌ يغضب كما يغضب البشر!!

- ٧٧ قال ابن حجر: «إنّه بشر كما يغضب البشر...»! أخذه ممّا أخرجه الشيخان في الصحيحين
- ٧٨ جاء في الصحيح : «إنّه ﷺ لم يكن سبّاباً ولا فحاشاً ولا لعاناً»

- ٧٨ ... قد أبى رسول الله ﷺ عن الدعاء على المشركين وقال: «إني لم أبعث لقائاً وإنما بُعثت رحمة». ...
هو ﷺ كان يأمل في أولئك المشركين الهداية فلم يلعنهم ولا دعا عليهم، ولما لم يرج في الحكم
٧٩ ... وولده أي خير لعنه لعناً يَبْقَى عليهم خزي الأبد. ...
قال أبو بكر لعثمان: «عمك في النار»، وقال عمر لعثمان: «تتكلم في عين رسول الله وطريده
٧٩ ... وعدو الله وعدو رسوله. ...

٨ - رواية البخاري والمسلم تعرّيه ﷺ بين الناس!

- عن عائشة: «كان رسول الله مضطجعاً في بيته كاشفاً عن فخذه وساقيه، فاستأذن أبو بكر
فأذن له و... ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه... فقال: ألا أستحيي من
٧٩ - ٨٠ ... رجل تستحيي منه الملائكة؟»
٨٠ ... معنى الحياء. ...
٨١ ... هلمّ معي لنسبر حياة عثمان علّنا نجد فيها ما يصحّ للبرهنة على ثبوت هذه الملكة له. ...
٨١ ... قد فتح عثمان باب الجرأة على الله والتقول عليه بمصراعيه. ...
٨٥ ... كرامة ثانية لرواية الحياء من ناحية أخرى. ...
٨٦ ... كان ﷺ أشدّ حياءً من العذراء. ...
٨٦ ... روايات في أنّ الأفخاذ عورةٌ ويجب سترها. ...
لا يهولئك وجود رواية كشف الفخذ في الصحيحين؛ فإنّهما عيّتا السقطات، وفيهما من المخازي
٨٧ ... والمخاريق ماشوه سمعة التأليف. ...
٨٧ ... رواية البخاري والمسلم تعرّيه ﷺ بين الناس! ...
٨٩ ... رواية في شدة حياء عثمان! ...
٩٠ ... عن ابن عباس: «كان ﷺ يغتسل وراء الحجرات وما رأى أحدٌ عورته قطّ». ...
٩٠ ... عن عائشة: «ما رأيتُ فرج رسول الله قطّ». ...
لفت نظر: السيرة المطردة لرجال الوضع والاختلاق هي العناية الخاصة بالملكات التي كان

- يفقدها الممدوح رأساً: ٩٠-٩١
- ١ - يبالغون في شجاعة أبي بكر، وقد شهد مشاهد النبي ﷺ كلها وما سلّ فيها سيفاً، وما شوهه يوماً في ميادين الحرب منازلًا. ٩١
- ٢ - يبالغون في زهده وتقواه وجعلوا كبده مشويّاً من خوف الله، ولم يثبت له ميزٌ في العبادة، ولم يرو عنه الإكثار من الصوم والصلاة. ٩١
- ٣ - يبالغون في علم عمر، والرجل قد ألهاه الصفق بالأسواق عن علم الكتاب والسنة، وكلّ الناس أفقه منه. ٩١
- ٤ - يبالغون في إنكاره الباطل وبغضه الغناء، وقد ثبت من شكيمته أنّه كان يتعاطاه ويجوّزه. ٩١
- ٥ - أتوا بالمخازي والأفائك في حياء عثمان، وسيرة الرجل تنفي عنه ملكة الحياء. ٩٢
- ٦ - يُعزى إلى النبي رواياتٌ في أمانة معاوية وعلمه، وهما فيه سالبةٌ بانتفاء الموضوع. ٩٢
- فحياء عثمان كشجاعة أبي بكر وعلم عمر وأمانة معاوية وعلمه سالبةٌ بانتفاء موضوعاتها. ٩٢
- حكايةٌ تعرب عن أمانة معاوية: إنّ أبا الأسود الدؤلي كان يحدث معاوية يوماً فتنحّرك فضرط. فقال لمعاوية استرها عليّ. فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم. ٩٢
- قال أبو الأسود لمعاوية: إنّ امرأً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرورة لحقيق بأن لا يؤمن على أمور المسلمين. ٩٢

٩ - ما أعطي أحدٌ بعد رسول الله من الجماع ما أُعطيْتُ أنا!!

- من نماذج أخبار ابن عمر قوله: «ما أعطي أحدٌ بعد رسول الله من الجماع ما أُعطيْتُ أنا!»! ٩٢
- هو يُعطينا أنّه رجل شهويّ لا صلة له بغيرها. ٩٣
- ملكات صاحب الرسالة وقواه كانت متعادلة ثابتة على نقطة المركز قد تساوت إليها خطوط الدائرة. ٩٣

- كان لابن عمر أن يشبه نفسه بأبيه ٩٣
- كلمة قيّمة لعمر في النكاح تُعرب عن قوّة شهوته ٩٣
- مواقعة عمر بجارية حائضة ٩٣
- واقع عمر أهله ليلة الصيام قبل حلّة الرفث فيها ٩٣

١٠ - خليفة المرء خيرٌ من رسوله!!

- خطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: «تَبّاً لهم إنّما يطوفون بأعواد ورمة بالية هلاً طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟! ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خيرٌ من رسوله!»! ٩٤

١١ - كان له ﷺ أن يلعن من شاء بغير سبب!!

- حول حديث: «لا أشبع الله بطنه» ٩٥
- قال ابن كثير: «قد انتفع معاوية بهذه الدعوة [لا أشبع الله بطنه] في دنياه وأخراه...»! ٩٥
- اشتهرت هذه المنقصة حتّى جرت مجرى المثل ٩٦
- للدفاع عن أولياء الشيطان وفي الطليعة منهم ابن أبي سفيان، والمنع عن الوقعة فيهم تأسيّاً برسول الله، لفّقوا مكابرات عجيبة في دلالة الألفاظ والنصوص، وأنّ ذلك صدر منه لا عن قصد، أو أنّه صدر عن نزعات نفسيّة تقتضيها فطرة البشر ٩٧
- أوماً ﷺ إلى فيه وقال: «أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا حقٌّ» ٩٨
- ينهى ﷺ أصحابه عن لعن كلّ شيء حتّى الدوابّ والبهائم و ٩٩
- قال رسول الله ﷺ: «من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة إليه» ٩٩
- إن صحّت هذه المزعمة لتطرّق الوهن في أفعاله وأقواله وفي قضائه وحدوده ٩٩
- منع ابن حجر عن لعن الحكم لعين رسول الله وطريده ١٠٠
- للقوم في هذا المقام تصعيدات وتصويبات، أو قل: خرافات ومخاز ١٠٠
- عدّ السيوطي من خصائص النبي ﷺ: باب اختصاصه ﷺ بجواز لعن من شاء بغير سبب! ١٠٠

هنا دقيقةٌ أخرى حول اللعنات والطعون المتوجهة في القرآن إلى أناس عناهم الذكر الحكيم ١٠١

١٢ - أبو حنيفة أعلم من رسول الله!!

بلغت مغالاة أمة من الحنيفة إلى حدّ زعمت أنّه أعلم من رسول الله ﷺ ١٠٢

١٣ - أبو بكر شيخ يُعرف والنبي شاب لا يُعرف!!

متى كان أبو بكر شيخاً والنبي شاباً وهو ﷺ أكبر منه بسنتين وعدة أشهر ١٠٢

١٤ - أبو بكر أسنّ من النبي ﷺ

أو لا تعجب من أكذوبة تعدّ أكرومة؟! ١٠٣

١٥ - رسول الله ﷺ يؤخر البيان عن وقت الحاجة!!

عن عمر بن خطاب أنّه قال: «ثلاث لأن يكون رسول الله ﷺ يتيهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم:

الخلافة، والكلالة، والربا». ١٠٤

سئل أبو بكر عن الكلالة فقال: «إني سأقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأً فني

ومن الشيطان...». ١٠٥

١٦ - الأمة شريكة لنبيها في كلّ ما كان له!!

قال موسى جبار الله: «الأمة معصومة عصمة نبيها، معصومة في تحملها وحفظها وفي تبليغها

وأدائها...»، وجوابه ١٠٥

قال: «الأمة بالقرآن والسنة أعلم من جميع الأئمة، وعلم الأمة بالقرآن وسنن النبي ﷺ اليوم

أكثر وأكمل من علم عليّ عليه السلام ومن علوم كلّ أولاد عليّ عليه السلام! ١٠٦

قال: «الأمة بلغت وصارت رشيدة لا تحتاج إلى الإمام». ١٠٦

خلف ﷺ الهداية أمته من بعده الثقلين، وحصر الهداية بالتمسك بهما إلى غاية الأمر يفيدنا أنّ

عندهما من العلوم والمعارف ما تقصر عنها الأمة ١٠٨

أئمة العترة أعدال الكتاب في العلم والهداية ١٠٩

- عن رسول الله ﷺ : «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب» ١٠٩
- حكم الحاكم النيسابوري بإجماع الأمة على أن علياً ورث العلم من النبي ﷺ دون الناس ١٠٩

هـ : الاجتهاد في مقابل رسول الله ﷺ !!

١ - رأي الخليفة في الجدة

- اضطرته الحاجة إلى الركون إلى رواية مثل مغيرة أزنى تقيف وأكذب الأمة ١١١

٢ - رأي الخليفة في الجدتين

- ذهب القوم إلى عدم شمول أحكام الأولاد في الفروض وغيرها على وليد بنت الرجل ؛ محتجين بقول الشاعر : «بنونا بنو أبنائنا ...» ١١٢
- ما أجراًهم على هذا الرأي السياسي في دين الله لإخراج آل الله عن بنوة رسول الله ! ... ١١٣
- ما قيمة قول الشاعر تجاه قول الله : «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا ...» ؟! ١١٣
- قال الرازي : «هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين ﷺ كانا ابني رسول الله ...» ١١٣
- يشهد على لغة القرآن المجيد ، وأن ولد البنت ابن أبيها على الحقيقة ، قول رسول الله ﷺ :
- ١ - «أخبرني جبريل : أن ابني هذا - يعني الحسين - يُقتل» ١١٤
- ٢ - قوله للحسن السبط : «إني هذا سيّد» ١١٤
- ٣ - «إن جبريل أخبرني أن الله عز وجل قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم ولدك الحسين سبعين ألفاً» ١١٤
- ٤ - «المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي» ١١٤
- ٥ - «اللهم إن هذا ابني - الحسن - وأنا أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه» ١١٤
- ٦ - «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي اسمه كاسمي» ١١٥

٣ - رأي الخليفة في قطع السارق

- الخليفة لا يعلم حدّ السارق الذي هو من أهم ما تجب عليه معرفته ١١٧

٤ - رأي الخليفة في تولية المفضل

- قال الحلبي: «إنَّ أبا بكر كان يرى جواز تولية المفضل على من هو أفضل منه؛ وهو الحقّ عند أهل السنة لأنّه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين...»! ١١٧
- الخلافة عندنا إمرة إلهية كالنبوة..... ١١٨
- كلّ من الخلافة والنبوة داخل في اللطف الإلهي الواجب عليه..... ١١٨
- عبد الله بن عمر قال لأبيه: «...ماذا تقول لله إذا لقيته ولم تستخلف على عباده»..... ١١٩
- وقالت عايشة لابن عمر: «يا بني أبلغ سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع...»..... ١١٩
- معاوية بن أبي سفيان يتمسك بهذا الحكم العقلي المسلّم في استخلاف يزيد..... ١١٩
- بيان أنّه لا يجوز توكيل الأمر إلى أفراد الأمة أو إلى أهل الحلّ والعقد منهم..... ١٢٠
- إذا كان نبيّ كموسى تكون وليدة اختياره من الآلاف المؤلّفة سبعين رجلاً، وإنّهم إذا بلغوا الميقات قالوا: أرنا الله جهرة، فما ظنّك بأفراد عاديّين واختيارهم؟! ١٢٠
- قد أخبر به النبيّ الأعظم من أوّل يومه يوم عرض نفسه على القبائل..... ١٢١
- لا بدّ أن يكون الخليفة أفضل الخليقة..... ١٢٢

الخلافة عند القوم:

- إنّهم يحسبون الخليفة أيّ مستحوذ على الأمة يقطع السارق، ويقتصّ القاتل، ويكلاً الثغور... ١٢٣
- كلمة الباقلاني في صفة الإمام الذي يلزم العقد له:..... ١٢٣
- قال الجمهور: لا ينخلع الإمام بنفسه وظلمه... بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله..... ١٢٤
- روي: «إسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجذع، ولو لعبد حبشيّ، وصلّوا وراء كلّ برّ وفاجر»!..... ١٢٤
- روي: «أطعمهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك، وأطيعوا ما أقاموا الصلاة»!..... ١٢٤
- أخذاً بهذه الأحاديث قال الجمهور بعدم عزل الإمام بالفسق..... ١٢٥
- فما عذر عايشة وطلحة والزبير ومن تبعهم في الخروج على مولانا أمير المؤمنين؟! .. ١٢٥

- كلمة التفتازاني: ١٢٥
- لا يشترط أن يكون الإمام هاشمياً ولا معصوماً ولا أفضل من يولّى عليه. ١٢٥
- إذا مات الإمام وتصدّى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف وقهر الناس بشوكة انعقدت الخلافة له. وكذا إذا كان فاسقاً أو فاجراً..... ١٢٥
- كلمة القاضي الإيجي: ١٢٦
- قال في بيان عدم اشتراط أن يكون الإمام هاشمياً، وأن يكون عالماً بجميع مسائل الدين، وأن يظهر المعجزة: «ويبطل الثلاثة أننا ندلّ على خلافة أبي بكر ولا يجب له شيء بما ذكر»! ١٢٧
- ما تنعقد به الإمامة ١٢٧
- قال الإيجي: «ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ والعقد كافٍ...»..... ١٢٧
- كلمة القرطبي: عمر عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر ذلك أحدٌ من الصحابة ١٢٨
- سمّوا المتخلفين عن بيعة عليٍّ عليه السلام المتعزلة لاعتزالهم بيعة عليٍّ. ١٢٨
- نظرة في الخلافة التي جاء بها القوم: ١٢٩
- على هذا الأساس تمكّن معاوية من أن يجلس بالكوفة للبيعة ويبايعه الناس على البراءة من عليٍّ بن أبي طالب ١٢٩
- على هذا الأساس أقرّ عبد الله بن عمر بيعة يزيد الخمور. ١٢٩
- على هذا الأساس يوجّه قول مروان: «إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك [سبّ عليٍّ عليه السلام]». ١٣٠
- على هذا الأساس يتمّ اعتذار شمر بن ذي الجوشن قاتل الإمام السبط. ١٣٠
- اتّبع الأكثرون الخليفة الأوّل في تقديم الفضول على الفاضل. ١٣٠
- لا تصوير لما حسبه من أنّ الفضول قد يكون أقدر وأعرف وأقوم. ١٣١
- لم يكن هناك من يزعم أو يفوه بأفضليّة أبي بكر وعمر من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. .. ١٣٢

- أبو بكر ينادي على صهوات المنابر: «وليتُ ولستُ بخيركم، ولي شيطان يعتريني». ١٣٢ ..
 عمر بن الخطاب يقول: «الأمر كان لعليٍّ غير أنهم زحزحوه عنه لحدائثة سنّة والدماء التي
 عليه» ١٣٢
 وأيضاً قال: «لله أبوك لولا دعاة فيك» ١٣٢
 التهافت بين تلکم الكلمات وبين مزاعم أخرى جنح إليها لفيف آخر. ١٣٣

٥ - رأي الخليفة في القدر

- بيان أنّ القدر لا يستلزم جبراً ١٣٥
 الذي يؤثر عن ابنته عايشة هو الجنوح إلى المعنى الثاني [القول بخلق الأعمال] يوم اعتذرت عن
 نهضتها على مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٦

٦ - رأي الخليفة في قصة مالك

- قال عمر لأبي بكر: إنّ سيف خالد فيه رهقٌ. فقال: يا عمر! تأوّل فأخطأ فادفع لسانك عن
 خالد فإنّي لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين ١٣٧
 نظرة في القضية: من جهتين: ١٣٧
 الأولى: ما ارتكبه خالد بن وليد من الطامّات والجرائم الكبيرة. ١٣٧
 عن رسول الله ﷺ: «من قُتل دون أهله فهو شهيد» ١٣٩
 كأنّ تلکم الجنود كانت مجتدة لوطء النساء وفضّ ناموس الحرائر؛ فترى خالد يقتل مثل مالك
 ويأتي بالطامّات رغبةً في نكاح أمّ تميم، وهذا يقتل سيّد العترة أمير المؤمنين شهوة في زواج
 قطام ١٤٠
 وهذا يزيد بن معاوية يدسّ إلى زوجة ریحانة رسول الله الحسن عليه السلام السمّ النقيع لتقتله
 ويتزوّجها ١٤٠
 وراء هؤلاء المعتدين قوم ينزّهون ساحتهم بأعذار مفتعلة كالتأويل والاجتهاد ١٤٠

- الثانية: تسليط الخليفة أولاً أمثال خالد على الأنفس والدماء والأعراض وصفحه ثانياً عن
 تلکم الطامات والجنايات الفاحشة. ١٤٠
 عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أقلّ الإنكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفّهرة» ١٤١
 ما للخليفة يتلعثم ويتلعذم في الدفاع عن خالد وجنایاته؟! فيرى تارة أنّه تأوّل وأخطأ،
 ويعتذر أخرى بأنّه سيفٌ من سيوف الله ١٤١
 لا يسوغ لكلّ فاعل تارك أن يتترّس بأمثال التأوّل والاجتهاد في معرّاته ١٤٢
 أنّ ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله شربوا الخمر بالشام وقالوا: شربنا لقول الله: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحُ فِيمَا طَعُمُوا»؛ فأقام عمر عليهم الحدّ ١٤٢

٧ - رأى الخليفة في فاقد الماء

الاجتهاد في حياة رسول الله !!

- تحريف وتدجيل ١٤٣
 عمر ينهى عن الإكثار من الحديث، خوف الخطأ، ولئلاّ يتشاغل الناس به عن القرآن ١٤٤
 مذهب مشهور عن عمر: عمر لم يكن يرى للجنب التيمّم ١٤٥
 الاجتهاد من الخليفة كان في حياة رسول الله؛ وهو أعجب شيء طرّق أذن الدهر! ١٤٥
 رأى الخليفة شاذّ عن الكتاب والسنة الثابتة وإجماع الأمة ١٤٦

٨ - قضاء الخليفة على مجنونة قد زنت

- أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه غير أنّه مهما وجد فيه مسّة بكرامة الخليفة حذف
 صدره تحقّظاً عليها! ١٤٧

٩ - اجتهاد الخليفة في قراءة الصلاة

- عمر لم يستند في صلاته إلى أصل مسلم؛ قرّة لم يقرأ في الركعة الأولى فيقضّيها في الثانية،
 وأخرى اكتفى بحسن السجود والركوع عن الإعادة، وطوراً يحتاط بالإعادة ١٤٧

١٠ - رأي الخليفة في الميراث

كأن الأحكام قضايا تدور مدار ما صدر عن رأي الخليفة سواءً أصاب الشريعة أم أخطأ ١٤٨

١١ - أمر الخليفة برجم امرأة حامل قد اعترفت بالفجور

لولا عليّ لهلك عمر ١٤٩

١٢ - رأي الخليفة في امرأة تزوجها رجل في عدتها

قال عمر: يا أيها الناس رُدّوا الجهالات إلى السنة ١٤٩

١٣ - اجتهاد الخليفة في الجدّ

عن رسول الله ﷺ: «ما سؤالك عن ذلك يا عمر؟! إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلم ذلك». ١٥٠
عن عبيدة: إنّي لأحفظ عن عمر في الجدّ مئة قضية كلّها ينقض بعضها بعضاً ١٥٠
قال ابن أبي الحديد: «كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثمّ ينقضه ويفتي بضده وخلافه». ١٥٠

١٤ - حكم الخليفة برجم مضطرة!

ليتني أدري ما كان صيرّه وأيّ مبلغ كانت تبلغ بوائق أقضيته إن لم يكن في الأمة عليّ أمير المؤمنين! ١٥١

١٥ - رأي الخليفة في حدّ الخمر

ما بال عمر وهو خليفة المسلمين يستشير ويستفتي في حكم من أحكام الدين ثبت بسنة ثابتة عن صاحب الشريعة؟! ١٥١

١٦ - رأي الخليفة في القود

إنّ رجلاً شج رجلاً من أهل الذمّة، فهمّ عمر بن الخطاب أن يقيده منه ١٥٢

١٧ - رأي الخليفة في ذمي مقتول

وجد عمر بن الخطاب رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمّة فهمّ أن يقيده ١٥٢

١٨ - رأي الخليفة في الأصابع

قال ابن عباس : «قول رسول الله أحق أن يتبع من قول عمر» ١٥٢

١٩ - رأي الخليفة في سارق

أتى عمر بن الخطاب برجلٍ أقطع اليد والرجل قد سرق . فأمر به عمر أن يقطع رجله! ... ١٥٣

٢٠ - رأي الخليفة في شجرة الرضوان

قال عمر : أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى ... ثم أمر بها فقطعت ١٥٤

٢١ - رأي الخليفة في آثار الأنبياء

ما المانع من تعظيم آثار الأنبياء وفي مقدمهم سيّد وُلد آدم محمد ﷺ إذا لم يكن خارجاً عن

حدود التوحيد؟! ١٥٤

أيّ مكان أشرف من مكان حلّ به النبيّ الأعظم ﷺ؟! ١٥٤

٢٢ - اجتهاد الخليفة في البكاء على الميت

الاجتهاد في حياة رسول الله ﷺ بمرأى منه ومشهد !!

بكت النساء فجعل عمر يضربهنّ بسوطه فأخذ رسول الله ﷺ يده وقال : «مهلاً يا عمر! دعهنّ

يبكين» ١٥٥

لا أعلم أنّ الصديقة الفاطمة التي كانت من الباقيات في ذلك اليوم هل كانت بين تلكم النسوة

المضروبات؟! ١٥٦

كانت للخليفة في حياة رسول الله ﷺ بمرأى منه ومشهد مواقف لدة هذه لم يصب فيها

قطّ ١٥٦

أنّ الخليفة بقي على اجتهاده والسوط بيده يردع به ويزجر مستنداً إلى ما اختلقته يد الإفك على

رسول الله ﷺ ممّا يخالف العقل والعدل والطبيعة أنّه قال : «إنّ الميت يعذب ببكاء

الحيّ» ١٥٦

- حديث عمر: «إنَّ الميِّتَ يعذَّبُ ببكاء الحيِّ»، فقد كذَّبته عايشة. ١٥٦
- يبكي ﷺ على ولده العزيز إبراهيم وعلى ابنه طاهر وعمّه حمزة و... ١٥٧
- الصدّيقة الطاهرة وقفت على قبر أبيها الطاهر وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينيها وبكت وأنشأت تقول:
- «صُبَّتْ عليّ مصائبٌ لو أنّها صُبَّتْ على الأيام صرُنَ لياليا» ١٥٨

٢٣ - اجتهاد الخليفة في الأضحية

- أبو بكر وعمر كانا لا يضحيان كراهية أن يقتدى بهما فيظنّ من رآهما أنّها واجبة! ١٥٩
- لو كان ما حسباه مطّرداً لزم ترك المستحبات كلّها. ١٥٩
- العجب أن الخليفة هاهنا ينقض السنّة خشية ظنّ الأمّة الوجوب، ويسنّ لها ما لا أصل له في الدين كزكاة الخيل وصلاة التراويح إلى أحداث أخرى كثيرة! ١٦٠

٢٤ - رأي الخليفة في تحقّق البلوغ

- كتب عمر في غلام من أهل العراق سرق: أن أشبروه فإن وجدتموه ستّة أشبار فقطعوه. ١٦٠
- المساحة بالأشبار فهو من فقه الخليفة ومحدثاته فحسب. ١٦٠

٢٥ - تنقيص الخليفة من الحدّ

- أنظر إلى الرجل كتف يتلوّن في الحكم! ١٦١
- في الحديث: «يؤتى بالرجل الذي ضرب فوق الحدّ فيقول: لمّ ضربت فوق ما أمرتك؟...» ١٦١

٢٦ - اجتهاد الخليفة في الطلاق الثلاث

- قال عمر: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيّناه عليهم؛ فأمضاه عليهم ١٦١
- بيان أن الطلاق الثلاث لا يتحقّق بجمع التطليقات بكلمة - ثلاثاً - ولا بتكرار صيغة ثلاثاً

- ١٦٢ متعاقبةً بلا تخلل عقد النكاح بينها .
- ١٦٣ عن رسول الله ﷺ : «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟»
- ١٦٣ لبعض أعلام القوم في المسألة كلمات تشدق بها ، وأعجب ما رأيتُ فيها كلمة العيني .
- قال الشيخ صالح بن محمد العمري : «أنّ حكم الحاكم المجتهد إذا خالف نصّ كتاب الله تعالى أو
- سنة رسول الله ﷺ ، وجب نقضه ومنع نفوذه» . ١٦٤ - ١٦٥

٢٧ - رأي الخليفة في العجم

- ١٦٥ أبى عمر أن يورث أحداً من الأعاجم إلّا أحداً ولد في العرب .
- ١٦٥ هذه العصبية إلى أمثالها هي التي تفكك عرى الاجتماع .
- ١٦٦ عن رسول الله ﷺ : «ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ...»
- ١٦٦ قال ﷺ : «سلمان منّا أهل البيت» .
- ١٦٦ قال ﷺ : «لو كان العلم بالثريّا لتناوله أناس من أبناء فارس» .
- ١٦٦ روايات في مذمة العصبية !

٢٨ و ٢٩ - رأي الخليفة في المتعتين

- ١٦٧ متعة الحجّ :
- عن ابن عباس : «يوشك أن ينزل عليكم حجارة من السماء ؛ أقول : قال رسول الله ﷺ ،
- ١٦٨ وتقولون : قال أبو بكر وعمر» .
- ١٦٨ متعة النساء :
- ١٦٨ قال عليّ عليه السلام : «لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلّا شقيّ» .
- ١٦٩ المتعتان : متعة الحجّ ومتعة النساء .
- قال عمر في خطبته : «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنها وأعاقب
- ١٦٩ عليهما...» .

- الأحاديث تعرب عن أن المتعنتين كانتا على عهد رسول الله ﷺ، ونزل فيهما القرآن، وأول من
 نهى عنها عمر ١٦٩
- نظرة في المتعنتين: ١٧٠
- ١ - نهى عمر عن متعة الحج لما استهجنه من توجه الناس إلى الحج ورؤوسهم تقطر ماءً بعد
 بجامعة النساء بعد تمام العمرة. ١٧٠
- ٢ - إن عمر يعدّ متعة النساء من السفاح. ١٧٠
- ٣ - جمع من الصحابة والتابعين الذين أباحوها. ١٧١
- ٤ - جاء قوم راقهم أن ينحتوا النهي عمر حجة قوية؛ فادّعوا نسخ الآية بالكتاب تارة وبالسنة
 أخرى. ١٧٢
- ٥ - ردّ النسخ بالكتاب. ١٧٢
- ٦ - ردّ النسخ بالسنة. ١٧٣
- ٧ - نعرات القرن العشرين لصحابها موسى الوشيعة: ١٧٣
- أرى أن المتعة من بقايا الأنكحة الجاهلية. ١٧٣
- كانت المتعة أمراً تاريخياً ولم تكن حكماً شرعياً بإذن من الشارع. ١٧٣
- كُتب الشيعة ترفع إلى الباقر والصادق أن «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» منزل في المتعة، وأحسن
 الاحتمالين أن السند موضوع، وإلا فالباقر والصادق جاهل! ١٧٥
- ٨ - المتعة في الكتاب. ١٧٥
- ذكر جمع من أعلام أهل السنة صرحوا بنزول الآية في المتعة. ١٧٦
- ٩ - أكاذيب الرجل وعزو القول بنزول الآية إلى الشيعة فحسب كلّها مقدمة لسبّ الإمامين
 الطاهرين الباقر والصادق عليه السلام، وهو يعلم وكلّ ذي نصفة يدري أن أئمة قومه الأربعة عائلة
 الإمامين في علمهما. ١٧٨

- ١٠ - حدود المتعة في الإسلام ١٧٩
- ١١ - إقرأ واضحك أو ابك : اعتذر القوشجي عن عُمر بقوله : «إنّ ذلك ليس ممّا يوجب قدحاً فيه ؛ فإنّ مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع» ! ١٨٠
- ١٢ - إنّي أعذر القوشجي ؛ لالتزامه بدحض كلّ ما جاء به نصير الدين الطوسي ؛ لئلاّ يُعزى إليه العجز والتواني في الحجاج ؛ فلا بدّ أن يأتي بكلّ ما دبّ ودرج سواء كان حجّة له أو وبالاً عليه ١٨٠

٣٠ - اجتهاد الخليفة في الخمر وآياتها

- شرب عمر الخمر فأخذ بلحى بعير وشجّ به رأس عبد الرحمن بن عوف ، ثمّ قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر ١٨١
- كان عمر يحبّ الخمر وكان أشرب الناس في الجاهليّة ١٨٣
- ولاعتياده بها يشرب النبيذ الشديد بعد نزول آية المائدة في حجة الوداع وكان يقول : «إنّا نشرب هذا الشراب الشديد لنقطع به لحوم الإبل في بطوننا أن تؤذينا ...» ١٨٤
- وقال : «إنّي رجل معجار البطن وأشرب هذا النبيذ الشديد فيسهل بطني» ١٨٥
- كان يشرب النبيذ الشديد إلى آخر نفس لفظه ١٨٥
- قال عمرو بن ميمون : «شهدتُ عُمر حين طعن أتي بنبيذ شديد فشربه» ١٨٥
- كان حدّة شرابه وشدّته بحيث لو شرب غيره منه لسكر وكان يقيم عليه الحدّ ؛ غير أنّ الخليفة كان لم يتأثّر لاعتياده أو كان يكسره ويشربه ١٨٥
- قال الشعبي : شرب أعرابيّ من أداوة عمر فأغشي عليه فحدّه عمر . ثمّ قال : وإنما حدّه للسكر لا للشرب ١٨٥
- كأنّ المدار عند الخليفة في حلّيّة الأشرية والحدّ عليها على الإسكار وعدمه بالإضافة إلى شخص كلّ شارب ١٨٦

٣١ - الخليفة أول من أعال الفرائض

- قال عمر: «ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن... ما نضلّ ما تمسكنا بالأثر» ١٨٨
- وقال: «ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ ضرراً من جهل إمام وخرقه» ١٨٨
- وأيضاً قال: «تفقّهوا قبل أن تسودوا» ١٨٨

٣٢ - رأي الخليفة في بيت المقدس

- جملة ممّا ورد في بيت المقدس وقصده للصلاة ١٨٩
- شدّ الرحال إلى أيّ من المساجد يكون من المباحات الأوّليّة التي لم يرد عنها نهى؛ فما معنى الإرهاب بالدرة في مثلها؟! ١٨٩ - ١٩٠

٣٣ - رأي الخليفة في المجوس

- أولا تعجب ممّن يتصدّى للخلافة الكهري ولا يعرف أمسّ لوازمها بها؟! ١٩٠
- قال النبي ﷺ: «من تولى من أمر المسلمين شيئاً فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أنّ فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسوله فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين» ١٩١

٣٤ - رأي الخليفة في صوم رجب

- لقد عزب عن الخليفة ما جاء عن رسول الله في خصوص صوم رجب وما جاء عنه في صوم ثلاثة أشهر من كلّ شهر و ١٩١

٣٥ - اجتهاد الخليفة في السؤال عن مشكلات القرآن

- قال الغزالي: «عمر هو الذي سدّ باب الكلام والجدل وضرب صبيغاً بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله» ١٩٣
- هل تبقى قائمة لأصول التعليم والتعلّم والحالة هذه؟! ١٩٤
- الأمّة حرمت ببركة تلك الدرة عن التقدّم والرقى في العلم ١٩٤

هاب مثل ابن عباس أن يسأل الخليفة ١٩٤

٣٦ - رأي الخليفة في السؤال عما لم يقع

قال عمر: «لا يحمل لأحد أن يسأل عما لم يكن» ١٩٤

٣٧ - نهى الخليفة عن الحديث

أردف الحادثين في مشكل القرآن، والسؤال عما لم يكن، بثالث أقطع وهو نهى الخليفة عن الحديث عن رسول الله ١٩٥

إن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود، أبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصارى لإكثارهم الحديث عن رسول الله ﷺ ١٩٥

هل خفي على الخليفة أن الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب؟ ١٩٦

سيرة الخليفة هذه ضربة قاضية على الإسلام وعلى أمته ١٩٦

٣٨ - المنع عن كتابة السنن

قال عمر: إنني كنت أريد أن أكتب السنن، إنني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله ١٩٦

اقتنى أثر الخليفة جمعٌ وذهبوا إلى المنع عن كتابة السنن خلافاً للسنة الثابتة ١٩٧

٣٩ - قضاء الخليفة في امرأة ولدت لستة أشهر

لا يُربّي بيت أميّة أربي من هذا البشر، ولا يجتنى من تلك الشجرة أشهى من هذا الثمر ١٩٨

٤٠ - إتمام عثمان الصلاة في السفر

نظرة في رأي الخليفة ٢٠٠

راق أولئك الأئمة التحفظ على كرامة الخليفة ولو بالإفتاء بغير ما أنزل الله، وكم له من نظير! ٢٠٣

لم يبق عند الخليفة إلا قوله: «رأي رأيته»! ٢٠٤

- أعدارُ أخرى اصطنعوا له هي أو هن من بيت العنكبوت. ٢٠٤
- كانت السنّة الثابتة عند جميع الصحابة بقولٍ واحد وجوبُ القصر للمسافر، ولم يكن في المسألة خلافٌ إلى يوم أحد وثمة عثمان. ٢٠٦
- الدين عند السلف سياسة وقتية. ٢٠٦
- لماذا كانت مخالفة عثمان شراً، ولم تكن مخالفته ومخالفتهم على ناموس الشريعة ونبيّها شراً؟! ٢٠٧

٤١ - إبطال الخليفة الحدود

- أن الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلى بالناس الغداة ركعتين ثم التفت فقال: أزيدكم؟ ... ٢١٠-٢١١
- قال عليّ عليه السلام: «عطّلت الحدود وضربت قوماً شهدوا على أخيك فقلّبت الحكم، وقد قال عمر: لا تحمل بني أميّة وآل أبي معيط خاصّة على رقاب الناس» قال فما ترى؟ ٢١١
- قال عليّ عليه السلام: «أرى أن تعزله ولا تولّيه شيئاً من أمور المسلمين...» ٢١١
- إنّ الوليد بن عقبة كان زانياً شريب الخمر. ٢١٢
- قد عرفه تعالى بقوله: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» وبقوله: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ...» ٢١٣
- لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن قوله تعالى: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ...» نزلت في الوليد. ٢١٣
- فهل من الممكن أن يحوز مثله حنكة الولاية عن إمام المسلمين؟! ٢١٣

٤٢ - رأي الخليفة في متعة الحجّ

- حجّته في النهي عن المتعة، والجواب عنها. ٢١٥
- ما العلم إلّا كتاب الله والأثر وما سوى ذلك لا عين ولا أثر ٢١٥
- يعاتب عثمان أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام على عدم موافقته له في رأيه المجرد الشاذّ عن حكم الله حتّى وقع الحوار بينهما وكاد من جرّاء ذلك يُقتل عليّ عليه السلام. ٢١٦

- قال ابن سيرين: «كان عثمان أعلمهم بالمناسك وبعده ابن عمر»! ٢١٦
 إن كان أعلم الأمة هذه سيرته وهذا حديثه، فعلى الإسلام السلام. ٢١٦

٤٣ - رأي الخليفة في الجنابة

- قلتُ: أرايت إذا جامع الرجل امرأته ولم يُنِّ؟ قال عثمان: يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ويتغسل ذكره. ٢١٧
 لا تعجب عن بخاريّ يقدم في الفتوى رأي مثل عثمان على ما جاء به رسول الله ﷺ، وتقديمه نظراء عمران ابن حطان الخارجي على الإمام الصادق عليه السلام في الرواية. ٢٢٠

٤٤ - رأي الخليفة في زكاة الخيل

- للحنفية هاهنا تفصيل مجرّد عن أيّ برهنة ضربت عنه الأمة صفحاً. ٢٢١

٤٥ - تقديم عثمان الخطبة على الصلاة

كل سنن رسول الله ﷺ قد غيّرت حتى الصلاة!!

- عثمان رأى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة، وأمّا مروان فراعى مصلحتهم في استماعهم الخطبة. ٢٢٢
 ليتني أدري كيف يُتقرّب إلى المولى سبحانه بصلاة بدّلوا فيها سنّة الله. ٢٢٣
 تابع عثمان المسيطرون من الأمويين من بعده فخالقوا السنّة المتبعة بتقديم الخطبة. ٢٢٣
 الوجه في تقديم عثمان غيره في من تبعه: ٢٢٣
 أمّا هو فكان يُرتج عليه القول فلا يروق المجتمعين ما يتكلّفه من تلفيقه غير المنسجم فيتفرّقون: ٢٢٣
 فقدّمها ليصيخوا إليه. ٢٢٣
 قال عثمان: أنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال. ٢٢٤
 لعلّه لحراجة الموقف عليه كان يماطل الخطبة باستخبار الناس وسؤالهم عن أخبارهم وأسعارهم وهو على المنبر. ٢٢٤

وأما من عداه من آل أمية، فكانوا يسبون ويلعنون مولانا أمير المؤمنين ﷺ في خطبهم، فلا
تجلس لهم الناس، فقدّموا الخطبة ليضطرّ الناس إلى الاستماع له ٢٢٥
كلّ سنن رسول الله قد غيّرت حتى الصلاة ٢٢٦
العجب ممّن يرى هؤلاء وأمثالهم من سيطرة الشهوات والميول، عدولاً بما أنّهم من الصحابة،
والصحابة كلّهم عدولٌ عندهم ٢٢٧

٤٦ - رأي الخليفة في القراءة

إنّ عمر ترك القراءة في المغرب في إحدى الأوليين فقضاها في الركعة الأخيرة وجهرًا وعثمان
ترك القراءة في الأوليين من صلاة العشاء فقضاها في الآخرين وجهرًا ٢٢٧
ما ارتكبه الخليفتان مخالفٌ للسنة من ناحيتين ٢٢٧
لا حجة في قول أحدٍ بعد رسول الله ﷺ ٢٢٩

٤٧ - رأي الخليفة في صلاة المسافر

كتب عثمان إلى عمّاله: «لا يصلي الركعتين جابٍ ولا تاجر ولا تان، إنّما يصلي الركعتين من معه
الزاد والمزاد» ٢٣٠
من أين جاء عثمان بهذا القيد في السفر، والأحاديث المأثورة في صلاته ﷺ مطلقات
كلّها؟! ٢٣٠

٤٨ - رأى الخليفة في رجلٍ طلق امرأته ثم راجعها حين دخلت في الحيضة الثالثة

الخليفة يأخذ حكم الله من أبيّ ٢٣٠
لو ترك الأمر لمن لا يسأل غيره في أيّ من مسائل الشريعة لدخل مدينة العلم من بابها ٢٣٢
حسبك في مبلغ علم الخليفة قول العيني: «إنّ عمر كان أعلم وأفقه من عثمان» ٢٣٢

٤٩ - اتّخاذ الخليفة الحمى له وللنويه

عن رسول الله ﷺ: «لا حمى إلّا لله ولرسوله» ٢٣٣

قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة يبغضهم الله» وعدّ فيهم من استنّ في الإسلام سنّة الجاهليّة . ٢٣٣- ٢٣٤
 كان حقّاً على الرجل أن يحمى حمى الإسلام قبل حمى الكلا . ٢٣٤

٥٠ - إقطاع الخليفة فذك لمروان

كلام حول فذك ٢٣٤
 لم تنزل فذك في يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبد العزيز فانزعها من أهله وردّها
 صدقة . ٢٣٤
 قد تضاربت أعمال الخلفاء الثلاثة في أمر فذك فانزعها أبو بكر من أهل البيت، وردّها عمر
 إليهم، وأقطعها عثمان بمروان و ٢٣٥

٥١ - رأي الخليفة في الأموال والصدقات

كان له رأي حرّ فيها وفي مستحقّيها، كان يرى المال مال الله، ويحسب نفسه وليّ المسلمين،
 فيضعه حيث يشاء، ويفعل فيه ما يريد . ٢٣٦
 كان ﷺ إذا جاءه فيء قسّمه من يومه فأعطى ذا الأهل حظّين، وأعطى العزب حظّاً . ٢٣٦ ...
 السنّة الثابتة في الصدقات أن كلّ بيئة أحقّ بصدقّتهم مادام فيهم ذو حاجة . ٢٣٦
 أتى عليّاً مالٌ من إصبعها فقسّمه بسبعة أسباع ففضل رغيف فكسره بسبع كسر . ٢٣٧
 عثمان قدّم أبناء بيته الساقط، أثمار الشجرة الملعونة في القرآن، وفضّلهم على أعضاء الصحابة
 وعظماء الأُمّة الصالحين . ٢٣٨
 كان يهب من مال المسلمين لأحدٍ من قرابته قناطير مقنطرة من الذهب والفضّة دون أيّ كيل
 ووزن ٢٣٨
 لم يكن يجرو أحدٌ عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ٢٣٨
 فيهم من اهتك والتغريب والضرب بدرة كانت أشدّ من الدرة العمرية مشفوعة بالسوط
 والعصا ٢٣٨

إليك نبذة من سيرة الخليفة في الأموال:

٥٢ - أيادي الخليفة عند الحكم بن أبي العاص

إيواء لعين رسول الله ﷺ وطريده!

- أعطى صدقات قضاة الحكم بن أبي العاص عمه، طريد النبي ﷺ ٢٣٨
- قال عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة: أيها الناس زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته وإنما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم، ورمى بها ٢٣٩
- الحكم وما أدراك ما الحكم؟! ٢٣٩
- كان خصاء يخصي الغنم، أحد جيران رسول الله ﷺ بمكة، من أولئك الأشداء عليه المبالغين في إيذائه ٢٣٩
- الحكم يغمز النبي ﷺ بإصبعه فقال ﷺ: أَللَّهُمَّ اجعل به وزغاً؛ فرجف مكانه وارتعش ٢٤٠
- قال رسول الله ﷺ فيه: «لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم، ذوومكر وخديعة يُعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق» ٢٤١
- الحكم في القرآن: ٢٤١
- قال رسول الله ﷺ: إني أريت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا ٢٤١
- إن الشجرة الملعونة هو بنو أمية ٢٤٢
- نظرة في كلمتين: ٢٤٣
- ١ - قال الطبري بعد روايته حديث الرؤيا: «لا يدخل في هذا الرؤيا عثمان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاوية» ٢٤٣
- قال رسول الله ﷺ: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم» ٢٤٣
- قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً و...» ٢٤٣

- ٢ - قال ابن حجر في الصواعق: «لعنته للحكم وابنه لا تضرها؛ لأنه ﷺ تدارك ذلك بقوله مما بيته في الحديث الآخر: «إنه بشر يغضب كما يغضب البشر، وإنه سأل ربه أن من سبه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمةً وزكاةً وكفارةً وطهارةً...» ٢٤٤
- المساءلة: نسائل الخليفة في إيواء لعين رسول الله...؟! ٢٤٥
- ألم تكن للخليفة أسوة في رسول الله؟! ٢٤٦
- لما ردّ عثمان الحكم طريد النبي إلى المدينة فقال عثمان: ما ينقم الناس مني؟! إني وصلتُ رحماً وقرّيتُ عيناً! ٢٤٧
- ردّهم إلى المدينة جنايةً كبيرة على الأمة لا تغتفر ولا تقرّ بها قطّ عين. ٢٤٧

٥٣ - أيادي الخليفة عند مروان

يُعطى سهم ذوي قربى الرسول ﷺ لطريده ولعينه!!

- أعطى الخليفة مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن عمّه وصهره من ابنته أمّ أبان خمس غنائم إفريقيّة ٢٤٧
- مروان وما مروان؟! ٢٤٧
- مرّ الحكم بن أبي العاص فقال النبي ﷺ: «ويلٌ لأمتي ممّا في صلب هذا» ٢٤٩
- كان مروان يلقب خيط باطل؛ لدقته وطوله شبه الخيط الأبيض الذي يُرى في الشمس. ٢٤٩
- ما كان يقيم لنواميس الدين وزناً، وإنما كان يلحظها كسياسات زمنيّة فلا يبالي بإبطال شيء منها؛ وإليك من شواهد ذلك: ٢٤٩
- ١ - تقديم الخطبة على الصلاة لسبب أمير المؤمنين ولعنه. ٢٤٩
- ٢ - سبه لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ٢٥٠
- الحجر الأساسي في ذلك هو عثمان جرّاً الوزغ اللعين على أمير المؤمنين ٢٥٠
- قيل له: ما لكم تسبّونه على المنابر؟ قال: «إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك»! ٢٥١

- إذا صحَّ أن كلَّ من شتم أحداً من أصحاب رسول الله دَجَّالٌ وعليه لعنة الله ، فما قيمة مروان عندئذٍ؟! ٢٥١
- كان مروان يتربَّص الدوائر على آل بيت العصمة والقداسة ويغتنم الفرص في إيذائهم . . . ٢٥١
- أبي مروان أن يدفن الحسن (عليه السلام) في حجرة رسول الله . ومروان يومئذٍ معزولٌ يريد أن يرضي معاوية بذلك . . . ٢٥١
- أي خليفة هذا [معاوية] يُجلب رضاه بإيذاء عترة رسول الله؟! ٢٥٢
- من العزيز على الله ورسوله أن يُعطى سهم ذوي قربى الرسول ﷺ لطريده ولعينه قد منعه النبي ﷺ وقومه من الخمس . . . ٢٥٣

٥٤ - إعطاء الخليفة وعطيته الحارث

- أعطى الخليفة الحارث بن الحكم بن أبي العاص - أخا مروان وصهر الخليفة من ابنته عايشة - ثلاثمائة ألف درهم . . . ٢٥٤

٥٥ - حظوة سعيد من عطية الخليفة

- أعطى الخليفة سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن بني أمية مئة ألف درهم . . . ٢٥٥
- كان العاص أبو سعيد من جيران رسول الله الذين كانوا يؤذونه ، وقتله مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم بدر مشركاً . . . ٢٥٥
- الصلة إنما تستحسن من الإنسان إن كان الإنفاق من خالص ماله لا المال المشترك بين آحاد المسلمين . . . ٢٥٥-٢٥٦

٥٦ - هبة الخليفة للوليد من مال المسلمين!

- أعطى الخليفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية أخا الخليفة من أمه ما استقرض عبد الله ابن مسعود من بيت المال ، ووهبه له . . . ٢٥٦
- طَرَحَ ابن مسعود المفاتيح وقال: كنتُ أظنُّ أني خازنٌ للمسلمين ، فأما إذ كنتُ خازناً لكم

- فلا حاجة لي في ذلك ٢٥٧-٢٥٦
- الوليد ومن ولده ٢٥٧
- قال رسول الله ﷺ: «كنتُ بين شرّ جارين؛ بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط. إن كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي...» ٢٥٧
- لما بزق عقبة رسول الله رجع بزاقه على وجهه ٢٥٧
- هذا الوالد، وما أدراك ما ولد؟! ٢٥٧
- كلام الإمام الحسن عليه السلام في الوليد يوم تكلم عليه في مجلس معاوية ٢٥٩
- قال في تهذيب التهذيب: «قد ثبتت صحبته، وله ذنوبٌ أمرها إلى الله تعالى، والصواب السكوت»! ٢٥٩
- نحن لا نرى السكوت صواباً بعد أن لم يسكت عنه الذكر الحكيم وسمّاه فاسقاً ٢٥٩
- مهما سكنتنا عن أمر بينه وبين الله سبحانه، فليس من السائغ أن نسكت عن ترتيب آثار العدالة عليه والرواية عنه وهو فاسقٌ في القرآن ٢٥٩

٥٧ - عطية الخليفة أبا سفيان!

كان رأس المشركين وكهفاً للمنافقين منذ أسلم!

- أعطى أبا سفيان بن حرب مئتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمئة ألف من بيت المال ٢٦٠
- قال له علي عليه السلام: «ما زلتَ عدوّاً للإسلام وأهله» ٢٦٠
- قال أبو سفيان: «يا بني عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جنة ولا نار» ٢٦٠
- وأيضاً قال: «اللهم اجعل الأمر أمر جاهليّة، والملك ملك غاصبيّة، واجعل أوتاد الأرض لبني أميّة» ٢٦١
- قال ابن حجر: كان رأس المشركين يوم أحد والأحزاب ٢٦١
- كلمة أمير المؤمنين في معاوية وأبي سفيان: «طليق بن طليق...» ٢٦١

إن رسول الله لعنه وابنيه معاوية ويزيد لما رآه راكباً وأحد الولدين يقود والآخر يسوق. ٢٦١

٥٨ - الكنوز المكتنزة ببركة الخليفة

اقتنى جماعة من رجال سياسة الوقت وأصحاب الفتن ثروة طائلة ببركة تلك السيرة الأموية

في الأموال ؛ منهم : ٢٦٢

١ - الزبير بن العوام ٢٦٢

٢ - طلحة بن عبيد الله التيمي ٢٦٣

٣ - عبد الرحمن بن عوف الزهري ٢٦٣

٤ - سعد بن أبي وقاص ٢٦٤

٥ - يعلى بن أمية ٢٦٤

٦ - زيد بن ثابت ، الدافع الوحيد عن عثمان ٢٦٤

أمّا ما اقتناه الخليفة لنفسه فحدّث عنه ولا حرج ٢٦٤

كان ينضّد أسنانه بالذهب ويتلبّس بأثواب الملوك ٢٦٤

قال عثمان : «هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم» . . . ٢٦٥

صورة متّخذة من أعطيات الخليفة والكنوز العامرة ببركته ٢٦٦

نسأل الخليفة عن علّة قصر هذه الأثرة على المذكورين ؟! أو أنّ الشريعة منعت عن الصلات

للمصلحاء الأبرار من أمة محمّد؟! فيجب عليهم أن يقاسوا الشدّة ، ويشملهم المنع بين منفيّ

ومضروب ومهان ٢٦٧

هذا سيّدهم أسير المؤمنين يقول : «إن بني أمية ليُفوّقوني تراث محمّد تفويقاً» . . . ٢٦٧

يُعلم حكم تلكم الأعطيات من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام : «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان ، وكلّ

مال أعطاه من مال الله ، فهو مردودٌ في بيت المال ... ولو وجدته قد تزوّج به النساء وفرّق في

البلدان لرددته إلى حاله» . . . ٢٦٨

ثمّ أمر عليه السلام بكلّ سلاح وُجد لعثمان في داره ممّا تقوى به على المسلمين فقبض و... . ٢٦٨

٥٩ - الخليفة والشجرة الملعونة في القرآن

- كان مزيج نفس الخليفة حبّ بنى أبيه آل أميّة الشجرة الملعونة في القرآن وتفضيلهم على الناس ٢٦٨
- قال عمر: «لو وليها عثمان لحمل بنى أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه». .. ٢٦٨
- كان يبذل كلّ جهده في تأسيس حكومة أمويّة، غير أنّ القدر الحاتم راغمة على منويّاته فجعل الذكر الجميل الخالد لآل عليّ عليه السلام ٢٦٩
- ولّى الخليفة على الأمر أغلّة بنى أميّة وشبابهم المترّف ٢٦٩
- هم المعنيّون في قوله ﷺ: «سيكون أمراء من بعدي يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون» ٢٦٩
- قال رسول الله ﷺ: «من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أنّ فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيّه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين». ٢٧٠
- وأيضاً قال: «من تقدّم على قوم من المسلمين وهو يرى أنّ فيهم من هو أفضل منه خان الله ورسوله والمسلمين». ٢٧٠
- كان للخليفة وراء ذلك أمل بأنّه لو بيده مفاتيح الجنّة ليعطيها بنى أميّة حتّى يدخلونها من عند آخرهم ٢٧٠
- تدعو الخليفة عصبيّته العمياء إلى أن يعارض بمثل هذا التافه قوله ﷺ: «يا معشر بنى هاشم! والذي بعثني بالحقّ نبياً لو أخذت بحلقة الجنّة ما بدأت إلّا بكم». ٢٧١

٦٠ - تسيير الخليفة أبا ذر إلى الربرة!

- بنى معاوية الخضراء بدمشق؛ فقال أبو ذر: يا معاوية! إن كان هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت مالك فهذا الإسراف ٢٧٢
- قال عثمان لعليّ عليه السلام: «لم لا يشتبك [أي مروان] إذا شتمته فوالله ما أنت عندي بأفضل منه!» ٢٧٤

قال علي عليه السلام: «والله ما أردتُ تشييع أبي ذرٍّ إلاَّ الله» ٢٧٥
 كلمة أمير المؤمنين لما أخرج أبوذر إلى الربرة ٢٧٥
 هلمَّ معي إلى نظارة التنقيب: موقف أبي ذر من الإيمان، ومبلغه من العلم، ومكانته عند
 صاحب الرسالة :

- ١ - تعبده قبل البعثة، سبقه في الإسلام، ثباته على المبدء ٢٧٦
- ٢ - حديث علمه ٢٧٧
- ٣ - حديث صدقه وزهده ٢٧٧
- ٤ - حديث فضله ٢٧٨
- ٥ - عهد النبي ﷺ إلى أبي ذر ٢٧٩
- لماذا نودي عليه في الشام أن لا يجالسه أحد؟! ولماذا يفرّ الناس منه في المدينة؟! ٢٨٠
- لماذا حظر عثمان على الناس أن يقاعدوه ويكلّموه؟! ٢٨٠
- لماذا يمنع الخليفة عن تشييعه ويأمر مروان أن لا يدع أحداً يكلّمه؟! ٢٨٠
- الخليفة أسير هوى قومه ومسير بشهواتهم ٢٨١
- كان يُنكر أبو ذر على معاوية المتخذ شناسن الأكاسرة وكان في العهد النبويّ صلوكاً
 لا مال له ٢٨٢
- في لفظٍ: «إنّ معاوية ترب خفيف الحال» ٢٨٢
- قال أبوذر: «والله ما وجدتُ لي عذراً إلاَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ٢٨٢
- قال عثمان لما غضب على أبي ذر: «أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذاب إمّا أن أضربه أو أحبسه
 أو أقتله»! ٢٨٣
- أجاب عثمان مولانا أمير المؤمنين لما دافع عن أبي ذر بجواب غليظ أخفاه الواقدي وما أحبّ أن
 يذكره ٢٨٣

قد تجهّم عثمان مرّة أخرى أمام أمير المؤمنين عليه السلام بكلام فظّ لما شيع هو وولداه أبا ذر في سبيله إلى المنفى! ٢٨٤

جناية التاريخ:

١ - البلاذري؛ أنكر إخراج عثمان إتياءه وادّعى أنّه خرج إلى الربذه راغباً في سكنائها. ... ٢٨٥

٢ - ابن جرير الطبري؛ قال: «قد ذكر في سبب إشخاصه إتياءه منها إليها أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها» ٢٨٦

نظرة قيّمة في تاريخ الطبري. ٢٨٧

شوة الطبري تاريخه بمكاتبات السريّ الكذاب الوضع. ٢٨٧

٣ - ابن الأثير الجزري؛ قال: «وفي هذه السنة كان ما ذكر في أمر أبي ذر وإشخاص معاوية إتياءه ...، لا يصحّ النقل به. ولو صحّ لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان؛ فإنّ للإمام أن يؤدّب رعيّته ...» ٢٨٨

ما بال الخليفة يتحرّى تأديب أبي ذر وهو هذا، ويهظه تأديب الوليد بن عقبة السكير. ٢٨٩

٤ - عماد الدين بن كثير. ٢٩٠

ابن كثير أخذ من الطبري في التاريخ، وجلّ ما عنده إنّما هو ملخص ما فيه مع التصرّف فيه على ما يروقه. ٢٩٢

انّ شنشنة الرجل في الفضائل أنّه إذا قدم لسرد تاريخ من يهواه من الأمويّين، جاء بأشياء كثيرة، لكنّه إذا وصلت النوبة إلى ذكر أحد من أهل البيت عليه السلام أو شيعتهم، تلكأ وتلعثم كأنّ في لسانه عقلة. ٢٩٣

نظريّة أبي ذر في الأموال: ٢٩٣

كان سيّدنا أبو ذر يرى الأموال تُجبي إلى معاوية فيقول: «جاءت القطار تحمل النار». ٢٩٣
وجوب إنفاق المال الزائد على القوت كلّّه الذي عزاه إلى سيّدنا أبي ذر المختلقون، فن أفاكنهم

- المفتريات، لم يدّعه أبوذر ولا دعا إليه. ٢٩٥
- أبوذر والاشتراكية. ٢٩٧
- المتأخرون رموا أبأذر بالاشتراكية تارةً، وبالشيوعية أخرى. ٢٩٧
- لم يكن أبوذر شاذّاً في رأيه، ولا أنهي إلينا أنه خالفه أحدٌ من الصحابة. ٢٩٧
- النظر في مبادئ الشيوعية والفرق الاشتراكيين. ٢٩٨
- رواياته في الأموال. ٣٠١
- ما رواه أبوذر في باب الأموال عن رسول الله فينادي بما لا يلائم الاشتراكية. ٣٠١
- نظرة في الكلمات الواردة في إطرء أبيذر، هل تلائم ما اتهم به؟ ٣٠٣
- ثناء النبي ﷺ عليه وعهده إليه. ٣٠٥

٦١- الخليفة يخرج ابن مسعود من المسجد عنفاً

- لما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه، قال لعثمان: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي.
- وأوصى أن لا يصلي عليه عثمان. ٣٠٧
- إن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبأذر. ٣٠٧
- كلمات في فضل ابن مسعود. ٣٠٨
- لماذا يحرم هذا البدريّ العظيم عطاءه سنين؟! ٣١٠
- لماذا ضرب به الأرض قُدّقت أضالعه؟! ٣١٠

٦٢- مواقف الخليفة مع عمار!

- قال عثمان: «هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم». ٣١٢
- ضرب عثمان عمار حتى غشي عليه. ٣١٢
- أمر عثمان غلبانه فهدّوا بيدي عمار ورجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه - وهي في الخفين - على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه. ٣١٢

- قال عثمان لعمار: يا عاض أير أبيه! أتراني ندمتُ على تسييره [أبي ذر]؟! وأمر فدفن في قفاه
وقال: إلحق بمكانه. ٣١٣
- جرى بين عليّ عليه السلام وعثمان كلام حتى قال عثمان: «أنت أحقّ بالنفي منه». ٣١٣
- روايات في أن عماراً تقتله الفئة الباغية. ٣١٤
- عمار في الذكر الحكيم. ٣١٥
- الثناء الجميل على عمار. ٣١٦
- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الجنة تشتاقي إلى أربعة: عليّ بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وسلمان
الفارسي، والمقداد». ٣١٧
- عن عبد الله بن جعفر قال: «ما رأيتُ مثل عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر كانا لا يحبّان أن
يعصيا الله طرفة عين، ولا يخالفان الحقّ قيد شعرة». ٣١٨
- قال عثمان لعليّ عليه السلام: «لئن بقيتُ لا أعدم طاغياً يتّخذك سلماً وعضداً وكهفاً وملجأً؛ يريد
بالطاغي أبا ذر وعمار وأمّاهما، ويجعل الإمام عليه السلام سلماً وعضداً وكهفاً وملجأً لمن سّاهم
الطغاة! ٣١٩
- إنّ أبهة تسقط لمكان أمير المؤمنين عليه السلام وفضله ونزاهته وعلمه وإصلاحه، حرّية
بالسقوط. ٣٢٠

٦٣ - تسيير الخليفة صلحاء الكوفة إلى الشام!

- قال في الصواعق: «إنّ المجتهد لا يُعترض عليه في أموره الاجتهادية، لكن أولئك الملاعين
المعترضون لا فهم لهم بل ولا عقل». ٣٢٤
- من أولئك الرجال:
- ١ - مالك بن الحارث الأشتر. ٣٢٤
- كلمات مولانا أمير المؤمنين في الثناء عليه. ٣٢٥
- قال عليه السلام: «إنّه سيفٌ من سيوف الله». ٣٢٥

- ٢ - عدي بن حاتم الطائي ٣٢٨
- التحريف الموجود في تاريخ الخطيب ٣٢٨
- ٣ - كميل بن زياد النخعي ٣٢٨

٦٤ - تسيير الخليفة علياً أمير المؤمنين!

- بعضُ كلمه القوارص لعليّ عليه السلام، البعيدة عن ساحة قدسه ٣٢٩ - ٣٣٠
- إنّ هذه القوارص هي التي فتحت باب الجرأة على أمير المؤمنين بمصراعيه طيلة حياته ٣٣٢
- عثمان هو الذي أزرى الإمام عليه السلام في الملأ الدينيّ وصغّره في أعين الناس وجراً عليه طغام الأمويّين ٣٣٢

٦٥ - ترك الخليفة التكبير في كلّ خفض ورفع!

- أول من تركها هو عثمان وتبعه معاويه وبنو أميّة ٣٣٣
- ما زال الناس على هذا المزن حتّى ضاعت السنّة ونُسيت، وكان من جاء بها يُعدّ أحقّ كأنّه ارتكب أمراً شاذاً عن الشرع المقدّس ٣٣٣
- نقاج البحث: هذه نبذة قليلة نشرتها يد التاريخ الجانية ٣٣٣
- التحريف الموجود في كتب التاريخ: تاريخ الطبري، تاريخ ابن كثير و... ٣٣٣ - ٣٣٥

٦٦ - معاوية والخمر

- لعلّ في الناس من يحسب أن سلسلة الاستهتار بمعاقرة الخمر كانت مبدوءة بيزيد بن معاوية، لكن هذه الأنباء تعلمنا أنّ هاتيك الخزية كانت موروثه له من أبيه الماخن المشيع للفحشاء ٣٣٦
- هذا معاوية في هذه الموبقة حذو أبيه أبي سفيان ٣٣٦
- بيت معاوية حانوت الخمر، ودكة الفجور، ودار الفحشاء والمنكر من أوّل يومه ٣٣٧
- روايات في مذمة الخمر وشاربها ٣٣٧

٦٧ - معاوية يأكل الربا!

روايات في الربا. ٣٣٩ - ٣٤٠

٦٨ - معاوية يتم في السفر!

أنظر إلى لعب أبناء بيت أمية بطقوس الإسلام وجرأتهم على الله وتغيير سنته. ٣٤١

٦٩ - أحدى الأذان في العيدين!

لم يؤذن للنبي ﷺ في العيدين حتى أحدث ذلك معاوية بالشام. ٣٤٢

٧٠ - معاوية يصلي الجمعة يوم الأربعاء!

اشتملت هذه الصحيفة السوداء على أشياء. ٣٤٤

تأويل عمرو بن العاص قول رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية». ٣٤٤ - ٣٤٥

٧١ - أحدى الجمع بين الأختين!

هذا الباب المرجح فتحه عثمان. ٣٤٨

٧٢ - أحدى معاوية في الديات!

ما ارتكبه معاوية فيه بدع ثلاث. ٣٤٩

٧٣ - ترك التكبير المسنون في الصلوات!

إن معاوية قدم المدينة فصلّى بهم فلم يقرأ بيسم الله الرحمن الرحيم، ولم يكبر إذا خفض وإذا رفع. ٣٥٠

٧٤ - ترك التلبية خلافاً لعليّ عليه السلام!

قال ابن عباس: «اللهم عنهم فقد تركوا السنة من بغض عليّ». ٣٥٢
لفت نظر: هذه النزعة الأموية المحققة بقيت موروثاً عند من تولى معاوية جيلاً بعد جيل؛
فترى القوم يرفعون اليد عن السنة الثابتة خلافاً لشريعة أمير المؤمنين. ٣٥٥

- قال الغزالي: «إنّ تسطيح القبور هو المشروع، لكن لما جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسنيم» ٣٥٥
- قال مصنف الهداية من الحنفية: «إنّ المشروع التختّم في اليمين، ولكن لما اتّخذته الرافضة جعلناه في اليسار» ٣٥٥
- قال ابن تيمية: «ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم...» ٣٥٦
- قال في عقد الدرر والآلئ: «... لا ينبغي للمؤمن أن يشبهه بيزيد الملعون في بعض الأفعال، وبالنشيعه والروافض والخوارج أيضاً؛ يعني لا يجعل ذلك اليوم - يعني يوم عاشوراء - يوم عيد أو يوم ماتم...» ٣٥٦
- قال الغزالي: «يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم؛ فإنّه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم، وهم أعلام الدين. وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة، ولعلّ ذلك لخطأ في الاجتهاد، لا لطلب الرئاسة والدنيا»! ٣٥٧

٧٥ - أحوثة تقديم الخطبة على الصلاة

- أول من أحدث أحوثة السبّ معاوية ٣٥٨
- قال ﷺ: «لا تسبّوا عليّاً فإنّه ممسوسٌ في ذات الله» ٣٥٨
- وأيضاً قال: «سباب المسلم فسوقٌ» ٣٥٨

٧٦ - حدّ من حدود الله متروك

- التعمّد لا قتراف الذنوب بأمل التوبة كان مطّرداً عند معاوية ٣٥٩

٧٧ - معاوية ولبسه ما لا يجوز!

- شرح قوله ﷺ: «إنّك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيّه، مهتوك ستره...» من ابن

- أبي الحديد..... ٣٦١
- معاوية يلبس الحرير والديباج، ويشرب في آنية الذهب والفضة، و..... ٣٦١

٧٨ - مأساة الاستلحاق سنة أربع وأربعين

- سياسة معاوية وهبت زياداً لأبي سفيان العاهر، بعد ما بلغ أشده..... ٣٦٢
- لو كان معاوية استلحق زياداً بهذا الخبر لكان استلحاقه عمرو بن العاص أولى..... ٣٦٤
- وجد زياد نفسه - بعد أن كان لا يُعزى إلى أبٍ معلوم عمراً طويلاً يقرب من خمسين عاماً، فيقال له: زياد ابن أبيه - أخا مَلِكِ الوقت..... ٣٦٥
- قال ابن بعجة: «أول داء دخل على العرب قتل الحسن سبط النبي ﷺ وادّعاء زياد»..... ٣٦٦
- قال الحسن البصري: «أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة...»..... ٣٦٦

٧٩ - جنايات معاوية في صفحات تاريخه السوداء

- من جناياته: دأبه على لعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام..... ٣٦٨
- أنّ سعداً لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم شرط معاوية و..... ٣٦٩
- قال معاوية لسعد: فإنّي لو سمعتُ من النبي ﷺ مثل الذي سمعتُ فيه لكنتُ خادماً لعليّ ماعشت..... ٣٦٩
- بيان أنّ معاوية قد أفك في ادّعائه عدم إحاطة علمه بتلكم الأحاديث المطرّدة..... ٣٦٩
- حول حديث الراية..... ٣٦٩
- حول حديث المنزلة: قد نطق به رسولُ الله ﷺ في موارد عديدة:..... ٣٧٠
- ١ - من جملة موارد يوم غدیر خمّ الذي حضره معاوية وسمعه..... ٣٧٠
- ٢ - منها يوم المؤاخاة..... ٣٧٠
- ٣ - منها يوم كان رسول الله في دار أمّ سلمة..... ٣٧١

- حول نبأ المباهلة ٣٧١
- هل ضرورة معاوية هزم منه بمصدر تلکم الأنباء القدسیّة؟! أو بخضوع سعد لها؟! أو لحض أنّ
سعد لم یوافقہ علی ظلمہ؟! ٣٧٢
- قال عقيل ابن أبي طالب: أيها الناس إنّ معاوية بن أبي سفيان أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب،
فالعنوه ٣٧٢
- المغيرة بن شعبة كان يقول: إنّ عليّاً لم ينكحه رسول الله ﷺ ابنته حبّاً ولكنّه أراد أن يكافئ
بذلك إحسان أبي طالب ٣٧٣
- كان مروان يسبّ عليّاً كلّ جمعة على المنبر وحسن بن عليّ يسمع فلا يردّ شيئاً ٣٧٣
- كان الوزع بن الوزع يقول لما قيل له: ما لكم تسبّون عليّاً على المنابر: إنّّه لا يستقيم لنا الأمر
إلاّ بذلك ٣٧٣
- كانت العادة مستمرّة منذ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام إلى نهي عمر بن عبد العزيز طيلة أربعين سنة
على صهوات المنابر وفي الحواضر الإسلاميّة كلّها من الشام إلى الرىّ، إلى الكوفة، إلى
البصرة، إلى المدينة، إلى حرم الله مكّة ٣٧٣-٣٧٤
- عمر بن عبد العزيز لما منع عنها، حسبوه كأنّه جاء بطامة كبرى ٣٧٤
- عمر بن عبد العزيز إنّما نهى عن لعنه عليه السلام في الخطبة على المنبر فحسب وكتب بذلك إلى عمّاله ٣٧٤
- عمر بن عبد العزيز كان يجلد من سبّ عثمان ومعاوية، ولم تقف على جلده أحداً لسبّه أمير
المؤمنين ٣٧٥
- كلام النووي في عدالة الصحابة ٣٧٥
- كلام أحمد إمام الحنابلة في ذلك ٣٧٦
- لهم في سبّ الشيخين وعثمان تصويبٌ وتصعيد ٣٧٦
- قالوا لمعاوية كاتب الوحي، وإن كان لم يكتب غير عدّة كتب إلى رؤساء القبائل في أيام إسلامه
القليلة من أخريات العهد النبويّ ٣٧٧

- قالوا لمعاوية خال المؤمنين لمكان أمّ حبيبة من رسول الله ﷺ، لكنه لم يسمّوا بذلك غيره من
 إخوة أزواج النبي ﷺ كمحمد بن أبي بكر. ٣٧٧
 قال عامر بن عبد الله بن الزبير لما سمع ابنه ينال من عليّ ﷺ: «يا بُنَيَّ إِيَّاكَ وذكر عليّ؛ فإنّ بني
 أميّة تنقّصه سنّين عاماً فما زاده الله بذلك إلّا رفعة». ٣٧٨

٨٠ - قتال ابن هند عليّاً أمير المؤمنين!

- النصوص النبويّة تأبى إلّا أن يكون الرجل على رأس البغاة، كما كان على رأس الأحزاب يوم
 كان وثنيّاً، وما أشبه آخره بأوله. ٣٨٠
 لم يقنع معاوية الكتاب والسنة فباء بتلكم الآثام، فكان من القاسطين وهو رأسهم. ٣٨٤
 أربعون حديثاً في عليّ ﷺ وأهل بيته. ٣٨٨-٣٨٤
 بعض الكلم القارصة كتبه معاوية إلى عليّ ﷺ. ٣٩٢-٣٩٠
 بلغ الطاغية من عدا سَيِّد العترة حدّاً لا يستطيع أن يسمع اسمه ﷺ وكان ينهى عن التسمية به. ٣٩٣
 كان بنو أميّة إذا سمعوا بمولود اسمه عليّ قتلوه؛ فكان الناس يبدّلون أسماء أولادهم. ٣٩٤

٨١ - هنات وهنابث في ميزان ابن هند

- مما كتبه معاوية إلى زياد بن سلمه: «من كان على دين عليّ ورأيه فاقتله وامثل به». ٣٩٤
 قد كان معاوية يوم صفّين نذر في سبي نساء ربيعة، وقتل المقاتلة! ٣٩٥

٨٢ - قذائف موبقة في صحائف ابن هند

- الأوّل: نسبة الإلحاد إليه ﷺ وأنّه لا يصلي. ٣٩٦
 لما دخل ابن عبّاس معاوية بعد مقتل أمير المؤمنين ﷺ قال: «الحمد لله الذي أمات
 عليّاً». ٣٩٧
 الثاني: أنّ عنده ثار عثمان وعليه تراته. ٣٩٩
 النظر في هذه القضية [نظرة فيما تشبّث به معاوية في قتال عليّ ﷺ] ٣٩٩

للقوم عن رسول الله ﷺ روايات تمسكوا بها في اتباع نظراء معاوية ويزيد من أئمة الضلال وأمراء الجور والعدوان ٤٠٥

٨٣ - دفاع ابن حجر عن معاوية بأعذار مفتعلة

- حجج داحضة من ابن حجر لتبرير أعمال معاوية : ٤١١
- أحدهما: القول باجتهاده ٤١١
- قال الطبري : « لا خلاف بين أحد من الأمة أن ابن ملجم قتل علياً متأولاً مجتهداً... » ! ٤١٢
- لو كان للاجتهاد منتج مقرر فلم لم يتبع في إرجاء أمير المؤمنين عليه السلام أمر المتهمين بقتل عثمان إلى ما يراه من المصلحة؟! ٤١٤
- من أعجب ما يُتراءى من مفعول الاجتهاد في القرون الخالية : أنه يبيح سب علي عليه السلام وسب كل صحابي احتذى مثاله ، وأما علي عليه السلام وشيعته فلا حق لهم في بيان ظلامتهم عند مناوئهم ٤١٥
- كلمة ابن حجر في لعن معاوية ٤١٦

٨٤ - مواقف معاوية مع أبي محمد الحسن السبط عليه السلام

- إن لابن آكلة الأكباد مع السبط المجتبي مواقف تقشعرّ منها الجلود ٤١٦
- من هو الحسن عليه السلام ؟ ٤١٧
- خان معاوية عهده التي اعترف بها عند ما تنازل الإمام عليه السلام له بالصلح حقناً لدماء شيعته ٤١٩
- صورة كتاب كتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية لما تصالحا ٤٢٠
- لما استقرّ له الأمر قال : « كل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين » ٤٢٠ - ٤٢١
- كان الرجل الدّ خصماء ذلك السبط المقدّي واستهان بأمره واستصغره ٤٢١
- خطب معاوية بالكوفة حين دخلها والحسن والحسين جالسان تحت المنبر فذكر علياً فنال منه ، ثم نال من الحسن ، فقام الحسين ليرد عليه فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال : « أيها

- الذاكر علياً! أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، و...» ٤٢١
- آخر ما نفّض به كنانة غدر الرجل أن دسّ إليه ﷺ السمّ النقيع ٤٢٢
- سمّه معاوية مراراً ٤٢٢
- ذكر أنّ امرأته جعدة بنت أشعث بن قيس الكندي سقته السمّ ٤٢٢
- قال الإمام الحسن ﷺ: «سُقيت السمّ مراراً ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرّة، لقد لفظت كبدي» ٤٢٣
- كان معاوية يرى أمر الإمام الحسن ﷺ حجر عثرة في سبيل أمنيّته الخبيثة بيعة يزيد ٤٢٣
- لما بلغ معاوية موت الإمام الحسن ﷺ سمع تكبيرة من الخضراء فكبر أهل الشام لذلك التكبير! ٤٢٣
- كان ابن هند جذلان مستبشراً بموت الإمام أمير المؤمنين قبل ولده الطاهر السبط! ٤٢٤
- ولارضاء معاوية منع ذلك الإمام الزكيّ عن أن يقوم أخوه الحسين السبط بإنجاز وصيّته ويدفنه في حجرة أبيه ٤٢٤
- قال مروان: «ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله، وقد دفن عثمان بالبقيع» ٤٢٤

٨٥ - معاوية وشيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ

- من موبقاته دأبه على سفك دماء الشيعة في أقطار حكومته ٤٢٦
- بعث بُسر بن أرطاة و... وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كلّ من وجدوه من شيعة عليّ ﷺ وأصحابه ٤٢٦
- أتى بُسر اليمن وعليها عبيد الله بن عبّاس عامل عليّ بن أبي طالب فلم يصادفه ووجد ابنين له صبيّين فأخذهما بُسر لعنه الله وذبحهما بيده بمديّة كانت معه ٤٢٧
- خطبة عليّ ﷺ لما بلغه قتل حسان بن حسان عاملاً له على الأنبار ٤٢٧
- لما بلغ عليّ بن أبي طالب قتل بسر صبيّين جزع لذلك جزعاً شديداً ودعا على بُسر لعنه الله ٤٢٧-٤٢٨

- سمرة بن جندب من الذين أسرفوا في القتل على علم من معاوية بل بأمر منه ٤٢٩
- أعطى معاوية سمرة بن جندب من بيت المال أربعمئة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام بأن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ نزلت في علي بن أبي طالب، وأن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ نزل في ابن ملجم أشقى مراد ٤٢٩
- في مقدم عمال معاوية الحاملين عدااء سيد العترة، المهاجرين على شيعة آل الله بكل قوى متيسرة: زياد بن سمية ٤٢٩
- كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن علي ﷺ ٤٣١
- أمر ابن هند بالإغارة على مكة المكرمة ٤٣٢
- أمر بالاستحواذ على مدينة الرسول ﷺ وإخافة أهلها والوقية فيهم واستقراء من يوجد فيها من شيعة علي ﷺ ٤٣٣
- معاوية وحجر بن عدي وأصحابه ٤٣٤
- تسيير حجر وأصحابه إلى معاوية ومقتلهم ٤٣٧
- من حجر بن عدي؟ ومن الذين كانوا معه؟ ٤٣٩
- لم يكن صلاح الرجل وأصحابه يخفى على أي أحد حتى على مثل المغيرة الذي كان من زعانف معاوية ٤٤١
- معاوية بعد أن استلحق زياداً بأبي سفيان راقه أن لا ينحرف عن مرضاته وفيها شفاء غلته ٤٤٣
- الحضرميان وقتلها على التشيع ٤٤٣
- مالك الأشتر: ٤٤٤
- من الصلحاء الذين قتلهم معاوية بغير ذنب أتاه، مالك بن الحارث الأشتر النخعي ٤٤٤

- ٤٤٦ محمّد بن أبي بكر:
 من ذبائح حكومته الغاشمة وليد حرم أمن الله، وريب بيت العصمة والقداسة: محمّد بن
 أبي بكر ٤٤٦
 أخذه معاوية بن حديج وعمرو بن العاص فجعلوه في جلد حمار وأضرموه بالنار. ٤٤٦
 كان محمّد بن أبي بكر أخا عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب لأمّه. ٤٤٦
 يقال: إنّ محمّد بن أبي بكر أتى به عمرو بن العاص فقتله صبراً. ٤٤٧
 نظرة في مناقب ابن هند: ٤٤٩
 هو الهاتك حرّات الله والمصغر قدر أوليائه و..... ٤٤٩
 لا يصحّ في فضل معاوية حديث. ٤٥٣
 قال ابن تيميّة: «طائفة وضعوا لمعاوية فضائل ورووا أحاديث عن النبي ﷺ في ذلك كلّها
 كذب» ٤٥٤
 قال الشوكاني: «اتفق الحفاظ على أنّه لم يصحّ في فضل معاوية حديث» ٤٥٤

و: سلسلة الكذابين والوضّاعين

- ١- «لأنّ يزني الرجل خيرٌ من أن يروي عن أبان» ٤٥٧
 ٢- «لأنّ أشرب من بول حماري أحبّ إليّ من أن أقول حدّثني أبان» ٤٥٧
 ٣- غلام الخليل قال: «وضعنا الأحاديث لترفق بها قلوب العامّة!» ٤٥٨
 ٤- ابن كثير عدّ عليّ بن الجهم الذي كان كثير الخطّ على عليّ وأهل البيت ﷺ، من أهل الديانة
 المتبرين! ٤٦٠
 ٥- ذئب دخل الجنّة لأكله ابن شرطيّ! ٤٦٠
 لفت نظر: وضع الحديث والكذب على النبي ﷺ وعلى الثقات من الصحابة لا ينافي عند كثير
 من القوم الزهد والورع واتّصاف الرجل بالتقوى ٤٦١

- ٤٦١ قال يحيى بن سعيد : « ما رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث » .
- ٤٦٢ جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبةً .
- ٤٦٢ الحافظ عبدالمغيث الحنبلي ، موصوف بالزهد والثقة ، وهو يؤلف من الموضوعات كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية !
- ٤٦٢-٤٦٤ روايات مختلقة في مناقب أبي حنيفة .
- ٤٦٣ بلغت مغالاة أمة من الحنيفة إلى حدّ زعمت أنه أعلم من رسول الله ﷺ !
- ٤٦٤ قومٌ قابلوا هؤلاء بالطعن على أبي حنيفة :
- ٤٦٤ لعن الله أبي حنيفة كان يهدم الإسلام عروة عروة ، وما ولد في الإسلام مولوداً أشرف منه .
- ٤٦٤ أبو حنيفة قد اختلف في إسلامه .
- ٤٦٥ أبو حنيفة ضالٌّ مضلٌّ .
- ٤٦٥ أراه [أبي حنيفة] كان يهودياً .
- ٤٦٥ أصحاب أبي حنيفة ينبغي أن لا يروى عنهم شيء .
- ٤٦٥ روايات مفتعلة في مناقب ابن ادريس الشافعي .
- ٤٦٥ زعماء في مناقب مالك بن أنس إمام المالكية .
- ٤٦٦ للمالكية حول إمامهم منامات ، زعموا رؤية رسول الله ﷺ وثناءه عليه .
- ٤٦٦ للحنابلة أشواطٌ بعيدة وخطواتٌ واسعة في الدعاية إلى المذهب وإلى إمامهم .
- ٤٦٧ غلوّ الحنابلة في إمامهم .
- ٤٦٧ كان أبو المظفر البروي بالغ في ذمّ الحنابلة وقال : لو كان لي أمرٌ لوضعتُ عليهم الجزية .
- ٤٦٨ قال ابن درويش : « لم يرد في أحد من الأئمة بعينه نصٌّ لا صحيح ولا ضعيف » .
- ٤٦٨ قائمة الموضوعات والمقلوبات .
- ٤٦٩ مشكلة الثقة والثقات :
- ٤٦٩ جمعٌ نصّ على ثقتهم :

- ١- زياد بن أبيه، صاحب الطائمت والجرائم الموبقة. ٤٦٩
- ٢- عمر بن سعد، قاتل الإمام السبط الشهيد. ٤٦٩
- ٣- عمران بن حطان، رأس الخوارج. و..... ٤٦٩
- قال حريز بن عثمان: هذا الذي يرويه الناس أن النبي ﷺ قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» حق، ولكن أخطأ السامع، إنما هو: أنت مني بمنزلة قارون من موسى! سمعت الوليد ابن عبد الملك يقوله على المنبر. ٤٧٠
- ترك البخاري الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام. وقال يحيى ابن سعيد: «في نفسي منه شيء». ٤٧٠-٤٧١
- قال ابن حبان: «يروى علي بن موسى الرضا عن أبيه العجائب كأنه بهم ويخطئ»! ... ٤٧١
- ضعف ابن الجوزي الإمام الطاهر الحسن بن علي بن محمد العسكري! ٤٧١

ز: سلسلة الموضوعات على النبي الأمين ﷺ

- نماذج مما وضعته يد أولئك الكذابين والوضّاعين في باب الفضائل فحسب: ٤٧٣
- ١- «ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين»! ٤٧٣
- ٢- مرفوعاً: «ليلة أُسري بي دخلت الجنة فإذا أنا بتفاحة تعلقت عن حوراء، قالت: أنا للمقتول ظمناً عثمان»! ٤٧٣
- ٣- مرفوعاً: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين...»! ٤٧٣
- ٤- مرفوعاً: «لما ولد أبو بكر في تلك الليلة، أطلع الله على جنة عدن فقال: وعزّي وجلالي لا أدخلك إلا من أحب هذا المولود»..... ٤٧٤
- ٥- مرفوعاً: «إن في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحب أبا بكر وعمر...»..... ٤٧٤

- ٦- عن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «إن الله يتجلى يوم القيامة للخلائق عامة ويتجلى لك خاصة». ٤٧٥
- ٧- عن أنس قال: «أخى النبي ﷺ بين كتيبي أبي بكر وعمر فقال لهما: أنتما وزيرا في الدنيا والآخرة...». ٤٧٥
- ٨- مرفوعاً: «إن الله سيفاً مغموداً في غمده مادام عثمان بن عفان حياً...». ٤٧٥
- ٩- مرفوعاً: «الأمناء عند الله ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية!». ٤٧٥
- ١٠- مرفوعاً: «إن الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا ومعاوية، وكاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه...!». ٤٧٦
- رواية السوء أرادوا خطأ من مقام النبوة لا ترفيعاً لمقام معاوية. ٤٧٦
- بين مرتبة النبوة وبين متبوء معاوية بون شاسع. ٤٧٦
- ١١- عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «أحبهما [أبا بكر وعمر] تدخل الجنة». ٤٧٦
- ١٢- مرفوعاً: «قال جبريل: لو جلستُ معك مثل ما جلس نوح في قومه ما بلغتُ فضائل عمر...». ٤٧٧
- ١٣- مرفوعاً: «أبو بكر تاج الإسلام، وعمر حلة الإسلام و...». ٤٧٧
- ١٤- مرفوعاً: «خلقني الله من نوره، وخلق أبا بكر من نوري...». ٤٧٧
- ١٥- عن علي عليه السلام: «إنني لموقف مع معاوية للحساب». ٤٧٧
- ١٦- «لو لم أبعث لبعثت يا عمر». ٤٧٧
- ١٧- كان ﷺ إذا اشتاق إلى الجنة قبل شية أبي بكر. ٤٧٨
- ١٨- مرفوعاً: «أنا مع عمر وعمر معي حيث حللتُ، من أحبّه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني...». ٤٧٨
- ١٩- «أبو بكر مني بمنزلة هارون من موسى». ٤٧٨
- ٢٠- عن أنس عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «يا علي! لا تكتب جوازاً لمن سبّ أبا بكر وعمر فإنها سيّدا كهول أهل الجنة بعد النبيين...». ٤٧٨-٤٧٩
- ٢١- مرفوعاً: «إنني وأبا بكر وعمر خلقتنا من تربة واحدة، وفيها ندفن». ٤٧٩

- ٢٢ - مرفوعاً: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها» ٤٧٩
- ٢٣ - مرفوعاً: «سيِّدا كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر» ٤٨٠
- ٢٤ - مرفوعاً: «لا يبغض أبا بكر وعمر مؤمنٌ ولا يحبُّها منافقٌ» ٤٨٠
- ٢٥ - عن عائشة قالت: «قلتُ: يا رسول الله! في هذه الدنيا رجلٌ له حسناتٌ بعدد نجوم السماء؟ قال: نعم. قلتُ من؟ قال: عمر، وإنَّه لحسنةٌ من حسنات أبيك» ٤٨٠
- ينتهي الإسناد في كثير من ذلك البهرج المزخرف إلى أمير المؤمنين عليه السلام ٤٨١
- أكثر من كُذِّب عليه من الأُمَّة الإسلامية هو أمير المؤمنين عليه السلام ٤٨١
- قال الفيروز آبادي: «باب فضائل أبي بكر الصديق أشهر المشهورات من الموضوعات» ٤٨١
- وأيضاً قال: «باب فضل معاوية ليس فيه حديث صحيح» ٤٨١

موضوعات أخرى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مناقب الخلفاء

- ٢٦ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أرحمكم أبو بكر، وأشدكم في الدين عمر، وأقروكم أبي، وأصدقكم حياءً عثمان، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضكم زيد بن ثابت، وإنَّ لكل أُمَّة أميناً وأمين هذه الأُمَّة أبو عبيدة الجراح»! ٤٨٢
- المناقشة في سند هذا الحديث ٤٨٢
- المناقشة في متن هذا الحديث: ٤٨٣
- الف: يشهد على كون أبي بكر أرحم الأُمَّة: ٤٨٣
- ١ - إحراقه الفجاءة ٤٨٣
- ٢ - غصّه الطرف عن وقية خالد بن وليد في بني حنيفة وخزائمه مع مالك بن نويرة وزوجته ٤٨٣
- ٣ - عدم إكترائه لأمر الصديقة فاطمة في دعواها ٤٨٣
- حول فذك ٤٨٣

- ألم تكن لأبي بكر مندوحة تصحّ إقطاع فاطمة فذكاً وردّها إليها حتّى لا يفتح باب السوأة
على الأُمة؟! ٤٨٤
- سل عن صفة أبي بكر هذه فاطمة يوم خرجت عن دارها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها:
«يا أبت! يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن خطّاب وابن أبي قحافة» ٤٨٤
- ٤ - سل عنها أمير المؤمنين يوم قادوه كما يقاد الجمل المخشوش إلى البيعة. ٤٨٥
- ب: وأمّا كون عمر أشدّهم في الدين ٤٨٥
- ج: أمّا كون عثمان أصدقهم حياءً. ٤٨٦
- د: أمّا الثلاثة الباقيون. ٤٨٦
- عن رسول الله ﷺ: «أخاف على أمتي من بعدي ضلالة الأهواء، واتّباع الشهوات، والغفلة بعد
المعرفة». ٤٨٦
- ٢٧ - عن ابن عمر قال: «كنّا نخيّر بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخيّر أبا بكر، ثمّ عمر بن الخطّاب،
ثمّ عثمان ابن عفّان». ٤٨٦
- هذه الرواية عمدة ما تمسّك به القوم فيما وقع من الانتخاب الدستوريّ في الإسلام، وقد اتّخذها
المتكلّمون حجّة لدى البحث عن الإمامة، واتّبع أثرهم المحدثون. ٤٨٧
- جعلوا هذه الرواية كحجّر أساسيّ علّوا عليها أمر الخلافة الراشدة. ٤٨٧
- ٢٨ - عن أبي الدرداء: «صلّوا خلف كلّ إمام ... ولا تقولوا في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ إلّا
خيراً!». ٤٨٧
- ٢٩ - عن ابن عبّاس: «إنّ أحبّ أصهارى إليّ... أبو بكر والثاني عمر... ومن مثل أبي سفيان؟!
لم يزل الدين به مؤيّداً قبل أن يسلم وبعد أن يسلم...!». ٤٨٨
- حول أبي سفيان. ٤٩٠
- ٣٠ - عن أنس بن مالك: «من أحبّ أن ينظر إلى إبراهيم في خلّته فليُنظر إلى أبي بكر في
سمّاحته...». ٤٩١

- لفت نظر: من عجيب ما نراه في الموضوعات في مناقب الثلاثة أو الأربعة تنظيم الصف المنصّد كالبنيان المرصوص الذي لا اختلاف فيه ؛ فلا يأتي قطّ أولاً إلا أبو بكر، وثانياً إلا عُمر و..... ٤٩٢
- ٣١- اختلاف رواية عن الإمام الحسين عليه السلام في الخلفاء..... ٤٩٢
- ٣٢- رواية العشرة المبشرة: عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وآله : «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعليّ في الجنة، وعثمان في الجنة و...»..... ٤٩٤
- هؤلاء العشرة المبشرة إن كانوا مؤمنين حقاً فهم من آحاد أهل الجنة لا محالة كبقية من أسلم وجهه لله..... ٤٩٦
- ما هذا المكاء والتصدية والتصعيد والتصويب حول رواية العشرة المبشرة..... ٤٩٧
- حقّ النظر في الرواية من ناحيتي الإسناد والمتن :..... ٤٩٨
- أرضى مختلق هذه الرواية خليفة الوقت بأنحاف الجنة لخالفني عليّ عليه السلام..... ٤٩٩
- إنّ عليّاً عليه السلام قطّ لا يجتمع في الجنة مع من خالفه وناوأه وآذاه، والضدّان لا يجتمعان..... ٤٩٩
- نظرة في المتن :
- ١- هل عبد الرحمن بن عوف المعزو إليه الرواية وهو أحد العشرة المبشرة، كان يعتقد بها ومع ذلك سلّ سيفه على عليّ يوم الشورى؟!..... ٥٠٠
- ٢- هل أبو بكر وعمر المبشّران بالجنة هما اللذان ماتت الصديقة بضعة المصطفى وهي وجدى عليهما؟!..... ٥٠٠
- ٣- هل طلحة والزبير هما اللذان خرجا على إمام الوقت؟!..... ٥٠٢
- كلمة عمر لزبير يوم طعن..... ٥٠٣
- قال طلحة : إن مات رسول الله لتزوجت عايشة وهي بنت عمّي ؛ فبلغ ذلك رسول الله فتأذى به فنزلت قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا...﴾..... ٥٠٤
- ٤- هل تُصدّق في سعد بن أبي وقاص هذه الرواية وهو المتخلف عن بيعة إمام وقته؟!..... ٥٠٥

٣٣- عن النبي ﷺ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ» أبو جهل «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا»: أبو بكر...» ٥٠٥
 المأثور عن ابن عباس من طريق ابن مردويه في قوله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» أنه قال:
 «ذكر علياً وسلمان»..... ٥٠٦

أبو بكر:

ذكر السيوطي ثلاثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر وزيقها وحكم فيها بالوضع... ٥٠٧
 يشهد لبطلان تلكم الروايات الجمّة في فضائل الخليفة الأوّل خلّو الصحاح الستّة والسنن
 والمسانيد القديمة منها..... ٥٠٨
 إنّ الخليفة لو كان على ثقة من صدور شيء من تلكم الأحاديث، لما ترك الاحتجاج بها يوم
 كانت حاجته إليه مسيبة..... ٥٠٨
 ولو كان الصحابة الأوّلون يعرفون شيئاً من تلكم الموضوعات الجمّة لما تركوا الاحتجاج به
 يوم ذاك..... ٥٠٩
 ولما كان مجالاً لقول محمّد بن اسحاق: «كان عامّة المهاجرين والأنصار لا يشكّون أنّ عليّاً
 صاحب الأمر بعد رسول الله»..... ٥١٠
 ٣٤- التوسّل بلحية أبي بكر..... ٥١٠
 «وعزّته وجلاله لو أقسم عليّ كلّ أعمى بجرمة شيبه أبي بكر الصديق لرددت عليه
 بصره»..... ٥١١
 روايات حول شيبه أبي بكر، والجواب عنها..... ٥١٢
 قال في المقاصد: «أنّه [أبا بكر] كالوالد الثاني للمسلمين؛ إذ هو الفاتح لهم باب الدخول إلى
 الإسلام»!..... ٥١٢
 العجب كلّ العجب في عدّ أبي بكر أباً ثانياً للأمة..... ٥١٣
 الأمة لم تعرف باباً فتحه الخليفة إلى الإسلام، نعم إنّّه غلّق باباً عليها، وهو باب مدينة علم
 النبي ﷺ..... ٥١٣

- ٣٥- كرامة دفن أبي بكر ٥١٤
- أراد رواة هذه الرواية تصحيح عمل القوم في دفن الخليفة في موطن القداسة حجرة
النبي ﷺ ٥١٤
- ٣٦- كلبه من الجن مأمورة أن تنهش من سبّ أبا بكر وعمر! ٥١٦
- لله كلاب مفترسة وأسود ضارية سلطها الله على أعدائه بدعاء نبيه الأعظم أو أحد من أولاده
الصادقين ٥١٨
- دعاء الإمام الصادق عليه السلام على الحكيم الأعور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني أمية؛ فافترسه
الأسد ٥١٨
- ٣٧- أبو بكر ومنزلته عند الله ٥١٩
- قال النبي ﷺ - على ما زعموا - لأبي بكر وهما في الغار: «لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له
عمل سبعين نبياً» ٥١٩
- ٣٨- الأشباه الخمسة من ذرية آدم ٥٢٠
- «لما عصى آدم ربه قال: ربّ بجرمة أولئك الأشباح الخمسة [محمد، أبي بكر، عمر، عثمان، عليّ]»
الذين فضلتهم إلا ثبت عليّ فتاب الله عليه ٥٢١
- المغالاة في الفضائل اختلقتها لمعارضة ما ورد في قوله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ
عَلَيْهِ» ٥٢١
- قول القصيمي تبعاً لابن تيمية: «والسؤال بحقّ النبيّ أو بحقّ غيره من الأنبياء والصالحين ليس
له من القيمة العملية الدينية ما يوجب أن يكون عملاً صالحاً مبروراً فضلاً عن أن يكون
أداة غفران...»، والجواب عنه ٥٢٢
- ٣٩- أبو بكر خير أهل السموات والأرض ٥٢٣
- ٤٠- أبو بكر في كفة الميزان ٥٢٤
- ٤١- خطبة النبي ﷺ في فضل الخليفة: ٥٢٥

«... إنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ

أَبَا بَكْرٍ...»، والجواب عنها ٥٢٥

قال النووي: «إتفق العلماء على أنَّ أَصَحَّ الْكُتُبِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزُ الصَّحِيحَانِ: الْبَخَارِيُّ

وَمُسْلِمٌ» ٥٢٧

عمر:

٤٢ - عمر أقرأ الصحابة وأفضلهم ٥٢٧

نبذة من أحكامه الشاذة عن موارد من القرآن الكريم ٥٢٨-٥٢٩

هل من السائع في شريعة الحجى أن يكون الأقرأ والأعلم والأفقه بهذه المثابة من الابتعاد عن

الآي الشريفة ومراميها الكريمة؟! ٥٣٠

٤٣ - تسمية عمر بأمير المؤمنين ٥٣٠

إنَّ عمر هو الذي رأى هذه التسمية ٥٣١

إنَّ الذي سمَّاه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين هو مولانا علي عليه السلام. وأحاديث حول هذا الموضوع ٥٣١

عن النبي ﷺ قال: «عليّ يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين» ٥٣٢

قال الدميري: «ومن هنا قيل لأمير المؤمنين عليّ: أمير النحل» ٥٣٢

٤٤ - قرطاس في كفن عمر ٥٣٢

إنَّ الحسن والحسين دخلا على عمر بن الخطَّاب وهو مشغولٌ، ثمَّ انتبه لهما فقام فقبَّلهما ... ٥٣٢

عثمان:

٤٥ - عن رسول الله ﷺ قال: «لكلِّ نبيٍّ رفيقٌ في الجنة ورفيقٌ فيها عثمان بن عفَّان»! ٥٣٣

٤٦ - عن جابر بن عبد الله: «نهض النبي ﷺ إلى عثمان فاعتقه، وقال: أنت وليي في الدنيا

والآخرة»! ٥٣٥

٤٧ - عن ابن لبيبة: «... لما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بينه [عثمان] وبين

نفسه» ٥٣٨

- لم يتخذ رسول الله ﷺ لنفسه أخاً إلا ابن عمه علي بن أبي طالب ٥٣٩
- فدحت هذه المأثرة أهل الأهواء كبقية مآثر الإمام ﷺ فوضعوا تجاهها كذوبة تارة في أبي بكر وأنه هو أخو رسول الله ، وأخرى في عثمان وأن رسول الله آخى بينه وبين نفسه ، وثالثة في علي ﷺ وأن النبي ﷺ آخى بينه وبين عثمان ٥٤٠
- أول من فتح باب التجري بمصراعيه على هذه الفضيلة الراهية هو عمر بن الخطاب يوم قادوا صاحب الفضيلة إلى البيعة كما يُقاد الجمل المخشوش ٥٤١
- ٤٨ - عن جابر قال : « ما سعد النبي ﷺ المنبر إلا قال : عثمان في الجنة ! » ٥٤٢
- لو كان عثمان من المؤمنين لكفاه تبشير الآيات والأحاديث لهم بالجنة ٥٤٣
- ٤٩ - عن حذيفة : « أن رسول الله ﷺ يدعو له : غفر الله لك يا عثمان ! ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها ! » ٥٥٤
- في منته ما يضاد الأصول المسلمة من الترخيص في المعصية مما هو كائن إلى يوم القيامة ٥٥٥
- حقاً يقال : إن سيرة عثمان تصدق هذه الرواية : فإنها لا تشبه إلا سيرة من رخص بالآثام ٥٥٥
- ٥٠ - عن أبي هريرة قال : « اشترى عثمان بن عفان من رسول الله الجنة مرتين ... » ٥٤٧
- ٥١ - عن رسول الله ﷺ قال : « ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السماء » ٥٤٨

معاوية:

- لا يصح في فضل معاوية حديث ٥٥٠
- قال ابن تيمية : « طائفة وضعوا لمعاوية فضائل ورووا أحاديث عن النبي ﷺ في ذلك كلها كذب » ٥٥١
- قال الشوكاني : « اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضل معاوية حديث » ٥٥٢
- بعض الأكاذيب التي خلقتها أو اختلقتها يد الوضع الأثيمة في مناقب معاوية : ٥٥٢
- ٥٢ - عن جابر : « إن رسول الله ﷺ استشار جبريل في استكتاب معاوية فقال : استكتبه فإنه

- أمين» ٥٥٢
- ٥٣ - عن أنس مرفوعاً: «الأمناء سبعة: اللوح والقلم وإسرافيل وميكائيل وجبريل ومحمد ومعاوية» ٥٥٢
- ٥٤ - «إن الله ائتمن على وحيه جبريل وأنا ومعاوية، وكاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه...» ٥٥٣
- ٥٥ - عن سعد. إن النبي ﷺ قال لمعاوية: «إنه يُحشر وعليه حلة من نورٍ ظاهرها من الرحمة، وباطنها من الرضا، يفتخر بها في الجمع لكتابة الوحي» ٥٥٣
- ٥٦ - عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: «الآن يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنة، فطلع معاوية فقال: أنت يا معاوية مني وأنا منك، لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه» .. ٥٥٣
- ٥٧ - كان معاوية ردف النبي ﷺ فقال: يا معاوية! ما يليني منك؟! قال: بطني. قال ﷺ: «اللهم املاه علماً وحلياً» ٥٥٣
- ٥٨ - عن خارجة بن زيد عن أبيه مرفوعاً: «يا أمّ حبيبة! الله أشدّ حباً لمعاوية منك كأني أراه على رفارف الجنة» ٥٥٥
- ٥٩ - «دخل النبي ﷺ على أمّ حبيبة ورأس معاوية في حجرها فقال لها: أتُحِبُّينه؟ قالت: ومالي لا أحبّ أخي؟ قال: فإن الله ورسوله يحبّانه» ٥٥٥
- ٦٠ - عُدّ قوله ﷺ في معاوية: «لا أشبع الله بطنه» من مناقبه! ٥٥٦
- ٦١ - عن أنس مرفوعاً: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، ومعاوية حلقتها» ٥٥٦

موضوعات أخرى على النبي ﷺ

- ٦٢ - النبي ﷺ يفتخر بأبي حنيفة! ٥٥٧
- قيل: إن من ورع أبي حنيفة أن شاة سرقت في عهده فلم يأكل لحم شاة مدة تعيش الشاة فيها ... ٥٥٧
- قال ابو حنيفة: «أنظروا أنا أحتال الناس منذ كذا وكذا وقد احتال عليّ هذا الصبي» ... ٥٥٨
- قال صاحب مفتاح السعادة: «كان ابو حنيفة صغيراً وتربّى في حجر جعفر الصادق، وأخذ

- علومه منه ، وهذه إن ثبتت فنقبة عظيمة لأبي حنيفة» ٥٥٩
- من أعجب ما رأيت أنه قيل : «إنَّ الإمام أبا حنيفة افتتح القراءة كما هو دأبه على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن ،...» ٥٦٠
- وأعجب من هذا ما ذكره العلامة البرزنجي : «ذهب بعض الحنفية إلى أن كلاً من عيسى ومهدي يقلدان مذهب الإمام أبي حنيفة ...» ٥٦١
- ٦٣- إمام المالكية يرى النبي ﷺ كل ليلة! ٥٦٢
- ٦٤- قدم النبي ﷺ على رقة عبد القادر! ٥٦٣
- ٦٥- السيوطي رأى النبي ﷺ يقظة! ٥٦٣

سلسلة الموضوعات في الخلافة فحسب

- أهم موضوع لعبت به أيدي الهوى ، وعبثت به العواطف المضلة ، هو موضوع الخلافة في السنة والحديث ، وإليك نماذج من تلك المخاذي : ٥٦٥
- ١- عن عائشة قالت : «أول حجر حمله النبي ﷺ لبناء المسجد ، ثم حمل أبو بكر حجراً آخر ، ثم حمل عمر ، ثم حمل عثمان ... فقال ﷺ : يا عائشة! هؤلاء الخلفاء من بعدي» ٥٦٥
- ٢- عن رسول الله ﷺ : «يا بلال أذن في الناس : أن الخليفة بعدي أبو بكر ...» ٥٦٥
- ٣- مرفوعاً : «لما عُرج بي قلتُ : اللَّهُمَّ اجعل الخليفة من بعدي عليّاً . فارتجت السموات وهتف بي الملائكة : يا محمد! إقرأ : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وقد شاء الله أبا بكر» . ٥٦٦
- أَفْ تَفَّ لِمَوْلف يذكر مثل هذه الأفيكة ويراهها لطيفة ٥٦٧
- ٤- عن أنس : «أبو بكر وزيري يقوم مقامي ، وعمر ينطق بلساني ، وأنا من عثمان وعثمان مني» . ٥٦٧
- ٥ و ٦ و ٧- صورة ممسوخة من حديث الكتف والدواة ، حوّلوه إلى هذه الصورة لما رأوا الصورة الصحيحة من الحديث لا تتم بصالحهم ٥٦٧ - ٥٧٠
- قال قائلهم : إنَّ الرجل ليهجر ، أو إنَّ الرجل غلبه الوجع ٥٦٨
- بيان بطلان الرواية [«... معاذ الله أن يختلف المؤمنون»] ٥٦٩

- غثيثة القزوير: ٥٧٠
- البرهنة الوحيدة عند القوم في باب الخلافة هو الإجماع والانتخاب فحسب، ولم تجد منهم أيّ شاذّ يعتمد على النصّ فيها، وتراهم بسطوا القول حول إبطال النصّ وتصحيح الاختيار وأحكامه ٥٧٠
- قال الخضري: «الأصل في انتخاب الخليفة رضا الأمة...» ٥٧٠
- معنى البيعة وولاية العهد في كلام الخضري ٥٧٠
- أحاديث جمّة صحيحة تضادّها [الروايات في موضوع الخلافة] وتكذبها: ٥٧١
- ١- قال أبو بكر في مرضه الذي توفّي فيه: «وددتُ أنّي سألتُ رسول الله لمن هذا الأمر...» ٥٧١
- ٢- لما احتضر أبو بكر دعا عمر فقال: «إني مستخلفك على أصحاب رسول الله يا عمر!...» ٥٧١
- ٣- عن أبي بكر قال: «إني وليتُ هذا الأمر وأنا له كاره...» ٥٧٢
- ٤- استقال أبو بكر الخلافة من الناس وقال مرّة بعد أخرى: «أقبلوني أقبلوني لستُ بخيركم» ٥٧٢
- ٥- كان عمر يرى الأمر شوري بين المسلمين ويقول: «من بايع أميراً من غير مشورة المسلمين فلا بيعة له...» ٥٧٢
- ٦- أقعد عليّ عليه السلام عن بيعة عثمان يوم الشورى فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربتُ عنقك!... ٥٧٢
- كان قتل المتزلف عن البيعة في ذلك الموقف، وصيّة من عمر بن الخطّاب ٥٧٣
- ما هذه الدمدمة والهمهمة؟

- هذه الروايات جلبّة وصخبٌ تجاه الحقيقة الراهنة ووجه الخلافة المحقّة الثابتة بالنصوص الصريحة الصحيحة لأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب ٥٧٣
- قد نصّ النبي ﷺ في بدء دعوته على أنّ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ٥٧٣
- قال القصيمي: «ليس في رجال الحديث من أهل السنّة من هو متّهم بالوضع والكذابة!» ٥٧٤
- حكم الوضّاعين ٥٧٥
- حكم الحفاظ لتكلم الموضوعات المبهرجة: ٥٧٥

عن النبي ﷺ : «من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذبٌ، فهو أحد الكذابين» ٥٧٥

ح : رحلته ﷺ وما جرى على أهل بيته ﷺ بعده

١ - حجة الوداع

١ - يطلق على حجة الوداع : حجة الإسلام، حجة البلاغ، حجة الكمال، وحجة التمام. ٥٧٧

٢ - أخرج ﷺ معه نسائه كلهنّ، وسار معه أهل بيته، وعامة المهاجرين والأنصار. ٥٧٧

٣ - خرج معه ﷺ تسعون ألفاً، والذين حجّوا معه فأكثر من ذلك ٥٧٨

٤ - لما قضى مناسكه ﷺ، وصل إلى غدير خمّ في الجحفة وذلك يوم الخميس الثامن عشر من

ذي الحجة، نزل إليه جبرئيل عن الله بقوله : «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...»

وأمره أن يقيم عليّاً علماً للناس. ٥٧٨

٥ - أمر رسول الله أن يردّ من تقدّم ويحبس من تأخّر. ٥٧٨

٦ - صلى النبي ﷺ صلاة الظهر بالناس. ٥٧٨

٧ - لما انصرف ﷺ من صلاته، قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل. ٥٧٨

٨ - قال ﷺ : «أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير : أنّه لم يعمر نبيّ إلا مثل نصف عمر الذي

قبله» ٥٧٩

٩ - قال ﷺ : «فإني فرط على الحوض وأنتم واردون على الحوض» ٥٧٩

١٠ - قال ﷺ : «أنظروا كيف تخلّفوني في الثقلين» ٥٧٩

١١ - قال ﷺ : «النقل الأكبر كتاب الله والآخر الأصغر عترتي ... فلا تقدموهما فتهلكوا،

ولا تقصروا عنها فتهلكوا» ٥٧٩

١٢ - أخذ ﷺ بيد عليّ فرفعها حتى روى بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون. ٥٨٠

١٣ - قال ﷺ : «إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم ! فمن كنت مولاه

فعليّ مولاه» ٥٨٠

١٤ - يقولها ثلاث مرّات، وقيل : أربع مرّات. ٥٨٠

- ١٥ - لم يتفرّقوا حتّى نزل جبرئيل : ﴿ أَلَيْتُمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي... ﴾ فقال رسول الله : «الله اكبر على إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضا الربّ برسالي ، والولاية لعليّ من بعدي» ٥٨٠
- ١٦ - طفق القوم يهتّون أمير المؤمنين ﷺ : ومَن هنّاه الشيخان ٥٨٠
- ١٧ - الشيخان كلّ يقول : «بخّ بخّ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمّست مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة» ٥٨٠
- ١٨ - قال ابن عباس : «وجبت في أعناق القوم» ٥٨٠
- قال الدكتور ملحم إبراهيم شارح ديوان أبي تمام : «يوم الغدير واقعة حرب معروفة» !! ٥٨٠
- ردّ هذه الفتوى المجردة ٥٨١

العناية بحديث الغدير:

- كان للمولى سبحانه مزيد عناية بإشهار حديث الغدير؛ ولذلك : ٥٨٢
- ١ - أنجز الأمر بالتبليغ في حين مزدحم الجباهير عند منصرف نبيّه من الحجّ الأكبر ٥٨٢
- ٢ - ردّ المتقدّم وجعجع بالتأخّر ، وأسمع الجميع ، وأمر بتبليغ الشاهد الغائب ٥٨٢
- ٣ - لم يكتف - سبحانه - بذلك كلّ حتّى أنزل في أمره الآيات الكريمة ٥٨٣
- لا أحسب أنّ أهل السنّة يتأخّرون بكثير عن الإماميّة في إثبات حديث الغدير ٥٨٤
- رواة حديث الغدير من الصحابة والتابعين ٥٨٤ - ٥٨٩
- طبقات الرواة من العلماء والمؤلّفون في حديث الغدير ٥٨٩ - ٥٩٥
- الغدير في الكتاب العزيز: ٥٩٦
- ١ - آية التبليغ: أخرج الطبري بإسناده عن زيد بن أرقم ، قال : لما نزل النبيُّ بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع فخطب باللغة ثمّ قال :
- ١ - عليّ بن أبي طالب أخي ووصيّ وخليفتي والإمام بعدي ٥٩٧

- ٢- إنَّ الله قد نصبه لكم ولياً واماماً وفرض طاعته على كلِّ أحد..... ٥٩٧
- ٣- إنَّ الله مولاكم و عليّ إمامكم ثمَّ الإمامة في وُلدي من صُلبه إلى القيامة..... ٥٩٧
- ٤- ما من علم إلّا وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه، فلا تضلّوا عنه، ولا تستكفوا منه... ٥٩٧
- ٥- هو [عليّ] الذي يهدي إلى الحقّ ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره، ولن يغفر له، حتّى على الله أن يفعل ذلك أن يعذّبه عذاباً نكراً أبداً الآبدين..... ٥٩٧
- ٦- هو أفضل الناس بعدي..... ٥٩٨
- ٧- لا تحلّ إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره..... ٥٩٨
- ٨- اللَّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحد حقّه..... ٥٩٨
- ٩- من لم يأتّم بعليّ وبمن كان من وُلدي من صُلبه إلى القيامة، فأولئك حبّطت أعمالهم وفي النّار هم خالدون..... ٥٩٨
- ١٠- إنّ إبليس أخرج آدم عليه السلام من الجنّة مع كونه صفوة الله، بالحسد؛ فلا تحسدوا فتحبّط أعمالكم وتزلّ أقدامكم..... ٥٩٨
- ١١- في عليّ نزلت سورة ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾..... ٥٩٨
- ١٢- معاشر الناس آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه. النور من الله فيّ، ثمّ في عليّ، ثمّ في النسل منه إلى القائم المهديّ..... ٥٩٨

القول الفصل:

- ١- ذكر المتوسّعون في النقل وجوهاً أخر لنزول آية التبليغ..... ٥٩٩
- ٢- هذه الوجوه غير ناهضة لمجابهة الأحاديث المعتبرة..... ٦٠٠

ذيل في المقام:

- الفرية على الشيعة: «قالت الشيعة: إنّ عليه السلام قد كتم أشياء على سبيل التقيّة»..... ٦٠٠

٢- آية الإكمال:

- ردّ كلام الآلوسي..... ٦٠٣

٣- آية العذاب الواقع ٦٠٤

نظرة في الحديث [حديث الغدير]:

ابن تيمية - الدائب على إنكار الضروريات، والمتجري على الوقعة في المسلمين - قد ذكر
وجوهاً في إبطال الحديث، ونحن نذكرها مختصرةً ونجيب عنها. ٦٠٥-٦١٠

حديث التهئة:

١ - قال ﷺ: «وسلموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا

لننتدي لولا أن هدانا الله» ٦١١

٢ - كان أول من صافق النبي ﷺ وعلياً: أبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير. ٦١١

٣ - خصوص حديث تهئة الشيخين رواه من أئمة الحديث والتفسير والتاريخ من رجال السنة

كثيراً لا يستهان بعدتهم ٦١٢

عوداً إلى البدء: ٦١٢

١ - قال طارق بن شهاب الكتابي الذي حضر مجلس عمر بن الخطاب: «لو نزلت فينا هذه

الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ لا تحذنا يوم نزولها عيداً». ٦١٢-٦١٣

٢ - قال ﷺ: «يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي...». ٦١٣

٣ - الأئمة عليهم السلام سموه عيداً وأمروا بذلك عامة المسلمين. ٦١٤

٤ - تقد على النويري والمقريني في قولهم: «إن عيد الغدير ابتدعه معز الدولة». ٦١٥

القتويج يوم الغدير:

١ - كانت التيجان المكللة بالذهب المرصعة بالجواهر من شناسن ملوك الفرس، ولم يكن

للعرب منها بدلٌ إلاّ العمام. ٦١٧

٢ - لذلك جاء عن رسول الله ﷺ: «العمائم تيجان العرب». ٦١٧

٣ - على هذا الأساس عممه رسول الله ﷺ هذا اليوم بهيئة خاصة تُعرب عن العظمة والجلال،

- وتوجه بيده الكريمة بعمامته - السحاب - في ذلك المحتشد العظيم ٦١٧
- ٤ - فائدة : معنى ' ما يُعزى إلى الشيعة من قولهم : «إنَّ عليّاً في السحاب» ٦١٨
- كلمات حول سند الحديث للحفاظ الأثبات والأعلام الفطاحل ٦١٨
- محاكمة حول سند حديث الغدير :
- ١ - هناك أمة من فطاحل العلماء حكموا بتواتر حديث الغدير وشنّوا على من أنكر ذلك ٦٢١
- ٢ - إن لم يكن حديث الغدير معلوماً فما في الدين معلومٌ ٦٢١
- ٣ - لكن بين ثنايا العصبية حُثالة حدا بهم الانحياز عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إلى تعكير هذا الصفو بكلّ جليلة ولغظ : ٦٢١
- الف : فمن منكر صحة هذا الحديث .
- ب : إلى آخر يُنكر صحة صدر الحديث .
- ج : إلى ثالث يضعّف ذيله .
- د : ورابع يطعن في أصله و يعتبر الدعاء الملحق به .
- ٤ - وهناك من يقول : تارة : إنّه لم يروه علماؤنا ، وأخري : إنّه لا يصحّ من طريق الثقات ، وثالثة : إنّه ما أخرجه إلّا أحمد في مسنده ٦٢٢
- ٥ - قال الإمام المحافظ أبو موسى المديني : «مسند الإمام أحمد أصل كبير ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ...» ٦٢٣
- ٦ - وجاء آخرٌ يقول : نقل حديث الغدير في غير كتب الصحاح ٦٢٣
- ٧ - حديث الغدير أخرجه الترمذى في صحيحه ، وابن ماجه في سننه و ٦٢٣
- ٨ - وآخر قدح في صحّته بعدم رواية الشيخين في صحيحهما ٦٢٣
- ٩ - عدم إخراج البخاري و مسلم هذا الحديث المتفق على صحّته وتواتره ، لا يكون قدحاً في الحديث إن لم يكن نقصاً في الكتاين ومؤلفيهما ٦٢٤

- ١٠ - البادي بخلاف الإجماع في ردّ الحديث هو ابن حزم الأندلسي، ثمّ تبعه على ذلك ابن تيمية، ثمّ قلّد هما من راقه الانحياز عن الحقّ الثابت. ٦٢٤
- ١١ - من غرائب اليوم ما جاء به أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام. ٦٢٦

مفاد حديث الغدير:

- ١ - لفظة «المولى» في المقام لا تدلّ إلّا على إمامة مولانا أمير المؤمنين؛ لفهم من وعاه من الحضور في ذلك المحتشد العظيم، ومنّ بلاغهُ النبأ بعد حين، وتتابع هذا الفهم فيمن بعدهم من الشعراء ورجالات الأدب. ٦٢٧
- ٢ - في الطليعة من هؤلاء مولانا أمير المؤمنين في كتابه إلى معاوية. ٦٢٧
- ٣ - ثمّ حسان بن ثابت، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومحمّد بن عبد الله الحميري، وعمرو ابن العاص، و. ٦٢٧-٦٢٨
- ٤ - وهناك زرفات من الناس فهموا من اللفظ هذا المعنى وإن لم يُعربوا عنه بقريض؛ ومن أولئك الشيخان وقد أتبيا أمير المؤمنين مهتئين ومبايعين. ٦٢٨
- ٥ - المولوية المستعظمة عند العرب ليست هي المحبة والنصرة ولا شيئاً من معاني الكلمة، وإنما هي الرئاسة الكبرى. ٦٢٩
- ٦ - هذا المعنى غير خافٍ حتّى على الخدّرات في الحجال. ٦٢٩
- نظرة في معاني المولى وهي اثنان وعشرون معنىً. ٦٢٩-٦٣٣
- المعاني التي يمكن إرادتها من الحديث. ٦٣٣
- الحقيقة من معاني المولى ليس إلّا الأولى بالشيء، وهو المأخوذ في كلّ من المعاني الأخرى بنوع من العناية. ٦٣٥

القرائن المعينة لمعنى الحديث [الأولى بالشيء] متصلة ومنفصلة:

- القرينة الأولى: مقدّمة الحديث المتفق عليها. ٦٣٧

- القرينة الثانية: ذيل الحديث المتسالم عليه . ٦٣٨
- القرينة الثالثة: الاستشهاد الواقع في صدر الحديث . ٦٣٩
- القرينة الرابعة: قوله ﷺ عقيب لفظ الحديث: «الله اكبر على إكمال الدين، و... والولاية لعليّ ابن أبي طالب». ٦٤٠
- القرينة الخامسة: قوله ﷺ قبل بيان الولاية: «كأنّي دُعيتُ فأجبتُ». ٦٤٠
- القرينة السادسة: قوله ﷺ بعد بيان الولاية: «هتئوني هتئوني...». ٦٤١
- القرينة السابعة: قوله ﷺ بعد بيان الولاية: «فليبلغ الشاهد الغائب». ٦٤١
- القرينة الثامنة: قوله ﷺ بعد بيان الولاية: «إنّه وليكم بعدي». ٦٤١
- القرينة التاسعة: قوله ﷺ بعد إبلاغ الولاية: «اللّهم أنت شهيدٌ عليهم أنّي قد بلغت ونصحت». ٦٤٢
- القرينة العاشرة: قوله ﷺ قبل بيان الحديث: «وظننتُ أنّ الناس مكذّبي...». ٦٤٣
- القرينة الحادية عشرة: كلمة «نصب» الواردة في الحديث . ٦٤٣
- القرينة الثانية عشرة: كلمة «وجبتَ في أعناق القوم». ٦٤٤
- القرينة الثالثة عشرة: القول بأنّ هذه آخر فريضة أوجب الله علي عباده. ٦٤٤
- القرينة الرابعة عشرة: خوف بعض الناس من رواية الحديث . ٦٤٥
- القرينة الخامسة عشرة: احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بالحديث يوم الرحبة . ٦٤٦
- القرينة السادسة عشرة: ما ورد في حديث الركبان . ٦٤٦
- القرينة السابعة عشرة: إصابة دعوة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أناساً كتبوا شهادتهم بحديث الغدير . ٦٤٦
- القرينة الثامنة عشرة: كلمة عمر: «هذا مولاي ومولى كلّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن». ٦٤٧
- الأحاديث المفسّرة لمعنى المولى . ٦٤٨

٢ - إنكار عمر موته ﷺ

أول مظهر من مظاهر علم الخليفة عند الباقلاني ، هو إعلامه الناس بموت رسول الله وحجاجة عمر بن خطاب بقوله : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...﴾ ٦٥١

كان إنكار عمر موت رسول الله ﷺ وإرهابه الناس لسياسة مدبرة ؛ وذلك صرف فكرة الشعب عن الفحص عن الخليفة إلى أن يحضر أبو بكر وكان غائبا بالسُّنح خارج المدينة ٦٥٢

٣ - غضب فذك برواية مجعولة

المظهر الثاني والثالث : رواية حديثين أحدهما : «ما نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه» . وثانيهما : «إنا معشر الأنبياء لا نُورث ، ما تركنا صدقة» ٦٥٩-٦٥٢

كأن ابن حجر يقيس الناس إلى نفسه ويحسبهم ولائد حَجَر لا يعقلون شيئا وهم يسمعون ٦٥٣

روايات حول روضة النبوي ﷺ ٦٥٣

لماذا لم تكن أذن واعية لدعوى الصديقة وزوجها الطاهر بكون فذك نحلة لها من رسول الله ﷺ وهي لا تعلم إلا من قبلها؟! ٦٥٦

الإشارة إلى قصّة فذك ٦٥٦

قالت فاطمة ﷺ لأبي بكر : «إن رسول الله ﷺ جعل لي فذك فأعطني إياه» ، وشهد لها علي بن أبي طالب ، وشهدت أمّ أيمن ٦٥٦

مّم كان غضب الصديقة الطاهرة؟ ٦٥٦

قالت فاطمة ﷺ : «أترث أباك ولا أترث أبي؟» ٦٥٧

ردّ مزعمة أنّ الأنبياء لا يورثون ٦٥٧

لا يُعبأ بالخبر الواحد الذي لم يخبت إليه صديقة الأمة وصديقتها ٦٥٨

لا يُعبأ بالخبر الواحد الذي جرّ على الأمة كلّ هذه المحن والإحن ، وفتح عليها باب العداء المحتوم بمصراعيه ٦٥٨

كتب أبو بكر بكتاب لفاطمة ﷺ بذك ، ثم أخذ عمر الكتاب فشقّه ٦٥٩

التمسك بالأفانك: ٦٥٩

طعن ابن حجر في رواية: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، والجواب عنه. ٦٦٠-٦٥٩

ردّ رواية الفردوس: «أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها...» ٦٦٠

شجاعة الخليفة: ٦٦١

لم يؤثر عن الخليفة قبل الإسلام مشهد يدلّ على فروسيّته، كما أنّه لم نجد له في مغازي النبي ﷺ

مع كثرتها وشهوده فيها موقفاً يشهد له بالبسالة ٦٦١

فرّ أبو بكر كصاحبه عمر بن الخطّاب في واقعة خيبر عن مناضلة مرحب اليهوديّ. ٦٦١

يُعرب عن فرار يوم ذلك قول رسول الله ﷺ بعد ما فرّا: «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله

ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرّار». ٦٦١

كلمات حول شجاعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ٦٦٢-٦٦٤

أكان الأشجع في العريش يوم قال ﷺ: «لضربة عليّ خيرٌ من عبادة الثقلين». ٦٦٤

الغريق يتشبّث بكلّ حشيش:

هذا يبني فلسفة العريش، والآخر ينسج نسج العناكب ويعدّ ثباته في موت رسول الله ﷺ

وعدم تضعضه في تلك الهائلة دليلاً على كمال شجاعته. ٦٦٥

قول القرطبي: «هذه الآية [وَمَا مُحْتَدُّ إِلَّا رَسُولٌ...]» أدلّ دليل على شجاعة الصديق

وجرّاته، والجواب عنه. ٦٦٥

ما جاء به القرطبي من ميزان الشجاعة يستلزم كون الخليفة أشجع من رسول الله ﷺ ... ٦٦٦

لم يرو عن أبي بكر في رزيّة النبي الأعظم أكثر من أنّه كشف عن وجه النبي ﷺ وقبّله وهو

يبكي وقال: طُبْتُ حيّاً وميّتاً، وفعل ﷺ أكثر وأكثر من هذا في موت عثمان بن

مظعون ٦٦٦

كما يستدعي مقياس الرجل كون عمر بن الخطّاب أشجع من النبي ﷺ. ٦٦٦

عن ابن عمر: «كان سبب موت أبي بكر موت رسول الله ﷺ؛ مازال جسمه يجري حتّى مات». ٦٦٧

- ٦٦٧ يُعزى إلى رسول الله: «لولا أبو بكر الصديق لذهب الإسلام».
- ٦٦٨ روى البخاري: «أن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها... فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت».
- ٦٦٨ أيضاً فيه: «هجرت له فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن أبا بكر، وصلى عليها».
- ٦٦٨ بلغت من موجدتها أنها أوصت بأن تدفن ليلاً، وأن لا يدخل عليها أحد، ولا يصلي عليها أبو بكر؛ فدفنت ليلاً وصلى عليها عليّ وهو الذي غسلها مع أسماء بنت عميس.
- ٦٦٨ أكذوبة على الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «توفيت فاطمة ليلاً، فجاء أبو بكر وعمر وجماعة كثيرة... فتقدم أبو بكر فصلى أربعاً».
- ٦٦٩ ومن جرّاء تلك الموقعة منعت أن تدخلها يوم ذاك عائشة كريمة أبي بكر فضلاً عن أبيها.
- ٦٧٠ اعتذار الخليفة إلى الصديقة: «دخل [أبو بكر] فاعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه».
- ٦٧٠ «أبو بكر وعمر لما قعدا عندها [فاطمة] حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلمّا عليها، فلم تردّ عليهما... وهي تقول: «والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها...».
- ٦٧١ نظرة في كلمة قارصة: «هي [فاطمة] امرأة من بنات آدم تأسف كما يأسفون، وليست بواجبة العصمة، مع وجود نصّ رسول الله ومخالفة أبي بكر».
- ٦٧٢ أحاديث حول أن رضي فاطمة رضي رسول الله ورضيها غضبه.
- ٦٧٣ قال أبو القاسم السهيلي: «قال رسول الله: «إن فاطمة مضغة مني؛ فصلّى الله عليه وعلى فاطمة»؛ فهذا الحديث يدلّ على أن من سبها فقد كفر، ومن صلى عليها فقد صلى على أبيها».
- ٦٧٤ في شرح الجامع الصغير: «إنها [فاطمة] أفضل من الشيخين...».

- قال ابن حجر: «كل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت به، فالنبي ﷺ يتأذى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها» ٦٧٤
- هذه المطلقات تشمل جميع موجبات الرضا والغضب من الصديقة حتى المباحات. ٦٧٤
- أنها ﷺ لا ترضى إلا لما فيه مرضاة الله سبحانه، ولا تغضب إلا على ما يغضبه. ٦٧٥
- أنها لو رضيت أو غضبت على أمر مباح فإن هناك جهة شرعية تدخله في الراجحات، أو يجعله من المكروهات ٦٧٥

٤ - حديث السقيفة

الإشارة إلى حديث السقيفة والتحارش العظيم بين المهاجرين والأنصار

- ١ - يتوعد الرجل الغليظ الكلام بالقتل كل قائل بموت رسول الله ويقول: «لا أسمع رجلاً يقول مات رسول الله إلا ضربت به بسيفي» ٦٧٦
- ٢ - قام الشيخان يعرض كل منهما البيعة لصاحبه قبل أخذ الرأي عن أي أحد، كأن الأمر دبر بليل؛ فيقول هذا لصاحبه: «أبسط يدك فلا بايعك»، يقول آخر: «بل أنت»، ومعهما أبو عبيدة الجراح صفار القبور بالمدينة يدعوا الناس إليهما ٦٧٧
- ٣ - الوصي الأقدس والعتره الهادية وبنو هاشم ألهاهم النبي الأعظم وقد أغلق دونه الباب أهله ٦٧٧
- ٤ - مكث ﷺ ثلاثة أيام لا يُدفن قدفنه أهله ولم يشهد الشيخان دفنه ٦٧٧
- ٥ - الحباب بن المنذر الصحابي العظيم قد انتضى سيفه على أبي بكر، فأخذ وطئ في بطنه، ودُس في فيه التراب ٦٧٨
- ٦ - بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى أهل البيت ﷺ وقال له: «إن أبوا فقاتلهم» ٦٧٩
- ٧ - فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقينته فاطمة فقالت: «يا بن الخطاب أجنث لتحرق دارنا؟». قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة ٦٧٩
- ٨ - هجم رجال الحزب السياسي دار أهل الوحي وقد علت عقيرة قائدهم بعد ما دعا

- بالخطب: «والله لتحرقنَّ عليكم أو لتخرجنَّ إلى البيعة»، أو «لأحرقنَّها على من فيها»؛
 فيقال للرجل: إنَّ فيها فاطمة؛ فقال: وإنَّ! ٦٧٩
- ٩- فاطمة عليها السلام تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميات تنادي: «يا أبا بكر! ما أسرع ما أغرتم
 على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلّم عمر حتّى ألقى الله». ٦٨٠
- ١٠- هيكل القداسة والعظمة أمير المؤمنين يقاد إلى البيعة كما يقاد الجمل المخشوش، ويدفع
 ويساق سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون، ويقال له: بايع. فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟».
 فيقال: إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك. فقال: «إذن تقتلون عبد الله وأخا رسول
 الله». ٦٨٠
- ١١- صنو المصطفى عليه السلام لاذ بقبر رسول الله وهو يصيح ويبكي ويقول: «يا ابنَ أمِّ إنَّ
 ألقومَ استضعفوني وكادُوا يقتلوني» ٦٨٠
- ١٢- نادى أبو عبيدة عليه السلام يوم سيق إلى البيعة: «يا بن عم! إنك حديث السنّ وهؤلاء
 مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور... فسلم لأبي بكر هذا الأمر...». .. ٦٨٠
- ١٣- رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبب بقولهم: «لا نبايع إلا علياً». ٦٨٠
- ١٤- قال أبو بكر للأنصار: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفان كشقّ
 الأبلمة - يعني الخوصة -...». ٦٨٠
- ١٥- رأى أبو بكر وعمر الخلافة فلتة كفلة الجاهلية وقى الله شرّها! ٦٨١
- ١٦- حكم عمر بقتل من عاد إلى مثل تلك البيعة. ٦٨١
- ١٧- قال عمر: «إنّا والله ما فعلناه عن عدواة ولكن استصغرناه، وحسبنا أن لا يجتمع عليه
 العرب وقريش لما قد وترها». ٦٨١
- ١٨- قال أبو السبطين عليه السلام: «أنا عبد الله وأخو رسول الله، أنا أحقّ بهذا الأمر منكم،
 لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي». فقال عمر: لست متروكاً حتّى تبائع. فقال عليّ: «احلب
 يا عمر حلباً لك شطره». ٦٨٢

- ١٩ - خرج عليّ عليه السلام يحمل فاطمة بنت رسول الله على دابة ليلاً في مجالس الأنصار وتسألهم النصره . فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله ! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ٦٨٢
- ٢٠ - الخطبة الشقشقية ٦٨٢
- كلمتنا حول هذه الخطبة ٦٨٣
- أثبتها مهرة الفن من الفريقين ؛ فلا يُسمع قول الجاهل بأئمتها من كلام الشريف الرضي ... ٦٨٣
- أمة ممن رووا هذه الخطبة ٦٨٣
- ٢١ - يعربد شاعر النيل ويتبجح ويتبجح بقوله في القصيدة العمرية :
- وقولة لعليّ قالها عمرُ أكرم بسامعها أعظم بملقيها ٦٨٥
- ترى الأمة المصرية طبع ديوان الشاعر وقصيدته العمرية خاصة مرة بعد أخرى ، وتراهم بالغلوا في الثناء على الشاعر وقصيدته هذه كأنه جاء للأمة بعلم جم أو أتى لعمر بفضيلة رابية ٦٨٦-٦٨٧
- بُشرى لنبيّ الأعظم بأن بضعته الصديقة لم تكن لها أي حزمة وكرامة عند من يلهج بهذا القول ، ولم يكن سكنها في دار طهر الله أهلها ، يعصمهم منه ومن حرق الدار عليهم ٦٨٧
- ه - عمدة ما تمسك به القوم فيما وقع من الانتخاب الدستوري
- عن ابن عمر قال : « كنّا نخيّر بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وآله فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان ابن عفان » ٦٨٧
- هذه الرواية عمدة ما تمسك به القوم فيما وقع من الانتخاب الدستوري في الإسلام ، وقد اتخذها المتكلمون حجة لدى البحث عن الإمامة ، واتباع أثرهم المحدثون ٦٨٨
- جعلوا هذه الرواية كحجر أساسي علّوا عليها أمر الخلافة الراشدة ٦٨٨
- كان ابن عمر على العهد النبوي الذي ادعى أنه كان يُخير فيه فيختار ، في إيان شبيبته حتى أنه كان لم يبلغ الحلم في جملة من سنيه ٦٨٨

- قال علي بن الجعد: «أنظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأته يقول: كنّا نفاضل» ٦٨٩
- من عرف ابن عمر وقرأ صحيفة تاريخه السوداء عرفه بضؤولة الرأي واتباع الهوى وبفقدانه كلّ تلكم الخلل يوم أشدّه وكبر سنّه فضلاً عن عنفوان شبابه ٦٨٩
- كلمة أبي عمر في الاستيعاب وابن حجر في فتح الباري ٦٨٩ - ٦٩٠
- شّتان بين رأي ابن عمر وبين قول أبيه في عليّ ﷺ: «هذا مولاي ومولى كلّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن» ٦٩١
- لو كان معظم الصحابة لم يعدل بأبي بكر أحداً في زمن نبيّهم فما الذي زحزحهم عن رأيهم ذلك في يوم السقيفة؟! ٦٩١
- قال ابن حجر: «هي - فضيلة كون أبي بكر ثاني اثنين في الغار - أعظم فضائله التي استحقّ بها أن يكون الخليفة بعد النبي ﷺ» ٦٩٢
- بيان أن صحبة يومين في الغار لا توجب أن يكون الرجل أولى الناس بأمرهم ٦٩٢
- كيف استحقّ الرجل بمثل هذه الصحبة الخلافة، وأمّا صحبة عليّ ﷺ إياه منذ نعومة أظفاره إلى آخر نفس لفظه ﷺ لم توجب استحقاقه بها الخلافة؟! ٦٩٢
- قال النووي: «كان عذر أبي بكر وعمر وسائر الصحابة واضحاً؛ لأنّهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين... ولهذا أخروا دفن النبي ﷺ!» ٦٩٣
- قال معاوية: «لما مضى رسول الله ولّى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك والخلافة» ٦٩٥
- أين كان ابن عمر عن أناس كانوا يفضّلون بلال الحبشيّ على أبا بكر حتّى قال: كيف تفضّلوني عليه وإنّما أنا حسنة من حسناته؟! ٦٩٥
- وسيف عبد الرحمن بن عوف هو العامل الوحيد يوم الشورى ٦٩٥ - ٦٩٦
- لم يكن لأعيان الأُمّة ووجوه الصحابة، وصلحاء الأُمّة في أمر تلكم الأدوار القائمة حلّ ولا عقد ٦٩٦

- ٦٩٦ عن النبي ﷺ : «عليّ ممسوسٌ في ذات الله»، ومعنى هذه الرواية .
- ٦٩٧ ما هذا الاختيار؟ وكيف يتم؟ ولم؟ وبم؟
- قال الجاحظ : «لا يُعلم رجلٌ في الأرض متى ذكر السبق في الإسلام والتقدم فيه، ومتى ذكرت النجدة والذب عن الإسلام، ومتى ذكر الفقه في الدين و... كان مذكوراً في هذه الخصال كلها إلا عليّ» .
- ٦٩٨ رواياتٌ حول سلمان ﷺ .
- ٦٩٩ لا يرضى ابن عمر أن كون عليّ ﷺ أفضل من أحد من أصحاب محمد ﷺ حتى بعد عثمان وليد بنت أمية .
- ٧٠٠ لم أر مثله حقاً أضياعاً .

ط - حول زيارته ﷺ

زيارة مشاهد العترة الطاهرة: الدعاء عندها، الصلاة فيها، التوسّل والتبرّك بها

- ٧٠١ ابن تيمية أنكر سنة زيارة القبور والدعاء عندها والتبرّك والتوسّل بها .
- ٧٠١ أفتى ابن تيمية بجرمة شدّ الرحال لزيارة النبي ﷺ، وعدّ السفر لأجل ذلك سفر معصية .
- ٧٠٢ - ٧٠١ خالفه أعلام عصره ورجالات قومه إلى أن قال بعضهم بتكفيره .
- ٧٠٣ هذا حذو ابن تيمية القصيمي صاحب الصراع .
- ٧٠٤ شتّان بين هذا الرأي للقصيمي الفاسد وبين قول الشيخ تقيّ الدين السبكي .
- ٧٠٥ الحثّ على زيارة النبي ﷺ .
- ٧٠٥ شطرٌ من أحاديث جمّة في زيارة قبر النبي ﷺ .
- ٧٠٧ كلمات أعلام المذاهب الأربعة حول زيارة النبي ﷺ الأقدس .
- آلف الشيخ تقيّ الدين السبكي الشافعي كتاب «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» ردّاً على ابن تيمية .
- ٧٠٨ معنى قوله ﷺ : «لا تتخذوا قبوري عيداً» .

- ٧٠٩ أدب الزائر عند الجمهور .
- ٧١٠ زيارة النبي الأقدس ﷺ .
- ٧١١ الدعاء عند رأس النبي ﷺ .
- ٧١١ الصلاة على النبي الطاهر ﷺ .
- ٧١١ التوسّل والاستشفاع بقبره الشريف ﷺ .
- هناك جماعة من الحفاظ وأعلام أهل السنّة بسطوا القول بالتوسّل وقالوا: إنّ التوسّل بالنبي ﷺ جائزٌ في كلّ حال قبل خلقه وبعده، في مدّة حياته في الدنيا وبعده، في مدّة البرزخ، وبعده البعث في عرصات القيامة والجنّة. ٧١١-٧١٢
- ٧١٢ التبرّك بالقبر الشريف بالتزامٍ وتمريغٍ وتقيل .
- لما رُمس رسول الله ﷺ، جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها، وبكت و..... ٧١٣
- ٧١٣ منع مروان رجلاً واضعاً وجهه على قبر رسول الله ﷺ .
- عن رسول الله ﷺ: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله» ٧١٣
- ٧١٣ المنع عن التوسّل بالقبور الطاهرة إنّما هو من بدع الأمويين .
- لبنّي أميّة عامّة ولمروان خاصّة ضغينة على رسول الله ﷺ منذ يوم لم يبق ﷺ في الأسرة الأمويّة حرمةً إلّا هتكها، ولا ركناً إلّا أباده. ٧١٣-٧١٤
- ٧١٥ وداع الحرم الأقدس .
- ٧١٥ القول في الزيارة .

ي: كلماته ﷺ

- أوماً رسول الله ﷺ بإصبعه إلى فيه وقال: «أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا حقٌّ» ٧١٧

١ - وصاياه ﷺ في أهل بيته ﷺ

- ١ - عن النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنيهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» ٧١٧
- ٢ - عن النبي ﷺ: «لو أن رجلاً صَفَنَ^(١) بين الركن والمقام فصلّى وصام، ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار» ٧١٧
- ٣ - عن رسول الله قال: «أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي» ٧١٧
- ٤ - عن رسول الله ﷺ: «أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها...» ٧١٨
- ٥ - كان ﷺ إذا أصبح أتى باب عليّ وفاطمة وهو يقول: «يرحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» ٧١٨
- ٦ - عن النبي ﷺ: «من سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي...» ٧١٨
- ٧ - «إنما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق» ٧١٨
- ٨ - «وعدني ربّي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد وليّ بالبلاغ أنّه لا يعذبهم» ٧١٩
- ٩ - عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله ﷺ خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربيّة، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: معشر المسلمين! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، وليّ لمن والاهم، لا يحبّهم إلّا سعيد الجدّ طيّب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقيّ الجدّ رديء المولد» ٧١٩
- ١٠ - حديث طحن الرحا بلا مدير: «... أن الله ملائكة سيّاحين في الأرض قد وُكِّلوا بمعاونة آل محمد» ٧١٩ - ٧٢٠

١ - «صَفَنَ الرجل»: صفّ بين قدميه.

١١ - ذكر الإمام الصادق عليه السلام السيد فدعاه فقال: «أَنْ محبِّي آل محمد لا يموتون إلا تائبين وإنه

قد تاب» ٧٢٠

١٢ - أربعون حديثاً في علي عليه السلام وأهل بيته ٧٢٠

٢ - وصاياه عليه السلام في علي أمير المؤمنين عليه السلام

١ - قال رسول الله ﷺ: «اشتق الله تعالى لنا من أسمائه أسماء: فالله عز وجل محمود وأنا محمد،

والله الأعلى وأخي علي» ٧٢٠

٢ - قال ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي! إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وإنه أوحى إلي أن

أزوجه فاطمة على خمس الأرض، فهي صداقها؛ فمن مشى على الأرض وهو لكم مبغض

فالأرض حرام عليه أن يمشي عليها» ٧٢٠

٣ - إن الله تعالى هو زوج فاطمة علياً، وكان ولي أمرها، وخطب فيه الأمين جبرئيل ... ٧٢٠

٤ - حديث النار: عن رسول الله ﷺ: «... صار أخي وابن عمي وابنتي فكأك رقاب رجال

ونساء أمتي من النار» ٧٢١

٥ - قال ﷺ لفاطمة: «إن الله أطلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً، ثم أطلع الثانية

فاختار بعلك، فأوحى إلي، فأنكحته واتخذته وصياً» ٧٢١

٦ - قال ﷺ: «أولكم وارداً - وروداً - علي الحوض أولكم إسلاماً، علي بن أبي طالب» ٧٢٢

٧ - قال ﷺ لفاطمة: «زوجتك خير أمتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلياً، وأولهم

إسلاماً» ٧٢٢

٨ - أخذ ﷺ بيد علي عليه السلام فقال: «إن هذا أول من آمن بي، وهو أول من يصفحني يوم القيامة،

وهو الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب

المؤمنين» ٧٢٢

٩ - إن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة فردّهما رسول الله ﷺ وقال: «لم أؤمر بذلك» فخطبها علي

فزوجها إياه وقال لها: «زوجتك أقدم الأمة إسلاماً» ٧٢٢

١٠ - حديث بدء الدعوة:

- أخرجه غير واحد من الأئمة وحفاظ الحديث من الفريقين في الصحاح والمسانيد. ... ٧٢٢
- لفظ الحديث [حديث العشيرة]..... ٧٢٣
- رجال السند كلهم ثقات إلا أبا مريم عبد الغفار بن القاسم، فقد ضعفه القوم وليس ذلك إلا لتشيعه. ٧٢٤
- ليس من العجيب ما هملج به ابن تيمية من الحكم بوضع الحديث؛ لأن من عادته إنكار المسلمات. ٧٢٤
- مدار عدم صحة الحديث عند ابن تيمية، تضمنه فضائل العترة الطاهرة. ٧٢٤
- ١١ و ١٢ - حديث الغدير وحديث التهنئة..... ٧٢٥
- ١٣ - حديث أم سلمة: سئل عن رسول الله ﷺ: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: «خاصف النعل». فنزلنا فلم نر أحداً إلا علياً..... ٧٢٥
- ١٤ - صلى ﷺ بنا أربع ركعات، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهم إن موسى بن عمران سألك وأنا محمد نبيك أسالك أن تشرح لي صدري... واجعل لي وزيراً من أهلي علي بن أبي طالب أخي...»..... ٧٢٥
- ١٥ - عن رسول الله ﷺ قال: «يا أنس! والذي خلق ما يشاء لقد أكل من الغمامة ثلاثئة وثلاثة عشر نبياً وثلاثئة وثلاثة عشر وصياً، ما فيهم نبي أكرم على الله مني ولا وصي أكرم على الله من علي»..... ٧٢٦
- ١٦ - عن النبي: «يا علي! لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله... ثم لم يوالك يا علي! لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها»..... ٧٢٦
- ١٧ - «لو أن عبداً عبد الله سبعة آلاف سنة، وهو عمر الدنيا، ثم أتى الله عز وجل يبغض علي بن أبي طالب جاحداً لحقه ناكثاً لولايته لآتس الله خيرَه وجدع أنفه»..... ٧٢٦
- ١٨ - عن النبي ﷺ: «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني...»..... ٧٢٧

- أخبر ﷺ عن جبرئيل أنه أخبره بأن: «السعيد كل السعيد من أحب علياً في حياتي وبعد مماتي، وإن الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياتي وبعد مماتي». ٧٢٧
- ١٩ - عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله ﷺ خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربيّة، وفي الخيمة عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: «معشر المسلمين! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجدّ طيّب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجدّ رديء المولد». ٧٢٧
- ٢٠ - ما ورد عن رسول الله ﷺ في علم عليّ عليه السلام بالكتاب والسنة: ٧٢٨
- منها: قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». ٧٢٨
- أحاديث أخرى تعاضد صحّة هذا الحديث: ٧٣١-٧٣٣
- ١ - «أنا دار الحكمة وعليّ بابها».
- ٢ - «أنا ميزان العلم وعليّ كفتاه».
- ٣ - «أنا ميزان الحكمة وعليّ لسانه».
- ٤ - «عليّ أخي ومنيّ وأنا من عليّ فهو باب علمي ووصيي».
- ٥ - يا أمّ سلمة اشهدي واسمعي هذا عليّ أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين وعيبة علمي وبابي الذي أوتي منه» ٧٣٢
- معنى «العيبة» ٧٣٢-٧٣٣
- قال الشيخ محمّد حنفي: «يسأله سيّدنا معاوية في زمن الواقعة عن المشكلات... ووقع له فكّ مشكلات مع سيّدنا عمر...» ٧٣٢-٧٣٣
- ٢١ - روي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: أي كونوا مع عليّ بن أبي طالب ٧٣٣
- ٢٢ - ورد في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾: أنها نزلت في عليّ بن أبي طالب ٧٣٤

- ٢٣- أحاديث وكلمات ضافية حول قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾ ٧٣٤-٧٣٦
- ٢٤- أخرج الثعلبي في قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: «صراط محمد وآله» .. ٧٣٧
- ٢٥- قال الطبري: «إن رسول الله سَمَاهُ صَدِيقاً... وكان يلقب بـيعسوب الدين وبالصدق أكبر» ٧٣٧
- أحاديث حول كون علي بن أبي طالب هو الصديق .. ٧٣٧-٧٣٨
- ٢٦- قال رسول الله ﷺ: «ليلة عُرِجَ بي إلى السماء رأيتُ على باب الجنة مكتوباً لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، والحسن الحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، على مبغضهم لعنة الله». ورواه الخطيب الخوارزمي في مناقبه .. ٧٣٩
- ٢٧- عن النبي ﷺ قال: «علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين» .. ٧٣٩
- ٢٨- أحاديث حول أن سقاية الحوض - الكوثر - يوم القيامة بيد علي أمير المؤمنين، يستقي منه محبيه ومواليه ويذود عنه المنافقين والكفار .. ٧٣٩-٧٤٠
- عن رسول الله ﷺ: «يا علي! سألتُ ربِّي عزَّ وجلَّ فيك خمس خصال فأعطاني...» .. ٧٣٩-٧٤٠
- ٢٩- عن أبي بكر عن رسول الله ﷺ: «لا يجوز أحدُ الصراط إلا من كَتَبَ له عليُّ الجواز» ٧٤٠
- ٣٠- قال ﷺ في حديث الطير المشوي: «اللهم ائتني بأحبِّ خلقك إليك لياكلَ معي»، فأتاه علي عليه السلام ٧٤١
- ٣١- قال النبي ﷺ: «عليٌّ خير أُمِّي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حِلماً» .. ٧٤١
- ٣٢- حديث الراية: قال رسول الله ﷺ بعد ما قرأ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفَرَّار» .. ٧٤١
- ٣٣- قال ﷺ: «إنَّ الله اختار من أهل الأرض رجلين: أحدهما أبوك والآخر زوجك» .. ٧٤٢
- ٣٤- قال رسول الله ﷺ: «عليٌّ مع الحقِّ، والحقُّ معه يدور حيث دار، ولن يفترقا حتى يردا

- ٧٤٢ عليّ الحوض».
- ٣٥- حديث الأشباه: عن النبي ﷺ: «إن تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في همّه، وإبراهيم في خلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنّته، ومحمد في هديه وحلمه، فانظروا إلى هذا المقبل»: فتناول الناس فاذا هو عليّ بن أبي طالب. ٧٤٢ ٣٦- سمّى رسول الله عليّاً أمير المؤمنين بذى القرنين؛ فقال: «يا أيّها الناس أوصيكم بحبّ ذي قرنيتها أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب؛ فإنّه لا يحبّه إلّا مؤمن و...». ٧٤٣ ٣٧- حديث تكنية رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ﷺ بأبي تراب. ٧٤٤ ٣٨- حديث البراءة: من مناقب مولا أمير المؤمنين حديث البراءة وتبليغها. ٧٤٤-٧٤٧ ٣٩- قال رسول الله ﷺ: «حقّ عليّ على هذه الأمّة كحقّ الوالد على ولده». ٧٤٧ ٤٠- قال ﷺ: «لا تسبّوا عليّاً فإنّه ممسوس في ذات الله». ٧٤٧ ٤١- قال رسول الله: «إنّ حافِظي عليّ بن أبي طالب ليفخران على سائر الحفظة لकिनونتهما مع عليّ بن أبي طالب...». ٧٤٧ ٤٢- عن رسول الله في حديث المعراج: «الملائكة شكّت حبّها لعليّ، فخلق الله تعالى هذا الملك من نورٍ عليّ صورة عليّ، فالملائكة تزوره...». ٧٤٨ ٤٣- عن النبي ﷺ، أنّه قال لعليّ: «يا أبا الحسن كلّم الشمس فإنّها تكلمك...». ٧٤٨ ٤٤- أخرج البزار من طريق أنس بن مالك مرفوعاً: «الجنة تشتاقي إلى ثلاثة: عليّ وعمار وأبي ذر». ٧٤٩ ٤٥- حول حديث المنزلة: قد نطق به رسول الله ﷺ في موارد عديدة. ٧٤٩-٧٥٠ ٤٦- أخوته ﷺ لعليّ عليه السلام: قال ابن حزم: قال رسول الله ﷺ: «... إنّ أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبوبكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربّي لاتخذت أبابكر...»، والجواب عنها. ٧٥٠-٧٥٤ ٤٧- هو أحبّ الرجال إلى رسول الله ﷺ: قال ﷺ لعائشة: «إنّ عليّاً أحبّ الرجال إليّ، وأكرمهم عليّ، فاعرفي له حقّه وأكرمي مثواه». ٧٥٤

- ٤٨ - قال ﷺ: «عليّ مني بمنزلة الرأس من بدني». ٧٥٥
- ٤٩ - قال ﷺ: «عليّ مني وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». ٧٥٥
- ٥٠ - قال ﷺ: «لحمك لحمي، ودمك دمي، والحقّ معك». ٧٥٦
- ٥١ - قال ﷺ: «ما من نبيّ إلّا وله نظير في أمته، وعليّ نظيري». ٧٥٦
- ٥٢ - عن أمّ سلمة قالت: «كان رسول الله إذا أغضب، لم يجترئ أحد أن يكلمه غير عليّ». ٧٥٦
- ٥٣ - عن النبي ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «أشبهت خلقي وخلقي وأنت من شجرتي التي أنا منها». ٧٥٦
- ٥٤ - قال ﷺ: «سيكون بعدي قوم يقاتلون عليّاً، على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع جهادهم بلسانه فبقلبه...». ٧٥٦

وصاياہ ﷺ في فاطمة ؑ

- ١ - رضى فاطمة رضى رسول الله ﷺ وغضبها غضبه.
- قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني». ٧٥٦
- قال أبو القاسم السهيلي: ... قال رسول الله: «إنّ فاطمة مضغة مني؛ فصلّى الله عليه وعلى فاطمة»؛ فهذا الحديث يدلّ على أنّ من سبّها فقد كفر، ومن صلّى عليها فقد صلّى على أبيها. ٧٥٨
- ٢ - في حديث جميع بن عمير، قال: دخلت مع عمّتي على عايشة، فسألت: أيّ الناس أحبّ إلى رسول الله؟ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوّماً قوَّماً. ٧٥٩
- ٣ - قال ﷺ لفاطمة: «إنّ الله أطّل على أهل الأرض فاختر منهم أباك فبعثه نبياً، ثمّ أطّل الثانية فاختر بعلك، فأوحى إليّ، فأنكحته وأخذته وصياً». ٧٥٩
- ٤ - كان ﷺ إذا أصبح أتى باب عليّ وفاطمة وهو يقول: «يرحمكم الله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً». ٧٥٩
- ٥ - عن رسول الله أنّه قال لعليّ: «أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحدٌ ولا أنا...». ٧٦٠

- ٦- إن الله تعالى هو زوج فاطمة علياً، وكان ولي أمرها، وخطب فيه الأمين جبرئيل ... ٧٦٠
- ٧- عن رسول الله أنه قال لعلي: «يا علي! إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وإنه يوحى إلي أن أزوجك فاطمة على خمس الأرض، فهي صداقها؛ فمن مشى على الأرض وهو لكم مبغضٌ فالأرض حرامٌ عليه أن يمشي عليها» ... ٧٦٠
- ٨- في حديث النشار المروي عن بلال بن حماسة قال: «صار أخي وابن عمي وابنتي فُكَّاك رقاب رجال ونساء أمتي من النار» ... ٧٦٠-٧٦١
- ٩- عن النبي ﷺ: «فاطمة حوراء إنسية، كلما اشتقتُ إلى الجنة قبلتها» ... ٧٦١
- ١٠- قال ﷺ: «إن الله عز وجل قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة» ... ٧٦١

كلماته ﷺ في بني أمية

- ١- كلمة النبي الأعظم ﷺ: «إذا رأيتم معاوية وعمر بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خيرٍ» ... ٧٦٢
- ٢- قال ﷺ: «إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً، ومال الله نحلاً» ... ٧٦٢
- ٣- قال ﷺ في مروان بن الحكم: «هو الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون» ... ٧٦٣
- ٤- يؤثر عن رسول الله في معاوية بن أبي سفيان:
- ١- «اللهم العن القائد والسائق والراكب» ... ٧٦٤
- ٢- «اللهم اركسها ركساً، ودعها إلى النار دعاً» ... ٧٦٥
- ٣- «يطلع من هذا الفج رجلٌ من أمتي يحشر على غير ملتي»؛ فطلع معاوية ... ٧٦٥
- ٤- «اللهم العنه ولا تشبهه إلا بالتراب» ... ٧٦٥
- ٥- «إست معاوية في النار» ... ٧٦٥
- ٦- «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه» ... ٧٦٥-٧٦٦
- للقوم تجاه هذا الحديث تصويب وتصعيد، رواه أناس بالموحدة: «فاقتلوه» ... ٧٦٦

كلمات أخرى له ﷺ

- ١ - قال رسول الله ﷺ : «مَثَلُهُ [أَي مَثَلُ خُرُوجِ الْقَائِمِ] كَمَثَلِ السَّاعَةِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً» . ٧٦٩
- ٢ - قال رسول الله ﷺ : «يُخْرَجُ مِنْ صُلْبِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ ، يَتَخَطَّى هُوَ وَأَصْحَابُهُ رِقَابَ النَّاسِ ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» . ٧٧١
- ٣ - قال النبي ﷺ : «مَنْ تَوَلَّى مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ وَأَعْلَمُ مِنْهُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ» . ٧٧٢
- ٤ - عن رسول الله ﷺ : «آفَةُ الدِّينِ ثَلَاثَةٌ : فَاقِرٌ ، وَإِمَامٌ جَائِرٌ ، وَبَاحٍ جَاهِلٌ» . ٧٧٢
- ٥ - قد صحَّ عنه ﷺ : «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» . ٧٧٢
- ٦ - قال ﷺ : «أَكْتُبُ عَنِّي فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا ، فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ» . ٧٧٣
- ٧ - كان يقول ﷺ : «مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ إِلَيْهِ» . ٧٧٣
- ٨ - في المتواتر : «مَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» . ٧٧٤
- ٩ - قال ﷺ : «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا أَسْوَدٌ عَلَى أَحْمَرَ...» . ٧٧٤
- ١٠ - قال ﷺ : «لَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِالْثَرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ نَاسٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارَسَ» . ٧٧٤
- ١١ - قال ﷺ : «لَيْسَ مَنَا مِنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ...» . ٧٧٥
- ١٢ - عنه ﷺ : «لَا تَشَدَّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ...» . ٧٧٥
- ١٣ - مرفوعاً : «إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ...» . ٧٧٥
- ١٤ - قال ﷺ : «الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ...» . ٧٧٥
- ١٥ - قال ﷺ : «لَعْنَتُ الْخَمْرِ وَشَارِبِهَا وَسَاقِيهَا...» . ٧٧٦
- ١٦ - روايات عنه ﷺ في حرمة الربا . ٧٧٦
- ١٧ - عنه ﷺ : «أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ضَلَالَةِ الْأَهْوَاءِ ، وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَ...» . ٧٧٧

وصايا في شيعة علي عليه السلام

فرية : «الرافضة يهود هذه الأمة»، وجوابها ٧٧٧

الفرية على الشيعة

فرية : «اليهود تبغض جبرئيل وتقول : هو عدونا من الملائكة ، وكذلك الرافضة تقول غلط

جبرئيل في الوحي إلى محمد بترك علي بن أبي طالب»، وجوابها ٧٧٩ - ٧٨٠

مصادر التحقيق

حرف الألف

١ - القرآن الكريم.

٢ - أبو هريرة، عبد الحسين بن يوسف شرف الدين العاملي الموسوي (ت / ١٩٥٧ م)، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

٣ - الإتحاف بحب الأنساف، الشيخ عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي (ت / ١١٧١ هـ)، المطبعة الأدبية بمصر، أفست دار الذخائر للمطبوعات - قم.

٤ - الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي (ت / ٧٩٤ هـ)، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م، المكتب الإسلامي - بيروت.

٥ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت / ٣٥٤ هـ)، ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت / ٧٣٩ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٦ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت / ٤٥٠ هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ، مكتب الإعلام الإسلامي - قم.

٧ - الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي (ت / ٦٣١ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، دار الكتب العلمية بيروت.

٨ - أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت / ٣٧٠ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.

٩ - إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت / ٥٠٥ هـ)، صحح بإشراف عبد العزيز السيرواني، الطبعة الثالثة، دار القلم - بيروت.

١٠ - أخبار السيّد الحميري، أبو عبدالله محمد بن عمران المرزباني الخراساني (ت / ٣٨٤ هـ)، المطبوع ضمن كتاب أخبار

شعراء الشيعة، تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، شركة الكتي - بيروت.

١١ - أخبار الظراف و المتماجنين، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي ابن الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ)، تقديم

وتعليق محمد بحر العلوم، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف.

- ١٢ - أخبار مكة و ما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرق المكي (ت / ٢٤٤ هـ)، تحقيق رشدي الصالح ملحق، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ، منشورات الشريف الرضي - قم، أفسست عن طبعة دار الأندلس - بيروت.
- ١٣ - اختلاف الحديث، محمد بن إدريس الشافعي (ت / ٢٠٤ هـ)، المطبوع ضمن كتاب الأم، دار المعرفة - بيروت.
- ١٤ - الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري (ت / ٢٥٦ هـ)، تحقيق الشيخ خالد عبد الرحمن العك، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م، دار المعرفة - بيروت.
- ١٥ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت / ٩٢٣ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، دار الفكر - بيروت.
- ١٦ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت / ٤٦٣ هـ)، تحقيق علي بن محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر - القاهرة.
- ١٧ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير (ت / ٦٣٠ هـ)، تحقيق محمد إبراهيم البناء و محمد أحمد عاشور و محمود عبد الوهاب، دار الشعب - القاهرة.
- ١٨ - إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى و فضائل أهل بيته الطاهرين، الشيخ أبو العرفان محمد بن علي الصبّان (ت / ١٢٠٦ هـ)، المطبوع في هامش كتاب نور الأبصار للشبلنجي، دار الكتب العلمية و دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٩ - أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري الشافعي (ت / ٨٣٣ هـ)، تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام العامة - أصفهان.
- ٢٠ - الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت / ٨٥٢ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢١ - الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار، أبو بكر محمد بن موسى الحازمي (ت / ٥٨٤ هـ)، تحقيق الدكتور عبدالمعطي أمين قلججي، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م - القاهرة، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية - باكستان.
- ٢٢ - أعلام العراق، محمد بهجت الأثري، طبع سنة ١٩٢٧ م بالمطبعة السلفية - القاهرة.
- ٢٣ - أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي (ت / ٤٥٠ هـ)، تحقيق سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، دار مكتبة الهلال - بيروت.
- ٢٤ - أعلام النساء في عالمي العرب و الإسلام، عمر رضا كحالة الدمشقي (ت / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م)، الطبعة الخامسة

١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٥ - أعيان الشيعة، السيّد محسن بن عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي الدمشقي (ت / ١٩٥٢ م)، دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٢٦ - الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني عليّ بن الحسين بن محمّد المرواني الأموي (ت / ٣٥٦ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، دار الفكر - بيروت.

٢٧ - الأم، محمّد بن إدريس الشافعي (ت / ٢٠٤ هـ)، أشرف على طبعه و تصحيحه محمّد زهري النجار، دار المعرفة - بيروت.

٢٨ - الأمالي، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة - قم.

٢٩ - أمالي المحاملي، أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل بن محمّد المحاملي البغدادي (ت / ٣٣٠ هـ)، تحقيق الدكتور إبراهيم القيسي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، دار ابن القيم، المكتبة الإسلامية - عمان.

٣٠ - الإمام عليّ بن أبي طالب (المجموعة الكاملة): عبد الفتّاح عبد المقصود، دار مكتبة التربية ومكتبة العرفان - بيروت.

٣١ - الإمام عليّ بن أبي طالب، محمّد رضا المصري (ت / ١٣٦٩ هـ)، دار الكتب العلميّة، أُنست عن طبعة القاهرة ١٣٥٨ هـ.

٣٢ - الإمامة و السياسة، أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت / ٢٧٦ هـ)، دار المعرفة - بيروت.

٣٣ - إمتاع الأسماع، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي الحسيني العبيدي المقرئزي (ت / ٨٤٥ هـ)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤١ م.

٣٤ - الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت / ٢٢٤ هـ)، تحقيق محمّد خليل هراس، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، دار الفكر - بيروت.

٣٥ - الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، مالك والشافعي وأبي حنيفة، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت / ٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٦ - أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ)، تحقيق الشيخ محمّد باقر الحمودي، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

● وطبعة أخرى لمكتبة المثنى - بغداد.

٢٧ - الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت / بعد ٣٩٥ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٨ - إيقاظ همم أولي الأبصار، صالح بن محمد بن نوح العمري الفلّاتي (ت / ١٢١٨ هـ)، دار المعرفة - بيروت.

حرف الباء

٣٩ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي الجلبي (ت / ١١١١ هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٠ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر علاء الدين بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بملك العلماء (ت / ٥٨٧ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، المكتبة الحبيبية - باكستان.

٤١ - بداية المجتهد و نهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي (ت / ٥٩٥ هـ)، أفست منشورات الرضي - قم ١٤١٢ هـ.

٤٢ - البداية و النهاية، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت / ٧٧٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

٤٣ - البدر الطالع، محمد بن علي الشوكاني (ت / ١٢٥٠ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ، مطبعة السعادة - القاهرة.

٤٤ - بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت / ٢٨٠ هـ)، منشورات الشريف الرضي - قم.

٤٥ - بهجة المحافل و بغية الأمائل، عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري (ت / ٨٩٣ هـ)، المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

٤٦ - بهجة النفوس، عبدالله بن أبي جرة الأزدي الأندلسي (ت / ٦٩٩ هـ)، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م، دار الجيل - بيروت.

٤٧ - البيان و التبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت / ٢٥٥ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، دار ومكتبة الهلال - بيروت.

حرف التاء

٤٨ - تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن عبد الرزاق

الملقب بمرتضى و المعروف بمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي الواسطي (ت / ١٢٠٥ هـ)، أفست دار مكتبة

الحياة - بيروت عن الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ للمطبعة الخيرية - مصر.

٤٩ - التاريخ، أبو زكريا يحيى بن معين (ت / ٢٣٣ هـ)، تحقيق الدكتور أحمد نور سيف، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ /

١٩٧٩ م، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة.

٥٠ - تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت / ٨٠٨ هـ)، مراجعة الدكتور سهيل زكار، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، دار الفكر - بيروت.

٥١ - تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت / ٣١٠ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م، دار التراث - بيروت.

٥٢ - تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت / ٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٣ - تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت / ٢٦١ هـ)، بترتيب نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت / ٨٠٧ هـ)، وتضمنات ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٤ - تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت / ٩١١ هـ)، دار الفكر - بيروت.

٥٥ - تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت / ٩٦٦ هـ)، مؤسسة شعبان بيروت.

٥٦ - تاريخ عمر بن الخطاب (سيرة عمر): أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ ابن الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، دار الرائد العربي - بيروت.

٥٧ - التاريخ الكبير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت / ٢٥٦ هـ)، طبعة دار الفكر - بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، أُنسِت عن طبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن.

٥٨ - تاريخ مدينة دمشق (تاريخ ابن عساكر): أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت / ٥٧٣ هـ)، مصوّرة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، جمع الشيخ محمد بن رزق الطرهوني، دار البشير - دمشق.

● وطبعة أخرى بتحقيق علي شيري، الطبعة الأولى ١٤١٥ - ١٤١٧ هـ، دار الفكر - بيروت.

٥٩ - تاريخ يعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبي (ت / بعد ٢٩٢ هـ)، دار صادر - بيروت.

٦٠ - تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت / ٢٧٦ هـ)، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، مطبعة حسان - القاهرة.

● وطبعة أخرى بتحقيق محمد زهر النجار، طبعة القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م، وطبعة القدسي - مصر ١٣٤٦ هـ.

- ٦١- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت / ٩١١ هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٦٢- التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت / ٦٢٣ هـ)، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.
- ٦٣- التذكار في أفضل الأذكار، محمد بن أحمد القرطبي (ت / ٦٧١ هـ)، تحقيق السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، الطبعة الأولى ١٣٥٥، الناشر محمد أمين الخانجي.
- ٦٤- تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت / ٧٤٨ هـ)، أُنست دار الكتب العلمية - بيروت عن طبعة مكتبة الحرم المكي - مكة ١٣٧٤ هـ.
- ٦٥- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي يوسف قزأو غلي بن عبدالله بن فيروز البغدادي (ت / ٦٥٤ هـ)، إصدار مكتبة نينوي الحديثة - طهران.
- ٦٦- تذكرة الموضوعات، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي (ت / ٥٠٧ هـ)، تحقيق السيد محمد أمين، الطبعة الثانية ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر - مصر.
- ٦٧- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، زكي الدين عبدالعزيز بن عبد القوي المنذري (ت / ٦٥٦ هـ)، دار الفكر للطباعة - بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- ٦٨- تطهير الجنان واللسان، شهاب الدين أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي المكي (ت / ٩٧٤ هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م، شركة الطباعة الفنية المتحدة، مكتبة القاهرة - مصر.
- ٦٩- تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت / ٧٧٤ هـ)، دار الفكر للطباعة - بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٧٠- تفسير البغوي (معالم التنزيل): الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت / ٥١٦ هـ)، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، دار المعرفة - بيروت.
- ٧١- تفسير البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت / ٦٨٥ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٧٢- تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل): علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشحي البغدادي الخازن (ت / ٧٤١ هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- ٧٣- تفسير روح البيان، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي البروسوي (ت / ١١٣٧ هـ)، الطبعة السابعة

١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧٤ - تفسير فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (من أعلام القرنين الثالث والرابع الهجريين)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

٧٥ - التفسير الكبير، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الرازي (ت / ٦٠٦ هـ)، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧٦ - تفسير المنار للشيخ محمد عبده (المتوفى ١٣٢٣ هـ)؛ محمد رشيد رضا (ت / ١٣٥٤ هـ)، دارالمعرفة - بيروت.

٧٧ - تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت / ٧١٠ هـ)، دار الفكر - بيروت.

٧٨ - تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت / ٨٥٢ هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دارالمعرفة - بيروت ١٣٨٠ هـ.

٧٩ - تلبيس إبليس (نقد العلم والعلماء)؛ أبو الفرج ابن الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ)، ألفت مكتبة التحرير - بغداد عن طبعة مكتبة المتنبي - القاهرة ١٩٤٠ م.

٨٠ - التمهيد في أصول الدين، أبو بكر محمد بن الطيّب بن محمد الباقلاني (ت / ٤٠٣ هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة.

٨١ - التنبيه والأشراف، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت / ٣٤٦ هـ)، تحقيق عبد الله إسماعيل، دار الصاوي - القاهرة ١٣٥٧ هـ.

٨٢ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي (ت / ٣٧٧ هـ)، مكتبة المثنى - بغداد، مكتبة المعارف - بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

٨٣ - تهذيب الآثار، محمد بن جرير الطبري (ت / ٣١٠ هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة.

٨٤ - تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت / ٦٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

٨٥ - تهذيب تاريخ دمشق الكبير، الشيخ عبد القادر بن بدران (ت / ١٣٤٦ هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٨٦ - تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت / ٨٥٢ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، مطبعة دار الفكر - بيروت.

● وطبعة أخرى هي الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد.

٨٧ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج جمال الدين المزي (ت / ٧٤٢ هـ)، تحقيق الدكتور عواد معروف،

الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٨٨ - تيسير الوصول إلى جامع الأصول، عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع (ت / ٩٤٤ هـ)، دار الفكر - بيروت.

حرف الثاء

٨٩ - الثقات، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي (ت / ٣٥٤ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م، دار الفكر - بيروت، ألفت عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، - حيدرآباد الدكن - الهند.

٩٠ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت / ٤٢٩ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة.

حرف الجيم

٩١ - جامع الأحاديث، المحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت / ٩١١ هـ)، جمع وترتيب عباس أحمد صقر وأحمد عبد الجواد، مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر - بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

٩٢ - جامع الأصول من أحاديث الرسول، أبو السعادات مجد الدين مبارك بن محمد بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزري (ت / ٦٠٦ هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٣ - جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبدالله ابن عبد البر القرطبي (ت / ٤٦٣ هـ)، قدّم له وعلّق عليه محمد عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

٩٤ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت / ٣١٠ هـ)، دار الفكر - بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

٩٥ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت / ٩١١ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٩١ م، دار الفكر - بيروت.

٩٦ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت / ٦٧١ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٧ - جامع مسانيد أبي حنيفة، أبو المؤيد محمد بن محمود بن محمد الخوارزمي (ت / ٦٦٥ هـ)، حيدرآباد - الهند.

٩٨ - الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت / ٣٢٧ هـ)، الطبعة الأولى ١٢٧١ هـ / ١٩٥٢ م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن - الهند.

٩٩ - جلاء العينين في محاكمة الأحمديين (ابن تيمية وابن حجر): خير الدين أبي البركات نعمان بن محمود بن عبدالله الألوسي البغدادى (ت / ١٣١٧ هـ).

- ١٠٠ - جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت / ٩١١ هـ)، نسخة مصوّرة عن مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٩٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ١٠١ - جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م، مطبعة البابي الحلبي - مصر.
- ١٠٢ - جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت / ٣٢١ هـ)، تحقيق الدكتور رمزي منير البعلبكي، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م، دار العلم للملايين - بيروت.
- ١٠٣ - جواهر العقدين، نورالدين الحسيني السهودي الشافعي (ت / ٩١١ هـ)، مخطوط.

حرف الحاء

- ١٠٤ - حاشية الحفني شرح الجامع الصغير، محمد بن سالم الحفني (ت / ٨١٠ هـ)، المطبوع في حاشية السراج المير، دارالفكر - بيروت.
- ١٠٥ - حاشية السندي (شرح سنن النسائي): محمد بن عبد الهادي السندي الحنفي أبو الحسن الكبير (ت / ١١٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٠٦ - الحاوي للفتاوي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت / ٩١١ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٠٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت / ٤٣٠ هـ)، الطبعة الخامسة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٠٨ - حياة الحيوان الكبير، أبو البقاء كمال الدين محمد بن موسى الدّميري (ت / ٨٠٨ هـ)، مطبعة آرمان - طهران.
- ١٠٩ - حياة محمد، أميل درمنغم، نقله إلى العربية عادل زعيتر، الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م، مطبعة دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي - القاهرة.
- ١١٠ - حياة محمد، محمد حسين هيكل (ت / ١٩٥٦ هـ)، الطبعة الخامسة.

حرف الخاء

- ١١١ - خزنة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت / ١٠٩٣ هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ١١٢ - خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى الموسوي، منشورات مكتبة ومطبعة الحيدريّة - النجف ١٣٤٩ هـ.
- ١١٣ - خصائص أمير المؤمنين، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت / ٣٠٣ هـ)، تحقيق أحمد ميرين البلوشي - الكويت.

- ١١٤ - الخصائص الكبرى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت/ ٩١١ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١١٥ - خطط المقرئ (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار): أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت/ ٨٤٥ هـ)، دار صادر - بيروت.
- ١١٦ - خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، صفي الدين أحمد عبد الله الخزرجي (ت/ بعد ٩٢٣ هـ)، تحقيق محمود غيث، منشورات مكتبة القاهرة - مطبعة الفجالة الجديدة ١٣٩٢ هـ.

حرف الدال

- ١١٧ - دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي (ت/ ١٣٧٣ هـ)، الطبعة الثالثة ١٩٧١ م، دار المعرفة - بيروت.
- ١١٨ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت/ ٩١١ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، دار الفكر - بيروت.
- ١١٩ - دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني (ت/ ٤٣٠ هـ)، المكتبة العربية - حلب ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.
- ١٢٠ - دول الإسلام، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت/ ٧٤٦ هـ)، مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- ١٢١ - الديات، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك (ت/ ٢٨٧ هـ)، تحقيق محمد بدر الدين أبي فراس النعماني الحلبي الأزهرى، مطبعة التقدم - مصر ١٣٢٣ هـ.
- ١٢٢ - ديوان حافظ إبراهيم (المتوفى ١٩٣٢ م): ترتيب وتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار العودة - بيروت.
- ١٢٣ - ديوان الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن حسين بن موسى الموسوي (ت/ ٤٠٦ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي - إيران.
- ١٢٤ - ديوان الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني (ت/ ٣٨٥ هـ)، تحقيق واستدراك الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ، مؤسسة قائم آل محمد - قم.

حرف الذال

- ١٢٥ - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت/ ٦٩٤ هـ)، مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٥٦ هـ.

حرف الراء

- ١٢٦ - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت / ٥٣٨ هـ)، تحقيق الدكتور سليم النعيمي، منشورات الشريف الرضي - قم ١٤١٠ هـ.
- ١٢٧ - رحمة الأمة في اختلاف الأنفة، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي (ت / بعد ٧٨٠ هـ)، المطبوع بهامش كتاب الميزان الكبرى لأبي المواهب عبد الوهاب الشعراني، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م، دار الفكر - بيروت.
- ١٢٨ - رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ (ت / ٢٥٥ هـ)، قدم لها الدكتور علي أبو ملحم، الطبعة الثانية ١٩٩١ م، مكتبة الهلال - بيروت.
- ١٢٩ - رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي، أبو بكر بن شهاب الدين العلوي الحضرمي (ت / ١٣٤١ هـ)، المطبعة الإعلامية بمصر - القاهرة ١٣٠٣ هـ.
- وطبعة أخرى بتحقيق علي عاشور، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٣٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الشاء شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي البغدادي (ت / ١٢٧٠ هـ)، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٣١ - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخنعمي السهيلي (ت / ٥٨١ هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وعبد الرحمن الوكيل، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٣٢ - الروض الفائق في المواعظ والرقائق، الشيخ شعيب بن عبد الله بن سعد المصري الشهير بالحرّيفيش (ت / ٨١٠ هـ)، مكتبة الجمهورية العربية - القاهرة.
- ١٣٣ - روض المناظر في أخبار الأوائل والأواخر (تاريخ ابن شحنة): أبو الوليد محمد بن محمد ابن محمود بن شحنة الحنفي (ت / ٨١٥ هـ)، المطبوع في هامش كتاب مروج الذهب، الطبعة الأولى ١٣٠٣ هـ، المطبعة الأزهرية - مصر.
- ١٣٤ - روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، أبو محمد ضياء الدين أحمد بن محمد الوثري الموصلية الرفاعي الشافعي (ت / ٩٨٠ هـ)، تحقيق الدكتور منير محمود الوثري، الطبعة الأولى ١٩٧٦ م، مطبعة المعارف - بغداد.
- ١٣٥ - الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة، أبو جعفر أحمد بن عبد الله الحبّ الطبري (ت / ٦٩٤ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، دار الندوة الجديدة - بيروت.

حرف الزاء

- ١٣٦ - زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (ت / ٧٥١ هـ)، دار الفكر - بيروت.

١٣٧ - زوائد المسند عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت/ ٢٩٠هـ)، ترتيب وتخريج وتعليق الدكتور عامر حسن صبري، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، دار البشائر الإسلامية - بيروت.

حرف السين

١٣٨ - سرّ العالمين وكشف ما في الدارين، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت/ ٥٠٥هـ)، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، مكتبة الثقافة الدينية في النجف الأشرف.

١٣٩ - السراج المنير (تفسير الشريبي): شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت/ ٩٧٧هـ)، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت.

١٤٠ - سفر السعادة، محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (ت/ ٨١٧هـ)، المطبوع في هامش كتاب كشف النعمة للشعراني، دار الكتب العربية الكبرى - مصر ١٣٠٦هـ.

١٤١ - سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت/ ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.

١٤٢ - سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت/ ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء العربي - بيروت.

١٤٣ - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي (ت/ ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر - بيروت.

١٤٤ - سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن بهرام التميمي السمرقندي الدارمي (ت/ ٢٥٥هـ)، دار الفكر - القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٤٥ - السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت/ ٣٠٣هـ)، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٤٦ - السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت/ ٤٥٨هـ)، دار الفكر - بيروت.

١٤٧ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت/ ٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٤٨ - السيرة الحلبية، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي (ت/ ١٠٤٤هـ)، المكتبة الإسلامية - بيروت.

١٤٩ - سيرة الملاء (وسيلة المتعبدين في سيرة سيد المرسلين): أبو حفص عمر بن محمد بن الخضر الملاء الموصلية (ت/ ٥٧٠هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، طبع وزارة المعارف الهندية - حيدرآباد.

- ١٥٠ - السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعروف بابن هشام (ت / ٢١٨ هـ)، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شبلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٥١ - السيرة النبوية والآثار المحمدية، أحمد زيني دحلان (ت / ١٣٠٤ هـ)، الطبعة الأولى ١٣١٠ هـ، المطبعة الميمنية - مصر.

حرف الشين

- ١٥٢ - الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت / ٤٣٦ هـ)، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني، مؤسسة الصادق - طهران.
- ١٥٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الدمشقي المعروف بابن العماد الحنبلي (ت / ١٠٨٩ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، دار ابن كثير - بيروت - دمشق.
- ١٥٤ - شرح تجريد الكلام، علاء الدين علي بن محمد القوشجي (ت / ٨٨٧ هـ)، طبعة حجرية.
- ١٥٥ - شرح ديوان أمير المؤمنين، حسين بن معين الدين الميذي المعروف بقاضي مير (ت / ٩١٠ هـ)، نسخة مخطوطة.
- ١٥٦ - شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت / ٥٠٢ هـ)، الطبعة الأولى، دار القلم - بيروت.
- ١٥٧ - شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي (ت / ١١١٢ هـ)، دار المعرفة - بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ١٥٨ - شرح الزرقاني علي موطأ الإمام مالك، الإمام سيدي محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت / ١١٢٢ هـ)، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- ١٥٩ - شرح شواهد المغني، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت / ٩١١ هـ)، تعليق أحمد ظافر كوجان، نشر أدب الحوزة قم.
- ١٦٠ - شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني (ت / ٧٩٣ هـ)، منشورات الشريف الرضي - قم.
- ١٦١ - شرح المواقف، المحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت / ٨١٢ هـ)، منشورات الشريف الرضي - قم.
- ١٦٢ - شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد المدائني المعتزلي (ت / ٦٥٦ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
- ١٦٣ - شرح الحمزية في مدح خير البرية، شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (ت / ٩٧٤ هـ)، المطبعة البهية المضرية ١٣٠٤ هـ.

- ١٦٤ - الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ ، الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت / ١٣٥٠ هـ) ، دارجوامع الكلم - القاهرة ، طبع في بيروت ١٣٠٩ هـ .
- ١٦٥ - شرف النبي ﷺ : أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان النيسابوري الشهير بخركوشي ، (ت / ٤٠٧ هـ) ، ترجمة نجم الدين محمود دراندني ، تصحيح محمد دروني - إيران .
- ١٦٦ - شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي النيسابوري (ت / ٤٥٨ هـ) ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٦٧ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي (ت / ٥٤٤ هـ) ، عدة من المحققين ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، مؤسسة علوم القرآن ، دار الفيحاء - عمان .
- ١٦٨ - شفاء السقام في زيارة خير الأنام ، تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت / ٧٥٦ هـ) ، الطبعة الثانية ١٩٧٨ م ، دار الآفاق الجديدة - بيروت .
- ١٦٩ - الشماثل المحمدية ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت / ٢٧٩ هـ) ، تحقيق عزت عبيد الدعاس ، مكتبة الشرف الجديد - بغداد ١٩٨٨ م .
- ١٧٠ - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء الحنفي النيسابوري (ت / بعد ٤٩٠ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - طهران .

حرف الصاد

- ١٧١ - الصامم المسلول على شاتم الرسول ، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحرّاني المعروف بابن تيمية (ت / ٧٢٨ هـ) ، دار الجليل - بيروت ١٩٧٥ م .
- ١٧٢ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أحمد بن علي القلقشندي (ت / ٨٢١ هـ) ، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٧٣ - صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت / ٢٥٦ هـ) ، ضبطه وشرحه الدكتور مصطفى ديب البغا ، مطبعة الهندي - دمشق ١٣٧٩ هـ / ١٩٧٦ م .
- ١٧٤ - صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت / ٢٦١ هـ) ، تحقيق وتعليق الدكتور موسى شاهين لاشين والدكتور أحمد عمر هاشم ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، مؤسسة عز الدين - بيروت .
- ١٧٥ - صحيح مسلم بشرح النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري الشافعي النووي (ت / ٦٧٦ هـ) ،

دارالكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

١٧٦ - الصراع بين الإسلام والوثنية، عبد الله علي القصيمي، المطبعة السلفية - القاهرة ١٩٥٦ م.

١٧٧ - صفة الصفوة، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي ابن الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ)، تحقيق محمود فاخوري، خرّج أحاديثه الدكتور محمد رؤاس قلعه جي، الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، دار المعرفة - بيروت.

١٧٨ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندق، شهاب الدين أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي المكي (ت / ٩٧٤ هـ)، تعليق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م، مكتبة القاهرة - مصر.

حرف الصاد

١٧٩ - الضعفاء والمتروكون، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت / ٣٨٥ هـ)، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف - الرياض.

١٨٠ - كتاب الضعفاء والمتروكين، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت / ٣٠٣ هـ)، تحقيق بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، دار الكتب الثقافية - بيروت.

١٨١ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت / ٦٠٢ هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.

حرف الطاء

١٨٢ - طبقات الشافعية الكبرى، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت / ٧٧١ هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية - بيروت.

١٨٣ - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠ هـ)، دار صادر - بيروت.

١٨٤ - طرح التثريب في شرح التثريب، أبو زرعة العراقي أحمد بن عبد الرحيم (ت / ٨٢٦ هـ)، دار المعارف - حلب.

حرف العين

١٨٥ - عرائس المجالس (قصص الأنبياء): أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت / ٤٢٧ هـ)، الطبعة الرابعة، دار الرائد العربي - بيروت.

١٨٦ - عصر المأمون، أحمد فريد الرفاعي (ت / ١٣٧٦ هـ)، الطبعة الرابعة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م، دار الكتب المصرية - القاهرة.

١٨٧ - العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي (ت / ٣٢٨ هـ)، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م، دار ومكتبة الهلال - بيروت.

١٨٨ - عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق، إبراهيم بن عامر بن علي العبيدي (ت / ١٠٩١ هـ)، مطبوع في حاشية روض الرياحين، مؤسسة عهاد الدين - قبرص.

- ١٨٩ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني (ت / ٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٩٠ - عمل اليوم واليلة، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت / ٣٠٣ هـ)، راجعه وعلّق عليه مركز الأبحاث الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- ١٩١ - عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت / ٢٧٦ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٩٢ - عيون أخبار الرضا، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت / ٣٨١ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

حرف الغين

- ١٩٣ - غرائب القرآن (تفسير النيسابوري): نظام الدين الحسن بن محمد الحسين القمي النيسابوري (كان حياً إلى سنة ٧٣٠ هـ)، المطبوع بهامش تفسير الطبري، الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق - مصر.
- ١٩٤ - غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت / ٢٢٤ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م، دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد.
- ١٩٥ - الغيث المُسجم في شرح لامية العجم، صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي (ت / ٧٦٤ هـ)، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م دار الكتب العلمية - بيروت.

حرف الفاء

- ١٩٦ - الفائق في غريب الحديث، جارا الله عمر بن محمود الزمخشري (ت / ٥٢٨ هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة.
- ١٩٧ - الفتاوى الحديثية، شهاب الدين أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي المكّي (ت / ٩٧٤ هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة.
- وطبعة أخرى بتحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٩٨ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت / ٨٥٢ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب وعبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت.
- ١٩٩ - فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت / ١٢٥٠ هـ)، عالم الكتب - بيروت.
- ٢٠٠ - فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت / ٢٧٩ هـ)، مراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ٢٠١ - الفتوحات الإسلامية، أحمد زيني دحلان (ت / ١٣٠٤ هـ)، المطبعة الحسينية المصرية.

- ٢٠٢ - فرائد السمعطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأنفة من ذريتهم عليهم السلام : إبراهيم بن محمد بن المؤيد الحموي الجويني (ت / ٧٢٢ هـ)، تحقيق محمد باقر الحمودي، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م للجزء الأول، و ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م للجزء الثاني، مؤسسة الحمودي - بيروت.
- ٢٠٣ - الفردوس بمأثور الخطاب : شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمداني الملقب بـ (إلكيا) (ت / ٥٠٩ هـ)، تحقيق السعيد ابن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- وطبعة أخرى بتحقيق فواز أحمد الزموي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢٠٤ - فرقان القرآن بين صفات الخالق والأكوان : سلامة هندي العزامي القضاعي الشافعي (ت / ١٣٧٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٠٥ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي الظاهري (ت / ٤٥٦ هـ)، مكتبة المتنى - بغداد.
- ٢٠٦ - الفصول المهمة في معرفة أحوال الأنفة عليهم السلام ، علي بن محمد بن أحمد الشهير بابن الصباغ المالكي (ت / ٨٥٥ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٢٠٧ - فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام من كتاب المسند لأحمد ابن حنبل، قوام الدين القمي الرشنوي، مطبعة الحكمة - قم ١٣٥٢ هـ شمسي.
- ٢٠٨ - فضائل الصحابة، أحمد بن محمد بن حنبل (ت / ٢٤١ هـ)، تحقيق وصي الله بن محمد بن عباس، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، مؤسسة الرسالة - مكة المكرمة.
- ٢٠٩ - الفقه على المذاهب الأربعة : عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (ت / ١٣٦٠ هـ)، الطبعة السابعة، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٢١٠ - الفوائد، المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني (ت / ١٢٥٠ هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢١١ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي (ت / ١٠٣١ هـ)، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م، دار المعرفة - بيروت.

حرف القاف

- ٢١٢ - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت / ٨١٧ هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

حرف الكاف

- ٢١٣ - الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت / ٣٢٩ هـ)، تعلية علي أكبر الغفاري، دار الكتاب الإسلامي - طهران.
- ٢١٤ - الكامل في التاريخ (تاريخ ابن الأثير): عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت / ٦٣٠ هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- وطبعة أخرى دار صادر - بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- ٢١٥ - الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني (ت / ٣٦٥ هـ)، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م، والطبعة الثالثة ١٩٨٨ م، دار الفكر - بيروت.
- ٢١٦ - الكامل في اللغة ولآداب، أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي (ت / ٢٨٥ هـ)، تحقيق تغاريد بيضون ونعيم زرزور، الطبعة الثانية ١٩٨٩ م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢١٧ - كتاب سليم بن قيس الهلالي، أبو صادق سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي (ت / ٧٦ هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، مؤسسة نشر الهادي - قم.
- ٢١٨ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت / ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م.
- ٢١٩ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت / ١١٦٢ هـ)، الطبعة الثانية ١٣٥١ هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٢٠ - كشف الغمة في معرفة الأنفة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت / ٦٩٣ هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، دار الأضواء - بيروت.
- ٢٢١ - الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي (ت / ٤٢٧ هـ)، نسخة مخطوطة في مكتبة المرعشي النجفي - قم.
- ٢٢٢ - كفاية الأثر في النسخ على الأنفة الاثني عشر، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي (من أعلام القرن الرابع)، تحقيق عبد اللطيف بن علي أكبر الحسيني الكوه كمرى مطبعة الخيام - قم ١٤٠١ هـ.
- ٢٢٣ - كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي (المفتول / ٦٥٨ هـ)، تحقيق محمد هادي الأميني، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ، دار إحياء تراث أهل البيت - طهران.
- ٢٢٤ - كنز العقال، علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المعروف بالمتقي الهندي (ت / ٩٧٥ هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٩ هـ.

٢٢٥ - كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق، عبد الرؤوف المناوي (ت / ١٠٣١ هـ)، الطبعة الرابعة، مصطفى الباي مطبعة الحلبي وأولاده - مصر.

حرف اللام

٢٢٦ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت / ٩١١ هـ)، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ، دار المعرفة - بيروت.

٢٢٧ - لسان العرب، ابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي الإفريقي المصري (ت / ٧١١ هـ)، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٢٨ - لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت / ٨٥٢ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، دار الفكر - بيروت.

٢٢٩ - اللع، أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت / ٣٧٨ هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م.

حرف الميم

٢٣٠ - مجالس المؤمنين، القاضي سيد نور الله شوشتری (ت / ١٠١٩ هـ)، المكتبة الإسلامية - طهران ١٣٦٥ هـ.

٢٣١ - المجتني، أبو بكر محمد بن حسن بن دريد الأزدي (ت / ٣٢١ هـ)، الطبعة الثالثة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن - الهند.

٢٣٢ - كتاب المجروحين من المحنئين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد التيمي البستي (ت / ٣٥٤ هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الباز - مكة.

٢٣٣ - مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن أحمد الميداني (ت / ٥١٨ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، دار الجيل - بيروت.

٢٣٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت / ٨٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

٢٣٥ - المحاسن والمساوي، إبراهيم بن محمد البيهقي (من أعيان القرن الخامس)، دار صادر بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م.

٢٣٦ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت / ٥٠٢ هـ)، طبعة رحلية (٤) أجزاء في مجلدين الأول في (٧٣٠) صفحة، والثاني في (٧٢٦) صفحة، ولم تُذكر أي معلومة عن الطابع أو الناشر.

- ٢٣٧ - محاضرات الأوائل ومسامرة الأواخر، علاء الدين علي دده بن مصطفى السكتوري (ت / ١٠٠٧ هـ)، الطبعة الأولى ١٣١١ هـ، المطبعة العامة الشرقية - مصر.
- ٢٣٨ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد بن عفيفي الباجوري المعروف بالشيخ الخضري (ت / ١٣٥٤ هـ)، دار الفكر - بيروت.
- ٢٣٩ - المحبّر، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت / ٢٤٥ هـ)، ألفت المكتب التجاري - بيروت عن طبعة مطبعة الدائرة - الهند ١٣٦١ هـ.
- ٢٤٠ - المحلّى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي (ت / ٤٥٦ هـ)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- ٢٤١ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت / ٧١١ هـ)، تحقيق رياض عبد الحميد وروحية النحاس ومحمد مطيع، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، دار الفكر - دمشق.
- ٢٤٢ - مختصر جامع بيان العلم، أحمد بن عمر الحمصاني البيروني (ت / بعد ١٣٤٩ هـ)، تحقيق حسن إسماعيل مروة، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، دار الخير - دمشق.
- ٢٤٣ - المدخل، محمد بن محمد العبدري الشهير بابن الحاج (ت / ٧٣٧ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م، المطبعة المصرية بالأزهر - القاهرة.
- ٢٤٤ - الملونة الكبرى، مالك بن أنس الأصبحي (ت / ١٧٩ هـ)، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٤٥ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان، عبد الله بن أسعد بن علي الياضي اليمني (ت / ٧٦٨ هـ)، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
- ٢٤٦ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملاح علي القاري (ت / ١٠١٤ هـ)، تحقيق صديق محمد جميل العطار، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، دار الفكر - بيروت.
- ٢٤٧ - مرقاة الوصول لنوادير الأصول، الشيخ مصطفى بن إسماعيل الدمشقي (كان حياً في ١٢٩٤ هـ)، مطبوع في ذيل كتاب نوادر الأصول للكحيم الترمذي، دار صادر - بيروت.
- ٢٤٨ - مروج الذهب، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت / ٣٤٦ هـ)، تحقيق عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٢٤٩ - المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت / ٤٠٥ هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، دار الكتب العلمية - بيروت.

- وطبعة أخرى دار المعرفة، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، ومحمد أمين - بيروت.
- ٢٥٠ - المستطرف في كل فن مستظرف، أبو الفتح بهاء الدين محمد بن أحمد بن منصور الأتشي المحلي (ت / ٨٥٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٥١ - المستقصى في أمثال العرب، جاز الله محمود بن عمر الزمخشري (ت / ٥٣٨ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ بيروت.
- ٢٥٢ - المسند، أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت / ٢١٩ هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة السلفية - مدينة المنورة.
- ٢٥٣ - مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (ت / ٢٠٤ هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، ألفت عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد - الهند ١٣٢١ هـ.
- ٢٥٤ - مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت / ٣٠٧ هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، دار الثقافة العربية - دمشق.
- ٢٥٥ - مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت / ٢٤١ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٥٦ - مسند البزار (البحر الزخار): أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي البزار (ت / ٢٩٢ هـ)، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
- ٢٥٧ - مسند شمس الأخبار المننقى من كلام النبي المختار ﷺ، علي بن حميد بن أحمد القرشي (ت / ٦٣٥ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٢٥٨ - مشكاة المصابيح، أبو عبد الله ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي العمري (ت / ٧٤١ هـ)، تحقيق سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، دار الفكر - لبنان.
- ٢٥٩ - مشكل الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي (ت / ٣٢١ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٣٣ هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدرآباد الدكن - الهند.
- ٢٦٠ - مصابيح السنة، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت / ٥١٠ هـ)، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، دار المعرفة - بيروت.
- ٢٦١ - مصباح القلام وبهجة الأنام، محمد عبد اللطيف الجرداني (ت / ١٣٠٧ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢٦٢ - مصباح المتجهد، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، تحقيق إسماعيل الأنصاري الزنجاني.

- ٢٦٣ - المصنّف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت / ٢١١ هـ)، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي - الهند ١٣٩٠ هـ.
- ٢٦٤ - المصنّف في الأحاديث والآثار: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت / ٢٣٥ هـ)، تحقيق مختار أحمد الدودي.
- وطبعة أخرى بتحقيق سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، دار الفكر - بيروت.
- ٢٦٥ - مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت / ٦٢٥ هـ)، كتبه رضا الدامغاني الشهير بحاجي آخوند سرافراز في ١٢٨٧ هـ.
- ٢٦٦ - المعارف، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت / ٢٧٦ هـ)، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، الطبعة السادسة ١٩٩٢ م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٢٦٧ - المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت / ٣٦٠ هـ)، تحقيق الدكتور محمود الطحان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، مكتبة المعارف - الرياض.
- ٢٦٨ - المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت / ٣٦٠ هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلي، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٦٩ - معرفة الرجال، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون المُرِّي البغدادي (ت / ٢٣٣ هـ)، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢٧٠ - المغني، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت / ٦٢٠ هـ)، الطبعة الثانية ١٣٤٧ هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢٧١ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أبو الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى الشهير بـ «طاشكُزُري زاده» (ت / ٩٦٨ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٧٢ - مقاتل الطالبين، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني (ت / ٣٥٦ هـ)، تحقيق أحمد الصقر، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ٢٧٣ - المقاصد الحسنة، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت / ٩٠٢ هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢٧٤ - مقتل الحسين، الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (ت / ٥٦٨ هـ)، تحقيق محمد السماوي، مكتبة المفيد - قم، أُفست عن طبعة النجف ١٣٦٧ هـ.
- ٢٧٥ - الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت / ٥٤٨ هـ)، الطبعة الأولى ١٩٨١ م، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت.

- ٢٧٦ - المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد الخوارزمي (ت / ٥٦٨ هـ)، تحقيق مالك الحمودي، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، جامعة المدرسين - قم.
- ٢٧٧ - مناقب أبي حنيفة، الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي (ت / ٥٦٨ هـ)، مطبوع في ذيل كتاب مناقب أبي حنيفة للكردي الطبعة الأولى ١٣٢١ هـ.
- ٢٧٨ - مناقب أمير المؤمنين، أحمد بن حنبل (ت / ٢٤١ هـ)، تحقيق السيد عبدالعزيز الطباطبائي.
- ٢٧٩ - مناقب علي بن أبي طالب، علي بن محمد بن محمد الشهير بابن المغازلي (ت / ٤٨٣ هـ)، المكتبة الإسلامية - طهران ١٣٩٤ هـ.
- ٢٨٠ - المنتخب، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي الرماحي النجفي (ت / ١٠٨٥ هـ)، مكتبة أرومية - قم.
- ٢٨١ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٨٢ - منهاج السنة النبوية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني (ت / ٧٢٨ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، أفست عن طبعة المطبعة الكبرى الأميرية - مصر ١٣٢٢ هـ.
- ٢٨٣ - المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي (ت / ٧٥٦ هـ)، عالم الكتب - بيروت.
- ٢٨٤ - المواهب اللدنية، أحمد بن محمد القسطلاني (ت / ٩٢٣ هـ)، تحقيق صالح أحمد الشامي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٢٨٥ - الموضوعات، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت / ٥٩٧ هـ)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م، المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
- ٢٨٦ - الموطأ، مالك بن أنس (ت / ١٧٩ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢٨٧ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت / ٧٤٨ هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر - بيروت.

حرف النون

- ٢٨٨ - النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي الحسيني العبيدي المقرئ (ت / ٨٤٥ هـ)، تحقيق د. حسين مؤنس، منشورات الشريف الرضي - قم.
- ٢٨٩ - نزل الأبرار، محمد بن معتمد خان رستم البدّ خشاني (ت / بعد ١١٢٦ هـ)، تحقيق محمد هادي الأميني، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، شركة الكتبي - بيروت.

- ٢٩٠ - نزهة المجالس ومنتخب النقائس، عبد الرحمن الصفوري (ت / ٨٩٤ هـ)، دار الإيمان - دمشق.
- ٢٩١ - النصائح الكافية لمن يتولى معارية، محمد بن عقيل بن عبدالله العلوي (ت / ١٣٥٠ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، دار الثقافة - قم.
- ٢٩٢ - نصب الراية، عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت / ٧٦٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٩٣ - نظم درر السمطين، محمد بن يوسف الزرندي (ت / ٧٥٠ هـ)، تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني، إصدار مكتبة نينوى الحديثة - طهران.
- ٢٩٤ - نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت / ٧٣٣ هـ)، المؤسسة المصرية العامة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر.
- ٢٩٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير المبارك بن محمد الجزري (ت / ٦٠٦ هـ)، الطبعة الرابعة ١٩٦٥ م - القاهرة.
- ٢٩٦ - نهج البلاغة، حققه وضبط نصّه الدكتور صبحي الصالح، بيروت ١٣٨٧ هـ.
- ٢٩٧ - فوائد الأصول، محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي (ت / نحو ٣٢٠ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٩٨ - نور الأبصار، الشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي (ت / بعد ١٣٠٨ هـ)، دار الجيل - بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- ٢٩٩ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس (ت / ١٠٣٨ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٠٠ - نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنعاني (ت / ١٢٥٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، أُنست عن طبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م.

حرف الهاء

- ٣٠١ - هداية المرتاب في فضائل الأصحاب، أحمد بن مصطفى القادين خاني (ت / ١٣٠٦ هـ)، سنة الطبع ١٢٩٢ هـ.

حرف الواو

- ٣٠٢ - الوشيعة في نقض عقائد الشيعة، موسى جار الله ابن فاطمة التركستاني القازاني التاتاري الروستوفدوني الروسي (ت / ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م)، مكتبة الخانجي - مصر.

٣٠٣ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، نور الدين عليّ بن عبدالله الحسيني الشافعي السهمودي (ت / ٩١١ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الباز - مكة المكرمة.

٣٠٤ - وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت / ٦٨١ هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت ١٩٧٠ م، أُنست عن طبعة دار صادر.

حرف الياء

٣٠٥ - ينابيع المودة،

الشيخ سليمان بن إبراهيم الحسيني البلخي القندوزي الحنفي (ت / ١٢٩٤ هـ)، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت.



مصادر اعتمدها المؤلف لم تذكر في مصادر

- ١ - الإشاعة.
- ٢ - الأوسط للطبراني.
- ٣ - تاريخ ابن شحنة.
- ٤ - تاريخ أبي الفداء.
- ٥ - تفريح خاطر في ترجمة عبد القادر، طبعة مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، سنة (١٣٣٩).
- ٦ - توضيح الدلائل.
- ٧ - الجواهر المضيئة لمحمد بن الحسن الشيباني الحنفي، المتوفى (١٨٧).
- ٨ - الخلفاء الراشدون لعبد الوهاب النجار.
- ٩ - الذرية الطاهرة.
- ١٠ - سنن الدار قطني.
- ١١ - شرح الشفا للخفاجي.
- ١٢ - شرح صحيح الترمذي لابن العربي.
- ١٣ - شرح الصحيح للقسطلاني.
- ١٤ - شرح معاني الآثار.
- ١٥ - شرح نهج البلاغة لابن ميشم.
- ١٦ - طبقات الحفاظ للذهبي.
- ١٧ - ظهر الإسلام.
- ١٨ - علل الشرائع.
- ١٩ - عيون الأثر لابن سيد الناس.
- ٢٠ - الفتنة الكبرى.
- ٢١ - فردوس الأخبار.
- ٢٢ - فضائل الصحابة للأطرابلسي.
- ٢٣ - القول الجلي في فضائل علي للسيوطي.
- ٢٤ - كتاب العلم لأبي عمر.
- ٢٥ - كتاب الولاية للحافظ السجستاني، الذي أفردته في حديث الغدير.
- ٢٦ - كنوز الدقائق لزين الدين المناوي، المتوفى (١٠٣١، ١٠٣٥).
- ٢٧ - ما نزل من القرآن في علي عليه السلام للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، المتوفى (٤٣٠).
- ٢٨ - مختصر المزني.
- ٢٩ - مرآة الزمان.
- ٣٠ - المقاصد للتفتاراني.
- ٣١ - المنتقى لابن تيمية.
- ٣٢ - نيل الابتهاج.
- ٣٣ - الوسائل إلى مسامرة الأوائل.

